

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنن
شعبة التفسير

ترجمات أبي حيان الأندلسي في التفسير

من آية (٤٦) من سورة يونس إلى آية (١٠) من سورة الرعد

بجمعها في دراسة وهي ملخصة

”هُنَّ خَلَالٌ تَفْسِيرُهُ الْبَحْرُ الْمَهِيَّ“

أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنن

إعداد الطالبة:

جوهرة بنت عبد الرحمن بن فهد الصبيحي

الرقم الجامعي: ٤٢٤٧٠٠٩٧

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

جمال مصطفى بن عبد الحميد بن عبد الوهاب النجاشي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى

الجزء الأول

العام الجامعي ١٤٢٩ - ١٤٣٠ هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنن
شعبة التفسير

ترجمات أبي حيان الأندلسي في التفسير

من آية (٤٦) من سورة يونس إلى آية (١٠) من سورة الرعد

بِهِمْ حَمَّاً هُنَّ رَايْسَةٌ هُنَّ مُهَاذَنَةٌ

”**هُنَّ خَلَالٌ تَفَسِّيرُهُ الْبَحْرُ الْمَهِيطُ**“

أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنن

إعداد الطالبة:

جوهرة بنت عبد الرحمن بن فهد الصبيحي

الرقم الجامعي: ٤٢٤٧٠٠٩٧

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

جمال مصطفى بن عبد الحميد بن عبد الوهاب النجاشي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى

الجزء الثاني

العام الجامعي ١٤٢٩ - ١٤٣٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُلْكُهُنْ وَرِسَالَةُ دُكَّهُورَاهُ

عنوان: "ترجيحات أبي حيان الأندلسى في التفسير من آية (٤٦) من سورة يونس إلى آية (١٠) من سورة الرعد. جمعاً ودراسةً وموازنةً من خلال تفسير البحر المحيط". تتكون الرسالة من مقدمة ، وتمهيد ، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

أما التمهيد: فيتعلق بحياة أبي حيان الأندلسى وترجمته، حيث أبىان البحث عن أهم مراحل حياته، وأبرز مكانته العلمية، وأوضح مشاركته الجادة في التفسير، وأثره فيه، وفي سائر علوم العربية من خلال ذكر تأليفه.

أما القسم الأول: فكانت الدراسة فيه متعلقة بمنهج أبي حيان الأندلسى في التفسير وصنيعه في تفسيره البحر، وكذا منهجه في الترجيح في التفسير، وتأصيله لقواعد الترجيح في التفسير وتطبيقه لها، كذلك شمل ذكر الصيغ والأساليب التي استخدمها في الدلالة على القول الراجح.

أما القسم الثاني: فقد عني بترجيحات أبي حيان الأندلسى في التفسير من آية (٤٦) من سورة يونس إلى آية (١٠) من سورة الرعد والتي بلغت (مائةي موطن)، ودراسة هذه الترجيحات دراسة تفصيلية مقارنة بأقوال أئمة العلم من مفسرين وغيرهم.

وقد أبىان البحث عن قوة ترجيحات هذا الإمام، وأنه لم يكن مقلداً في اختياراته العلمية التفسيرية، بل كان مجتهداً يعتمد الدليل والنظر. ثم أنهيت البحث بخاتمه، وفهارس فنية كافية عن مضامين الرسالة. والحمد لله على توفيقه وامتنانه.

المشرف على البحث

الباحث



أ.د. جمال مصطفى بن عبد الحميد النجار

جوهرة بنت عبدالرحمن الصبيحي

In the Name of Allah, Most Gracious Most Merciful

Synopsis of PHD Dissertation

The title of dissertation is (Studying Abu Hayyan Al-Andalusi's Methodology of choosing the Preferred Scholars Opinions in his Interpretation of the Holy Quran "Albahr Almohet", from Ayah (٤٦) from Sort Yonos (Yonos Chapter) to the Ayah (١٠) from Sort AlRaad (AlRaad Chapter).

The dissertation consists of an Introduction, a Preface, two chapters, a conclusion and Appendices.

The Preface is about Abu Hayyan Al- Andalusi's life and biography.

The research shows the most important milestones of his life. It shows his superior Knowledge and his major contribution to the science of interpretation of the Holy Quran Known as ' Tafseer'. It also shows his contribution to other fields relate to Arabic language.

The First Chapter illustrates the methodology of Abu Hayyan Al- Andalusi's in his interpretation of the Holy Quran "Albahr Almohet". It also sheds some lights on his methods in choosing the preferred opinions of the famous scholars as he establishes and applies the basics of this kind of Knowledge. This Chapter also points out the wording and styles he uses in indicating the preferred opinions.

The Second Chapter deals with Abu Hayyan Al- Andalusi's methodology in indicating the preferred opinions of famous scholars in his interpretation of the Holy Quran from Ayah (٤٦) from Sort Yonos (Yonos Chapter) to the Ayah (١٠) from Sort AlRaad (AlRaad Chapter). His methods have been illustrated in (٢٠٠) locations. The chapter studies locations thoroughly comparing them with what other famous scholars have indicated.

The research shows clearly the solid standing of this famous scholar, and that he was innovating rather than imitating others.

I end my dissertation with a conclusion and intensive appendices.

Researcher:
Joharh Alsobehey.

Supervisor:
D. Jamal Mustafa Alnajar

الحقيقة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ رُوحِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضْلِلٌ لَّهُ، وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِيٌ لَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد :

فَإِنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالْفُرْضِ حَاجَةُ اِلَّا لِلنَّاسِ إِلَى مَنْهَجٍ كَامِلٍ شَامِلٍ جَامِعٍ، يَنْهَلُونَ مِنْهُ وَيَغْرِفُونَ، يَتَعَلَّمُونَهُ، وَيَحْفَظُونَهُ، وَبِهِ يَعْمَلُونَ.

حَتَّى تَسِيرَ حَيَاتَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْبِسِطَةِ بِالسَّعَادَةِ وَالْمَنَاءِ، بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، عَلَى الْوِجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيُرْضِاهُ ، وَالنَّاظِرُ بِعِينِ الْبَصِيرَةِ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا أَشْمَلُ وَلَا أَكْمَلُ وَلَا أَعْدَلُ مِنْ مَنْهَاجِ الْإِسْلَامِ، الْمُتَمَثِّلُ فِي الْوَحْيَيْنِ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَلَّنَا بِالْقُرْآنِ عَلَى الْأَمْمَ أَجْمَعِينَ، وَآتَانَا بِهِ مَا لَمْ يُؤْتَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ .
أَنْزَلَهُ لِلثَّقَلَيْنِ هُدَايَةً .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أَسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قَرْءَانًا عَجَبًا ﴾ ١ ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَمَا نَبَاهُ وَلَنْ تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ ٢ [الجن: ١ - ٢].
وَجَعَلَهُ لِلْكِتَابِ السَّمَاوِيَّةِ مَصْدِقًا وَخَاتَمَهُ .

قَالَ تَعَالَى قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ الْتَّوْرَةَ وَأَنْزَلَ الْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٤].

وَهُوَ مَعِجزَةُ خَالِدَةٍ تَالِدَةٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّهُ لَقَرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ ٧٩ ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ ٨٠ ﴿ لَا يَمْسِهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ٨١
[الواقعة: ٧٧ - ٨٠].

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ بَلْ هُوَ قَرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴾ ٨٢ ﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ ٨٣ [البروج: ٢١ - ٢٢]
مَحْفُوظٌ بِحَفْظِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ ٨٤ [الحجر: ٩].

وبقي لنا شرف العلم به، والعمل به، وتعلمته وتعليمه .

وحتى يتحقق ذلك لابد من النظر في العلوم التي تصل بنا إلى هذا الشرف العالي،
والاطلاع على الكتب التي ألفت في الزمن الحاضر والماضي .

ومن ذلك العناية بعلم تفسير القرآن العظيم والاطلاع على كتبه .

"فالتفسير من أجل علوم الشريعة وأرفعها قدرًا، وهو من أشرف العلوم موضوعاً
وغرضاً وحاجة إليه، لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن
كل فضيلة، ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروبة الوثقى والوصول إلى السعادة
الحقيقة، وإنما اشتدت الحاجة إليه لأن كل كمال ديني أو دنيوي لابد أن يكون موافقاً
للشرع وموافقته تتوقف على العلم بكتاب الله . □".

والباحث في المكتبة التفسيرية يجد كتبها متوافرة وكثيرة، وكل مفسر له منهج معين
وطريقة .

ومن هؤلاء: الإمام المفسر أثير الدين محمد بن يوسف بن على الغرناطي . المعروف بأبي
حيان الأندلسي . (٦٥٤-٧٤٥هـ).

صاحب كتاب البحر المحيط ، وهو بحر، وهو محيط .

ومؤلفه علم من الأعلام، برع في العلم، وتتميز بالفهم والإفهام، مع أسلوب محكم وبيان
رصين .

وقد طرحت « دراسة ترجيحات أبي حيان في تفسيره البحر المحيط » لتكون
منظومة وسلسلة متصلة من الأطروحات العلمية الأكاديمية في صرح جامعة أم القرى،
زادها الله رفعة وحجوراً .

وقد نالني من ذلك ما أشرف به وافخر، وهو دراسة جزء من هذا السفر الكبير في
مرحلة نيل درجة الدكتوراه بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى برسالة عنوانها «
ترجيحات أبي حيان الأندلسي» من آية (٤٦) من سورة يونس إلى آية (١٠) من سورة
الرعد ، جمعاً ودراسة وموازنة من خلال تفسير "البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي" .

أهمية الموضوع وسببه اختياره:

(١) - مباحث في علوم القرآن ص ٣٢٧ لمناع القطان.

- ومن أسباب إقدامي على اختيار الموضوع: شرف علم التفسير وما يناله المتعلم من النظر في كتبه . مُحَمَّد.
- مكانة تفسير أبي حيان وجلالة قدرة وعلو شأنه بين كتب التفسير . مُحَمَّد.
- ما بذله أبو حيان من جهد كبير في تأليف هذا التفسير . نَبِيُّكُمْ.
- ما ضمه البحر المحيط من شتى العلوم والفنون التي تخدم شعثان.
- كتاب الله وتعيين على فهمه وتدبره .
- ما تميز به أبو حيان من منهج، وأسلوب، وترتيب، ودقة بخطه .
- العبارة، وجودة التنظيم، وحسن العرض والتحrir والتعليق، مع اعتماد الدليل في الاختيار والترجيح .
- ال الحاجة إلى تحقيق أقوال المفسرين، وأخذ ما له صلة بعلم بخطه .
- التفسير، وطرح ما سواه من الحواشى التي لا طائل منها .
- جدة الطرح في موضوع دراسة ترجيحات أبي حيان حيث لم يسبق دراسة ترجيحاته .
- حصل الباحث على جرعة مكثفة وملكة قوية من خلال شعثان.
- دراسة أقوال المفسرين، وترجم ما يقويه الدليل والبرهان .
- ## الدراسات السابقة
- اهتم عدد من الباحثين بكتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ،من عدة نواحٍ، عدا ما يتعلق بجمع ودراسة اختياراته في التفسير ، ومن هذه الدراسات ما يلي:
- منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط، للباحث : عبد المجيد المحتسب، جامعة القاهرة، كلية الآداب، رسالة دكتوراه / ١٩٦٨ م . مُحَمَّد.
- القراءات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان من أول الفاتحة إلى سورة الأنفال، للباحث: أحمد شكري، الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير ٤١٤٠ هـ . مُحَمَّد.
- البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط مع تحقيق المقدمة وسورة الفاتحة، للباحث: زكريا سعيد علي، جامعة القاهرة، رسالة ماجستير / ١٩٨٥ م . نَبِيُّكُمْ.
- القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية من خلال تفسير أبي شعثان.

- حيان النحوي لسورة البقرة، للباحث : محمد المحمودي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، رسالة دكتوراه / ١٩٩٠ م.
- اختيارات أبي حيان ال نحوية في البحر المحيط جمعا ودراسة، للباحث: بدر بن ناصر البدر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير / ١٤١٢ هـ.
- منهج أبي حيان في تفسير القرآن الكريم، للباحث : بوشعيب محمدادي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، رسالة دكتوراه / ١٩٩٣ م.
- تعقيبات أبي حيان النحوية والصرفية لأبي البقاء العكاري في البحر المحيط، للباحث معاوضة محمد حكمي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير ، ١٤١٥ هـ.
٨. تعقيبات أبي حيان النحوية للزمخشري في البحر المحيط، للباحث محمد القرشي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، رسالة دكتوراه، ١٤١٦ هـ.
٩. المحاكمات بين أبي حيان والزمخشري وابن عطية، دراسة وتحقيق إلى نهاية سورة يوسف، للباحث : ناجي عبد الجليل، الجامعة الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة دكتوراه، ١٤١٧ هـ.
١٠. أبو حيان وتفسيره البحر المحيط، للباحث: بدر بن ناصر البدر. ط ١٤٢٠ هـ
١١. القراءات في تفسير البحر المحيط . للباحث عبد اللطيف الخطيب، كلية الآداب جامعة الكويت، رسالة دكتوراه.
١٢. مسائل التصريف في البحر المحيط لأبي حيان جمعا ودراسة، للباحث : عبدالله العمير، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة دكتوراه، ١٤٢٠ هـ.
١٣. دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، للباحث : جزاء بن محمد المصاورة، جامعة مؤتة، الأردن، رسالة ما جستير ٢٠٠٠ م.
١٤. اعترافات السمين الحلبي في الدر المصنون على أبي حيان ، دراسة نحوية صرفية ، للباحث: عبد الله الطريقي، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية.

١٥. مواقف أبي حيان الأندلسي النحوية من متقدمي النحاة حتى أوائل القرن الرابع الهجري من خلال تفسيره البحر المحيط جمعاً ودراسة . للباحث: على بن محمد الزهراني، رسالة دكتوراه.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس .

المقدمة:

وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج البحث .

التمهيد:

ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي، وفيه أربعة مباحث .

المبحث الأول: اسمه ونسبه وموالده وطلبه للعلم.

المبحث الثاني: مكانته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: مؤلفاته ووفاته.

القسم الأول: وفيه فصلان.

الفصل الأول: منهج أبي حيان في تفسيره .

أولاً: التمهيد.

ثانياً: منهجه في التفسير بالتأثر، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تفسيره القرآن بالقرآن، وفيه سبعة مطالب.

المطلب الأول: شرح الموجز بالمطلب.

المطلب الثاني: تفسير المجمل بالمبين.

المطلب الثالث: عنایته بالقراءات.

المطلب الرابع: تفسيره بحمل العام على الخاص.

المطلب الخامس: تفسيره بحمل المطلق على المقيد.

المطلب السادس: تفسيره عن طريق الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض .

المطلب السابع: تفسيره ببيان الناسخ والمنسوخ .

- المبحث الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.
- المبحث الثالث : عنايته بأسباب النزول.
- المبحث الرابع: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.
- المبحث الخامس: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.
- المبحث السادس: موقفه من الإسرائيليات.
- ثالثاً: منهجه في التفسير بالرأي، وفيه خمسة مباحث.
- المبحث الأول: تفسيره القرآن بأقوال من جاء بعد التابعين.
- المبحث الثاني: تفسيره القرآن باللغة، وفيه أربعة مطالب.
- المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات.
- المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات.
- المطلب الثالث: عنايته بالإعراب.
- المطلب الرابع: عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني.
- المبحث الثالث: عنايته بالمناسبات.
- المبحث الرابع: عنايته بأسرار النظم القرآني والبلاغة القرآنية .
- المبحث الخامس: موقفه من بعض الفرق (المعتزلة، الصوفية، الفلاسفة).
- الفصل الثاني: منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير، وفيه تمهيد ومبثان:
- المبحث الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان، وفيه ثلاثة مطالب :
- المطلب الأول : التصرير بالقول الراجح أو بعبارة تشبه التصرير.
- المطلب الثاني : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره .
- المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة تدل على الضعف أو أن غيرها مقدم عليها.
- المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند أبي حيان، وفيه أحد عشر مطلاعا.
- المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .
- المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن.
- المطلب الثالث : الترجيح بالقراءات.
- المطلب الرابع : الترجيح بالحدث النبوى.

- المطلب الخامس : الترجيح بأسباب التزول.
- المطلب السادس : الترجح بالناسخ والمنسوخ .
- المطلب السابع : الترجح بالعموم.
- المطلب الثامن : الترجح بالمطلق.
- المطلب التاسع : الترجح بالمفهوم.
- المطلب العاشر : الترجح بالسياق .
- المطلب الحادى عشر : الترجح باللغة.

القسم الثانيـي: ترجيحات أبي حيان من آية(٤٦) من سورة يونس إلى آية(١٠) من سورة الرعد.

- أولاًً: ترجيحات سورة يونس من آية (٤٦) إلى آخر السورة.
- ثانياً: ترجيحات سورة هود.
- ثالثاً: ترجيحات سورة يوسف.
- رابعاً: ترجيحات سورة الرعد من أول السورة إلى آية(١٠).
- الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتتضمن الفهارات الآتية:

محتوى. فهرس الآيات القرآنية.

محتوى. فهرس القراءات.

محتوى.

محتوى. فهرس الأحاديث.

محتوى.

محتوى. فهرس الآثار.

محتوى.

محتوى. فهرس الأعلام.

محتوى.

محتوى. فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.

محتوى.

محتوى. فهرس الفرق والقبائل.

محتوى.

محتوى. فهرس الأماكن والبلدان.

٩. فهرس الشواهد الشعرية.

١٠. فهرس المصادر والمراجع.

١١. فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

- استخرجت ترجيحات أبي حيان - رحمة الله تعالى - التفسيريّة من خلال تفسيره البحر المحيط ضمن القدر المحدّد لـي.
- أصدرَ المسألة بكتابه الآية كاملة بالرسم العثماني، برواية حفص عن عاصم.
- ثم أضع عنواناً لكل مسألة يدل على مضمونها.
- ثم أذكر كلام أبي حيان بنصه كاملاً في المسألة غالباً، أو أكتفي بمحل الشاهد فقط من الاختيار، حسب ما تقتضيه مصلحة الدراسة.
- أقوم بدراسة المسألة، مبتدئاً بجمع أقوال المفسرين الواردة في تفسير الآية المختلف فيها من المصادر التي اعتمدتها، وأحاول الاستقصاء ما استطعت.
- بعد دراسة المسألة أفنـد الأقوال المرجوحة وأصدـر الدراسة بعدها، ثم أذكر كل قول ومن قاله من المفسرين بذكرهم جملة في المتن، وتفصيلاً في الحاشية إن كان عددهم أكثر من ثلاثة، فإن كانوا ثلاثة فأقل ذكرهم بأسمائهم في المتن وأشار إلى المصدر في الحاشية؛ وأذكر عبارة "اختاره أبو حيان" ضمن القول المختار^(١)، ثم أذكر نص ثلاثة من أصحاب كل قول غالباً حسب الأقدم تارياً، وإن تطابق النص المنقول مع من سبقه، لأن بعض المفسرين ينقل عمن تقدمه نصاً في الغالب دون الإشارة إليه.
- بعد الانتهاء من سرد أقوال المفسرين، أناقشها تحت عنوان "نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي" وتهدف المناقشة إلى الإشارة إلى الرأي الراجح، ورد ما سواه بعبارة تدل عليه. وقد أذكر أحياناً في المناقشة نصوصاً لأقوال بعض المفسرين في بيان رد أو تضليل القول حسب الحاجة إلى ذلك، مما أراه يساعد في بيان القول أورده.
- الترجيح أصدره بعنوان ظاهر، يضم تحته بيان القول الراجح، فإن كان مما اختاره أبو حيان فإني أذكر ذلك بعبارة « وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه » وإن كان

(١) - إن كان قول أبي حيان ظاهراً في الاختيار في الغالب، وإن رأيت عدم ظهور وجه الاختيار فإني أشير إلى بيان ذلك في الحاشية.

غير ذلك؛ فلذكر القول الراجح فقط، ثم أذكر أدلة الترجيح حسب ما ظهر لي وظننت صوابه د ونما تعصب أو ميل أو هوى بل أجهد وأسائل الله التوفيق بتبني القواعد العلمية والأداب الشرعية والعبارات الواضحة في البيان، مع إدراج نص لأقوال العلماء حسب الحاجة.

- راجعت نص المسائل الترجيحيّة على النسخة الخطية لتفسير البحر المحيط الموجودة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية (□)، وأشار إلى مواضع الخلاف والسقط بين المخطوط والمطبوع إذا كان الخلاف مؤثراً، أما إذا كان غير مؤثر فلا ذكره، مع التزام ما جاء في المخطوط إلا إذا كان هناك سقط ، أو دعت الحاجة إليه، فإني أثبته من المطبوع مع الإشارة إلى ذلك.
- عزوت الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في صلب الرسالة.
- خرّجت القراءات من كتب القراءات ما استطعت.
- خرّجت الأحاديث من مظانها من كتب السنة، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما أكفي به، وإن في غيرهما ذكر من أخرجه مع بيان حكم أهل الحديث في ذلك .
- أما الآثار فأذكر من أخرجها من المفسرين من اهتم بذلك، مع ذكر السندي في الحاشية، وإن وجدت قولًا يتعلّق بصحّته ذكره مع الإشارة إلى من قاله .
- وثبتت النصوص التي أنقلها من مصادرها الأصلية ما أمكنني ذلك .
- عزوت الشواهد الشعرية إلى دواوينها ومصادرها المعتمدة .
- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في صلب الرسالة ترجمة موجزة ، ولم أستثن أحداً خلا الخلفاء الأربع، والأئمة الأربع، وأصحاب الكتب الستة، ولا أحيل إلى الترجمة إيجازاً.
- عرّفت بالفرق والطوائف والأماكن غير معرفة من كتبها المعتمدة .
- عند الإحالـة إلى صفحة المنقول، فإن الإحالـة تكون للصفحة التي فيها بدايته في

(١) - وقد وصلت إلى بعد الانتهاء من دراسة المسائل والحمد لله.

الغالب، وإن كان النص هذا النص من عدة صفحات.

- أذكر طبعات المصادر والمراجع في الفهرس الخاص بذلك في آخر الرسالة، تخفيفاً للحواشي.
- التزمت طبعة لكل كتاب في الغالب، وعند الحاجة لطبعة أخرى، لفائدة أو وجود سقط .. الخ ، فأذكرها في ذلك الموضع.
- ذيلت الرسالة بفهارس فنية، تسهل للقارئ الرجوع إلى المطلوب عند الحاجة.
- أذكر جملة المفسرين في صلب الرسالة بالإشارة إليهم بقول : وهو قول كثير من المفسرين وما في معناها، أو جماعة من المفسرين، أو بعض من المفسرين .
وأذكر مصادر التفسير في الحاشية بذكر المؤلفين فقط في الغالب.

مثال : الطبرى وأعني به في تفسيره جامع البيان . الماوردي في وأعني به النكت والعيون. وهكذا كل مفسر أحلت عليه أعني به تفسيره. إلا إن رجعت إلى أكثر من كتاب للمؤلف فإني أميزه.

مثال: الوادى في الوجيز، والواحدى في الوسيط .

ويعد:

فهذا جهد المقل مع كبد ومشقة ملزمة لعمل الإنسان وحاله .

قال تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

و لا يشعر الإنسان بأهمية ما قدم ما لم يتخلل عمله صعوبة وكدر .

وفي الختام هذا شكر وعرفان ، من كان سببا في الإنعام والأفضال، في خروج هذه الرسالة في أنضر وجه وأحسن حال.

فالشكراً أولاً وأخيراً للمتفاضل بالإنعام والإكرام على الدوام، الذي لا تخصى منه، ولا يحده كرمه، فلك الحمد يا ربى حمداً يليق بجلالك، ولنك الشكر شكرًا يزيد من نعمائك.

أوليتني نعماً أبوح بشكرها
وكفيتي كل الأمور بأسرها
فلتشكرنك أعظمي في قبرها
فلا شكر لك ما حييت وإن أمت

ثم أثني بالشكر والدعاء لوالدى الكريمين، أبي وأمي ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَافِي

صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ الإسراء: ٢٤.

فلك يا والدي واسع الرحمة من الله الرحمن الرحيم، ولك يا أمي الدعاء بالصحة والعافية وأن يكتب لك الأجر والصبر والشكر.

والثناء العاطر لصاحب الفضيلة أ.د. جمال مصطفى بن عبد الحميد النجار، لتفضله وتكرمه بالإشراف على هذه الرسالة.

أشكر له نصحه وتصويبه وتقويته ومتابعته ورحابة صدره وكريم طبعه ورفيع خلقه، وله مبني الدعاء بظاهر الغيب فربى خير من يجازيه.

ولأبي أولادي كل تقدير وشكر جزيل ووفاء لما قدم وأعان.

ولإخوتي وأخواتي كل شكر، وأخص العزيز عبد الله لما بذل وتكبد.

ولثمرات المؤاد سمية وأحمد وأوس وصهيب وسفانة وسديم ، كل حب ودعاء.
ولجماعتي كل عز وفخر وارتفاع.

ولمن علمني فيها كل دعوة خير من رب الأرض والسماء . وأخص منهم الوالد د . عبد العزيز عزت بن عبد الحكيم، لما أرشد وأفاد، فبارك الله سعيه وأمده في عمره بالصحة والعافية والسداد.

ولقسم الكتاب والسنة أقدم وافر الشكر والثناء .

ولقسم القراءات أقدم أزكي تحيه وأعطر ثناء، أخص بها رئيس القسم د . فيصل غزاوي لتعاونه وطيب أصله.

وأستاذتي الفاضلة د.سعاد بابقي أخصها بوافر الشكر والدعاء بالبركة بالنفس والعلم والخلق والأدب الرفيع أسدل الله عليها عفوه ورحمته وغفرانه .
ولإخواتي في القسمين كل شكر ودعاء .

وللأخ محمد بن ناصر أول طالب في دراسة ترجيحات أبي حيان، فقد استفدت من رسالته.

ولمن تعاون معى ولو بمق اسمى الفرح والسرور والهم والنصب كل دعوة صادقة بال توفيق والسداد.

ولكمـا يا من تفضلتمـا عليـ بقراءة رسالـي وإبدـاء النـصح والتـوجـيه الـذـي أنا فـي أـمسـ الحاجـة إـلـيـه لـتـكـامـلـ الرـسـالـةـ وـتـظـهـرـ فـيـ أـحـسـنـ حـالـةـ، كلـ شـكـرـ وـدـعـاءـ معـ طـلـبـ الصـفـحـ

والرفق فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وهذا جهد من الضعف فيه مركب . والحكمة ضالة المؤمن يأخذها كلما وجدها .

"بنفسي، العلماء هم ضالتي في كل بلدة، وهم بغيتي إذا لم أجدهم، وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء".^(١)

نعم القرين إذا ما صاحب صحبا عما قليل فيلقى الذل والحربا فلا يحاذر فوتاً لا ولا هربا لا تعدلن به دراً ولا ذهبا ^(٢)	العلم كنز وذخر لا نفاد له قد يجمع المرء مالا ثم يسلبه وجامع العلم مغبوط به أبداً يجامع العلم نعم الذخر تجمعته فأسألك ربِّي قلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً وعلماً نافعاً، ورزقاً واسعاً حلالاً طيباً، وتوبية نصوهاً وعملًا خالصاً صواباً متقبلاً، وختاماً حسناً في كل أمر وحين. وصلوة وسلاماً على الهادي البشير المبعوث رحمة للعالمين .
---	---

وكتبتته:

جوهرة بنت عبد الرحمن بن فهد الصبيحي .

١٤٢٩/١٠/١٥

(١) - وهو قول ميمون بن مهران انظر ، جامع بيان العلم وفضله ٢٢١/١ . تحقيق الشيخ حسن أبي الأشبال ، وانظر صلاح الأمة في علو الهمة ١٥٢/١ .

(٢) - هو من قول أبي الأسود الدؤلي ، انظر الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٥٢/١ .

التقديم

نجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي

و فيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: اسمه ونسبه وموالده وطلبه للعلم.

المبحث الثاني: مكانته العلمية.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الرابع: مؤلفاته ووفاته.

المبحث الأول

اسمه ونسبه ومولده وطلبه للعلم^(١)

اسمه ونسبه :

هو أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي^(٢) النفزي^(٣) الجياني^(٤)، أبو حيان.

مولده :

ولد بمطخشارش مدينة من حضر بيرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة.

طلبه للعلم :

عاش أبو حيان في بيت علم فوالده من أعلام المفسرين^(٥) وهذا يدل

١ - نكت الهميان ص ٢٨٠، الوافي بالوفيات (٢٧٧/٥)، طبقات الشافية الكبرى (٩/٢٧٦)، نفح الطيب (٢/٥٣٥)، الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/٤٣)، معرفة القراء الكبار ص ٣٨٧، الدرر الكامنة (٤/١٨٧)، النجوم الزاهرة (١٠/١١١)، غاية النهاية (٢/٢٨٥)، فوات الوفيات (٤/٧١)، المختصر في أخبار البشر (٤/١٤٢)، حسن الحاضرة (١/٤٣٨)، طبقات المفسرين للداودي (٢/٢٨٧)، طبقات المفسرين للأدنهوي ص ٢٧٩، شذرات الذهب (٦/١٤٥)، هدية العارفين (٢/١٥٢)، الأعلام (٧/١٥٢).

٢ - نسبة إلى غرناطة، وهي قاعدة بلاد الأندلس ومن أقدم بلادها وأجملها ومعناها بلسان الأندلسيين رمانة. انظر معجم البلدان (٤/١٩٥)، الدرر الكامنة (٤/١٨٧).

٣ - نفزة - بكسر النون وسكون الفاء - قبيلة من البربر. انظر معجم البلدان (٥/٢٩٦)، شذرات الذهب (٦/١٤٥).

٤ - جَيَّانُ : بالفتح ثم التسديد، وآخره نون: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس في شرقى قرطبة، انظر معجم البلدان (٢/١٥٩).

٥ - انظر مقدمة محقق البحر الحيط (١/٢٨) فقد ذكر أن أبا حيان ذكر ذلك في تفسيره في سورة الكهف، ولم أجده.

على البيئة العلمية التي نشأ فيها وظهر تأثره بها . فنشأ الفتى على ما كان عوده أبوه .

وما زال هذا التأثر ينمو مع أبي حيان في مراحل حياته فعلت همته وكبر طموحه وأخذ ينهل من العلوم من حين بلغ سن التمييز ، فقال واصفاً ذلك : " وما زلت من لدن ميّزت أتتليذ للعلماء و اخاز للفهماء وأرغم في مجالسهم وأنافس في رفائسهم، وأسلك طريقهم ، واتبع فريقهم، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام، فكم من صدر أودعت علمه صدري، وحبر أفيت في فوائده حبري ، وإنما كثرت به الإ لام ، وعلام أطلت معه الاستعلام ، أشنف المسامع بما تخسدتها عليه العيون ...".[□]

ومع بيت العلم وجد مجتمعاً وبيئة تهتم بالعلم وتقدر العلماء فلا يخلو مسجد من حلقة علمية ، يدرس فيها التفسير وعلومه والحديث وعلومه والفقه واللغة والأصول .. الخ.

ومع انتشار المدارس المهتمة بالعلوم الدينية واللغوية وغيرها من العلوم . وكان ذلك العصر عصر نهضة العلوم والفكر عصر مملكة غرناطة في أواسط القرن السابع الهجري .

فقرأ أبو حيان القرآن بالروايات وتعلم القراءات والنحو واللغة والحديث حتى بلغ شيوخه نحو أربعين شيخاً . مع حرصه علىأخذ الإجازات .

قال أبو حيان في ذلك : " وعدة من أخذت عنه أربع مائة وخمسون شخصاً وأما من أجازني فكثير جداً".[□]

وتنتقل أبو حيان في أرجاء الأرض لطلب العلم والسماع من الشيوخ ،

١ - تفسير البحر المحيط (١٠١/١) مقدمة المؤلف.

٢ - الدرر الكامنة (٤/١٨٩).

فذكر أنه طاف بلاد الأندلس ومصر وتونس والجزيرة العربية وبلاد السودان.

قال الداودي ^(□): "سمع الحديث بالأندلس، وإفريقية، ومصر، والجaz من نحو أربعمئة وخمسين شيخا ...، وأجاز له خلق من المغرب والشرق .." ^(□)

وبعد هذه الرحلة الطويلة استقر في القاهرة سنة ٦٨٠ هـ.



(١) والداودي هو: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين، العلامة الحافظ المفسر، شيخ أهل الحديث في عصره توفي سنة ٩٤٥ هـ. شذرات الذهب (٨/٢٦٤)، والأعلام (٧/١٨٤)، ومعجم المؤلفين (١٠/٣٠٣).

٢ - طبقات المفسرين (٢/٢٧٨).

المبحث الثاني

مكانته العلمية

أبو حيان نحو عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقريره ومؤرخه وأديبه^(□) ... إنسان يشار إليه بمثل هذه الألقاب العلمية عند استفتاح ترجمته فما عسانا أن نجد في ثنايا الحديث عنه في كتب تراجم الأعلام والرجال^(□) ... بل ما عسانا أن نجد في ذلك العصر في وسطه العلمي والاجتماعي عصر النهضة الفكرية والعلمية في بلاد الإسلام!!

قال الصفدي : " لم أره قط إلا يسمع أو يشغل أو يكتب أو ينظر في كتاب ولم أره على غير ذلك وكان له إقبال على أذكياء الطلبة يعظهم وينوه بقدرهم ، وكان كثير النظم من الأشعار والموشحات ، وكان ثبتاً فيما ينقله عارفاً باللغة وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا يذكر أحد في أقطار الأرض فيهما غيره، وله اليد الطولى في التفسير والحديث وترجمة الناس ومعرفة طبقاتهم وخصوصاً المغاربة وله التصانيف التي سارت في آفاق الأرض واشتهرت في حياته وأقرأ الناس قدیماً وحديثاً حتى الحق الصغار بالكتاب وصارت تلامذته أئمة وأشیاخاً وهو الذي جسر الناس على قراءة كتب ابن مالك ورغبهم فيها وشرح لهم غامضها ، وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب^(□) : هذه نحو الفقهاء . والتزم أن لا يقرئ أحداً إلا في كتاب سيبويه^(□) أو في التسهيل لابن مالك^(□) أو في

١- شدرات الذهب (٦/٤٥).

٢- عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الدُّوَيْيِيُّ الأَصْلُ، المَالِكِيُّ، الإِمَامُ الْعَلَامُ الْمَقْرِيُّ الأَصْوَلِيُّ، الْفَقِيْهُ النَّحْوِيُّ ، كان رأساً في العربية، وسارت مصنفاته الركبان، توفي سنة ٦٤٧ هـ. سير أعلام النبلاء (٢٣/٢٦٤)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/٤٥٩)، شدرات الذهب (٥/٢١٨).

٣- عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، البصري، أبو بشر، إمام النحو، توفي سنة ١٨٠ هـ. سير أعلام

مصنفاته " □ ".

وقال ابن خلkan □ في ترجمته : " محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشيخ الإمام العالم العلامة الفريد الكامل حجة العرب مالك أزمة الأدب أثير الدين أبو حيان الأندلسي " □ .

وقال ابن الجزري □ : " الإمام الحافظ الأستاذ شيخ العربية والأدب والقراءات مع العدالة والثقة. " □

وقال الأسنوي : "إمام زمانه في علم النحو ، وصاحب التصانيف المشهورة فيه، وفي التفسير شرقاً وغرباً ، والتلاميذ المتشرة ، كان أيضاً إماماً في اللغة ، عارفاً بالقراءات السبع والحديث، شاعراً مجيداً ، وكان صادق اللهجة ، كثير الإتقان والتحري ملازماً على الاشتغال والأشغال إلى آخر الوقت ، كثير الاستحضار . " □

وقال الذهبي □ : "أبو حيان ذو فنون ، حجة العرب ، وعالم الديار المصرية

النبلاء (٣٥١/٨)، البداية والنهاية (١٧٦/١)، شذرات الذهب (٢٥٢/١).

١ - محمد بن جمال الدين محمد بن عبدالله بن عبد الله بن مالك الطائي الدمشقي، بدر الدين النحوي المالكي، توفي سنة ٦٧٢ هـ . هدية العارفين (٦/١٣٥)، الأعلام (٦/٢٣٣).

٢ - نكت الهميان ص ٢٨٠، والدرر الكامنة . وترجمة الصفدي ستاتي في تلاميذ أبي حيان .

٣ - أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكي الإربلي، أبو العباس : المؤرخ الحجة، الأديبين توفي سنة ٦٨١ هـ. النجوم الزاهرة (٧/٣٥٣)، الأعلام (١/٢٢٠).

٤ - الأعيان ، حرف الميم .

٥ - محمد بن محمد العمري الدمشقي الشيرازي الشافعى، شمس الدين، أبو الحير، له مؤلفات في القراءات، توفي سنة ٨٣٣ هـ. غاية النهاية (٢/٢٤٧)، طبقات الحفاظ للسيوطى (٥٧٥).

٦ - غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٢٨٥) .

٧ - طبقات الشافعية (١/٢١٨). وستاتي ترجمة الأسنوي في تلاميذ أبي حيان .

٨ - الذهبي هو: محمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين ، أبو عبد الله ، حافظ مؤرخ ، عالمة حقق . انظر : ذيل تذكرة الحفاظ (٥/٢٢)، البداية والنهاية (٤/٦٤٩)، شذرات الذهب (٨/٢٦٤).

..... وهو مفخر أهل مصر في وقتنا في العلم، تخرج به عدة أئمة .^(□)

وقال أيضاً: "ويمكن أن نذكر في كل طبقة بعد ذلك أئمة على هذا النمط ...

ورأس العربية أبو حيان الأندلسي، ... ففي الناس بقايا خير والله الحمد .^(□)

وقال ابن العماد الحنفي^(□): "وكان ثبتا صدوقاً حجة سالم العقيدة من

البدع الفلسفية والاعتزال ومال إلى مذهب أهل الظاهر ... كثير الخشوع

والبكاء عند قراءة القرآن ..^(□)

وما تقدم سرده من شهادة أهل العلم بترجمات الرجال هو غيض من فيض

في حق كوكبة أضاءت للسائلين طريقهم ونورت للسائلين دربهم ... وهذا

حق لمن أفنى عمره وثنى ركبته في مجالس العلم وسهر الليالي في مذاكرته

وأقام الحلقات في تدریسه وتعليمه وأبو حيان له من اسمه نصيب ...

وكتبه وعلمه خير شاهد ودليل ... وماقيل عنه قليل من كثير فرحمة الله

عليه وعلى معلمي الناس الخير إلى يوم الدين.

١ - معرفة القراء الكبار ص ٣٨٧.

٢ - سير أعلام النبلاء (٢٥٠/٧).

٣ - عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنفي، أبو الفلاح، مؤرخ، فقيه، توفي سنة ١٠٨٩ هـ. الأعلام (٣/٢٩٠).

٤ - شذرات الذهب (٦/١٤٦).

المبحث الثالث

شيوخه وتلاميذه

أولاً: شيوخه :

تقدم ذكر عدد الشيوخ الذين سمع أبو حيان فكانوا أربعين وخمسين ، ومن الصعب في هذه العجلة أن نحيط بهم علمًا أو سرداً ، وإنما اقتصرت على ما يفي بالغرض ويقوم به الواجب لهذه الشموس الساطعة في التراث الإسلامي ؛ ترجمة موجزة بين الإسهاب والتقصير ، وهم كما يلي :

١ - أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي الجياني الغرناطي ، أبو جعفر ، كان عالماً مشهوراً في عدة علوم إلا أنه برع بال نحو وبه اشتهر ؛ قال عنه تلميذه أبو حيان : "كان محدثاً وناقداً ونحوياً وأصولياً وأديباً مفوهاً ومقرئاً ومؤرخاً ... وكان كثير الإنصاف ناصحاً في الإقراء". وله مؤلفات عددة . توفي سنة ٧٠٨ هـ .^(□)

٢ - أحمد بن علي بن محمد ، أبو جعفر ، المعروف بابن الطبّاع الرّعياني الغرناطي ، كان إماماً حاذقاً مشهوراً ثبتاً ، بُرِزَ بين أقرانه منذ الصغر ، وقال عنه تلميذه أبو حيان : "وقد قرأت القرآن بقراءة السبعة ... على الخطيب أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد الرّعياني ، عرف بابن الطبّاع بغرناطة ". توفي سنة ٦٨٠ هـ .^(□)

٣ - أحمد بن عبد النور بن أحمد ، أبو جعفر المالقي النحوي ، اشتهر بمعونة علوم اللغة العربية ، مع معرفة علوم أخرى ، قال عنه تلميذه أبو

١ - انظر غایة النهاية (٢٣١/١)، بغية الوعاة (٢٩١/١) وفيه قول أبو حيان عنه، شذرات الذهب (١٤٦/٦).

٢ - انظر البحر المحيط لأبي حيان (١٠٩/١) فيه قوله ، الوافي بالوفيات (٢٤٠/٧)، غایة النهاية (٨٧/١).

حيان : "كان عالما في النحو".

قال ابن الخطيب : "كان قيماً على العربية ؛ إذ كانت جل بضاعته ، يشارك مع ذلك في المنطق على رأي الأقدمين ، وعرض الشعر ، وفرايض العبادات من فقهه ... توفي سنة ٧٠٢ هـ". (□)

٤ - إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي ، أبو طاهر ، من كبار الشيوخ الذين تتلمذ عليهم أبو حيان في القراءات ، قال عنه تلميذه أبو حيان : " وقرأت القرآن بالقراءات السبع بمصر .. على الشيخ المسند العدل فخر الدين أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي ". (□) توفي سنة ٦٨١ هـ.

٥ - حازم بن محمد بن حسن الأنباري ، أبو الحسن القرطاجني ، أديب كبير اشتهر بالبلاغة والأدب ، كان من أشهر شيوخ أبي حيان ، قال عنه تلميذه : " كان أوحد زمانه في النظم ، والنشر ، والنحو ، واللغة ، والعرض [] وعلم البيان ، روى عن جماعة يقربون ألفاً .. توفي سنة ٦٨٤ هـ ". (□)

٦ - الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص ، أبو علي القرشي الفهري ، الأستاذ المجود المعروف بابن الناظر ؛ من فقهاء المحدثين ، ومن القراء والنحاة والأدباء ، قال تلميذه أبو حيان : " رحلت إليه قصداً من غير ناطة ؛ لأجل الإتقان والتجويد ". توفي سنة

١- انظر الإحاطة (١٩٦/١)، غاية النهاية (٧٧/١)، بغية الوعاة (٣٣١/١).

٢- انظر البحر المحيط (١٠٩/١) فيه قول أبي حيان ، الوفي بالوفيات (٢٣٥/٩)، معرفة القراء الكبار ص ٣٥٧ ، النجوم الزاهرة (٣٥٦/٧).

٣- انظر البحر المحيط (١٠٧/١)، الوفي بالوفيات (٢٧٩/٥)، درة الحجال (٢٥٤/١)، بغية الوعاة (٤٩١/١).

(□) ٦٨٠ هـ.

٧ - عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنباري ، أبو محمد الغرناطي

، كان خطيب جامع مُطحّشَارش بغرناطة ، وشيخ القراءات السبع فيها
، من كبار شيوخ أبي حيان ؛ قال عنه : "قرأت عليه السبع في نحو من
عشرين ختمة إفراداً وجمعًا ، وعليه تعلمت الهجاء ، ولا زمته نحواً من
سبعة أعوام ، وذلك في مدة آخرها سنة ٦٦٩ هـ". (□)

٨ - عبد الكريم بن علي ، علم الدين المعروف بابن بنت العراقي ،
مفسر فقيه ، كثير التلاميذ ، ذكره أبو حيان في البحر المحيط ، توفي سنة
٧٠٤ هـ. (□)

٩ - عبد النصير بن علي بن يحيى المريوطى ، أبو محمد الهمданى ، قال
تلميذه أبو حيان : "قرأت القرآن بالقراءات الثمان بشعر الإسكندرية على
الشيخ الصالح رشيد الدين أبي جعفر عبد النصير بن علي بن يحيى
الهمدانى ". وقال الذهبي : "وقرأ عليه بالتجريد وتلخيص العبارات أبو
حيان . توفي سنة ٦٨٠ هـ.

١٠ - عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد الأموي ، أبو محمد المالكي ،
يعرف بالبائع .

قال ابن الخطيب : "كان إماماً في القراءات ، ماهراً في صناعة النحو ،
فقيهاً أصولياً ، مقسم الأزمنة على العلم وأهله . قال تلميذه أبو حيان : "
صاحبنا الأستاذ المقرئ التحوي . توفي سنة ٧٠٥ هـ". (□)

١ - انظر الإحاطة (٤٦٣/١)، غاية النهاية (٢٤٢/١)، بغية الوعاة (٥٣٥/١).

٢ - انظر البحر المحيط (١٠٩/١)، غاية النهاية (٢٤٢/١)، بغية الوعاة (٥٣٥/١).

٣ - انظر لبحر المحيط (١٠٨/١ و ١٨٤)، نكت الهميان ص ١٩٥ ، الدرر الكامنة (٢٤٢/٢).

٤ - انظر الديجاج المذهب ص ٢٧٨ ، غاية النهاية (٤٧٧/١)، بغية الوعاة (١٢١/٢).

١١ - محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر ، أبو عبد الله بهاء الدين النحاس الشافعي ، شيخ العربية والأدب بالديار المصرية ، قرأ عليه أبو حيان كتاب سيبويه فقال ابن النحاس عند ختمه : "لم يقرأه أحد على غيره "سنة ٦٩٨ هـ .^(□)

١٢ - محمد بن سليمان بن الحسن البلاخي المقدسي ، أبو عبد الله المعروف بابن النقيب ، مفسر فقيه ، له كتاب (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير) في خمسين مجلداً . قال عنه تلميذه أبو حيان : "واعتمدت في أكثر نقول كتابي هذا - أي البحر المحيط - على كتاب (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير)^(□) من جمع شيخنا الصالح القدوة الأديب جمال الدين أبي عبد الله محمد ابن سليمان بن حسن المقدسي ، عرف بابن النقيب رحمه الله تعالى ، إذ هو أكبر كتاب رأينا صنف في علم التفسير ، يبلغ في العدد مائة سفر ، أو يكاد ، إلا أنه كثير التكرير ، قليل التحرير ، مفرط الإسهاب ..." توفي سنة ٦٩٨ هـ .^(□)

١ - انظر الوافي بالوفيات (٢/١٠)، فوات الوفيات (٣/٢٩٤)، بغية الوعاة (١/١٣).

٢ - وقد طبعت مقدمة تفسير ابن النقيب باسم آخر وهو : (الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن) منسوب خطأ إلى ابن القيم ونبه على ذلك أحمد شاكر رحمه الله في مجلة المنار عام ١٣٣٤ هـ ، فقال : "يظهر أن مؤلفه من الكتاب المنشئين لا العلماء المحقّقين أمثال إمامنا ابن القيم".

٣ - انظر البحر المحيط (١/١١٤)، فوات الوفيات (٢/٣٨٢)، الجواهر المضيئة (٢/٤١٠)، شذرات الذهب (٥/٤٤٢).

ثانياً

تلاميذه

عرف أبو حيان بكثرة الشيوخ فهل التلاميذ كذلك، لنستعرض ما سطره المترجمون له في سيرته ، قالوا :

"اشتهر اسمه وطار صيته وأخذ عنه أكابر عصره وتقديموا في حياته".^(□)

"وأقرأ الناس قدیماً وحدیثاً وألحق الصغار بالكبار وصار ت تلاميذه أئمة وشیوخاً في حياته".^(□)

"الترم أن لا يقرئ أحد إلا في كتاب سيبويه أو مصنفاته".^(□)

"كان له إقبال على الطلبة الأذكياء وعنه تعظيم لهم".^(□)

"هو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض لهم في لججها".^(□)

"تقلی تدريس التفسير بالمنصورية والإقراء بجامع الأقمر".^(□)

"كان الشيخ أبو حيان متتفعاً به، اتفق أهل العصر على تقديره وإمامته ، ونشأت أولادهم على حفظ مختصراته ، وآباءهم على النظر في م بسوطاته ، وضررت الأمثال باسمه".^(□)

ما سبق إيراده من الأقوال يدل دلالة واضحة على كثرة تلاميذ أبي حيان مما لا يطاق معه حصرهم ولا يستطيع جمعهم وعدهم في هذا الموضع ف أكتفي

١ - انظر طبقات المفسرين (٢٨٧/٢).

٢ - انظر الدرر الكامنة (٤/١٨٥).

٣ - انظر الوافي بالوفيات (٥/٢٧٧).

٤ - انظر نكت الهميان ص ٢٨٠.

٥ - انظر نفح الطيب (٢/٥٣٥).

٦ - انظر طبقات الشافعية للسبكي (٩/٢٧٦).

٧ - انظر شذرات الذهب (٦/١٤٥).

بعض من اشتهر منهم :

- ١ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي المالكي ، أبو إسحاق السفاقسي النحوي ،ألف كتاب في إعراب القرآن الكريم ، جرده من البحر المحيط ،ويعد كتابه من أجل كتب الأعaries وأكثرها فائدة ،توفي سنة ٧٤٩ هـ. □
- ٢ - أحمد بن عبد القادر بن مكتوم الحنفي النحوي ،لازم شيخه أبي حيان ،ألف كتاب (الدر اللقيط من البحر المحيط) مطبوع بهامش البحر المحيط ،تقدم في علم النحو واللغة، توفي سنة ٨٤٩ هـ. □
- ٣ - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي النحوي المعروف بالسمين ،لازم أبي حيان ،وفاق الأقران ،برع في النحو القراءات ،مع إمامه بالفقه والأصول . توفي سنة ٧٥٦ هـ.
- ٤ - الحسن بن القاسم بن عبدالله المرادي ،الشهير بابن أم قاسم،أخذ النحو عن جماعة آخرهم أبو حيان . صنف وتفنن ،توفي سنة ٧٤٩ هـ. □
- ٥ - خليل بن أبيك بن عبدالله ،صلاح الدين الصفدي أبو الصفاء ،نسبة إلى صفد بفلسطين وفيها ولد ،أديب ومؤرخ ،أخذ النحو عن أبي حيان ،وحصل منه على إجازة ببروياته وشيوخه وتصانيفه ،صنف أكثر من ستمائة مجلد ،توفي سنة ٧٦٤ هـ. □

١- انظر : الديجاج المذهب ص ١٥٠ ، الدرر الكامنة (٣٨/١) ، بغية الوعاة (٤٢٥/١).

٢- انظر :الوافي بالوفيات (٤٤/٦)، الدرر الكامنة (١٠٤/١)، بغية الوعاة (٣٢٦/١).

٣- انظر : الدرر الكامنة (١٩٨/١)، بغية الوعاة (٤٠٢/١)، شذرات الذهب (١٧٩/٦).

٤- انظر : غاية النهاية (٢٢٧/١)، بغية الوعاة (٥١٧/١)، شذرات الذهب (١٦٠/٦).

٥- انظر :طبقات الشافعية الكبرى (١٠/٥)، الدرر الكامنة (٤٩/٢)، التجموم الزاهر (١٩/١١).

- ٦ - عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن الجمال ،أبو محمد الأسنوي ،الفقيه الشافعي الأصولي النحوي، قال أبو حيان له "لم أشيخ أحداً في سنك". انتهت إليه رئاسة الشافعية .توفي سنة ٧٧٢ هـ. □
- ٧ - عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعي ،قاضي القضاة ،نحوي الديار المصرية ،برع في علوم كثيرة و خاصة العربية ، من أجل تلاميذ أبي حيان لطول ملازمته له، قال شيخه أبو حيان عنه : "ما تحت أديم السماء أخى من ابن عقيل ". توفي سنة ٧٦٩ هـ. □
- ٨ - عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ، النحوي المشهور ، كان كثير المخالفة لأبي حيان ،تخرج به جماعة من أهل مصر ، توفي سنة ٧٦١ هـ. □
- ٩ - عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، تاج الدين أبو نصر السبكي ، حصل فنونا من الفقه ، والأصول ، والحديث ، والأدب ، مع براعة في العربية . قرأ على أبي حيان وقال في ذلك : "ولما توجهنا من دمشق إلى مصر في سنة ٧٤٢ هـ، ثم أمرنا السلطان بالعودة على الشام ، لانقضاء ما كنا توجهنا لأجله ، اس تمهله الولد لأجلني ، فمكث حتى أكملت على أبي حيان ما كنت أقرؤه عليه ، وقال لي : يابني هو غنية ، ولعلك لا تجده في سفرة أخرى ، وكان كذلك ". توفي سنة ٧٧١ هـ. □
- ١٠ - محمد بن أحمد بن هادي المقدسي الحنبلي ، أحد الأذكياء ، مهر في

١- انظر : النجوم الزاهرة (١١٤/١١)، طبقات الشفعة للأسنوي (٢١٩/١)، بغية الوعاة (٩٢/٢).

٢- انظر : الدرر الكامنة (١٦٢/٢)، غاية النهاية (٤٢٨/١)، النجوم الزاهرة (١١٤/١١)

٣- انظر : النجوم الزاهرة (٣٣٦/١٠)، بغية الوعاة (٦٨/٢)، البدر الطالع ص ٤٠٦.

٤- انظر: الدرر الكامنة (٢٥٨/٢)، النجوم الزاهرة (١٠٨/١١)، البدر الطالع ص ٤١٥.

الحادي والأخطل ، وأخذ العربية على أبي حيان ، توفي سنة ٤٧٤ هـ.^(١)



١ - انظر : الوافي بالوفيات (٢/٦٦)، الدرر الكامنة (٣/٢٠١)، شذرات الذهب (٦/١٤١).

المبحث الرابع

مؤلفات أبي حيان ووفاته

أولاً : مؤلفاته:

تميز أبو حيان بالمهارة في العلوم وكثرة الشيوخ والتلاميذ مع كثرة المصنفات والمؤلفات في مختلف العلوم حتى بلغ عددها على ما يزيد على خمسين كتاباً^(□) ، متفاوتة في الحجم .

قال تلميذه الصفدي : "وله التصانيف التي سارت وطارت ، وانتشرت وما انتشرت ، وقرئت ودريت ، ونسخت وما فسحت ، وأحملت كتب الأقدمين^(□) وألهـت المقيمين بمصر والقائمين ".^(□)

وسأذكر في هذه العجالة ما هو مطبوع ومحظوظ من كتبه دون ما هو

مفقود :

أولاً : المؤلفات في البحار:

١. تفسير البحر الحيط^(□).
٢. النهر الماد من البحر^(□).

١ - انظر الوافي بالوفيات (٥٢٨٠/٥)، نفح الطيب (٢/٥٥٢)، وقد ذكر أبو حيان معظم مؤلفاته في إجازته لتلميذه الصفدي .

٢ - نكت الهميان ص ٢٨٠، نفح الطيب (٢/٥١٤).

٣ - مطبوع بطبعـة السعادة سنة ١٣٢٨هـ، ثم صور عدة مرات . آخرها طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق جملة من المحققـين، ط ١٤١٣هـ.

٤ - مطبوع بحاشية البحر الحيط، ثم طبع في مجلدين كبيرـين بعنـاهـ بـوران الضـناوي، وهـديـان =

ثانياً : في القراءات:

٣. عقد اللالي في القراءات السبع العوالى (□).

ثالثاً : في اللغة:

٤. إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب (□).

٥. الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء (□).

٦. الإدراك للسان الأتراك (□).

٧. ديوان أبي حيان (□).

٨. معاني الحروف (□).

الضناوي ،دار الجنان ، بيروت ،ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط١٤٠٧، هـ ..

١ - مخطوط نسخة بالهند وأخرى في القاهرة ، انظر تقريب المقرب بتحقيق : محمد جاسم الدليمي ص٦٩، وأبو حيان النحوي .

٢ - مطلوب ، وخدیجۃ الحدیثی بطبعۃ العانی ببغداد سنة ١٩٧٧ھ، وثالثة بتحقيق : سمير طه مجذوب ، الناشر المكتب الإسلامي ،سنة ١٤٠٨ھ . وانظر كتاب أبو حيان وكتابه البحر المحيط ص٥٦.

٣ - وهو كتاب في اللغة ،مطبوع بطبعۃ المعا رف ببغداد سنة ١٩٦١م بعنایة : محمد بن حسن آل ياسین ، وهو تلخيص لرسالة ابن مالك (الاعتراض في الفرق بين الظاء والضاد)، انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص٥٦.

٤ - وهو كتاب في اللغة ،مطبوع باسطنبول سنة ١٣٠٩ھ، بتصحیح : جعفر أوغلي احمد، ومنه نسخة نادرة في المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض ، قسم الكتب النادرة . انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص٥٦.

٥ - مطبوع بتحقيق : د.أحمد مطلوب ، ود. خديجۃ الحدیثی ، مطبعۃ العانی ، بغداد سنة ١٣٨٨ھ ..

٦ - وهو كتاب في اللغة مخطوط : له نسخة في مكتبة بايزيد عمومي في تركيا . انظر تقريب المقرب بتحقيق الدليمي ص٧١، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص٥٩.

رابعاً: في النحو والصرف والبلاغة:

٩. ارتشاف الضرب من لسان العرب ^(□).

١٠. إعراب القرآن ^(□).

١١. التدريب في شرح التقريب ^(□).

١٢. التذكرة في العربية ^(□).

١٣. التذليل والتكميل في شرح التسهيل ^(□).

٤١. تقريب المقرب ^(□).

١٥. تلویح التوضیح في النحو ^(□).

١٦. قصيدة في النحو ^(□).

١ - وهو كتاب في النحو والبلاغة ، مطبوع بتحقيق د . مصطفى أحمد النماض ، مطبعة المدنى ، ط ١٤٠٨هـ .. انظر أبو حيان وتفسیره البحر الحبیط ص ٥٦.

٢ - وهو كتاب في النحو والبلاغة ، مخطوط : يقع في ثمانية أجزاء ، انظر مقدمة النكت الحسان ص ٨، ومقدمة تقریب المقرب ص ٦٩، الأعلام (١٥٢/٧).

٣ - وهو كتاب في النحو والبلاغة ، مخطوط ، انظر أبو حيان النحوي ص ١٠٦ ، ومقدمة تقریب المقرب للدلیلی ص ٧٠، ومقدمة تذكرة النحة ص ٢٠.

٤ - وهو كتاب في النحو والبلاغة طبع منه جزء بتحقيق د . عفیف عبد الرحمن ، ١ الناشر مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ ..

٥ - وهو كتاب في النحو والبلاغة ، طبع منه قطعة صغيرة سنة ١٣٢٨هـ ، بمطبعة السعادة بمصر ، وقدم تحقیقه لنیل درجة الدكتوراه من ثمانية في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٧٥م.

٦ - وهو كتاب في النحو والبلاغة ، مطبوع بتحقيق د . عفیف عبد الرحمن ، وطبعه سنة ١٤٠٢هـ ، بدار السیرة ، وحققه : محمد جاسم الدلیلی لنیل درجة الماجستير ١٩٨٣م ، وطبعه سنة ١٤٠٧هـ ، مؤسسة دار الندوة الجديدة ، بيروت . المقرب كتاب ابن عصفوره .

٧ - مخطوط . انظر الذیل لبروکلمان (١٣٦/٢)، ومقدمة تقریب المقرب ص ٧٠.

١٧. اللّمحة البدريّة في علم العربية ، مختصر في النحو ^(□) .

١٨. المبدع الملخص من الممتع ^(□) .

١٩. منهاج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك ^(□) .

٢٠. المؤفور من شرح ابن عصفور ^(□) .

٢١. النكت الحسان شرح غاية الإحسان ^(□) .

٢٢. الهدایة في النحو ^(□) .

ثانياً : وفاته :

ومرت الأيام والليالي مابين دروس وحلقات العلم في تلقي العلم
وتعليمه وتدوين المصنفات والمؤلفات ، حياة حافلة في البذل والعطاء

١ - مخطوط ، انظر الذيل لبروكلمان (١٣٦/٢)، ومقدمة تقريب المقرب ص ٧٢ .

٢ - مطبوع مع شرحه لابن هشام بتحقيق د.هادي نهر سنة ١٩٧٤ م ، انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص ٥٨ .

٣ - وهو كتاب في النحو والبلاغة ، مطبوع بتحقيق د.عبد الحميد السيد طلب ، عام ١٩٨٢ م .

٤ - مطبوع ، نشر بتحقيق : سدنی جلizer ، بالولايات المتحدة الأمريكية . انظر :أبو حيان التحوي ص ١٢٣ ، ومقدمة تقريب المقرب ص ٦٨ .

٥ - وهو كتاب في النحو والبلاغة ، مخطوط انظر :أبو حيان التحوي ص ١٠٩ ، ومقدمة تذكرة النحاة ص ٢٠ ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص ٥٩، وهو اختصار لكتاب ابن عصفور شرح الجمل .

وابن عصفور هو أبو الحسن : علي بن المؤمن بن محمد بن علي التحوي الحضرمي الإشبيلي ، وحامل لواء العربية في زمانه في الأندلس ، وصاحب الممتع في التصريف ، توفي سنة ٦٦٩ هـ . إشارة التعين ص ٢٣٦ ، بغية الوعاة (٢١٠/٢) ، روضات الجنات ص ٤٩٣ .

٦ - وهو كتاب في النحو ، مطبوع بتحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ط ١، سنة ١٤٠٥ هـ .
انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص ٥٧ .

٧ - وهو كتاب في النحو ، مخطوط . انظر مقدمة تقريب المقرب تحقيق الدليمي ص ٧١ ، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط ص ٥٩ .

والكفاح .

وبعد كل هذه الجهود، تبقى سنة الله الكونية في الفناء قال تعالى :

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾٢٦﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾٢٧﴾ [الرحمن : ٢٦ - ٢٧].

توفي أبو حيان رحمه الله تعالى يوم السبت الثامن والعشرين من شهر صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة من الهجرة ، في القاهرة ، وكان قد ناهز الحادية والتسعين من عمره .

وقد تأثر بهم الناس وحق لهم . فقد كان نجماً يشع نوراً وبريقاً .
وخرجت جنازته مهيبة، شيعته الجموع بعد موته التي طالما كانت تشيعه في حلقات العلم وفي حله وترحاله، وأنثوا عليها أيمانا ثناء، أليسوا هم شهداء الله في أرضه وكيف لا يشهدون لمن كان نبراً للعلم والعلماء،
وما قيل فيه على لسان تلميذه الصفدي (□) :

مات أثير الدين شيخ الورى	:	فاستعر البارق واستعبر
ورق من حزن نسيم الصبا	:	واعتل في الأسحار لما سرى
...	:	
يا عين جودي بالدموع التي	:	يروى بها ما ضمه من ثرى
...	:	
مات إمام كان في علمه	:	يُرى إماماً والورى من ورا
...	:	
وعرف العلم به برهة		والآن لما أن مضى نكرا
...		

١ - انظر : نكت الهميان ص ٢٨٤ ، نفح الطيب (٥٣٩/٢)، وبغية الوعاة (٢٨٣/١). وقد انتقت الأبيات من القصيدة.

يحيى به من قبل أن يقبرا

إن مات فالذكر له خالدا

...

تتوردہ فی حشرہ الکوثر

وخصه من ربہ رحمة

رحمة الله تعالى عليه وعلى العلماء والصالحين و أمة محمد ﷺ أجمعين.

الفصل الأول

منهج أبي حيان في تفسيره

أولاً: تمهيد

ثانياً: منهجه في التفسير بالتأثر
وفيه ستة مباحث.

ثالثاً: منهجه في التفسير بالرأي
وفيه خمسة مباحث.

أولاً

تمهيد

ذكر أبو حيان رحمه الله تعالى في تفسيره مقدمة وافية كافية ، بعد الحمد والثناء على الله بما هو أهلها ؛ بين فيها ما يلي :

١. السبب الذي دعاه للتأليف في التفسير .
٢. منهجه الذي اتبعه في التفسير .
٣. العلوم التي يجب أن يلم بها المفسر .
٤. الشروط التي تلزم المفسر .
٥. موقفه من التفسير بالرأي .
٦. مصادره في التفسير .
٧. ذكر فضائل القرآن .
٨. الترغيب في تفسير القرآن .
٩. ذكر المفسرين من الصحابة .
١٠. ذكر المفسرين من التابعين .
١١. منهج التفسير في العصور المتقدمة له والمتاخرة.
١٢. تعريف التفسير لغة واصطلاحاً .

وقد حوت مقدمة تفسيره على فوائد فرائد وأصول ثوابت وقواعد وركائز تفيد كل مشتغل بهذا العلم الجليل نذكر منها ما يلي :

- التدريج في فهم النص القرآني وذلك: بالابداء بالمفردات قبل التركيب وذكر المعاني المتعلقة بها، وإيراد الجزئيات التي تعين على معرفة ما يتعلق بهذا النص من بيان سبب النزول والناسخ والمنسوح ، والمناسبات وارتباطها بما قبلها من الآيات ، وذكر

القراءات بأنواعها مع التوجيه ، ونقل أقوال السلف والخلف في فهمهم للمعنى ، مع التدقيق والتمحیص ، وإيراد الأوجه الإعرابية والبلاغية وحملها على أحسن المحامل التي تليق بكلام الرحمن ، ونقل أقوال الفقهاء فيما يتعلق بآيات الأحكام مع البيان والإيضاح والترجيح .

- التوفيق بين أقوال السلف في فهم الآيات إن كان اختلافهم اختلاف نوع لاتضاد (□) .
- أما في حال الاختلاف الذي يؤدي إلى التباين والتضاد وهو قليل ؛ فالتمحیص والتدقيق واجب ، والوقوف مع الدليل أوجب .
- البعد عن الأقوال التي لا تفي في فهم معنى الآية ؛ وتزنيه التفاسير عنها . وقال في ذلك : "وكثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم من ذلك الإعراب ، بعلل النحو ، ودلا ئل أصول الفقه ، ودلائل أصول الدين ، وكل هذا مقرر في تأليف هذه العلوم ، وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم التفسير دون استدلال عليه ، وكذلك أيضا ذكروا ما لا يصح من أسباب نزول ، وأحاديث في الفضائل ، وحكايات لا تناسب ، وتاريخ إسرائيلية ، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير ، ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب ، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة ، وارتقي إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه ، فلن يحتاج في فهم ما ترکب من تلك الألفاظ على مفهم ولا معلم ، وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه " ، فلذلك اختلفت أفهامهم ، وتبادرت أقوالهم .

١ - ولمزيد في هذه والتي تليها راجع مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير ص ٤٨ ، وفصل في أصول التفسير د. مساعد الطيار ص ٥٦ .

- إن من زعم أن كل آية نقل فيها التفسير خلف عن سلف بالسند إلى أن وصل ذلك إلى الصحابة ، فهو كلام ساقط لأن الصحابة سأّلوا النبي ﷺ عما أشكل عليهم ؛ ولكن كل ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير ومعانيه ودقائقه الخ لا يكون تفسيراً .
- قال أبو حيان : إن النظر في تفسير كتاب الله تعالى يكون من وجوه :
- الوجه الأول : علم اللغة اسمًا وفعلاً وحرفاً ... - وذكر كتب ومصادر هذا العلم - .
- الوجه الثاني : معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها ويؤخذ ذلك من علم النحو ... - وذكر كتب ومصادر هذا العلم - .
- الوجه الثالث : كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفضل ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع ... - وذكر كتب ومصادر هذا العلم - .
- الوجه الرابع : تعين مبهم ، وتبين محمل ، وسبب نزول ونسخ ، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ وذلك من علم الحديث ... - وذكر كتب ومصادر هذا العلم - .
- الوجه الخامس : معرفة الإجمال ، والتبيين ، والعموم ، والخصوص ، والإطلاق ، والتقييد ، ودلالة الأمر والنهي وما أشبه هذا ، وينتّص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن ، ويؤخذ هنا من أصول الفقه ، ومعظمها هو في الحقيقة راجع لعلم اللغة - وذكر كتب ومصادر هذا العلم .
- الوجه السادس : الكلام فيما يجوز على الله تعالى وما يجب له وما يستحيل عليه ، والنظر في النبوة وينتّص هذا بالآيات ا لتي تضمنت النظر في الباري تعالى ، وفي الأنبياء ، وإعجاز القرآن ، ويؤخذ هذا من علم الكلام ، وقد صنف

علماء الإسلام من سائر الطوائف في هذا كتباً كثيرة، وهو علم صعب إذ المزلة فيه والعياذ بالله مفض إلى الخسران في الدنيا والآخرة.

الوجه السابع : اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص ، أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ ، وذلك بتواتر وآحاد ، ويؤخذ هذا الوجه من علم القرآن ، وقد صنف علماؤنا في ذلك كتاباً لا تحصى . . . - وذكر بعض كتب ومصادر هذا العلم - .

فهذه سبعة وجوه لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب الله إلا من أحاط بجملة غالبها من كل وجه منها " .

إن السبب في اختلاف الناس فيما به إعجاز القرآن هو تباهي أهل الإسلام في إدراك فصاحة الكلام ، وما به تكون الزجاجة في النظام .



ثانياً

منجده في التفسير بالتأثر

و فيه ستة مباحث:

المبحث الأول: **تفسيره القرآن بالقرآن** وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول: شرح الموجز بالمطنب.

المطلب الثاني: تفسير المجمل بالمبين.

المطلب الثالث: عنایته بالقراءات.

المطلب الرابع: تفسيره بحمل العام على الخاص.

المطلب الخامس: تفسيره بحمل المطلق على المقيد

المطلب السادس: تفسيره عن طريق الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض

المطلب السابع: تفسيره ببيان الناسخ والمنسوخ.

المبحث الثاني: **تفسيره القرآن بالسنة**

المبحث الثالث: **عنایته بأسباب النزول**

المبحث الرابع: **تفسيره القرآن بأقوال الصحابة**

المبحث الخامس: **تفسيره القرآن بأقوال التابعين**

المبحث السادس: **موقفه من الإسرائيليات**

المبحث الأول

تفسيره القرآن بالقرآن

و فيه سبعة مطالب :

المطلب الأول: شرح الموجز بالمطلب.

المطلب الثاني: تفسير المجمل بالمبين.

المطلب الثالث: عنايته بالقراءات.

المطلب الرابع: تفسيره بحمل العام على الخاص.

المطلب الخامس: تفسيره بحمل المطلق على المقيد

المطلب السادس: تفسيره عن طريق الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض

المطلب السابع: تفسيره ببيان الناسخ والمنسوخ

المبحث الأول

تفسیره القرآن بالقرآن

إن تفسير القرآن بالقرآن هو من أحسن الطرق وأصحها وأبلغها وأهمها وأولاها؛ فكل قائل أعلم بمراد قوله قال تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانُهُ﴾

١٩ [القيامة: ١٩]

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فلقد فسر قوله تعالى ﴿الَّذِينَ ءامَنُوا وَلَمْ يَلِسُوْا إِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] فسرها بعد سؤال الصحابة بقوله تعالى ﴿إِنَّ الْشَّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. □

وقد انتهج أبو حيان هذا الطريق كما وضح في مقدمته ويوضح ذلك من أول وهلة من قراءة تفسيره .

وي ينبغي التنبيه على أمر مهم في تفسير القرآن بالقرآن وهو : لا يلزم من ذلك أن كل من قال : إن هذه الآية تفسير لهذه الآية صحة ذلك وقوله ، لأن هذا تفسير مبني على اجتهاد المفسر ورأيه ، وقد لا يكون صحيحاً .
وهذه نماذج مما أوردها أبو حيان في تفسيره من هذا الطريق :

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ ۚ ﴾ ١ -
 فِيذَلِكَ فَلَيَقْرَهُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿ ٥٨ ﴾ [يونس: ٥٨]: ولا تنافي بين
 الأمر بالفرح هنا وبين النهي عنه في قوله : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

١- صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الأنعام ، باب قوله : ﴿الَّذِينَ ءامَنُوا وَلَمْ يَلِبِسُوا إِيمَانَهُمْ﴾
طَلِيلٌ حديث رقم (٤٦٢٩) .

^٢ - انظر فصول في أصول التفسير ص ٢٣ و ٥٢.

﴿الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] لا خلاف المتعلق. فالمأمور به هما الفرح

بفضل الله وبرحمته ، والمنهي هناك الفرح بجمع الأموال لرئاسة الدنيا

وإرادة العلو بها ، والفساد والأشر ، ولذلك جاء بعده : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا

ءَاتَنَاكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]

وبقائه : ﴿إِنَّ قَرْوَنَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦] ^(١).

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ - ٢

إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ [يونس: ٦٥]: وفي هذه الآية

تأمين للرسول صلى الله عليه وسلم من إضرار الكفار ، وأن الله تعالى

يديله عليهم وينصره ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوْيٌ عَزِيزٌ﴾ ^(٢)

﴿المجادلة: ٢١﴾ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

﴿الْأَشَهَدُ﴾ ^(٣) [غافر: ٥١].

والأمثلة في هذا كثيرة موجودة في ثانياً تفسيره .



١ - البحر المحيط (١٧٠/٥).

٢ - البحر المحيط (١٧٤/٥).

المطلب الأول: شرح الموجز^(١) بالمطنب^(٢)

قد ورد في القرآن نصوصاً موجزة في بعض المواقع، وترد تارة مطنبة في مواقع أخرى، كما ورد في قصص الأنبياء.

ومفسر يوجز أحياناً في تفسير بعض هذه الآيات، ويطنب أحياناً أخرى، حسب ما يقتضيه المقام، وما تدعوا الحاجة إليه.

وأحياناً يجمع أجزاء الموضوع الواحد من كل مكان ليكتمل الموضوع كله أمامه، ثم يشرع في تفسيره في ضوء هذه الأجزاء. ليتضح ما كان موجزاً، ولا يلتبس عليه شيء من جزئيات الموضوع.^(٣)

وأبو حيان شأنه في ذلك شأن كثير من المفسرين في اتباع هذه الطريقة.

ومن أمثلة ما أورده في تفسيره ما يلي:

عند قصة موسى عليه السلام في سورة يونس عند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ
بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُّوسَىٰ وَهَرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلِإِيهِ بِغَايَتِنَا فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٤-٧٧] : لأن شرط هذا أن يكون المعرف بالألف
واللام هو النكرة المتقدم، ولا يكون غيره كما قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ ١٥ فَعَصَى فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخْذَنَاهُ أَخْذًا وَيَلَا ١٦ ﴾ [المزمول: ١٥ -
١٦] وتقول: زارني رجل فأكرمت الرجل، ولما كان إيه جاز أن يأتي
بالضمير بدله فتقول: فأكرمنته. والسحر هنا ليس هو السحر الذي هو
في قوله: ﴿ إِنَّ هَذَا لِسْحَرٍ ﴾ لأن الذي أخبروا عنه بأنه سحر هو ما ظهر
على يدي موسى عليه السلام من معجزة العصا، والسحر الذي في

(١) الإيجاز : أداء المقصور بأقل من العبارة المتعارفة ، التعريفات ص ٤١ .

(٢) الإطناب : أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة ، التعريفات ص ٢٩ .

٣ - انظر التفسير بالتأثر ص ٢٩ . للدكتور جمال مصطفى عبد الحميد النجار.

قول موسى إنما هو سحرهم الذي جاؤوا به، فقد اختلف المدلولان وقالوا : هم عن معجزة موسى وقال موسى عما جاؤوا به، ولذلك لا يجوز أن يأتي هنا بالضمير بدل السحر، فيكون عائداً على قوله السحر. والظاهر أن الجمل بعده من كلام موسى عليه السلام. وسيطّله يتحقق، بحيث يذهب أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة. وقيل: هذه الجمل من كلام الله تعالى. ومعنى بكلماته، بقضاياها السابقة في وعده. وقال ابن سلام: بكلماته بقوله: ﴿فُلَّا لَا تَخَفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعَلَى﴾ [٦٨] طه: [٦٨] وقيل : بكلماته بحججه وبراهينه وقريء بكلمته على التوحيد أي بأمره ومشيئته. وكذا في بقية آيات قصة موسى عليه السلام في سورة يومن الصيام.

وعند قصة نوح في سورة هود عليه السلام عند قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [٢٥] هود: [٢٥] قال : "هذه السورة في قصصها شبيهة بسورة الأعراف بدءاً فيها بنوح، ثم بهود، ثم بصالح، ثم بلوط، مقدماً عليه إبراهيم بسبب قوم لوط، ثم بشعيب، ثم بموسى وهارون، صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين. وذكروا وجوه حكم وفوائد لتكرار هذه القصص في القرآن." (□) والأمثلة متوافرة في تفسيره.

١ - البحر المحيط (١٨٠/٥).

٢ - البحر المحيط (٢١٤/٥).

المطلب الثاني: تفسير المجمل بالمبين

ومن تفسير القرآن بالقرآن : الاستعانة بالمبين على فهم المجمل.^(□)

فالمجمل هو: "اللفظ الصالح لأحد معนدين، الذي لا يتعين معناه لا بوضع اللغة، ولا بعرف الاستعمال، وينكشف ذلك بمسائل."^(□)

والمبين فهو : "ما كان الخطاب المبتدأ، المستغنى بنفسه عن البيان."^(□)

وطريقة المفسرين في ذلك حمل ما يراه مجملًا من الآيات في القرآن على ما جاء مبيناً له.

وأبو حيان سلك هذا المسلك في تفسيره ، والأمثلة في ذلك متوافرة في تفسيره منها:

• قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أُولَيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] :

﴿أُولَيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ يَتَوَلَّنُهُ بِالطَّاعَةِ وَيَتَوَلَّهُمْ بِالْكَرَامَةِ﴾ [يونس: ٦٣].

• يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة. وقد فسر ذلك في قوله: ﴿الَّذِينَ إِيمَانُهُمْ وَكَانُوا يَتَقَوَّنُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

• قال عند قوله تعالى ﴿وَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ شَمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنَعُكُمْ مَنْعَةً حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى﴾ [هود: ٣] :

والدرجات تتضاعل في الجنة بتضاعل الطاعات، وتقدم أمران بينهما تراخ، ورتب عليهما جوابان بينهما

تراخ، ترب على الاستغفار التمتع الحسن في الدنيا، كما قال:

﴿فَقُلْتُ أَسْتَغْفِرُ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ۝﴾ [١١]

١ - وانظر التفسير بالتأثر للدكتور جمال مصطفى النجار ص ٣٠.

٢ - المستصفي للغزالى (٣٤٥/١).

٣ - الإحکام للأمدي (١٧٨/٢).

٤ - البحر المحيط (١٧٢/٥).

[نوح: ١٠ - ١١] الآية وترتب على التوبة إيتاء الفضل في الآخرة، وناسب كل جواب لما وقع جاوباً له ، لأن الاستغفار من الذنب أول حال الراجع إلى الله ، فناسب أن يرتب عليه حال الدنيا ، والتوبة هي المنجية من النار ، والتي تدخل الجنة ، فناسب أن يرتب عليها حال الآخرة " . (□)



١ - البحر المحيط (٢٠٢/٥).

المطلب الثالث: معاييره بالقراءات

ومن أوجه تفسير القرآن بالقرآن، التفسير بالقراءات ، وقد اعنى أبو حيان بهذا الوجه اعتناء عظيمًا.

قال أبو حيان في مقدمة تفسيره البحر المحيط : " وترتبي في هذا الكتاب أني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة... ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب، ونسخها ، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشداً فيها القراءات شاذها ومستعملها، ذكرأ توجيه ذلك في علم العربية.....الخ " □

فمن منهجه ذكر أوجه القراءات القرآنية الواردة في الآية، مع توجيهه لتلك القراءات وفق مقتضيات اللغة العربية.

وبهذا المنهج الفريد غدا البحر المحيط من أهم المراجع في علم القراءات من حيث توثيقها وتوجيهها .

وما ورد في تفسيره من إيراده للقراءات ما يلي:

- قال أبو حيان : "... وقرأ عثمان بن عفان ، وأبيّ ، وأنس ، والحسن ، وأبو رجاء ، وابن هرمز ، وابن سيرين ، وأبو جعفر المدني ، والسلمي ، وقتادة ، والحدري ، وهلال بن يساف ، والأعمش ، وعمرو بن قائد ، والعباس بن الفضل الأنباري : فلتفرحوا بالباء على الخطاب ، ورويت عن النبي ﷺ . قال

١ - البحر المحيط(١٠٣/١).

صاحب اللوامح : وقال وقد جاء عن يعقوب كذلك ، انتهى .

وقال ابن عطية : وقرأ أبي وابن القعقاع ، وابن عامر ، والحسن

: على ما زعم هارون . ورويت عن النبي ﷺ فلتفرحوا وتجمعون

بالتاء فيهما على المخاطبة ، وهي قراءة جماعة من السلف كثيرة ،

وعن أكثرهم خلاف انتهى . والجمهور بالياء على أمر الغائب .

وما نقله ابن عطية أن ابن عامر قرأ فلتفرحوا بالتاء ليس هو

المشهور عنه ، إنما قراءته في مشهور السبعة بالياء أمراً للغائب ،

لكنه قرأ تجمعون بالتاء على الخطاب ، وبباقي السبعة بالتاء على

الخطاب . وفي مصحف أبي : في ذلك فافرحا ، وهذه هي اللغة

الكثيرة الشهيرة في أمر المخاطب . وأما فليفرحوا بالياء فهي لغة

قليلة . وفي الحديث: ((لتأخذوا مصافكم)) وقرأ أبو التياح

والحسن : فليفرحوا بكسر اللام ، ويدل على أن ذلك أشير به

إلى واحد عود الضمير عليه موحداً في قوله : هو خير مما يجمعون

، فالذى ينبغي أن قوله تعالى : (بفضل الله وبرحمته) ، على أنهما

شيء واحد عبر عنه باسمين على سبيل التأكيد....^(□)

● وقال: "... وقرأ الجمهور : ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بفتح

الراء فيهما ، ووجه على أنه عطف على ذرة أو على مثقال على

اللفظ . وقرأ حمزة وحده : برفع الراء فيهما ، ووجه على أنه

١ - البحر المحيط (١٧٠/٥) سورة يونس آية (٥٨).

عطف على موضع مثقال لأن من زائدة فهو مرفع بيعزب ، هكذا وجهه الحوفي وابن عطية وأبو البقاء . وقال الزمخشري تابعاً لاختيار الزجاج : والوجه النصب على نفي الجنس ، والرفع على الابتداء ، يكون كلاماً مبتدأ . وفي العطف على محل مثقال ذرة أو لفظه فتحاً في موضع الجر أشكال ، لأنّ قوله : لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل انتهى . وإنما أشكال عنده ، لأنّ التقدير يصير إلا في كتاب فيعزب ، وهذا كلام لا يصح . وخرجه أبو البقاء على أنه استثناء منقطع تقديره : لكن هو في كتاب مبين ، ويزول بهذا التقدير الإشكال .[□]

• **وقال:** "... وقرأ أبو حمزة : أنّ العزة بفتح الهمزة وليس عموماً لقولهم : لأن ذلك لا يحزن الرسول ﷺ، إذ هو قول حق . وخرجت هذه القراءة على التعليل أي : لا يقع منك حزن لما يقولون ، لأجل أنّ العزة لله جيئاً . ووجهت أيضاً على أن يكون إنّ العزة بدل من قولهم ولا يظهر هذا التوجيه .

قال الزمخشري : ومن جعله بدلاً من قولهم ثم أنكره ، فالمنكر هو تحریجه لا ما أنكره من القرآن . وقال القاضي : فتحها شاذ يقارب الكفر ، وإذا كسرت كان استئنافاً ، وهذا يدل على فضيلة علم الإعراب . وقال ابن قتيبة : لا يجوز فتح إن في هذا

١ - البحر المحيط (١٧٢/٥) سورة يونس آية (٦١).

الموضع وهو كفر وغلو ، وإنما قال القاضي وابن قتيبة بناءً منهما على أن معمولة لقولهم ، وقد ذكرنا توجيه ذلك على التعليل (□) وهو توجيه صحيح . والأمثلة في ذلك متوافرة في الكتاب .



١ - البحر المحيط (١٧٤/٥)، سورة يونس آية (٦٥).

المطلب الرابع: تفسيره بحمل العام على الخاص

ومن طرق التفسير حمل العام على الخاص. (□)

أما العام فهو: "اللفظ الواحد، الدال على مسميين فصاعداً، مطلقاً معاً." (□)

وله عدة صيغ منها: الألفاظ المؤكدة، مثل: كل وجميع.

الألفاظ الجموع المعرفة والمنكرة، مثل: المشركين ، ومشركين.

النكرة الموصوفة بوصف عام.

المفرد الذي دخل عليه(ال).

الأسماء الموصولة (الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي)

وأما الخاص فهو: "كل لفظ موضوع لمعنى معلوم على الانفراد، وكل اسم

لسمى معلوم." (□)

وقد وافق أبو حيان المفسرين في حمل العام على الخاص في التفسير فمن

أمثلة ذلك ما يلي:

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾ •

مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [يونس: ٥٧]

: قيل: نزلت في قريش الذين سألوا الرسول ﷺ أحق هو ؟

فالناس هم كفار قريش. وقال ابن عطية: هو خطاب لجميع

العالم. (□)

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَنْتَلُوْ مِنْهُ مِنْ

قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا

١ - وانظر التفسير بالتأثر للدكتور جمال مصطفى النجار ص ٤٥ .

٢ - الإحکام (٢/٥٤) .

٣ - أصول السرخسي (١/١٢٤) .

٤ - البحر المحيط (٥/١٦٨) .

يَعْزِّبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ [يونس: ٦١] : والخطاب في قوله تعالى: وما تكون في شأن، وما تتلو للرسول ﷺ وهو عام بجميع شؤونه عليه السلام. وما تتلو مندرج تحت عموم شأن، واندرج من حيث المعنى في الخطاب كل ذي شأن. وما في الجملتين نافية، والضمير في منه عائد على شأن، ومن قرآن تفسير للضمير، وخاص من العموم لأن القرآن هو أعظم شؤونه عليه السلام. □

وغير ذلك من الأمثلة الدالة على اهتمامه بهذا الطريق .



١ - البحر المحيط(١٧١/٥).

المطلب الخامس: تفسيره بحمل المطلق على المقيد

فالمطلق هو: "المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه".^(□)

وال المقيد يطلق باعتبارين:

الأول: ما كان من الألفاظ الدالة على مدلول معين، كزيد وعمرو، وهذا الرجل، ونحوه.

والثاني: ما كان من الألفاظ دالا على وصف مدلوله المطلق، بصفة زائدة عليه، كقولك دينار مصرى، ودرهم مكى.
وهذا النوع مطلق من وجهه، ومقيد من وجهه.^(□)

والفرق بين العام والمطلق أن المطلق يدل على فرد شائع، أو أفراد شائعة في جنسه لا على جميع الأفراد، بينما العام يدل على شمول اللفظ لجميع أفراده، من غير حصر.^(□)

وقد ورد هذا الطريق في تفسير أبي حيان .



١ - روضة الناظر مع شرحها (١٩١/٢).

٢ - انظر الإحکام للامدی (١٦٢/٢)، وإرشاد الفحول ص ١٦٤.

٣ - انظر التفسير بالتأثر ص ٦٠، للدكتور جمال مصطفى التجار.

المطلب السادس

تفسيره عن طريق الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض

ومن تفسير القرآن بالقرآن الجمع بين ما يوهم التعارض بين آياته.

فقد يجد المفسر آيتين أو أكثر يوهم ظاهرها بالتعارض، فإذا دقق وبحث

أمكنه الجمع بينها، إذ لا تعارض إطلاقاً بين النصوص.^(□)

قال الكرماني^(□): الاختلاف والتناقض على وجهين، اختلاف تناقض

وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر، وهذا هو الممتنع على

القرآن، واختلاف تلازم، وهو ما يوافق الجانبين، كاختلاف وجوه القراءة،

واختلاف مقادير السور والآيات، واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ،

والأمر والنهي، والوعد والوعيد.^(□)

وقد أورد أبو حيان في تفسيره ذلك منها:

● قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ فِي ذَلِكَ

﴿ فَلَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨]

الأمر بالفرح هنا وبين النهي عنه في قوله: ﴿ إِنَّ قَرُونَ كَانُوكَمِنْ

﴿ قَوْمٌ مُّوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَإِنِّيهِم مِّنَ الْكُفَّارِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَنَنْهَا بِالْعُصْبَةِ

﴿ أُولَئِكُمْ الْقُوَّةُ إِذَا قَالَ لَهُمْ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [٧٦]

القصص: ٧٦ [لا خلاف المتعلق، فالمأمور به هنا الفرح بفضل الله

وبرحمته، والنهي هناك الفرح بجمع الأموال لرئاسة الدنيا وإرادة

١ - انظر التفسير بالتأثر. للدكتور جمال مصطفى النجار. ص ٦٥-٦٦.

٢ - محمد بن يوسف بن علي بن محمد بن سعيد الكرماني شمس الدين، أبو عبد الله البغدادي الشافعي توفي سنة ٧٨٦هـ. هدية العارفين (٦/١٧٢).

٣ - الإتقان (٣١/٢).

العلو بها والفساد والأشر، ولذلك جاء بعده: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا أَتَنَاكَ اللَّهُ الْدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧] وقبله: ﴿ إِنَّ قَرْوَنَ كَانَ مِنْ قَوْمٍ مُّوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ [القصص: ٧٦] وقوله: ﴿ لَفَرَحٌ فَخُورٌ ﴾ [هود: ١٠] جاء ذلك على سبيل الذم لفرحه بإذاقة النعماء بعد الضراء، وبأسه وكفرانه للنعماء إذا نزعـت منه، وهذه صفة مذمومة، وليس ذلك من أفعال الآخرة. وقول من قال: إذا أطلق الفرح كان مذموماً، وإذا قيد لم يكن مذموماً كما قال: ﴿ فَرِحَيْنَ بِمَا أَتَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [آل عمران: ١٧٠] ليس بمطرد، إذ جاء مقيداً في الذم في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذَنَهُمْ بَغْتَةً ﴾ [الأنعام: ٤٤] وإنما يمدح الفرح ويذم بحسب متعلقـه، فإذا كان بنيل ثواب الآخرة وإعمال البر كان محموداً، وإذا كان بنيل لذات الدنيا وحطامها كان مذموماً.



المطلب السابع: تفسيره ببيان الناسخ والمنسوخ

علم النسخ من العلوم التي ينبغي أن يعرفها المفسر ، لأن الإمام به مما يساعد على معرفة الحكم الشرعي المطلوب العمل به، وذلك بمعرفة الناسخ من المنسوخ في آيات القرآن.

وقد التزم أبو حيان في كتابه بمعرفة هذا العلم، وهذا مما ذكره في منهجه المعتمد في التفسير ؛ ومن الأمثلة في هذا:

● قوله : "... وقالت فرقه : المعنى أفانت تكره الناس بالقتال

حتى يدخلوا في الإيمان؟ وزعمت أن هذه الآية في صدر الإسلام
، وأنها منسوخة بأية السيف ...^(□)

● وقال: "... وذهب ابن عباس وجماعة إلى أن قوله : ﴿وَمَا أَنَا

عليكم بوكيل واصبر﴾ ، منسوخ بأية السيف .^(□)



١ - البحر المحيط (١٩٣/٥) سورة يونس آية (٩٩).

٢ - البحر المحيط (١٩٧/٥) سورة يونس آية (١٠٩).

المبحث الثاني

تفسير القرآن بالسنة

يأتي تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة في المقام بعد تفسير القرآن بالقرآن .

قال تعالى ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَأَلْزَبِرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [التحل: ٤٤] .

والسنة النبوية وهي من الله تعالى قال تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣ - ٤] " ولذا فهي بمنزلة القرآن في الاستدلال ، وهي أصل في فهم القرآن " (□) قال رسول الله ((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)) (□) يعني السنة (□) .

وقال معاذ حين بعثه إلى اليمن : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي . قال : فضرب رسول الله في صدره ، وقال : ((الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله)) (□) .

قال الشافعي : كل ما حكم به رسول الله فهو مما فهمه من القرآن . (□)

١ - فصول في أصول التفسير ص ٢٨ .

٢ - سنن أبي داود / كتاب السنة / باب في لزوم السنة / حديث رقم (٤٦٠٤) .

٣ - قاله ابن تيمية في مقدمة في أصول التفسير ص ٩٤ .

٤ - مصنف ابن أبي شيبة / كتاب أقضية رسول الله / حديث رقم (٢٩١٠٠) وفي سنته رجل من أهل حمص من أصحاب معاذ (□) .

٥ - انظر التحبير في علم التفسير للسيوطبي ص ٣٢٣ ، وكتاب الأم للشافعي ص ١٥ في المقدمة ، ففيه زيادة بيان .

فرسول الله ﷺ أعلم الناس بتفسير كلام الله لأن من مهامه بيان ما جاء به القرآن . فما صح عنه لا يسع أحداً رده ؛ وإذا قال الرسول ﷺ شيئاً لم يلتفت إلى قول غيره ^(□) .

وأبو حيان من كبار المفسرين سلك هذا الطريق وبين في مقدمته أن الاعتماد على النقل الصحيح عن رسول الله ﷺ من الأوجه التي ينبغي لمن فسر كتاب الله تعالى أن يتعلمها؛ والمطالع للبحر المحيط يجد هذا المنهج بوضوح فيه وهذه نماذج مما في تفسيره في بيان ذلك:

١. قال أبو حيان - عند تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فِي ذَلِكَ فَلَيَنْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] - :

قال الزمخشري عن أبي بن كعب : أن رسول الله ﷺ قرأ : قل بفضل الله وبرحمته فقال : ((بكتاب الله والإسلام)) فضلله الإسلام ، ورحمته ما وعد عليه انتهى . ولو صح هذا الحديث لم يكن خلافه. ^(□)

٢. قال أبو حيان - عند تفسير قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] - :

وعن سعيد بن جبير : "أن رسول الله ﷺ سئل عن أولياء الله فقال : ((هم الذين يذكرون الله برؤيتهم...)).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((إن من عباد الله عباداً ما هم بآباء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بـ كـانـهـمـ مـنـ اللهـ)) قالوا : يا رسول الله ومن هم؟ قال : ((قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام ولا

١ - انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس (٧٧/٢) و (٣٩/٣) .

٢ - البحر المحيط (١٦٩/٥).

أموال يتعاطونها ، فوالله إنّ وجههم لستور ، وإنهم على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم قرأ : ﴿أَلَا إِنَّ
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ " الآية ()

قال أبو حيان - عند تفسير قوله تعالى ﴿لَهُمُ الْبُشَرَىٰ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] . - " وبشراهم في الحياة
الدنيا تظاهرت الروايات عن رسول الله ﷺ : ((أنها الرؤيا الصالحة
يراهما المؤمن)) أو ((ترى له)) فسرها بذلك وقد سئل . وعنده في
صحيح مسلم : ((لم يبق من المبشرات إلا الرؤوي الصالحة)) ..
وسائل رسول الله ﷺ عن الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس :
فقال : ((تلك عاجل بشرى المؤمن)) .

وما ذكرت آنفاً شيئاً يسيرأً مما جاء في البحر المحيط .



١ - البحر المحيط (١٧٣/٥).

٢ - البحر المحيط (١٧٣/٥).

المبحث الثالث

عنابة أبو حيان بأسباب النزول

وما يعد من تفسير القرآن بالسنة تفسيره بأسباب النزول، لأن سبب النزول عند التحقيق لا يخرج عن كونه حديثاً.

وقد اعنى أبو حيان بتلك الوسيلة في تفسيره اعتناء عظيماً لتوقف كثير من الآيات على معرفة سبب نزولها.

قال ابن تيمية : "معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العالم بالسبب يورث العلم بالسبب".^(١)

فعلم أسباب النزول من العلوم المهمة التي ينبغي للمفسر أن يلم بها لأنه لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.^(٢)

وأبو حيان ذكر من ضمن منهجه ذكر أسباب النزول؛ وقد ظهر مدى التزامه بذلك في كتابه ؛ مما ذكر من أسباب النزول :

- قال أبو حيان : "قيل : نزلت في قريش الذين سألوا الرسول أحق هو؟ فالناس هم كفار قريش."^(٣)

فظهر ترجيحه لقوله بسبب النزول، وهذا من فوائد معرفة أسباب النزول .

- وقال : "قيل : نزلت في أبي طالب ، لأنه كذلك أسف بمותו على ملة عبد المطلب وكان حريضاً على إيمانه."^(٤)

- وقال : "نزلت في الأحنف بن شريق ، كان يجالس رسول الله

١ - مقدمة في أصول التفسير ص ٦٠.

٢ - أسباب النزول للواحدي ص ١٠.

٣ - البحر المحيط (١٦٨/٥) سورة يونس آية (٥٧).

٤ - البحر المحيط (١٩٢/٥) سورة يونس آية (٩٩).

ويحلف أنه ليحبه ويضمر خلاف ما يظهر قاله ابن عباس .
وعنه أيضاً : في ناس كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في
الخلاء ومجامعة النساء . وقيل : في بعض المنافقين ، كان إذا مر
بالرسول صلى الله عليه وسلم ثني صدره وظهره وطأطأ رأسه
وغطى وجهه كي لا يرى الرسول قاله : عبد الله بن شداد
(□)...



١ - البحر المحيط (٢٠٣/٥)، سورة هود آية (٥).

المبحث الرابع

تفسير القرآن بأقوال الصحابة

معرفة أقوال الصحابة في تفسير القرآن ، يأتي في المرتبة بعد التفسير بالقرآن والسنة، وذلك لما لهم من الشرف والمكانة لصحابتهم رسول الله ﷺ

وقد أشنى الله عليهم في كتابه فقال ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعْهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعاً سُجَّداً يَتَبَعَّغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي الْأَنْجِيلِ كَزَرَعٍ أَخْرَجَ شَطَعَهُ فَاعْزَرَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الْزَرَاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقد اعتمد أقواهم من جاء بعدهم ، لأنه لا ريب أن أقواهم في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم ^(□) ولا سيما وهم حاضرو التنزيل ، والحاضر ^(□) يعلم بمشاهدته الكلام مالا يعلمه الغائب.

وأبو حيان من نص على الأخذ بأقوال الصحابة في التفسير وذكره في منهجه ؛ والناظر في تفسيره يجده قد نقل عن كثير منهم ، مما ساعد على فهم معنى الآيات.

وما أورده في تفسيره عنهم بعض الأمثلة :

• قال أبو حيان : "... قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ...:

فضل الله الإسلام ، ورحمته القرآن ... ، وقال أبو سعيد الخدري :
الفضل القرآن ، والرحمة أن جعلهم من أهله . وقال ابن عباس فيما

١ - إعلام الموقعين (٤/١٥٣).

٢ - القطع والاثناف ص ٦٠.

روى الضحاك عنه : الفضل العلم والرحمة محمد ﷺ . وقال ابن عمر

: الفضل الإسلام ، والرحمة تزيينه في القلوب .^(١)

• وقال:... وقال علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وقتادة ،

ومجاهد ، والضحاك : محمد والمؤمنون جميعاً ، والبينة القرآن أو

الرسول ، والهاء للمبالغة والشاهد . قال ابن عباس ، والنخعي ،

ومجاهد ، والضحاك ، وأبو صالح ، وعكرمة : هو جبريل . وقال

الحسن بن علي : هو الرسول.^(٢)

• وقال:... وفي قوله : إن ابني من أهلي ، وندائه دليل على

أنه ابنه لصلبه ، وهو قول : ابن مسعود ، وابن عباس ...^(٣)

وغير ذلك من الأمثلة .



١ - البحر المحيط (١٦٩/٥)، سورة يونس آية (٥٨).

٢ - البحر المحيط (٢١١/٥)، سورة هود آية (١٧).

٣ - البحر المحيط (٢٢٦/٥)، سورة هود آية (٤١).

المبحث الخامس

تفسير القرآن بأقوال التابعين

يأتي التفسير بأقوال التابعين في المرتبة الرابعة من طرق التفسير بالتأثر، وذلك لما كان لهم من شرف رؤية بعض الصحابة والتلتمذ عليهم بما تعلموه من رسول الله ﷺ.

وقد اشتهر من التابعين^(□) كوكبة مضيئة أضاءت الأرض بالعلوم المختلفة ؛ وفي مقدمتها التفسير .

وأما مصدرهم في التفسير فينطلق من الفهم الصحيح لما جاء في كتاب الله؛ وما تلقوه من الصحابة رضي الله عنهم مما أسندوه إلى رسول الله ﷺ أو ما بلغتهم عنه؛ وعلى ما فهموه من لغة العرب؛ وعلى أخذه بعضهم من أهل الكتاب مما ورد في كتبهم؛ وعلى اجتهادهم وتأملهم في كتاب الله . فهم خير الناس بعد صحابة رسول الله ﷺ.

قال ابن تيمية : " قال شعبة بن الحجاج وغيره : " أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير . يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم من خالفهم . وهذا صحيح، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك ." ^(□)

وقال في البرهان : " وأما الثالث: وهم رؤوس التابعين، إذا لم يرفعوه إلى

١ - منهم : الحسن البصري، وقتادة السدوسي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن زيد، وعكرمة، ومسروق، وسعيد بن المسيب، والضحاك، وطا ووس بن كيسان، وعطاء، والشعبي. وغيرهم.

٢ - مقدمة في أصول التفسير ص ١٠١ .

النبي ﷺ - ولا إلى أحد من الصحابة - فحيث جاز التقليد فيما سبق، فكذا هنا، وإنما وجوب الاجتهاد .^(١)

و"ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب ،فله حكم الإسرائيليات".^(٢)

ويبقى قولهم أعلى من قول تأخر عنهم، إذا لم يُخالفه أحد.^(٣)

وأبو حيyan أورد في تفسيره كثيراً من أقوال التابعين ؛ وهذه نماذج من ذلك :

- قال أبو حيyan : "إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَشَاهِدُوهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ ، أَيْ : بَيْنَ الْأَمْمَةِ بِالْعَدْلِ ، فَصَارَ قَوْمٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَقَوْمٌ إِلَى النَّارِ ، فَهَذَا هُوَ الْقَضَاءُ بَيْنَهُمْ قَالَهُ : مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ".^(٤)

- وقال: "وَقَالَ قَاتِلُهُ وَالضَّحَاكُ : هِيَ مَا يُبَشِّرُ بِهِ الْمُؤْمِنُ عِنْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ حَيٌّ عِنْدَ الْمَعاِينَةِ".^(٥)

- وقال: "وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَاتِلٌ وَضَحَاكٌ وَالفَرَاءُ : أَمْرُوا بِأَنْ يَجْعَلُوهُمْ مُسْتَقْبِلَةً الْكَعْبَةَ . وَعَنْ أَبْنَى جَبِيرٍ : قِبْلَةً يَقْابِلُ بَعْضَهَا بَعْضًا".^(٦)

١ - البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٧٢م).

٢ - فصول في أصول التفسير ص ٤٠.

٣ - فصول في أصول التفسير ص ٤٠.

٤ - البحر المحيط (١٦٤/٥) سورة يونس آية (٤٧).

٥ - البحر المحيط (١٧٣/٥) سورة يونس آية (٦٤).

٦ - البحر المحيط (١٨٥/٥) سورة يونس آية (٨٧).

المبحث السادس

موقفه من الإسرائيлик

المراد بالإسرائيлик : جمع إسرائيلية، وهي في أصل إطلاقها حكاية أو قصة تذكر عن مصدر إسرائيلي نسبة إلى بني إسرائيل.
وبنوا إسرائيل اسم يشمل اليهود والنصارى. إلا أن لفظ اليهود غالب على المتسبين لشريعة موسى التعالى، ولفظ النصارى على المتسبين لشريعة عيسى التعالى.

أما من أسلم من أصحاب الديانتين فصاروا يعرفون باسم " مسلمي أهل الكتاب".

وبناء عليه فإن لفظ الإسرائيлик يطلق على كل ما دخل ثقافة المسلمين في التفسير وغيره من مصادر يهودية أو نصرانية، بل إن بعض العلماء توسع في هذا الإطلاق وأضاف إليه كل ما دسه أعداء الإسلام في ثقافة المسلمين (□) يريدون به تشويه الإسلام والمسلمين.

وإنما سميت هذه الأخبار على اختلاف مصادرها بالإسرائيлик تغليباً للجانب اليهودي الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه، لكثرة أهله وظهورهم ، وشدة اختلاطهم بال المسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على

١ - انظر التفسير بالتأثر .للدكتور جمال مصطفى النجار ص ٣٥٥، ٣٥٦. طبعة : الحسين الإسلامية . ١٩٩٨/١ م.

كثير من بلاد العالم ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً . (□)

وأبو حيان ذكر في مقدمة تفسيره انتقاده لبعض التفاسير فقال : "... وكذلك أيضاً ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول ، وأحاديث في الفضائل ، وحكايات

لا تناسب ، وتاريخ إسرائيلية ، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير . (□)

وهذه نماذج مما تعقبه في بعض المواطن من تفسيره :

- قال أبو حيان عند قصة يونس السُّلَيْلَةُ في سورة يونس آية [٩٨] : " وذكر

المفسرون قصة قوم يونس وتفاصيل فيها ، وفي كيفية عذابهم الله أعلم

بصحة ذلك ، ويوقف على ذلك في كتبهم . (□)

- قال أبو حيان عن سفينة نوح السُّلَيْلَةُ في سورة هود آية [٤٠] : " وخالفوا في

هيئتها من التربع والطول ، وفي مقدار مدة عملها ، وفي المكان الذي

عملت فيه ، ومقدار طولها وعرضها ، على أقوال متعارضة لم يصح

منها شيء . (٤)

- وقال في تفسير قصة نوح السُّلَيْلَةُ : " ومن آمن عطف على وأهلك ، قيل :

كانوا ثمانين رجلاً وثمانين امرأة ، وقيل : كانوا ثلاثة وثمانين . وقال

ابن عباس : آمن معه ثمانون رجلاً ، وعنه ثمانون إنساناً ، ثلاثة من

بنيه سام وحام ويافت ، وثلاث كنائن له ، ولما خرجوا من السفينة بنوا

١ - التفسير والمفسرون (١/١٣)، والإسرائيليات والمواضيعات في كتب التفسير ص ١٤.

٢ - البحر المحيط (١/٤١).

٣ - البحر المحيط (٥/٩٢).

٤ - البحر المحيط (٥/٢٢٢).

قرية تدعى اليوم قرية الشمانين بناحية الموصل . وقيل : كانوا ثمانية وسبعين ، نصفهم رجال ، ونصفهم نساء . وقال ابن إسحاق : كانوا عشرة سوى نسائهم : نوح ، وبنوه سام وحام ويافث ، وستة ناس من كان آمن به وأزواجهم جميعاً . وعن ابن إسحاق : كانوا عشرة : خمسة رجال ، وخمس نسوة . وقيل : كانوا تسعة ونوح ، وثمانية أبناء له وزوجته . وقيل : كانوا ثمانية ونوح وزوجته غير التي عوقبت ، وبنوه الثلاثة وزوجاتهم ، وهو قول : قتادة ، والحكم ، وابن عيينة ، وابن جريج ، ومحمد بن كعب . وقال الأعمش : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنائن ، وثلاث بنين . وهذه أقوال متعارضة ، والذي أخبر الله تعالى به أنه ما آمن معه إلا قليل ، ولا يمكن التنصيص على عدد هذا التفريغ القليل الذي أبهم الله عددهم إلا بنص عن رسول الله ﷺ .^(□)

- وقال عند آيه [٤٤] في سورة هود : " وحدثت بعث نوح السَّلَطَانُ الْغَرَابَ واحمامه ليأتيها بخبر كمال الغرق الله أعلم بما كان من ذلك ".^(□)
- وقال عند قصة إبراهيم السَّلَطَانُ آيه [٧١] هود: " وذكر محمد بن قيس سبباً لضحكها تركنا ذكره لفظاعته ، يوقف عليه في تفسير ابن عطية ".^(□)
- وقال عند قصة يوسف السَّلَطَانُ في سورة يوسف آيه [١٥]: " وذكر المفسرون أشياء كثيرة تتضمن كيفية إلقائه في غيابة الجب ومجاورته لهم بما يلين

١ - البحر المحيط (٢٢٢/٥).

٢ - البحر المحيط (٢٢٩/٥).

٣ - البحر المحيط (٢٤٣/٥).

الصخر ، وهم لا يزدادون إلا قساوة . ولم يتعرض القرآن ولا الحديث

الصحيح لشيء منها ، فيوقف عليها في كتب التفسير .^(□)

• وقال في سورة يوسف آية [٢٤]: "والذى روى عن السلف لا"

يساعد عليه كلام العرب ، لأنهم قدروا جواب لولا مخدوفاً ، ولا يدل

عليه دليل ، لأنهم لم يقدروا لهم بها . ولا يدل كلام العرب إلا على أن

يكون المخدوف من معنى ما قبل الشرط ، لأنّ ما قبل الشرط دليل

عليه ، ولا يحذف الشيء لغير دليل عليه . وقد طهروا كتابنا هذا عن

نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره ، واقتصرنا على ما دل عليه

لسان العرب ، ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على

العصمة ، وبراءة يوسف آية من كل ما يشين . ومن أراد أن يقف

على ما نقل عن المفسرين في هذه الآية فليطالع ذلك في تفسير

الزمخري ، وابن عطية ، وغيرهما .^(□)

هذا ما استخرجته ضمن القدر المخصص .

وتفسيره من التفاسير التي يقل فيها ذكر الإسرائييليات ... وقد عنى بالتنبيه

إلى الكثير منها؛ وبيان عدم صحتها، وتحذير القارئ من الاعتراف بها، وكثيراً ما

يضرب عن ذكرها، مسيراً إلى بطلانها، وقد يوجزها، ثم يكرر عليها بالإبطال

والتزيف، ولا سيما فيما يدرك بطلانه وكذبه بالعقل، لابنقد الأسانيد

١ - البحر المحيط (٢٨٧/٥).

٢ - البحر المحيط (٢٩٥/٥). وسيأتي في قسم الدراسة ضمن مسائل الترجيح.

، والتعديل والتجریح؟-ومع ذلك - لم یسلم تفسیر أبي حیان من الإسرائیلیات ...وذلك مثل ما ذکرہ من الحدیث المکذوب علی النبی ﷺ فی أسماء الكواكب الـثـنـيـة عشر التي رأـهـا يـوسـف السـعـیـدـیـلـاـ.. (□)

وقلة الإسرائیلیات من میزات تفسیره، لأن ضررها أكثر من نفعها ولا تزيد في فهم المعنى.



١ - قول أبي شهبة في كتابه الإسرائیلیات ص ١٤٠-١٤١ مع الاختصار . وسيأتي ضمن مسائل الترجیح حديث أسماء الكواكب التي رأـهـا يـوسـف السـعـیـدـیـلـاـ.

ثالثاً

منهج أبو حيان في التفسير بالرأي

وفي خمسة مباحث :

المبحث الأول: تفسير القرآن بأقوال من جاء بعد التابعين

المبحث الثاني: تفسير القرآن باللغة وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات

المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات.

المطلب الثالث: عنايته بالإعراب.

المطلب الرابع: عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني

المبحث الثالث: عنايته بالمناسبات

المبحث الرابع: عنايته بأسرار النظم القرآني والبلاغة القرآنية

المبحث الخامس: موقفه من بعض الفرق

المبحث الأول

تفسير القرآن بأقوال من جاء بعد التابعين

اعتنى أبو حيان في تفسيره بكلام العلماء المفسرين من صنف في التفسير .
فقد كان ينقل أقوالهم منسوبة إليهم . فيؤيدوها تارة؛ ويتعقبها تارة؛ ويُسكت عنها أحياناً.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرصه على الأخذ من السابقين له والاستفادة منهم ، وعلى كثرة اطلاعه ، ويدل على اجتهاده وعدم تقليله ، وأن له نظراً في القول واستدلالاً ، وترجحأ .

ومن أمثلة ذلك:

• قال أبو حيان : " وقال الزجاج : أمركم ظاهراً مكشوفاً ،

وحسنه الزمخشري فقال : وقد ذكر القول الأول الذي يراد بالأمر
فقال : والثاني أن يراد به ما أريد بالأمر الأول . ^(□)

• وقال : " قال ابن عطية : والتعريف هنا في السحر ارتب ، لأنه

قد تقدم منكراً في قوله : إن هذا لسحر ، فجاء هنا بلام العهد كما
يقال : أول الرسالة سلام عليك ، وفي آخرها السلام عليك انتهى .
وهذا أخذه من الفراء . قال الفراء : وإنما قال السحر بالألف
واللام ، لأن النكرة إذا أعيدت بالألف واللام ، ولو قال له

من رجل لم يقع في وهمه أنه يسأله عن الرجل الذي ذكر له انتهى .

• وما ذكره هنا في السحر ليس هو من باب تقدم النكرة..... إلخ ^(□)

• والظاهر عود الضمير في قوله : وملئهم ، على الذرية وقاله

١ - البحر المحيط (١٧٨/٥)، سورة يونس آية (٧١).

٢ - البحر المحيط (١٨١-١٨٢/٥)، سورة يونس آية (٨٢).

الأخفش ، واختاره الطبرى أى : أخوف بني إسرائيل الذرية وهم أشرف بني إسرائيل إن كان الضمير في قوله عائدًا على موسى ، لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون على أنفسهم

(□)...الخ

• وقال: "وقال السدي : مسخ الله الثمار والنخل والأطعمة

حجارة . وقال شيخنا أبو عبد الله محمد بن سليمان المقدسي عرف بابن النقيب وهو جامع التحرير والتحبير في هذا الكتاب...الخ.

والآمثلة في التفسير كثيرة فلا تكاد تخلو صفحة منه من إيراده لأقوال علماء سبقوه في التفسير.



١ - البحر المحيط(١٨٣/٥)، سورة يونس آية(٨٣).

٢ - البحر المحيط(١٨٦/٥)، سورة يونس آية(٨٩).

المبحث الثاني

تفسير القرآن باللغة

اهتم أبو حيان في تفسيره بالناحية اللغوية اهتماماً قل أن تجد له نظير في كتب التفسير عامة.

وهذا الاهتمام منه بهذه ال طريقة التي ذكرها في مقدمة تفسيره دلالة واضحة وسمة بارزة على تقدمه ونبوغه وجلالة قدره في هذا العلم . وهو شهادة تضاف لأبي حيان بجانب ما سطره المترجمون له في مجال لغويته .

وقد ذكر في مقدمة تفسيره المصادر اللغوية التي ينبغي أن يعكف عليها كل من أراد تعلم القصص^(□)؛ كما أنه ذكر حفظه لها؛ وقد أورد في مقدمة وفي ثانياً تفسيره أسماء برزت في علم اللغة من شيوخه وغيرهم^(□).
وي يكن إياز عناته باللغة بهذه المطالب التالية:

المطلب الأول : معانيه بمعاني المفردات

ظهرت عنابة أبي حيان بمفردات اللفظة القرآنية من خلال ذكره صيغها ، وتصريفها، وبيان معانيها اللغوية، مستدلاً على ذلك بالسياق والشعر ، كما أنه يذكر الألفاظ المقاربة للفظة المفسرة، والتبنية على المعاني الأخرى المرادفة للألفاظ، وكذا المقارنة بين معاني المفردات المشابهة؛ وقد ذكر منهجه في مقدمته^(□) وهو ظاهر لمن نظر في تفسير. وهذه نماذج :

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِتَلْفِثَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٧٨] :

١ - ص ١٠٨-١٠٥ ذكرها ضمن الوجوه التي يحتاجها المفسر للنظر في كتاب الله تعالى.

٢ - مقدمة البحر المحيط ص ١٠٥ .

٣ - البحر المحيط (١٠٣/٥).

لفت عنقه لواها وصرفها . وقال الأزهري : لفت الشيء وقتله: لواه ، وهذا من المقلوب انتهى . ومطابع لفت التفت ، وقيل : انفلت .^(□)

• وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ إِلَّا هُنْمَنْ أَلَّى يَدُّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَهُمْ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ

تَثْبِيتٍ [هود: ١٠١] : التتبیب التحسیر ، تب خسر ، وتبه خسره .

وقال ليبد^(□) :

ولقد بليت وكل صاحب جدة يبلی بعود وذاكم التتبیب^(□) والأمثلة كثيرة لا تقاد تحصی في تفسیره ، وهي ميزة امتاز بها وتفرد عن كثیر من المفسرين .



١ - البحر المحيط (١٧٦/٥).

٢ - البيت في ديوانه ص ١٠٦ . وتفسير القرطبي (٨٩/٩).

٣ - البحر المحيط (٢٥٢/٥).

المطلب الثاني: مهاراته بمعاني المعرفة والأدوات

وما يبرز تقدم أبي حيان في الصناعة اللغوية ، عناته الفائق ة بمعاني الحروف والأدوات . وإظهار المراد منها؛ بتجلية معانيها ؛ وإيضاح مكرونها . ومن الأمثلة في ذلك:

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يونس: ٦] : ما استفهامية مبتدأة خبرها ظن ، والمعنى : أي شيء ظن المفترين يوم القيمة ، أبهم الأمر على سبيل التهديد ، والإيعاد يوم يكون الجزاء بالإحسان والإساءة . ويوم منصوب بظن ، ومعمول الظن قيل : تقدير ما ظنهم أن الله فاعل بهم ، أينجيمهم أم يعذبهم . وقرأ عيسى بن عمر : ما ظن جعله فعلاً ماضياً أي ظن الذين يفترون ، مما في موضع نصب على المصدر ، وما الاستفهامية قد تنوب عن المصدر تقول : ما تضرب زيداً تريد : أي ضرب تضرب زيداً .
- وقال الشاعر :

ما ذا يغير ابني ريع عويلهما
لا يرقدان ولا بؤسي لمن رقدا

وحيء بلفظ ظن ماضياً لأنه كائن لا محالة فكان قد كان ، والأولى أن يكون ظن في معنى يظن ، لكونه عاملاً في يوم القيمة . وهو ظرف مستقبل ، وفضله تعالى على الناس حيث أنعم عليهم ورحمهم ، فأرسل إليهم الرسل ، وفصل لهم الحلال والحرام ، وأكثرهم لا يشكر هذه النعمة .^(□)

١ - البحر المحيط (١٧١/٥).

• قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَا بِخَيْرٍ نَّأَيْدِيْنَ صَدِّحًا وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا مَعَهُ، بِرَحْمَةِ مِنْنَا وَمِنْ خَزِيِّ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾^{٦٦}

[هود: ٦٦] : "قيل : الواو زائدة في ومن أي من خزي يومئذ فيتعلق من

بنجينا ، وهذا لا يجوز عند البصريين ، لأن الواو لا تزاد عندهم بل

تتعلق من بمحذوف أي : ونجيناهم من خزي ، أي وكانت النتيجة من

خزي يومئذ." □

وعنايته بهذه الناحية لها شواهد كثيرة في البحر المحيط ، وهذا يدل دلالة ظاهرة على تمكنه من هذا العلم ؛ وهي ميزة من ميزاته .



١ - البحر المحيط (٢٤١/٥).

المطلب الثالث: معاييره بالإعراب

برع أبو حيان في الناحية الإعرابية للألفاظ والجمل القرآنية؛ وهو ظاهر مستفيض في البحر المحيط، فمن الأمثلة في هذا المقام:

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَقْرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩]: وجوزوا في ما أنزل أن تكون موصولة مفعولاً أولاً لأرأيتم ، والعائد عليها مذوف ، والمفعول الثاني قوله : الله أذن لكم ، والعائد على المبتدأ من الخبر مذوف تقديره : الله أذن لكم فيه ، وكرر قل قبل الخبر على سبيل التوكيد . وأن تكون ما استفهامية منصوبة بأنزل قاله : الحوفي والزمخري . وقيل : ما استفهاميء، مبتدأة ، والضمير من الخبر مذوف تقديره : الله أذن لكم فيه أو به ، وهذا ضعيف لحذف هذا العائد . وجعل ما موصولة هو الوجه ، لأن فيه إبقاء . أرأيت على بابها : من كونها تتعدى إلى الأول فتوثر فيه ، بخلاف جعلها استفهامية ، فإن أرأيت إذ ذاك تكون معلقة ، ويكون ما قد سدّت مسد المفعولين ، والظاهر أنّ أم متصلة والمعنى : أخبروني الله إذن لكم في التحليل والتحريم ، فأنتم تفعلون ذلك بأذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه؟ فنبه بتوقيفهم على أحد القسمين ، وهم لا يمكنهم ادعاء إذن الله في ذلك فثبت افتراوهم.^(١)

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أُحْكِمَتْ إِيمَانُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ [هود: ١]: وكتاب خبر مبتدأ مذوف يدل عليه ظهوره

١ - البحر المحيط(١٧٠/٥).

بعد هذه الحروف المقطعة ك قوله : الم ذلك الكتاب ،
وأحکمت صفة له .. □).

المطلب الرابع : معنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني

قال الوليد بن المغيرة يخاطب كفار مكة في وصف كلام الله : " فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من ذلك. والله إن قوله الذي يقول لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى ".^(١)

وإن من توفيق الله لمن نصب نفسه لتفسير كلامه ،أن يهديه للغوص في روعة وجمال ونسق الأسلوب القرآني ؟ لاسيما وأنه من المبحرين في علوم اللغة العربية الفصيحة....

وأبو حيان هذا شأنه في تفسيره فقد فطن إلى ذلك في مواطن كثيرة منها على سبيل المثال :

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنَّ أَتَنَاكُمْ عَذَابًا هُبَيْتًا أَوْ نَهَارًا مَّا ذَا إِيمَسْتَعِجِلُ مِنْهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس : ٥٠] " والمعنى : قل لهم يا محمد أخبروني عن عذاب الله إن أتاكم أي شيء تستعجلون منه ، وليس شيء من العذاب يستعجله عاقل ، إذ العذاب كله مرّ المذاق موجب لنفاس الطبع منه ، فتكون جملة الاستفهام جاءت على سبيل التلطف بهم ، والتنبيه لهم أن العذاب لا ينبغي أن يستعجل . ويجوز أن تكون الجملة جاءت على سبيل التعجب والتهليل للعذاب أي : أي شيء شديد تستعجلون منه ، أي : ما أشد وأهول ما تستعجلون من العذاب .^(٢)

- وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ يَكَانُوا أَنَّاسٌ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا

١ - تفسير ابن كثير في سورة المدثر آية (١١).

٢ - البحر المحيط (٥/٦٥).

أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ وَأَمْرَتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ [يونس: ١٠٤] : خطاب لأهل مكة يقول : إن كتم لا تعرفون ما أنا عليه فأنا أبينه لكم ، فبدأ أولاً بالانتفاء من عبادة ما يعبدون من الأصنام تسفيهاً لآرائهم ، وأثبت ثانياً من الذي يعبد وهو الله الذي يتوفاكم . وفي ذكر هذا الوصف الوسط الدال على التوفي . دلالة على البدء وهو الخلق ، وعلى الإعادة ، فكأنه أشار إلى أنه يعبد الله الذي خلقكم ويتوفاكم ويعيدكم ، وكثيراً ما صرخ في القرآن بهذه الأطوار الثلاثة ، وكان التصريح بهذا الوصف لما فيه من التذكير بالموت وإرهاب النفوس به ، وصيرورتهم إلى الله بعده ، فهو الجدير بأن يخاف ويتقى ويعبد لا الحجارة التي تعبدونها ﴿٢﴾ وَأَمْرَتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ لما ذكر أنه يعبد الله ، وكانت العبادة أغلب ما عليها عمل الجوارح ، أخبر أنه أمر بأن يكون من المصدقين بالله الموحدين له ، المفرد له بالعبادة ، وانتقل من عمل الجوارح إلى نور المعرفة ، وطابق الباطن الظاهر . □

• وقال عند تفسير قوله : ﴿مَثُلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكَرُونَ ﴾ [هود: ٢٤] : لم ذكر ما يؤول إليه الكفار من النار ، ذكر ما يؤول إليه المؤمنون من الجنة ، والفرقان هنا الكافر والمؤمن . ولما كان تقدم ذكر الكفار وأعقب بذكر المؤمنين ، جاء التمثيل هنا مبتدأ بالكافر فقال : كالاعمى والأصم . ويمكن أن يكون من باب تشبيه اثنين باثنين ، فقبول الأعمى بال بصير وهو

طريق^(□) ، وقبول الأصم بالسميع وهو طريق أيضاً ، والعمى والصم آفان تمنعان من البصر والسمع ، وليستا بضدين ، لأنه لا تعاقب بينهما ... ولم يجيء التركيب كالأعمى والبصير والأصم والسميع فيكون مقابلة^(□) في لفظ الأعمى وضده ، وفي لفظة الأصم وضده ، لأنه تعالى لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع ، ولما ذكر انفتاح البصر أتبعه بانفتاح السمع ، وذلك هو الأسلوب في المقابلة ، والأتم في الإعجاز^(□).



-
- ١ - الطريق : الجمع بين الشيء وضده في الكلام وهو نوعان : ١ - طريق سلب ٢ - طريق إيجاب .
انظر : التعريفات ص ٢١٨ .
 - ٢ - المقابلة : أن يؤتى معنيين وأكثر ثم يؤتى بعد بما يقابل ذلك على الترتيب .
 - ٣ - البحر المحيط (٥/٢١٤).

المبحث الثالث

عناته بالمناسبات

علم المناسبات من العلوم التي قل اعتناء المفسرين به لدقته ^(□).

قال العز بن عبد السلام : "المناسبة علم حسن ، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متعدد مرتبط أوله بأخره". ^(□)

وأبو حيان من اعتنى بهذا العلم في تفسيره؛ ونوع في إبراز المناسبات المختلفة بين ألفاظ الآية الواحدة، وبين آيات السورة الواحدة ؛ وبين وجه ارتباط آخر السورة بأولها .

فمن أمثلة ذلك:

• قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٤٧] : " لما بين حال الرسول ﷺ في قومه وبين حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم ، تسليمة له وطمئننا لقلبه . " ^(□)

• وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَقْرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩] : " مناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنه لما ذكر تعالى ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧] : " وكان المراد بذلك كتاب الله المشتمل على

١ - قاله السيوطي في الأتقان (٣٢٣/٣).

٢ - الإتقان (٣٢٣/٣).

٣ - البحر المحيط (١٦٤/٥).

التحليل والتحريم بين فساد شرائعهم وأحكامهم من الحلال والحرام من غير مستند في ذلك إلى وحْيٍ .^(□)
هذا في ارتباط آيات السورة الواحدة .

• ومثال ما جاء في ارتباط ألفاظ الآية الواحدة يقول عند تفسير قوله تعالى

﴿وَإِن يَمْسِكَ اللَّهُ بِضَرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن تُرِدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدَ﴾

﴿لِفَضْلِهِ يُصْبِبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]

ولما وقع النهي عن دعاء الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع ، ذكر أن الحول والقوه والنفع والضر ليس ذلك إلا الله ، وأنه تعالى هو المنفرد بذلك ، وأتى في الضر بلفظ المس ، وفي الخير بلفظ الإرادة ، وطابق بين الضر والخير مطابقة معنوية لا لفظية ، لأنّ مقابل الضر النفع ومقابل الخير الشر ، فجاءت لفظة الضر ألطف وأخص من لفظة الشر ، وجاءت لفظة الخير أتم من لفظة النفع ، ولفظة المس أو جز من لفظ الإرادة وأنص على الإصابة وأنسب لقوله : فلا كاشف له إلا هو ، ولفظ الإرادة أدل على الحصول في وقت الخطاب وفي غيره وأنسب للفظ الخير ، وإن كان المس والإرادة معناهما الإصابة .^(□)

• ومثال ما جاء في ارتباط آخر السورة بأوتها . يقول عند تفسير آخر آية

من سورة يوسف وهي قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾

﴿لِأُولَئِكَ مَا كَانَ حَدِيثًا يُقْرَئُ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾

﴿وَتَقْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]

وتقديم أول السورة قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ وقوله

١ - البحر المحيط (٥/١٧٠).

٢ - البحر المحيط (٥/١٩٦).

تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ وفي آخرها : ما كان حديثاً يفترى إلى آخره ، فلذلك احتمل أن يعود الضمير على القرآن ، وأن يعود على القصص والله تعالى أعلم .^(□)



١ - البحر المحيط (٣٤٩/٥).

المبحث الرابع

عنایته بأسرار النظم القرآني والبلاغة القرآنية

إن أسرار النظم القرآني لا يدركه إلا من أمعن النظر وتدبر في آيات القرآن العظيم، ويضاف إلى ذلك معرفة علوم البلاغة ، وأبو حيان من برع في ذلك ، لذا نجد في تفسيره أمثلة تدل على اهتمامه بمعرفة ذلك.

- قال أبو حيان في تفسيره عند قوله ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ السَّمَسَ ضِيَاءً ﴾ [يونس: ٥] فاكتفى هنا عن ذكرها. وإذا كان جميع ما في العالم ملكه، وملكه كان قادراً على كل الممكنات، عالماً بكل المعلومات، غنياً عن جميع الحاجات، منهاً عن النقائص والآفات، وبكونه قادراً على الممكنات كان قادراً على إنزال العذاب على الكفار في الدنيا والآخرة، وقدراً على تأييد رسوله بالدلائل وإعلاء دينه، فبطل الاستهزاء والتعجيز. وبتنزييه عن النقائص كان منهاً عن الخلف والكذب، فثبت أن قوله: إلا أن الله ما في السموات والأرض مقدمة توجب الجزم بصحة قوله. ألا إن وعد الله حق. وألا كلمة تنبيه دخلت على الجملتين تنبيهاً للغافل، إذ كانوا مشغولين بالنظر إلى الأسباب الظاهرة من نسبة أشياء إلى أنها مملوكة لمن جعل له بعض تصرف فيها واستخلاف، ولذلك قال تعالى: ولكن أكثرهم لا يعلمون يعني: لغفلتهم عن هذه الدلائل، ثم أتبع ذلك بذكر قدرته على الإحياء والإماتة. فيجب أن يكون قادراً على إحيائه مرة ثانية، ولذلك قال: وإليه ترجعون، فترون ما وعد به.

- وقال عند قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْجَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ٢٣ مَثُلُ الْفَرِيقَيْنِ

كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاً أَفَلَا نَذَرُونَ ﴿٢٤﴾

[لـهود: ٢٣ - ٢٤] : "ما ذكر ما يقول إليه الكفار من النار، ذكر ما يقول إليه المؤمنون من الجنة، والفريقان هنا الكافر والمؤمن. ولما كان تقدم ذكر الكفار وأعقب بذكر المؤمنين، جاء التمثيل هنا مبدأ بالكافر فقال: كالأعمى والأصم. ويمكن أن يكون من باب تشبيه اثنين باثنين، فقبول الأعمى بالبصیر وهو طباق، وقبول الأصم بالسمیع وهو طباق أيضاً، والعمى والصمم آفتان تمنعان من البصر والسمع، وليسما بضدين، لأنه لا تعاقب بينهما. ويحتمل أن يكون من تشبيه واحد بوصفيه بواحد بوصفيه، فيكون من عطف الصفات..."



١ - البحر المحيط (٥/٢١٤).

المبحث الخامس

موقفه من بعض الفرق

أولاً : المعتزلة

والمعتزلة: سموا بذلك لاعتزال (واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد) - وهما من رؤسائهم - مجلس الحسن البصري رحمة الله؛ لقولهما إن الفاسق مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر. □

ذكر أبو حيان في مقدمة تفسيره مصادره التي اعتمد عليها في تفسيره ؟ ومن بينها كتاب (الكشاف) للزمخشري . وقد استفاد منه ونقل عنه كثيراً، إلا أنه لم يتأثر بمذهبه في الاعتزال؛ بل إنه ناقشه ورد و أغاظه عليه في مواضع كثيرة من البحر المحيط .

وهذا مما يحمد له ويشكر عليه؛ ويذكر في ميزاته التي عدت له ، وهو مسلك وسط وطريقة محمودة، في أخذ الحق من المخالف وترك الباطل الذي عليه ورده وبيانه حتى لا يغتر به عامة الناس، وخاصة فيما يتعلق بالعقائد. ومن أمثلة النقد للمعتزلة ما يلي :

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٩٦ ﴿وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ٩٧
- [يونس: ٩٦ - ٩٧] : ... وقال الزمخشري : قول الله تعالى الذي كتب في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره ، وتلك

١ - انظر : مقالات الإسلاميين (١/٢٣٥)، الملل والنحل (١/٣٨)، لوامع الأنوار البهية (١/٧٧٣).

كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد الله تعالى عن ذلك ^(□) انتهى . وكلامه أخيراً على طريقة الاعتزال . ^(□)

• وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ

جِمِيعًا أَفَإِنَّتَ تُكَرِّهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ٩٩] ... وقال الزمخشري : ولو شاء ربك مشيئة القسر وإلجلاء لآمن من في الأرض كلهم على وجه الإحاطة والشمول جميعاً ، مجتمعين على الإيمان ، مطبقين عليه ، لا يختلفون ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿أَفَأَنَّتَ تُكَرِّهُ النَّاسَ﴾ يعني إنما يقدر على إكراههم واضطراهم على الإيمان هؤلاء أنت . وإتلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدر عليه ، وإنما الشأن في المكره من هو ، وما هو إلا هو وحده ولا يشارك فيه ، لأنه تعالى هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان ، وذلك غير مستطاع لل بشير ^(□) انتهى . وقوله : مشيئة القسر

(١) الكشاف (٢٠٣/٢).

١ - قال الألوسي في روح المعاني (١١/١٩١) : "وفسر الزمخشري الكلمة بقول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر سبحانه به الملائكة أنهم يموتون كفاراً ، وجعل ذلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد ، ولا ضير في تفسير الكلمة بذلك إلا أن جعل الكتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد مبني على مذهب الاعتزال ، والذي عليه أهل السنة أن أفعال العباد بأسرها معلومة له تعالى ومراده ولا يكون إلا ما أراده سبحانه ، وعلمه عز شأنه وإرادته متوافقان ولا يجوز المخالفة بينهما ، ولا يتعلق علمه سبحانه إلا بما عليه شيء في نفسه ولا يريد إلى ما علم ولا يقدر إلا ما يريد ، ولا جبر هناك ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين".

٢ - البحر المحيط (١٩١/٥).

٣ - الكشاف (٢٠٤/٢).

قال ابن المنير : "وهذا من دسه الاعتزال مخلساً ، وخلط الباطل بالحق مدلساً ، ولم علم أن الآية تقتضي عدم مشيئة الله تعالى لإيمانخلق بصيغة الكلية ، وأنه إنما شاء ذلك من آمن لا من كفر إذ =

والإجاء (□) هو مذهب المعتزلة.

• وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَأَنَّتِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلِزْمَكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [٢٨] هود: ٢٨ [:] ... قال الزمخشري : (فإن قلت) : فما حقيقته؟ (قلت) : حقيقته أنّ الحجة كما جعلت بصيرة وبصرة جعلت عمياً ، لأنّ الأعمى لا يهتدي ، ولا يهدي غيره ، فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم ، كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد (فإن قلت) : فما معنى قراءة أبي؟ (قلت) : المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاتهم الله وتصميهم ، فجعلت تلك التخلية تعمية منه ، والدليل عليه : أنزلتمكموها وأنتم لها كارهون؟ يعني : أنكرهكم على قبولاً ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ،

مقتضى "لو" امتناع وكان ذلك راداً لمعتقده الفاسد ، إذ يزعمون أن الله تعالى شاء الإيمان من جميع أهل الأرض ، فلم يؤمن إلا بعضهم أخذ يحرف مشيئة الإيمان إلى مشيئة القسر والإجاء ، ليتم له أن المشيئة المرادة في الآية لم تقع ، إلا أنها نوافقة على أن الله تعالى ما قسر الخلق ولا سلب اختيارهم بل أمرهم بالإيمان وخلق لهم اختياراً له وقصدًا ، وهذا كما ترى لا يعد في التأويل بل هو أجدر بالتعطيل فوجوب رده وإقرار الظاهر على حاله ، نعوذ بالله من زيف الشيطان وإضلالة ، والله الموفق . الانتصاف (٢٠٤ / ٢) بحاشية الكشاف وفي كتاب المسائل الاعتزالية (١ / ٥٦٠) قال : " والأمر كما قال ابن المنير وهذه الآية وشبيهاتها لا تطيقها القدرة النفا ، لأنها مبطلة لقواعد عقائدهم الفاسدة في هذا الباب ، ولذلك يعملون جهدهم في تحريف معانيها وصرفها عن ظاهرها كما فعل الزمخشري هنا".

- ١ - قال القاضي عبد الجبار الهمданى المعتزلى فى كتابه متشابه القرآن ص ٧١١ : مسألة في الإجاء : أعلم أن الملجأ إلى الفعل لابد أن يقع منه ما ألحى إليه ، والملجأ ألا يفعل لابد من ألا يفعله ، وإنما يتغير حاله فيما ذكرناه بأن يتغير الإجاء عن أن يكون سبباً لمقارفته فيه أمراً ، ومفارقة أمره .
- ٢ - البحر المحيط (٥ / ١٩٣).

ولَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ^(□) انتهى . وتجيئه قراءة أبي[□] هو على طريقة المعزلة^(□).

• وقال عند الآية السابقة أيضا قوله ﴿أَنْلِزِ مُكْمُوْهَا﴾: ..وقال الزمخشري : وحکى عن أبي عمرو إسكان الميم ، ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة ، فظنها الراوي سكوناً . والإسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين ، لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر انتهى . وأخذه الزمخشري من الزجاج ... والزمخشري على عادته في تجھيل القراء وهم أجل من أن يتبس عليهم الاختلاس بالسكون^(□).

وغير ذلك من الأمثلة في تفسيره.

ثانيا : الصوفية:

قال أبو حيان في مقدمة تفسيره[□] : "وربما ألمت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبت كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ".

وقال في موضع آخر بعد نقله لبعض أقوالهم[□] : "وهذه الأقوال ينبو عنها اللفظ، ولهم فيما يذكرون ذوق وإدراك لم نصل نحن إليه بعد، وقد شحنت التفاسير بأقوالهم، ونحن ثلم بشيء منها؛ لئلا يظن أنا إنما تركنا ذكرها لكوننا لم نطلع عليها".

١ - الكشاف (٢١٣/٢).

٢ - البحر المحيط (٢١٧/٥).

٣ - البحر المحيط (٥/٢١٨-٢١٧).

٤ - البحر المحيط (١/١٠٤).

٥ - البحر المحيط (١/١٣٣).

وذلك لأن كلام الصوفية في تفسير القرآن .. ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة.^(١)

وقال ابن الصلاح^(٢) في فتاويه^(٣): "أنا أقول : الظن من يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ، وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن . فإن النظير يذكر بالنظر، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتتساهلو بمثل ذلك . لما فيه من الإبهام والإباس".

ومن نماذج ما ذكره عنهم ما يلي :

وهذا منهج في غاية الوضوح والدقة ، فهو يذكر بعض معاني كلامهم المناسب لمدلول اللفظ ، لظهورها ووضوحها؛ أما الأقاويل التي فيها تحمل للنص بما لا يتحمل من المعاني التي لا تليق فلا يذكرها بل يعرض عنها ويتجنبها . وذكره لها من كونه قد اطلع عليها لا لأن فيها كبير فائدة وقال : " قال ابن عطية : وهذه الآية يعطي ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله ، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي ، وإنما نبهنا هذا التنبيه حذراً من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي انتهى . وإنما قال : حذراً من مذهب الصوفية ، لأن بعضهم نقل عنه أن الولي أفضل من النبي ، وهذا لا يكاد يخطر في قلب مسلم . ولابن العربي الطائي كلام في الولي وفي غيره

١ - قاله الزركشي في البرهان (١٧٠/٢).

٢ - عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهير زوري، أبو عمرو إمام حافظ فقيه، توفي في سنة ٦٤٣ هـ. تذكرة الحفاظ (٤/١٤٣٠)، شذرات الذهب (٥/٢٢١).

٣ - قوله ذكره بعد نقله عن الواحدي المفسر قوله "صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق في التفسير . فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر." انظر البرهان (٢/١٧٠-١٧١).

نعوذ بالله منه .^(□)

هذا ما وجدته في الجزء المخصص مما نقله عنهم ، ويلاحظ التزامه بما قاله في المنهج وهذه ميزة تميز بها رحمة الله وهي التزامه كثيراً بما ذكره في المقدمة من المنهج الذي سار عليه في تفسير.

ثالثا : المفلاسفة :

ذكر بعض من ترجم لأبي حيان أنه مما قوي عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضي والطبيعي قال للسلطان: "إني قد كبرت ، وأخاف أن أموت ، فأرجي أن ترتب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم ؛ لينفعوا السلطان من بعدي ..."

قال أبو حيان : " فأشير إلى أن أكون من أولئك ، ويرتب لي راتب جيد ، وكسا ، وإحسان ، فتمتنعت ورحلت مخافة أن أكره على ذلك.^(□)"

فهذه دلالة واضحة على كرهه لما عليه الفلسفه ، وطرحه لمذهبهم ، ونقده لأقوالهم وعدم الالتفات لها . وإن نقل عنهم فإنما بنقل ما هو مقبول ، ويترك ما سواه وينقده .

وهذه نماذج من تفسيره ملخصاته عنهم :

- قال أبو حيان : " وذكر أبو عبد الله الرازي هنا كلاماً كثيراً ممزوجاً بما يسمونه حكمة ، نعلم قطعاً أنّ العرب لا تفهم ذلك الذي قرره من ألفاظ القرآن ، وطول في ذلك ، وضرب أمثلة حسية يوقف عليها من

١ - البحر المحيط (٥/١٧٣) عند آية (٦٢) سورة يونس . وقول ابن عطية في تفسيره سورة يونس آية (٦٢).

٢ - انظر بغية الوعاة (١/٢٨١) ، وطبقات الداودي (٢/٢٨٩) ، وشذرات الذهب (٦/١٤٦).

تفسيره ، ثم قال آخر كلامه : فالحاصل أن الموعظة إشارة إلى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة ، والشفاء إشارة إلى تطهير الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الطريقة ، والهدى إشارة إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة ، والرحمة إشارة إلى كونها بالغة في الكمال ، والإشراق إلى حيث تصير تكمل الناقصين وهي النبوة . فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه الألفاظ القرآنية ، لا يمكن تأخر ما تقدم ذكره ، ولا تقدم ما تأخر ذكره .^(□)

• وقال: " قال أبو عبد الله الرازى : أجاب بعض المحققين من وجهين : أحدهما : أن الاستثناء منقطع ، والآخر أن العزوب عبارة عن مطلق البعد ، والخلوقات قسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة كالملائكة والسموات والأرض ، وقسم أوجده بواسطة القسم الأول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد ، وهذا قد يتبع في سلسلة العلية والمملوکية عن مرتبة وجود واجب الوجود ، فالمعنى : لا يبعد عن مرتبة وجوده مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إلا وهو في كتاب مبين ، كتبه الله ، وأثبت صور تلك المعلومات فيها انتهى ، وفيه بعض تلخيص .^(□)

١ - البحر المحيط(١٦٩/٥) عند آية (٥٧) سورة يونس .

٢ - البحر المحيط (١٧١/٥) عند آية (٦١) سورة يونس.

هذا ورد في تفسيره عن فرق أخرى ^(□).

١ - كالباطنية فقال في مقدمة تفسيره (١٠٤/١) : " وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى، وعلى عليٍّ كرم الله وجهه، وعلى ذريته، ويسمونه علم التأويل ، وقد وقفت على تفسير لبعض رؤوسهم، وهو تفسير عجيب يذكر فيه أقاويل السلف مزدريا عليهم، وذاكرا أنه ما جهل مقالاتهم، ثم يفسر هو الآية على شيء لا يكاد يخطر في ذهن عاقل، ويزعم أن ذلك هو المراد من هذه الآية، وهذه الطائفة لا يلتفت إليها، وقد رد أئمة المسلمين عليهم أقاويلهم وذلك مقرر في علم أصول الدين، نسأل الله السلامة في عقولنا وأدياننا وأبداننا ". لم أذكرها لأنني لم أجده نقلًا في الجزء المخصص . وانظر أيضا أبي حيان وتفسيره لبدر البدر ص ١١٢.

الفصل الثاني

منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير

وفيه تمهيد ومحثان:

المبحث الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان

الأندلسي

و فيه ثلاثة مطالب

المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسى

و فيه أحد عشر مطلبًا

التعريف

أولاً : تعريف الترجيح :

الترجح في اللغة^(□) : مادة (الراء، والجيم، والخاء). وهي مصدر: رجح، يرجح ، ترجيحاً .

وأصلها في اللغة تدل على الرزانة والزيادة والميل والثقل، يقال : رجح الشيء وهو راجح إذا رزن.

ويقال : أرجح الميزان أي : أثقله حتى مال . وترجحت الأرجوحة بالغلام أي مالت .

الترجح في الاصطلاح : تقوية أحد الطريقين على الآخر، ليعلم الأقوى، فيعمل به ، ويطرح الآخر^(□) .

والمراد به في التفسير : تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية على غيره لوجود مزية تقدمه على الأقوال الأخرى . فإنه " من المعلوم أنه عند تنازع الخصمين تخالف مزاعمهمَا نفيا وإثباتا ، فيحتاج في فصل الخصومة إلى مر جح يرجح به في مبدأ الأمر زعم أحدهما على زعم الآخر".^(□)

ثانياً: تعريف الاختيار:

الاختيار في اللغة^(□): مادة (الخاء ، والياء ، والراء) مشتق من الخير .

١ - انظر تهذيب اللغة (٤٢/٤)، الصحاح (١)، معجم مقاييس اللغة (٣٦٤/١)، لسان العرب (٢٨٩/٢)، (٤٤٥/٢).

٢ - المحصول في علم الأصول (٥٢٩/٥). وانظر أصول السرخسي (٢٤٩/٢)، والمحصول لابن العربي ص ١٤٩.

ملاحظة : قد يطلق البعض الترجيح على الاختيار والعكس ، فلا فرق بينهما ، وفرق آخرون.

٣ - قاله أحمد الزرقا في كتابه : شرح القواعد الفقهية . ص ١٠٥ .

٤ - انظر العين للخليل بن أحمد (٤/٣٠١) تهذيب اللغة (٧/٢٢٤)، معجم مقاييس اللغة (٢/٢٣٢)، وتاج =

وأصلها الميل والاعطف والانتقاء والاصطفاء

يقال : خار الشيء يخير ، صار ذا خير ، واختاره وتخيره : انتقاء ومال إليه ،
ويقال □ خار الرجل على غيره خيرة وخيرا : فضله ، والاختيار الاصطفاء
ومنه قوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَخْرَجْنَاكَ فَاسْتَعِمْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣] . أي فضلتك
واصطفيتك .

فالاختيار: طلب ما فعله خير □.

الاختيار في الاصطلاح : بناء على المعنى اللغوي لكل من الترجيح
والاختيار نستطيع أن نضع هذا التعريف للاختيار في اصطلاح العلماء :
وهو: اصطفاء شيء من أشياء لدليل يقويه .

ونستطيع أن نضع له التعريف التالي عند المفسرين:
وهو: اصطفاء قول من أقوال المفسرين لدليل يقويه . □ وعرفه البعض بأنه :
ترجيح الشيء وتقديمه على غيره □.
والمراد به في التفسير : الميل إلى أحد الأقوال في التفسير .

الفرق بين الترجيح والاختيار:

والفرق بين الترجيح والاختيار العموم والخصوص فكل اختيار ترجح
وليس كل ترجح اختياراً.

لأنه من الممكن أن يقوى مفسر رأياً على آخر ومع ذلك لا يميل إليه ولا
يختاره .

وهذا لفظان إن اجتمعا افترقا وإن افترقا اجتمعا مثلهما في ذلك مثل

= العروس (٢٤١/١١).

١ - التوقيف على مهامات التعاريف ص ٤٢ . والكليات ص ٦٢ .

٢ - من إملاء: أ.د/ جمال مصطفى النجار، المشرف على الرسالة.

٣ - قواعد الفقه لمحمد المجددي ص ١٦٤ .

كثير من الألفاظ العربية والشرعية ^(□).

هذا مع حاجتهما إلى دليل لبيان وجه الترجيح والاختيار .

قال ابن تيمية : "أما الترجح بمجرد الاختيار، بحيث إذا تكافأت عنده الأدلة يرجح إرادته و اختياره، فهذا ليس قول أحد من أئمة الإسلام ... فالترجح الإرادة التي لا تستند إلى أمر علمي باطن ولا ظاهر لا يقول به أحد من أئمة العلم". ^(□)

وعلى هذا يكون مدار الترجح والاختيار على الآيات التي وقع اختلاف في تفسيرها وبيان معناها فقط. أما ما لم يقع فيه خلاف فلا يدخل ضمنها.

١ - من توجيهات :أ.د/ جمال مصطفى النجار، المشرف على الرسالة.

٢ - مجموع الفتاوى (٤٧٢/١٠).

المبحث الأول

صيغ الترجيح وأساليبه

عند أبو حيان الأندلسي

و فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التصرير بالقول المراجع أو بعبارة تشبه
التصريح.

المطلب الثاني : التفسير بقول مع النص على شعفه نميره.

المطلب الثالث : التفسير بالقول المراجع وذكره بصيغة الجزء
وذكر الأقوال الأخرى بصيغة تدل على الشعف أو أن نميرها مقدمه
عليها.

المطالبة الأول

التصريح بالقول المراجع أو بعبارة تشبه التصريف.

تعتبر هذه الصيغة من أشهر وأبرز وأقوى الصيغ عند المفسرين ، لأنه يراد بها الأخذ بهذا القول ورد ما سواه من الأقوال .

وأبو حيان من أورد في تفسيره هذه الصيغة بصرح العباره أ و ما يشبهها

في الترجيح، فمن ذلك قوله:

• فشم ها هنا ^(□).

• هذا يشهد للقول ...^(□)

• والذي أقوله ...^(٣)

• ونحو هذا من ...الذى هو صحيح المعنى ...^(□)

• وهذا أظهر...^(□)

• وحمله على الظاهر أولى ..^(□)

• والظاهر ...^(□)

• ولو صح هذا ... لم يعدل عنه...^(□)

• والذي يظهر ...^(□)

١ - البحر المحيط (١٦٤/٥).

٢ - البحر المحيط (١٦٤/٥).

٣ - البحر المحيط (١٩٠/٥).

٤ - البحر المحيط (٢٠١/٥).

٥ - البحر المحيط (٢٠١/٥).

٦ - البحر المحيط (٢٠٤/٥).

٧ - البحر المحيط (٢٠٦/٥) و ٢١٠ و ٢١٨ و ٢٢٠ و ٢٢٥ و ٢٢٧ و ٢٢٩ و ٢٣٤ و ٢٣٦ وهي كثيرة في تفسيره .

٨ - البحر المحيط (٢٠٥/٥).

٩ - البحر المحيط (٢٠٩/٥) و ٢١٢ و ٢٤٣ و ٣٠٧ و ٣٢٥.

- والظاهر من هذه الأقوال حمله على ...
□
- والذي يدل عليه ظاهر الآية ...
□
- الأحسن أن ...
□
- وهذا أظهر ...
□
- الأصح أنه ...
□
- والذي اختاره ...
□
- وينبغي أن يحمل ذلك على ...
□
- هو الصحيح ...
□
- والأولى ...
□

والملاحظ للعبارات السابقة التصريح بالترجح أو ما يشبه التصريح، وأن اختلفت الصيغة. فالاختلاف هنا اختلف تنوّع في اللفظ لا اختلف تضاد في الدلالة.

ويعود ذلك والله أعلم إلى مدى تيقن القائل بقوة ما ذهب إليه.
فقوة العبارة تدل على قوة الدليل أو وضوّه فيما رجحه القائل.

-
- ١ - البحر المحيط (٢٢٣/٥).
 - ٢ - البحر المحيط (٢٢٦/٥).
 - ٣ - البحر المحيط (٢٤٦/٥).
 - ٤ - البحر المحيط (٢٨٤/٥).
 - ٥ - البحر المحيط (٢٩٤/٥).
 - ٦ - البحر المحيط (٢٩٥/٥ و ٣١٠).
 - ٧ - البحر المحيط (٣٠٨/٥).
 - ٨ - البحر المحيط (٣٣٩/٥).
 - ٩ - البحر المحيط (٣٥٣/٥).

وتنوع العبارة دلالة على اتساع قاموس القائل من حيث كثرة العبارات
المعبرة عن معنى واحد وهو الترجيح لقول من الأقوال والاستدلال له بأدلة
متنوعة حسب ما ظهر للمرجح.



المطلب الثاني: التفسير بقول مع النص علمي خعمه غيره

المقصود بهذه الطريقة هو أن يذكر المفسر في معنى الآية قولين أو أكثر، ثم يورد عبارة تدل على تضعيف أحد الأقوال صراحة، أو وصفه بالبعد أو الغرابة... أو غير ذلك من الأقوال المعبرة عن رده القول. وترجح ما سواه. فالقول الراجح يستدل عليه برد ما سواه من الأقوال الواردة في تفسير الآية. وقد ذكر ابن عبد البر اعتبار أهل العلم لهذه الطريقة في الترجيح ، وعدم اختلافهم عليها فقال : "لَا خلاف بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ أَنَّ الْمُسَأَلَةَ إِذَا كَانَ فِيهَا وَجْهَانَ ، فَقَامَ الدَّلِيلُ عَلَى بَطْلَانِ الْوَجْهِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا ، أَنَّ الْحَقَّ فِي الْوَجْهِ الْآخَرِ ، وَأَنَّهُ مُسْتَغْنٌ عَنْ قِيامِ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّتِهِ ، بِقِيامِ الدَّلِيلِ عَلَى بَطْلَانِ ضَدِّهِ".^(□)

وأبو حيان من استعمل هذه الطريقة وهي ظاهرة لمن قرأ تفسيره، فمن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- ولا حجة فيما سمعه ...^(٣)
- وهذا فيه بعد^(□)
- ولا يظهر هذا التوجيه ...
- وليس كما ذكر ...
- وما ذكر هنا .. ليس من باب ...
- ولعله لا يصح...

١ - التمهيد (٢٠/١٩٩).

٢ - البحر المحيط (٥/١٦٧).

٣ - البحر المحيط (٥/١٦٨ و ١٦٧).

٤ - البحر المحيط (٥/١٧٤).

٥ - البحر المحيط (٥/١٧٦).

٦ - البحر المحيط (٥/١٨١).

- وهذا ضعيف لأن...
□
- وأبعد من ذهب إلى...
□
- ولا يتحرر بأنه أراد به ...
□
- وقول من قال ... ضعيف
□
- وهذه أقوال متعارضة...
□
- ويبعد ذلك ...
□
- تكون ... فيه تكلف وتعسف لا يليق بالقرآن.
□
- ولو لا أن هذه الأقوال سطرت في كتب التفسير لضررت عن ذكرها
صفحأً...
□□
- ويبعد جدا ..
□□
- وقد ظهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق
ذكره...
□□
- وما ذكره ... من هذا الاحتمال لا يسوغ .
□□□

= ١ - البحر المحيط (٢٠٩ و ١٩٢ / ٥).

٢ - البحر المحيط (٢٠٢ / ٥).

٣ - البحر المحيط (٢٠٣ / ٥).

٤ - البحر المحيط (٢٠٩ / ٥).

٥ - البحر المحيط (٢٢١ / ٥).

٦ - البحر المحيط (٢٢٣ / ٥).

٧ - البحر المحيط (٢٢٥ / ٥).

٨ - البحر المحيط (٢٢٩ / ٥).

٩ - البحر المحيط (٢٧٣ / ٥).

١٠ - البحر المحيط (٢٩٤ / ٥).

١١ - البحر المحيط (٢٩٥ / ٥).

١٢ - البحر المحيط (٣١٦ / ٥).

- وهذا التخصيص لا وجه له..^(□)
 - وهذا شاذ ...^(□)
 - وهذا البدع من التفسير مروي عن ... وهو في غاية البعد، بل في غاية الامتناع.^(۲)
 - ولفظة...تأبى هذين التفسرين...^(۴)
- ونحو ذلك من العبارات التي تدل على تضعيف قول يقابلها ترجيح الآخر الذي لم يضعفه.



١ - البحر المحيط (٣١٨/٥).

٢ - البحر المحيط (٣٢١/٥).

٣ - البحر المحيط (٣٤١/٥).

٤ - البحر المحيط (٣٤٢/٥).

المطلب الثالث: التفسير بالقول الراجح، وذكره بصيغة الجزم، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة تدل على الصعف أو أن غيرها قد هم عليها.

اعتمد العلماء من أهل الحديث ^(□) صيغة الجزم بالقول الراجح على الألفاظ المبنية للفاعل كقال وروى وذكر ... ونحوها دليل على صحة القول .

وأما الألفاظ المبنية للمفعول كقيل وروي وذكر ... ونحوها فهي صيغة تدل على ضعف القول وتعرف بصيغة التمريض عندهم .

أما المفسر فإنه يذكر أحيانا عدة أراء يصدرها بما يختاره ويثنى عليها بغيره دون إرادة التضعييف .

قول المفسر : وقيل كذا لا يدل بجزمه على ضعفه لأن تلك الصيغة في استعمال المفسرين ليست كاستعمال المحدثين لها . ^(□)

وقد استعمل أبو حيان هذه الصيغة وهي موجودة بكثرة في البحر المحيط . ومن أمثلة ذلك مايلي :

- قال أبو حيان : "والظاهر عود الضمير في (منه) على العذاب ... وقيل : ععود على الله . ^(□)
- قال أبو حيان : " (أحق هو) الضمير عائد على العذاب، وقيل : على الشرع والقرآن ، وقيل : على الوعيد ، وقيل : على أمر الساعة . ^(□)
- قال أبو حيان : "والظاهر أن الجمل بعده من كلام موسى ^{الكتاب} ، وقيل : هذه الجمل من كلام الله . ^(□)

وأبو حيان عند استعماله لهذه الصيغة كثيرا ما يقدم كلمة (الظاهر) وما في

١ - انظر : الباعث الحيث ص ٣١، تدريب الراوي (٩٠ / ١)، النكت على ابن الصلاح (٣٢٦ / ١)، (٣٣٣، ٣٢٦).

٢ - من توجيهات فضيلة المشرف على الرسالة أ.د/ جمال مصطفى النجار، وفقه الله.

٣ - البحر المحيط (١٦٦ / ٥). وكذا (١٨٨ / ٥، ١٩٠، ٢٠٣، ٢٠٦).

٤ - البحر المحيط (١٦٦ / ٥). وكذا (١٩٢ / ٥، ٢٠٢، ٢٠٦).

٥ - البحر المحيط (١٨٢ / ٥).

معناها قبل القول الراجح عنده كما في المثال الأول المذكور وأحياناً يقدم القول الـ راجح من غير كلمة الراجح، ثم يذكر الأقوال المرجوحة. كما في المثال الثاني .



المرجع الثاني

وجوه الترجيح عند أبو حيان الأندلسي

وفي أحد عشر مطلبًا :

المطلب الأول : الترجيح بالظائر القرآنية .

المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن .

المطلب الثالث : الترجيع بالقراءاته .

المطلب الرابع : الترجيع بالحديث النبوي .

المطلب الخامس : الترجيع بأسبابه النزول .

المطلب السادس : الترجيع بالذاسن والمنسوخ .

المطلب السابع : الترجيع بالعموم .

المطلب الثامن : الترجيع بالمطلق .

المطلب التاسع : الترجيع بالمفهوم .

المطلب العاشر : الترجيع بالسياق .

المطلب العادي عشر : الترجيع باللغة .

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية

من المعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن من أصح الطرق وأقواها وأولاها في التفسير. وعليه فإن الترجيح بدلالة آية أو آيات قرآنية ، يعد مما يقدم من وجوه الترجيح ، بل هو أولها وهو المعتمد عند حدوث الاختلاف^(□) ، لأن تأييد القرآن له يدل على صحته واستقامته ، لكن لا يقطع بصحته إلا إن كان الذي فسره رسول الله ﷺ، أو وقع عليه الإجماع ، أو صدر عن أحد الصحابة ولا يعلم له مخالف^(□) .

وقد اعتمد أبو حيان هذا الوجه في الترجيح في البحر المحيط، يجده الناظر فيه لأول وهلة، و من أمثلة ذلك:

- قال أبو حيان : " وفائدة قوله : قوم هود مزيد التأكيد للمبالغة في التنصيص ، أو تعين عاد هذه من عاد إرم ، لأن عاد اثنان ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ أَهْلُكَ عَادًا أَلْأَوَى﴾ [النجم: ٥٠] ؛ فتحقق أن الدعاء على عاد هذه، ولم تلتبس بغيرها."^(□)
- قال أبو حيان : " وابيضاض عينيه من توالى العبرة، فينقلب سواد العين إلى بياض كدر. والظاهر أنه كان عمي لقوله: فارتدى بصيراً. وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٩] فقابل البصیر بالأعمى."
- قال أبو حيان : " والكمظيم إما للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب

١ - وقد ذكر ذلك بعض الأصوليين كما في العدة للقاضي أبي يعلى (٣/٤٦)، والبحر المحيط للزرتشي (٦/١٥٧).

٢ - قواعد التفسير لخالد السبت (١/٩١).

٣ - البحر المحيط (٥/٢٣٥).

٤ - البحر المحيط (٥/٣٣٣).

أي: شديد الكظم كما قال ﴿وَالْكَّاظِمِينَ الْفَحِيط﴾ [آل عمران: ١٣٤]،
ولم يشك يعقوب إلى أحد، وإنما كان يكتمه في نفسه، ويمسك همه في
صدره، فكان يكتظمه أي: يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشکوى والغضب
(□).
والضجر.

١ - البحر المحيط (٥/٣٣٣).

المطلب الثاني: الترجيح بظاهر القرآن

الأصل في نصوص القرآن أنه تحمل على ظواهرها، وتفسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ.

والمراد بظاهر اللفظ: هو ما يتبادر إلى الذهن من المعاني. (□)

وقد اعتمد أهل العلم هذه القاعدة في الترجيح، ونصوا على أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه. (□)

وقد قال الشافعي رحمه الله: "فسن الرسول ﷺ الوضوء مرة، فوافق ذلك ظاهر القرآن." (□)

ومن قعد هذا الوجه في الترجيح أبو حيان في تفسيره فقد غلب عليه استعمال الظاهر عرضاً وترجحاً، ومن ذلك:

- قال أبو حيان: "قد جادلنا ظاهر المبالغة في الخصومة." (□)
- قال أبو حيان: "والظاهر عود الضمير على تلك النسوة القائلة ما قلن عنها." (□)
- قال أبو حيان: "والظاهر أن الأيدي هي الجوارح المسماة بهذا الاسم.." (□)



١ - تفسير ابن جزي (٩/١) المقدمة .

٢ - قواعد الترجيح لحسين الحربي (١٣٧/١).

٣ - الرسالة ص ١٦٤.

٤ - البحر المحيط (٢١٧/٥).

٥ - البحر المحيط (٣٠١/٥).

٦ - البحر المحيط (٣٠٣/٥).

المطلب الثالث: الترجيح بالقراءات

إن الترجيح بالقراءات من الوجوه المعتمدة عند أهل العلم، لما تقرر عندهم من أن التنوع في القراءات وتعددتها بمثابة تعدد الآيات.

قال النحاس في ذلك : "إذا قرئ الحرف على وجوه، فهو بمنزلة آيات، كل واحدة تقييد معنى".^(□)

وقال ابن تيمية مفصلاً : " وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة تعدد الآية مع الآية ، يجب الإيمان بها كلها ، وإتباع ما تضمنه من المعنى عملاً، لا يجوز ترك موجب إدراهما لأجل الأخرى، ظناً أن ذلك عارض".^(□)

بل إن بعض العلماء جعل القراءة الشاذة مفسرة ومبنية لمعنى القراءة المتواترة المشهورة.^(□)

وأبو حيان من تقرر عنده ذلك، فقد ذكر في مواضع من تفسيره ذلك صراحة.

- **قال :** والظاهر أن الضمير في أنه عائد على ابن نوح لا على النداء المفهوم من قوله: ونادى المتضمن سؤال ربه، وجعله نفس العمل مبالغة في ذمه كما قال : فإنما هي إقبال وإدبار، هذا على قراءة جمهور السبعة .
- وقرأ الكسائي : عمل غير صالح جعله فعلاً ناصباً غير صالح، وهي قراءة: علي، وأنس، وابن عباس، وعائشة، وروتها عائشة وأم سلمة عن النبي ﷺ، وهذا يرجح أن الضمير يعود على ابن نوح وكون الضمير في أنه عائد على غير ابن نوح عليه السلام تكلف وتعسف لا

١ - إعراب القرآن (٤/١٨٠).

٢ - مجموع الفتاوى (١٣/٣٩١).

٣ - فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٩٥ والأتقان (١١/٢١٩).

يليق بالقرآن..^(□)

- وقال في أن القراءة الشاذة تفسير القراءة المتواترة : " وقرأ أبي وعبد الله: (أعصر عنباً)، وينبغي أن يحمل ذلك على التفسير لخالفته سواد المصحف، وللثابت عنهم بالتواتر قراءتهما أعصر حمراً... وفي مصحف عبد الله: (فوق رأسي ثريداً تأكل الطير منه) ، وهو أيضاً تفسير لا قراءة.^(□)



١ - البحر المحيط (٢٢٩/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .
٢ - البحر المحيط (٣٠٨/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

المطلب الرابع : الترجيح بالحديث النبوي

إن اعتماد الحديث النبوي في الترجيح بين الأقوال من القواعد الأساسية والمهمة، فالرسول ﷺ أعلم الخلق بتفسير كلام الله كما قال تعالى ﴿وَأَنَّا لِإِلَيْكَ أَعْلَمُ بِالْخَلْقِ بِتَفْسِيرِ كَلَامِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى﴾ [النحل: ٤٤].

وقد قرر كثير من المفسرين قواعد في تقديم التفسير النبوي للأية على ما سواه ومنهم أبي حيان كما جاء ذلك في عدة مواضع من تفسيره البحر المحيط منها :

- قال أبو حيان : "قال": قيل: هذه الآية اعترضت في قصة نوح، والأخبار فيها عن قريش . يقولون ذلك لرسول الله ﷺ أي: افترى القرآن، وافتري هذا الحديث عن نوح وقومه، ولو صح ذلك بسند صحيح لوقف عنده..^(□)
- قال أبو حيان : "والمراد غلبة الماء وظهور العذاب كما قال ﷺ لشدة الحرب (حمي الوطيس) والوطيس أيضاً مستوقد النار.."^(□)
- قال أبو حيان : "فشهد شاهد من أهلها . فقال أبو هريرة رضي الله عنه، وابن عباس، والحسن، وابن جبير، وهلال بن يساف، والضحاك : كان ابن خالتها طفلاً في المهد أنطقه الله تعالى ليكون أدل على الحجة وروي في الحديث: ((إنه من الصغار الذين تكلموا في المهد)) وأسنده الطبرى. وفي صحيح البخارى وصحيح مسلم : ((لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، عيسى بن مرريم، وصاحب جريح، وابن السوداء))."^(□).

١ - البحر المحيط (٢٢٠/٥).

٢ - البحر المحيط (٢٢٣/٥).

٣ - البحر المحيط (٢٩٧/٥) ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني، كما سيأتي .

المطلب الخامس : الترجيح بأسبابه التزول

الترجح بأسباب التزول من الوجوه المعتمدة عند المفسرين ، فالقول الذي يؤيده سبب التزول مقدم على ما سواه من الأقوال^(□) .

وأبو حيان من استعمل هذا الوجه فمن أمثلته:

- قال أبو حيان : " فالضمير في (منه) على قوله عائد على الله، قال ابن عطية: وهذا هو الأفصح الأجزل في المعنى انتهى. ويظهر من بعض أسباب التزول أنه عائد على الرسول ﷺ كما قال ابن عطية. قال: قيل: إنّ هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسول الله ﷺ
طمأنوا وثنوا صدورهم كالمستر، ورددوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بشبابهم تباعداً منهم وكراهيّة للقائه، وهم يظنون أنّ ذلك يخفى عليه أو عن الله تعالى فنزلت الآية انتهى . فعلى هذا يكون ليستخفوا متعلقاً بقوله يشنون."^(□)



١ - انظر قواعد الترجح عند المفسرين (٢٤١/١).

٢ - البحر المحيط (٥/٢٠٣-٢٠٤). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

المطلب السادس: الترجيح بالناسخ والمنسوخ

استعمل أهل العلم من المفسرين وغيرهم الترجح بالناسخ والمنسوخ ضمن شروط وضوابط معينة^(□).

والنسخ في اللغة : إزالة الشيء بشيء يتعقبه ، كنسخ الشمس الظل ، والظل الشمس ، فتارة يفهم منه الإزالة ، وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمان.^(□)

وفي الاصطلاح: رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم ، بخطاب متراخ عنه.^(□)
وأبو حيان من العلماء الذين ذهبوا إلى الترجح بالناسخ والمنسوخ .

١ - منها "إذا أمكن العمل بالأيتين فلا معنى للقول بالنسخ" وأن "القياسات والتلميذات لا يؤخذ بها في الناسخ والمنسوخ ، وإنما يؤخذ الناسخ والمنسوخ بالتيقن والتوقيف" عند الخلاف "الصواب أن يقال : ليست بناسخة ولا منسخة ؛ لأن العلماء تنازعوا فيها". انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس (١٢/٣) و(١٣/٢) و(٤٦٨/١).

٢ - مفردات الراغب ص ٨٠١ ، لسان العرب (٦١/٣) مادة (نسخ).

٣ - روضة الناظر مع شرحها (١٩٠/١).

المطلب السابع: الترجيح بالعموم

ذهب أهل التفسير إلى الترجح بالعموم، وجعلوه دليلاً معتبراً، وحججاً قوية لترجح الأقوال.

واعلم أن القرآن إذا أتت الكلمة منه تعمّ ما تحتها حملت على ذلك من عمومها حتى يأتي ما يخصصها فتحمل عليه.^(□)

والمراد بالعموم : هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد^(□).

ويستدل على عموم اللفظ بقبوله الاستثناء منه، إلا في العدد^(□).

للعموم صيغ كثيرة منها : "كل"، و"من"، و"ما"، و"جميع"، و"عامة"، و"كافة"، و"قاطبة"، و"أين"، و"كيف"، وإذا الشرطية، والأسماء الموصولة، والنكرة في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام وغيرها^(□).

وقد يكون معنوياً غير لفظي وهو ما يعرف بالعموم المعنوي.^(□)

قال الشافعي: "ولا يقال بخاص في كتاب الله ولا سنة إلا بدلالة فيهما أو في واحد منهما. ولا يقال بخاص حتى تكون الآية تحتمل أن يكون أريد بها ذلك الخاص، فأما ما لم تكن محتملة له فلا يقال فيها بما لم تحتمل الآية."^(□)

وأبو حيان اعتمد في تفسيره هذا الوجه فمن أمثلتها:

١ - قاله مكي بن أبي طالب في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٠١.

٢ - العدة لأبي يعلى (١٤٠/١)، والمحصول في علم الأصول للرازي (٣٠٩/٢)، إرشاد الفحول ص ٩٨.

٣ - العدة لأبي يعلى (٥٠٠/٢)، وشرح الكوكب المنير (١٥٣/٣).

٤ - إحكام الفصول في أحكام الأصول للباجي (٢٣٧/١)، المستصفى (٢١٨/٣)، الإحكام للأمدي (٢٠٣/٢).

٥ - البحر المحيط للزركشي (١٤٦/٣)، شرح الكوكب المنير (١٥٤/٣).

٦ - الرسالة ص ٢٠٧.

- عند تفسير قوله تعالى ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعْدِيهِ ﴾ [هود: ٨٣] قال: "والظاهر عموم الظالمين." □
- عند تفسير قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٠] قال: "الإشارة بذلك إلى ما تقدم من ذكر الأنبياء وقومهم، وما حل بهم من العقوبات، أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى. ويحتمل أن يعني بالقرى أولئك المهلكون المتقدم ذكرهم، وأن يعني القرى عموماً أي : هذا النبأ المقصوص عليك هو ديدن المدن إذ كفرت، فدخل المدن المعاصرة. والضمير في منها عائد على القرى." □
- عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ كُلَّا لَمَّا لَيَوْفَيْنَاهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴾ [هود: ١١١] قال: "الظاهر عموم كل وشموله للمؤمن والكافر." □
- عند تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظُ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] قال: "أجعلني على خزائن الأرض أي : ولني خزائن أرضك إني حفيظ أحفظ ما تستحفظه، عليم بوجوه التصرف . وصف نفسه بالأمانة والكفاءة وهو مقصود الملوك من يولونه، إذ هما يعمان وجوه التثقيف والحياطة، ولا خلل معهما لقائل . وقيل: حفيظ للحساب، عليم بالأ لسن. وقيل: حفيظ لما استودعتني، عليم ببني

١ - البحر المحيط (٢٥٠/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

٢ - البحر المحيط (٢٥٩/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

٣ - البحر المحيط (٢٦٦/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

الجوع. وهذا التخصيص لا وجه له.^(□)



١ - البحر المحيط (٣١٨/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

المطلب الثامن: الترجيح بالمطلقة

ذهب أهل التفسير في الترجيح تقديم المطلق على المقيد ما لم يدل دليل عليه^(١).

قال الزركشي : إن وجد دليل على تقيد المطلق صير إليه، وإلا فلا، والمطلق على إطلاقه، والمقييد على تقييده ..^(٢)
والمراد بالمطلق: هو المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه.
وأبو حيان اعتمد على الترجح بالمطلق ومن ذلك^(٣) :

• عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].

قال أبو حيان : " عن ابن عباس : لما نزلت وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال : ((أنا منذر)) وأومنا بيده إلى منكب عليّ وقال : ((أنت الهاادي يا عليّ، بك يهتدى من بعدي))... وإن صح ما روی عن ابن عباس مما ذكرناه في صدر هذه الآية، فإنما جعل الرسول ﷺ عليّ بن أبي طالب مثلاً من علماء الأمة وهداتها إلى الدين، فكانه قال : أنت يا عليّ هذا وصفك، ليدخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وسائر علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ثم كذلك علماء كل عصر، فيكون المعنى على هذا: إنما أنت يا محمد منذر، ولكل

١ - ومن ذكر هذه القاعدة ابن جزي في تفسيره (٩/١) المقدمة.

٢ - البرهان (٢/١٥).

٣ - روضة الناظر مع شرحها (٢/١٩١)، شرح مختصر الروضة للطوفى (٢/٦٣٠).

٤ - انظر ترجيحه عند تفسير الآية ٢٥ من سورة البقرة في تفسيره (١/٢٥٩).

قوم في القديم والحديث دعاء هداة إلى الخير.^(□)

فيفهم منه وجود دعاء إلى الهدى على مر العصور،
وعدم تقييد ذلك
بشخص معين أو زمن معين.

١ - البحر المحيط (٥/٣٦٠). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

المطلب السادس: الترجيح بالمفهوم

المراد بالمفهوم: هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق. ^(□)

قال السيوطي : واختلف في الاحتجاج بهذه المفاهيم وهو قسمان مفهوم الموقفة ومفهوم المخالفة ^(□) على أقوال كثيرة، والأصح في الجملة أنها كلها حجة بشرط ^(□) ^(□).

وأبو حيان من اعتمد هذا الوجه في الترجيح فمن ذلك :

- عند تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا يَتَّسِعُ الْأَذْنَينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءٌ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس: ٦٦] . قال: والظاهر أنّ ما نافية، وشركاء مفعول يتبع، ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى تقديره: آلة أو شركاء أي : أنّ الذين جعلوهم آلة وأشركواهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة، إذ الشركة في الألوهية مستحيلة، وإن كانوا قد أطلقوا عليهم اسم الشركاء. ^(□)

١ - وهو قسمان مفهوم موافقة وأنواعه هي : فحوى الخطاب ، ولحن الخطاب ، ومفهوم مخالفة وأنواعه هي : مفهوم صفة ، وغاية ، وشرط ، وحصر ، انظر شرح الكوكب المنير (٤٧٣/٣) ، الإتقان للسيوطى (٩٦/٣) ، إرشاد الفحول ص ١٥٦ ، مباحث في علوم القرآن للقطان ص ٢٥٩.

٢ - أي مفهوم الموقفة وأنواعه ، ومفهوم المخالفة وأنواعه .

٣ - منها :

١- ألا يكون خرج الغالب فلا مفهوم للحجور في قوله : ﴿وَرَبِّكُمْ أَلَّا تَرَى فِي حُجُورِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] . لأن الغالب كون الربائب في حجور الأزواج .

٢- ألا يكون المذكور لبيان الواقع فلا مفهوم له كقوله : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يُبْرَهِنَ لَهُ﴾ [المؤمنون: ١١٧] . لأن الواقع أن أي إله لا برهان عليه ، انظر الإتقان (٩٧/٣) مباحث في علوم القرآن ص ٢٥٤

٤ - الإتقان (٩٧/٣).

٥ - البحر المحيط (١٧٤/٥).

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَيْنَهُ مَا لَأَعْلَمُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلْقُوْرَبِهِمْ وَلَنِكْتَبَ أَنِّكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [٢٩] هود: ٢٩] قال: "والضمير في (عليه) عائد إلى الإنذار، وإفراد الله بالعبادة المفهوم من قوله لهم ﴿أَلَا تَعْبُدُوْإِلَّا اللَّهُ إِنَّمَا لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [٢] هود: ٢" (□)



المطلب العاشر : الترجيح بالسياق

اعتمد كثير من أهل التفسير وغيرهم وجه الترجيح بدلالة السياق،
وذكروا أنه "متفق عليها في مجاري كلام الله".^(١)

والمراد بالسياق عندهم: هو دلالة سابق النص القرآني ولاحقه على المعنى
المراد^(٢)، وقد قال مسلم بن يسار^(٣) رحمه الله: "إذا حديث عن الله فقف حتى
تنظر ما قبله وما بعده".^(٤)

فدلالة السياق من الأمور التي تعين على فهم المعنى عند الإشكال^(٥).

"إذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة
للسياق، كان الحمل عليه أولى".^(٦)

وأبو حيان من رجح في تفسيره بدلالة السياق فمن ذلك :

- قال أبو حيان : "والظاهر أنّ بني إسرائيل هم الذين كانوا آمنوا بموسى
ونجوا من الغرق، وسياق الآيات يشهد لهم".^(٧)
- قال أبو حيان : "بني الفعل للمفعول، فقيل : القائل هو الله تعالى، وقيل :
الملائكة تبليغاً عن الله تعالى. والظاهر الأول لقوله : من".^(٨)
- قال أبو حيان : "وقولهم: منع منا الكيل، إشارة إلى قول يوسف العليّة اللهم :

١ - البحر المحيط للزركشي (٣٥٧/٤).

٢ - تفسير ابن جزي (٩/١) المقدمة .

٣ - مسلم بن يهيا البصري ، أبو عبدالله المكي ، إمام قدوة ثقة فقيه توفي سنة ١٠٠هـ . انظر تهذيب الكمال (٢٦١/٢٧)، سير أعلام النبلاء (٤/٥١٠)، الكاشف (٢/٥٥١).

٤ - فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٢٩ . تفسير ابن كثير (١/٤٢) المقدمة .
٥ - البرهان للزركشي (٢/٢٠٠).

٦ - الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ص ٢٢٠ .
٧ - البحر المحيط (٥/١٩٠).

٨ - البحر المحيط (٥/٢٣١).

فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي . ويكون منع يراد به في المستأنف، وإلا فقد كيل لهم . وجاؤوا أباهم بالميرءة، لكنْ لما أنذروا بمنع الكيل قالوا: منع . وقيل: أشاروا إلى بعير بنiamين الذي منع من الميرءة، وهذا أولى بحمل منع على الماضي حقيقة، ولقولهم: فأرسل معنا أخانا نكتل، ويقويه قراءة يكتل بالياء أي : يقتل أخونا، فإنما منع كيل بغيره لغيبته، أو يكن سبيلاً للاكتيال . فإن امتناعه في المستقبل تشبيه، وهي قراءة الأخوين.^(١).



١ - البحر المحيط(٣٢٠/٥).

المطلب الثاني عشر : الترجيح باللغة

يعتبر تفسير البحر المحيط لأبي حيان من المراجع اللغوية المهمة؛ وذلك لبراعة في هذا الشأن وعناته باللغة وعلومها ومصادرها. وتبرز أهمية هذا الوجه في الترجيح بوجوده بأساليب متنوعة منها:

- **الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه**

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿فَمَا ءامَنَ لِمُوسَى إِلَّا دُرْيَةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلِإِنَّهُمْ أَنْ يَفْتَنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسَرِّفِينَ﴾ [يونس: ٨٣]؛ والظاهر أن الضمير في قوله عائد على موسى عليه السلام، وأنه لا يعود على فرعون، لأن موسى هو المحدث عنه في هذه الآية، وهو أقرب مذكور . ولأنه لو كان عائداً على فرعون لم يظهر لفظ فرعون، وكان التركيب على خوف منه. ومن ملاتهم أن يفتنهם. □

- **وجوب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق.**

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَجَّيْنَا صَلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنْنَا وَمَنْ خَرَّىٰ يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوْىُ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦] : أي: ومن فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحل بهم . وقال الزمخشري: ويجوز أن يريد بيوم القيمة، كما فسر العذاب الغليظ بعد العذاب الآخرة □ انتهى. وهذا ليس بجيد، لأن التنوين في إذ تنوين العوض ولم يتقدم إلا قوله، فلما جاء أمرنا ولم تتقدم جملة فيها ذكر يوم القيمة ولا ما يكون فيها، فيكون

١- البحر المحيط (١٨٣/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

٢- الكشاف (٢٧٧/٢).

(□) هذا التنوين عوضاً من الجملة التي تكون في يوم القيمة.

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبْوُهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلِمَنَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٦٨] : وإنه لذو علم يعني لقوله: ﴿ إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾، وما بعده وعلمه بأنّ القدر لا يدفعه الحذر. وهذا ثناء من الله على يعقوب عليه السلام. وقال قتادة: لعامل بما علمناه. وقال سفيان: من لا يعمل لا يكون عالماً، ولفظة ذو علم لا تساعده على هذا التفسير وإن كان صحيحًا في نفسه. (□)

• **الفسير يكون بالأغلب الظاهر من اللغة وليس الشاذ:**

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِسَكْرِيهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِّفًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُنَّ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَقُلْنَ حَشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١] : ومعنى أكبرنه: أعظمنه ودهشن برأيه ذلك الجمال الفائق الرائع . . . وقال عبد الصمد بن علي الهاشمي، عن أبيه، عن جده : معناه حضن، وأشد بعض النساء حجة لهذا التأويل:

للتى النساء على أطهارهن
ولا للتى النساء إذا أكبرن إكبارة

قال ابن عطية : وهذا قول ضعيف، والبيت مصنوع مختلف، كذلك قال الطبرى وغيره من المحققين، وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمة الله.... (□)

١ - البحر المحيط (٤١/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

٢ - البحر المحيط (٢٢٣/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

٣ - البحر المحيط (٣٠٢/٥). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي.

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعْهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَاتُلُوا يَتَأْبَانَا مَا نَبَغِي هَذِهِ بِضَعَتِنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَخْفَظُ أَخَانَا وَنَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥] : والظاهر أنَّ البعير هو من الإبل . وقال مجاهد : لَيْلٌ حَمَارٌ، قال : وبعض العرب يقول للحمار : بَعِيرٌ وهذا شاذ . □ .

• يجب حمل كلام الله على الحقيقة .

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيِّهِمْ قَاتُلُوا يَتَأْبَانَا مُنْعَ مِنَ الْكَيْلِ فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٣] : وقولهم: منع منا الكيل، إشارة إلى قول يوسف : إِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلٌ لَكُمْ عَنِّي . ويكون منع يراد به في المستأنف، وإلا فقد كيل لهم . وجاؤوا أباهم بالميرءة، لكنْ لما أندروا منع الكيل قالوا : منع . وقيل: أشاروا إلى بعير بنiamين الذي منع من الميرة، وهذا أولى بحمل منع على الماضي حقيقة، ولقولهم : فأرسل معنا أخانا نكتل، ويكفيه قراءة يكتل بالياء أي : يكتل أخونا، فإنما منع كيل بعيره لغيبته، أو يكن سبيلاً للاكتيال . فإن امتناعه في المستقبل تشبيه، وهي قراءة الأئخرين . □ .

• توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿قَاتُلُوا فَمَا جَرَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ كَذِينَ﴾ [٧٤] ﴿قَاتُلُوا جَرَوْهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَرَوْهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [٧٥] [يوسف: ٧٤ - ٧٥] : والضمير في جراؤه عائد على السارق . مما جراء السارق إن كتم

١ - البحر المحيط (٣٢١ / ٥) . دراسة المسألة ضمن القسم الثاني . كما سيأتي .

٢ - البحر المحيط (٣٢٠ / ٥) . دراسة المسألة ضمن القسم الثاني . كما سيأتي .

كاذبين في قولكم : وما كنا سارقين له؟ قاله ابن عطية ^(□). وقال الزمخشري :
فما جزاوه الضمير للصواع أي : مما جزاء سرقته إن كرتم كاذبين في جحودكم
وادعائكم البراءة منه ^(□) انتهى. قوله : هو الظاهر لاتحاد الضمائر في قوله :
قالوا جزاوه من وجد في رحله، إذ التقدير إذ ذاك قال : جزاء الصاع، أي :
سرقته من وجد الصاع في رحله . وقولهم: جزاوه من وجد في رحله، كلام من
لم يشك أنهم برأء مما رموا به، و لاعتقادهم البراءة علقووا الحكم على وجدان
الصاع لا على سرقته، فكأنهم يقولون : لا يمكن أن نسرق، ألا يمكن أن يوجد
الصاع في رحالنا ^(□)

• الإضمار أولى .

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَسَأَلَ الْقَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي
أَقْبَلَنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِقُونَ ﴾ [يوسف: ٨٢] ^{٨٢} فالظاهر أن ذلك على إضمار
أهل كأنه قيل : وسل أهل القرية وأهل العير، إلا أن أريد بالغير القافلة، فلا
إضمار في قوله والغير ، وأحالوا في توضيح القصة على ناس حاضرين الحال
فيشهدون بما سمعوا، وعلى ناس غيب يرسل إليهم فيسألون . وقالت فرقه :
بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة، ومن حيث هونبي، ولا يبعد
أن يخبره بالحقيقة، وحذف المضاف هو قول الجمهور. ^(□)

• الاهتمام بتناسق الضمائر .

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمَّ إِنِّي

١ - المحرر الوجيز (٣/٢٦٣).

٢ - الكشاف (٢/٣٣٤).

٣ - البحر المحيط (٥/٣٢٧).

٤ - البحر المحيط (٥/٣٣٢). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ ﴿٩٤﴾ [يوسف: ٩٤]: "والمحاطب بقوله: تُفَنِّدونَ، الظاهر من تناسق الضمائر أنه عائد على من كان بقي عنده من أولاده غير الذين راحوا يتارون، إذ كان أولاده جماعة." • القول الذي يؤيده أصل الكلمة أولى.

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠]: "وَظَاهِرُ قَوْلِهِ: وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا أَنَّهُ السُّجُودُ الْمُعْهُودُ ... وَكَانَ السُّجُودُ إِذْ ذَاكَ جَائِزًا مِنْ بَابِ التَّكْرِيمِ بِالْمَصَافَحةِ، وَتَقْبِيلِ الْيَدِ، وَالْقِيَامِ مَا شَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ فِي بَابِ التَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ . وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَتْ تَحْيَةُ الْمُلُوكِ عَنْهُمْ، وَأَعْطَى اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ السَّلَامَ تَحْيَةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَقَيْلٌ: هَذَا السُّجُودُ كَانَ إِيمَاءً بِالرَّأْسِ فَقَطُ . وَقَيْلٌ: كَانَ كَالرُّكُوعِ الْبَالِغِ دُونَ وَضْعِ الجَبَّةِ عَلَى الْأَرْضِ. وَلِفَظَةٌ وَخَرُّوا تَأْبِي هَذِينَ التَّفَسِيرَيْنِ." هذا ما تيسر إيراده من أمثلة وجوه الترجيح عند أبي حيان رحمه الله تعالى في القدر المخصص للبحث .



١ - البحر المحيط (٥/٣٤٠). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .
٢ - البحر المحيط (٥/٣٤٢). ودراسة المسألة ضمن القسم الثاني. كما سيأتي .

تُرْكِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ أَبْيَانٌ

فِي سُورَةِ يُونُسٍ



من آية (٤٦) إلى آخر السورة

قال تعالى ﴿ وَإِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَنْوَفِنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٤٦].

في الآية ثلاثة مسائل

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ ؟

قال أبو حيان: "بعض الذي نعدهم يعني: من العذاب في الدنيا. وقد أراه الله تعالى أنواعاً من عذاب الكفار في الدنيا قتلاً وأسراً ونهباً للأموال وسيباً للذراري، وضرب جزية، وتشتيت شمل بالجلاء إلى غير بلادهم، وما يحصل لهم في الآخرة أعظم، لأن العذاب الدائم الذي لا ينقطع." □

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد به ما يحصل لهم من أنواع العذاب والخزي في الدنيا، وهو قول جماعة من المفسرين □) واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري □): (وَإِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) في الدنيا فذاك، (أَوْ نَنْوَفِنَّكَ) قبل أن نريكم فنحن نريكم في الآخرة.

وقال الرازمي □): (وَإِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) في الدنيا فذاك، (أَوْ نَنْوَفِنَّكَ)

١ - البحر المحيط (ج ٥ / ل ١٣٣) (١٣٣ / ٥). .

٢ - الزمخشري (٢٣٨ / ٢)، الرازمي (٢٦١ / ١٧)، النسفي (٢٣٧ / ٢)، ابن جزي (١٧٤ / ٢)، البقاعي (٤٤٩ / ٣)، الجمل (٣٥٣ / ٢)، ابن عاشور (١٨٣ / ١١).

٣ - محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، أبو القاسم، كبير المعتزلة، صاحب الكشاف، كان رأسافي البلاغة والعربية والمعاني والبيان، توفي سنة ٥٣٨ هـ. سير أعلام النبلاء (٢٠ / ١٥١)، طبقات المفسرين للداودي (٣١٤ / ٢)، طبقات المفسرين للسيوطني ص ١٢٠.

٤ - محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل، أبو عبد الله فخر الدين الرازمي، =

قبل أن نرينك ذلك الموعد فإنك ستراه في الآخرة. واعلم أن هذا يدل على أنه تعالى يُري رسوله أنواعاً من ذل الكافرين وخزيهم في الدنيا، وسيزيد عليه بعد وفاته، ولا شك أنه حصل الكثير منه في زمان حياة رسول الله ﷺ، وحصل الكثير أيضاً بعد وفاته، والذي سيحصل يوم القيمة أكثر، وهو تنبئه على أن عاقبة المحقين محمودة وعاقبة المذنبين مذمومة.

وقال النسفي ^(□): «وإِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ» في الدنيا فذاك، «أَوْ نَتَوَفَّنَكَ قَبْلَ أَنْ نُرِيكَهُ فَنَحْنُ نُرِيكَهُ فِي الْآخِرَةِ».

القول الثاني: المراد به ما يحصل لهم من العذاب في حياة رسول الله ﷺ ، قاله مجاهد ^(□) وهو قول جماعة من المفسرين .

قال الطبرى ^(□): يقول تعالى ذكره : وإنما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب، أو نتوفينك قبل أن نريك

الشافعى، المفسر، المتكلم توفي سنة ٦٠٦هـ. طبقات الشافعية للأسنوى (١٢٣/٢)، الوافى بالوفيات (٤/٢٤٨)، شذرات الذهب (٥/٢١).

١ - عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين، فقيه، مفسر، توفي سنة ٧١٠هـ. آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٠٢، الفوائد البهية ص ١٠١، الدرر الكامنة (١٥١/٢).

٢ - مجاهد بن جبر أبو الحجاج، الإمام شيخ القراء والمفسرين، مولى السائب المخزومي، روى عن ابن عباس رضي الله عنهما فأكثر وأطاب . توفي سنة ١٠٤هـ. طبقات ابن سعد (٤٦٦/٥)، حلية الأولياء (٣١٩/٣)، المعرفة والتاريخ (٧١١/١).

٣ - الطبرى (١١/٨٤)، ابن أبي حاتم (٦/١٩٥٥) رقم (٤٨٤/١)، النحاس (١١/٤)، الثعلبي والبغوي والخازن آية (٤/٦)، ابن كثير (٤/٢٣٧)، الجلالين آية (٤/٦)، السيوطي في الدر المشور (٤/٣٦٥)، الشربيني (٢٥/٢)، أبي السعود (٤/١٣٨)، الألوسي (١١/٢٣١)، النووي الحاوي آية (٢/٥١٣)، الشقىطي (٢/٥١٣).

٤ - محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، أبو جعفر، الإمام الجليل المجتهد، إمام المفسرين، عالم العصر، علامة في التاريخ وأيام الناس . توفي سنة ٣١٠هـ. تاريخ بغداد (٢/١٦٢)، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادى (٢/٤٣١)، المعين في طبقات المحدثين ص ١٠٨.

ذلك فيهم. فِإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ يقول: فمصيرهم بكل حال إلينا ومنقلبهم..

... عن مجاهد^(□): «وَإِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ» من العذاب في حياتك، «أَوْ نَنْوَفَّنَّكَ» قبل، «فِإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ».

وقال ابن أبي حاتم^(□): عن مجاهد^(□) قوله «وَإِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ»: من العذاب في حياتك.

وقال أبو جعفر النحاس^(□): قال مجاهد: أَيْ وَإِمَّا نُرِينَكَ العذاب في حياتك

^(□) القول الثالث: المراد به إظهار دين النبي ﷺ في حياته. وهو قول القرطبي والشوکانی^(□).

١ - وسنده قال الطبرى : "حدىنى المشتى" ، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

٢ - عبد الرحمن بن محمد بن أدريس الحنظلي الغطفاني الرازى، أبو محمد ، كان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال لا تقدر الدلاء (ت: ٣٢٧هـ). سير أعلام النبلاء (١٣/٢٦٣)، تذكرة الحفاظ (٣٠٨/٨٢٩)، شذرات الذهب (٢/٣٠٨).

٣ - وسنده قال ابن أبي حاتم : "حدثنا حجاج بن حمزة ، ثنا شبابة ، ثنا ورقة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد".

٤ - أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، برع في فنون عدة وأشتهر بال نحو (ت: ٣٣٧هـ). طبقات النحوين واللغويين للزبيدي ص ٢٢٠، الأنساب للسمعاني (٥/٣٦١)، الإكمال لابن ما كولا (٧/٢٨٦).

٥ - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسى ، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين ، من أهل قرطبة . توفي سنة ٦٧١هـ. طبقات المفسرين للداودى (٢/٦٩)، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٩٢، شذرات الذهب (٥/٣٣٥).

٦ - القرطبي (٨/٣٣٨)، الشوكانى (٢/٤٤٧).
والشوکانی هو: محمد بن علي بن عبد الله الشوكانى : فقيه مفسر محدث، من كبار علماء اليمن ، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوکان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها

=

قال القرطبي: أي من إظهار دينك في حياتك.

وقال الشوكاني: " المعنى: إن حصلت منا الإراءة لك بعض الذي وعدناهم من إظهار دينك في حياتك بقتلهم وأسرهم."

القول الرابع : المراد به إشارة إلى عقوبة الله لهم في بدر وغيرها . وهو قول جماعة من المفسرين^(□).

قال الوحدي^(□): «وَإِمَّا نُرِيتَكُ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ» يريد: ما ابْتُلوا به يوم بدر.

وقال ابن عطية^(□): والإشارة بقوله «بَعْضَ الَّذِي» إلى عقوبة الله لهم نحو بدر وغيرها.

وقال ابن الجوزي^(□): قال المفسرون: كانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم.

نلاحظ مما سبق إيراده من الأقوال ما يلي:

- أن هذه الأقوال وإن تعددت في ألفاظها فإنها متفقة في معناها

سنة ١٢٢٩ ومات حاكماً بها سنة ١٢٥٠ هـ. البدر الطالع ص ٧٣٢، حدائق الزهر ص ٣١، الأعلام (٢٩٨/٦).

١ - الوحدي في الوجيز آية ٤٦، ابن عطية (١٢٢/٣)، ابن الجوزي (٤/٣٢)، البيضاوي (٣/٢٠١)، ابن عادل (١٠/٣٤٠).

٢ - علي بن أحمد بن محمد الوحدي، النيسابوري، الشافعي أبو الحسن، الإمام العلام سنة ٤٦٨ هـ. سير أعلام النبلاء (١٨/٣٣٩)، البداية والنهاية (١٢/١٤١)، بغية الوعاة (٢/١٤٥).

٣ - عبد الحق بن غالب بن عطية المخاربي الأندلسي، أبو محمد، الإمام العلام شيخ المفسرين، توفي سنة ٥٤١ هـ . سير أعلام النبلاء (١٩/٥٨٧)، بغية الوعاة (٢/٧٣)، طبقات المفسرين للداوسي (١/٢٦٠).

٤ - عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري، أبو الفرج، جمال الدين، الحافظ المفسر، الوعاظ، صاحب التصانيف ، توفي سنة ٥٩٧ هـ. سير أعلام النبلاء (٢١/٣٦٥)، وفيات الأعيان لابن خلkan (٣/١٤٠)، البداية والنهاية (١٣/٢٨).

فالاختلاف هنا اختلاف عبارة فقط، وليس اختلاف تضاد، كاختلاف العلماء في معنى الصراط المستقيم . فالذين ذكروا عذاباً معيناً أرادوا القليل لا الحصر .

- أن القول الأول دال على العموم فيندرج تحته الأقوال الأخرى لأنها دلت على ما حصل لهم من أمور في حياته ﷺ .

الترجح:

يترجح القول أن المراد به ما يحصل لهم من أنواع العذاب والحزى في الدنيا وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك : لأنه قول جامع للأقوال المذكورة .

٢. أنه موافق لقاعدة الترجح وهي [يجب حمل نصوص الوحي على العموم]^(١).

أن فيه توافقاً مع دلالة الآية فيما أشارت إليه تسلية للرسول ﷺ .
قال السعدي ^(٢): أي لا تحزن أيها الرسول على هؤلاء المكذبين، ولا تستعجل لهم، فإنه م لابد أن يصيّبهم الذي نعد لهم من العذاب، إما في الدنيا فتراه بعينك، وتقر به نفسك . وإنما في الآخرة بعد الوفاة، فإن مرجعهم إلى الله ^(٣) .

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجح (٥٢٧/٢).

٢ - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي التميمي النجدي ، أبو ع بد الله، مفسر، فقيه، أصولي توفي في مدينة عنزة سنة ١٣٧٦هـ. مقدمة تفسيره، الأعلام(٣٤٠/٣).

٣ - تيسير الكريم المنان ص ٣٦٥.

المسألة الثانية

ما هو جواب الشرط في قوله تعالى ﴿وَإِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نُتَوَفِّنَكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ أَللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾^{٤٦}

قال أبو حيان : "والظاهر أنّ جواب الشرط هو قوله: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ وكذا قاله الحوفي ^(□) وابن عطية . قال ابن عطية : " ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع إلى الله تبارك وتعالي أي : إن أريناك عقوبتهم أو لم نركها فهم على كل حال راجعون إلينا إلى الحساب وال العذاب، ثم مع ذلك الله شهيد من أول تكليفهم ^(□) على جميع أعمالهم . فثم هاهنا لترتيب الأخبار، لا لترتيب القصص في أنفسها ^(□) . وقال الزمخشري : "فإلينا مرجعهم جواب نتوفينك، وجواب نرينك مذوق، كأنه قيل : وإما نرينك بعض الذي نعدهم فذاك، أو نتوفينك قبل أن نريك، فنحن نريك هـ في الآخرة" ^(□) انتهى . فجعل الزمخشري الكلام شرطين لهما جوابان، ولا حاجة إلى تقدير جواب مذوق، لأن قوله : فإلينا مرجعهم صالح أن يكون جواباً للشرط والمعطوف عليه . وأيضاً فقول الزمخشري: فذاك هو اسم مفرد لا ينعقد منه جواب شرط، فكان ينبغي أن يأتي بجملة يتضح منها جواب الشرط، إذ لا يفهم من قوله فذاك الجزء الذي حذف المتحصل به فائدة الإسناد.^(□)

١ - علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن، العلامة، نحوى مصر، توفي سنة ٤٣٠ هـ. سير أعلام النبلاء(٥٢١/١٧)، كشف الظنون ص ٢٤١، هدية العارفين (٦٨٧/١).

٢ - في المطبوع (تكليمهم) وما أثبتت من المخطوط.

٣ - المحرر الوجيز(٣/١٢٢).

٤ - الكشاف(٢/٢٣٨).

٥ - البحر الخيط (ج ٥ / ل ١٣٣) (١٣٣ / ٥) (١٦٤ / ٥).

الدراسة:

في المسألة قوله :

القول الأول: إن جواب الشرط هو قوله : ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ . وهو قول جماعة من المفسرين،^(□) واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية : وقوله تعالى : ﴿وَإِمَّا نُرِينَكَ﴾ الآية ، (إما) شرط وجوابه (فإلينا) ، والرؤبة في قوله (نرينك) رؤبة بصر وقد عدى الفعل بالهمزة فلذلك تدعى إلى مفعولين أحدهما الكاف والآخر (بعض) ، والإشارة بقوله : (بعض الذي) إلى عقوبة الله لهم نحو بدر وغيرها ، ومعنى هذا الوعيد بالرجوع إلى الله تعالى أي إن أريناكم عقوبتهم أو لم نركها فهم على كل حال راجعون إلينا إلى الحساب والعذاب ثم مع ذلك فالله شهيد من أول تكليفهم على جميع أعمالهم ف (ثم) هنا لترتيب الإخبار لا لترتيب القصص في أنفسها ، وإنما هي (إن زيدت عليها ما) ولأجلها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت إن وحدتها لم يجز.

وقال القرطبي : ﴿وَإِمَّا نُرِينَكَ﴾ شرط . ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ أي من إظهار دينك في حياتك . وقال المفسرون : كان البعض الذي وعدهم قتل من قتل وأسر من أسر بيدك . ﴿أَوْ نُنَوْفِيَنَكَ﴾ عطف على (نرينك) أي نتوفينك قبل ذلك . ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ جواب (إما) . والمقصود إن لم ننتقم منهم عاجلاً انتقمنا منهم آجالاً.

وقال السمين : قوله : ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر وفيه وجهان أظهرهما

١ - ابن عطية (١٢٢/٣)، القرطبي (٣٤٨/٨)، ابن جزي (١٧٢/٢)، السمين في الدر المصنون (٢١٢/٦)، الجمل (٣٥٣/٢)، الألوسي (٢٣١/١١)، ابن عادل (٣٤٠/١١١٠)، ابن عاشور (١٨٣/١١).

أنه جواب للشرط وما عطف عليه إذ معناه صالح لذلك وإلى هنا ذهب الحوفي وابن عطية.^١

القول الثاني: فإنينا مرجعهم جواب نتوفينك، وجواب نرينك مذوق، كأنه قيل: وإنما نرينك بعض الذي نعدهم فذاك، أو نتوفينك قبل أن نريكيه، فنحن نريكيه في الآخرة. وهو قول جماعة من المفسرين^(٢).

قال الزمخشري : "﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ جواب نتوفينك، وجواب نرينك مذوق، كأنه قيل : ﴿وَإِمَّا نَرِينَكُ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ﴾ في الدنيا فذاك، ﴿أَوْ تَوْفَّنَّكُ﴾ قبل أن نريكيه فنحن نريكيه في الآخرة." وقال الرازى: أن قوله ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ جواب ﴿تَوْفَّنَّكُ﴾ وجواب ﴿نَرِينَكُ﴾ مذوق، والتقدير: وإنما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نرينك ذلك الموعد فإنك ستراه في الآخرة.

وقال النسفي: "﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ جواب نتوفينك وجواب نرينك مذوق أي وإنما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكيه فنحن نريكيه في الآخرة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- القول الأول يقرر ما دل عليه السياق من أن العذاب واقع بالكافار

عاجلاً في حياته ﷺ أو آجلاً بعد وفاته ﷺ أو في الآخرة .

- وأما القول الثاني ففيه تكلف لتقدير الجوابين ولا حاجة إلى ذلك لأن قوله ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ صالح لأن يكون جواباً للشرط والمعطوف

١ - الزمخشري(٢٣٨/٢)، الرازى(٢٦١/١٧)، النسفي(٢٣٧/٢)، البيضاوى(٢٠١/٣)، الجلالين آية(٤٦)، أبي السعود(٤/١٣٨)، الشوكانى(٤٤٧/٢).

عليه .

الترجيح:

يترجم القول بـألف قوله : ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ هو جواب الشرط وما عطف عليه، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

أنه قرر دلالة السياق من أن المراد هو التهديد والوعيد والتأكيد بِاللهِ.

على وقوع العذاب على الكافرين في الدنيا والآخرة .

أن قوله ﴿فِإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ صَالِحٌ لَا نَكُونُ جُوَاباً لِلشَّرْطِ وَمَا عَطَفَ عَلَيْهِ دُونَ الْحَاجَةِ إِلَى تَكْلِيفٍ .﴾

أن فيه دلالة واضحة على أن يكون جواباً للشرط وغيره لا يدل بِخَيْرِ الْجَهَنَّمِ. على الوضوح في جملة جواب الشرط.

أن فيه ظهوراً لتناسب السياق القرآني من حيث ظهور معنى بِخَيْرِ الْجَهَنَّمِ. الوعيد الشديد للكفار والتسلية للنبي ﷺ في إظهار دينه .

قال الشوكاني: "أن جواب هو قوله : ﴿نَوْفِيقَتَكُمْ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ لدلالته على ما هو المراد من إرادة النبي ﷺ تعذيبهم في الآخرة."

وقال الألوسي ^(□): "﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ جواب للشرط وما عطف عليه، والمعنى إن عذابهم في الآخرة مقرر عذبوا في الدنيا أولاً."

٥. أن قوله ﴿نُرِينَكُمْ﴾ و﴿نَوْفِيقَتَكُمْ﴾ جملتا شرط ومضمونهما واحد .

قال ابن عاشور ^(□): "والمراد بـ﴿بَعْضَ الَّذِي تَعِذَّبُهُمْ﴾ هو عذاب الدنيا فإنهم

١ - محمود بن عبد الله أفندي الحسيني، أبو الفضل، أو أبو الثناء، كان فقيهاً محدثاً مفسراً، توفي سنة ١٢٧٠ هـ. الأعلام (١٧٦/٧)، التفسير ورجاله محمد حوا ص ١١٨.

٢ - محمد الطاهر بن محمد بن عاشور الشريفي الأندلسبي، رئيس المفتين المالكين بتونس، شيخ جامع الزيتونة، توفي سنة ١٣٩٣ هـ. الأعلام (١٧٤٩/٦)، التفسير ورجاله ص ١٦١.

أو عدوا بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَدَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الطور: ٤٧] فالمعنى إن وقع عذاب الدنيا بهم فرأيته أنت أو لم يقع فتوفاك الله فمصيرهم إلينا على كل حال. فمضمون ﴿ أَوْ نُؤْفِقَنَا ﴾ قسمان لضمون ﴿ نُرِيَنَا بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ ﴾ .

والجملتان معاً جملتا شرط، وجواب الشرط قوله: ﴿ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ إِلَيْنَا ﴾ . ولما جعل جواب الشرطين إرجاعهم إلى الله المكتنّى به عن العقاب الآجل، تعين أن التقسيم الواقع في الش رط ترديد بين حالتين لهما مناسبة بحالة تحقق الإرجاع إلى عذاب الله على كلا التقديرتين، وهما حالة التعجيل لهم بالعذاب في الدنيا وحالة تأخير العذاب إلى الآخرة . وأما إرادة الرسول ﷺ تعذيبهم وتوفيه بدون إرائه فلا مناسبة لهما بالإرجاع إلى الله على كليهما إلا باعتبار مقارنة إحداهما لحالة التعجيل ومناسبة الأخرى لحالة التأخير.

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

ما معنى قوله ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾؟

قال أبو حيان: "ومعنى شهادة الله على ما يفعلون مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب، كأنه قال: ثم الله معاقبهم، وإنما فهو تعالى شهيد على أفعالهم في الدنيا والآخرة. ويجوز أن يكون المعنى أنه تعالى مؤذن شهادته على أفعالهم يوم القيمة حتى تنطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن المراد هو مقتضى الشهادة وهو العقاب، وهو قول جماعة من المفسرين، □ واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: "﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ يقول جل ثناؤه ثم أنا شاهد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، وأنا عالم بها لا يخفى علي شيء منها، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إلى ومرجعهم جزاءهم الذي يستحقونه."

وقال الغافلى: □ ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ مجزيهم به.

وقال الواحدى: □ ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ من محاربتك وتكذيبك ،

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٣٣) (١٦٤/٥).

٢ - الطبرى (١٨٤/١١)، الثعلبي أية (٤٦)، الواحدى في الوجيز والبغوى آية (٤٦)، الزمخشري (٢٣٨/٢)، ابن عطية (١٢٢/٣)، البيضاوى (٢٠١/٣)، النسفى (٢٣٧/٢)، الخازن آية (٤٦)، البقاعى (٤٤٩/٣)، الشوكانى (٤٤٧/٢).

٣ - أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق النيسابورى، المفسر الوعاظ الأديب الثقة الحافظ، سقى سنة ٤٢٧ هـ. معجم الأدباء (١٩/٢)، سير أعلام النبلاء (٤٣٥/١٧)، طبقات المفسرين للداوى (١٠٦/١).

فيجزيهم بها".

القول الثاني : إن المراد الشهادة يوم القيمة بأفعالهم التي كانوا يفعلونها بالدنيا. وهو قول جماعة من المفسرين^(١).

قال السمرقندى^(٢): "﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ".

وقال الزمخشري : ويجوز أن يراد : أن الله مؤذن شهادته على أفعالهم يوم القيمة ، حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم.

وقال ابن كثير^(٣): "والله شهيد على أفعالهم بعده".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الأول وهو العقاب نتيجة حتمية للقول الثاني وهو علم الله وإحاطته بكل ما يفعله الخلق، وهو أي العقاب تحقيق لوعيد الله تعالى للكفار جراء ما فعلوه في الحياة الدنيا.

الترجيح:

يترجح أنه لا تعارض بين القولين، ولكن القول الأول أدق في المقصود لأن العقاب لهم هو تحقيق لوعيد الله تعالى لهم بالعقاب الدنيوي والآخرني وكل ذلك بعلم الله تعالى الشامل لكل ما يفعله الناس من أعمال في الدنيا .

١ - السمرقندى (١١٦/٢)، الزمخشري (٢٤٨/٢)، القرطبي (٢٣٨/٨)، ابن كثير (٤/٢٣٧)، الجلالين آية (٤٦)، الشربيني (٢٥/٢)، أبي السعود (٤/١٣٨)، النووي الحاوي آية (٤٦)، ابن عاشور (١٣٨/١١).

٢ - نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى الحنفى، أبو الليث، الإمام المحدث الفقيه الزاهد، صاحب كتاب تنبئه الغافلين، توفي سنة ٣٧٥ هـ سير أعلام النبلاء (٦/٣٢٢)، هدية العارفين (٢/٤٩٠).

٣ - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقى، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مفسر، مؤرخ توفي سنة ٧٧٤ هـ. ذيل تذكرة الحفاظ (٥/٣٦)، الدرر الكامنة (١/٢١٨)، طبقات الحفاظ للسيوطى ص

فكلا القولين يؤكdan مقام التهديد والوعيد وحصول العذاب عاجلا وأجلاء فلا مفر منه لأن الملك الحق العدل لا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى.

قال أبو السعود ^(□): *﴿ثُمَّ أَلَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾* من الأفعال السيئة التي حُكِيتُ عنهم، والمراوِدُ بالشهادة إما مقتضها ونتيجهُا وهي معاقبته تعالى إياهم وإما إقامتها وأداؤها بإنطلاق الجوارح، وإظهارُ اسم الجلالَةِ لإدخال الروعة وتربيَةِ المهابةِ وتأكيدِ التهديد.

والله تعالى أعلم

١ - محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، توفي سنة ٩٢٨ هـ. شذرات الذهب (٥٨٤ / ١٠)، الأعلام (٥٩ / ٧).

قال تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٤٧].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ﴾ ؟

قال أبو حيان: "وقوله: ﴿ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ﴾، إما أن كون إخباراً عن حالة ماضية فيكون ذلك في الدنيا، ويكون المعنى : أنه بعث إلى كل أمة رسولاً يدعوهم إلى دين الله وينبههم على توحيده، فلما جاءهم بالبيانات كذبواه، فقضى بينهم أي: بين الرسول وأمته، فأنجى الرسول وعدب المكذبون. وإما أن يكون على حالة مستقبلة أي: فإذا جاءهم رسولهم يوم القيمة للشهادة عليهم قضى بينهم، أي: بين الأمة بالعدل، فصار قوم إلى الجنة وقوم إلى النار، فهذا هو القضاء بينهم قاله : مجاهد وغيره. ويكون كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَهُمْ بِالْنِّدِيْنَ وَالشَّهَادَاتِ ﴾ [الزمر: ٦٩] ، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٤٨]

: الضمير في ويقولون، عائد على مشركي قريش ومن تابعهم من منكري الحشر، استعجلوا بما وعدوا به من العذاب على سبيل الاستبعاد، أو على سبيل الاستخفاف، ولذلك قالوا : إن كتم صادقين أي : لستم صادقين فيما وعدتم به فلا يقع شيء منه. وقولهم: هذا ليشهد للقول الأول في الآية قبلها، وأنها حكاية حال ماضية. وأن معنى ذلك: فإذا جاءهم الرسول وكذبواه قضى بينهم في الدنيا، وأن كل رسول وعد أمه بالعذاب في الدنيا وإن هي كذبت.

الدراسة:

في المسألة قوله:

القول الأول: المراد هو الإخبار عن حالة ماضية فيكون ذلك في الدنيا . وهو قول جماعة من المفسرين،^(□) و اختاره أبو حيان.

قال الثعلبي: "﴿وَلَكُلُّ أُمَّةٍ﴾ خلت ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ فكذبوا
 ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ أي عذبوا في الدنيا وأهلکوا بالحق والعدل.
وقال الواحدی: "إِذَا جَاءَهُمُ الرَّسُولُ فِي الدُّنْيَا"

وقال البغوي ^(□): "﴿وَلَكُلُّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ وكذبوا
 ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ أي: عذبوا في الدنيا وأهلکوا بالعذاب يعني : قبل مجيء
 الرسول لا ثواب ولا عقاب.

القول الثاني: المراد الإخبار عن حالة مستقبلة فيكون ذلك يوم القيمة، قاله
 مجاهد، وهو قول جماعة من المفسرين^(□).

١ - الثعلبي آية (٤٧) وذكر القولين، الواحدی في الوسيط (٥٤٩/٢)، البغوي آية (٤٧) وذكر القولين ، الزمخشري (٢٣٩/٢)، ابن الجوزي (٤/٣٢) وذكر القولين، الرازی (٢٦٢/١٧)، وذكر القولين، النسفي (٢٣٨/٢)، ابن جزي (١٧٢/٢) وذكر القولين، الخازن آية (٤٧) وذكر القولين، ابن عادل (١٠/٣٤٥)، البقاعی (٣/٤٤٩)، الجلالین آية (٤٧)، أبي السعود (٤/١٥١)، الجمل (٢٠٤/٢)، الشوكاني (٤٤٧/٢)، النووي الحاوي (٤٧).

٢ - الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي، أبو محمد ، الشافعی المفسر، الشیخ الإمام الحافظ محبی السنة توفي سنة ٥١٠ هـ. طبقات السبکی (٧٥/٧)، طبقات الإسنوى (٢٠٥/١)، سیر أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩).

٣ - الطبری (١١/٨٤)، الماوردي آية (٤٧) وذكر القولين، ابن عطیة (٣/١٢٣)، العز بن عبد السلام آية (٤٧)، القرطبی (٨/٣٤٩)، البیضاوی (٣/٢٠١)، ابن کثیر (٤/٢٣٧)، السیوطی في الدر المنشور (٤/٣٦٥)، الألوسی (١١/٤٣١)، الثعلبی (٢/٩٨)، الشنقطی (٢/٥١٣).

قال الطبرى: "يقول تعالى ذكره : ولكلّ أمة خلت قبلكم أيها الناس رسول أرسلته إليهم، كما أرسلت محمداً إليكم يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته. فإذا جاءَ رَسُولُهُمْ يعني في الآخرة □

...عن مجاهد (□): ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ قال: يوم القيمة".

وقال الماوردي (□): فإذا جاء رسولهم يوم القيمة قضي بينهم ليكون رسولهم شاهداً عليهم، قاله مجاهد.

وقال ابن عطية: وقال مجاهد وغيره : المعنى فإذا جاء رسولهم يوم القيمة للشهادة عليه صير قوم للجنة وقوم للنار فذلك القضاء بينهم بالقسط .
نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي :

القول الأول : استدل له بعض من ذكره من المفسرين (□) بقوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] . وقوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] . يعني قبل بجيء الرسول لا ثواب ولا عقاب ، فإذا بعث إلى كل أمة رسولاً فإنه بالتبليغ والحجة يزكي كل علة فلا يبقى لهم عذر في مخالفته أو تكذيبه .

فيقال أما الاستدلال بقوله ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] . فغير وارد لأن الآية لم يذكر فيها القضاء بظاهرها أنها في الدنيا.

١ - وسنه قال الطبرى : " حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد".

٢ - علي بن محمد بن حبيب القاضي، أبو الحسن الماوردي البصري الشافعى، الإمام الجليل القدر، المفسر ، الفقيه، توفي سنة ٤٥٠ هـ. طبقات الشافعية الكبرى (٢٦٧/٥)، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٨٣، طبقات المفسرين للداوى (٤٢٧/١).

٣ - البغوي آية (٤٧)، والرازي (٢٦٢/١٧).

وأما قوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثْ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ، فـإِنما نجعل قوله ﴿مُعَذِّبِينَ﴾ في الآخرة، أو نجعل القضاء بينهم في الدنيا بحيث يصح اشتباه الآيتين .

وأما القول الثاني فإنه يشهد له السياق.

الرجح:

يترجح القول أن المراد الإخبار عن حالة مستقبلة فيكون ذلك يوم القيمة، وذلك:

دلالة السياق قال تعالى ﴿وَإِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي تَعِدُهُمْ أَوْ نُنَوْقِنَكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ يَأْتِيُنَا﴾ . دلالة السياق قال تعالى ﴿ثُمَّ أَللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦].

قال الرازي: يكون المراد أن القوم إذا اجتمعوا في الآخرة جمع الله بينهم وبين رسولهم في وقت المحاسبة، وبأن الفصل بين المطيع وال العاصي ليشهد عليهم بما شاهد منهم، وليقع منهم الاعتراف بأنه بلغ رسالات ربه فيكون ذلك من جملة ما يؤكّد الله به الزجر في الدنيا كالمساءلة، وإنطاق الجوارح، والشهادة عليهم بأعمالهم والموازين وغيرها، وتمام التقرير على هذا الوجه الثاني أنه تعالى ذكر في الآية الأولى أن الله شهيد عليهم، فـكأنه تعالى يقول : أنا شهيد عليهم وعلى أعمالهم يوم القيمة، ومع ذلك فإني أحضر في موقف القيمة مع كل قوم رسولهم، حتى يشهد عليهم بتلك الأعمال . والمراد منه المبالغة في إظهار العدل.

2. دلالة ختام الآية قوله تعالى: ﴿فُضِّلَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فالتكريّر لأجل التأكيد والمبالغة في نفي الظلم.

دلالة آيات أخرى وهي: بعض آياتهن.

قوله تعالى ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وقوله: ﴿وَقَالَ

الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَتَخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠].

أنه موافق لقاعدة الترجيح وهي :[القول الذي تؤيده قرائن في
السياق مرجح على ما خالفه]^{تجربتنا}.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢٩٩/١).

قال تعالى ﴿ قُل لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْبِلُونَ ﴾ [يونس: ٩].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما نوع الاستثناء في قوله ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ ؟

قال أبو حيان : "إلا ما شاء الله ظاهره أنه استثناء متصل (□)، إلا ما شاء الله أنْ أملكه وأقدر عليه." (□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الاستثناء متصل والمعنى : إلا ما شاء الله أنْ أملكه وأقدر عليه.

وهو قول جماعة من المفسرين، (□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: "يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لمستعجلتك وَعِيدَ الله، القائلين

لك: متى يأتينا الوعد الذي تعدنا إن كنتم صادقين : ﴿ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ﴾ أيها القوم أي لا أقدر لها على ضرّ ولا نفع في دنيا ولا دين إلا ما شاء الله أنْ أملكه فأجلبه إليها بأذنه. يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: قل لهم: فإذا كنت لا أقدر على ذلك إلا بإذنه، فأنا عن القدرة على الوصول إلى علم الغيب ومعرفة قيام

١ - قال الزركشي في البرهان (٤/٢٣٦): "إلا ترد لمعان: الأول: الاستثناء، وينقسم إلى متصل ، وهو ما كان المستثنى من جنس المستثنى من هـ، نحو جاء القوم إلا زيدا ، وإلى منقطع ، وهو ما كان من غير جنسه".

٢ - البحر المحيط (ج/٥، ل/١٣٤، ١٦٥/٥).

٣ - الطبرى (١١/٨٥)، البغوى آية ٤٩، القرطى (٨/٣٤٩)، البيضاوى (٣/٢٠١) وذكر القولين، الخازن آية ٤٩، السمين في الدر (٦/٢١٣)، وذكر القولين، ابن كثير (٤/٢٣٧)، ابن عادل (١٠/٣٤٥) وذكر القولين، البقاعى (٣/٤٤٩)، الجلالين آية ٤٩، الشربى (٣/٢٥)، النوى الحاوي آية ٤٩.

الساعة أعجز وأعجز، إلا بمشيته وإذنه لي في ذلك.

وقال البغوي: "﴿قُل لَا أَمْلِكُ لِنفْسِي﴾ لا أقدر لها على شيء ﴿ضَرًّا وَلَا نَعْمًا﴾

أي: دفع ضر ولا جلب نفع ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن أملكه".

وقال القرطبي: "ما استجلوا النبي ﷺ بالعذاب قال الله له: قل لهم يا محمد

لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا؛ أي ليس ذلك لي ولا لغيري. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

أن أملكه وأقدر عليه، فكيف أقدر أن أملك ما استجلتم فلا تستجلوا".

القول الثاني: أن الاستثناء منقطع؛ وتقديره: أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن. وهو قول جماعة من المفسرين □ .

قال الزمخشري: "﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء منقطع: أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن، فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب؟".

وقال النسفي: "﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء منقطع أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب".

وقال أبو السعود: "استثناء منقطع" أي ولكن ما شاء الله كائناً وحمله على الاتصال على معنى إلا ما شاء الله أن أملكه يأبه مقام التبرؤ من أن يكون له دخلٌ في إتيان الوعد فإن ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله أن يملكه ﷺ، وجعل (ما) عبارةً عن بعض الأحوال المعهودة لمنوطه بالأفعال الاختيارية المفوضة إلى العباد على أن يكون المعنى لا أملك لنفسي شيئاً من الضر والنفع إلا ما شاء الله أن أملكه منها من الضر والنفع المترتبين على الأكل والشرب عدماً وجوداً تعسف ظاهر.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

١ - الزمخشري (٢٣٩/٢)، النسفي (٢٣٨/٢)، أبي السعود (٤/١٥١)، الشوكاني (٤٥٠/٢)، ابن عاشور (١١/١٨٨).

أما القول الأول اعترض عليه البعض بأمرین وهم:

١. أنه يأبه مقام التبرؤ من أن يكون له ﷺ دخلٌ في إتيان الوعدِ فإن ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله أن يملكه ﷺ .
٢. أن المعنى المذكور فيه تعسف ظاهر .

ويرد عليه بما يلي :

- الرسول ﷺ أخبرهم أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما قدره الله عليه وهذا العذاب سيقع بن خالف أمر الله وكله واقع بأمر الله ومبشّيئه ليس لأحد من الخلق فيه أمر إلا ما أمره الله به وقدره عليه.
- أن المعنى الذي ذكره المفسرون في القول الأول ليس فيه تكلف وإنما هو معنى ظاهر قد دل عليه السياق.

وأما القول الثاني فقد ذكر القائلون به أن تقديره : ولكن ما شاء الله من ذلك . فيقال لهم أنه قد يكون ذلك مما يملكه الله ويقدرها عليه وكله بمبشّيئه الله تعالى ، ويكون الإنسان بما ملكه الله وأقدرها عليه سببا في الضر والنفع .
 (□) أن القول الثاني استدلّت به بعض الفرق على معتقدهم الباطل .

١ - ذكر الرازبي في تفسيره (١٦/٢٦٣): أن المعتزلة احتجوا بهذه الآية على أن العبد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا الطاعة والمعصية . فهذا الاستثناء يدل على كون العبد مستقلا بهما " - قال - " والجواب: قال أصحابنا هذا الاستثناء منقطع ، والتقدير من ذلك كائن . وكذا قال الألوسي (١١/٥٣١): والمعتزلة قالوا باتصال الاستثناء واستدلوا بذلك على أن العبد مستقل بفعله من الطاعات والمعاصي ...".

وما ذكره الرازبي والألوسي من أن المعتزلة قالوا باتصال الاستثناء غير صحيح لأن الزمخشري وهو معتزلي نص في الكشاف على انقطاع الاستثناء كما سبق إيراده ، وأما قول المعتزلة بذاته فهو باطل لأن العبد سببا في الضر والنفع ولا يملك شيئا إلا ما قدره الله عليه وملكه إياه ، بدليل هذه الآية وغيرها . - ثم قال الألوسي بعد قوله السابق: " وأنت تعلم أن ذلك بمراحل عن إثبات مدعاهم . نعم استدل بها بعض من يرى رأي السلف من أن للعبد قدرة مؤثرة بإذن الله تعالى لا أنه ليس له قدرة أصلاً كما يقوله الجبرية ، ولا أن له قدرة لكنها غير مؤثرة كما هو المشهور عن الأشاعرة ، ولا أن له =

الترجح:

يترجح القول أن الاستثناء متصل والمعنى : إلا ما شاء الله أن أملكه وأقدر عليه. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

أن كل ما يحدث هو بمشيئة الله تعالى وإن جعل الله للإنسان فيه ملكا وقدرة فهي داخلة في مشيئة الله تعالى ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

أ. أنه المعنى القريب من دلالة السياق.

ب. أن المعنى المذكور هو من جنس المستثنى منه فالنفع والضر والأسباب التي ملكها الله للإنسان وكذا العذاب المتوعد به داخلة تحت مشيئة الله تعالى .

قال الألوسي: " لا يخفى أن الأصل الاتصال ولا ينبغي العدول عنه حيث أمكن من دون تعسف، وأياً ما كان ظاهر كلامهم أن الاستثناء من المفعول إلا أنه على تقدير الانقطاع ليس المعنى على إخراج المستثنى من حكم المستثنى منه ولذا جعل الحكم على ذلك التقدير أنه كائن دون أملكه مثلاً فلا تدافع في كلام من حكم بالانقطاع وقال في بيان المعنى أي ولكن ما شاء الله تعالى من ذلك كائن مشيراً بذلك إلى النفع والضر فإنه صريح في كون المستثنى من جنس المستثنى منه المقتضى للاتصال لأن المدار عند المحققين في الأمرين على الإخراج من الحكم وعدمه."

قال ابن عطية: " أن يقول لهم ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ،

قدرة مؤثرة إن شاء الله تعالى وإن لم يشاً كما هو رأي المعتزلة وقال : المعنى لا أقدر على شيء من الضر والنفع إلا ما شاء الله تعالى أن أقدر عليه منها فإني أقدر عليه بمشيئته سبحانه".

المعنى قل لهم يا محمد ردًا للحجفة إني ﴿ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَقْعًا ﴾ من دون الله ولا أنا إلا في قبضة سلطانه وبضمن الحاجة إلى لطفه ، فإذا كنت هكذا فأحرى أن لا أعرف غيبه ولا أتعاصى شيئاً مـن أمره ، لكن ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ انفرد الله تعالى بعلم حده ووقته ، فإذا جاء ذلك الأجل في موت أو هلاك أمة لم يتأنروا ساعة ولا أمكنهم التقدم عن حد الله عـجـلـ . (□)

والله تعالى أعلم

١ - المحرر الوجيز (١٢٣/٣).

قال تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنَّ أَتَنَاكُمْ عَذَابَهُ، بَيْتَنَا أَوْ نَهَارًا مَّا دَأْ يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾

[يونس: ٥٠].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿ مِنْهُ ﴾؟

قال أبو حيان : " والظاهر عود الضمير في منه على العذاب، وبه يحصل
الربط لجملة الاستفهام بمعنى أرأيتم المذوق الذي هو مبتدأ في الأصل." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إن الضمير يعود على العذاب . وهو قول جماعة من
المفسرين، □ و اختاره أبو حيان.

قال الطبرى : يقول الله تعالى ذكره : ماذا يَسْتَعْجِلُ من نزول العذاب
المجرمون الذين كفروا بالله.

وقال السمر قندي: يقول: بأي شيء يستعجل منه المجرمون يعني: المشركين،
ويقال ماذا ينفعهم استعجالهم منه أي من عذاب الله تعالى؟.
وقال الوحدى: أي شيء يستعجل المجرمون من العذاب؟.

القول الثاني: إن الضمير يعود على الله تعالى، وهو قول بعض المفسرين. □

١ - البحر المحيط (ج ٥ / ل ١٣٤) (١٣٤ / ٥).

٢ - الطبرى (٨٥ / ١١)، السمر قندي (١١٦ / ٢)، الوحدى في الوجيز آية ٥٠، الزمخشري (٢٤٠ / ٢)،
ابن الجوزي (٣٣ / ٤)، الرازى (٢٦٤ / ١٧)، البيضاوى (٢٠١ / ٣)، النسفي (٢٣٨ / ٢)، الخازن آية
٥٠، ابن كثير (٢٣٧ / ٤)، ابن عادل (١٠ / ٣٤٧)، البقاعي (٤٥ / ٣)، الجلالين آية ٥٠، الشريبي
(٢٥ / ٢)، أبي السعود (٤ / ١٥١)، الشوكاني (٢ / ٤٥١)، الألوسي (١١ / ٦٣١)، النووى الحاوي آية
٥٠، ابن عاشور (١١ / ١٩١).

٣ - البغوي آية ٥٠، ابن عطية (٣ / ١٢٤)، وذكرا القولين. القرطبي (٨ / ٣٥٠)، الشوكاني (٢ / ٤٥١).

قال البغوي: أي: ماذا يستعجل من الله المشركون.

وقال ابن عطية: والضمير في «منه» يحتمل أن يعود على الله تعالى.

وقال القرطبي: وقيل: يعود على الله سبحانه وتعالى.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- كون الضمير يعود على العذاب مناسب لمعنى الآية فإن الكفار كانوا يستعجلون العذاب سخرية منهم واستبعادا له، وفيه ربط للجمل.
- وأما كون الضمير يعود على الله تعالى ، فلو قيل ماذا يستعجل من الله المجرمون؟

فاجواباً قطعاً هو: العذاب الذي هم به مكذبون ، وقطعاً أن العذاب من الله تعالى؛ فعود الضمير على العذاب فيه اختصار للجواب وبعدا عن الإطالة.

الترجيح:

يترجح أن الضمير يعود على العذاب، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه،
وذلك :

لدلالة السياق فهو يتحدث عن العذاب في الآية . وكذا الآية التي

تليها قال تعالى ﴿ أَئُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ إِمَّ بِهِ عَلَّقْنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾

[يونس: ٥١].

عود الضمير على أقرب مذكور وهو العذاب .

أنه الأجدود لبيان حقيقة المعنى.

قال البغوي : وقيل: ماذا يستعجل من العذاب المجرمون وقد وقعوا فيه .

وحقيقة المعنى: أنهم كانوا يستعجلون العذاب فيقولون ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا

هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَثْنِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

[الأنفال: ٣٢]. فيقول الله تعالى: ﴿ مَاذَا يَسْتَعْجِلُ ﴾ يعني: أيش يعلم المجرمون ماذا

يستعجلون ويطلبون كالرجل يقول لغيره وقد فع ل قبيحاً ماذا جنيت على نفسك".

فيه ربط للجمل .

قال الألوسي: ومن قال: إن ضمير ﴿منه﴾ هو الرابط مع تفسيره بالعذاب جنح إلى أن المستعجل من العذاب فهو شامل للمبتدأ فيقوم مقام رابطه لأن عموم الخبر في الاسم الظاهر يكون رابطاً على المشهور ففي الضمير أولى.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ أَثْمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامِنُتُم بِهِ ءَأْكَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [يونس: ٥١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما نوع (ثم) \square في قوله ﴿ أَثْمَّ ﴾ \square ؟

قال أبو حيان : " وثم حرف عطف وتقدمت همزة الاستفهام عليها كما تقدمت على الواو والفاء في : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ \square وفي ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ \square وتقدم الكلام على ذلك \square . وخلاف الزمخشري \square للجماعة في دعوه أنّ بين الهمزة وحرف العطف جملة ممحوقة عطفت عليها الجملة التي بعد حرف العطف. وقال الطبرى في قوله : ﴿ أَثْمَّ ﴾ \square بضم الثاء، أنّ معناه أهناك قال : وليس ثم هذه التي تأتي بمعنى العطف انتهى \square . وما قاله الطبرى من أنّ ثم هنا ليست للعطف دعوى، وأما قوله : إن المعنى أهناك، فالذى ينبغي أن يكون ذلك تفسير معنى، لا أنّ ثم المضومة الثاء معناها معنى هنالك. \square

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول: إن ثم حرف عطف ، تقدمت عليها همزة الاستفهام ، وهو قول

١ - قال السيوطي في الإتقان (٢/١٨٩): " يحتمل حرف يقتضي ثلاثة أمور : التشير إلى الحكم والترتيب ، والمهمة وفي كل خلاف."

٢ - وردت في آية (١٠٩) يوسف، (٦٤) الحج، (٨٢) غافر، (١٠) محمد .

٣ - وردت في آية (٩) الروم، (٤٤) فاطر، (٢١) غافر.

٤ - البحر المحيط (٥/١٦٥).

٥ - الكشاف (٢/١٩٣).

٦ - جامع البيان (١١/٨٥).

٧ - البحر المحيط (٥/١٣٥)، (٥/١٦٦)، النهر الماد (٥/١٦٦).

جماعه من المفسرين^١ و اختاره أبو حيان.

قال ابن عطية: "عطف بقوله (ثم) جملة القول على ما تقدم ثم أدخل على الجميع ألف التقرير، ومعنى الآية: إذا وقع العذاب وعايتموه آمنت به حينئذ ، وذلك غير نافعكم بل جوابكم الآن وقد كنتم تستعجلونه مكذبين به ."

وقال القرطبي : " ودخلت ألف الاستفهام على (ثم) ومعنى: التقرير والتوبیخ، ولیدل على أن معنى الجملة الثانية بعد الأولى."

وقال البيضاوي^٢: "معنى إن أتاكم عذابه آمنت به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان، وماذا يستعجل اعتراف ودخول حرف الاستفهام على (ثم) لإنكار التأثير".

القول الثاني: إن ثم ليست للعطف و معناها هنا : أهناك ، وهو قول الطبرى و ذكره بعض المفسرين^٣ .

قال الطبرى : " يقول تعالى ذكره : أهناك إذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنت به، يقول : صدقتم به في حال لا ينفعكم فيها التصديق، وقيل لكم حينئذ: آلان تصدقون به، وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون، وأنتم بنزوله مكذبون فذوقوا الآن ما كنتم به تكذبون . ومعنى قوله: أثم في هذا الموضوع : أهناك وليس (ثم) هذه ها هنا التي تأتي بمعنى العطف".

١ - ابن عطية (١٢٤/٣)، القرطبي (٢٥٠/٨)، البيضاوي (٢٠١/٣)، الخازن آية ٥١، ابن عادل (٣٤٧/١٠)، أبي السعود (١٥١/٤)، الشوكاني (٤٥٠/٢)، الألوسي (٨٣١/١١)، ابن عاشر (١٩١/١١).

٢ - عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أبو سعيد، ناصر الدين، البيضاوي، الشافعى، إمام فى الفقه والتفسير والعربى، توفي سنة ٦٨٥هـ. طبقات الشافعية الكبرى (١٥٧/٨)، البداية والنهاية (٣٠٩/١٣)، طبقات المفسرين للداوى (٢٤٨/١).

٣ - الطبرى (١١/٨٥)، البغوى آية ١٥، ابن الجوزى (٤/٣٣). وذكره القرطبي (٢٥٠/٨)، والشوكاني (٤٥٠/٢).

وقال البغوي: "﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ قيل: معناه أهنالك؟ وحيثند وليس بحرف عطف".

وقال ابن الجوزي: أي: هنالك تؤمنون فلا يقبل منكم الإيمان." نلاحظ ما سبق إيراده مايلي:

- أن دخول دخول همزة الاستفهام على (ثم) تفيد التقرير والتوبخ، وليدل على أن معنى الجملة الثانية بعد الأولى وهذا غير وارد في القول الثاني.
- (□) • أن القول الثاني قول غير معروف كما ذكر ذلك بعض المفسرين . ويكون تفسير معنى. وليس تفسير (ثم) كحرف.

الترجيح:

يتراجع القول أن ثم حرف عطف ، تقدمت عليها همزة الاستفهام، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :
لدلالة السياق فالكافر أنكروا أمرا لا محال من وقوعه وهو العذاب ، فإنقاومهم بذلك وتهديهم يحتاج إلى أسلوب يناسب حاهم والاستفهام أنساب أسلوب ، ولا سيما إذا كان بأداة اعتادوا على استعمالها في مقام سهل .

قال الشوكاني: " ودخول الهمزة الاستفهامية في ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ إِمَّا مَنْ يَهْدِي

على ثم كدخولها على الواو والفاء، وهي لإنكار إيم انهم، حيث لا ينفع

١ - قاله ابن عطية (١٢٤/٣)، وقال ابن هشام في معنى الليب (١٣٨/١) عن قول الطبرى : "وهذا وهم ،اشتبه عليه ثم المضومة الثاء بالمفتوحة".
وقال أبو حيان(١٦٦/٥) موجها لقول الطبرى: " وقرأ طلحة بن مصري: أثم بفتح الثاء، وهذا يناسبه تفسير الطبرى أهنالك ". وهذا مخرج حسن لقول الطبرى أفضل من وصفه بالوهם؛ رحمة الله تعالى جمعيا .

الإيمان، وذلك بعد نزول العذاب، وهو يتضمن معنى التهويل عليهم، وتفظيع ما فعلوه في غير وقته، مع تركهم له في وقته الذي يحصن □ ل به النفع والدفع، وهذه الجملة داخلة تحت القول المأمور به، وجيء بكلمة ثم التي للترابي دلالة على الاستبعاد. وجيء بإذا مع زيادة ما للتأكيد؛ دلالة على تحقق وقوع الإيمان منهم في غير وقته، ليكون في ذلك زيادة استجهال لهم، والمعنى: أبعد ما وقع عذاب الله عليهم، وحلّ بكم سخطه وانتقامه آمنتكم، حين لا ينفعكم هذا الإيمان شيئاً، ولا يدفع عنكم ضرّاً.

أنه يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعف والمنكر؛ وهي قاعدة مهمة للترجيح □.
أن هذا القول هو الأولى والأقرب لمقام وحال الكفار بنحوين. وإنكارهم .

قال الشوكاني:^١ . وقيل: إن ثم هاهنا، هي بفتح الثاء، فتكون ظرفية بمعنى هناك. والأوّل: أولى.

وقال الزركشي:^٢ والحاصل أنها للترابي في الزمان ، وهو المعبر عنه بالمهلة، وتكون للتباين في الصفات وغيرها من غير قصد مهلة زمانية، بل ليعلم موقع ما يعطف بها وحاله ، وأنه لو انفرد لكان كافيا فيما قصد فيه ، ولم يقصد في هذا ترتيب زماني ، بل لتعظيم الحال فيما عطف عليه وتوقعه، وتحريك □ النفوس لاعتباره.

والله تعالى أعلم

١ - قال السمين في عمدة الحفاظ ص ٨٢: ثم حرف عطف يقتضي الترابي وزعم قوم أنها لا ترتب ... والترابي قد يكون في الزمان وهو الأصل وقد يكون في الترتيب.

٢ - قواعد الترجيح لحسين الحربي (٣٦٩/١).

٣ - البرهان (٤/٢٦٨).

قال تعالى ﴿ وَيَسْتَأْتِيُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِنَّهُ لَحَقٌ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ٥٣

[يونس: ٥٣].

في الآية ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿ أَحَقُّ هُوَ ﴾؟

قال أبو حيان : " وأحق هو الضمير عائد على العذاب . وقيل: على الشرع
والقرآن وقيل: على الوعيد، وقيل: على أمر الساعة ."

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال :

القول الأول: يعود الضمير على العذاب . وهو قول جماعة من المفسرين،
واختاره أبو حيان .

قال الطبرى : " يقول تعالى ذكره: ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا
محمد فيقولون لك: أحق ما تقول وما تعدنا به من عذاب الله في الدار الآخرة
جزاء على ما كنا نكسب من معاصي الله في الدنيا؟".

وقال السمر قندي: قال قتادة (□) ومقاتل (□): وذلك لأنّ حبي بن أخطب

١ - البحر المحيط (ج/٥ ل/١٣٥) (١٦٦/٥).

٢ - الطبرى (١١/٨٥)، السمر قندي (٢/١٢٣)، الماوردي والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٥٣،
الزمخشري (٢/٤٠)، ابن الجوزي (٤/٣٣)، الرازى (١٧/٢٦٥)، القرطبي (١٨/٣٥١)، النسفي
(٢/٢٣٩)، ابن جزي (٢/١٧٣)، الخازن آية ٥٣، ابن عادل (١٠/٢٥١)، البقاعي (٣/٤٥١)،
الجلالين آية ٥٣، الشرييني (٢/٢٥)، الشوكانى (٢/٤٥٠)، الألوسي (١١/٨٣١)، ابن عاشر
(١١/١٩٥).

٣ - قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة مات سنة بضع عشرة ومائة . تهذيب
الكمال (٤٩٨/٢٣)، التقريب ص ٤٥٣ (٤٥١/٤٩٨).

٤ - مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخرساني، أبو الحسن البلخي مفسر مجمع على تركه رمي =

حين قدم مكة قال للنبي ﷺ أحق هذا العذاب؟".

وقال الماوردي : "العذاب في الآخرة".

القول الثاني: يعود الضمير على الشرع والقرآن. ذكره بعض المفسرين^(□).

قال ابن عطية: و **﴿أَحَقُّ هُوَ﴾** قيل الإشارة إلى الشرع والقرآن.

وقال الرازى: واختلفوا في الضمير في قوله : **﴿أَحَقُّ هُوَ﴾** قيل: أحق ما جئتنا به من القرآن والنبوة والشرائع.

وقال أبو حيان: وقيل: على الشرع والقرآن.

القول الثالث: يعود الضمير على الوعيد، وهو قول ابن عطية والثعالبي^(□) ، وذكره أبو حيان وابن عادل .

قال ابن عطية: وقيل: إلى الوعيد وهو الأظهر.

وقال الثعالبي^(□): و **﴿أَحَقُّ هُوَ﴾** قيل: الإشارة إلى الشرع والقرآن، وقيل: إلى الوعيد؛ وهو أظهر.

وقال ابن عادل^(□): والضمير، أعني: "هو" عائدٌ إِمَّا على العذاب، أو على الشرع، أو على القرآن، أو على الوعيد، أو على أمر الساعة.

القول الرابع : يعود الضمير على أمر الساعة . وهو قول جماعة من

بالتجسيم توفي سنة ١٥٠ هـ. تاريخ البخاري الكبير (١٣/٨) (١٩٧)، التقرير ص ٥٤٥ (٦٨٦٨).

١ - ابن عطية (١٢٤/٣)، الرازى (٢٦٥/١٧)، أبو حيان (١٦٦/٥)، ابن عادل (٢٥١/١٠).

٢ - ابن عطية (١٢٤/٣)، الثعالبي (٩٩/٢).

٣ - عبد الرحمن بن محمد بن خلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد، مفسر، من أعيان الجزائر توفي سنة ١٣٨٤ هـ. الضوء اللامع (٤/١٥٢)، شجرة النور الزكية ص ٢٦٥، الأعلام (٣/٣٣١).

٤ - عمر بن علي بن عادل الحنفي الدمشقي ، أبو حفص سراج الدين، المفسر، توفي سنة ٨٨٠ هـ. كشف الظنون ص ١٥٤٣، هدية العارفين (١/٧٩٤)، الأعلام (٥٨/٥).

المفسرين^(□).

قال الماوردي: "﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: البعث، قاله الكلبي^(□).

وقال الواحدي: "﴿أَحَقُّ﴾ ما أخبرتنا به من العذاب والبعث؟"

وقال البغوي: "﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ أي: ما تعددنا من العذاب وقيام الساعة."

القول الخامس : يعود الضمير على النبوة . ذكره الرazi والبيضاوي
والألوسي^(□).

قال الرazi: واحتلقو في الضمير في قوله: "﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ قيل: أحق ما جئتنا
به من القرآن والنبوة والشرائع".

وقال البيضاوي: "﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ أحق ما تقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله
بجد أم باطل تهزل به قاله حبي بن أخطب لما قدم مكة".

وقال الألوسي: أي العذاب الموعود كما هو الأنساب بالسياق دون ادعاء
النبوة الذي جوزه بعضهم، ورجح عليه أيضاً بأنه لا يتأتى إثبات النبوة
لمذكرتها بالقسم".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما كون الضمير يعود على العذاب فإن سياق الآية يدل عليه.
- وأما كون الضمير يعود على الشرع والقرآن فلم أجده قرينة أو قوله

١ - الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٥٣، ابن الجوزي (٤/٣٣)، الرazi (١٧/٢٦٥)، القرطبي (٨/٣٥١)، الخازن آية ٥٣، ابن كثير (٤/٢٣٨)، ابن سعدي ص ٣٦٦.

٢ - محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو النضر، المفسر، كان رأساً في الأنساب إلا أنه شيعي متrock الحديث توفي سنة ١٤٦هـ. طبقات بن سعد (٦/٢٤٩)، سير أعلام النبلاء (٦/٢٤٨)، تهذيب التهذيب (٣/٢٠٥).

٣ - الرazi (١٧/٢٦٥)، البيضاوي (٣/٢٠٢)، الألوسي (١١/٨٣١).

يدل على ذلك؛ وذكره بعض المفسرين عرضا دون دلالة.

- وأما كون الضمير عائدا على الوعيد فنسأل ما الذي أ وعد به المكذبون؟ فالجواب: هو العذاب؛ فصار قوله واحدا مع القول الأول.
- وأما كون الضمير يعود على الساعة أو البعث أو القيامة أو المعاد كما عبر به البعض. فيقال إن الكفار لم يكونوا في شك من قيام الساعة والبعث فيسألون وإنما هم منكرون ذلك أشد الإنكار؛ وسؤالهم هنا على سبيل التهكم والاستهزاء كما هو معلوم من حا لهم لأمر أ وعدوا به وهو العذاب.
- وأما كون الضمير يعود على النبوة فيقال إن إثبات النبوة لمنكريها في الغالب لا يكون بالقسم بل بالمعجزات الباهرة والبراهين الساطعة الدالة على صدق النبي ﷺ. ولا دلالة في الآية على النبوة؛ كما أن الضمير (هو) لا يتناسب مع النبوة من حيث التذكير والتأنيث.

الترجح:

يترجح عود الضمير على العذاب، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لأنه الأنساب لدلالة السياق.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلُدِ هَلْ تُجَزَّوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٥٢]. فهي الآية السابقة لهذه الآية.

قال أبو حيان: "ولما تضمن قوله أحق هو السؤال عن العذاب، وكان سؤالاً عن العذاب اللاحق بهم لا عن مطلق عذاب يقع بين يقع . قيل: وما أنتم بمحاجزين أي فائتين العذاب المسؤول عنه، بل هو لاحق بكم."

وقال الرازي: "ثم إنه تعالى أكد ذلك بقوله: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعَجِّزِينَ ﴾ ولا بد

١ - ذكره الألوسي (٨٣١/١١).

فيه من تقدير مخدوف، فيكون المراد وما أنتم بمعجزين لمن وعدكم بالعذاب أن ينزله عليكم والغرض منه التنبية على أن أحداً لا يجوز أن يمانع ربه ويدافعه "عما أراد وقضى".

. وجود قرينة وهي القسم فهو لتأكيد ما سألهوا عنه.

قال الألوسي : "الحق أن القسم لم يذكر للإلزام بل توكيده لما أنكروه، والاستفهام للإنكار، والاستنباء على سبيل التهكم والاستهزاء كما هو المعلوم من حالم فلا يقتضي بقاءه على أصله".

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما معنى (إِي وَرَبِّي) في قوله ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌ ﴾؟^١
 قال أبو حيان: "وأمر تعالى نبيه أن يقول مجيأً لهم : قل إِي وربِّي، أي نعم وربِّي. و(إِي) تستعمل في القسم خاصة (□)، كما تستعمل (هل) بمعنى (قد) فيه خاصة. قال معناه الزمخشري (□) (□) (□)."

الدراسة:

(إِي): بالكسر (□) والسكون حرف جواب بمعنى نعم، فتكون لتصديق المخبر، والإعلام المستخبر، ولو عد الطالب، ولا تقع إلا قبل القسم . ("□" صلة له . ، "□" ويحيىء بعدها حرف القسم وقد لا يحيىء ، تقول: (إِي وربِّي) وإِي ربِّي . "□" فهي "من حروف الإيجاب".)

وفي معناها قولان:

القول الأول: معنى (إِي وربِّي) أي نعم وربِّي؛ وهو قول جماعة من المفسرين، (□) و اختاره أبو حيان.

١ - قال السمين في عمدة الحفاظ ص ٣٤: "لو قيل لك أقام زيد فقلت: إِي وسكت أو إِي قام زيد لم يجز لعدم وجود القسم".

٢ - الكشاف (٢٤٠/٢).

٣ - البحر المحيط (ح ٥/٥ ل ١٣٥) (١٦٧).

٤ - ذكر في الصحاح الكسر فقط.

٥ - الإنقان (١٨٠/٢).

٦ - المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٢٤).

٧ - إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/١٥١).

٨ - الزجاج (٣/٢٥)، السمرقندى آية ٥٣، النحاس (١/٤٨٤)، الوحدى في الوجيز والبغوى آية ٥٣،

ابن عطية (٣/١٢٤)، ابن الجوزي (٤/٣٣)، القرطبي (٨/٢٥١)، البيضاوى (٣/٢٠٢)، النسفي

(٢٣٩/٢)، ابن جزي (٢/١٧٣)، الخازن آية ٥٣. السمين في عمدة الحفاظ ص ٣٤، ابن عادل

(١٠/٣٥١)، الجلالين آية ٥٣، الشريبي (٣/١٢٥)، أبي السعود (٤/١٥١)، الجمل (٢/٣٥٦)،

=

قال الزجاج ^(□): "نعم وربى".

وقال السمرقندى: "هو؟ ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾، يعني قل: يا محمد نعم."

وقال النحاس: "أي المعنى: نعم."

القول الثاني: معنى (إِي وَرَبِّي) أي بل، وهو قول ابن قتيبة ^(□).

قال ابن الجوزي : "وقال ابن قتيبة: (إِي) بمعنى (بل) ولا تأتي إلا قبل اليمين صلة لها".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول أن معنى (إِي): نعم. فهو ما اجتمع عليه المفسرون ولم أر فيما اطلعت عليه خلافاً إلا ما نقله ابن الجوزي عن ابن قتيبة .
- ومن ذكر (بل) في كتب علوم القرآن، لم يذكروا أنها حرف تحقيق أو أنها بمعنى (نعم) أو (إِي) ^(□).

الترجح:

يترجح أن معنى إِي: نعم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك : لأنه المناسب لجواب السؤال فيه الإيجاب والتوكيد والتحقيق.

=
الشوکانی (٤٥٠/٢)، الألوسي (٣١/١١)،

١ - إبراهيم بن محمد بن السريّ الزجاج البغدادي، أبو إسحاق، الإمام نحو زمانه، توفي سنة ٣١١هـ. تاريخ بغداد (٨٩/٦)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٧٠)، سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦٠).

٢ - نقله ابن الجوزي في زاد المسير عنه (٤/٣٣). وابن قتيبة هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، العالمة الكبير، ذو الفنون، كان ثقة دينا فاضلا، توفي سنة ٢٧٦هـ. تاريخ بغداد (١٠/١٧٠)، سير لأعلام النبلاء (١٣/٢٩٦)، تذكرة الحفاظ (٢/٦٣٣).

٣ - ذكر الزركشي في البرهان (٤/٢٥٨ - ٢٦٠)، والسيوطى في الإتقان (٢/٢٥٢) أن: بل حرف إضراب إذا تلاها جملة، ويكون بمعنى الإبطال لما قبلها أو الانتقال من غرض إلى آخر، أما إذا تلاها مفرد فهي عاطفة ولم تقع في القرآن كذلك. أ.هـ باختصار .

قال القرطبي: "(إي) كلمة تحقيق وإيجاب وتأكيد بمعنى نعم."

. لاتفاق ما ذكره أهل اللغة مع ما اجتمع عليه المفسرون.

لأن مثله أن تقول: أي والله.

قال البيضاوي: "إي بمعنى نعم وهو من لوازם القسم ... فيقال: إي والله ولا
يقال إي وحده."

أن الجواب بذلك فيه فائدة عظيمة.

قال الرازى: "ثم إنه تعالى أمره أن يجيبهم بقوله : ﴿قُلْ إِي وَرَبِّكَ إِنَّهُ لَحَقٌ﴾
والفائدة فيه أمور:

أحدها: أن يستمليهم ويتكلم معهم بالكلام المعتمد ومن الظاهر أن من أخبر
عن شيء، وأكده بالقسم فقد أخرجه عن الم Hazel وأدخله في باب الجد .

وثانيها: أن الناس طبقات فمنهم من لا يقر بالشيء إلا بالبرهان الحقيقى،
ومنهم من لا يتتفق بالبرهان الحقيقى، بل يتتفق بالأشياء الإقناعية، نحو القسم
فإن الأعرابي الذي جاء الرسول ﷺ ، وسأل عن نبوته ورسالته (□) اكتفى في
(□) تحقيق تلك الدعوى بالقسم، فكذا ههنا.

والله تعالى أعلم

١ - والحديث في صحيح البخاري / كتاب العلم / باب ما جاء في العلم / حديث رقم (٦٣).

٢ - مفاتيح الغيب (١٧/٢٦٥).

المسألة الثالثة

هل يصح وصل (إي) بواو القسم أم لا يصح؟

قال أبو حيان : " قال - أي الزمخشري -: وسمعتهم يقولون في التصديق (إي و) فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده □ انتهى . ولا حجة فيما سمعه الزمخشري من ذلك لعدم الحجية في كلامه لفساد كلام العرب إذ ذاك وقبله بأزمان كثيرة ." □

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول: لا يصح وصل (إي) بواو القسم فيقال (إيو) ، وهو قول أبي حيان و اختياره . □

قال الألوسي: " وحذف المجرور بواو القسم والاكتفاء بها لم يسمع من موثوق به وهو مخالف للقياس ."

القول الثاني: يصح وصل (إي) بواو القسم، وهو بعض المفسرين □ .

قال الزمخشري: وسمعتهم يقولون في التصديق : إيو، فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده .

وقال البيضاوي : " وإي بمعنى نعم وهو من لوازن القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال إي والله ولا يقال إي وحده ."

١ - الزمخشري (٢٤٠/٢).

٢ - البحر الحيط (ح/٥ ل/١٣٦) (١٦٧/٥).

٣ - وقد تطرق كثير من المفسرين - وهم من سبق ذكرهم في القول الأول في المسألة السابقة - إلى معنى (إي)، ولم يعتنوا بالرد على ما قاله الزمخشري ، وأبو حيان رحمه الله هو من تطرق إلى هذه المسألة وتبعه الألوسي (١١/٣١) ، ومن ذكرنا من المفسرين في هذه المسألة أصحاب القول الثاني.

٤ - الزمخشري (٢٤٠/٢)، البيضاوي (٣/٢٠٢)، السمين في عمدة الحفاظ ص ٣٤ ، أبي السعود (٤/١٥١)

وقال السمين : " وقد كثر ورود هذه الكلمة - إِي وربِّي - حتى حذفوا جملتي
القسم وجوابه وابقوا حرفاً موصولاً بـإِي ؛ فيقولون (إِيُو) يريدون إِي والله".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأنه يصح أن نقول (إِيُو) فإن ثبت بدليل مؤكّد ذلك فلا مانع من صحته.

- أما إن كانت الحجة في سماع الكلمة من الناس فلا حجة فيه، لاسيما بعد اختلاط الناس وضعفهم في استخدام مفردات اللغة العربية الفصحى، فالعبرة بالنقل الصحيح من الموثوق بهم في ذلك.

الترجيح:

يترجح القول إن الصحيح في جواب القسم الذي بدأ بـ (إِي) أن يقال فيه: إِي وربِّي ولا يقال (إِيُو)، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لعدم صحة السماع فيه من الثقات والعارفين باللغة الفصحى.

قال الألوسي: "(إِي) حرف جواب وتصديق بمعنى نعم قيل : ولا تستعمل كذلك إلا مع القسم خاصة كما أن هل يعني قد في الاستفهام خاصة، ولذلك سمع من كلامهم وصلها بواو القسم إذا لم يذكر المقسم به فيقولون - إِيُو - ويوصلون به هاء السكت أيضاً فيقولون: - إِيُوه - وهذه اللفظة شائعة اليوم في لسان المصريين وأهل ذلك الصقع[□]). وادعى أبو حيان أنه يجوز استعمالها مع القسم وبدونه إلا أن الأول هو الأكثر قال : وما ذكر من السماع ليس بحجة لأن اللغة فسدت بمخالطة غير العرب فلم يبق وثيق بالسماع، وحذف المجرور

١ - قال الجمل (٣٥٦/٢) : " ومنه قول الناس في الجواب : إِي والله، وقولهم : (إِيُوه) فاللواو للقسم والهاء مأخوذة من الله.ا.هـ عن شيخه. ولم يحدد من هم الناس ولعله أراد بهم أهل عصره ؟ فلا عبرة بذلك لاختلاط اللسان ، ولعلها في لهجة عوام الناس كما هي الآن في هذا العصر في بعض البلاد العربية.

بما أن القسم والاكتفاء بها لم يسمع من موثوق به وهو مخالف للقياس، وأكده الجواب بأنتم وجوه التأكيد حسب شدة إنكارهم وقوته وقد زيد تقريراً وتحقيقاً

بقوله جل شأنه: ﴿لَآتِ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ .^{١٧٤}

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَاقْتَدَتْ بِهِ، وَأَسَرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤].
في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما معنى قوله تعالى ﴿وَأَسَرُوا النَّدَامَةَ﴾؟

قال أبو حيان: "(واسر) من الأضداد تأتي بمعنى أظهره. قال الفرزدق ^(□): ولما رأى الحجاج ^(□) جرد سيفه أسر الحروري ^(□) الذي كان أضمرا ^(□)

وقال آخر:

فأسررت الندامه يوم نادي
برد جمال غاضرة ^(□) المنادي ^(□)
وتأتي بمعنى أخفى وهو المشهور فيها كقوله : ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلَمُونَ﴾
لعود: ^٥ ويحقل هنا الوجهين . أما الإظهار فإنه ليس بيوم تصر و لا تحجد ولا

١ - همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري، أبو فراس ، شاعر عصره، توفي سنة ١١٠ هـ. تهذيب الأسماء واللغات (٢٨٠/٢)، سير أعلام النبلاء (٥٩٠/٤)، شذرات الذهب (١٤١/١).

٢ - الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، أبو محمد، توفي سنة ١٩٥ هـ. تاريخ البخاري (٣٧٣/٢)، الجرح والتعديل (١٦٨/١)، البداية والنهاية (٩/١٢٣).

٣ - الحروري: نسبة إلى الحرورية - بفتح الحاء وضم الراء - وهي فرقة من الخوارج، نسبة إلى قرية حرورة بظاهر الكوفة على بعد ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خالفوا عليا عليه السلام. ن. مقالات الإسلاميين ص ٨٧، الفرق بين الفرق ص ٧١، فرق معاصرة (١٢٣٠/١)، معجم البلدان (٢٨٣/٢)

٤ - اللسان (٣/١٩٨٩) مادة (سر) وفي البحر المحيط المطبوع اظهرها ، والبيت ليس في ديوان الفرزدق.

٥ - غاضرة: قبيلة وحي من صعصعة . القاموس ص ٥٧٩.

٦ - القائل هو كثير عزة . انظر ديوانه ص ٢٢١.

يقدر فيه الكافر على كتمان ما ناله، ولأنّ حالة رؤية العذاب يتحسر الإنسان على اقترافه ما أوجبه، ويظهر الندامة على ما فاته من الفوز ومن الخلاص من العذاب، وقد قالوا : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقَوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ [المؤمنون: ٦] وأما إخفاء الندامة فقيل : أخفى رؤساؤهم الندامة من سفلتهم حياءً منهم وخوفاً من توبتهم، وهذا فيه بعد، لأنّ من عاين العذاب هو مشغول بما يقاسيه منه فكيف له فكر في الحياء وفي التوبية الوارد من السفلة . وأيضاً (وأسرروا) عائد على كل نفس ظلمت على المعنى، وهو عام في الرؤساء والسفلة . وقيل : إخفاء الندامة هو من كونهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحسبوه ولا خطر بباهم، ومعايتها مَا أُوهى قواهم فلم يطقوها عند ذلك بكاء ولا صرخاً . ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب، كما يعرض لمن يقدم للصلب لا يكاد ينبع بكلمة، ويبقى مبهوتاً جاماً، وأما من قال : إن معنى قوله ﴿ وَأَسْرُوا الْنَّدَامَةَ ﴾ أخلصوا الله في تلك الندامة ، أو بدت بالنداة أسرة وج وهم، أي تكسير جباهم (□)، ففيه بعد عن سياق الآية. (□)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

(□) القول الأول: إن معنى (أسرروا) أظهروا. وهو قول جماعة من المفسرين،

١ - قال الراغب في مفردات القرآن مادة (سر) ص ٢٣٤ واستعير للخالص ،فقيل : هو من سر قومه، ومنه

سر الوادي، وسرارته . وقال في القاموس ص ٥٢٠: "خالص كل شيء بين السراره بالفتح".

٢ - وهو قول المبرد ذكره الماوردي في تفسيره النكت والعيون آية ٤٥ سورة يونس.

٣ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ١٣٦) (١٦٧/٥-١٦٨).

٤ - الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٤٥، الزمخشري (٢/٢٤٠)، ابن الجوزي (٤/٣٤)،

واختاره أبو حيان.

قال الماوردي : "أظهروها وكشفوها لهم".

وقال الواحدي:أي أظهروها .

وقال البغوي: «وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ» قال أبو عبيدة: معناه: أظهروا الندامة لأنه ليس ذلك اليوم يوم تصبر وتصنّع.

(□) القول الثاني: إن معنى (أسروا) أخفوا، وهو قول جماعة من المفسرين.

قال الطبرى : "وقوله: «وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ» يقول: وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الـ ندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم، وأيقنوا أنه واقع بهم."

وقال السمرقندى : «وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ» يعني: أخفوا الندامة يعني: القادة من السفلة.

وقال الماوردي : «وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ» فيه وجهان: أحدهما: أخفوا الندامة وكتموها عن رؤسائهم، وقيل بل كتمها الرؤساء عن أتباعهم.

(□) القول الثالث: إن معنى (أسروا) أخلصوا. ذكره بعض المفسرين.

الرازي (٢٦٥/١٧)، القرطبي (٣٥٢/٨)، البيضاوي (٢٠٣/٣)، ابن جزي (١٧٣/٢)، الخازن آية ٥٤، السمين في الدر (٦/٢٢١)، ابن عادل (١٠/٣٥١)، الشريبي (٢٨/٢)، أبي السعود (٤/١٥١)، الجمل (٢/٣٥٦)، الثعالبي (٢/٩٩).

١ - الطبرى (٢٦٥/١١)، السمرقندى (٢/١٩٧)، الواحدى فى الوسيط (٢/٥٥٠)، والوجيز آية ٥٤، البغوى آية ٥٤، الزمخشري (٢/٢٤٠)، ابن عطية (٣/١٢٤)، ابن الجوزى (٤/٣٩)، الرازي (١٧٣/٢٦٥)، القرطبي (٨/٣٥٢)، البيضاوى (٣/٢٠٣)، النسفي (٢/٢٣٩)، ابن جزي (٢/١٧٣)، الخازن آية ٥٤، السمين في الدر (٦/٢٢١)، ابن عادل (١٠/٣٥١)، الجلالين آية ٥٤، أبي السعود (٤/١٥١)، الشوكاني (٢/٤٥٣)، الألوسي (١١/٤١)، الثعالبي (٢/٩٩)، ابن عاشور (١١/١٩٧).

٢ - الزمخشري (٢/٢٤٠)، الرازي (١٧/٢٦٥)، الشوكاني (٢/٤٥٠).

قال الزخري: وقيل أسروها أخلصوها، إما لأن إخفاءها إخلاصها، وإما من قولهم : سر الشيء، خالصه . وفيه تهكم بهم وبأخطائهم وقت إخلاص الندامة.

وقال الرازي : أنهم أسروا تلك الندامة لأنهم أخلصوا الله في تلك الندامة، ومن أخلص في الدعاء أسره، وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم يعني أنهم لما أتوا بهذا الإخلاص في غير وقته ولم ينفعهم، بل كان من الواجب عليهم أن يأتوا به في دار الدنيا وقت التكليف.

وقال الشوكاني : وقيل معنى: ﴿وَاسْرُوا الْنَّدَامَةَ﴾ أخلصوها، لأن إخفاءها إخلاصها.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما من قال معنى (أسروا) بمعنى (أظهروا) فهو الأقرب والأقوى في المعنى .

- وأما من قال معنى (أسروا) بمعنى (أخفوا) فهو غير ظاهر في واقع الموقف وذلك لأن الرؤساء ما كانوا ليخافوا من الآتابع في الدنيا مع احتمال قدرة الآتابع على تركهم والإضرار بهم والانقلاب عليهم ، فكيف يخاف الرؤساء منهم يوم القيمة مع إيقانهم أنهم لا يملكون

لأنفسهم نفعا فكيف بغيرهم قال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخَذُ مِنْ

دُونِ اللَّهِ أَنَّدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحْبٍ اللَّهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ

ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ١٦٥

تَبَرَّأَ الَّذِينَ أَتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ أَتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَنَقَطَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ

وَقَالَ الَّذِينَ أَتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَاكَذَلَكَ ١٦٦

يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَتِ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَرِيجِينَ مِنَ النَّارِ ١٦٧ [البقرة: ١٦٦]

١٦٥ - [١٦٧].

• وكذا حياء الرؤساء من الأتباع معدوم يوم القيمة لأنعدامه منهم في الدنيا، بالإضافة إلى أن كل إنسان في ذلك اليوم يشغل نفسه عن غيره لشدة الهول وعظم الخطب.

وكذا فإن قوله (وأسروا) عائد على كل نفس ظلمت على المعنى، وهو عام في الرؤساء والسلطة.

• وأما من قال (أسروا) بمعنى أخلصوا فهو معنى بعيد لأنه في لا ينفعه الإخلاص ولا يقبل منه عمل فهو موقف العرض وظهور الحقائق قال تعالى ﴿فِيَوْمٍ لَا يَنْفَعُ الظَّرِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتَهُمْ وَلَا هُمْ

يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧].

• وقال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

• وأما من قال بدت في تقسيم وجوههم فإنه يندرج تحت معنى أظهروا. ففعلهم هذا من أثر رهبة الموقف. فالرغم من محاولاتهم إخفاء الندامة إلا أنها ظهرت على الوجوه بغير إرادتهم ، لأنهم

في يوم العرض وانكشاف الحقائق، قال تعالى ﴿يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنِ سَاقِ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِعُونَ﴾ [٤٢] خشةً أبصراً ترهقهم ذلةً وقد كانوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ [٤٣] [القلم: ٤٢ - ٤٣].

• وأما من قال :أنهم وجدوا ألم الحسرة في قلوبهم ...الخ؛ فهو يندرج تحت معنى الإخفاء.

الترجمة:

يترجح أن معنى قوله (وأسروا) يدور بين أظهروا وأخفوا فهو من الأضداد، إلا أن معنى الإظهار في هذه الآية أقوى وأظهر وذلك:

لأنه أبلغ وأعظم في كشف حال الكفار فهم يحاولون قدر بِاللهِ.

المستطاع إخفاء ندمهم لكنه يوم العرض وانكشاف الحقائق.

أ. أنه لو كان المعنى (أسروا) أخفوا لم يكن هناك لفت للنظر؛ لأن

المعروف في الدنيا أن كل متكبر ومستعل يخفي الندم في حال وجوده،

أما في الآخرة فمهما أخفوا فإنه سيظهر.

٣. أن ظهور الندامة لها أعراض مشابهة في ذلك الموقف مثل عض الظالم على يديه، والبكاء، والصراخ، وتغnyi العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات،

وتغnyi تحوله إلى تراب... الخ فمهما حاولوا إخفاءها فإنها تظهر.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقُسْطِ﴾ ؟

قال أبو حيان : "والظاهر أن قوله : وقضى بينهم بالقسط، جملة أخبار مستأنفة، وليس معطوفة على ما في حيز لما، وأن الضمير في بينهم عائد على كل نفس ظلمت. وقال الزمخيري: "بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم." (□) انتهى. وقيل: يعود على المؤمن والكافر . وقيل: على الرؤساء والأتباع." (□)

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: الضمير يعود على كل نفس ظلمت، وهو قول بعض المفسرين، (□) واختاره أبو حيان.

قال السمرقندى: "ويقال: قضى بينهم، يعني : بين الخلق بالعدل، فيعطي ثوابهم على قدر أعمالهم."

وقال ابن عادل: "والضمير في ﴿بَيْنَهُم﴾ يعود على ﴿كُلِّ نَفْسٍ﴾ في المعنى."
وقال الجلالان (□): "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ بين الخلائق."

القول الثاني: الضمير يعود على الظالمين والمظلومين، وهو قول جماعة من

١ - الكشاف (٢٤٠ / ٢).

٢ - البحر الحيط (ح / ٥ ل / ١٣٦) (١٦٧ / ٥).

٣ - السمرقندى (١٢٣ / ٢)، ابن عادل (٣٥١ / ١٠)، الجلالين آية ٤٥، ابن عاشور (١٩٧ / ١١).

٤ - جلال الدين المحلي: محمد بن أحمد بن محمد المحلي الشافعى، أصولي مفسر، توفي سنة ٨٨٦ هـ، شذرات الذهب (٣٠٣ / ٧)، الضوء اللامع (٣٩ / ٧)، الأعلام (٣٣٣ / ٥).

وجلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيرى السيوطى، إمام حافظ مؤرخ أديب، توفي سنة ٩١١ هـ. شذرات الذهب (٥١ / ٨)، الضوء اللامع (٦٥ / ٤)، الأعلام (٣٠٢ / ٣).

المفسرين ^(□).

قال الزمخشري: "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين الظالمين والمظلومين، دل على ذلك ذكر الظلم."

وقال البيضاوي: "الحكومة بين الظالمين والمظلومين، والضمير إنما يتناوله مدلالة الظلم عليهم."

وقال النسفي: "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم."

القول الثالث: الضمير يعود على المؤمن والكافر، وذكره بعض المفسرين ^(□).

قال السمرقندى: "ويقال: يقضي بين الكفار بالعدل، وبين المؤمنين بالفضل."

وقال الرازى: "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ فقيل بين المؤمنين والكافرين."

وقال الخازن ^(□): "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ يعني وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر."

القول الرابع : الضمير يعود على الرؤساء والاتباع، وهو قول بعض المفسرين ^(□).

قال الطبرى: "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ يقول: وقضى الله يؤمئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل."

١ - الزمخشري (٢٤٠/٢)، البيضاوى (٢٠٣/٣)، النسفي (٢٣٩/٢)، ابن عادل (٣٥١/١٠)، البقاعي (٢٨/٢)، الشوكانى (٤٥٠/٢)، الألوسى (٤١/١١).

٢ - السمرقندى (١٢٣/٢)، الرازى (٢٦٥/١٧)، الخازن آية ٥٤، الشوكانى (٤٥٠/٢).

٣ - علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي، علاء الدين المعروف بالخازن عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، كان خازن الكتب بالمدرسة السميسياطية فيها، توفي سنة ٧٤١ هـ. شذرات الذهب (٩١/٦)، هدية العارفين (٧١٦/١)، الأعلام (٥/٥).

٤ - الطبرى (١١/٨٦)، الواحدي في الوجيز آية ٥٤، ابن الجوزى (٤/٣٤).

وقال الوحدى : "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين السفلة والرؤساء".

وقال ابن الجوزي : يعني: الرؤساء أخفواها من الأتباع ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الفريقين.

القول الخامس: الضمير يعود على الكفار. وهو قول بعض من المفسرين ^(□).

قال الرازي : وقيل بين الكفار بإنزال العقوبة عليهم.

واعلم أن الكفار وإن اشتركوا في العذاب فإنه لا بد وأن يقضى الله تعالى بينهم لأنه لا يمتنع أن يكون قد ظلم بعضهم بعضاً في الدنيا وخانه، فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم، وتثقل لعذاب الباقيين، لأن العدل يقتضي أن يتصرف للمظلومين من الظالمين، ولا سبيل إليه إلا بأن يخفف من عذاب المظلومين ويشقل في عذاب الظالمين.

وقال البيضاوي: "مجازاة المشركين على الشرك".

وقال الخازن : "﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ يعني وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر".

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بعود الضمير على كل نفس ظلمت يفيد العموم وبقية الأقوال تدرج تحته. وهو مناسب لختام الآية.

الترجيح:

يترجح القول بعود الضمير على كل نفس ظلمت، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

لأنه يفيد العموم وتدرج باقي الأقوال تحته، والقاعدة الترجحية ^{بأجل الله}.

تقول: إن القول بالعموم مقدم على القول بالخصوص ما لم يرد خاص

١ - الرازي (٢٦٥/١٧)، البيضاوي (٣/٢٠٣)، الخازن آية ٥٤، ابن عاشور (١١/١٩٧).

يخصصه.

أنه قول مناسب لأول الآية وختامها، والقاعدة الترجحية تقول :

[القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه].^(١)

والله تعالى أعلم

١ - من توجيهات فضيلة المشرف أ.د. جمال مصطفى النجار. وانظر قواعد الترجح (٥٢٧/٢).

٢ - قواعد الترجح (٢٩٩/١).

قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الْأَصْدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من المخاطب في قوله ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾؟

قال أبو حيان : "قيل: نزلت في قريش الذين سألوا الرسول ﷺ أحق هو؟ فالناس هم كفار قريش. وقال ابن عطية: هو خطاب لجميع العالم".

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن الخطاب لكافار قريش وهو قول بعض المفسرين؛ □ واختاره أبو حيان.

قال الواحدي: "﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني: قريشاً."

وقال ابن الجوزي: "﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ قال ابن عباس: يعني قريشاً."

وقال القرطبي: قوله تعالى: "﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني قريشاً."

القول الثاني: إن الخطاب لجميع العالم؛ وهو قول بعض المفسرين. □

قال ابن عطية: "هذه آية خوطب بها جميع العالم."

وقال الخازن: "وقيل: هو على العموم وهو الأصح."

وقال ابن كثير: يقول تعالى ممتناً على خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم ."

١ - المحرر الوجيز(٣/١٢٦).

٢ - البحر المحيط (ح/٥، ل/١٣٦) (٥/١٦٨).

٣ - الواعدي في الوجيز آية ٥٧، ابن الجوزي (٤/٤)، القرطبي (٨/٣٥٣).

٤ - ابن عطية (٣/١٦٨)، الخازن آية ٥٧، ابن كثير (٤/٤)، البقاعي (٣/٤٥٣)، الشربيني (٢/٢٨)، أبي السعود (٤/١٥١)، الألوسي (١١/٤١)، ابن عاشور (١١/٢٠٠).

القول الثالث: إن الخطاب لأهل مكة وهو قول بعض المفسرين. (□)

قال السمرقندى : يعني: يا أهل مكّة.

وقال الجلالان : "أي أهل مكة ."

وقال ابن عاشور : "ويجوز أن يكون خطاباً للمشركين بناء على الأكثر في

خطاب القرآن بـ "﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأن الآية نزلت في قريش، فلم أجده أحداً من المفسرين

فِيمَا اطْلَعْتُ عَلَيْهِ ذَكْرًا إِلَّا مَا أُورِدَهُ أَبُو حِيَانُ، وَالَّذِي

ذكره عن ابن عباس في بيان المخاطب " قال ابن عباس : يعني

قرىشا. (□) فهو تفسير وليس تصريحا منه ونصا بسبب التزول.

فهناك فرق بين كونه سبباً للتزوّل وتصريح الصحابي بذلك وبين كونه تفسير للآية، ولعل مراد القائل إنّه معنى الآية، لأنّ "قولهم": نزلت هذه الآية في كذا، إنّه تأثّر بالتأثّر، وإنّه تأثّر بالتأثّر.

وإإن لم يكن السبب، كما تقول: عنى بهذه الآية كذا. (□)

ويدرج هذا القول تحت القول إن الخطاب لأهل مكة فقريش من أهل مكة؛ وكلاهما يدرجان بالقول إن الخطاب لجميع العالم.

الترجمة

يترجح القول أن الخطاب لجميع العالم ، وذلك:

لأنه أقرب إلى دلالة المعنى في الآية.

^{٥٧} - السمر قندي (١٢٣/٢)، الجلالين آية ١١، ابن عاشور (١١/٢٠٠).

٢ - ذكره الوحدى في الوسيط (٥٥٠/٢)

^٣ - ذكره في الاتقان (١/٨٩) عن ابن تيمية.

لأن[العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب]^(□) وهي قاعدة مهمة من قواعد الترجيح عند المفسرين ، هذا على فرضية صحة سبب النزول والتصريح به فكيف إذا لم يصرح به من قبيل الصحابي، لأنه " لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع من شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها."^(□)

لأنه الأنسب لدلالة السياق. بعض المحققين

والله تعالى أعلم.

١ - قواعد الترجيح لحسين الحربي (٥٤٥/٢).

٢ - قاله الواحدى في أسباب النزول ص ١.

قال تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فِي ذَلِكَ فَلَيَقْرَبُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ٥٨

[يونس: ٥٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بفضل الله ورحمته في الآية؟

قال أبو حيان: قال الزمخشري عن أبي بن كعب □: أن رسول الله ﷺ قرأ: قل بفضل الله وبرحمته فقال :بكتاب الله والإسلام، وقيل: فضله الإسلام، ورحمته ما وعد عليه □ انتهى. ولو صح هذا الحديث لم يمكن خلافه. قال ابن عباس، والحسن □، وقتادة، وهلال بن يساف □: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن. وقال الضحاك □ وزيد بن أسلم □ عكس هذا، وقال أبو سعيد الخدري □: الفضل القرآن، والرحمة أن جعلهم من أهله . وقال ابن

- ١ - أبي بن كعب بن قيس بن النجار الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراء، من قراء الصحابة، توفي في خلافة عمر ▪. الاستيعاب (١٦٨/١)، أسد الغابة (١٦٨/١)، الإصابة (١٦).
- ٢ - الكشاف (٢٤١/٢). والحديث: قال ابن حجر في الكاف الشاف (٤/٨٤): "رواه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ ﴾ فذكره، عن أبي سعيد كذلك أخرجه الطبرى، وروى ابن مردویه من حديث أنس، قال رسول الله ، قل بفضل الله ورحمته، قال : بفضل الله ورحمته أن جعلكم من الملائكة".
- ٣ - الحسن البصري: اسم أبيه يسار ، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، من كبار التابعين، ثقة فاضل، توفي سنة ١١٠ هـ. طبقات ابن سعد (١٥٦/٧)، تاريخ البخاري (٢٨٩/٢)، التقريب ص ١٦٠ ،
- ٤ - هلال بن يساف، بكسر التحتانية ثم مهملة ثم فاء، ويقال بن إساف، الأشجاعي مولاهم، أبو الحسن الكوفي، ثقة، من الثالثة . طبقات ابن سعد (٢٩٧/٦)، تهذيب الكمال (٣٥٣/٣٠)، التقريب ص ٥٧٦ .
- ٥ - الضحاك بن مزاحم الهمالى، أبو القاسم أو أبو محمد الخرسانى، صدوق كثير الإرسال، طبقات ابن سعد (٣٠٠/٦)، تهذيب الكمال (٢٩١/١٣)، التقريب ص ٢٨٠ .
- ٦ - زيد بن أسلم، أبو العدوى العمري المدنى الفقيه، الإمام الحجة القدوة، توفي سنة ١٣٠ هـ. الجرح والتعديل (٣١٦/٥)، حلية الأولياء (٣/٢٢١)، سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٣).
- ٧ - أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان، الأنصاري مشهور بكتبه أول مشاهد الخندق،

=

عباس فيما روى الفضحاء عنه : الفضل العلم والرحمة محمد ﷺ . وقال ابن عمر (□) : الفضل الإسلام، والرحمة تزيينه في القلوب . وقال مجاهد : الفضل والرحمة القرآن، واختاره الزجاج . وقال خالد بن معدان (□) : الفضل القرآن، والرحمة السنة . وعنده أيضاً أنَّ الفضل الإسلام، والرحمة الستر . وقال عمرو بن عثمان (□) : فضل الله كشف الغطاء، ورحمته الرؤية واللقاء . وقال الحسين بن فضل (□) : الفضل الإيمان، والرحمة الجنة . وقيل : الفضل التوفيق، والرحمة العصمة . وقيل : الفضل نعمه الظاهرة، والرحمة نعمه الباطنة . وقال الصادق (□) : الفضل المغفرة، والرحمة التوفيق . وقال ذو النون (□) : الفضل الجنان، ورحمته النجاة من النيران . وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل، وينبغي

=
توفي سنة ٧٤ هـ. الأسد(٤٥١/٢)، التجريد (٣١٨/١)،

١ - عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، أبو عبد الرحمن، أسلم وهو صغير، توفي سنة ٧٣ هـ. الاستيعاب(٣/٩٥٠)، الأسد(٣٣٦/٣)، الإصابة(٤/١٠٧).

٢ - خالد بن معدان بن أبي كرب، الإمام، شيخ أهل الشام، أبو عبدالله الكلاعي، الحمصي، توفي سنة ١٠٣ هـ. طبقات ابن سعد(٧/٤٥٥)، تاريخ البخاري(٣/١٧٦)، الحلية(٥/٢١٠).

٣ - عمرو بن عثمان بن عفان، قدِيم الموت يروي عن أبيه، وأسامه بن زيد، وعنده سعيد بن المسيب وأخرون، ثقة ليس بالكثير . طبقات ابن سعد (٥/١٥٠)، تهذيب التهذيب (٨/٧٨)، سير أعلام النبلاء(٤/٣٥٣).

٤ - الحسين بن الفضل بن عمير، العالمة المفسر، الإمام، اللغوي، المحدث، أبو علي البجلي الكوفي، النيسابوري، عالم عصره، توفي سنة ٢٨٢ هـ. سير أعلام النبلاء(١٣/٤١٤)، لسان الميزان(٢/٣٠٧)، شذرات الذهب(٢/١٧٨).

٥ - جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله، المعروف بالصادق، صدوق فقيه إمام، من السادسة، توفي سنة ٤٨ هـ. تهذيب الكمال(٥/٧٤)، سير أعلام النبلاء(٦/٢٥٥)، التقريب ص ١٤١.

٦ - ذو النون المصري ، الزاهد، شيخ الديار المصرية، اختلف في اسمه، أبو الفيض، توفي سنة ٢٤٥ هـ. حلية الأولياء(٩/٣٣١)، سير أعلام النبلاء(١١/٥٣٢)، البداية والنهاية(١٠/٣٤٧).

أن يعتقد أنها تقييلات، لا أن^(□) الفضل والرحمة أريد بهما تعين ما ذكر وحصرهما فيه.^(□)

الدراسة :

في الآية سبع عشر قولًا :

القول الأول: المراد فضله الإسلام، ورحمته ما وعد عليه ، قاله أبي[ٌ] . وذكره الزمخشري.

قال الزمخشري: وقيل: «فضله» الإسلام «ورحمته» ما وعد عليه.

القول الثاني: المراد فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن . قاله ابن عباس ، والحسن، وقتادة، وهلال بن يساف. وذكره جماعة من المفسرين^(□).

قال الطبرى: يقول: فإن الإسلام الذي دعاهم إليه القرآن الذي أنزله عليهم، خير ما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها.

وقال السمرقندى: يعني: قل يا محمد للمؤمنين بفضل الله، الإسلام وبرحمته القرآن.

وقال ابن أبي حاتم: .. عن ابن عباس قال: فضله: الإسلام، ورحمته القرآن.

القول الثالث: المراد فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام. قاله الضحاك وزيد بن أسلم. وذكره بعض المفسرين^(□).

١ - في المطبوع (لأن).

٢ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٣٧) (١٣٧/٥).

٣ - الطبرى (٨٦/١١)، السمرقندى (١٢٣/٢)، ابن أبي حاتم (١٩٥٨/٦)، التعلبى والماوردي والواحدى فى ال وجيز والبغوى آية ٥٨ ، ابن عطية (١٢٦/٣)، ابن الجوزى (٣٥/٤)، القرطبي (٣٥٣/٨)، النسفى (٢٤٠/٢)، ابن جزي (١٧٣/٢)، الخازن والجلالين آية ٥٨ ، الشربى (٢٨/٢)، أبي السعود (٤/١٥١)، الشوكانى (٢/٤٥٠).

٤ - الطبرى (٨٦/١١)، السمرقندى (١٢٣/٢)، الماوردى والبغوى آية ٥٨ ، ابن عطية (١٢٦/٣)، ابن الجوزى (٤/٣٥)، الشربى (٢/٢٨).

قال الطبرى : " وقال آخرون: بل الفضل: القرآن، والرحمة: الإسلام."

وقال السمرقندى : " وروى عن ابن عباس أنه قال : بفضل الله، يعني : القرآن، ورحمته الإسلام."

وقال الماوردى: "أن فضل الله القرآن ، ورحمته الإسلام ، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم والضحاك."

القول الرابع: المراد فضل الله القرآن، والرحمة أن جعلهم من أهله . قاله أبو سعيد الخدري. وذكره بعض المفسرين. □

قال ابن أبي حاتم : "... عن أبي سعيد الخدري □ قال: فضل الله: القرآن، ورحمته أن جعلكم من أهله".

وقال الثعلبى: قال أبو سعيد الخدري: فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله."

وقال البغوى: وقال أبو سعيد الخدري: فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله".

القول الخامس: المراد الفضل العلم، والرحمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس . ذكره ابن الجوزي، وأبو حيّان.

قال ابن الجوزي: إن فضل الله: العلم، ورحمته: محمد ﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباس."

القول السادس: المراد الفضل الإسلام، والرحمة تزيينه في القلوب . قاله ابن عمر. ذكره الثعلبى والبغوى وابن الجوزي وأبو حيّان.

١ - ابن أبي حاتم (٦/١٩٥٨)، الثعلبى والماوردى والبغوى آية ٥٨، ابن الجوزي (٤/٣٥)، القرطبي (٨/٣٥٣)، الشرييني (٢/٢٨)، أبي السعود (٤/١٥١)، الشوكاني (٢/٤٥٠)، الألوسي (١١/٣٤١).

٢ - وسنده "قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشجع، ثنا معاوية، عن حجاج، عن عطاء، عن أبي سعيد قال:".

قال الشعبي: "وقال ابن عمر: فضل الله الإسلام وبرحمته تزيينه في القلب.
وقال البغوي: "وقال ابن عمر: فضل الله: الإسلام رحمته: تزيينه في القلب."
وقال ابن الجوزي: إن فضل الله: الإسلام، ورحمته: تزيينه في القلوب، قاله
 ابن عمر".

القول السابع: المراد الفضل والرحمة القرآن، قاله ابن عمر، واختاره الزجاج
 والنحاس والبيضاوي^(١).

قال الزجاج: "فضله، ورحمته: القرآن."
وقال النحاس: "وقال الحسن: فضله، ورحمته: القرآن."
وقال البيضاوي: "﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ﴾ بإنزال القرآن".
القول الثامن: المراد الفضل القرآن، والرحمة السنة. قاله خالد بن معدان. ذكره
 الشعبي والبغوي وابن الجوزي.

قال الشعبي: "خالد بن معدان: فضل الله الإسلام ورحمته السنة. وقال: سهل
 بن عبد الله: فضل الله الإسلام ورحمته السنة."
وقال البغوي: "وقال خالد بن معدان: فضل الله: الإسلام ورحمته: السنن."
وقال ابن الجوزي: "أن فضل الله: القرآن، ورحمته: السنة، قاله خالد بن معدان."
القول التاسع: المراد الفضل الإسلام، والرحمة الستر . قاله خالد بن معدان
 أيضا. ذكره أبو حيان.

القول العاشر: المراد فضل الله كشف الغطاء، ورحمته الرؤية واللقاء . قاله
 عمرو بن عثمان. ذكره الشعبي وأبو حيان.

قال الشعبي: "عمرو بن عثمان: فضل الله كشف الغطاء ورحمته الرؤية واللقاء."
القول الحادي عشر : المراد الفضل الإيمان، والرحمة الجنة ، قاله الحسين بن

١ - الزجاج تهذيب معاني القرآن(٣/١٨)، النحاس (٤٨٥/١)، البيضاوي (٣/٢٠).

فضل ذكره الثعلبي والبغوي واختاره ابن عطية.

قال الثعلبي: قال الحسين بن الفضل: فضل الله الإيمان ورحمته الجنة.

وقال البغوي: وقيل: فضل الله: الإيمان ورحمته: الجنة.

وقال ابن عطية: ولا وجه عندي لشيء من هذا التخصيص إلا أن يستند

منه شيء إلى النبي ﷺ، وإنما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه ، أن "الفضل" هو هداية الله تعالى إلى دينه والتوفيق إلى اتباع الشرع ، و "الرحمة": هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على التشرع بالإسلام والإيمان به.

القول الثاني عشر: المراد الفضل التوفيق، والرحمة العصمة. ذكره الثعلبي وابن الجوزي.

قال الثعلبي: وروى ابن عيينة فضل الله التوفيق ورحمته العصمة.

وقال ابن الجوزي: فضل الله، التوفيق، ورحمته: العصمة، قاله ابن عيينة □.

القول الثالث عشر: المراد الفضل نعمه الظاهرة، والرحمة نعمه الباطنة ، ذكره الثعلبي.

قال الثعلبي: فضل الله النعم الظاهرة، ورحمته النعم الباطنة.

القول الرابع عشر: المراد الفضل المغفرة، والرحمة التوفيق ، قاله الصادق . ذكره أبو حيان.

القول الخامس عشر: المراد الفضل الجنان، ورحمته النجاة من النيران ، قاله ذو النون. ذكره الثعلبي وأبو حيان.

قال الثعلبي: ذو النون المصري: فضل الله دخول الجنان ورحمته النجاة من النيران.

القول السادس عشر: المراد فضل الله معرفة ورحمته توفيقه، ذكره الماوردي.

١ - سفيان بن عيينة الهمالي ، أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ فقيه، توفي سنة ١٨٩هـ. تهذيب الكمال (١١٧٧)، سير لأعلام النبلاء(٤٥٤/٨)، التقريب ص ٢٤٥.

قال الماوردي: إن فضل الله معرفته، ورحمته توفيقه.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن ما ذكره أهل التفسير من المراد بفضل الله ورحمته فهو داخل في عموم لفظ الفضل والرحمة، ولا مانع من أن نفسر الآية بجميع ذلك إذ لا تنافي بين هذه الأقوال.
- إلا أن أعظم فضل هو الهدایة والتوفيق إلى الإسلام، وأعظم رحمة هي القبول ودخول الجنة.

الترجيح:

يترجح القول بصحة التفسير بما ذكر من المعاني في المراد بفضل الله ورحمته، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه ، وذلك:

لأن فضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شيء .
بِاللَّهِ .

قال الشربيني ^(□): ولا مانع من أن نفسر الآية بجميع ذلك إذ لا تنافي بين هذه الأقوال.

لأن الفضل والرحمة يدلان على العموم فتخصيص معنى

دون غيره يحتاج إلى دليل .

قال ابن جزي ^(□) : "الفضل والرحمة عموم ."

وكما قال أبو حيان : "وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل، وينبغي أن يعتقد

١ - محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، فقيه شافعي، مفسر، من أهل القاهرة، توفي سنة ٩٧٧ هـ .
شذرات الذهب (٣٨٤ / ٨)، الأعلام (٦ / ٦).

٢ - محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي، أبو القاسم، فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، توفي سنة ٢٧٢ هـ . نفح الطيب (٣٥٦ / ٣)، الدرر الكامنة (٣٥٦ / ٣)، الأعلام (٣٢٥ / ٥).

أنها تقيّيلات، لأن الفضل والرحمة أريد بهما تعين ما ذكر وحصرهما فيه.

دلالة ختام الآية. بمعنى أنكم

قال تعالى ﴿ قُلْ أَرَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَّاً قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَرَّوْنَ ﴾ [يونس: ٥٩].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما نوع أُم في قوله ﴿ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَرَّوْنَ ﴾؟

قال أبو حيان: "والظاهر أنّ أُم متصلة والمعنى : أخبروني الله أذن لكم في التحليل والتحريم، فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه؟ فنبه بتوقيفهم على أحد القسمين، وهم لا يمكنهم ادعاء إذن الله في ذلك فثبت افتراؤهم." (□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إن أُم متصلة والمعنى: أخبروني الله أذن لكم في التحليل والتحريم، فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه . وهو قول جماعة من المفسرين (□) ، واختاره أبو حيان.

قال السمين : قوله ﴿ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَرَّوْنَ ﴾ في "أُم" هذه وجهان: أحدهما: أنها متصلة عاطفة ، تقديره: أخبروني: الله أذن لكم في التحليل والتحريم ، فإنّم يفعلون ذلك بإذنه ، أم يكذبون على الله في نسبة ذلك إليه ... والظاهر هو الأول؛ إذ المعادلة بين هاتين الجملتين اللتين بمعنى المفرد ين واضحة، إذ

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ١٣٨) (١٧١ / ٥).

٢ - السمين في الدر (٦ / ٢٢٧)، ابن عادل (١٠ / ٣٥٩)، أبي السعود (٤ / ١٥١)، الجمل (٢ / ٥٥١)، ابن عاشور (١١ / ٢٠٧).

التقدير: أيُّ الأمرين وقع إذن الله لكم في ذلك، أم افتراؤكم عليه؟.

وقال ابن عادل : قوله: ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفَرَّوْتَ﴾ في "أم" هذه وجهان : أحدهما: أنها متصلة عاطفة ، تقديره: أخبروني: الله أذن لكم في التحليل والتحريم، فإنكم تفعلون ذلك بإذنه، أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه. والظاهر هو الأول؛ إذ المعادلة بين الجملتين بمعنى المفرد واضحة ، إذ التقدير: أيُّ الأمرين وقع إذن الله لكم في ذلك، أم افتراؤكم عليه؟.

وقال أبو السعود : أم متصلة والاستفهام للتقرير والتبيكيت لتحقق العلم بالشق الأخير قطعاً كأنه قيل : أم لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه، فأظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتأكيدا للتبيكيت إثر تأكيد مع مراعاة الفوائل.

القول الثاني : أن أم منقطعة بمعنى بل تفترون على الله ، وهو قول بعض المفسرين □ .

قال الواهidi : {أم} بل ﴿عَلَى اللَّهِ تَفَرَّوْتَ﴾.

وقال البغوي : {أم} بل ﴿عَلَى اللَّهِ تَفَرَّوْتَ﴾.

وقال الزمخشري : ويحوز أن تكون الهمزة للإنكار، وأم منقطعة بمعنى : بل أفترون على الله، تقريراً للافتاء.

نلاحظ ما سبق إيراده:

• أما القول بأن أم متصلة ذلك لأن فيها توقيف ع لى أحد

القسمين المطلوب تعيينه من قبل المسؤولين – وهم المشركون في

١ - الواهidi في الوجيز والبغوي آية ٥٩، الزمخشري (٢٤١/٢)، القرطبي (٣٥٤/٨)، البيضاوي (٢٠٣/٣)، النسفي (٢٤١/٢)، الخازن آية ٥٩، البقاعي (٤٥٧/٣)، الجلالين آية ٥٩، الشربini (٢٨/٢)، الشوكاني (٤٥٤/٢)، الألوسي (٧٤١/١١).

هذه الآية - فيقال لهم هل الله أذن لكم في ذلك، أم لم يأذن .
فقطعا لا يمكنهم إدعاء إذن الله في ذلك فلم يبق إلا أنهم افتروه.
• وأما القول بأنها منفصلة فهي عندهم يعني بل - الإضرابية -
والمقصود الإضراب على ذلك لتقرير افترائهم - أي بل على الله
تفترون.

الترجح:

يترجح أن أم متصلة أقرب إلى كونها منفصلة ، وذلك لاستيفائها شروط المتصلة وهي :
أن يصير فيها الاستفهام بمنزلة(أي) فالمراد منها الاستفهام بِاللهِ.
عن التعين.
أن تكون عطف المفرد على مثله؛ وهنا في الآية ع طف بِعْنَانٍ
على جمل.
أن تقدمها همزة الاستفهام؛ وهنا تقدمها همزة إنكار.
بِعْنَانٍ. أن تقع في العطف والوارد بعدها وقبلها كلام واحد.
وعلى كل حال فالمراد في هذه الآية إثبات افتراء المشركين على الله بما فعلوه سواء كان ذلك بالتعيين أم بالاضراب .
والله تعالى أعلم.

١ - البرهان للزرκشي (٤/١٨٠-١٨١).

قال تعالى ﴿لَهُمْ أَبْشِرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٤].
في الآية ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى

ما المراد بالبشري في الآية؟

قال أبو حيان: وبشر لهم في الحياة الدنيا، تظاهرت الروايات عن رسول الله ﷺ ((أنها الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن، أو ترى له)) فسرها بذلك، وقد سُئل ، وعنده في صحيح مسلم ((لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة)) وقال قتادة، والضحاك : " هي ما يبشر به المؤمن عند موته، وهو حي عند المعاينة "، وقيل : هي محبة الناس له، والذكر الحسن ((وسائل رسول الله ﷺ عن الرجل يعمل العمل لله، ويحبه الناس، فقال : تلك عاجل بشري المؤمن)) وعن عطاء ((لهم البشري عند الموت، تأتיהם الملائكة بالرحمة))، قال تعالى ﴿تَتَرَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠] الآية، قال

١ - جزء من حديث في سنن أبي داود كتاب الصلاة / باب في الدعاء في الركوع والسجود / حديث رقم (٨٧٦) / قال الألباني: صحيح . صحيح سنن أبي داود (١٦٦/١).

٢ - صحيح مسلم / كتاب الصلاة / باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود / حديث رقم (٢٠١).

٣ - سيأتي في القول الثالث.

٤ - سيأتي في القول الرابع.

٥ - سنن ابن ماجة / كتاب الزهد / باب الثناء الحسن / حديث رقم (٤٢٥)، وسنه صحيح.

٦ - عطاء بن أبي رباح واسمها أسلم، القرشي مولاهم ثقة فقيه كثير الإرسال، أخرج حديثه الجماعة، تهذيب الكمال (٢٠/٦٩)، سير أعلام النبلاء (٥/٧٨)، التقريب ص ٣٩١.

٧ - سيأتي في القول الثالث.

ابن عطية": ويصح أن تكون بشرى الدنيا في القرآن من الآيات المبشرات ، ويقوى ذلك بقوله في هذه الآية ﴿لَا نَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ وإن كان ذلك كله يعارضه قول النبي ﷺ : ((هي الرؤيا)) إلا إن قلنا إن النبي ﷺ أعطى مثلاً من البشرى وهي تعم جميع الناس □، وبشراهم في الآخرة في تلقي الملائكة إياهم، مسلمين مبشرين بالنور والكرامة ، وما يرون من بياض وجوههم، وإعطاء الصحف بأيمانهم، وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات. □

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد بالبشرى في الدنيا الرؤيا الصالحة، وفي الآخرة الجنة، وهو قول كثير من المفسرين □ واختاره أبو حيyan.

قال الفراء □: "وذكر أن البشري في الحياة الدن يا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، وفي الآخرة الجنة".

وقال الطبرى : اختلاف أهل التأويل في البشري التي بشر الله بها هؤلاء

١ - المحرر الوجيز (١٢٩/٣).

٢ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٤٠) (١٤٠/٥) (١٧٣/٥).

٣ - الفراء (٤٧١/١)، الطبرى (٩٣/١١)، ابن أبي حاتم (٦/١٩٦٥)، النحاس (٤٨٦/١)، السمرقندى (١٢٣/٢)، الماوردي والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٦٤، ابن عطية (٣/١٢٩)، ابن الجوزى (٤/٣٨)، الرازى (١٧٨/٢٧٨)، القرطبي (٨/٣٥٨)، البيضاوى (٣/٢٠٦)، النسفي (٤/٢٤٢)، ابن جزى (٢/١٧٥)، الحاذن آية ٦٤، السمين فى الدر (٦/٢٣٣)، ابن كثير (٤/٢٤١)، ابن عادل (١٠/٣٦٢)، البقاعى (٣/٤٦١)، الجلالين آية ٦٤، الشربى (٢/٢٨)، الشوكانى (٢/٢٥٤)، الألوسي (١١/٥٥١).

٤ - يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدى مولاهم الكوفي النحوى، أبو زكريا، العلامة صاحب التصانيف كان ثقة، توفي سنة ٢٠٧هـ. تاريخ بغداد (١٤٦/١٤)، سير أعلام النبلاء (١١٨/١٠)، تذكرة الحفاظ (١/٣٧٢).

ال القوم ما هي، وما صفتها؟ فقال بعضهم : هي الرؤية الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له، وفي الآخرة الجنة." ذكر من قال ذلك:

.. عن أبي الدرداء (□)، قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ لَهُمْ أَبْشِرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ ﴿ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ((الرُّؤْيَا الصَّالِحةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرُى لَهُ)).

.. سأله عبادة بن الصامت (□) رسول الله ﷺ، عن هذه الآية : ﴿ الَّذِينَ إِيمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ٦٣ ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ فـقال رسول الله ﷺ: ((لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ))، أو قال: ((غَيْرُكَ)). قال: ((هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، أَوْ تُرَى لَهُ)) ...

١ - وسنده: حدثنا محمد بن المنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سليمان، عن ذكوان، عن شيخ، عن أبي الدرداء .. قال محمود شاكر : وعلة هذا الإسناد ، جهالة (الشيخ) الذي روى عنه أبو صالح السمان، وسائل الإسناد صحيح حسن . جامع البيان (١٥/١٢٥). وأبو الدرداء : عوير بن عامر بن مالك الخزرجي، شهد أحداً وما بعدها، توفي قبل عثمان بستين . الأسد (٦/٩٤). الإصابة (٤٥/٤).

٢ - عبادة بن الصامت بن قيس الأنباري الخزرجي، أبو الوليد، نقيب شهد المشاهد كلها توفي سنة ٤٣٤هـ. الاستيعاب (٤/٨٠٧)، الأسد (٣/١٥٨)، الأسد (٢/٢٧)، الإصابة (٤/٢).

٣ - وسنده: حدثنا العباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي، قال: أخبرنا الأوزاعي، قال: أخبرني يحيى بن أبي كثير، قال : ثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، قال : سأله عبادة بن الصامت رسول الله ﷺ، عن هذه الآية .. قال محمود شاكر : وهذا إسناد لم أجده عن طريق الأوزاعي، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف لم يسمع من عبادة بن الصامت. دل عليه قول أبي سلمة : "نبئت أن عبادة بن الصامت سأله رسول الله ﷺ .. الحديث رقم (١٧٧٢١) في جامع البيان للطبراني (١٥/١٢٧). وقد ذكر المزي ذلك في ترجمة أبي سلمة في تهذيب الكمال (٣٣/٣٧١). قال محمود شاكر: "إذا صح هذا، وهو صحيح على الأرجح، فأخبار أبي سلمة هذه عن عبادة بن الصامت أخبار ضعاف لانقطاعها، ولذلك لم يخرج منها شيء في الصحاح."

وقال السمرقندى: يعني: البشارة، وهي الرؤيا الصالحة يراها العبد المسلم لنفسه، أو يرى له غيره. وروي عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: ((الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة))^١. وفي خبر آخر ((من أربعين جزءاً))^٢. وفي خبر آخر: ((من ستة وأربعين جزءاً))^٣. وروى عطاء بن يسار^٤، عن رجل كان يفتى بالبصرة، قال: سألت أبا الدرداء عن هذه الآية: «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، قال أبو الدرداء: ما سألكني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: ((مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ، هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ)) «وَفِي الْآخِرَةِ»: الجنة. وعن عبادة بن الصامت، أنه سأله النبي ﷺ، فأجابه بمثل ذلك:

القول الثاني: المراد بالبشري ما بشر الله به المؤمنين في القرآن مما وعدهم به، وهو قول جماعة المفسرين^٥.

قال الفراء: وقد يكون قوله «لَهُمُ الْبُشْرَى» ما بشرهم به في كتابه من موعدوه، فقال ﴿قِيمَا لِيُنذِرَ بَاسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنِهِ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢] في كثير من القرآن.

١ - صحيح مسلم / كتاب الرؤيا / حديث رقم (٢٦٥).

٢ - سنن الترمذى / كتاب الرؤيا / باب ما جاء في تعبير الرؤيا / حديث رقم (٢٧٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٣ - صحيح مسلم / كتاب الرؤيا / حديث رقم (٢٦٣) و (٢٦٤).

٤ - عطاء بن يسار، أبو محمد المدنى، مولى ميمونة، ثقة فاضل صاحب مواعظ وعباده ، توفي سنة ١٠٣ هـ. طبقات ابن سعد (١٧٣/٥)، سير أعلام النبلاء (٤٤٨/٤)، التقريب ص ٣٩٢.

٥ - الفراء (٤٧١/١)، الطبرى (!!/٩٣)، الثعلبي آية ٦٤، ابن الجوزى (٤/٣٨)، الرازى (١٧/٢٧٨)، القرطبي (٨/٣٥٨)، البيضاوى (٣/٢٠٦)، النسفي (٢/٢٤٢)، ابن جزي (٢/١٧٥)، ابن عادل (١٠/٣٦٢).

وقال الطبرى : " وَمِنْهَا: بُشِّرَ اللَّهُ إِيَاهُ مَا وَعَدَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ

رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الْثَوَابِ الْجَزِيلِ، كَمَا قَالَ جَلَّ شَانِهِ وَبَشِّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَلَانِهَرُ " [البقرة: ٢٥].

قال الشعبي: " وقال الحسن: هي ما بشرهم الله به في كتابه، جنته وكرم ثوابه

لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥] ﴿وَأَبْشِرُوهُمْ بِالْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠].

القول الثالث: المراد بالبشرى هي ما يبشر به المؤمن عند موته ، قاله قتادة والضحاك، وهو قول جماعة من المفسرين ^(□).

قال الطبرى : " وقال آخرون: هي بشارة يبشر بها المؤمن في الدنيا عند الموت .

وقال ابن أبي حاتم : "... عن الضحاك ^(□) في قوله ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

قال يعلم أين هو قبل أن يموت، وروى عن زيد بن أسلم نحو ذلك." وذكر بشري الآخرة الجنة.

وقال السمرقندى : " ويقال: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني: عند

الموت يُبَشِّرُهُ الملائكة، كما قال في آية أخرى: ﴿تَتَزَلَّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا

تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوهُمْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾" [فصلت: ٣٠].

١ - الطبرى (٩٣/١١)، ابن أبي حاتم (١٩٦٥/٦)، السمرقندى (١٢٣/٢)، الماوردي والواحدى فى الوجيز آية ٦٤، الزمخشري (٢٤٢/٢)، ابن الجوزى (٤/٣٨)، الرازى (١٧/٢٧٨)، القرطى (٨/٣٥٨)، البيضاوى (٣/٢٠٦)، ابن الجوزى (٤/٣٨)، الرازى (١٧/٢٧٨)، القرطى (٨/٣٥٨)، البيضاوى (٣/٢٠٦)، الشربى (٢/٢٨)، الشوكانى (٢/٢٥٤)، الألوسى (١١/٥٥١).

٢ - وسنده حدثنا المنذر بن شاذن، ثنا يعلى، ثنا أو بسطام، عن الضحاك .. وذكر وجه آخر ثنا نعيم بن حماد، ثنا محمد بن ثور، عن عمر، عن الزهرى وقتادة ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: يعني : الشهادة عند الموت في الحياة الدنيا".

القول الرابع: المراد ببلبىشى في الحياة الدنيا الثناء الصالح، وفي الآخرة إعطاؤه كتابه بيمنه، وهو قول جماعة من المفسرين^(١).

قال الماوردي: "إن البشرى في الحياة الدنيا الثناء الصالح ، وفي الآخرة إعطاؤه كتابه بيمنه.

وقال البغوى: "وقيل: البشرى في الدنيا هي : الثناء الحسن وفي الآخرة : الجنة .

.. قال أبو ذر^(٢): يا رسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحبه الناس؟ قال : ((تلك عاجل بشرى المؤمن)) وأخرج مسلم بن الحجاج^(٣) هذا الحديث ... وقال: "ويحمده الناس عليه"

وقال الزمخشري: "عن أبي ذر: قلت: لرسول الله ﷺ: الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال: ((تلك عاجل بشرى المؤمن))."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن بشرى الآخرة هي الجنة اتفاقاً .

- أما بشرى الدنيا فإن جميع ما يصلح لأن يكون بشرى للمؤمنين فالرؤيا الصالحة تزيد في ثباتهم على الحق وتسليهم عن مصائب الدنيا وذكرها الرسول ﷺ مثلاً للبشرارة ، وما وعد الله في كتابه المؤمنين من خير الدنيا والآخرة مما يفرحهم ، وما يبشرؤن بهم

١ - الماوردي والبغوى آية ٦٤، الزمخشري (٢٤٢/٢)، الرازى (٢٧٨/١٧)، الخازن آية ٦٤، أبي السعوذ (٤/١٥١)، الألوسي (١١/٥٥١).

٢ - وسنه : أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا عبدالرزاق بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم البغوى حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن أبي عمران الجوني قال : سمعت عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر..

٣ - صحيح مسلم / كتاب البر والصلة / باب إذا اثنى على الصالح فهي بشرى ولا تضره / حديث رقم (٢٦٤٢).

عند الموت يخفف عنهم سكرات الموت ويزيدهم رغبة بقاء الله،
وأما الثناء الحسن فهو مما يحرض عليه الإنسان فكيف إذا لم
يطلبه ولم يحرض عليه.

الترجح:

يترجح القول بأن ما ذكره المفسرون يصلح لأن يكون بشارة للمؤمنين ،
وذلك :

لدلالة السياق فكل ما وعد الله به لا تبديل له لأنه من الله.

حكيم عليم.

لدلالة الكتاب والسنة.

٣. قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰتِي هُوَ أَفْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ [الإسراء: ٩].

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾؟

قال أبو حيان: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا تغيير لأقواله، ولا خلف في موعيده، كقوله ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَىَ﴾ [ق: ٢٩].

الدراسة:

في المسألة قوله:

القول الأول : المراد لا تغيير لأقواله، ولا خلف في موعيده، وهو قول جماعة من المفسرين⁽¹⁾. واختاره أبو حيان.

قال الفراء: أي لا خلف لوعده الله.

قال الطبرى: وأما قوله: لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ فإن معناه: إن الله لا خلف لوعده ولا تغيير لقوله عما قال ولكنه يضى خلقه موعيده وينجزها لهم.
قال السمرقندى: لا تغيير، ولا تحويل لقول الله تعالى، لأن قوله حق لأن لهم البشرى في الحياة الدنيا.

القول الثاني: المراد لا ينسخها شيء، ولا تكون إلا كما قال، وهو قول بعض المفسرين⁽²⁾.

١ - البحر المحيط (ح/٥/١٤٠) (١٧٣/٥). ووجه ترجيح أبي حيان هو اختياره لهذا الوجه دون الآخر.

٢ - الفراء (٤٧١/١)، الطبرى (٩٣/١١)، الماوردي (١٢٣/٢)، السمرقندى (١٢٣/٢)، الماوردي والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٦٤، الزمخشري (٢٤٢/٢)، ابن عطية (١٢٩/٣)، ابن الجوزى (٣٨/٤)، الرازى (٢٧٨/٨)، القرطبي (٣٥٨/٨)، البيضاوى (٢٠٦/٣)، النسفي (٢٤٢/٢)، ابن جزى (١٧٥/٢)، الخازن آية ٦٤، ابن كثير (٤/٢٤١)، الجلالين آية ٦٤، الشريفى (٢٨/٢)، الشوكانى (٢٥٤/٢)، الألوسى (٥٥١/١١).

٣ - النحاس في معاني القرآن (٤٨٦/١)، الماوردي في النكت والعيون آية ٦٤، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٥٨/٨).

قال النحاس: وقيل معنى ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا تبدل لأنباءه، أي لا ينسخها شيء، ولا تكون إلا كما قال.

وقال الماوردي: لا نسخ لخيره.

وقال القرطبي: وقيل: لا تبدل لأنباءه، أي لا ينسخها بشيء، ولا تكون إلا كما قال.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بأن تبدل كلمات الله لا ينسخها شيء، غير معتبر.

الترجح:

يترجح القول أن المراد لا تغيير لأقواله، ولا خلف في مواعيده، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لما يأتي:

دلالة السياق فإن ما ذكر من معاني البشارة يتناسب معها القول لا تبدل لكلمات الله لا القول بنسخها.

أن اللفظ القرآني يصح معه القول بلا تبدل لكلمات الله ﷺ. فهـي حقيقة لا تبدل .

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

ما المشار إليه في قوله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾؟

قال أبو حيان : " والظاهر أن ذلك إشارة إلى التبشير، والبشرى في معناه (□)." (□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : المشار إليه هو البشري، وهو قول جماعة من المفسرين. (□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: "هذه البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي الفوز العظيم."

قال الزمخشري: "و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين."

وقال البيضاوى: "إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين."

القول الثاني: إشارة إلى النعيم الذى وقعت به البشرى . وهو قول ابن عطية، (□) وذكره السمين والألوسى.

قال ابن عطية: "وقوله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ إشارة إلى النعيم الذى به وقعت البشرى."

وقال السمين: "وقيل: هو إشارة إلى النعيم."

وقال الألوسى: "وقيل: إن ذلك إشارة إلى النعيم الذى وقعت به البشرى."

١ - وقال السمين: "وقوله ﴿وَذَلِكَ﴾ إشارة للبشرى وإن كانت مؤنثة لأنها في معنى التبشير ." الدر المصنون (٦/٢٣٣).

٢ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٤٠) (١٧٣/٥).

٣ - الطبرى (١١/٩٣)، الزمخشري (٢/٤٢)، البيضاوى (٣/٢٠٦)، النسفي (٢/٤٢)، السمين في الدر (٦/٢٣٣)، ابن عادل (١٠/٣٦٢) الشربيني (٢/٨٢)، الألوسى (١١/٥٥١).

٤ - ابن عطية في الحرر الوجيز (٣/١٢٩)، السمين في الدر (٦/٢٣٣)، الألوسى (١١/٥٥١).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بأن المشار إليه هو البشري يندرج تحتها القول الـ ثانٍ فالبشرى تدل على العموم بكل ما يبشر به ومنه النعيم.

الرجح:

يترجح القول أن المشار إليه هي البشرى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

- لأن البشرى تدل على عموم ما يبشر به.
- لدلالة ختام الآية فالفوز العظيم هو حصول كل ما بشر به المؤمن من أنواع البشرة.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

[يونس: ٦٥]. 

في الآية مسألة واحدة وهي:

توجيه القراءة (أن العزة لله جمِيعاً) بفتح همزة (أن).

قال أبو حيان : " وقرأ أبو حية ^(□): (أن العزة) بفتح المهمزة ^(□) وليس معمولاً ^(قولهم) لـ (قوله): لأن ذلك لا يحزن الرسول ﷺ، إذ هو قول حق . وخرجت هذه القراءة على التعليل أي: لا يقع منك حزن لما يقولون، لأجل أن العزة لله جمِيعاً . ووجهت أيضاً على أن يكون إن العزة بدل من قولهم ولا يظهر هذا التوجيه ."

قال الزمخشري: " ومن جعله بدلاً من قولهم ثم أنكره، فالمنكر هو تحريره لا ما أنكره من القراءة به". ^(□) وقال القاضي ^(□): " فتحها شاذ يقارب الكفر، وإذا كسرت كان استئنافاً، وهذا يدل على فضيلة علم الإعراب ". وقال ابن قتيبة : " لا يجوز فتح إن في هذا الموضع وهو كفر وغلو "، وإنما قال القاضي وابن قتيبة بناء منها على أن (أن) معمولة لقولهم، وقد ذكرنا توجيه ذلك على التعليل ^(□) وهو توجيه صحيح.

١ - شريح بن يزيد الحضرمي، الحمصي، المؤذن، ثقة ، من التاسعة، توفي سنة ٢٠٣ هـ. تهذيب التهذيب (٤/٣٣١)، التقريب رقم (٢٧٨٠)،

٢ - انظر إعراب القراءات الشواذ (١/٦٤٩)، وختصر ابن خالويه ٥٧.

٣ - الكشاف (٢/٤٣).

٤ - القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمданى، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، توفي سنة ٤١٥ هـ. تاريخ بغداد (١١٣/١١)، سير أعلام النبلاء (١٦/٢٤٤)، طبقات المفسرين للسيوطى ص ١٦.

٥ - البحر المحيط (٥/١٤٠)، (٥/١٧٤).

الدراسة:

في الآية قراءتان :

القراءة الأولى : كسر المهمزة (إن) وهي قراءة متواترة لا خلاف فيها.

قال الطبرى: وكسرت (إن) من قوله: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لأن ذلك خبر من الله مبتدأ، ولم يعمل فيها القول، لأن القول عني به قول المشركين وقوله: إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا لم يكن من قبيل المشركين، ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه [□].

القراءة الثانية: فتح المهمزة (أن) واختلفوا في توجيهها وتقديره على قولين:

القول الأول : إن قوله (أن العزة) ليست معمولاً لـ(قولهم)، فيكون تقدير القراءة على التعليل، أي : لا يقع منك حزن لما يقولون لأجل أن العزة لله جميعاً. وهو قول جماعة من المفسرين [□]؛ واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري: وقرأ أبو حيبة (أن العزة) بالفتح بمعنى لأن العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلاً من قوله ثم أنكره، فالمنكر هو تحریجه، لا ما أنكر من القراءة به.

وقال ابن عطية: وقال ابن قتيبة لا يجوز فتح "إن" في هذا الموضع وهو كفر. قال القاضي أبو محمد: قوله "هو كفر" غلو، وكأن ذلك يخرج على تقدير لأجل أن العزة لله.

وقال البيضاوي: استئناف بمعنى التع ليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لأن الغلبة لله جميعاً لا يملك غيره شيئاً منها

١ - الطبرى (٩٧/١١).

٢ - الزمخشري (٢/٢٤٣)، ابن عطية (٣/١٢٩)، البيضاوى (٣/٢٠٦)، السمين في الدر (٦/٢٣٤)، ابن عادل (١٠/٣٦٢)، أبي السعود (٤/١٥١)، الجمل (٢/٣٦١)، الشوكاني (٢/٤٥٩)، الألوسي (١١/٦٥١).

فهو يقهرهم وينصرك عليهم.

القول الثاني: إن قوله (أن العزة) بدل من (قوتهم) أو معمولة (قوتهم)، فالمعنى على هذا التعليل فاسد . وهو قول القاضي عبد الجبار المعتزلي وابن قتيبة . وذكره بعض المفسرين نقاًلا فقط.

قال الرازي: قال القاضي : إن العزة بالألف المكسورة وفي فتحها فساد

يقارب الكفر لأنه يؤدي إلى أن القوم كانوا يقولون : ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^١ وأن الرسول ﷺ كان يحزنه ذلك . أما إذا كسرت الألف كان ذلك استئنافاً، وهذا يدل على فضيلة علم الإعراب.

وقال ابن عادل : قال القاضي : "فتحها شاد يقارب الكفر ، وإذا كسرت كان استئنافاً، وهذا يدل على فضيلة علم الإعراب " . وقال ابن قتيبة: لا يجوز فتح "إن" في هذا الموضع وهو كفرٌ وغلوٌ .
نلاحظ مما سبق إيراده ما يلى:

- القول إن (أن العزة) ليست معمولاً (قوتهم) هو تقدير يذهب

الوهم في فساد المعنى المبادر إلى الذهن لأن الكفار لم يقولوا (أن العزة لله جميعا) فيكون ذلك حكاية قوتهم.

- ومن أنكرها فلأنها تؤدي إلى معنى فاسد وهو قول الكفار (أن العزة لله جميعا) وهذا يستحيل أن تنطق به أفواههم.

- وأما من قال إنها بدل من (قوتهم) فاستدل بقوله تعالى ﴿فَلَا تَكُونَ ظَاهِرًا لِلْكُفَّارِ﴾ [القصص: ٨٦]. و قوله ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَر﴾ [القصص: ٨٨] . فيكون للتهدئة والتعريف بالغير . ففيه بعد لأنه غير ظاهر.

١ - مفاتيح الغيب (٢٨٠/١٧).

الترجيع:

يجب القول إن قوله (أن العزة) ليست معمولاً (قوفهم)، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

لأنه تعليل ظاهر غير متكلف وهو : لا يقع منك حزن لما .

يقولون لأجل أن العزة لله جمِيعاً.

"قال أبو السعود : وقرىء بفتح (أن) على صريح التعليل أي لأن العزة لله".

لأنه يدل على المعنى الصحيح ويزهب المعنى الفاسد..

قال الألوسي: وقرأ أبو حية (أن) بالفتح على صريح التعليل أي لأن، وحمل قتيبة بن مسلم (□) ذلك على البدل ثم أنكر القراءة لذلك لأنه يؤدي إلى أن يقال: فلا يحزنك أن العزة لله جميعاً وهو فاسد.

لأن له وجهاً صحيحاً.

"قال ابن عادل : " قال شهاب الدين ^(□) كيف تكون معمولة لـ " قَوْلُهُمْ وهي واجبة الكسر بعد القول إذا حكىت به ، فكيف يتوهم ذلك؟ وكما لا يتوهم هذا المعنى مع كسرها ، لا يتوهم أيضاً مع فتحها ما دام له وجهٌ صحيح ."

والله تعالى أعلم

١ - هكذا في نسختين ولعل صوابه ابن قتيبة بن مسلم.

۲ - لم أعرفه.

قال تعالى ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَبَعُ
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُورِنَ اللَّهِ شُرَكَاءٌ إِن يَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِن هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ﴾ [يونس: ٦٦].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

من المعنى في قوله ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ ؟
قال أبو حيان: "و(من) الأصل فيها أن تكون للعقلاء، وهنا هي شاملة لهم ولغيرهم على حكم التغليب، وحيث جيء بما كان تغليباً للكثرة إذ أكثر المخلوقات لا تعقل." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن (من) شاملة للعقلاء وغيرهم على حكم التغليب للعقلاء لكونهم أشرف، وهو قول جماعة من المفسرين □؛ واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية: "وغلب من يعقل في قوله (من) إذ له ملك الجميع ما فيها ومن فيها، وإذا جاءت العبارة بـ "ما" فذلك تغليب للكثرة إذ الأكثر عدداً من المخلوقات لا يعقل، فـ (من) تقع للصنفين بمجموعهما، "وما" كذلك ، ولا تقع لما يعقل إذا تجرد من أن تقول : ما قائل هذا القول ؟ هذا ما يتقدله من يفهم كلام العرب."

وقال الخازن: "ويجوز أن يراد العموم، وغلب العاقل على غيره."

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ١٤١ ل ٥ / ١٧١).

٢ - ابن عطية (٣/١٢٩)، الخازن آية ٦٦، الشريبي (٢/٢٨)، الشوكاني (٤٥٩/٢)، ابن عاشور (١١/٢٢٤).

وقال الشربini : " وفي هذه غلب العاقل على غيره لشرفه ."

القول الثاني: إن(من) لبعض العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان ودخول غيرهم معهم من باب الأولى . وهو قول جماعة من المفسرين ^(□) .

قال السمرقندi : يعني: من الخلق، كلهم عبيده وإماؤه ."

وقال الزمخشري : يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان، وإنما خصّهم، ليؤذن أنّ هؤلاء إذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم، وهو سبحانه وتعالى: ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية، ولا أن يكون شريكًا له فيها، فما وراءهم مما لا يعقل أحقّ أن لا يكون له ندًا وشريكًا ."

وقال الرازى : العقلاء المميزون وهم الملائكة والثقلان . وإنما خصّهم بالذكر ليدل على أن هؤلاء إذا كانوا له وفي ملكه فالجمادات أولى بهذه العبودية فيكون ذلك قدحًا في جعل الأصنام شركاء الله تعالى ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن كلا القولين يتوجه إلى مسار واحد وهو أن الله له كل من في

السموات ومن في الأرض سواء كانوا عقلاء أم غيرهم

والخلاف في كون أصحاب القول الأول يدخلون غير العقلاء

من باب التغليب ، والآخرون ادخلوهم من باب الأولى فالنتيجة

واحدة والوسيلة مختلفة .

الترجيح:

يترجح أن المعنى العقلاء وغيرهم بغض النظر عن كيفية دخولهم، وذلك لأن الكل في ملك الله ومفتقرون إليه في كل أحواهم.

١ - السمرقندi (١٢٣/٢)، الزمخشري (٢٤٣/٢)، الرازى (٢٨٠/١٧)، البيضاوى (٢٠٧/٣)،

النسفي (٢٤٣/٢)، ابن عادل (١٠/٣٧٠)، البقاعي (٤٦١/٣)، أبي السعود (٤/١٥١)، الجمل

(٢/٣٦١)، الألوسي (١١/٦٥١).

قال ابن عاشور : " و(مِنْ) الموصولة شأنها أن تطلق على العقلاة وجيء بها هنا مع أن المقصد الأول إثبات أن آهتهم ملك الله تعالى، وهي جمادات غير عاقلة، تغليباً ولا اعتقادهم تلك الآلة عقلاة وهذا من مجازة الخصم في المناظرة للإلزامه بنهاية الحجّة عليه حتى على لازم اعتقاده . والحكم بكون الموجودات العاقلة في السماوات والأرض ملكاً الله تعالى يفيد بالأحرى أن تلك الحجارة ملك الله لأن من يملك الأقوى أقدر على أن يملك الأضعف فإن من العرب من عبد الملائكة، ومنهم من عبدوا المسيح، وهم نصارى العرب.

وذكر السماوات والأرض لاستيعاب أمكناة الموجودات فكأنه قيل : ألا إن الله جمّع الموجودات.

وقال الشوكاني : " وفي الآية نعي على عباد البشر، والملائكة والجمادات؛ لأنهم عبدوا الملوك، وتركوا المالك، وذلك مخالف لما يوجه العقل." والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

دلالة (ما) في قوله ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ ؟
 قال أبو حيان : "والظاهر أنّ ما نافية، و (شركاء) مفعول (يتبع)، ومفعول (يدعون) محذوف لفهم المعنى تقديره: آلهة أو شركاء أي : أنّ الذين جعلوهم آلهة وأشاروكوهم مع الله في الربوبية ليسوا شركاء حقيقة، إذ الشركة في الألوهية مستحيلة، وإن كانوا قد أطلقوا عليهم اسم الشركاء." □

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن تكون (ما) نافية؛ وهو قول جماعة من المفسرين □، واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي : "يعني: وما يعبد الذين يعبدون من دون الله الأوثان والأصنام. ولم يأت بجوابه، وجوابه مضمر، ومعناه : ما هي لي شركاء، ولا نفع لهم في عبادتها".

وقال الزمخشري : "ومعنى: وما يتبعون شركاء، أي : وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء، لأنّ شركة الله في الربوبية محال".

وقال ابن عطية : "ويصح أن تكون نافية ويعمل (يتبع) في (شركاء) على معنى أنهم لا يتبعون شركاء حقاً".

القول الثاني: إن تكون (ما) استفهامية في موضع نصب ب (يتبع)، و (شركاء) منصوب ب (يدعون) أي: وأي شيء يتبع على تحبير المتبوع، كأنه قيل : من

١ - البحر المحيط (ح ٥/٥) (١٤١٦/١٧٤).

٢ - السمرقندى (١٢٣/٢)، الزمخشري (٢٤٣/٢)، ابن عطية (١٢٩/٣)، الرازى (٢٨٠/١٧)، القرطبي (٣٦٠/٨)، النسفي (٢٤٣/٢)، السمين في الدر (٢٣٥/٦)، ابن عادل (٣٧٠/١٠)، الشوكاني (٤٥٩/٢)، الألوسي (٦٥١/١١).

يدعو شريكًا لله لا يتبع شيئاً. وهو قول جماعة من المفسرين^(□).

قال الشعبي: هو ما الاستفهام يقول وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء يعني أنهم ليسوا على شيء.

وقال البغوي: هو استفهام معناه: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء؟.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون (وما يتبع) في معنى الاستفهام، يعني: وأي شيء يتبعون. و(شركاء) على هذا نصب بيدعون، وعلى الأول يتبع. وكان حقه. وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، فاقتصر على أحدهم للدلالة.

القول الثالث: أن تكون (ما) موصولة؛ ولها حالتان:
أن تكون (ما) موصولة عطفاً على (من)، والعائد مخذوف بِاللهِ.
أي: والذى يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي : قوله شركاؤهم. وذكره بعض المفسرين^(□).

قال الزمخشري: ويجوز أن تكون (ما) موصولة معطوفة على (من) كأنه قيل: والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: قوله شركاؤهم.

وقال البيضاوى: موصولة معطوفة على من.

وقال الألوسى: وأن تكون موصولة معطوفة على (من) أي قوله تعالى ما يتبعه المشركون خلقاً وملكاً فكيف يكون شريكًا له سبحانه.

أن تكون (ما) موصولة في موضع رفع على الابداء، 

١ - الشعبي والبغوي آية ٦٦، ابن عطية (٣/١٢٩)، الرازى (١٧/٢٨٠)، النسفي (٢/٢٤٣)، السمين في الدر (٦/٢٣٥)، ابن عادل (١٠/٣٧٠)، الشوكاني (٢/٤٥٩)، الألوسى (١١/٦٥١).

٢ - الزمخشري (٢/٤٣)، البيضاوى (٣/٢٠٧)، أبو حيان (٥/١٧٤)، السمين في الدر (٦/٢٣٥)، الألوسى (١١/٦٥١).

والخبر مذوق تقديره: والذي يتبعه المشركون باطل . وذكره أبو حيان والسمين والألوسي.

قال أبو حيان : " وأجاز أن تكون (ما) موصولة في موضع رفع على الابتداء، والخبر مذوق تقديره: والذي يتبعه المشركون باطل." وقال السمين : " ويجوز أن تكون (ما) موصولة في محل رفع بلا ابتداء، والخبر مذوق تقديره: والذي يتبعه المشركون باطل." وقال الألوسي : " وجوز على احتمال الموصولية أن تكون مبتدأ خبره مذوق أي باطل ونحوه أو الخبر قوله سبحانه : ﴿إِنَّ يَتَّبِعُوكَ﴾ والعائد مذوق أي في عبادته أو اتباعه."

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي :

- أما القول أنها نافية، فالمشركون لا يقولون باستحالة أن يكون الله شركاء؛ فلو قالوا ذلك أو اعتقدوا لما أشركوا.
- وأما القول بأنها للاستفهام فهو المناسب في المعنى وإن رد البعض^(□) على معنى عدم اتباعهم للشركاء وليس كذلك .
- والجواب على هذا الإشكال هو: وإن اتبعوا شركاء فهم ليسوا كذلك في حقيقة الأمر.
- وأما القول بأنها موصولة، فقد ذكر العلماء أن (ما) تكون بمعنى(الذي) للتذكير، ومعنى(التي) للمؤنث، وفي تقديرهما لا يتناسب مع السياق.

١ - وهما مكي بن أبي طالب في المشكل(٣٨٦/١) و أبو البقاء في إملاء ما من به الرحمن (٣٠/٢). وهو في الدر للسمين (٢٣٥/٦).

الترجح:

يترجح القول أن (ما) تكون للاستفهام، وذلك:

لأنه المناسب للسياق في معناه .
بِاللهِ.

قال الطبرى: "﴿وَمَا يَتَّسِعُ الْذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾" يقول

جل ثناؤه: وأى شيء يتبع من يدعوه من دون الله، يعني غير الله وسواء شركاء.

ومعنى الكلام: أي شيء يتبع من يقول الله شركاء في سلطانه وملكه كاذبا،
والله المنفرد بملك كل شيء في سماء كان أو أرض. (□)

لأنه مناسب للواقع الذي كانوا عليه والحال التي أنكر

عليهم.

قال الشوكاني : ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى : أي شيء يتبع الدين

يدعون من دون الله شركاء، ويكون على هذا الوجه شركاء منصوباً بيدعون،

والكلام خارج التوبیخ لهم، والإزراء عليهم . وفيه تحیر لما يعبدون من
دون الله.

لأن فيه ترابطاً للمعنى العام للأية وهو: تنبیه لهم بأن ملك

السماء والأرض لله وحده . و هو لاء الدين يدعونهم من دونه

هم تحت ملك الله وقدرته، فهی أحق من أن يكون لها شأن

وتصرف أو نفع أو ضر في نفسها ، فكيف تكون كذلك لغيرها .

فكـل ما يعتقدونه ظن باطل وكـذب . فأبطل دعواهم بالاستفهام

عن ما يعبدون من دون الله فـكل سؤال يحتاج جواب .

قال الألوسي: والجملة مع ما فيها من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة

به جل شأنه الموجب لسلوته عليه الصلاة والسلام وعدم مبالاته بمقالات

١ - الطبرى (٩٧/١١).

المشركين تمهيد لما لحق م ن قوله سبحانه : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الْأَذِنَ كَيْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءٌ ﴾ ودليل على بطلان ظنونهم وأعمالهم المبنية عليها والاقتصار على أحد الأمرين قصور فلا تكون من القاصرين .

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَأَنْلَى عَلَيْهِمْ بَنَآرُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقُولُ إِنْ كَانَ كَبَرٌ عَلَيْكُمْ مَقَامٍ وَتَذَكِّرِي بِشَائِنَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَاجْمِعُوهُ أَمْرَكُمْ وَشَرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا نُنْظِرُونِ ﴾ [يونس: ٧١].

في الآية مسألة واحدة وهي :

هلقرأ قوله (مقامي) بضم الميم ؟

قال أبو حيان : " قال ابن عطية : " ولم يقرأ هنا بضم الميم " . انتهى ، وليس كما ذكر ، بل قرأ (مقامي) بضم الميم أبو مجلز () وأبو رجاء () وأبو الجوزاء () .

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إثبات قراءة (مقامي) بضم الميم أبو مجلز وأبو رجاء وأبو

١ - المحرر الوجيز (١٣١/٣). قال الشوكاني (٤٦١/٢) : " والمقام بفتح الميم : الموضع الذي يقام فيه ، وبالضم الإقامة . وقد اتفق القراء على الفتح ."

٢ - لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي ، البصري ، أبو مجلز ، بكسر الميم وسكون الجيم وفتح اللام بعدها زاي ، مشهور بكتنيه ، ثقة ، من كبار الثالثة ، مات سنة ست - وقيل تسع - ومائة ، وقيل قبل ذلك . تهذيب التهذيب (٢٢٢/١٢) ، التقرير (٧٤٩٠) .

٣ - أبو رجاء العطاردي : عمران بن ملحان التميمي البصري ، من كبار المخضرمين ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد فتح مكة ، ولم ير النبي ﷺ ، كان خيرا تلاة لكتاب الله ، قرأ على ه جماعة ، وحدث عنه جماعة ، توفي سنة ١٠٥ هـ . الاستيعاب (١٢٠٩/٣) ، الأسد (١٠٤/٦) ، الإصابة (٧٢/٧) .

٤ - أوس بن عبد الله الربعي البصري ، من كبار العلماء ، حديث عن عائشة ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهم ، طبقات ابن سعد (٢٢٣/٧) ، تاريخ البخاري (١٦/٢) ، سير أعلام النبلاء (٣٧١/٤) .

٥ - البحر الحيط (ح/٥ ل/١٤٢) (١٧٦/٥) .

الجوزاء، وهو قول بعض من المفسرين^(١). واختاره أبو حيان.

قال ابن الجوزي: "قرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء (مقامي) بضم الميم."

وقال السمين: "قرأ أبو رجاء، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء: (مقامي) بضم الميم."

وقال ابن عادل: "قرأ أبو رجاء، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء: (مقامي) بضم الميم".

القول الثاني: إنكار قراءة (مقامي) بضم الميم، وهو قول بعض المفسرين.^(٢)

قال ابن عطية: "لم يقرأ هنا بضم الميم".

وقال القرطي: والمقام (بالضم) الإقامة. ولم يقرأ به فيما علمت".

وقال الثعالبي: "لم يقرأ هنا بضم الميم فيما علمت".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

• أما إثبات القراءة فيه زيادة علم عن المنكر لها . وهو أولى من

ردها.

الرجح:

القول بثبت القراءة أرجح من ردها، وهو ما اختاره أبو حيان ومن وافقه، وذلك:

لثبت القراءة عند بعض العلماء، بِاللَّهِِ.

قال أبو البقاء العكبي^(٣): يقرأ بضم الميم أي إقامتى، والفتح بمعنى

١ - ابن الجوزي (٤١/٤)، السمين في الدر (٢٣٩/٦)، ابن عادل (٣٧٤/١٠). الجمل (٣٦٣/٢).

٢ - ابن عطية (١٣١/٣)، القرطي (٣٦٢/٨)، الثعالبي (١٠٥/٢).

٣ - عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، الإمام محب الدين، أبو البقاء العكبي البغدادي الحنبلي، كان عالما بالفرائض، واللغة والنحو . توفي سنة ٦١٦هـ. سير أعلام النبلاء (٩١/٢٢)، النجوم الزاهرة (٦٧/٦)، شذرات الذهب (٥/٤٦).

(□) موضع إقامتى.

لما فقته قاعدة الترجيح وهي : [إذا ثبتت القراءة فلا يجوز
ردّها أو رد معناها].

" وهذه القاعدة تحمي حمى القراءات القرآنية ومعانيها التي تدل عليها من طعن بعض المفسرين والعربين الذي شاع وانتشر بينهم في بعض القراءات الثابتة." (□).

قال ابن تيمية : " إن القراءتين كالآيتين ، فزيادة القراءات كزيادة الآيات؛
لكن إذا كان الخط واحداً وللفظ محتملاً كان ذلك أخضر في الرسم." (□)

والله تعالى أعلم

١ - إعراب القراءات الشواذ (٦٤٩/١).

٢ - قواعد الترجيح (٨٩/١).

٣ - مجموع الفتاوى (٤٠٠/١٣).

قال تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ كَذَلِكَ نَطَّبُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [يونس: ٧٤].

في الآية مسألة واحدة

ما المراد بقوله ﴿ مِنْ قَبْلٍ ﴾؟

قال أبو حيان: "و(مِنْ قَبْلٍ) متعلق بـكَذَبُوا" أي: من قبل بعثة الرسل، وقيل: المعنى أنهم بادروا رسلاً لهم بالتكذيب، كلما جاء رسول، ثم لجوا (□) في الكفر، وتمادوا، فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق تكذيبهم (□) من قبل بـجاجهم (□) في الكفر وتماديهم.

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد من قبل بعثة الرسل أو مجيء البينات، وهو قول جماعة من المفسرين (□)، واختاره أبو حيان.

قال السمرقندى: وما كانوا ليؤمنوا، يعني: أولئك القوم بعد ما كان دعاهم الرسل بما كذبوا به من قبل أن يأتيهم الرسل.

قال الزمخشري: ي يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل الجاهلية مكذبين

١ - لجوا : في المطبوع (لحوا): لج في الأمر لجحا : مبالغة إذا لازم الشيء وواظبه، قال ابن فارس : اللجاج تماحك الخصمين وهو تماديهمـا. المصباح المنير ص ٢٠٩.

٢ - هو قول ابن عطية (١٣٣/٣).

٣ - في المطبوع (لجهـم).

٤ - البحر المحيط (ح ٥/١٤٣ ل ٥/١٧٩).

٥ - السمرقندى (٢/١٢٣)، الزمخشري (٢/٤٤)، الرازى (١٧/٢٤٤)، البيضاوى (٣/٢٨٦)، النسفي (٣/٢٠٩)، الحازن آية ٧٤، ابن كثير (٤/٣٤٧)، ابن عادل (١٠/٣٧٤)، الجلالين آية ٧٤، الشوكاني (٢/٢٤٦)، الألوسي (١١/٤٦١).

بالحق. فما وقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها، كأن لم يبعث إليهم أحد".

قال الرازى : "وليس المراد عين ما كذبوا به، لأن ذلك لم يحصل في زمانه بل المراد بمثل ما كذبوا به من البيانات، لأن البيانات الظاهرة على الأنبياء عليهم السلام أجمع كأنها واحدة".

القول الثاني: المراد من قبل العذاب، قاله يحيى بن سلام^(□) ومقاتل. وهو قول بعض المفسرين^(□).

قال ابن عطية : "وقال يحيى بن سلام (من قبل) معناه من قبل العذاب".

وقال ابن الجوزي : "وقال مقاتل : مما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من العذاب من قبل نزوله".

وقال أبو حيان : "وقال يحيى بن سلام (من قبل) معناه من قبل العذاب".

القول الثالث: المراد من الأمم الخالية، وهو قول بعض المفسرين^(□).

قال الطبرى : يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى قومهم، فأتواهم ببيانات من الحجج والأدلة على صدقهم، وأنهم لله رسّل، وأن ما يدعونهم إليه حقٌّ . مما كانوا ليؤمنوا بما كَذَّبُوا به مِنْ قَبْلٍ يقول : مما كانوا ليصدقوا بما جاءتهم به رسّلهم بما كَذَّبُوا به قوم نوح ومن قبلهم من الأمم الخالية من قبلهم".

وقال الواحدي: يعني قوم نوح، أي لم يصدقوا بما كذب به قوم نوح وكانوا

١ - يحيى بن سلام ابن أبي ثعلبة، الإمام العلامة أبو زكريا البصري، نزيل المغرب بأفريقيـة، قال أبو الحاتم: صدوق، توفي سنة ٢٠٠ هـ. الجرح والتعديل (٩/١٥٥)، ميزان الاعتدال (٤/٣٨٠)، سير أعلام النبلاء (٩/٣٩٦).

٢ - ابن عطية (٣/١٣٣)، ابن الجوزي (٤/٤٢)،

٣ - الطبرى (٤/١١٠)، الواحدي في الوسيط (٢/٥٥٥)، ابن الجوزي (٤/٤٢).

مثُلُمٌ فِي الْكُفَرِ وَالْعَنُوْ ."

وقال ابن الجوزي : "يعني الذين قبلهم . والمراد: أن المتأخرین مضوا على سنن المتقدمین في التکذیب."

القول الرابع: المراد من يوم الذر، وهو قول ابن أبي حاتم (□) والقرطبي (□).

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ هُنَّا كُفَّارٌ﴾
قال ابن أبي حاتم: عن السدي، قوله

قال ذلك يوم أخذ منهم الميثاق آمنوا كرها.

وقال القرطبي : "أي من قبل يوم الذر (□)، فإنه كان فيهم من كذب بقلبه وإن قال الجميع: بلى."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بأنه من قبلبعثة الرسل فالمراد استمرارهم على الكفر والتکذیب حتى بعدبعثة الرسل فما استفادوا منهم ولم يتغير حالم من الكفر إلى الإيمان بعد مجيء الرسل إليهم.
- أما القول بأنه من قبل العذاب ففيه بعد (□) لأن العذاب لا يقع إلا في حال تکذیبهم واستمرارهم على الكفر وعنادهم وعدم انتفاعهم بما جاء به الرسل.
- وأما القول من قبل الأمم الحالية فقد يدخل في القول الأول، وأيضا فقد لا يعلمون شيئاً عن الأمم المتقدمة.

١ - التفسير (٦/١٩٧٢) أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي فيما كتب إلى أحمد بن مفضل عن أسباط، عن السدي .

٢ - الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٦٥).

٣ - وهو كما قال الله تعالى ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَى أَفْسِسِهِمْ أَلَّا سُبُّ يَرِكُمْ قَالُوا بَلْ شَهِدْنَا أَنَّنَا قَوْلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

٤ - كذا قال ابن عطية (٣/١٣٣) وأبو حيان (٥/١٧٩).

- أما القول بأنه من قبل يوم الدر فلا يتلاءم مع دلالة الآية فالمعنى المفهوم من الآية أن ما كان من قبل مكذب به وليس مقرأ به كما هو الحال في أخذ العهد والميثاق فإنهم اقروا بقولهم (بل).

الترجح:

يترجح القول بأنه من قبلبعثة الرسل، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لدلالة السياق ففيه إخبار عن أنبياء الله مع أقوامهم من تشابه الأحوال في تكذيبهم وعنادهم .

﴿ ٤ . لأنَّه يتناسب مع واقع أحوال الناس فهم لم يتغير حا لهم إلى الإيمان والتصديق يعد مجيء الرسل إليهم بل ظلوا على حا لهم قبل بعثة الرسل سواء كان عندهم علم مسبق عن الأمم السابقة أم لم يكن عندهم علم سابق فالحال واحدة وهي التكذيب والكفر والاستمرار عليه فإن الله تعالى "عاقبهم حيث جاءهم الرسول فبادروا بتکذبیه، طبع على قلوبهم،

﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُتَمَكِّنِينَ مِنْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴾

وَنَقَلَبُهُمْ أَفَيَدَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿ [الأنعام: ١١٠] . ولهذا قال هنا ﴿ كَذَلِكَ نَطَّبَ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ أي: نختتم عليها ، فلا يدخلها خير وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم بردتهم الحق لما جاءهم، وتکذبیهم الأول ﴿ □﴾ أي قبل مجيء الرسول .

٣. لأنَّه لا تقوم الحجة على الخلق إلَّا بعد مجيء الرسل إليهم وإبلاغهم بدين الله.

والله تعالى أعلم

١ - قاله السعدي في تيسير الكرييم الرحمن ص ٢٧٠

قال تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَرُوْبَتِ إِلَيْهِ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ ۖ يَأْتِيْنَا فَأَسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُجْرِمِيْنَ ﴾ [يونس: ٧٥]

في الآية مسألة واحدة وهي:

من المراد بقوله ﴿ وَمَلَائِيْهِ ﴾؟

قال أبو حيان : " ولا يخص قوله ﴿ وَمَلَائِيْهِ ﴾ بالأشراف، بل هي عامة لقوم فرعون، شريفهم ومشروفهم."

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الملا هم عامة قوم فرعون شريفهم ومشروفهم . وهو قول بعض المفسرين^(□)؛ و اختاره أبو حيان.

قال ابن عطية^(*): **والملا:** الجماعة من قبيلة وأهل مدينة ، ثم يقال للأشراف والأعيان من القبيلة أو البلد ملا ، أي هم يقومون مقام الملا ، وعلى هذا الخد هي في قول رسول الله ﷺ في قريش بدر: ((أولئك الملا)) وكذلك هي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ ﴾ [القصص: ٢٠] . وأما في هذه الآية فهي عامة لأن بعثة موسى وهارون كانت إلى فرعون وجميع قومه من شريف ومشرو夫 وقد مضى في ﴿ المَصَ ﴾ [الأعراف: ١] ، ذكر ما بعث إليهم فيه.

وقال ابن كثير: أي قومه.

وقال الجلالان^(*): ﴿ وَمَلَائِيْهِ ﴾ قومه.

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٤٣) (١٤٣/٥).

٢ - ابن عطية (١٣٣/٣)، ابن كثير (٤/٢٤٨)، الجلالين آية ٧٥، ابن عاشور (١١/٢٤٦).

٣ - الحديث في صحيح البخاري / كتاب مناقب الأنصار / باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة/ حدیث رقم(٣٨٥٤) وفيه ((فقال النبي ﷺ: اللهم عليك الملا من قريش...))

القول الثاني : الملائِم هم أشراف القوم وسادتهم ^(□)؛ وهو قول جماعة من المفسرين.

قال الطبرى : " يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم موسى وهارون ابني عمران إلى فرعون مصر ومملئيه، يعني: وأشراف قومه وسادتهم".
وقال البغوى : "يعني: أشراف قومه".
وقال القرطبي : "أي أشراف قومه".
نلاحظ مما سبق إيراده ما يلى:

- أما القول أن الملائِم هم عامة قوم فرعون فهذا من استعمال الخاص في العام.
- وأما القول أن الملائِم هم أشراف القوم؛ فلأن أشراف الناس يلئون المجالس والعيون مهابة واقتصار الرؤساء عليهم بالمشورة والرأي والصاحبة؛ وعامة الناس تبع لهم.

الترجح:

يترجح القول أن المراد هم أشراف القوم وسادتهم وذلك: لدلالة آيات أخرى فالله تعالى بعث موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل.

إسرائيل عامة ولكن خص فرعون وملائِمه بحوار خاص ودعوة خاصة كما قال تعالى ﴿ هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ مُوسَى ١٥ إِذْ نَادَنَهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ ١٦ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ١٧ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَرَگَ ١٨ ﴾ [النازعات: ١٥ - ١٨].

١ - الطبرى (١٠١/١١)، البغوى آية ٧٥، القرطبي (٣٦٦/٨)، الحازن آية ٧٥، البقاعي (٣٦٨/٣)، الشربيني (٣٤/٢)، الشوكانى (٤٦٤/٢)، النووي الحاوى آية ٧٥، الألوسي (٦٦١/١١).

. دلالة سياق الآية قال تعالى في آخر الآية ﴿فَأَسْتَكْبِرُوا وَكَانُوا﴾.

﴿قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾، ومعلوم أن فرعون وخاصته هم المستكبرون
الطاغون المجرمون.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْحَرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ
الْسَّاحِرُونَ﴾ [يونس: ٧٧].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما هو معنوي (أَتَقُولُونَ)؟

قال أبو حيان: "قال لهم موسى : [أَتَقُولُونَ؟]" مستفهماً على جهة الإنكار والتوبیخ، حيث جعلوا الحق سحراً، أسرح هذا أي : مثل هذا الحق لا يدعى أنه سحر. وأخبر أنه لا يفلح من كان ساحراً لقوله ﴿وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَ﴾ [٦٩] طه: ٦٩ والظاهر أنَّ معنوي (أَتَقُولُونَ) مذوق تقديره: ما تقدم ذكره وهو إنَّ هذا لسحر، ويجوز أن يحذف معنوي القول للدلالة عليه نحو قول الشاعر:

لنحن الألى قلتم فلنني مليعه
برؤيتنا قبل اهتمام بكم رعباً
ومسألة الكتاب ﴿(متى رأيت، أو قلت زيداً منطلقاً).﴾

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن يكون المفعول مذوقاً، ويكون قوله ﴿أَسْحَرُ هَذَا﴾ من قيل موسى، على وجه الإنكار على فرعون وملئه لقوفهم للحق لما جاءهم :

- ١ - ما بين المعقوتين من المطبوع وساقط من المخطوط.
- ٢ - في المطبوع : لقوله تعالى ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾
- ٣ - لا يعرف قائله وهو في هم المقام (١٥٧/١) والدرر (١٣٩/١).
- ٤ - يقصد به كتاب سيبويه (٤١/١) وتسمة الكلام للتوضيح : "(متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً) على إعمال الأول، وحذف معنوي القول ، ويجوز إعمال القول بمعنى الحكاية به فيقال : متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً انظر الدر المصنون (٢٤٧/٦).
- ٥ - البحر المحيط (ح/٥ ل/١٤٣) (١٤٣/٥).

(سحر).

فيكون التقدير: قال موسى لهم : أتقولون للحق لما جاءكم سحر . أسرح هذا الذي ترونـه . فيكون قوله (سحر) الأول مذوفا اكتفاء بدلالة (سحر) الثاني، وهو قول موسى ﴿أَسِّحْرُ هَذَا﴾. وهو قول كثير من المفسرين ^(□)، واختاره أبو حيان.

قال الطبرـي : وأولـي ذلك في هذا بالصواب عندي أن يكون المـقول مـذوفـا، ويـكون قوله: أـسـيـحـرـ هـذـا من قـيل مـوسـى منـكـرا عـلـى فـرـعـون وـمـلـئـه قـوـلـهـم لـلـحـقـ لما جـاءـهـم سـحـرـ، فـيـكـون تـأـوـيـل الـكـلـام حـيـنـئـذـ: قال مـوسـى لـهـم: أـتـقـولـون لـلـحـقـ لما جـاءـكـمـ وـهـيـ الآـيـات الـتـي أـتـاهـمـ بـهـا مـنـ عـنـ الدـلـلـ حـجـةـ لـهـ عـلـى صـدـقـهـ، سـحـرـ، أـسـحـرـ هـذـا الـحـقـ الـذـي تـرـوـنـهـ؟ فـيـكـون السـحـرـ الـأـوـلـ مـذـوـفـا اكتـفاء بـدـلـالـةـ قول مـوسـى أـسـيـحـرـ هـذـا عـلـى أـنـهـ مـرـادـ فـيـ الـكـلـامـ، كـمـاـ قـالـ ذـوـ الرـمـةـ ^(□): فـلـمـا لـيـسـنـ الـلـيـلـ أـوـ حـيـنـ تـصـبـتـ لـهـ مـنـ خـدـا آـذـانـهـ وـهـوـ جـانـحـ ^(□). يـرـيدـ: (أـوـ حـيـنـ أـقـبـلـ)، ثـمـ حـذـفـ اكتـفاء بـدـلـالـةـ الـكـلـامـ عـلـيـهـ، وـكـمـاـ قـالـ جـلـ ثـنـاؤـهـ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْعَوْا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧] وـالـعـنـىـ: بـعـثـنـاهـمـ لـيـسـوـا وـجـوـهـكـمـ ، فـتـرـكـ ذـلـكـ اكتـفاءـ بـدـلـالـةـ الـكـلـامـ عـلـيـهـ، فـيـ أـشـبـاهـ لـمـاـ

١ - الطـبـرـيـ (١٠١/١١)، السـمـرـقـنـدـيـ (١٢٣/٢)، الـبـغـوـيـ آـيـةـ ٧٧، الـزـخـشـريـ (١٢٦/٢)، ابنـ عـطـيةـ (٣/٣)، ابنـ الجـوزـيـ (٤/٤)، الرـازـيـ (١١٧/٤٣)، الـقـرـطـيـ (٢٨٧/١٧)، الـبـيـضاـوـيـ (٣٦٦/٨)، الـبـقـاعـيـ (٢١٠/٣)، ابنـ جـزـيـ (١٧٧/٢)، الـخـازـنـ آـيـةـ ٧٧، السـمـينـ فـيـ الدـرـ (٢٤٧/٦)، ابنـ عـادـلـ (٣٨٣/١٠)، الـبـيـضاـوـيـ (٤٦٨/٣)، الشـرـبـيـنـيـ (٣٤/٢)، أـبـيـ السـعـودـ (٤/١٦٤)، الـجـمـلـ (٣٦٥/٢)، الـأـلـوـسـيـ (٦٦١/١١)، ابنـ عـاشـورـ (٢٤٨/١١).

٢ - ذـوـ الرـمـةـ مـنـ فـحـولـ الشـعـرـاءـ غـيـلـانـ بـنـ عـقـبةـ بـنـ بـهـيـسـ مـضـرـيـ النـسـبـ، وـالـرـمـةـ: الـحـبـلـ، تـوـفـيـ سـنـةـ ١١٧ـهــ. طـبـقـاتـ فـحـولـ الشـعـرـاءـ صـ ١٢١ـ، سـيرـ أـعـلامـ الـبـلـاءـ (٢٦٧/٥)، الـبـدـاـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ (٣١٩/٩).

٣ - جـامـعـ الـبـيـانـ (٣٢٧/١) طـبـعةـ شـاـكـرـ.

ذكرنا كثيرة تُتعب إحصاؤها.

وقال السمرقندى : " وفي الآية مضمير، ومعناه: أتقولون للحقٍّ لما جاءكم إِنَّه سحر؟ ثمْ قال: أَسِحْرُ هَذَا؟ يعني: أيكون مثل هذا سحراً؟ فليس ذلك بسحر، ولكنْ ذلك علامة للنبوة".

وقال البغوي : " تقدير الكلام: أتقولون للحقٍّ لما جاءكم سحر أَسِحْرُ هَذَا فحذف السحر الأول اكتفاءً بدلاله الكلام عليه".

القول الثاني: إن معمول (أتقولون) هو قوله ﴿أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ الْسَّاحِرُونَ﴾ فتكون هذه الجملة حكاية ل الكلام فرعون وقومه قالوا : أجيئتما بالسحر تطلبان الفلاح به، ولذلك دخلت الألف لأنهم قالوا: أَسِحْرُ، فقيل لهم: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ الْسَّاحِرُونَ﴾ . وهو قول بعض المفسرين.
قال القرطبي : [□] وقال الأخفش [□]: هو من قوله، ودخلت الألف حكاية لقولهم؛ لأنهم قالوا أَسِحْرُ هَذَا . فقيل لهم: أتقولون للحق لما جاءكم أَسِحْرُ هَذَا .

وقال الشوكاني : وقال الأخفش: هو من قوله، وفيه نظر لما قدمنا.
 نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- في القول الأول يقال إن الملجئ إلى هذا الاستفهام الإنكارى هو أن فرعون وقومه لم يستفهموه عن السحر حتى يحكى ما قالوه بقوله ﴿أَسِحْرُ هَذَا﴾ بل هم قاطعون بأنه سحر لأنهم قالوا ﴿إِنْ هَـاـذا لَسِحْرٌ مُّيْنٌ﴾ مؤكدين ما ذهبوا إليه فلا يكون قوله ﴿أَسِحْرُ هَذَا﴾

١ - علي بن سليمان بن الفضل البغدادي، أبو الحسن، العلامة النحوى، لازم ثعلباً والمبرد، توفي سنة ٣١٥هـ، والأخفش: هو ضعيف البصر مع صغر العين . سير أعلام النبلاء (١٤/٤٨٠)، البداية والنهاية (١١/١٥٧)، شذرات الذهب (٢٧٠/٢).

من قوله. وفي هذا رد على القول الثاني فإن فيه نظر.

- القول الثاني فيه نظر من حيث أن ترتيب الجمل يدل على أن

موسى عليه السلام قال ثلاث جمل هي:

﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ .
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

﴿أَسِحْرُ هَذَا﴾ .
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّدِّرُونَ﴾ .
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

" جاء موسى بإنكار بعد إنكار وتبنيخ بعد توبيق وتجهيل بعد تجهيل " □ .

الترجيح:

يترجم القول أن يكون المفعول مخدوفاً، ويكون قوله ﴿أَسِحْرُ هَذَا﴾ من قيل موسى، على وجه الإنكار على فرعون ومائه لقولهم للحق لما جاءهم :

(سحر). وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

لأنه أوجه الأقوال من حيث الدلالة اللغوية ، فمثل هذا التقدير

المخدوف على التأويل السابق موجود في كلام العرب.

لدلالة آيات أخرى .
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

قال ابن عطية : " ومنه قول الله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْتَعْوِدُ وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧] المعنى بعثناهم ليسوعوا، ومثل هذا كثير شائع."

ل المناسبة في الجواب على الاستفهام الصادر من فرعون ومن معه،
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

فإنهم قالوا ذلك على سبيل الإقرار والقطع والتکذیب منهم والطعن

بما جاء به من البيانات والآيات الدالة على صدقه.

والله تعالى أعلم

١ - الجمل (٣٦٥/٢) والشوکانی (٤٦٤/٤) .

قال تعالى ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِتَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ إِبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا مَنَعَنِي لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٧٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله «وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ»؟

قال أبو حيان^١: والكبرياء مصدر، قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وأكثر المتأولين^٢: المراد به هنا الملك ، إذ الملوك موصوفون بال الكبر ، ولذلك قيل: للملك الجبار، ووصف بالصيد والشوس^٣.

وقال ابن الرقيات^٤ في وصف مصعب بن الزبير^٥:

ملكه ملك رحمة^٦ ليس فيه جبروت منه ولا كبراء^٧

يعني: ما عليه الملوك من ذلك ، وقال ابن الرقاع^٨:

سؤدد غير فاحش لا يدان به تجارة ولا كبراء^٩.

١ - وهم المفسرون وسيأتي بيانهم في القول الأول.

٢ - في المطبوع (بالصد والشرس).

٣ - ابن الرقيات: عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي، شاعر قريش في العصر الأموي، توفي نحو سنة ٨٥ هـ. الأغاني (٧٣/٥)، الشعر والشعراء ص ٢١٢، الأعلام (١٩٦/٤).

٤ - مصعب بن الزبير بن العوام القرشي الأسدى، أبو عبد الله، تولى إمرة العراق من قبل أخيه عبد الله، قتلته المختار بن عبد الله سنة ٧٢ هـ، طبقات ابن سعد (١٨٢/٥)، تاريخ البخاري (٣٥٠/٧)، سير أعلام النبلاء (٤/٤٠).

٥ - في المطبوع (رأفة).

٦ - وهو في ديوان ابن الرقيات ص ٩١.

٧ - ابن الرقاع: عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع ، شاعر كبير، من أهل دمشق، يكنى أبا داود، كان معاصرًا لجري مهاجيا له، مات نحو سنة ٩٥ هـ. الأغاني (١٧٢/٨)، الأعلام (٤/٢٢١).

٨ - ذكره الطبرى في تفسيره (١٠١/١١).

وقال الأعمش ^(□): الكيراء العظمة ^(□)، وقال ابن زيد : العلو ^(□)، وقال الضحاك أيضاً: الطاعة ^(□).

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: المراد به الملك، قاله مجاهد؛ وهو قول جماعة من المفسرين .
واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: "عن مجاهد ^(□)، قال: الملك في الأرض."

وقال السمرقندى: «وَتَكُونَ لِكُمَا الْكِبْرِيَاءُ» يعني: السلطان والشرف والملك.

وقال ابن أبي حاتم: "عن مجاهد ^(□) ، قوله «الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ» .

القول الثاني: المراد به العظمة، قاله الأعمش؛ وهو قول بعض المفسرين ^(□).

١ - الأعمش: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ، ثقة حافظ عارف بالقراءات، توفي سنة ١٤٧ هـ. تهذيب التهذيب (٤/٢٢٢)، التقرير ص ٢٥٤.

٢ - سيأتي بيان من ذكره من المفسرين في القول الثاني.

٣ - سيأتي بيان من ذكره من المفسرين في القول الثالث.

٤ - سيأتي بيان من ذكره من المفسرين في القول الرابع.

٥ - البحر المحيط (٥/١٨٠-١٨١) (٥/١٤٤).

٦ - الطبرى (١١/١٠١)، السمرقندى آية ٧٨، ابن أبي حاتم (٦/١٩٧٣)، الماوردي آية ٧٨، الزمخشري (٢/١٢٦)، ابن عطية (٣/١٣٤)، ابن الجوزي (٤/٤)، الرازى (١٧/٢٨٨)، القرطبي (٨/٣٦٦)، البيضاوى (٣/٢١٠)، النسفي (٢/٢٤٧)، ابن جزي (٢/١٧٨)، الخازن آية ٧٨، ابن عادل (١٠/٣٨٣)، البقاعى (٣/٤٦٨)، الجلالين آية ٧٨، الشرييني (٢/٢٤)، أبي السعود (٤/١٦٤)، الشوكانى (٢/٤٦٤)، الألوسي (١١/٧٦١).

٧ - وسنده قال: ثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: بلغني، عن مجاهد..، وذكر رواية أخرى قال: حدثني المشنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نحيف، عن مجاهد..

٨ - وسنده قال: حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شابة، عن ورقاء، عن ابن أبي نحيف، عن مجاهد..

٩ - الطبرى (١١/١٠١)، ابن أبي حاتم (٦/١٩٧٣)، الماوردي آية ٧٨، القرطبي (٨/٣٦٦)، السمين في =

قال الطبرى: وقوله: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبِيرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني العظمة.

وقال ابن أبي حاتم: عن الأعمش عن مجاهد □ ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبِيرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: العظمة في الأرض.

وقال الماوردى: العظمة، حكاہ الأعمش.

القول الثالث: المراد به العلو، قاله ابن زيد؛ وذكره الماوردي وابن الجوزي □.
قال الماوردى: العلو، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال ابن الجوزي: العلو، قاله ابن زيد.

القول الرابع: المراد به الطاعة، قاله الضحاك؛ وذكره بعض المفسرين □.
قال الطبرى : عن الضحاك □: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبِيرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ قال:
الطاعة.

وقال الماوردى: الطاعة، قاله الضحاك.

وقال ابن الجوزي: الطاعة، قاله الضحاك.

القول الخامس: المراد به السلطان في الأرض، قال ه مجاهد؛ وذكره الطبرى،
والقرطبي، والخازن □.

قال الطبرى: عن مجاهد □، قال: السلطان في الأرض.

في الدر (٢٤٨/٦)، ابن كثير (٤/٢٤٨) وذكر معها الرئاسة، الشوكاني (٢/٤٦٤)، ابن عاشور (١١/٢٥١) وذكر معها إظهار التفوق على الناس.

١ - وسنده: حدثنا أبي، ثنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم ثنا سعيد بن محمد الثقفي عن الأعمش، عن مجاهد... .

٢ - الماوردي آية ٧٨، ابن الجوزي (٤/٤٣).

٣ - الطبرى (١١/١٠١)، الماوردى آية ٧٨، ابن الجوزي (٤/٤٣).

٤ - وسنده قال: ثنا المحاربى، عن جوير، عن الضحاك... .

٥ - الطبرى (١١/١٠١)، القرطبي (٨/٣٦٦)، الخازن آية ٧٨.

٦ - وسنده قال: حدثني الحرجى، قال: ثنا عبد العزىز، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد،

وقال القرطبي: أي العظمة والملك والسلطان.

وقال الخازن: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكَبِيرَيَاءُ﴾ يعني الملك والسلطان.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن الأقوال التي ذكرها أهل التفسير متقاربة المعنى، وإن اختلفت ألفاظها، إلا أن أدق هذه الألفاظ لفظة الملك.

الترجيح:

يترجم القول بأن المراد هو الملك، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لأنه إذا حصل الملك تبعته العظمة والعلو والطاعة بِإِلَهٍ. والسلطان.

قال الطبرى: وهذه الأقوال كلها متقاربات المعانى، وذلك لأن الملك سلطان، والطاعة م لك غير أن معنى الكبراء هو ما ثبت في كلام العرب، ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك.

أن الملك ما تتوقع إليه النفوس.

قال الألوسى: وعن الزجاج أنه إنما سمي الملك كباراً لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا أَقْوَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ أَسْحَرْ إِنَّ اللَّهَ سَيْبِطُلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ٨١ ﴿ وَتَحِقُّ اللَّهُ الْحَقُّ بِكَلِمَتِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ ٨٢] [يونس: ٨١ - ٨٢].

في الآيتين ثلاث مسائل:

المسألة الأولى والمسألة الثانية

ما وجه الارتباط في تعريف كلمة(السحر) ومدلولها وعود الضمير في قوله

﴿ مَا جِئْتُم بِهِ أَسْحَرْ ﴾؟

قال أبو حيان: "والسحر خبر مبتدأ مخدوف، أي: هو السحر، قال ابن عطية: "والتعريف هنا في السحر أرتب، لأنه قد تقدم منكرا في قوله ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس: ٧٦]. فجاء هنا بلام العهد، كما يقال : أول الرسالة سلام عليك، وفي آخرها : والسلام عليك." (□) انتهى. وهذا أخذه من الفراء، قال الفراء: " وإنما قال السحر بالألف واللام، لأن النكرة إذا أعيدت أعيدت بالألف واللام، ولو قال له: من رجل؟ لم يقع في وهمه أنه يسأله عن الرجل الذي ذكره له" (□) انتهى. وما ذكراه هنا في السحر ليس هو من باب تقدم النكرة، ثم أخبر عنها بعد ذلك، لأن شرط هذا أن يك ون المعرف بالألف واللام هو النكرة المتقدم، ولا يكون غيره، كما قال تعالى ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [المزمول: ١٥]، وتقول زارني رجل، فأكرمت الرجل، ولما كان إيه جاز أن يأتي بالضمير بدله، فتقول : فأكرمتـه، والسحر هنا ليس هو السحر الذي هو في

١ - هاتان المسألتان جعلتهما بهذا الترتيب لأن فصلهما يؤدي إلى عدم فهم المسألتين على الوجه المطلوب وقد يؤدي إلى التكرار الممل.

٢ - المحرر الوجيز (٣/١٣٥).

٣ - معاني القرآن (١/٤٧٥).

قولهم: إن هذا لسحر، لأن الذي أخبروا عنه بأنه سحر هو ما ظهر على يدي موسى عليه السلام من معجزة العصا، والسحر الذي في قول موسى عليه السلام: إنها هو سحرهم الذي جاؤوا به ، فقد اختلف المدولان، وقالوا هم عن معجزة موسى عليه السلام ، وقال موسى عما جاؤوا به ولذلك لا يجوز أن يأتي هنا بالضمير بدل السحر، فيكون عائدا على قوله لسحر.^(□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن دخول (ال) التعريفية على (السحر) في قوله ﴿مَا جَئْتُمْ بِهِ آسِحْرٌ﴾ لأنه خبر (ما) والخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب . وهو قول جماعة من المفسرين^(□) و اختاره أبو حيان.

قال الطبرى: كلام العرب إدخال الألف واللام في خبر^(□) ما والذي إذا

١ - البحر المتوسط (ج ٥/١٤٥) (١٤١/٥)، والنهر الماد (١٨٢/٥).

٢ - الطبرى (١١/١٠٣)، الزخشري (٢٤٧/٢)، القرطبي (٣٦٧/٨)، البيضاوى (٣/٢١٠)، النسفي (٢٤٧/٢)، ابن عادل (١٠/٢٨٢)، أبي السعود (٤/١٦٤)، الشوكانى (٢/٤٦٤)، الألوسى (١١١/٨١).

٣ - ولعل الاختلاف مبني على الاختلاف في القراءة وقد بين الطبرى ذلك بقوله: "و اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ما جئتم به آسِحْرٌ على وجه الخبر من موسى عن الذي جاءت به سحرة فرعون أنه سحر كان معنى الكلام على تأويتهم، قال موسى : الذي جئتم به أيها السحرة هو السحر. وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدینین البصريین: ﴿مَا جَئْتُمْ بِهِ آسِحْرٌ﴾ على وجه الاستفهام من موسى إلى السحرة عما جاءوا به، أسرح هو أم غيره؟"

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه على وجه الخبر لا على الاستفهام، لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكاً فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له فيحتاج إلى استخار السحرة عنه أي شيء هو، وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة، إنما جاء بهم فرعون ليغالبوا على ما كان جاءهم به من الحق الذي كان الله آتاه، فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدقونه في الخبر عما جاءوا به من الباطل، فيستخبرهم أو يستجيز استخارتهم =

كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب، بل لا يجوز إذا كان ذلك كذلك إلا بالألف واللام، لأن الخبر حينئذ خبر عن شيء بعينه معروف عند الفريقين وإنما يأتي ذلك بغير الألف إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شيء بعينه، فحينئذ لا تدخل الألف واللام في الخبر، وخبر موسى كان خبراً عن معروف عنده وعن السحرة، وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التي جعلها الله علما له على صدقه ونبوته إلى أنه سحر، فقال لهم موسى: السحر الذي وصفتم به ما جئتم به من الآيات أيها السحرة، هو الذي جئتم به أنتم لا ما جئتم به أنا. ثم أخبرهم أن الله سيبطله وقال الزمخشري: "خبر، أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله." □

وقال القرطبي: ف (ما) بمعنى الذي، و (جئتم به) الصلة، وموضع (ما) رفع بالابتداء، والسحر خبر الابتداء.

القول الثاني: أن دخول (ال) التعريفية على (السحر) في قوله ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ لأنه سبق أن جاء منكرا في قوله ﴿إِنَّهُ أَدَّا لَسِحْرًا مُّبِينًا﴾. وهو قول بعض المفسرين. □

قال الفراء: إنما قال (السحر) بالألف واللام لأنه جواب لكلام قد سبق؛

عنه ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم بيطول ما جاءوا به من ذلك بالحق الذي أتاه ومبطل كيدهم بجهده، وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآخرى.

١ - وقال في بيان الارتباط بالقراءة : وقرئه: (آلسحر) على الاستفهام . فعلى هذه القراءة (ما استفهمية، أي: أي شيء جئتم به، فهو السحر؟ وقرأ عبد الله : «ما جئتم به سحر» وقرأ أبي: (ما أتيتم به سحر). والمعنى: لا ما أتيت به . قال الفراء(٢/٤٧٥): وأشك فيه" يعني به قراءة أبي لأنه قال: "وفي حرف أبي".

٢ - الفراء(١/٤٧٥)، ابن عطية(٣/١٣٥)، الرازى(١٧/٢٨٨)، البيضاوى(٣/٢١٠)، الجلالين آية ٨١.

ألا ترى أنهم قالوا لما جاءهم به موسى : أهذا سحر؟ فقال : بل ما جئتم به السحر. وكل حرف ذكره متكلم نكرة فرددت عليها لفظها في جواب المتكلم زدت فيها ألفاً ولا ماماً؛ كقول الرجل : قد وجدت درهماً، فتقول أنت : فأين الدرهم؟ أو : فأرني الدرهم. ولو قلت : فأرني درهماً، كنت كأنك سأله أن يريك غير ما وجده.

قال ابن عطية : والتعريف هنا في السحر أرتب لأنه قد تقدم منكراً في قولهم ﴿إِنَّ هَذَا لِسُحْرٌ﴾ [يونس: ٧٦] فجاء هنا بلام العهد كما يقال في أول الرسالة، سلام عليك وفي آخرها والسلام عليك ، ويجوز أن تكون (ما) استفهماماً في موضع رفع بالابتداء و (جئتم به) الخبر و (السحر) خبر ابتداء تقديره هو السحر إن الله سيسيطره ، ووجه استفهماته هذا هو التقرير والتوبیخ ، ويجوز أن تكون (ما) في موضع نصب على معنى أي شيء جئتم و (السحر) مرفوع على خبر الابتداء تقدير الكلام أي شيء جئتم به هو السحر.

وقال الرازي : قوله: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ أَسْبَحْرُ﴾ ما ه هنا موصولة بمعنى الذي وهي مرتفعة بالابتداء، وخبرها السحر، قال الفراء : وإنما قال : (أَسْبَحْر) بالألف واللام، لأنه جواب كلام سبق ألا ترى أنهم قالوا : لما جاءهم موسى هذا سحر، فقال لهم موسى : بل ما جئتم به السحر، فوجب دخول الألف واللام، لأن النكرة إذا عادت معرفة، يقول الرجل لغيره : لقيت رجلاً فيقول له من الرجل فيعيده بالألف واللام، ولو قال له من رجل لم يقع في فهمه أنه سأله عن الرجل الذي ذكره له.

وقال البيضاوي : و (أَسْبَحْر) بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف تقديمه أهوا السحر، أو مبتدأ خبره ممحض أي السحر هو . ويجوز أن يتتصب ما يفعل يفسره ما بعده وتقديره أي شيء أتيتم.

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أن القول الأول هو الأقرب لما ذكره أهل التفسير، في معناه، وفي توجيه القراءة فيه.
- أما القول الثاني فيرد عليه بالقول: اشترط أن يكون المعرف بالألف واللام هو النكرة المتقدم أما هنا فكلمة (السحر) المتقدمه ليست هي ذاتها في هذه الآية ،فالأولى هي من قول فرعون وقومه لمعجزة موسى أنها سحر. وفي هذه الآية هي من قول موسى للسحرة أن ما فعلوه من تحرك الحبال والعصي هو السحر.
فإن كانت الكلمة واحدة وهي السحر إلا أن مدلولها اختلف لاختلاف المخاطب والمخاطب به.
- أن التعريف لإفاده القصر إفراداً أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وملاه من آيات الله سحرا.
- أنه قد ورد بأن شرط كونها للعهد إتحاد المتقدم والمتاخر ذاتا كما في قوله تعالى ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمول: ١٥]، فالرسول هو ذاته موسى وهذا لا إتحاد في ذلك إذ الأول ادعاء ي - ادعاء فرعون على معجزة موسى أنها سحر - والثاني حقيقي - علم موسى بحقيقة ما عليه السحرة من باطل -

الترجمة:

يترجح القول أن دخول (ال) التعريفية على (السحر) في قوله ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ لأنه خبر (ما) والخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك: لمعرفة المخاطب والمخاطب كما اشترطه أهل العلم. بِاللهِ.

. ولأن التعريف يفيد القصر وهو م تواافق مع معنى الآية .
 فقصرت السحر على فعل سحرة فرعون فهو السحر الحقيقى
 ؟ أما فعل موسى فهو معجزة باهرة ، ووصف فرعون له بالسحر
 إنما هي دعوة باطلة .

قال الألوسي : " ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ ما ألقوا من العصي والحبال واسترهموا
 الناس وجاؤوا بسحر عظيم (قال) لهم (موسى) غير مكترث بهم وبما صنعوا
 ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ أَسِّحْرٌ﴾ (ما) موصولة وقعت مبتدأ و (أَسِّحْرٌ) خبر وأل فيه
 للجنس والتعریف لإفاده القصر إفراداً أي الذي ج تم به هو السحر لا الذي
 سماه فرعون وملؤه من آيات الله تعالى سحراً وهو للجنس، ونقل عن الفراء
 أن أل للعهد ، لتقديم السحر في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ ذَا لَسِّحْرٍ﴾ ورد بأن شرط
 كونها للعهد اتحاد المتقدم والتأخر ذاتاً كما في ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ⑯
 فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴿ [المزمول: ١٥ - ١٦] ولا اتحاد فيما نحن فيه فإن السحر
 المتقدم ما جاء به موسى عليه السلام وهذا ما جاء به السحرة . ".

أنه متواافق مع معنى وتوجيهه قراءة العامة كما بين ذلك

الطبرى .

المسألة الثالثة

كلام من قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيَحْكُمُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١ - ٨٢] ؟

قال أبو حيان: "والظاهر أن الجمل بعده - وهي قوله (السحر) - من كلام موسى عليه السلام".

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الجمل من كلام موسى عليه السلام، وهو قول بعض المفسرين ، واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: "قال لهم موسى: السحر الذي وصفتم به ما جئتم به من الآيات أيها السحرة، هو الذي جئتم به أنتم لا ما جئتم به أنا . ثم أخبرهم أن الله سيطنه . فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ يقول: سيدهب به، فذهب به تعالى ذكره بأن سلط عليه عصا موسى قد حوالها ثعبانا يتلقفه حتى لم يبق منه شيء . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يعني: أنه لا يصلح عمل من سعى في أرض الله بما يكرهه وعمل فيها بمعاصيه."

وقال السمرقندي: "يعني: العمل الذي عملتم به هو السحر، قرأ أبو عمرو (السِّحر): السحر، بالمد على وجه الاستفهام، ويكون معناه :

١ - البحر الحيط (ح/٥ ل/٤٥) (١٤٥/٥).

٢ - الطبرى (١٠٣/١١)، السمرقندى (١٢٣/٢)، ابن جزي (١٧٨/٢)، ابن عادل (٣٨٣/١٠)، الشوكانى (٤٦٤/٢).

٣ - أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان ا لمتميمى، ثم المازنى البصري شيخ القراء، والعربيه، مختلف في اسمه، توفي سنة ١٥٤ هـ. تاريخ البخارى (٩/٥٥)، تهذيب الكمال (٣٤/١٢٠)، سير أعلام النبلاء (٦/٤٠٧).

﴿ فَلَمَّا آتُقْوَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْنَتُمْ بِهِ ﴾ يعني ما الذي جئتم به؟ وتم الكلام . ثم قال: ﴿ الْسِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيْبِطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

وقال ابن عادل : كقول موسى السبط للسحرة: ﴿ مَا جِئْنَتُمْ بِهِ الْسِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيْبِطِلُهُ ﴾ .

القول الثاني: الجمل هي من إخبار الله تعالى؛ وأشار إليه بعض المفسرين^(□).

قال الرازى : ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيْبِطِلُهُ ﴾ أي سيهلكه ويظهر فضيحة صاحبه ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ أي لا يقويه ولا يكمله.

وقال ابن جزي: يحتمل أن يكون من كلام موسى أو إخبارا من الله تعالى.

وقال البقاعى^(□): (قال موسى) منكراً عليهم (ما جئتم به) ... أي هو السحر لا ما نسبتموه إلىه؛ ثم استأنف بيان ما حقره به فقال : (إن الله) أي الذي له إحاطة العلم والقدرة (سيهله) أي قريب بوعده لا خلف في هـ؛ ثم علل ذلك بما بين أنه فساد فقال: (إن الله) أي الذي له الكمال كله (لا يصلح) أي وفي وقت من الأوقات (عمل المفسدين) أي العريقين في الفساد بأن لا ينفع بعملهم ولا يديه.

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلى:

- أن السياق فيه دلالة واضحة على أن موسى خاطب فرعون ومن معه بذلك؛ فهذا من متطلبات الحوار الدعوى الرد على الشبهات والدعوى الباطلة وإثبات الحقائق بالبراهين الساطعة.

١ - الرازى (١٧/٢٨٨)، ابن جزي (٢/١٧٨)، البقاعى (٣/٤٧١).

٢ - أحمد بن عمر بن حسن الرباط -بضم الراء وتحقيق الباء- البقاعى، أبو الحسن برهان الدين، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سوريا، توفي سنة ٨٨٥هـ. البدر الطالع (١٩/١)، شذرات الذهب (٧/٣٣٩)، الأعلام (١/٥٦).

- وأما من قال أنها من كلام الله فلم أجد قائله ولا دليلاً وإنما أشار إليه بعض المفسرين.

الترجح:

يترجح أن الجمل من كلام موسى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك: لدلالة السياق وترتيب الجمل فيه .

قال الألوسي: «إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ» ... والجملة تذليل (□) لتعليق ما قبلها وتأكيدته..... «وَيَحِقُّ اللَّهُ الْحَقُّ» أي يثبته ويقويه وهو عطف على قوله سبحانه: «سَيُبْطِلُهُ» (□).

٢. لظاهر القرآن وهو موافق لقاعدة الترجح وهي العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل [□].

العليل (العليل). واقع الحدث والحديث فهو يدور على موسى وفرعون ومن معه.

إيمان موسى ويقينه بنصر الله تعالى ولذلك أكد لهم بطلان سحرهم بقوله هذا لهم.

والله تعالى أعلم

١ - التذليل : وهو تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتوكيد ، التعريفات ص ٥٥ .

٢ - روح المعاني (١٦٧/١١).

٣ - قواعد الترجح لحسين الحربي (١٣٧/١).

قال تعالى ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرَيْهُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى حَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِكَتِهِمْ أَنْ يَغْنِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لِمِنَ الْمُسَرِّفِينَ﴾ [يونس: ٨٣].
في الآية ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى

ما مدلول الفاء في قوله ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرَيْهُ مِنْ قَوْمِهِ﴾؟

قال أبو حيان: "الظاهر في الفاء من حيث إنّ مدلولها التعقيب أنّ هذا الإيمان الصادر من الذريّة لم يتأخر عن قصة الإلقاء".^(□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الفاء للتعليق، واختاره أبو حيان وهو قول السمين وابن عادل^(□).

قال السمين: "الفاء للتعليق، وفيها إشعار بأن إيمانهم لم يتأخر عن الإلقاء، بل وقع عقبيه، لأن الفاء تفيد ذلك".

وقال ابن عادل: "الفاء للتعليق، وفيها إشعار بأن إيمانهم لم يتأخر عن الإلقاء، بل وقع عقبيه؛ لأن الفاء تفيد ذلك".

القول الثاني : إن الفاء للعطف ، وهو قول ابن عطية وأبي السعود والألوسي^(□).

قال ابن عطية : فالضمير في (الملا) كعائد على (الذرية) وتكون الفاء على هذا التأويل عاطفة جملة على جملة لا مرتبة .

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٤٥) (١٨٢/٥).

٢ - السمين في الدر (٢٥٤/٦)، وابن عادل (٣٨٣/١٠).

٣ - ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/١٣٦)، وأبي السعود في إرشاد العقل السليم (٤/١٦٤)، والألوسي في روح المعاني (١٦٧/١١).

وقال أبو السعود: معطوف على مقدر قد فصل في موقع آخر، أي فألقى عصاه فإذا هي تلقت ما يأفكون الخ، وإنما لم يذكر تعويلاً على ذلك وإيثاراً للإيجاز وإيداناً بأن قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ [يونس: ٨١]، مما لا يحتمل الخلف أصلاً وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدماً مستم راً من قبيل ما في قوله عز وجل : ﴿فَانْبَعَثُواْ أَمَرَ فِرْعَوْنَ﴾ [هود: ٩٧]، وما في قولك : وعطفه فلم يتعظ وصحت به فلم ينذر جر والسر في ذلك أن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاغ عنه وإن كان استمراً عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث.

وقال الألوسي: عطف على مقدر فصل في موقع آخر أي فألقى عصاه فإذا هي تلقت ما يأفكون الخ، وإنما لم يذكر تعويلاً على ذلك وإيثار للإيجاز وإيداناً بأن قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ [يونس: ٨١] مما لا يحتمل الخلف أصلاً، ولعل عطفه على ذلك بالفاء باعتبار الإيجاب الحادث الذي هو أحد مفهومي الحصر، فإنهم قالوا: معنى ما قام إلا زيد قام زيد ولم يقم غيره. نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما من قال إنها للتعليق فبمجرد إلقاء موسى للعصا وتحولها إلى ثعبان أكل ما ألقاه السحرة فحينئذ ظهر الحق فأمن السحرة من لحظتها.

- وأما من قال للعطف فهي عطف على مقدر فصل في موقع آخر وهو قوله تعالى ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [٤٦]
 فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَيِّدِنَا قَالُواْ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ
 رَبِّ مُوسَى وَهَزُونَ [الشعراء: ٤٥ - ٤٨].

الترجح:

يترجح القول أن الفاء عاطفة تفيد الترتيب و التعقيب وذلك:

لأن الأصل في الوضع اللغوي للفاء أنها حرف عطف بِاللهِ.

يفيد : الترتيب والتعليق والسببية (□).

لدلالة السياق . فإن الله ذكر قصة موسى ، وبعثه إلى

فرعون وملئه ، وما حصل منهم من التكذيب وطلب الآيات

الدالة على صدق موسى وما حصل من اجتماع السحرة

للتحدي ثم ظهور الحق ؛ فهذا ترتيب للأحداث والواقع ، ثم

عقب ذلك حصل الإيمان بمجرد إيقانهم بصدق موسى وأن ما

جاء به هو الحق وما هم عليه هو الباطل الزاهق، ويلاحظ هذا

في تسلسل الأحداث من آية [٨٣ - ٧٥] في هذه السورة سورة

يونس.

والله تعالى أعلم

١ - مغني اللبيب / ١٨٣ .

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾؟

قال أبو حيان: "والظاهر أن الضمير في قوله عائد على موسى عليه السلام، وأنه لا يعود على فرعون، لأنّ موسى عليه السلام هو المحدث عنه في هذه الآية، وهو أقرب مذكور. ولأنه لو كان عائداً على فرعون لم يظهر لفظ فرعون، وكان التركيب على خوف منه. ومن ملئهم أن يفتنهم".^(□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الضمير في قوله عائد على موسى عليه السلام، وهو قول جماعة من المفسرين،^(□) واختاره أبو حيان.

قال السمرقندی: "يعني: من قوم موسى عليه السلام وهم بنو إسرائيل."

وقال الثعلبی: "فقال قوم: هي راجعة إلى موسى عليه السلام وأراد بهم مؤمني ببني إسرائيل".

وقال الوحدی: "يعني: مَنْ آمنَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلْ".

القول الثاني: إن الضمير في قوله عائد على فرعون. وذكره بعض المفسرين.^(□)

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٤٥) (١٨٣/٥).

٢ - السمرقندی (١٢٣/٢)، الثعلبی والوحدة في الوجيز والبغوي آية ٨٣، الزخشري (٢٤٨/٢)، ابن الجوزی (٤/٤)، الرازی (٢٨٩/١٧)، القرطی (٣٦٩/٨)، البيضاوی (٢١١/٣)، النسفا (٢٤٧/٢)، الخازن آية ٨٣، السمين في الدر (٢٥٤/٦)، ابن عادل (٣٨٣/١٠)، البقاعی (٤٧١/٣)، أبي السعود (٤/١٦٤)، الشوكانی (٢٤٧/٢).

٣ - البغوي آية ٨٣، الزخشري (٢٤٨/٢)، ابن عطیة (١٣٦/٣) ورجحه، ابن الجوزی (٤٥/٤)، الرازی (٢٨٩/١٧)، البيضاوی (٢١١/٣)، النسفا (٢٤٧/٢)، الخازن آية ٨٣.

قال البغوي: وقال الآخرون: الهماء راجعة إلى فرعون.

وقال الزمخشري: وقيل: الضمير في قوله لفرعون.

وقال ابن عطية: وما يضعف عود الضمير على (موسى) أن المعروف من أخبار بني إسرائيل أنهم كانوا قوماً قد تقدمت فيهم النبوات وكانوا في مدة فرعون قد ناهم ذل مفترط وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبياً ، فلما جاءهم موسى عليه أصفقوا عليه واتبعوه ولم يحفظ قط أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به فكيف تعطي هذه الآية أن الأقل منهم كان الذي آمن ، فالذي يترجح بحسب هذا أن الضمير عائد على (فرعون) ويفيد ذلك أيضاً ما تقدم من محاورة موسى عليه ورده عليهم وتوبيقهم على قولهم هذا سحر ، فذكر الله ذلك عنهم ، ثم قال ﴿فَمَا ءامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرْيَةٌ﴾ من قوم فرعون الذين هذه أقواهم .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما من قال بعود الضمير على موسى عليه فلا أنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى فهو أقرب مذكور .
- أنه يرد على من ذهب إلى عود الضمير إلى فرعون بأن ذكر فرعون بعيد فلا يصح عود الضمير إلا للأقرب .
- وكذا يرد عليهم بأنه لو كان الضمير يعود على فرعون لكان الكلام (على خوف منه) ولم يكن (على خوفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ) .
- وأما من قال بعود الضمير على فرعون فيؤيده ما تقدم من محاورة موسى ورده عليهم وتوبيقه لهم على قولهم (هذا سحر) فذكر الله تعالى ذلك عنهم ثم ذكر أنه ما آمن موسى إلا ذرية من قوم فرعون الذين هذه أقواهم .
- وكذا يؤيده توحيد مرجع الضمير في الآية فالضمير الأول

□ (فُوْمَه) والثاني (وَمَالِئِيهِمْ) يعودان على فرعون . بخلاف القول الأول فالضمير الأول عندهم يعود إلى موسى ﷺ والثاني يعود إلى فرعون ومن معه.

- أنه لم يذكر أن طائفة من بني إسرائيل كفروا بما جاءهم موسى ﷺ في أول مبعثه إليهم بل هم تمنوا من يخلصهم من ذل فرعون ومن معه، فكيف يقال إن الأقل من قوم موسى ﷺ آمنوا به ، فهذا مما يضعف عود الضمير على موسى ﷺ ويقوي عوده على فرعون.
- أنه يرد على قاعدة [عود الضمير إلى أقرب مذكور] أنه ليس بمطرد فقد يخرج عن الأصل لدليل .

الترجح:

يترجح عود الضمير على موسى ﷺ ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

لدلالة السياق .

٢. لعود الضمير على أقرب مذكور.

قال الطبرى : " وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية القول الذي ذكرته عن مجاهد □ ، وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى ﷺ من بني إسرائيل ، فهلكوا قبل أن يقرّوا بنبوّته لطول الزمان ، فأدركت ذريتهم فآمن منهم من ذكر الله بموسى ﷺ .

١ - قال الطبرى (١١ / ١٠٣): حدثنا ابن حميد، قال : ثنا حكام، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله تعالى : «فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ قَوْمِهِ» قال: أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان ومات آباءهم:

وإنما قلت هذا القول أولى بالصواب في ذلك لأنه لم يحر في هذه الآية ذكر لغير موسى، فلأن تكون الهاء في قوله «من قومه» من ذكر موسى العليل لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر.^(□)

لأنه الأظهر.

بمعنى جعله أظهر.

قال الرازي: «والأظهر أنه عائد إلى موسى، لأنه أقرب المذكورين ولأنه نقل أن الذين آمنوا به كانوا من بنى إسرائيل».

لعود الضمير للمحدث عنه.

بمعنى ثبتنا.

قال السمين: «عده على موسى العليل لأنه المحدث عنه، ولأنه أقرب مذكور، ولو عاد على فرعون لم يكرر لفظه ظاهراً، بل كان التركيب (على خوف منه)»

٥. لأن قوله إن قاعدة [الأصل في الضمير عوده لأقرب مذكور] ليس بمطرد.

فيقال : «نعم فقد يخرج عن الأصل للدليل، وإذا تعارض الأصول تساقطاً، ونظر في الترجيح من خارج». ^(□) فالذي يرجع هو ما سبق بيانه من الأسباب .

٦. ولأنه يقال في قاعدة توحيد الضمائر، إن العلماء ذكروا أنه «إذا اجتمع ضمائر، فحيث أمكن عودها لواحد فهو أولى من عودها لمختلف». ^(□) فهو ليس شرطاً فإن أمكن فهو كذلك، وإن لم يكن فلا بأس من عودها على مختلف.

والله تعالى أعلم

١ - جامع البيان (١١/٣١٠).

٢ - البرهان (٤/٣٩).

٣ - البرهان (٤/٣٥).

المسألة الثالثة

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَمَلِإِنْهُمْ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر عود الضمير في قوله : وملّهم، على الذرية وقاله الأخفش (□)، واختاره الطبرى (□) أي: خوف من ملأ الذرية (□) وهم أشراف بني إسرائيل إن كان الضمير في قوله عائدًا على موسى (الكتاب)، لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم (□) وعلى أنفسهم. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَن يَفْتَنَهُمْ﴾ أي يعذبهم. (□)

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: إن الضمير يعود على الذرية، وهو قول بعض المفسرين (□)، واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: واختلف أهل العربية فيمن عني بلهاء والميم اللتين في قوله : ﴿وَمَلِإِنْهُمْ﴾ فقال بعض نحوبي البصرة : عني بها الذرية . وكأنه وجه الكلام إلى: فما آمن لموسى (الكتاب) إلا ذرية من قومه، على خوف من فرعون، وملأ الذرية من بني إسرائيل. ثم قال بعد ذكر الأقوال الأخرى.

" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: اهاء والميم عائدتان

١ - معاني القرآن (٣٤٧/٢).

٢ - جامع البيان (١٠٣/١١).

٣ - في المطبوع: أخوف بني إسرائيل الذرية.

٤ - (عليهم و) ساقط من المطبوع.

٥ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٤٥) (١٨٣/٥).

٦ - الطبرى (١١/١٠٣)، الشعابي آية ٨٣، الزمخشري (٢٤٨/٢)، الرازى (١٧/٢٨٩، الحازن آية ٨٣)، السمين في الدر (٦/٢٥٤)، ابن عادل (١٠/٣٨٣)، الشوكانى (٢٤٧/٢).

على الذرية. ووجه معنى الكلام إلى أنه على خوف من فرعون، وملاً الذرية لأنه كان في ذرية القرن الذين أرسل إليهم موسى العليل من كان أبوه قبطياً وأمه إسرائيلية، فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى:

وقال الثعلبي: رد الكناية في قوله: (وَمَلِإِيَّهُمْ) إلى الذرية.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يرجع إلى الذرية، أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل، لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون

عليهم وعلى أنفسهم. ويدل عليه قوله: ﴿أَن يَفْتَنَهُم﴾ ي يريد أن يعذبهم.

القول الثاني: إن الضمير يعود على قومه أي قوم موسى العليل أو قوم فرعون وهو قول بعض المفسرين (□).

قال الماوردي: ﴿عَلَى حَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلِإِيَّهُمْ﴾ يعني وعظمائهم وأشرافهم.

قال السمين - وقد ذكر كل الأقوال -: أنه يعود على قومه بوجهيه، أي سواء جعلنا الضمير في (قومه) لموسى أو لفرعون، أي : ملاً قوم موسى أو ملاً قوم فرعون.

وقال ابن كثير: أي وأشراف قومه أن يفتنهم.

وقال الشوكاني: وقيل: إن قوم فرعون سموا بفرعون مثل ثمود، فرجع الضمير إليهم بهذا الاعتبار.

القول الثالث: إن الضمير يعود على فرعون، وهو قول بعض المفسرين.

قال الفراء: وإنما قال (وَمَلِإِيَّهُمْ) وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر بخوف

١ - الماوردي آية ٨٣ ،السمين في الدر (٢٥٥/٦)، ابن كثير (٤/٢٥٠)، عادل (١٠/٣٨٣)، الألوسي (١١/٧١).

٢ - الفراء (١/٤٧٦)، الطبرى (١١/١٠٣)، السمرقندى (٢/١٢٣)، البيضاوى (٣/٢١١)، النسفي (٢/٤٦٤)، ابن جزي (٢/١٧٨)، السمين (٦/٢٥٥)، ابن عادل (١٠/٣٨٣)، الشوكاني (٢/٤٦٤)، الألوسي (١١/٧١).

أو بسفر أو قدوم من سفر ذهب الوهم إليه وإلى من معه . وقال: ألا ترى أنك تقول: قدم الخليفة فكثر الناس، ت يريد بمن معه، وقدم فغلت الأسعار؟ لأننا ننوي بقدومه قدوم من معه.

وقال الطبرى: "وقال بعض نحوبي الكوفة: عني بهما فرعون، قال: وإنما جاز ذلك وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر لخوف أو سفر أو قدوم من سفر ذهب الوهم إليه وإلى من معه . وقال: ألا ترى أنك تقول: قدم الخليفة فكثر الناس، ت يريد بمن معه، وقدم فغلت الأسعار؟ لأننا ننوي بقدومه قدوم من معه."

وقال السمرقندى: "﴿وَمَلِإِيَّهُمْ﴾ إشارة إلى فرعون بلفظ الجماعة."

القول الرابع: إن الضمير يعود على المضاف المذوق تقديره: على خوف من آل فرعون. وهو قول بعض المفسرين.^(□)

قال الفراء: " وقد يكون أن تزيد بفرعون آل فرعون، وتحف الآل فيجوز؛ كما قال: ﴿وَسَأَلَ الْقَرِيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] تزيد أهل القرية، والله أعلم . ومن ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]."

وقال الطبرى: " وقد يكون يريد أن بفرعون آل فرعون، ويحذف آل فرعون فيجوز، كما قال: ﴿وَسَأَلَ الْقَرِيَةَ﴾ يزيد أهل القرية، والله أعلم . قال: ومثله قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ ."

وقال البعوى: " قيل: أراد بفرعون آل فرعون أي : على خوف من آل فرعون وملئهم كما قال: ﴿وَسَأَلَ الْقَرِيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهل القرية." نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

• أما القول بعوده الضمير على الذرية، فيقال من هم ملأ الذرية

١ - البعوى آية ٨٣، الزمخشري (٢٤٨/٢)، ابن الجوزي (٤٥/٤)، الرازى (١٧/٢٨٩)، السمين (٦/٢٥٥)، الشوكانى (٢/٤٦٤) الألوسى (١١/٧١).

أهم قوم موسى بنو إسرائيل؟ ، أم هم قوم فرعون؟ ، أم هم من ذكروا بأنهم خليط من الطرفين باعتبار الآباء والأمهات؟ . مع ملاحظة أن لفظ الذرية لا يراد منه التقليل .
فالجواب يندرج تحت القول الثاني في المعنى، بخلاف اللفظ.

- وأما القول بعود الضمير على قوم سواء موسى أو فرعون فذلك بناء على الاختلاف في عود الضمير في قوله (قومه).
- وأما القول بعود الضمير على فرعون باعتبار أنه الملك فإذا ذكر فمن معه يدخلون تبعاً لذلك . فإن فرعون لما ذكر علم أن معه غيره، فعاد الضمير عليه وعليهم؛
- فالآقوال الأولى السابقة متعاضدة المعنى ، متقاربة الدلالة.
- وأما القول بعود الضمير على المضاف المخدوف وتقديره : على

خوف من آل فرعون كما في قوله ﴿وَسَأَلَ الْقَرِيَّةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهل القرية. فإنه قياس مع الفارق . ولأن المعنى المفهوم من المراد من آل فلان هم أهله وقرابته ، وليس المراد منه أعوانه
﴿قال ابن عطية : وهذا التنظير غير جيد لأن إسقاط المضاف في قوله

﴿وَسَأَلَ الْقَرِيَّةَ﴾ [يوسف: ٨٢] هو سائع بسبب ما يعقل من أن (أسأل القرية) لا تسأل، ففي الظاهر دليل على ما أضمر ، وأما هنا فالخوف من فرعون متمكن لا يحتاج معه إلى إضمار.

الترجيح:

يترجح القول بعود الضمير على القوم سواء كانوا من قوم موسى أو قوم فرعون لكن ولاهم لفرعون وذلك: لدلالة معنى الآية فمن آمن خائف من أن يبطش به فيفتتن بِاللَّهِ.

عن دينه، والبطش يكون بأمر فرعون والمنفذون له من كانوا
يدينون بالولاء له.

لأنه أبلغ في الدلالة على تحقق معنى الخوف . فالفرد مهما

بلغ في الجبروت فإنه لا يستطيع أن ينال من خصومه إلا بوجود
من يساعدوه وينفذ أمره.

قال القرطبي : "أن يكون الضمير يع ود على قومه . قال النحاس : وهذا
الجواب كأنه أبلغها".

لأنه يعود على واقع المتحدث عنهم في الآية فبدأت
بإيعانهم ثم خوفهم من بطش المخالفين لهم مع وجود ملوك جبار
مدعى الألوهية مكذب للنبي.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بِيُوتَهُمْ وَاجْعَلُوهُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

في أي مكان أمرا باتخاذ البيوت؟

قال أبو حيان : "والظاهر اتخاذ البيوت بمصر . قال الضحاك : وهي مصر المحرسة^(□)، ومصر من البحر إلى أسوان، والإسكندرية من أرض مصر . وقال مجاهد : هي الإسكندرية^(□)، وكان فرعون قد استولى على بني إسرائيل خرب مساجدهم ومواضع عباداتهم، ومنعهم من الصلوات، وكلفهم الأعمال الشاقة . وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم، فيردوهم ويفتنوهم عن دينهم، كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام.^(□)

الدراسة:

في المسألة قوله:

القول الأول : اتخاذ البيوت بمصر . قاله الضحاك ، وهو قول كثير من المفسرين^(□) . واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: " وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذوا لقومكمما بمصر بيوتا".

١ - زاد المسير (٤/٤٥).

٢ - سيأتي في القول الثاني.

٣ - البحر المحيط (١٤٦/٥). (١٨٤/٥).

٤ - الطبرى (١١/١٠٦)، السمرقندى (٢/١٢٣)، الزمخشري (٢/٢٤٨)، ابن عطية (٣/١٣٨)، ابن الجوزى (٤/٤)، القرطبي (٨/٣٧١)، البيضاوى (٣/٢١٢)، النسفي (٢/٢٤٨)، ابن جزي (٢/١٧٩)، الخازن آية ٨٧.

قال السمرقندى: "يعنى: اتّخذوا لقومكم بمصر مساجد في جوف البيوت.
وقال الزمخشري: "والمعنى اجعلوا بمصر بيوتاً من بيته مبأة لقومكم
 ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة والصلوة فيه".

القول الثاني : اتخاذ البيوت بالإسكندرية، قاله مجاهد . وهو قول بعض
 المفسرين .^(□)

قال ابن أبي حاتم: "عن مجاهد^(□) قوله ﴿تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ قال:
 مصر الإسكندرية".

قال ابن عطية: قال مجاهد: (مصر) في هذه الآية الإسكندرية.
وقال ابن الجوزي: "إنه الإسكندرية، قاله مجاهد".
 نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأنها مصر فهو موافق لمنطق الآية، ويراد به الكل.
- أما القول بأنها الإسكندرية فلا دليل يقويه، وهي جزء من مصر.

الترجيح:

يترجم القول بأنها مصر، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:
 لأنه موافق لمنطق القرآن .
 لأنه يشمل كل ما يصح أن يندرج تحته من المدن أو
 القرى .

قال القرطبي: "وقال الضحاك: إنه البلد المسمى مصر، ومصر ما بين
 البحر إلى أسوان، والإسكندرية من أرض مصر".

١ - ابن أبي حاتم (١٩٧٦/٦)، ابن عطية (١٣٨/٣)، ابن الجوزي (٤٥/٤)، البقاعي (٧٣/٣)، الشوكاني (٤٦٤/٢).

٢ - وسنده قال: حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجحيف، عن مجاهد..

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبَلَةً﴾؟

قال أبو حيان : " والظاهر أنّ المأمور بأن يجعل قبلة هي المأمور بتبوئها .
ومعنى (قبلة) مساجد: أمروا بأن يتخذوا بيوتهم مساجد قاله : النخعي،
وابن زيد (□)، وروي عن ابن عباس (□) ."

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد أن يتخذوا بيوتهم مساجد قاله : ابن عباس، والنخعي،
وابن زيد. وهو قول كثير من المفسرين (□)، واختاره أبو حيان.

قال الفراء: كان فرعون قد أمر بتهذيم المساجد، فأمر موسى وأخوه أن

١ - قال الطبرى: حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا : ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبَلَةً﴾ قال: خافوا فأمروا أن يصلوا في بيوتهم. والنخعي هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني، أبو عمران إمام حافظ أخذ القراءة عرضا عن علقة والأسود، ثقة إلا أنه يرسل كثيراً، مات سنة ٩٦ هـ. سير أعلام النبلاء (٤/٢٥٠)، التقريب ص ٩٥، شذرات الذهب (١٣١/١).

٢ - قال الطبرى : " حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قوله : ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبَلَةً﴾ قال: قال أبي: أجعلوا في بيوتكم مساجدكم تصلون فيها تلك القبلة.
وابن زيد: هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ، بضم القاف والفاء بينهما نون ساكنة، التيمي، المدنى، ثقة. ، تهذيب الكمال (٢٥/٢٣٠)، التقريب ص ٤٧٩ .

٣ - قال الطبرى: ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، قال : ثنا زهير، قال : ثنا خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبَلَةً﴾ قال: كانوا يفرقون من فرعون وقومه أن يصلوا، فقال لهم: أجعلوا بيوتكم قبلة، يقول: أجعلوها مسجدا حتى تصلوا فيها."

٤ - البحر المحيط (٤/٥، ١٤٦) (٥/١٨٤).

٥ - الفراء (٢/٤٧٧)، الطبرى (١١/١٠٦)، ابن أبي حاتم (٦/١٩٧٦)، الواحدي في الوجيز آية ٨٧، ابن عطية (٣/١٣٨)، ابن الجوزي (٤/٤٥)، الرازى (١٧/٢٩١)، ابن كثير (٤/٢٥١)، ابن عادل (١١/١٠)، البقاعي (٣/٧٣)، الجلالين آية ٨٧، الألوسي (١١/٢٨١).

يتخذ المساجد في جوف الدور لتخفي من فرعون.

وقال الطبرى: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ يقول: واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها.

وقال ابن أبي حاتم: عن إبراهيم () قوله ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال: كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم.

وقال السمرقندى: يعني: مساجد فتصلون فيها ... وقال مجاهد: كانوا يصلون في البيع، فأمرهم أن يصلوا في البيوت . وقال إبراهيم النخعى: كانوا خائفين، فأمرهم بالصلاحة في بيوتهم.

القول الثاني: المراد أن يجع علوا بيوتهم قبل القبلة ، وهو قول بعض المفسرين.

قال السمرقندى: ويقال: حولوا بيوتكم نحو القبلة.

وقال البغوى: معناه: واجعلوا بيوتكم إلى القبلة.

وقال ابن الجوزى: واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة، فهي قبلة اليهود إلى اليوم.

القول الثالث: المراد أن يجعلوا بيوتهم قبل مكة أو مستقبله الكعبة، قاله ابن عباس () ومجاهد ().

١ - وسنده: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى، ثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم.. وإبراهيم هو النخعى وتقدم.

٢ - السمرقندى(٢/١٢٣)، البغوى آية ٨٧، ابن الجوزى (٤/٤٥)، البيضاوى(٣/٢١٢)، ابن جزي (٢/١٧٩)، ابن عادل (١٠/٣٩٤)، أبي السعود(٤/١٦٤).

٣ - قال الطبرى: حدثنا ابن حميد، قال : ثنا حكما، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن المنهاج، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ يعني الكعبة.

٤ - قال الطبرى: حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد : بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً قال: نحو الكعبة، حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة،

وهو قول بعض المفسرين^(□).

قال الفراء: «وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً» إلى الكعبة.

وقال البغوي: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت الكعبة قبلةً موسى ومن معه.

وقال الزمخشري: أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة، وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة.

القول الرابع: المراد أن يجعلوا بيوتهم يقابل بعضها بعضاً . وهو قول بعض المفسرين^(□).

قال ابن أبي حاتم^(□) : عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قال: مقابل بعضها بعضاً.

قال ابن عطية: وقيل يقابل بعضها بعضاً ، قاله سعيد بن جبير.

وقال الرازبي: المراد يجعل تلك البيوت قبلة أي متقابلة، والمقصود منه حصول الجمعية واعتراض البعض بالبعض.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول باتخاذ البيوت مساجد يعني الصلاة فيها وليس بمعنى جعلها مساجد بالمعنى المعروف للمسجد . لأنهم في خوف من

فأمرموا أن يجعلوا في بيوتهم "مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سراً".

١ - الفراء(٤٧٧/٢)، البغوي آية ٨٧، الزمخشري (٢٤٨/٢)، ابن عطية (١٣٨/٣)، ابن الجوزي (٤٥/٤)، الرازبي (٢٩١/١٧)، النسفي(٢٤٨/٢)، ابن عادل(٣٩٤/١٠).

٢ - ابن أبي حاتم (١٩٧٦/٦)، ابن عطية (١٣٨/٣)، الرازبي(٢٩١/١٧)، ابن كثير (٤/٢٥١)، الشوكاني (٤/٢٥١).

٣ - وسنده قال : ثنا أبي، ثنا سهل بن عثمان ثنا علي بن عامر عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس..

فرعون ومن معه أن يفتنهم.

- وأما القول أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة، فهو بعيد لأن فيه مشقة

عليهم من ناحية العمارة وفيه لفت لنظر فرعون وجنوده لاسيما
أنهم في لحظة ضعف.

- وأما القول أن يجعلوا بيوتهم قبل مكة أو الكعبة أي أن الكعبة

قبلتهم، ففيه غرابة من حيث إن المعروف أن بني إسرائيل كانوا

يتوجهون إلى بيت المقدس، ولم يشتهر أن موسى عليه السلام كان يستقبل

الكعبة في صلاته ، ولذا لما تحولت القبلة إلى الكعبة المشرفة،

عاد اليهود ذلك على المسلمين لأنهم خالفوهם، وكانوا أول

الإسلام يتوجهون إلى بيت المقدس.

قال تعالى ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَنْهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَسْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢].

- وأما القول أن يجعلوا بيوتهم متقابلة من أجل التعااضد والتقوي

بذلك على العدو، فأجد المعنى بعيدا لأجل كونها متقابلة يلتف

نظر عدوه ، وأن القوة تأتي في المقام الأول بقوة الإيمان واليقين

بنصر الله والثبات على الحق، ثم التعاون والتعااضد بينهم ولا

يشترط في ذلك التقابل في البيوت.

الترجيح:

يترجح القول أن يجعلوا بيوتهم سكنا وموضعا للصلوة وذلك:

١. لأنه كانوا في حالة خوف من الفتنة .

قال البقاعي: "أي مصلى لتعبدوا فيها مستترین عن الأعداء تخفیفاً من

"أسباب الخلاف".

٢. لعدم اسطاعتكم إقامة الصلاة في المكان المخصص لها.

قال السعدي: "أَيْ أَجْعَلُوهَا مَحْلًا تَصْلُونَ فِيهَا، حِيثُ عَجَزْتُمْ عَنْ إِقَامَةِ
الصَّلَاةِ فِي الْكَنَائِسِ وَالْبَيْعِ الْعَامَةِ."^(١)

٣. ولأنهم يلزمون في استقبال القبلة التي شرع لهم استقبالها ما داموا
في البيوت آمنين، فالمعنى هو الشخص المصلي ولبي س المكان.

قال السمين: "أَصْلُ الْقَبْلَةِ الْجَهَةُ، سُمِيتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقَابِلُ
الْمَصْلِيِّ وَيَقْابِلُهَا."^(٢)

٤. لأن المعروف من لفظ المساجد المكان المخصص للصلاة فقط
دون السكن، ولا يطلق عليها بيوت بالعموم.

قال الطبرى: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي قدمنا بيانه
وذلك أن الأغلب من معانى البيوت وإن كانت المساجد بيوتاً ، البيوت
المسكونة إذا ذكرت باسمها المطلق دون المساجد لأن المساجد لها اسم هي به
معروفة خاصّ لها، وذلك المساجد. فأما البيوت المطلقة بغير وصلها بشيء ولا
إضافتها إلى شيء، فالبيوت المسكونة، وكذلك القبلة الأغلب من استعمال
الناس إليها في قبل المساجد وللصلوات . فإذا كان ذلك كذلك، وكان غير
جائز توجيه معانى كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوهها المستعمل بين أهل
اللسان الذي نزل به دون الخفي المجهول ما لم تأت دلالة تدل على غير ذلك،
ولم يكن على قوله: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ دلالة تقطع العذر بأن معناه
غير الظاهر المستعمل في كلام العرب، لم يجز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذي
وصفتنا".

١ - تيسير الكريم الرحمن ص ٣٧٢.

٢ - عمدة الحفاظ ص ٤٤٠.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَم

قال تعالى ﴿ وَقَالَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضْلِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا أَطْمِسَ عَلَيْهِمْ وَأَشْدُدَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المعنى المراد بمحاجيء اللام وما نوعها بقوله ﴿ رَبَّنَا لِيُضْلِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ ؟
 قال أبو حيان: "واللام في ليضلوها الظاهر أنها لام كي على معنى: آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج، وكان الإتيان لكي يضلوا. ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله: ﴿ فَالْنَّقَطَةُ وَإِلَّا فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَّابًا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَنَ وَجْهُوْدُهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [القصص: ٨]، وكما قال الشاعر:

وللمنايا تربى كل والدة
 وللخراب يجد الناس عمراناً (□)
 الدراسة:

في المسألة ستة أقوال:

القول الأول: إن اللام لام (كي)، والمعنى: آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج، وكان الإتيان لكي يضلوا . وهو قول جماعة من المفسرين (□). واختاره أبو حيان.

قال الفراء: وهذه لام كي.

وقال الطبرى: وقال بعض نحوبي الكوفة : هذه اللام لام كي ومعنى

١ - البحر المحيط (٤٧/٥) (١٤٧/٥)، ولم أعرف الشاعر وذكره السمين في الدر ولم ينسبه (٦/٢٦٠) وفي المطبوع مرضعة بدل والدة.

٢ - الفراء (٤٧٧/١)، الطبرى (١١/١٠٨)، الشعابى آية (٣/١٣٨)، ابن عطية (٢/٤٦٨)، ابن جزي (٢/١٧٩)، الخازن آية (٨٨)، الشوكانى (٢/٤٦٨).

الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كي يضلوا، ثم دعا عليهم.

وقال الشعبي: اختلفوا في هذه اللام فقال بعضهم هي لام (كي) ومعناه (أعطيتهم لكي يضلوا ويطروا ويتکبروا) لفتتهم بها فيضلوا ويُضلوا إملاءً

منك، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً عَذَّقًا ١٦ لِتَفْنِيهِمْ فِيهِ ١٧﴾ [الجن: ١٦ - ١٧].

القول الثاني: إن اللام لام (الصيروة والعاقبة)، والمعنى: إنك آتيتهم ذلك فأصارهم إلى الضلال . وهو قول بعض المفسرين. □

قال الطبرى: وقد اختلفت أهل العلم بالعربية في معنى هذه اللام التي في قوله: لِيُضِلُّوا فقال بعض نحوىي البصرة: معنى ذلك: ربنا فضلوا عن سبيلك، كما قال: ﴿فَالنَّقَطَةُ هُوَ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًا وَحَزَنًا ٨﴾ [القصص: ٨]. أي: فكان لهم وهم لم يتقطوه ليكون عدوا وحزنا، وإنما التقطوه فكان لهم . قال: فهذه اللام تجيء في هذا المعنى.

وقال الشعبي: وقيل: هي لام العاقبة ولام الصيروة يعني أعطاهم ليضلوا.

وقال البغوى: وقيل: هي لام العاقبة يعني: فيضلوا ويكون عاقبة أمرهم الضلال كقوله: ﴿فَالنَّقَطَةُ هُوَ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًا وَحَزَنًا ٨﴾ [القصص: ٨].
القول الثالث: إن اللام لام (الخض) والمعنى: آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم، لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك، ذكره الطبرى.

قال الطبرى: وقال آخر: هذه اللامات في قوله (ليضلوا) و (ليكون لهم عدوا)، وما أشبهها بتأويل الخض: آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم، والتقطوه لكونه لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك . والعرب تجعل لام كي في معنى لام الخض، ولام الخض في معنى لام كي لتقارب المعنى، قال الله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ۚ ۖ﴾

١ - الطبرى (١١/١٠٨)، الشعبي والبغوى آية ٨٨، ابن عطية (١٣٨/٣)، البيضاوى (٢١٣/٣)،

الخازن آية ٨٨، السمين في الدر (٦/٢٦٠)، ابن عادل (١٠/٣٩٤)، أبي السعود (٤/١٦٤).

لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعَرِّضُوْا عَنْهُمْ ﴿٩٥﴾ [التوبق: ٩٥] أي لإعراضكم، ولم يحلفوا لإعراضهم".

القول الرابع: أن اللام لام (الدعاء) ، والمعنى : ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك ^(□) . وذكره الخازن.

قال الخازن : "وقال ابن الأنباري ^(□): هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تحزم المستقبل ويفتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا إنك ابتلتهم بالضلال عن سبيلك".

القول الخامس: إن اللام لام (التعليق)، والمعنى: أن موسى قال : يارب إنك أعطيتهم هذه الزينة والأموال لأجل أن يضلوا. وهو قول بعض المفسرين.

قال الزمخشري : وقد حملت اللام في ليضلوا على التعلييل، على أنهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال، فكأنهم أوتوا ليضلوا.

١ - قال أبو حيان: "وقال الحسن: هو دعاء عليهم، وبهذا بدأ الزمخشري قال: "كانه قال ليثبتو على ما هم عليه من الضلال، ولزيكونوا ضلالاً، ولزيطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا". ويبعد أن يكون دعاء قراءة من قرأ ليضلوا بضم الياء، إذ يبعد أن يدعوا بأن يكونوا مضللين غيرهم، وهي قراءة الكوفيين، وقتادة والأعمش، وعيسي، والحسن، والأعرج بخلاف عندهما."
وقال ابن جزي (١٧٩/٢): "الدعاء بلفظ الأمر".

٢ - أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري ، الإ مام الحافظ المقرئ النحوي، قال أبو بكر الخطيب: كان ابن الأنباري صدوقاً ديناً من أهل السنة، توفي سنة ٣٢٨هـ. تاريخ بغداد (٣/١٨١)، سير أعلام النبلاء (١٥/٢٧٤)، شذرات الذهب (٢/٣١٥).

٣ - الزمخشري (٢/٤٩)، الرازي (١٧/٢٩٥)، البيضاوي (٣/٢١٣)، السمين في الدر (٦/٢٦٠)، ابن عادل (٤/٣٩٤)، أبي السعود (٤/١٦٤).

٤ - قال ابن المنير: "وهذا من اعتزاله الخفي الذي هو أدق من دبيب النمل يقاد الاطلاع عليه يكون كشفاً." الانتصاف (٢/٢٠٠) بحاشية الكشاف طبعة دار المعرفة.

قال النسفي في تفسيره (٢/٤٩): "قال الشيخ أبو منصور رحمه الله إذا علم منهم أنهم يضللون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو قوله ﴿إِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ لَيْزَدَادُوا إِنَّمَا﴾ [آل

وقال الرازى : "أن اللام في قوله : ﴿لِيُضْلِلُوا﴾ لام التعليل، والمعنى : أن موسى قال يا رب العزة إنك أعطيتهم هذه الزينة والأموال لأجل أن يضلوا، فدل هذا على أنه تعالى قد يريد إضلال المكلفين".

وقال البيضاوى : ويحتمل أن تكون للعلة لأن إيتاء النعم على الكفر استدرج وثبتت على الضلال، ولأنهم لما جعلوها سبباً للضلال فكأنهم أتوها ليضلوا".

القول السادس: إن اللام لام (أجل) ، والمعنى: آتياهم لأجل ضلالهم عقوبة منك لهم.

قال الشعبي: وقيل: هي لام أجل أي آتياهم لأجل ضلالهم عقوبة لهم ك قوله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعَرِّضُوْا عَنْهُمْ﴾ [التوبه: ٩٥] أي لأجل إعراضكم عنهم، ولم يخلفوا ل天涯 عنهم".

وقال القرطبي: وقيل: هي لام أجل، أي أعطيتهم لأجل إعراضهم عنك فلم يخافوا أن تعرض عنهم . وزعم قوم أن المعنى: أعطيتهم ذلك لئلا يضلوا، فحذفت لا كما قال عز وجل: ﴿يَسْتَقْتُلُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِي كُمْ فِي الْكَلَدَةِ إِنْ أَمْرُؤًا هَلَّكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفٌ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا مُثْتَنِيْنِ فَلَهُمَا الْثُلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةٌ رِجَالًا وَنِسَاءٌ فَلِلَّذَّكَرِ مِثْلُ حَظِيْهِ الْأَلْثَنِيْنِ مِبْيَنٌ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلُلُوا وَاللَّهُ يُكْلِلُ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾ [النساء: ١٧٦]. والمعنى: لأن لا تضلوا".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي :

- أما القول إنها لام (كي) لأن الله المنعم يعطي النعم فيزيد

= عمران: ١٧٨] فتكون الآية حجة على المعتزلة."

الشاكرين وينفع الكافرين، وقد يزيدهم في النعم فيزدادوا في الكفر والانغماس في المللوات ، فيظنون أنهم بهذه النعم على حق وخير ، فهذا استدراج لهم ليزدادوا إثما ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

- وأما القول إنها لام (العاقبة والصيروة) ففي هذه الآية : أن الله تعالى أنعم على قوم فرعون بنعم كثيرة وهو سبحانه يعلم أنهم لن يؤمنوا ، وأن مصيرهم إلى النار ، أما قوله تعالى : ﴿فَالنَّقْطَةُ۝ إَأُلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] ، فهم عند التقاطهم لموسى لم يعلموا ولم يدر بخلد هم أنه سيكون لهم عدوا وحزنا. فظهر الفرق بين الأمرين.
- وأما لام الخفض فهي لام كي بمعنى واحد كما ذكر الطبرى، فتندرج في القول الأول.
- وأما القول بإ أنها لام الدعاء ، فيقال : كون أنبياء الله يدعون على أقوامهم بالاستمرار على الضلال فيه خلاف لمنهج الدعوة والمصابرة، والثابرة، والحرص على دعوة الناس، وإحقاق الحق ودفع الشبهات، وتعليم الناس ورحمتهم لهم في عدم هلاكهم على الكفر . حتى يأتيهم من الله خبر قاطع بعدم إيمان هؤلاء القوم قال تعالى ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحَ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدْ أَمَنَ فَلَا تَبْتَسِّسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦].

فحينئ يكون الدعاء من البعض منهم على أقوامهم بالهلاك كما أخبر الله تعالى عن نوح ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا نَذَرَ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧] ، وهذا الدعاء

منهم لكرههم لمظاهر الكفر التي يفعلها الناس على و جه الأرض التي خلقهم الله لعمارتها بعبادته ؛ وليس دعاؤهم مجرد تمني هلاك الناس وذهبهم . فكيف يدعون الله باستمرار الكفار على الكفر.

• وأما القول إنها لام التعليل فهي ولام كي بمعنى واحد وأيضاً يقال: كون الإنسان يعتقد أن الله سبحانه وتعالى ينعم بالنعم لأجل أن تسخدم في الكفر والمعصية ، فهذا سوء أدب معه عَيْلٌ . فهو سبحانه أنعم على الإنسان وأعطاه الخيار في استخدام هذه النعم قال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢].

فالواجب على المكلفين تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به، مع إحسان الظن به والقأدب معه في الدعاء وفي الطلب.

الترجح:

يترجم القول إن اللام لام (كي)، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لأنه أظهر الأقوال.

٢. وضوح دلالة المعنى .

قال الطبرى: والصواب من القول في ذلك عندي : أنها لام كي، ومعنى الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه، وينسلوا عن سبيلك عبادك، عقوبة منك. وهذا كما قال جل ثناؤه: ﴿لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَقْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦ - ١٧].

وقال السعدي: إن أموالهم لم يستعينوا بها إلا على الإضلal عن سبيلك، فيضلون ويضللون.

١ - تيسير الكريم الرحمن ص ٣٧٢.

قال تعالى ﴿إِنَّمَا وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

قول من قوله ﴿إِنَّمَا وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾؟

قال أبو حيان: "والظاهر أن قوله: (إِنَّمَا) إلى آخره من كلام الله له على لسان ملك. فقيل: هو جبريل. وقيل: ميكائيل. وقيل: غيرهما، خطابه (فاليم ننجيك). وقيل: من قول فرعون في نفسه وإفساده وإضلالة الناس، ودعواه الربوبية." □

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: هو من كلام الله له بواسطة على لسان ملك. وهو قول جماعة من المفسرين؛ □ واختاره أبو حيان؛ أو قد يكون بغير بواسطة كما أشار إليه بعض المفسرين.

قال ابن عطية^١: وهذا اللفظ يحتمل أن يكون مسموعاً لفرعون من قول ملك موصل عن الله وكيف شاء الله.

وقال الرازى^٢: ومن الناس من قال: إن قائل هذا القول هو الله تعالى، لأنه ذكر بعده ﴿فَالْيَوْمَ نُنْجِيكَ بِيَدِنَاكَ﴾ إلى قوله: ﴿فَالْيَوْمَ نُنْجِيكَ بِيَدِنَاكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقْتَ إِلَيْهِ﴾ وهذا الكلام ليس إلا كلام الله تعالى.

وقال القرطبي^٣: قيل: هو من قول الله تعالى.

١ - البحر المحيط (ح/٥) (١٤٨/٥).

٢ - ابن عطية (١٤٠/٣)، الرازى (٢٩٨/١٧)، القرطبي (٣٧٩/٨)، الخازن آية ٩١، ابن عادل (٤٠٣/١٠)، البقاعي (٤٧٦/٣)، الشوكاني (٤٦٨/٢)، الألوسي (٩١/١١)، ابن عاشور (٢٧٧/١١).

القول الثاني: هو جبريل، وهو قول بعض المفسرين.^(١)

قال ابن أبي حاتم : "عن ابن عباس^(٢): فلما خرج آخر أصحاب موسى ودخل آخر أصحاب فرعون أوحى إلى البحر أن اطبق عليهم فخرجت أصبع فرعون بلا إله إلا الله الذي آمنت به بنو إسرائيل . قال جبريل: فعرفت أن الرب رحيم وخفت أن تدركه الرحمة مسته بجناحي وقلت : آلانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ".

وقال ابن الجوزي: "فقيل له: ﴿إَلَّا كُنَّ﴾ أي: الآن توب وقد أضعت التوبة في وقتها، وكنت من المفسدين بالدعاء إلى عبادة غير الله عز وجل؟ والمخاطب له بهذا كان جبريل".

قال الرازى: "الأخبار دالة على أن قائل هذا القول هو جبريل".

القول الثالث: هو ميكائيل. وهو قول بعض المفسرين.^(٣)

قال ابن أبي حاتم : "عن السدي^(٤) قال : فبعث الله ميكائيل يعيره فقال :

"﴿إَلَّا كُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾".

وقال القرطبي: "وقيل: ميكائيل".

وقال السيوطي : "... قال رسول الله ﷺ: ((قال لي جبريل : ما أبغضت شيئاً من خلق الله ما أبغضت إبليس يوم أمر بالسجود فأبى أن يسجد، وما

١ - ابن أبي حاتم (٦/١٩٨٣)، ابن الجوزي (٤/٤٥)، الرازى (١٧/٢٩٨)، الخازن آية ٩١، ابن عادل (١٠/٤٠٣)، البقاعي (٣/٤٧٦)، الجنالين آية ٩١، الشوكاني (٢/٤٦٨)، الألوسي (١١/٩١).

٢ - وسنده قال: ثنا أبي، ثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى ، ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس..

٣ - ابن أبي حاتم (٦/١٩٨٣)، القرطبي (٨/٣٧٩)، السيوطي في الدر المثور (٤/٣٨٦)، الشوكاني (٢/٤٦٨).

٤ - وسنده قال: "حدثنا أبي زرعة، ثنا عمرو بن حماد ، ثنا أسباط، عن السدي...".

أبغضت شيئاً أشد بغضاً من فرعون، فلما كان يوم الغرق خفت أن يعتصم بكلمة الإخلاص فينجو، فأخذت قبضة من حمأة فضربت بها في فيه فوجدت الله عليه أشد غضباً مني، فأمر ميكائيل فأنبه وقال : ﴿إِلَّا كُنَّا وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (□).^١

القول الرابع : هو من قول ملك غير جبريل و ميكائيل، وذكره بعض المفسرين.[□]

قال القرطبي: "غيرهما من الملائكة."

قال الخازن: "وقيل الملائكة."

القول الخامس: هو من قول فرعون في نفسه. وهو قول بعض المفسرين.[□]

قال الزمخشري: "﴿إِلَّا كُنَّا﴾ أتومن الساعة في وقت الاضطرار حين أدرك الغرق وأيست من نفسك. قيل: قال ذلك حين ألمحه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق. وقيل: قاله بعد أن غرق في نفسه."

وقال القرطبي: وقيل: هو من قول فرعون في نفسه، ولم يكن ئم قوله باللسان بل وقع ذلك في قلبه فقال في نفسه ما قال : حيث لم تنفعه الداما؛ ونظيره. ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] أثني عليهم الرب بما في ضميرهم لا أنهم قالوا ذلك بلفظهم، والكلام الحقيقي كلام القلب.

وقال الشوكاني: وقيل: من قول فرعون، قال ذلك في نفسه لنفسه.

١ - والحديث أخرجه أبو الشيخ عن أبي أمامة رضي الله عنه ، كما ذكر السيوطي في الدر المنشور (٤/٣٨٦). ولم أقف على سنته.

٢ - القرطبي (٣٧٩/٨)، الخازن آية ٩١، وأبي حيان (٥/١٨٨).

٣ - الزمخشري (٢/٥١)، القرطبي (٨/٣٧٩)، وأبي حيان (٥/١٨٨)، الشوكاني (٢/٤٦٨).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما كون القائل هو الله فهو أظهر وأقرب للفظ القرآني ، وسيأتي بيان ذلك.
- وأما كون القائل هو جبريل فإن الأخبار المروية في ذلك فيما اطلعت عليه من كتب التفسير على قسمين:
 الأولى: المروعة إلى النبي ﷺ ليس فيها تصريح بأن جبريل قال ذلك.^(□)
 الثاني: الموقوفة على الصحابة ليس فيها تصريح بأن جبريل قال ذلك، عدا رواية واحدة موقوفة على ابن عباس وهي : التي رواها ابن أبي حاتم. وهذا الأمر لا مجال للاجتهاد فيه، وقد ذكر عن ابن عباس مرويات عن بنى إسرائيل.
- وأما كون القائل هو ميكائيل فدليله ما ذكره ابن أبي حاتم عن السدي ، والسيوطى عن أبي أمامة.
- وأما كون القائل ملائكة غير جبريل وميكائيل فلا دليل عليه من خبر أو أثر.
- وأما كون القائل هو فرعون نفسه فلا يظن بهذا الطاغية أن يعنف ويوبخ نفسه ويصفها بالعصيان والإفساد ولاسيما أنه قد جاءته

١ - وهي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبريل : يا محمد فلو رأيتني وأنا أخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة". فهذه رواية ذكرها بعض المفسرين وأخرجها الترمذى في الجامع (٢٦٨/٥) رقم (٣١٠٧)، كتاب التفسير، وقال : هذا حديث حسن . وقال الألبانى : صحيح بما بعده صحيح سنن الترمذى (٣/٦١). وما بعده هي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي : أنه ذكر أن جبريل جعل يدس في فرعون الطين خشية أن يقول: لا إله إلا الله فيرحمه الله، أو خشية أن يرحمه الله". جامع الترمذى (٢٦٨/٥) رقم (٣١٠٨) كتاب التفسير – باب ومن سورة يونس. وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وقال الألبانى: صحيح الإسناد. صحيح سنن الترمذى (٣/٦٢).

الآيات وكانت عنده الفرصة تلو الأخرى للإيمان والتصديق وقد نزل به وبقومه العذاب مرارا ثم طلبو من موسى أن يدعوه ربه بكشف العذاب فتحقق لهم ما طلبوه ، فلا يظن به وهذه حاله أن يكلم نفسه بهذا المنطق منطق الذليل المذعن ، وإنما نطق ﴿ قَالَ إِنِّي أَمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِنِّي أَمَنتُ بِهِ بَنِو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ لينجو من الغرق هذا ظنه ، ولم يقل آمنت بالله.

الترجيح:

يترجح القول أنه من قول الله عز وجل، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

دلالة السياق . فقوله تعالى ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَحِّكَ بِيَدِنَاكَ لِتَكُونَ لِمَنِ اللَّهُ أَعُزُّ ﴾ .

^٢ ﴿ خَلَقَكَ إِلَيَّهِ ﴾ فيه دلالة واضحة على ذلك.

قال الطبرى : يقول تعالى ذكره معرفاً فرعون قبح صنيعه أيام حياته وإساءاته إلى نفسه أيام صحته، بتتماديه في طغيانه ومعصيته ربه حين فزع إليه في حال حلول سخطه به ونزل عقابه، مستجيرًا به من عذابه الواقع به لما ناداه وقد علته أمواج البحر وغشى عليه كرب الموت: ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِنِّي آمَنتُ بِهِ بَنِو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ ﴾ ، المنقادين بالذلة له، المعترفين بالعبودية : الآن تقرّ الله بالعبودية، و تستسلم له بالذلة، و تخلص له الألوهة، وقد عصيته قبل نزول نقمته بك فأسخطته على نفسك وكنت من المفسدين في الأرض الصادّين عن سبيله؟ فهلاً وأنت في مهل وباب التوبة لك منفتح أقررت بما أنت به الآن مقرّ. ﴿ اللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ .

١ - جامع البيان(١١٣/١١).

وقال ابن عاشور : " وقال الله هذا الكلام له على لسان الملك الموكل بتعذيبه تأييساً له من النجاة في الدنيا وفي الآخرة، تلك النجاة الـتي هي مأمولة حين قال: ﴿ءَامَنْتُ﴾ [يونس: ٩٠] إلى آخره، فإنه ما آمن إلا وقد تحقق بجميع ما قاله موسى، وعلم أن ما حل به كان بسبب غضب الله، ورجا من اعترافه له بالوحدانية أن يعفو عنه وينجيه من الغرق . ويدل على ذلك قول الله عقب كلامه ﴿فَإِلَّوْمَ نُنْجِيَكَ بِدَنَكَ﴾ .
لأنه قول تؤيده قرائن تحف به كتقدير القول ، ووصف الواقع العظيم للحدث، وصيغة الخطاب، أسلوب الخطاب متواافق مع العقوبة الحاصلة.

قال أبو السعود: " قوله عز وجل: ﴿ءَأَكَنَ﴾ مقول لقول مقدر معطوف على قال أي فقيل : آلان، وهو إلى قوله تعالى : (آية) حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المذول ومقابلة ما أظهره بالرد على وجه الإنكار التوبيني على تأخيره وتقريره بالعصيان والإفساد وغير ذلك وفي حذف الفعل المذكور وإبراز الخبر المحكي في صورة الإنشاء من الدليلة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى .
الله

وقال ابن عاشور : " مقول لقول حذف لدلالة المقام عليه، تقديره : قال الله . وهو جواب لقوله : (آمنت) لأن قصد بقوله ذلك طلب الإنجاء من الغرق اعترافاً لله بالربوبية، فكانه وجه إليه كلاماً . فأجابه الله بكلام .
لأن الأقوال الأخرى على أربعة أحوال: بنحوين

الأول: قسم ذكر مستنده روایات مرفوعة ليس فيها تصريح بالسائل.
الثاني: قسم ذكر مستنده روایات موقوفة على الصحابي وهي لا مجال

للاجتهاد فيها ومن عرف ببعض المرويات عن بني إسرائيل.

الثالث: قسم ذكر مستنده روایات عن التابعين.

الرابع: قسم لم يذكر مستنده من خبر ولا أثر.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَوَّا نَّاسٍ إِسْرَائِيلَ مُبَوًّا صِدْقِي وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْطَّيِّبَاتِ فَمَا أَخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس: ٩٣].

في الآية مسألة واحدة وهي:
ما المراد ببني إسرائيل في الآية؟

قال أبو حيان: "والظاهر أنّ بني إسرائيل هم الذين كانوا آمنوا بموسى ونجوا من الغرق، وسياق الآيات يشهد لهم. وقيل: هم الذين كانوا بحضور النبي ﷺ من بني إسرائيل قريظة (□) والنضير (□) وبني قينقاع (□). في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد بهم من آمنوا بموسى العنكبوت ونجوا من الغرق، وهو قول جماعة من المفسرين، (□) واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي: يعني: أنزلنا ببني إسرائيل ﴿ مُبَوًّا صِدْقِي ﴾ يعني: منزل

١ - **قريظة:** طائفة من اليهود كانوا يسكنون المدينة، عاهدوا الرسول ﷺ ثم نقضوا العهد، فحاصرهم بعد الخندق في السنة الخامسة من الهجرة خمساً وعشرين ليلة حتى جدهم الحصار، وقدف الله في قلوبهم الرعب، ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ . انظر طبقات ابن سعد (٢/٧٤)، عيون الأثر (٢/١٠٣).

٢ - **النضير:** طائفة من اليهود كانوا يسكنون المدينة، عاهدوا الرسول ﷺ ثم حرضوا قريشاً على قتاله، وحاولوا قتله ﷺ، فحاصرهم ست ليال، ثم أجلاهم إلى خير كما طلبوا، وذلك بعد غزوة أحد. انظر طبقات ابن سعد (٢/٥٧)، عيون الأثر (٢/٧٣).

٣ - **بني قينقاع:** طائفة من اليهود كانوا يسكنون المدينة، عاهدوا الرسول ﷺ ثم كانوا أول من نقض العهد من اليهود ؟ فحاصرهم خمس عشرة ليلة، حتى قذف الله الرعب في قلوبهم، وأجلوا من المدينة على رأس عشرين شهراً من الهجرة. طبقات ابن سعد (٢/٢٩)، عيون الأثر (١/٤٤٣).

٤ - **البحر المحيط** (٥/١٤٩، ٥/١٩٠).

٥ - **السمرقندي** (٢/١٣٣)، **البغوي** آية ٩٣، **ابن عطية** (٣/١٤٢)، **ابن الجوزي** (٤/٥٣)، **الرازي** (١١/١٦)، **ابن كثير** (٤/٢٥٦)، **الشوكتاني** (٢/٤٧٢)، **الألوسي** (١١/٢٩٩).

صدق، وهو أرض مصر، وذلك أن الله تعالى قد وعد لهم بأن يورثهم أرض مصر، فلما غرق فرعون، رجع موسى عليه السلام ببني إسرائيل، إلى أرض مصر، فنزلوا بها وسكنوا الديار.^١

وقال البغوي: "أنزلنا بني إسرائيل بعد هلاك فرعون".

وقال ابن عطية: والتأويل الآخر الذي يحتمله اللفظ أن بني إسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى عليه السلام في أول حاله فلما جاءهم العلم والأوامر وغرق فرعون اختلفوا... فمعنى الآية مذمة ذلك الصدر من بني إسرائيل .

القول الثاني: المراد من بهم ذريه أصحاب موسى، قاله الألوسي.

وقال الألوسي: عن قتادة أن المراد به الشام وبيت المقدس واختاره بعضهم بناء على أن أولئك لم يعودوا إلى مصر بعد ذلك، وأنه تعلم أنه ينبغي أن يراد ببني إسرائيل عن القولين ما يشمل ذريتهم بناء على أنهم ما دخلوا الشام في حياة موسى عليه السلام وإنما دخلها أبناؤهم".

القول الثالث: المراد بهم من كان بحضور النبي ﷺ بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع، وهو قول بعض المفسرين □ .

قال الواهي: "أنزلنا قريظة والنضير منزل صدقٍ ، أيٌ: محموداً مختاراً، يريد: من أرض يشرب، ما بين المدينة والشام".

وقال ابن الجوزي : " قريظة والنضير".

وقال الرازمي: إن المراد ببني إسرائيل في هذه الآية اليهود الذين كانوا في زمان محمد ﷺ فهذا قال به قوم عظيم من المفسرين . قال ابن عباس : وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع أنزلناهم منزل صدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من الطيبات".

١ - الواهي في الوجيز آية ٩٣، ابن الجوزي (٤/٥٣)، الرازمي (١٦/٢٩٩)، القرطبي (٨/٣٨١)، الشوكاني (٢/٤٧٢)، الألوسي (١١/١٩١).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأنهم أصحاب موسى فلأن السياق يشهد لذلك.
- وأما القول بأنهم ذرية من كان مع موسى فلا نه ورد في تفسير بعض السلف أنهم نزلوا الشام (الأردن وفلسطين) وهم لم يدخلوها في زمن موسى.
- وأما القول بأنهم من كان في زمان النبي من اليهود لأنهم بعد بعثة النبي اختلفوا في صفتة ونعته، فمنهم من آمن ومنهم من كفر.

الترجح:

يترجح القول بأنهم اليهود في زمن موسى العليّ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

لدلالة السياق، فالآيات تتحدث عن ذكر أحواهم بعد إغراق فرعون ونجاتهم وسكنهم في مساكن فرعون وقومه في مصر، واختلافهم بعد علمه بالتوراة وأحكامها.

قال الرازى: "والمراد أن قوم موسى العليّ بقوا على ملة واحدة ومقالة واحدة من غير اختلاف حتى قرؤوا التوراة، فحينئذ تنبهوا للمسائل والمطالب ووقع الاختلاف بينهم".

لأنه الأظهر والأولى فإنه يدخل في المعنى السابق له والمعنى الله اللاحق بصورة منتظمة متناسبة، وهذا يتوافق لقاعدة الترجح وهي : [إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له].

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَنَّينَ﴾ [يونس: ٩٤].
في الآية مسألة واحدة وهي:

من المخاطب في قوله ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ﴾؟

قال أبو حيان : "والذي أقوله : إن إِنْ الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء، ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا إمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلاً كقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوَّلُ الْعَنِيدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] ومستحيل أن يكون له ولد، فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك، وفي المستحيل عادة كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ كُبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبَنَّغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بِيَعْيَةٍ﴾ [آل عمران: ٣٥] أي فافعل. لكن وقوع إِن للتعليق على المستحيل قليل، وهذه الآية من ذلك . ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تحرير هذه الآية. (□)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن الخطاب النبي ﷺ مع استحالة وقوع الشك منه ﷺ ، وهو قول كثير من المفسرين، (□) واختاره أبو حيان.

قال الفراء: قاله تبارك لنبيه ﷺ وهو يعلم أنه غير شاك، ولم يشك ﷺ فلم

١ - البحر المحيط (ح ٥/١٤٩) (١٤٩/٥).

٢ - الفراء (٤٧٩/١)، الطبرى (١١٥/١١)، ابن أبي حاتم (١٩٨٦/٦)، النحاس (٤٩٢/١)، الثعلبي آية ٩٤، ابن الجوزى (٥٣/٤)، الرازى (٣٠٢/١٧)، البيضاوى (٢١٤/٣)، النفسي (٢٥١/٢)، الخازن آية ٩٤، السمين في الدر (٢٦٧/٦)، ابن كثير (٤٢٥٧/٤)، ابن عادل (٤٠٩/١٠)، البقاعي (٤٨٧/٣). الشوكاني (٤٧٢/٢).

يُسأَلُ، ومثله في العربية أنك تقول لغلامك الذي لا يشكّ في ملكك إياه : إنْ كُنْتَ عَبْدِي فَاسْمَعْ وَأَطِعْ . وَقَالَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى لَنْبِيهِ عِيسَى ﷺ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنَّهُدُوْفٌ وَأَمِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷺ [المائدة: ١١٦] وهو يعلم أنه لم يقله، فقال الموفق معتذراً بأحسن العذر : ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقال الطبرى : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : فإن كنت يا محمد في شكّ من حقيقة ما أخبرناك وأنزل إليك من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث رسولاً إلى خلقه، لأنهم يجدونك عندهم مكتوباً ويعرّفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والإنجيل فسائل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من أهل التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام (□) ونحوه من أهل الصدق والإيمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم.

وقال ابن أبي حاتم : عن ابن عباس في قوله : ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ﴾ قال : لم يشك رسول الله ولم يسأل. (□)

القول الثاني : إن الخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من الشاك، وهو قول بعض المفسرين.

قال السمرقندى : إن تكون المخاطبة للنبي ﷺ، والمراد فيه غيره من الشُّكاك، لأن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب وهم يخاطبون الرجل بشيء،

١ - عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأننصاري حليفهم، من بني قينقاع، أسلم لما قدم النبي ﷺ مهاجرًا توفي سنة ٤٣ هـ. الاستيعاب (٣/٩٢١)، الأسد (٣/٢٦٥).

٢ - وسنده قال : "حدثنا علي بن الحسين، ثنا محمد بن العلاء، ثنا سعيد بن شرحبيل، ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس".

٣ - السمرقندى (٢/١٣٣)، الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٩٤، ابن عطية (٣/١٤٢)، ابن الجوزي (٤/٥٣)، القرطبي (٨/٣٨٢)، ابن جزي (٢/١٨٠).

ويريدون به غيره، كما قالوا : إِيّاكَ أَعْنِي وَاسْمُعِي يَا جَارِيَةً . وَكَوْلُهُ : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِي أَتَقَ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١] أراد به الأمة، يدل عليه قوله تعالى في آخره : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا ظُفُولًا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا فَعِنَّدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ [النساء: ٩٤]. وَكَوْلُهُ : ﴿وَسَلَّمَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال الشاعري: وقيل: الخطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره من الشاكين به، كما ذهب العرب في خطابهم الرجل بالشيء ويريدون به غيره، قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِي أَتَقَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١] ، كان الخطاب للنبي ﷺ والمراد به المؤمنون، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ ولم يقل: "تعمل".

وقال الواحدi: هذا في الظاهر خطاب للنبي ﷺ، والمراد به غيره من الشاكين في الدين.

وقال البعوي: هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره كقوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِي أَتَقَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١] خاطب النبي ﷺ والمراد به المؤمنون بدليل أنه قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ ولم يقل " بما تعمل" وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِي إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١].

القول الثالث: إن الخطاب للشاكين والمراد به إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك على لسان محمد فأسائل ... وهو قول بعض المفسرين. □

قال النحاس: وقال أبو العباس محمد بن يزيد □: المعنى يا محمد : قل للشاك □ إن كنت في شك، فأسائل الذين يقرؤون الكتاب، أي سل من آمن من أهل الكتاب، فيخبرك بصفة النبي ﷺ في كتابه.

وقال السمرقندى: إن الناس كانوا على ثلاثة مراتب، منهم من كان مؤمناً، ومنهم من كان كافراً، ومنهم من كان شاكاً، وإنما خاطب بهذا الشاك □.

وقال ابن الجوزي - بعد أن ذكر فيها ثلاثة أقوال -: والثالث: إن الخطاب للشاكين، فالمعنى: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزل إليك على لسان محمد، فسل ".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الخطاب للنبي ﷺ مع استحالة وقوع الشك منه فهو أقرب الأقوال إلى المعنى الذي يراد. والسبب هو دلالة إن :

فمن قال إن (إن) شرطية، قال : لا يستلزم وقوع الفعل المتعلق بالشرط ، فقد يقع وقد يكون من المستحيل وقوعه كما في هذه الآية .

ومن قال إن (إن) نافية بمعنى : ما كنت في شك مما أنزل إليك ولكن ا سأل حتى تزداد بصيرة ويقينا كما أزداد إبراهيم بمعاينة إحياء الموتى □.

- وأما القول بأن الخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من الشاكين واستدلوا بالأدلة المذكورة، فيقال: أن فيه خلافاً لمعنى الآية ،

١ - النحاس(٤٩٢/١)، السمرقندى(١٣٣/٢)، ابن الجوزي(٤/٥٣)، القرطبي (٣٨٢/٨).

٢ - محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، أبو العباس، المبرد، إمام النحو، توفي سنة ٢٨٠ هـ. تاريخ بغداد(٣/٣٨٠)، سير أعلام النبلاء(١٣/٥٧٦)، البداية والنهاية(١١/٧٩).

٣ - ذكر ذلك الزجاج في معاني القرآن(٣/٣٢)، الرخشري في الكشاف(٢/٣٧٠).

أما قوله تعالى وكتابه: ﴿يَأَيُّهَا الْنَّاسُ أَتَقْرَبُ إِلَهَكُمْ مِّنِّي وَلَا تُطِعُ الْكَفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّمَا أَنْتَ أَنْتَ إِلَهٌ لِّلنَّاسِ كَمَا أَنِّي أَنِّي إِلَهٌ لِّأَنِّي أَنْتَ أَنْتَ إِلَهٌ لِّلنَّاسِ﴾^١ فما المانع من أن يكون خطاباً للنبي ﷺ والله يقول في سورة المنافقين ﴿وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ تَعْجِبَكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا سَمِعَ لِقَوْلِهِمْ كَثُرُهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوُّ فَلَا حَذَرَهُمْ قَتْلُهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفِكُونَ﴾ آية [٤].

فيكون المعنى تحذيراً له من سماع المنافقين أو الإعجاب بهم.

ولا مانع من ورود التحذير للمؤمنين من ذات الأمر في آيات أخرى مثل آية [٩٤] سورة النساء التي استدلوا بها.

- وأما القول بأن الخطاب للشاكين ، فهو بعيد الدلالة، مع جواز السؤال لأجل العلم والمعرفة والاطمئنان من كل شاك .

الترجيح:

يترجح القول إن الخطاب النبي ﷺ مع استحالة وقوع الشك منه ﷺ ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

لدلالة إن الشرطية.

لدلالة السياق ، فلغة الخطاب في الآية المفرد (إن كنت) و(فلسائل) و(جاءك) و(لا تكون) .

ورد أن رسول الله ﷺ قال : ((لا أشك ولا أسأل))^٢.

٤. لوجود نظير ذلك الخطاب مع نبي الله عيسى عليه السلام قال تعالى ﴿أَنَّكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَتَخْذُونِي وَأَمِّي إِلَيْهِمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] وهو يعلم أنه لم

١ - مصنف عبد الرزاق (٦/١٢٥) رقم (١٠٢١١) قال : أخبرنا معمر عن قتادة قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ. وهو إن لم يصح سنداً للانقطاع ، إلا أن معناه صحيح فرسول الله ﷺ لم يشك ولم يسأل.

يقله، فقال عيسى عليه السلام : ﴿إِن كُنْتَ قُلْتَهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

لأنه خطاب مستساغ في اللغة العربية.

لأنه قول فيه تعظيم لمقام النبوة ولا يناسب إليها ما لا يليق بها فهو الأولى بتفسير الآية. وهذا من قواعد الترجيح.

لأن هناك هدفاً تخاطب به أمة الإسلام من خلال الآية ، فالخطاب موجه إلى قدوة الأمة ﷺ ، فهم به يقتدون فيقال لهم إن كان الأسوة لم يشك ولم يسأل وهو المعلم من ربها . فالأولى بكم أن لا تفعلوا، فأنتم على حق .

قال البيضاوي: وفيه تنبية على أن كل من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم.

والله تعالى أعلم

١ - انظر قواعد الترجيح (٣٢٨/١).

قال تعالى ﴿فَلَوْلَا كَاتَ قَرِيَّةً إَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُوسُفَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَرْزِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿إِلَى حِينٍ﴾؟

قال أبو حيان : " قال السدي : إلى حين ، إلى وقت انقضاء آجالهم . وقيل : إلى يوم القيمة ، وروي عن ابن عباس ^(□) . ولعله لا يصح ، فعلى هذا يكونون باقين أحياء ، وسترهم الله عن أعين الناس . ^(□)" في المسألة قولان :

القول الأول: المراد إلى وقت انقضاء آجالهم ، قاله السدي ، وهو قول كثير من المفسرين ، ^(□) واختاره أبو حيان .

قال الطبرى : وَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ يقول : وأخرنا في آجالهم ولم نعاجلهم بالعقوبة ، وتركناهم في الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم إلى حين مم اتهم ووقت فناء أعمارهم التي قضيت فناءها .

وقال النحاس : إِلَى حِينٍ فناء آجالهم .

وقال السمرقندى : يعني : إلى منتهى آجالهم .

القول الثاني: المراد إلى يوم القيمة ، قاله ابن عباس . وذكره عنه ابن أبي حاتم والماوردي والألوسي .

١ - سيأتي ذكر سند الرواية .

٢ - البحر المحيط (٥/٥) (١٥٢) (١٩٢). كلمة (أعين) ساقطة من المطبوع .

٣ - الطبرى (١١٧/١١) ، النحاس (٤٩٣/١) ، السمرقندى (١٣٣/٢) ، الثعلبي والماوردي والواحدى فى الوجيز والبغوى آية ٩٨ ، ابن عطية (٣/١٤٣) ، ابن الجوزى (٤/٥٥) ، القرطبي (٨/٣٨٣) ، البيضاوى (٣/٢١٥) ، النسفي (٢/٢٥٣) ، ابن جزي (٢/١٨١) ، البقاعي (٣/٤٨٩) ، الجلالين آية ٩٨ ، أبي السعود (٤/١٦٤) ، الشوكانى (٢/٤٧٢) ، الألوسى (١١/٥٩١) ، ابن عاشور (١١/٢٨٨) .

قال ابن أبي حاتم : "عن ابن عباس ^(□) قوله تعالى ﴿إِنَّ حِينٍ﴾ قال: حتى نصير إلى الجنة أو إلى النار."

وقال الماوردي : "إلى أن يصيرهم إلى الجنة أو النار، قاله ابن عباس."

وقال الألوسي: ونقل عن ابن عباس أن المراد إلى يوم القيمة.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو الأظهر.

- وأما ما نقل عن ابن عباس فقد ورد عنه ما يخالفه .

قال ابن أبي حاتم : "عن ابن عباس ^(□) : ﴿إِنَّ حِينٍ﴾ قال: الحياة".

ومن المستحيل بقاوهم إلى يوم القيمة ، فلا خلود لبشر في الدنيا، قال تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ ﴾٢٦﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْأَكْرَامِ ﴾٢٧﴿ الرحمن: ٢٦ - ٢٧ .

ولأن مقتضى هذا القول أنهم اليوم أحياء إلا أن الله تعالى سترهم عن الناس وهذا مما لا صحة له.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد إلى وقت انقضاء آجالهم ، وهو اختيار أبي حيأن ومن وافقه، وذلك:

لأنه الأظهر من حيث اللفظ القرآني. بِاللَّهِِ.

لدلاله السياق . بِاللَّهِِ.

لأنه موافق لسنن الله الكونية من حيث إن ل كل شيء وقتا معلوما حده الله وينتهي في هذه الحياة. بِعِنْدِهِ.

والله تعالى أعلم

١ - وسنده قال: "حدثنا أبي، ثنا محمد بن حاتم الزمي، ثنا عبيدة بن حميد، عن عمار الذهني، عن حميد المدنبي، عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس..". (١٩٨٩/٦).

٢ - وسنده قال: "حدثنا أبو سعيد الأشجع، ثنا عبدالله بن موسى، ثنا إسرائيل عن السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس .. التفسير (١٩٨٩/٦).

قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۚ ۱۸﴾ وَأَتَيْعَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ ۚ ۱۹﴾ [يونس: ١٠٩ - ١١٠].

في الآية مسألتان:

المُسَأْلَةُ الْأُولَى

هل قوله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ وقوله ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ من المنسوخ
أم المحكم ؟

قال أبو حيان: "ذهب ابن عباس وجماعة إلى أنّ قوله : «وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ» {وَاصْبِرْ} ، منسوخ بآية السيف . وذهب جماعة إلى أنه محكم (□)، وحملوا «وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ» على أنه ليس بحفيظ على أعمالهم ليجازيهم عليها، بل ذلك الله تعالى . وقوله: {وَاصْبِرْ} على الصبر على طاعة الله وحمل اثقال الرجفة وأداء الرسالة، وعلى هذا لا تعارض بين هاتين الآيتين وبين آية السيف، وإلى هذا مال المحققون. (□)"

المدرسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إنّ قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾، ﴿وَأَصْبِر﴾ منسوخ باية السيف. وهو قول كثير من المفسرين (□).

١ - الحكم في اللغة: أصله المنع، وأحكمه: أتقنه فاستحكم ومنعه من الفساد. القاموس مادة حكم.

واصطلاحاً: هو ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام. البرهان(٦٨/٢).

٢ - البحر المحيط (١٥٦ / ٥) (١٩٦).

^٣ - الطبرى (١٢٢/١١)، الثعلبى والواحدى فى الوجيز والبغوى آية ١٠٩، ابن عطية (٣/١٤٧).

= الرازى (٣١٢/١٧)، القرطبي (٣٨٩/٨)، ابن جزي (٢/١٨٣)، الخازن آية (١٠٩)، ابن

قال الطبرى: "قال ابن زيد [□]، في قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بُوَكِيلٌ وَأَصِيرٌ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ قال: هذا منسوخ حتى يحكم الله، حكم الله بجهادهم وأمره بالغلظة عليهم".

وقال الثعلبى: "قال ابن عباس: نسختها آية القتال".

وقال الواحدى: "﴿وَأَتَيْعَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِيرَ حَتَّىٰ يَحْكُمَ﴾ نسخته آية السيف؛ لأنَّ الله سبحانه حكم بقتل المشركين، والجزية على أهل الكتاب".

القول الثاني: إنَّ قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾، ﴿وَأَصِيرَ﴾ محكم غير منسوخ. وهو قول جماعة من المفسرين، [□] واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري: "﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ بحفظه موكول إلى أمركم وحملكم على ما أريد، إنما أنا بشير ونذير . ﴿وَأَصِيرَ﴾ على دعوتهم واحتمال أذاهم وإعراضهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ لك بالنصرة عليهم والغلبة".

قال ابن الجوزى: وال الصحيح: أنه ليس هاهنا نسخ.

وقال القرطبي: وقيل: ليس منسوخاً.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

• أما القول بالننسخ فقد ذكره كثير من المفسرين، ودليلهم:

ما نقل عن ابن عباس، وابن زيد. بِاللَّهِ.

= عادل(٤٢٠/٤)، الشوكاني (٤٧٦/٢)، الألوسي (٦٠٢/١١).

١ - وسنه قال الطبرى: حديثى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد.. (١٢٢/١١). قال أبو جعفر النحاس فى نواسخ القرآن ص ٤٧١: "فمدحه ابن زيد أنها منسوخة ، وإنما نسخ منها الصبر عليهم . قال: أنزل الله تعالى بعد هذا الأمر بالجهاد والغلظة عليهم ". ويراجع نواسخ القرآن ص ٣٧٤.

٢ - الزمخشري (٢٥٥/٢)، والسمرقندى (١٣٣/٢) أشار إلى ذلك . ابن الجوزى (٤/٦٠)، القرطبي (٣٨٩/٨)

أن كل ما في القرآن من الصفح عن الكفار والتولي

والإعراض والكف عنهم فهو منسوخ بآية السيف وهي قوله

تعالى ﴿فَإِذَا أَنْسَلَحَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾

وَخُدُوْهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا

الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوْةَ فَخَلُّوا سَيِّلَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٥]

التوبه: ٥ [].

أن قوله تعالى ﴿قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْيَقِيْنِ﴾.

الآخر ولا يُحِمِّلُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ حَتَّى يُعْطُوْا الْجِزِيَّةَ عَنْ يَدِهِمْ صَغِرُونَ

﴿التوبه: ٢٩﴾. مخصص لآية السيف لا ناسخ .

• وأما القول بالإحكام، فدليلهم:

أن آية السيف نسخت بقوله تعالى ﴿قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحِمِّلُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ حَتَّى يُعْطُوْا الْجِزِيَّةَ عَنْ يَدِهِمْ صَغِرُونَ﴾

﴿التوبه: ٢٩﴾.

أن آية السيف نسخ أولها آخرها.

أنه لا تعارض بين الآيات حتى يصار القول بالنسخ.

أنه لا يصح دعوى ا لنسخ في آية إلا إذا صح التصرير بنقل
صريح عن رسول الله ﷺ، أو عن صحابي بالنسخ . نعم قد نسب ذلك

١ - قال ابن العربي : "نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية ، ثم نسخ آخرها أولها." نقله عنه السيوطي في الإتقان (٣/٧٠).

إلى ابن عباس رضي الله عنه ولكن من غير تصريح منه.
لا يقال بالنسخ وإنما يقال : إن الله تعالى أمر رسوله بالصبر حتى
يحكم الله وقد حكم تعالى بقتل الكفار بأية السيف.

الرجيح:

يترجح القول بعدم النسخ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:
لعدم وجود التعارض بين الآيات .

قال ابن الحصار ^(□): وقد يحكم به - أي النسخ - عند وجود التعارض
المقطوع به من علم التاريخ، ليعرف المتقدم والمتاخر. ^(□)

لأنه [إذا دار الأمر في الآي بين الإحکام والنـسخ، فـالأول هو
المرجح] ^(□). وهي قاعدة مهمة من قواعد الترجيح.
لأنه [لا تصح دعوى النـسخ في آية ، إلا إذا صـح التـصـرـيـح
بنـسـخـه] ،

قال ابن الحصار: إنما يرجع في النـسخ إلى نـقل صـرـيـح عن رـسـول الله ، أو عن
صـاحـابـي يـقـولـ: آـيـة كـذـا نـسـخـتـ كـذـاـ".

وقـالـ أـيـضـاـ: ولا يـعتمدـ في النـسـخـ قولـ عـوـامـ المـفـسـرـينـ، بلـ وـلاـ اـجـتـهـادـ
المـجـتـهـدـينـ منـ غـيرـ نـقـلـ صـحـيـحـ ، ولاـ مـعـارـضـةـ بـيـنـةـ؛ لأنـ النـسـخـ يـتـضـمـنـ رـفعـ
حـكـمـ وـإـثـبـاتـ حـكـمـ تـقـرـرـ فيـ عـهـدـهـ صلوات الله عليه. وـالـمـعـتمـدـ فـيـ النـقـلـ وـالتـارـيـخـ دونـ الرـأـيـ

١ - عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد ، القرطبي المالكي، أبو المطراف، العالمة قاضي الجماعة، توفي سنة ٤٢٢ هـ. سير أعلام النبلاء (٤٧٣/١٧)، شذرات الذهب (٢٢٣/٣)، شجرة النور (١١٣/١).

٢ - الإتقان (٣/٧١).

٣ - محاسن التأويل للقاسمي (١٥/٣٧٥) سورة التوبة آية ٥.

□ والاجتهد.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

من المعنى بقوله ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾؟

قال أبو حيان: "وروي أنه لما نزلت : واصبر، جمع رسول الله ﷺ الأنصار
فقال: ((إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني))."

الدراسة:

في المسألة قوله:

القول الأول: المعنى هم الأنصار بعد النزول جعهم الرسول ﷺ وأوصاهم

١ - الإتقان (٣/٧١).

٢ - الحديث أخرجه البخاري في ص حيحه في عدة مواضع كتاب المساقاة / باب كتابة القطائع ،
حديث رقم(٢٣٧٦) من حديث أنس دعا النبي ﷺ الأنصار ليقطع لهم بالبحرين ... فقال : ((
إنكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني)).

وفي كتاب الخمس / باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم حديث رقم (٣١٤٦)، وفيه قصة
توزيع غنائم حنين . وفيه فقال رسول الله ﷺ سترون بعدي أثرة...ال الحديث.
وفي كتاب مناقب الأنصار / باب فضل الأنصار حديث رقم (٣٧٩٤) قصة قطع البحرين. وفي كتاب
الفتن (٣١٢/٤) حديث رقم (٧٠٥٢). قال عبد الله بن زيد قال النبي ((اصبروا حتى تلقوني على
الحوض)).

وفي صحيح مسلم / كتاب الأمارة حديث رقم (٤٨) عن أسيد بن الحضير في قصة الأننصاري الذي
طلب من رسول الله ﷺ أن يستعمله....هكذا ذكرت في كتب الأحاديث ، ولم تذكر رواية بلفظ : لما
نزلت { واصبر } ...الخ.

وقال الحافظ ابن حجر في الكاف الشاف في تحرير أحاديث الكشاف(٤/٨٦) حديث رقم(١٨٦): "لما
نزلت ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ جمع رسول الله ﷺ الأنصار...الخ، ذكره الثعلبي عن أنس بغير سند ،
والقصة المذكورة متყق عليها من حديث عبد الله بن زيد في أثناء حديث ، ومن حديث أسيد بن
حضير، ليس فيه كون الآية سبب ذلك بل سببه قسمة غنائم حنين.أ.هـ

٣ - البحر المحيط (٥/١٥٦) (١٩٧/٥).

بالصبر. وهو قول جماعة من المفسرين^(١) و اختاره أبو حيان.^(٢)

قال الشعبي: قال الحسن: لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله ﷺ الأنصار

وقد تجمع خيرتهم فقال : ((إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني)) قال أنس رضي الله عنه: فلم نصبر. فأمرهم بالصبر كما أمره الله به.

وقال الزمخشري: وروي أنها لما نزلت جمع رسول الله ﷺ الأنصار

فقال : ((إنكم ستجدون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني)).

وقال القرطبي: وقال ابن عباس: لما نزلت جمع النبي ﷺ الأنصار ولم يجمع

معهم غيرهم فقال : ((إنكم ستجدون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)).

القول الثاني: المعنى هو الرسول ﷺ ولم يجمع الأنصار بعد نزول هذه الآية،
وهو قول جماعة من المفسرين.^(٣)

قال الطبرى: يقول تعالى ذكره: واتبع يا محمد وحي الله الذي يوحى إليك وتتنزيله الذي ينزله عليك، فاعمل به واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الأذى والمكاره وعلى ما نالك منهم حتى يقضى الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل. **وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** يقول: وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين.

وقال السمرقندى: **«وَاصِرٌ»** على تكذيبهم، **«حَنَّ يَخْكُمُ اللَّهُ»** يعني: يقضي

١ - الشعبي آية ١٠٩ ، الزمخشري (٢/٢٥٥)، القرطبي (٨/٣٨٩)، البقاعي (٣/١٩٥).

٢ - ووجه اختياره أنه ذكره قوله واحدا فقط . وكذا ذكره في النهر الماد بحاشية (٥/١٩٧) البحر المحيط طبعة دار الفكر.

٣ - الطبرى (١١/١٢٢)، السمرقندى (٢/١٣٣)، ابن عطية (٣/١٤٧)، الرازى (١٧/٣١٢)، البيضاوى (٣/٢١٨)، النسفي (٢/٢٥٧)، الخازن آية ١٠٩، ابن عادل (١٠/٤٢٠)، أبي السعود (٤/١٧٩)، الألوسي (١١/٦٠٢).

الله تعالى بعذابهم، في الدنيا وفي الآخرة.

وقال ابن عطية: "﴿وَاصْبِر﴾ على شقاء الرسالة وما ينالك في الله من الآذى".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فقد ذكروا أن الآية سبباً في جمع الرسول ﷺ للأنصار وحثّهم على الصبر مستدلين بالرواية المذكورة..
- وأما القول الثاني فقد فسروا الآية بالمعنى الدالة عليه، ودليلهم: أن قوله ﷺ : ((إنكم ستتجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني)). لم يكن بسبب نزول الآية، وإنما له قصة أخرى.
- أن الرواية بالنص المذكور ، ذكرت في بعض التفاسير بدون إسناد، ولا توجد في كتب الأحاديث التي ذكرته.

الترجيح:

يترجح القول أن المعنى في الآية هو الرسول ولم يخص أحداً من الناس بها وذلك:

لدلالة معنى الآية فإن المعنى بعيد كل البعد عن القصة المذكورة في الحديث .

لأنه [كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو لإجماع الأمة فهو رد]. وهذه قاعدة مهمة من قواعد الترجيح .

آخر ترجيحات سورة يونس والله الحمد والمنة

والله تعالى أعلم



تُرْجِمَاتُ أَبْيَان

فِي سُورَةِ الْقُوَّى

□ قال تعالى ﴿الرَّبِّ يَعْلَمُ أَحْكَمَتْ إِيمَانَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنَ الدُّنْيَا حَكِيمٌ خَيْرٌ﴾ [هود: ١].
فِي الْآيَةِ مَسْأَلَتَانٍ^(١):

المسألة الأولى

ما معنى قوله ﴿أَحْكَمَتْ إِيمَانَهُ﴾؟

المسألة الثانية

ما معنى قوله ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾؟

قال أبو حيـان: "وأحـكمت صـفة لـه. وـمعـنى الأـحكـام: نـظمـه نـظـمـاً رـصـيـلاً"^(٢)
لا نـقصـ فيـه وـلا خـللـ، كـالـبنـاء الـمحـكـمـ . وـهو المـوثـقـ فيـ التـرـصـيفـ . وـعلـى هـذـا
فـالـهمـزـةـ فيـ أحـكمـتـ لـيـسـتـ لـلنـقلـ، وـيجـوزـ أـنـ تـكـونـ لـلنـقلـ مـنـ حـكـمـ بـضمـ
الـكـافـ إـذـا صـارـ حـكـيـماًـ، فـالـمعـنىـ : جـعـلـتـ حـكـيـمةـ كـقـولـكـ : تـلـكـ آـيـاتـ الـكـتـابـ
الـحـكـيـمةـ عـلـىـ أـحـدـ التـأـوـيلـيـنـ فيـ قـوـلـهـ: ﴿الْكِتَابُ الْحَكِيمُ﴾ـ وـقـيـلـ: مـنـ أحـكمـتـ
الـدـابـةـ إـذـا مـنـعـ بـهاـ مـنـ اـجـمـاحـ^(٣)ـ بـوضـعـ الـحـكـمـ عـلـيـهـاـ، فـاـ لـمـعـنىـ: مـنـعـتـ مـنـ
الـفـسـادـ^(٤)ـ كـمـاـ قـالـ جـرـيرـ^(٥)ـ:

أـبـنـيـ حـنـيـفـةـ أـحـكـمـواـ سـفـهـاءـلـمـ
إـنـيـ أـخـافـ عـلـيـكـمـ أـنـ أـغـضـبـاـ^(٦)
وـعـنـ قـتـادـةـ: "أـحـكمـتـ مـنـ الـبـاطـلـ"^(٧)ـ، قـالـ اـبـنـ عـطـيـةـ: "(أـحـكمـتـ) أـتـقـنـتـ".

١ - جـعـلـتـهـمـاـ بـهـذـا الـوـضـعـ لـأـنـ فـصـلـهـمـاـ يـؤـديـ إـلـىـ التـكـرـارـ الـمـخـلـ.

٢ - فـيـ المـطـبـوـعـ (رـضـيـاـ).

٣ - مـنـ جـمـعـ الـفـرـسـ، كـمـنـ، جـمـحاـ وـجـمـحاـ وـجـمـحاـ، وـهـوـ جـمـوحـ : اـعـتـزـ فـارـسـهـ ، وـغـلـبـهـ. الـقـامـوسـ صـ ٢٧٦ـ.

٤ - فـيـ المـطـبـوـعـ (مـنـ النـسـاءـ)ـ وـالـلـائـقـ بـالـسـيـاقـ ماـ أـثـبـتـ مـنـ المـخـطـوـطـ.

٥ - جـرـيرـ بـنـ عـطـيـةـ الـخـطـفـيـ التـيـمـيـ الـبـصـرـيـ، أـبـوـ حـرـزـةـ شـاعـرـ زـمانـهـ، شـاعـرـ زـمانـهـ، مـدـحـ خـلـفـاءـ بـنـيـ
أـمـيـةـ، تـوـفـيـ سـنـةـ ١١٠ـهـ. سـيـرـ أـعـلـامـ الـبـلـاءـ (٤/٥٩٠)، الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ (٩/٢٦٥)، شـذـراتـ الـذـهـبـ
(١٤١/١).

٦ - دـيـوـانـ جـرـيرـ صـ ٧٢ـ، وـالـلـسـانـ (٣/٩٥٣ـ)ـ (حـكـمـ).

أتقنت.^(□) شبه ما يحكم من الأمور المتقنة الكاملة، وبهذه الصفة كان القرآن في الأول، ثم فصل بتفطيه وتبيين أحكامه وأوامره علی محمد ﷺ فثم على بابها، وهذه طريقة الإحکام والتفصیل . إذ الإحکام صفة ذاتية، والتفصیل إنما هو بحسب من يفصل له، والكتاب أجمعه مع کم مفصل، والإحکام الذي هو ضد النسخ، والتفصیل الذي هو خلاف الإجمال، إنما يقالان مع ما ذكرناه باشتراك. وحکى الطبری^(□) عن بعض المتأولین : أحکمت بالأمر والنهی، وفصلت بالثواب والعقاب . وعن بعضهم : أحکمت من الباطل، وفصلت بالحلال والحرام، ونحو هذا من التخصیص الذي ه و صحيح المعنى، ولكن لا يقتضيه اللفظ . وقيل: فصلت معناه فسرت، وقال الزمخشري : " ثم فصلت كما تفصل القلائد بالدلائل من دلائل التوحید والأحکام والمواعظ والقصص، أو جعلت فصولاً سورة سورة وآیة آیة، أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة، أو فصل بها ما يحتاج إليه العباد أي بین ولخص ".^(□)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة عشر قولًا:

القول الأول: المراد (أحکمت) نظمت آیاته نظماً رصیلاً لا نقص فيه ولا خلل، كالبناء المحكم . و(فصلت) أي فصلت بتفطيه وتبيين أحكامه وأوامره. وهو قول كثير من المفسرين^(□) ،

١ - سیأتي بيانه في القول الثالث.

٢ - المحرر الوجيز(٣/٤٨).

٣ - جامع البيان(١١/١٢٢).

٤ - الكشاف (٢/٥٧).

٥ - البحر المحيط (٥/١٥٥) (١٥٥/٥) (٥/٢٠١).

٦ - الطبری (١١/١٢٢) وهو اختياره وسيأتي ذكره في الترجیح . الواحدی في الوجیز آیة ١، الزمخشري (٢/٢٥٧)، الرازی (١٧/٣١٤)، القرطی (٩/٢)، البيضاوی (٣/٢١٩)، النسفا

واختاره أبو حيـان ^(□).

قال الواحدـي: «أَحْكَمَتْ إِيمَانُهُ» بعجيب النـظم، وبديع المعاني ورصين الـلفظ
 » ثُمَّ فُصِّلَتْ «بُيَّنَتْ بِالْأَحْكَامِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ».«
وقال الزمخـشـري: نظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع في نقض ولا خلل،
 كالبناء الحـكم المـرفـض.

وقال الرـازـي: «الرـكـنـيـثـ أـحـكـمـتـ» نظمت نظماً رصيفاً محكماً لا يقع فيه
 نقض ولا خلل، كالبناء الحـكم المـرفـض.

القول الثـانـي : المراد أحـكـمـتـ آياته بالأـمـرـ والـنـهـيـ، ثم فصلـتـ بالـثـوابـ
 والـعـقـابـ. قالـهـ الحـسـنـ، وذـكـرـهـ جـمـاعـةـ منـ المـفـسـرـيـنـ ^(□).

قال الطـبـرـيـ: عنـ الحـسـنـ ^(□)، فيـ قولـهـ: «كـنـيـثـ أـحـكـمـتـ إـيمـانـهـ، ثـمـ فـصـلـتـ» قالـ:
 أحـكـمـتـ بالأـمـرـ والـنـهـيـ، وـفـصـلـتـ بالـثـوابـ وـالـعـقـابـ.

وقـالـ ابنـ أـبـيـ حـاتـمـ: عنـ الحـسـنـ ^(□) قالـ: أحـكـمـتـ بالأـمـرـ والـنـهـيـ.

وقـالـ المـاوـرـدـيـ: أحـكـمـتـ آياته بالأـمـرـ والـنـهـيـ ثم فـصـلـتـ بالـثـوابـ

=
 (٢٥٨/٢)، ابن جـزـيـ (١٨٣/٢)، الخـازـنـ آـيـةـ ١ـ، الشـرـبـيـ (٤٨/٢)، أـبـيـ السـعـودـ (٤/١٨٢)، الجـملـ
 (٣٧٨/٢)، الشـوـكـانـيـ (٤٧٩/٢)، الأـلوـسـيـ (١١/٩٠٢)، السـعـديـ صـ ٣٧٦ـ.
 ١ـ - النـهـرـ المـادـ (١٩٩/٥).

٢ـ - الطـبـرـيـ (٦٣/١١)، ابنـ أـبـيـ حـاتـمـ (١٩٩٥/٦)، المـاوـرـدـيـ وـالـبـغـوـيـ آـيـةـ ١ـ، ابنـ الجـوزـيـ (٤/٦١)،
 البـيـضاـوـيـ (٢١٩/٣).

٣ـ - وـسـنـدـهـ قـالـ الطـبـرـيـ: حـدـثـنـيـ يـعـقـوبـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ، قـالـ: ثـناـ هـشـيـمـ، قـالـ: أـخـبـرـنـيـ أـبـوـ مـحـمـدـ الثـقـفـيـ،
 عـنـ الحـسـنـ. وـرـوـىـ عـنـهـ خـلـافـ ذـكـرـهـ قـالـ الطـبـرـيـ: «حـدـثـنـاـ القـاسـمـ، قـالـ: ثـلـ الحـسـنـ، قـالـ: ثـنيـ
 حـجـاجـ، عـنـ اـبـنـ جـرـيـجـ، عـنـ أـبـيـ بـكـرـ، عـنـ الحـسـنـ، قـالـ: وـحـدـثـنـاـ عـبـادـ بـنـ العـوـامـ، عـنـ رـجـلـ، عـنـ
 الحـسـنـ: أـحـكـمـتـ بـالـثـوابـ وـالـعـقـابـ ثـمـ فـصـلـتـ بـالـأـمـرـ وـالـنـهـيـ».

٤ـ - وـسـنـدـهـ قـالـ: حـدـثـنـاـ أـبـوـ سـعـيدـ الـأشـجـ، ثـناـ عـبـدـ الـحـمـيدـ الـحـمـانـيـ أـبـوـ يـحـيـيـ عـنـ أـبـيـ بـكـرـ الـهـذـلـيـ عـنـ
 الحـسـنـ..».

والعقاب، قاله الحسن.

القول الثالث: المراد أحكمت آياته من الباطل، ثم فصلت، وبين منها الحلال والحرام، قاله قتادة، وذكره جماعة من المفسرين.^(□)

قال الفراء: "ثم فصلت" بالحلال والحرام ، والأمر والنهي.

وقال الطبرى: "عن قتادة^(□)، قوله: ﴿الرَّكَبُ أَحْكَمَهُ إِيمَانُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾ أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه، وبين حلاله وحرامه

وطاعق ومعصيته.

وقال ابن أبي حاتم: "عن قتادة^(□) قال: " ثم فصلت بعلمه وبين حلاله من حرامه وطاعته من معصيته.

وقال الماوردي: "أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت بالحلال والحرام
والطاعة والمعصية، وهذا قول قتادة".

القول الرابع: معنى ﴿أَحْكَمَهُ إِيمَانُهُ﴾ بأن جعلت آياته ذه السورة كلها محكمة
ثم فصلت بأن فسرت، ذكره بعض المفسرين.^(□)

قال الطبرى: "عن مجاهد^(□) في قول الله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ قال: فسرت.

وقال ابن أبي حاتم: "عن مجاهد^(□) في قوله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ يقول فسرت.

١ - الفراء(٢/٣)، الطبرى (١١/٦٣)، ابن أبي حاتم (٦/١٩٩٥)، ابن الجوزى (٤/٦١)، القرطبي (٩/٢)، ابن كثير(٤/٢٦٢)، ابن عادل(١٠/٤٢٧)، السيوطي في الدر المنشور(٤/٣٩٨).

٢ - وسنه قال الطبرى : حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة

٣ - وسنه قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، ثنا صفوان، ثنا الوليد، ثنا سعيد وخليد ، عن قتادة.

٤ - الطبرى (١١/٦٣)، ابن أبي حاتم(٦/١٩٩٥)، الماوردي والعز بن عبد السلام آية ١.

٥ - وسنه قال: "حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

٦ - وسنه قال: "حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابه، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد."

وقال الماوردي: أحكمت آياته بأن جعلت آيات هذه السورة كلها محكمة ثم فصلت بأن فسرت، وهذا معنى قول مجاهد.

القول الخامس: معنى ﴿أَحْكَمَتْ إِيمَانُهُ﴾ للعتبرين وفصلت أحكامه للمتقين ذكره الماوردي والعز بن عبد السلام ^(□).

قال الماوردي: أحكمت آياته للعتبرين، وفصلت آياته للمتقين.
وقال العز بن عبد السلام: أو أحكمت آياته للمعتبرين وفصّلت للمتقين، أو أحكمت آياته في القلوب وفصّلت أحكامه على الأبدان.

القول السادس: معنى ﴿أَحْكَمَتْ إِيمَانُهُ﴾ في القلوب وفصلت أحكامه على الأبدان. ذكره الماوردي والعز بن عبد السلام.

قال الماوردي: أحكمت آياته في القلوب، وفصلت أحكامه على الأبدان.
وقال العز بن عبد السلام: أو أحكمت آياته في القلوب وفصّلت أحكامه على الأبدان.

القول السابع: معنى ﴿أَحْكَمَتْ إِيمَانُهُ﴾ لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشريائع بها. ثم (فصلت) بينت بالأحكام من الحلال والحرام والوعد والوعيد ، وجميع ما يحتاج إليه. وهو قول بعض المفسرين ^(□).

قال السمرقندى: أحكمت، فلم تنسخ، ثم فصّلت بالحلال والحرام.
وقال الثعلبى : قال ابن عباس : أحكمت آياته : لم تنسخ بكتاب كما

١ - الماوردي في النكارة والعيون ، وتفسير العز بن عبد السلام آية ١.

العز بن عبد السلام هو : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعى، توفي سنة ٦٦٠هـ. فوات الوفيات (٢٨٧/١)، النجوم الزاهرة (٢٠٨/٧)، الأعلام (٤/٢١).

٢ - السمرقندى (٢/٤١)، الثعلبى والبغوى آية ١ ، ابن الجوزى (٤/٦١)، القرطبي (٩/٢)، الخازن آية ١.

نسخت الكتب والشرائع بها ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بُيَّنت بالأحكام والحلال والحرام.

وقال البغوي: ﴿أَحْكَمْتَ إِيمَانَهُ﴾ قال ابن عباس: لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع به ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بُيَّنت بالأحكام والحلال والحرام.

القول الثامن: معنى ﴿أَحْكَمْتَ إِيمَانَهُ﴾ أحکمها فليس فيها اختلاف ولا تناقض، و(فصلت) أنزلت شيئاً فشيئاً. وذكره بعض المفسرين. (□)

قال السمرقندى: ويعنى: فصلت، أي: أنزلت شيئاً بعد شيء، فلم تنزل جملة واحدة.

وقال البغوى: أحکمت أحكامها الله فليس فيها اختلاف ولا تناقض وقيل: فصلت أي: أنزلت شيئاً فشيئاً.

وقال النسفي: جعلت فصولاً سورة سورة وآية وآية أو فرق في التنزيل ولم تنزل جملة.

القول التاسع: معنى ﴿أَحْكَمْتَ إِيمَانَهُ﴾ جمعت في اللوح المحفوظ ، و (فصلت) بالوحى، ذكره بعض المفسرين. (□)

قال ابن الجوزى: أحکمت بمعنى جمعت.

وقال القرطبي: وقيل: جمعت في اللوح المحفوظ، ثم فصلت في التنزيل.

وقال الشوكاني: وقيل: جمعت في اللوح المحفوظ، ثم فصلت بالوحى.

القول العاشر: معنى ﴿أَحْكَمْتَ إِيمَانَهُ﴾ أن الفاظ هذه الآيات بلغت في الفصاحة والجزالة حيث لا تقبل المعارضة، وهذا مشعر بالقوة والإحكام ، و (فصلت) جعلت فصولاً سورة سورة، وآية آية . وذكره بعض المفسرين. (□)

١ - السمرقندى (٢/١٢٢)، البغوى آية ١، النسفي (٢/٢٥٨)، الخازن آية ١.

٢ - ابن الجوزى (٤/٦١)، القرطبي (٩/٢)، الشوكاني (٢/٤٧٩).

٣ - الزمخشري (٢/٢٥٧)، الرازى (١٧/٣١٤)، الجلالين آية ١. الشربى (٢/٤٨).

وقال الزمخشري: "أو جعلت فصولاً، سورة سورة، وآية آية . وفرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة."

وقال الرازى: "إن ألفاظ هذه الآيات بلغت في الفصاحة والجزالة إلى حيث لا تقبل المعارضة، وهذا أيضاً مشعر بالقوة والإحكام."

وقال الجلالان: "هذا ﴿كَنْتَ أَحْكَمَتْ إِيمَانِهِ﴾ بعجب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بُيَّنتَ بالأحكام والقصص والمواعظ."

القول الحادى عشر: معنى ﴿أَحْكَمَتْ إِيمَانِهِ﴾ جعلت حكيمه كقوله تعالى ﴿تِلْكَ إِيمَانُ الْكِتَبِ الْحَكِيمِ﴾ . ذكره بعض المفسرين. □

قال الزمخشري: "ويجوز أن يكون نقاً بالهمزة، من (حكم) بضم الكاف، إذا ."

صار حكيمًا: أي جعلت حكيمه، كقوله تعالى: ﴿الْكِتَبِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١]

وقال البيضاوى: "جعلت حكمية منقول من حكم بالضم إذا صار حكيمًا لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية."

وقال السمين: "ويجوز أن يكون نقاً بالهمزة، من (حكم) بضم الكاف، إذا ."

صار حكيمًا: أي جعلت حكيمه، كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِيمَانُ الْكِتَبِ الْحَكِيمِ﴾ . [لقمان: ٢].

القول الثاني عشر : ﴿أَحْكَمَتْ إِيمَانِهِ﴾ منعت من الفساد . ذكره بعض المفسرين. □

قال الزمخشري: "وقيل: منعت من الفساد."

وقال الرازى: "إن الإحكام عبارة عن منع الفساد من الشيء."

١ - الزمخشري (٢٥٧/٢)، البيضاوى (٣١٩/٣)، السمين (٦/٢٧٨).

٢ - الزمخشري (٢٥٧/٢)، الرازى (١٧/٣١٤)، القرطبي (٩/٢).

وقال القرطبي: "والإحکام منع القول من الفساد، أي نظمت نظماً مُحكماً لا يلحقها تناقض ولا خلل".

القول الثالث عشر: معنى (أحکمت) أتقنت، ذكره بعض المفسرين. □

قال ابن عطية : "و (أحکمت) معناه أتقنت وأجيئت شبه تحکم الأمور المتقدة الكاملة ، وبهذه الصفة كان القرآن في الأزل ثم فصل بتفطيه وتنويع أحکامه وأوامره على محمد ﷺ في أزمنة مختلفة".

وقال ابن جزي : "(أحکمت) أي أتقنت فهو من الإحکام للشيء . (ثم فصلت) قيل معناه: بینت، وقيل : قطعت سورة سورة".

وقال الشوكاني : "صارت محكمة متقدة، لا نقص فيها ولا نقض لها كالبناء المحكم".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بأن معنى (أحکمت) هو: نظمت نظماً رصيناً لا نقص فيه ولا خلل، كالبناء المحكم . و(فصلت آياته) أي فصل بتفطيه وتبين أحکامه وأوامره، فهو المعنى الذي يقتضيه اللفظ .
- وأما الأقوال الأخرى فالغالب منها يصح به المعنى، ولكن لا يقتضيه اللفظ.

ويصح أن يندرج أغلبها تحت القول الأول.

- وأما من قال إنها لم تنسخ بكتاب ...الخ ،فيقال: صحيح أنها لم تنسخ بكتاب آخر، لأن القرآن خاتم الكتب السماوية، ولكن نسخت بعض آياته فعلى هذا الوجه لا يكون كل الكتاب محكما.

الرجيح:

١ - ابن عطية(١٤٨/٣)، ابن جزي(١٨٣/٢)، الشوكاني(٤٧٩/٢).

يترجح القول إن معنى أحكمت آياته هو: نظمت نظماً رصيناً لا نقص فيه ولا خلل، كالبناء المحكم . و(فصلت آياته) أي فصل بقطعـيه وتبين أحـكامـه وأوامـرهـ، فإـنهـ المعـنىـ الـذـيـ يـقتـضـيهـ الـلـفـظـ،ـ وـهـوـ اـخـتـيـارـ أـبـيـ حـيـانـ وـمـنـ وـاـفـقـهـ،ـ وـذـلـكـ:ـ

١. لأنـهـ المعـنىـ الجـامـعـ الشـامـلـ،ـ جـامـعاـ لـغـالـبـ الـأـقوـالـ الـأـخـرـىـ،ـ شـامـلاـ لـلـفـظـ المـرادـ.

قال الطبرـيـ:ـ وـأـوـلـىـ القـوـلـينـ فـيـ ذـلـكـ بـالـصـوـابـ قـوـلـ مـنـ قـالـ:ـ معـناـهـ:ـ أـحـكـمـ اللهـ آـيـاتـهـ مـنـ الدـخـلـ وـالـخـلـلـ وـالـبـاطـلـ،ـ ثـمـ فـصـلـهـاـ بـالـأـمـرـ وـالـنـهـيـ .ـ وـذـلـكـ أـنـ إـحـكـامـ الشـيـءـ إـصـلـاحـهـ وـإـتـقـانـهـ،ـ وـإـحـكـامـ آـيـاتـ الـقـرـآنـ إـحـكـامـهـاـ مـنـ خـلـلـ يـكـونـ فـيـهاـ أـوـ بـاطـلـ يـقـدـرـ ذـوـ زـيـغـ أـنـ يـطـعـنـ فـيـهاـ مـنـ قـبـلـهـ .ـ وـأـمـاـ تـفـصـيلـ آـيـاتـهـ فـإـنـهـ تـمـيـزـ بـعـضـهـاـ مـنـ بـعـضـ بـالـبـيـانـ عـمـاـ فـيـهاـ مـنـ حـلـلـ وـحـرـامـ وـأـمـرـ وـنـهـيـ.

٢. لـمـنـاسـبـةـ خـتـامـ الـآـيـةـ.

قال البقاعـيـ:ـ وـمـاـ أـنـسـبـ خـتـامـ هـذـهـ الـآـيـةـ لـ إـحـكـامـ وـالـتـفـصـيلـ بـقـوـلـهـ:ـ 《ـمـنـ لـدـنـ》ـ أـيـ نـزـلـتـ آـيـاتـهـ مـحـكـمةـ مـفـصـلـةـ...ـ مـنـ إـلـهـ 《ـحـكـيمـ خـبـيرـ》ـ.

٣. لأنـ [ـالـقـوـلـ الـذـيـ يـؤـيـدـهـ تـصـرـيفـ الـكـلـمـةـ وـأـصـلـ اـشـتـقاـقـهـاـ أـوـلـىـ بـتـفـسـيرـ الـآـيـةـ]ـ.ـ وـهـذـهـ قـاعـدـةـ مـهـمـةـ مـنـ قـوـاعـدـ التـرـجـيـحـ.

١ - نـظـمـ الدـرـرـ (٤٩٨/٣).

٢ - قـوـاعـدـ التـرـجـيـحـ (٥١١/٢).

قال تعالى ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّمَا لَكُم مِّنْهُ نِذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما معنى (أن) في قوله تعالى ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ﴾؟

قال أبو حيان: " وأن لا تعبدوا يحتمل أن يكون (أن) حرف تفسير، لأنّ في تفصيل الآيات معنى القول وهذا أظهر، لأنه لا يحتاج إلى إضمار." □

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: (أن) حرف تفسير، كأنه قيل : لا تعبدوا إلا الله أو أمركم إلا تعبدوا إلا الله. وهو قول كثير من المفسرين □، واختاره أبو حيان.

قال الشعبي: يحتمل أن يكون موضع أن رفعاً على مضمر تقديره : وفي ذلك الكتاب أن لا تعبدوا".

وقال البغوي: أي: وفي ذلك الكتاب : أن لا تعبدوا إلا الله ويكون محل (أن) رفعاً.

وقال الزمخشري: أو تكون (أن) مفسرة؛ لأنّ في تفصيل الآيات معنى القول، كأنه قيل قال لا تعبدوا إلا الله، أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله."

القول الثاني: التقدير (لأن لا تعبدوا) أو (بأن لا تعبدوا)، فيكون مفعولاً من أجله، ووصلت أنْ بالنهي على معنى (لئلا تعبدوا). وهو قول كثير من

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٥٦) (٢٠١/٥).

٢ - الشعبي والبغوي آية ٢، الزمخشري (٢٥٧/٢)، ابن الجوزي (٦٣/٤)، الرازى (٣١٧/١٧)، القرطبي (٩/٢)، البيضاوى (٣/٢١٩)، النسفي (٢٥٨/٢)، السمين في الدر (٦/٢٨٠)، الشربى (٤٨/٢)، ابن عاشور (١١/٣١٥).

(□) المفسرين.

قال الفراء: "في موضع نصب بـالقائك الخافض . وهو الباء. والأصل (بـالـأـلـيـةـ) تعيدوا).

وقال الطبرى: يقول تعالى ذكره: ثم فصّلت بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له وتخلعوا الآلهة والأنداد.

وقال النحاس: "يجوز أن يكون المعنى : بأن لا تعبدوا إلا الله . ويجوز أن يكون المعنى : لئلا تعبدوا."

القول الثالث: (أن) نصبت (لا تعبدوا) فالفعل خبر منفي .ذكره السمين وابن عادل. (□)

قال السمين: "ويجوز أن تكون " لا " نافية، والفعل بعدها منصوبٌ بـ (أنْ) نفسهـا. وعلى هذه التقادير فـ (أنْ): إما في محلِّ جرٍ أو نصبٍ أو رفع ، فالجرُ والنصبُ على أنَّ الأصل : لأنْ لا تعبدوا ، أو بأنْ لا تعبدوا ، فلما حذف
الخاضرُ جرى الخلافُ المشهور."

قال ابن عادل: "ويجوز أن تكون (لا) نافية، والفعل بعدها منصوبٌ بـ (أنْ) نفسها. وعلى هذه التقادير فـ (أنْ): إما في محلِّ جرٍ أو نصبٍ أو رفع ، فالجرُ والنصبُ على أنَّ الأصل: لأنَّ لا تعبدوا، أو بأنَّ لا تعبدوا، فلما حذف

القول الرابع: (أن) هي المخفة من الثقيلة، وجملة النهي في موضع الخبر، ذكره

١ - الفراء (٢/٣)، الطبرى (١٢٣/١١)، النحاس (٤٩٩/١)، الشعابى الواحدى فى الوجيز آية ٢، ابن الجوزي (٤/٦٣)، الرازى (١٧/٣١٧)، القرطبي (٩/٢)، البيضاوى (٣/٢١٩)، النسفي (٢٥٨/٢)، الخازن آية ٢، السمين فى الدر (٦/٢٨٠)، الشربى (٤٨/٢)، أبي السعود (٤/١٨٢)، ابن عاشور (١١/٣١٥).

٢ - السمين في الدر (٢٨٠/٦)، ابن عادل في اللباب (٤٢٧/١٠).

السمين وابن عادل.

قال السمين: إن تكون مخففة من الثقيلة، و (لا تعبدوا) جملة نهي في محل رفع خبراً (أن) المخففة، واسمها على ما تقرر ضمير الأمر والشأن مذوف." وقال ابن عادل: إن تكون أن المخففة من الثقيلة، و (لا تَعْبُدُوا) جملة نهي في محلٍ رفعٍ خبراً لـ (أنْ) المخففة، واسمها على ما تقرر ضمير الأمر والشأن مذوفٌ".

القول الخامس: إن هذا الكلام منقطع عما قبله غير متصل به اتصالاً لفظياً بل هو ابتداءً كلاماً قصد به الإغراء على التوحيد على لسانه ﷺ، وأن ما بعدها في حيز المفعول به لمقدر كأنه قيل : الزموا ترك عبادة غير تعالى، ذكره بعض المفسرين. □

قال البيضاوي: ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ للإغراء على التوحيد أو الأمر بالتبري من عبادة الغير كأنه قيل : ترك عبادة غير الله يعني الزموه أو اتركوها تركاً.

وقال ابن جزي : " أو يكون كلاماً مستأنفاً منقطعاً عما قبله على لسان رسول الله ﷺ ويدل على ذلك قوله ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ . وقال الشريبي: إن يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبي ﷺ إغراءً منه على اختصاص الله تعالى بالعبادة، ويدل عليه قوله ﷺ (إنني لكم منه) أي: الله (نذير) بالعقاب على الشرك (وبشير) بالثواب على التوحيد، كأنه قيل ترك عبادة غير الله تعالى يعني اتركوها إنني لكم منه نذير وبشير كقوله تعالى: ﴿فَضَرَبَ الرِّيقَاب﴾ [محمد: ٤].

١ - البيضاوي (٢١٩/٣)، ابن جزي (١٨٣/٢)، الشريبي (٤٨/٢). الألوسي (١١/٢٠٩).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بأن (أن) حرف تفسير، كأنه قيل: لا تعبدوا إلا الله أو آمركم
ألا تعبدوا إلا الله، هو أظهر الأقوال.
- وأما القول بأن التقدير (لأن لا تعبدوا) أو (بأن لا تعبدوا)، فيكون
مفعولاً من أجله، ووصلت أنْ بالنهي على معنى (لئلا تعبدوا). فهو
قول كثير من المفسرين، ويتساوى في القوة مع القول الأول.
- وأما القول بأن (أن) نصبت (لا تعبدوا) فالفعل خبر منفي .أو أنها
خففة من الثقيلة فمن تكلم في القواعد المتعلقة بهما، ذكروا
(إن)
بالإفراد وليس مع اقترانها بـ(لا) مباشرة. فنستبعد القولين.
- وأما القول بانقطاع الكلام عما قبله فهذا مما لا ينبغي أن يلتفت إليه في
هذه الآية.

الترجح:

يترجح القول أن هذه الآية لها دلالة واضحة في الدعوة إلى عبادة الله
وحده سواء قلنا إن (أن) مفسرة أو أنها المصدر المنسبك منها ومن صلتها
مفعول لأجله. وذلك:
١. لدلالة السياق.

قال البقاعي: "أرسلناك به قائلاً : (ألا تعبدوا) أي بوجه من الوجوه (إلا
الله) أي الإله الأعظم." □
٢. لدلالة المعنى في الآية.

قال الشنقيطي: "هذه الآية الكريمة فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة
العظمى التي أنزل القرآن من أجلها : هي أن يعبد الله جل وعلا وحده، ولا

١ - نظم الدرر (٤٩٨/٣).

يشرك به في عبادته شيء، لأن قوله جل وعلا: ﴿الرَّحِيمُ أَحْكَمَ إِيمَانَهُ ثُمَّ فَصَلَّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ الآية - صريح في أن آيات هذا الكتاب فصلت من عند الحكيم الخبير لأجل أن يعبد الله وحده، سواء قلنا إن (أنه) هي المفسرة. أو أن المصدر المنسبك منها ومن صلتها مفعول من أجله، لأن ضابط (أن) المفسرة أن يكون ما قبلها متضمناً معنى القول، ولا يكون فيه حروف القول.

ووجهه في هذه الآية أن قوله: ﴿أَحْكَمَ إِيمَانَهُ ثُمَّ فَصَلَّتْ﴾ فيه معنى قول الله تعالى لذلك الإحکام والتفصیل دون حروف القول، فيكون تفسیر ذلك هو لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ .

وأما على القول بأن المصدر المنسبك من (أن) وصلتها مفعول له فالأمر واضح، فمعنى الآية: أن حاصل تفصیل القرآن هو أن يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به شيء. ونظير هذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيْكُمْ أَنَّمَا إِنَّهُ كُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]. ومعلوم أن لفظة (إنما) من صيغ الحصر، فكان جميع ما أوحى إليه منحصر في معنى (لا إله إلا الله). □

والله تعالى أعلم

١- أضواء البيان (٣/٧).

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿إِنَّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾؟

قال أبو حيان: "والظاهر عود الضمير في منه إلى الله أي : إنني لكم نذير من جهته وبشير." □

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: الضمير يعود إلى الله . وهو قول كثير من المفسرين، □ واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: "قل يا محمد للناس: إنني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الأصنام، وبشير يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته وإخلاص العبادة والإلوهية له".

وقال السمرقندى: ﴿إِنَّى لَكُمْ مِنْهُ﴾ يعني: قل لهم يا محمد إنني لكم من الله تعالى".

وقال الثعلبى: ﴿إِنَّى لَكُمْ مِنْهُ﴾ من الله.

القول الثاني: الضمير يعود إلى الكتاب . ذكره أبو حيان وابن عادل من المفسرين. □

قال أبو حيان : وقيل: يعود على الكتاب أي : نذير لكم من خالفته،

١ - البحر المحيط (ح/٥/٢٠٢) (١٥٦).

٢ - الطبرى (١٤١/١١)، السمرقندى (١٢٣/١١)، الشعبي والبغوي آية ٢، الزمخشري (٢٥٧/٢)، الرازى (٣١٧/١٧)، القرطبي (٩/٢)، البيضاوى (٣/٢١٩)، النسفي (٢٥٨/٢)، الخازن آية ٢، ابن عادل (٤٢٧/١٠)، الشreibى (٤٨/٢)، أبي السعود (٤٨/٤)، الشوكانى (٤٧٩/٢)، الألوسى (٣١٥/١٢)، ابن عاشور (١١/٣١٥).

٣ - أبو حيان في البحر المحيط (٥/٢٠٢)، وابن عادل في اللباب (١٠/٤٢٧).

وبشير منه لمن آمن وعمل به".

قال ابن عادل : "إِنَّهُ يَعُودُ عَلَى الْكِتَابِ ، أَيْ : نَذِيرٌ لَكُمْ مِنْ مُخَالَفَتِهِ ، وَبَشِيرٌ مِنْهُ لَمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا".

(□) القول الثالث: الضمير يعود على العذاب. وهو قول ابن عطية وابن كثير.

قال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ أَيْ منْ عَقَابِهِ وَبُشْرَاهِهِ".

وقال ابن كثير: "وقوله ﴿إِنَّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ أَيْ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مِنْ العَذَابِ إِنْ خَالَفْتُمُوهُ، وَبَشِيرٌ بِالثَّوَابِ إِنْ أَطَعْتُمُوهُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيفَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَعَدَ الصَّفَا فَدَعَا بِطْوَنَ قَرِيشَ الْأَقْرَبَ ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَاجْتَمَعُوا فَقَالَ: ((يَا مَعْشِرَ قَرِيشٍ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنْ خِيلًا تَصْبِحُ حُكْمَ الْأَسْتِمَ مَصْدِقِي ؟)) فَقَالُوا: مَا جَرَبْنَا عَلَيْكُمْ كَذِبًا قَالَ: ((فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدِي عَذَابٍ شَدِيدٍ))."

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما كون الضمير يعود إلى الله فهو ظاهر الآية.
- وأما كون الضمير يعود على الكتاب أو على العذاب ففيه بعد من دلالة معنى الآية، وإن صح ما استدل به من الحديث إلا أنه بعيد الدلالة في هذا الموضوع .

الترجيح:

يترجح عود الضمير إلى الله، وهو قول أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

١. لدلالة السياق.

١ - ابن عطية في المحرر الوجيز(٣/١٤٨)، ابن كثير في تفسيره (٤/٢٦٢).

٢ - صحيح البخاري / كتاب التفسير/ باب ﴿وَأَنَّزْرُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبَينَ﴾ / حديث رقم (٤٧٧٠).

٢. لأن الأصل في عود الضمير هو أن يعود لأقرب مذكور^(□).

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٦٢١/٢).

قال تعالى ﴿ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ شَمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنَعُكُمْ مَئْعَاهُ حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى وَيُؤْتَكُمْ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا يَوْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود: ٣].
في الآية سبع مسائل:

المسألة الأولى

ما المراد بالمتاع الحسن؟

قال أبو حيان : " المتاع الحسن الرضا بالميسور والصبر على المقدور، أو حسن العمل وقطع الأمل، أو النعمة الكافية مع الصحة والعافية، أو الحلال الذي لا طلب فيه ولا تعب، أو لزوم القناعة وتوفيق الطاعة أقوال . وقال الزمخشري: " يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، وعيشة واسعة، ونعمة متابعة". قال ابن عطية : وقيل: " هو فوائد الدنيا وزيتها ". وهذا ضعيف. لأن الكفار يشاركون في ذلك أعظم مشاركة، وربما زادوا على المسلمين في ذلك .^(١)

الدراسة:

في المسألة تسعه أقوال^(٢):

القول الأول : المراد الرضا بالميسور والصبر على المقدور ، ذكره بعض المفسرين.^(٣)

١ - الكشاف (٢/٥٧).^(٤)

٢ - المحرر الوجيز (٣/٤٨).^(٥)

٣ - البحر المحيط (٥/١٥٦). ووجه كونه ترجيح عند أبي حيان هو : إقراره لكل ما يصدق عليه مسمى المتاع الحسن، واعتراضه على المعنى الغير مناسب.

٤ - هذه التسعة ليست للحصر ، لأنه قد ذكر بعض المفسرين عبارات أخرى فيما يراد بالمتاع الحسن مختلفة اللفظ قليلاً عما ذكرته، متتشابه في المعنى معها . لم ذكرها لأنها لا تضيف إلى المسألة فوائد أخرى.

٥ - الماوردي والبغوي والخازن آية ٣.

قال الماوردي: - بعد أن ذكر أن فيها ثلاثة أوجه - "أنه الرضا باليسور ، والصبر على المقدور".

وقال البعوي: قال بعضهم : العيش الحسن هو الرضا باليسور والصبر على المقدور.

وقال الخازن: قال بعضهم: المتع الحسن هو الرضا باليسور والصبر على المقدور.

القول الثاني: المراد حسن العمل وقطع الأمل، ذكره أبو حيان.
القول الثالث: المراد النعمة الكافية مع الصحة والعافية ، ذكره السمرقندى (□) وأبو حيان.

قال السمرقندى: يعني: يعيشكم في الدنيا عيشاً حسناً في خير وعافية.

القول الرابع: المراد الحال الذي لا طلب فيه ولا تعب، ذكره أبو حيان.

القول الخامس: المراد لزوم القناعة وتوفيق الطاعة ، ذكره القرطبي □ وأبو حيان.

قال القرطبي: هو القناعة بالوجود، وترك الحزن على المفقود.

القول السادس: المراد يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، وعيشة واسعة، ونعمـة متتابعة، ذكره بعض المفسرين (□).

وقال الزمخشري: يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، من عيشة واسعة، ونعمـة متتابعة.

وقال ابن الجوزي: وقال ابن قتيبة: يعمركم وأصل الإمتاع: الإطالة.

وقال القرطبي: وقيل: يتعـكم يعمـركم؛ وأصل الإمتاع الإطالة، ومنه أمعـ

١ - التفسير (٢/١٤١).

٢ - الجامع لاحكام القرآن (٩/٢).

٣ - الزمخشري (٢/٣٥٧)، ابن الجوزي (٤/٦٣)، القرطبي (٩/٢).

اللهُ بكِ وَمَتَّعْ.

القول السابع: المراد فوائد الدنيا وزينتها، ذكره الطبرى ^(□).

قال الطبرى: قوله: ﴿يَمْتَعُكُم مَّنْعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّ﴾ يقول تعالى ذكره للمرشكين الذين خاطبهم بهذه الآيات : استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها.

القول الثامن: المراد لا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بن هلك قبلكم، ذكره القرطبي والبيضاوى ^(□).

قال القرطبي: أي يمتعكم بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش ، ولا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بن هلك قبلكم.

وقال البيضاوى: أو لا يهلككم بعذاب الاستئصال والأرزاق والأجال.

القول التاسع: المراد العيش في أمن ودعة، ذكره بعض المفسرين ^(□).

قال الشعبي: أي يعيشكم عيشاً في (منز) ودعة وأمن وسعة (رزق).

وقال الواحدى: يتفضل عليكم بالرّزق والسيّعة.

وقال البغوى: يعيشكم عيشاً حسناً في خفض ودعة وأمن وسعة.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلى:

- ما ذكره المفسرون م ن أقوال يصدق عليها مسمى المتاب الحسن، وإن كان من فوائد الدنيا وزينتها، لأن ذلك مما يعين المؤمن على عمارة الأرض ، فالمؤمن الحق يستخدم نعم الله في طاعة الله ، فيكون ماله إلى خير وجنّة ورضوان من الله .

١ - جامع البيان(١١/١٢٤).

٢ - القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/٢)، تفسير البيضاوى (٣/٢١٩)،

٣ - الشعبي وال واحدى في الوجيز والبغوى آية ٣، البيضاوى (٣/٢١٩)، ابن عادل (١٠/٤٢٧)، الجمل (٢/٣٨٠).

- أما الكافر فإنه يستخدم نعم الله في إشباع أهوائه ورغباته، ويكون مآلـه إلى شر ونار وسخط من الله تعالى .

كما قال تعالى ﴿لَا يَغْرِنَكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْلَّيلِ ۚ مَتَعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَهَادُ ۚ لَكِنَّ الَّذِينَ آتَقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ۚ﴾ [آل عمران: ۱۹۶ - ۱۹۸].

- ولذا فإن تحقق المتع الحسن مشروط بشرطين في الآية:
الأول: الاستغفار.

الثاني: التوبة والإقلال عن المعاصي.

الترجيح:

يترجح أن المراد بالمتع الحسن هو ما ترتب على الاستغفار والتوبة وهو ما يعطيه الله لأهل الإيمان وينتفعون به وذلك:

١. مصداقاً لقوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحِينَهُ حَيَّةً طَيْبَةً وَلَنُجَزِّنَنَّهُ أَجْرَهُمْ بِإِحْسَانِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ﴾ [النحل: ۹۷].

٢. لأن (المتع الحسن) خاص بأهل الإيمان، أما الكفار فسمى الله ما أعطاهم من الدنيا (متاعاً قليلاً).

قال ابن عطية : " ووصف المتع (بالحسن) إنما هو لطيب عيش المؤمن برجائه في الله عز وجل وفي ثوابه وفرحه بالتقارب إليه بم فرضاته والسرور بمواعيده والكافر ليس في شيء من هذا ، وأما من قال بأن (المتع الحسن) هو فوائد الدنيا وزيتها فيضعف بأن الكفرة يتشاركون في ذلك أعظم مشاركة".

المسألة الثانية

ما المراد بالأجل في قوله ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّ﴾؟

قال أبو حيـان: "والأجل المسمى هو أجل الموت قاله: ابن عباس والحسن. وقال ابن جبير: يوم القيمة." □

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد هو أجل الموت ، قاله ابن عباس والحسن، وهو قول كثير من المفسرين. □

قال الطبرـي: و قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّ﴾ يعني الموت.

وقال ابن أبي حاتـم: عن ابن عباس قوله ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّ﴾ فهو أجل موت الإنسان.

وقال النحـاس: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّ﴾ أي إلى الموت.

القول الثاني: المراد هو يوم القيمة ، قاله ابن جبير، وهو قول بعض المفسرين. □

قال ابن أبي حاتـم: عن سعيد بن جبير □ ، في قوله: ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّ﴾ قال: إلى

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ١٥٦) (٢٠٢ / ٥).

٢ - الطبرـي (١٢٤ / ١١)، ابن أبي حاتـم (١٩٩٧ / ٦)، النحـاس (٤٩٩ / ١)، السـمرقندـي (١٤١ / ٢)، الشعلـي والواحدـي في الوجـيز والـماورـدي والـبغـوي آية ٣، الزـمخـشـري (٣٥٧ / ٢)، ابن عـطـية (٣ / ١٤٨)، ابن الجـوزـي (٤ / ٦٣)، القرـطـبي (٩ / ٢)، البيضاـوي (٣ / ٢١٩)، النـسـفـي (٢ / ٢٥٨)، ابن جـزـي (٢ / ١٨٤)، ابن عـادـل (١٠ / ٤٢٧)، الـبـقـاعـي (٣ / ٤٩٨)، الـجـلـالـينـ آية ٣، الشـرـبـينـي (٢ / ٤٨)، الشـوـكـانـي (٢ / ٤٧٩).

٣ - ابن أبي حاتـم (١٩٩٧ / ٦)، والـماورـدي آية ٣، ابن الجـوزـي (٤ / ٦٣).

٤ - وسنده قال: حدثنا جـحا بن حـمـزة، ثـنا يـحيـي بن آـدـم، ثـنا إـسـرـائـيل، عن عـطـاءـ بنـ السـائبـ، عن

يوم القيمة.

وقال الماوردي: - بعد أن ذكر فيها ثلاثة أوجه - "أحدها: إلى يوم القيمة ، قاله سعيد بن جبير.

"وقال ابن الجوزي: إنه يوم القيمة، قاله سعيد بن جبير.

القول الثالث: المراد إلى وقت لا يعلمه إلا الله، قاله ابن عباس ، وذكره ابن أبي حاتم والماوردي. (□)

"وقال ابن أبي حاتم: عن ابن عباس (□) قال: لا يعلمه إلا الله.

قال الماوردي: - بعد أن ذكر فيها ثلاثة أوجه - "إلى وقت لا يعلمه إلا الله تعالى ، قاله ابن عباس."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأنه الموت فهو أظهر الأقوال.
- وأما القول بأنه يوم القيامه، ففيه بعد لأن مقتضى ذلك أن تطول أعمارهم إلى قيام الساعة، وهذا في غاية البعد بل يستحيل ذلك لمخالفة السنن الكونيه.

• وأما القول بأن المراد إلى وقت لا يعلمه إلا الله، فأجل الإنسان مما لا يعلمه إلا الله فيندرج في القول الأول، وكذا يصح اندراجه في القول الثاني.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد هو الموت وذلك:

١. لأنه أظهر الأقوال في الدلالة على المعنى وأولاها.

=
سعيد..

١ - ابن أبي حاتم (٦/١٩٩٧)، والماوردي آية ٣، الألوسي (٢١/٣).

٢ - وسنده قال: حدثنا يونس بن حبيب ، ثنا أبو داود، عن قيس، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ...

قال الشوکانی: «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» إلى وقت مقدر عند الله، وهو: الموت؛ وقيل: القيامة.. والأوّل: أولى.

٢. لأنّه بموت الإنسان يتّهى المتعة الدنيوي وبعد ذلك يؤتى كل ذي فضل فضله. فناسب وجود (الأجل المسمى) بين المتعة الحسنة وإيتاء كل الفضل.

فهو مناسب لسياق الآية.

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَيُؤْتَ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ ؟
 قال أبو حيان : "والضمير في (فضلها) يحتمل أن يعود على الله تعالى أي : يعطي في الآخرة كل من كان له فضل في عمل الخير، وزيادة ما تفضل به تعالى وزاده. ويحتمل أن يعود على (كل) أي: جراء ذلك الفضل الذي عمله في الدنيا لا يبخس منه شيء ، كما قال : ﴿نُورٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥] أي جراءها . والدرجات تتفاصل في الجنة بتفاصل الطاعات ."

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الضمير يعود على الله تعالى ، وهو قول بعض المفسرين .

قال الواهidi: يعني: الجنة ، وهي فضل الله سبحانه .

وقال ابن عطية: (فضلها) يحتمل أن يعود الضمير فيه على الله عز وجل أي يؤتي الله فضله كل ذي فضل وعمل صالح من المؤمنين - وهذا المعنى ما وعد به تعالى وتضعيف الحسنة بعشر أمثالها ومن التضعييف غير المخصوص لمن شاء .

وقال ابن الجوزي: في هاء الكنایة قولان .

أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى . ثم في معنى الكلام قولان .

أحدهما: ويؤت كل ذي فضل من حسنة وخير فضلها ، وهو الجنة .

والثاني: يؤتيه فضله من الهدایة إلى العمل الصالح .

القول الثاني: الضمير يعود على جراء ذلك الفضل الذي عمله في الدنيا ، وهو

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ١٥٦) (٢٠٢ / ٥).

٢ - الواهidi في الوجيز آية ٣ ، ابن عطية (١٤٨ / ٣) ، ابن الجوزي (٦٣ / ٤) ، القرطبي (٩ / ٢) ، الجمل (٣٨٠ / ٢) ، الشوكاني (٤٨١ / ٢) .

(□) قول جماعة من المفسرين:

قال الطبرى: "وأما قوله: ﴿وَيُؤْتَ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ فإنه يعني: يثيب كل من تفضل بفضل ماله أو قوته أو معروفة على غيره محتسباً مريداً به وجه الله، أجزل ثوابه وفضله في الآخرة."

وقال النحاس: "وقوله: ﴿وَيُؤْتَ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي من كان له عمل صالح، أوتي ثوابه."

وقال السمرقندى: "﴿وَيُؤْتَ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ يعني: يعطى في الآخرة كل ذي فضل في العمل في الدنيا فضله."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير (هاء الكنية) يعود على الله فهو الظاهر.
- أما القول الثاني فهو راجع إلى القول الأول فكل ما يقوله العبد وما يفعله راجع إلى توفيق الله له وتفضله عليه، وكذلك ثواب ذلك العمل من فضل الله تعالى.

الترجيح:

يترجح عود الضمير على الله تعالى وذلك:

١. لدلالة السياق.
٢. لأن كل أمر أو قول فهو من توفيق الله، وكذا الثواب والعقاب.
٣. لأن [إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر].[□] وهي قاعدة

١ - الطبرى (١٢٤/١١)، النحاس (٤٩٩/١)، السمرقندى (١٤١/٢)، الماوردي آية ٣ ، الواحدى فى الوسيط (٥٦٣/٢)، ابن عطية (١٤٨/٣)، البغوى آية ٣ ، الزمخشري (٣٥٧/٢)، أبي السعود (٤/١٨٢)، الألوسي (٣/٢١).

٢ - قواعد الترجيح (٥٩٣/٢).

من قواعد الترجيح.

قال القرطبي : " ﴿فَضْلُهُ﴾ أي الجنة، وهي فضل الله؛ فالكنایة في قوله : ﴿فَضْلُهُ﴾ ترجع إلى الله تعالى."

والله تعالى أعلم

المسألة الرابعة

ما نوع الفعل في قوله ﴿وَإِن تَوَلُوا فَإِنِّي أَخَافُ عَيْتُكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾؟

قال أبو حيان: "والظاهر أن تولوا مضارع حذف منه التاء أي : وإن تولوا.

وقيل: هو ماض للغائبين، والتقدير قيل لهم: إني أخاف عليكم." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الفعل (تولوا) مضارع حذف منه التاء أي : وإن تولوا ، وهو قول جماعة من المفسرين، □ و اختاره أبو حيان.

قال الواحدى: "﴿وَإِن تَوَلُوا﴾ وإن تولوا."

وقال الزمخشري: "﴿وَإِن تَوَلُوا﴾ وإن تولوا."

قال القرطبي: ويجوز أن يكون مستقبلاً حذفت منه إحدى التاءين والمعنى :
قل لهم إن تتوّلوا فإني أخاف عليكم."

القول الثاني: الفعل (تولوا) ماض للغائبين، والتقدير قيل لهم : إني أخاف عليكم، وهو قول بعض المفسرين □ .

قال ابن عطية: فبعضهم قال الغيبة، أي فقل لهم: إني أخاف عليكم."

وقال القرطبي: و (تَوَلُوا) يجوز أن يكون ماضياً ويكون المعنى: وإن تولوا
فقل لهم إني أخاف عليكم."

وقال السمين : والثاني: أنه فعل ماضٌ مسند لضمير الغائبين ، وجاء الخطاب على إضمار القول ، أي: فقل لهم: إني أخاف عليكم ، ولو لا ذلك

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٥٦) (٢٠٣/٥).

٢ - الواحدى في الوجيز آية ٣، الزمخشري (٣٥٧/٢)، القرطبي (٣٥٧/٢)، النسفي (٢/٢)، ابن جزي (٢٥٨/٢)، الجلالين آية ٣، أبي السعود (٤/١٨٢)، الشوكاني (٢/٤٨١)، الألوسي (٢/٢١).

٣ - ابن عطية (٣/٤٨)، القرطبي (٤/٨)، السمين في الدر (٦/٢٨٣)، أبي السعود (٤/١٨٢).

لكان التركيب: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِمْ .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بـأبنـه فعل مضارع فهو أظـهـرـ، وأـسـبـ لـصـيـغـةـ الـخـطـابـ فـيـ الـآـيـةـ، وـهـيـ الـحـاضـرـ.
- وأما القول بـأبنـه فعل ماضـيـ مـقـدـرـ فـإـنـ تـوـلـىـ إـذـ عـدـيـ بـعـنـ لـفـظـاـ أوـ تـقـدـيرـاـ اـقـتـضـىـ مـعـنـىـ الإـعـرـاضـ ، وـتـرـكـ قـرـبـهـ.
- فلا خلاف في معنى (إن تولوا) في هذه الآية.

الرجـحـ:

يـتـرـجـحـ أـنـ لـاـ خـلـافـ فـيـ مـعـنـىـ (وـإـنـ تـوـلـوـاـ)ـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ، وـذـلـكـ:

١. لأن الفعل إن كان مضارعا على القول الأول فالمعنـىـ : إن تعرضوا. فـقـلـ لهمـ: إـنـيـ أـخـافـ عـلـيـكـمـ عـذـابـ يـوـمـ كـبـيرـ.
- وـإـنـ كـانـ الفـعـلـ مـاضـيـاـ عـلـىـ القـوـلـ الثـانـيـ : فـالـمـعـنـىـ: إـنـ أـعـرـضـتـمـ، فـقـلـ لهمـ: إـنـيـ أـخـافـ عـلـيـكـمـ عـذـابـ يـوـمـ كـبـيرـ. فـالـمـعـنـىـ وـاحـدـ لأنـ الفـعـلـ تـعـدـيـ بـعـنـ.
- قال السمين : "إـنـ تـوـلـىـ إـذـ عـدـيـ بـعـنـ لـفـظـاـ أوـ تـقـدـيرـاـ اـقـتـضـىـ مـعـنـىـ الإـعـرـاضـ، وـتـرـكـ قـرـبـهـ.

فـمـنـ الـأـوـلـ: قـوـلـهـ تـعـالـىـ ﴿ وـمـنـ يـتـوـلـهـ مـنـكـمـ فـإـنـهـ مـنـهـ ﴾ [المائدة: ٥١].

وـمـنـ الـثـانـيـ: قـوـلـهـ تـعـالـىـ ﴿ إـنـ تـوـلـوـاـ فـإـنـ اللـهـ عـلـيـمـ بـالـمـقـسـيدـيـنـ ﴾ [آل عمران: ٦٣].

إـلاـ أـنـ كـوـنـهـ مـضـارـعـ أـنـسـبـ لـصـيـغـةـ الـخـطـابـ فـيـ سـيـاقـ الـآـيـةـ، فـالـآـيـةـ كـلـهاـ عـلـىـ خـاطـبـةـ الـحـاضـرـ.

قال ابن عطية: "... بعضهم قال الغيبة، أي فـقـلـ لهمـ: إـنـيـ أـخـافـ عـلـيـكـمـ،

١ - عمدة الحفاظ ص ٦٤٤، وكذا ذكره الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (٥/٢٨٢).

"وقال بعضهم معناه فإن تولوا فحذفت التاء والآية كلها على مخاطبة الحاضر.

والله تعالى أعلم

المسألة الخامسة

ما أصل الفعل في قوله ﴿فَإِنْ تُولُوا﴾؟
 قال أبو حيان : " وقرأ اليماني ،^(□) وعيسى بن عمر^(□) : وإن تولوا بضم التاء واللام، وفتح الواو،^(□) مضارع ولّي ، والأولى مضارع تولى ."^(□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: أصل فعل (تولوا) بضم التاء واللام، وفتح الواو، مضارع ولّي ،^(□)
 وهو قول بعض المفسرين.

قال الزمخشري: وقرئ : (وإن تولوا) من ولّي .

وقال البيضاوي: وقرئ : (وإن تولوا) من ولّي .

وقال السمين: وقرأ اليماني وعيسى بن عمر : (تولوا) بضم التاء ، وفتح الواو وضم اللام ، وهو مضارع (ولّي) ؛ كقولك : زَكَّى يزَكَّى .

وقال ابن عادل: وقرأ اليماني وعيسى بن عمر : (تولوا) بضم التاء ، وفتح

١ - لم أقف على ترجمته .

٢ - عيسى بن عمر، أبو عمر الهمданى الكوفى، الإمام المجرى، العابد، وثقة ابن معين وغيره، توفي سنة ١٥٦ هـ. التاريخ الكبير (٣٧٩/٦)، الجرح والتعديل (٢٨٢/٦)، سير أعلام النبلاء (٩/١٩٩).

٣ - أورد ابن عطية (١٤٨/٣) هذه القراءة فقال: " وقرأ اليماني وعيسى بن عمر: "إِنْ تُولُوا" ، بضم التاء واللام وإسكان الواو .

وكذا أوردها ابن الجوزي فقال: " وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو مجلز ، وأبو رجاء : (وإن تولوا) بضم التاء . " وهذه القراءة شاذة . الشواذ^{٥٩}.

وقال أبو البقاء العكברי: " يقرأ بضم التاء والواو واللام مشددة مضمومة ، أي تولاهم غيرهم . " إعراب القراءات الشواذ (٦٥٥/١).

٤ - البحر الحيط (ح٥/ل١٥٦) (٢٠٢/٥).

٥ - الزمخشري (٣٥٧/٢)، البيضاوي (٢١٩/٣)، السمين (٢٨٣/٦)، ابن عادل (٤٢٧/١٠)، أبي السعود (٤/١٨٢)، الألوسي (٣/٢١).

الواو وضم اللام، وهو مضارع (ولى)؛ كقولك: زَكَى يُزَكِّي.
وقال أبو السعود: "قرئ تَوَلُّوا من ولٰى".

وقال الألوسي: وقرأ عيسى بن عمرو، واليماني (تَوَلُّوا) بضم التاء وفتح الواو وضم اللام وهو مضارع - ولٰى - من قوله: ولٰى هارباً أي أدبر.
القول الثاني: أصل فعل (تولوا) بضم التاء واللام، وفتح الواو، مضارع تولى، اختاره أبو حيان .

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- القراءتان من القراءات الشواذ.
- أما من تطرق إلى هذه القراءة فإنهم أجمعوا على أن تولوا من ولٰى . إلا أبا حيان فإنه تفرد بأنه من تولى.

الرجح:

إن ولٰى وتولى بمعنى أعرض.

قال الفيلوزي آبادي : "ولٰى تولية : أدبر، كتولى، وولى الشيء، وولى عنه : أعرض، أو نأى." (□)

وقال عبد الفتاح القاضي (□) : "قرأ ابن حمصن (□) (وإن تولوا) بضم التاء والواو واللام وهو مضارع ولٰى من قوله ولٰى هارباً أي أدبر، وأصله بفتح الواو وإنما ضمت إتباعاً لما قبلها أو لما بعدها، وقد قرئ بفتحها - مع ضم

١ - القاموس المحيط ص ١٧٣٢ .

٢ - عبد الفتاح القاضي شيخ معهد دسوق الأزهر.

٣ - عمر بن عبد الرحمن بن حمصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ويقال اسمه محمد، مقبول مات سنة ١٢٣ هـ، تهذيب الكمال (٤٢٩/٢١) ، تهذيب التهذيب (٤٧٤/٧)، التقريب ص ٤١٥ .

التاء واللام أيضاً على الأصل ^(□).

والله تعالى أعلم

١ - القراءات الشواذ ص ٥٣.

المسألة السادسة

ما المراد باليوم في قوله ﴿فَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾؟
 قال أبو حيان: وهو يوم القيمة لما يقع فيه من الأهوال. وقيل: هو يوم بدر
 وغيره من الأيام التي رموا فيها بالخذلان والقتل والسيء والنهب . □

الدراسة:

في المسألة قوله:

القول الأول: المراد يوم القيمة لما يقع فيه من الأهوال ، وهو قول جماعة من المفسرين. □ واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: "وقوله: ﴿وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من إخلاص العبادة لله وترك عبادة الآلهة وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه فأدبروا مولين عن ذلك، فإني أيها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه عظيم هو له، وذلك يوم تجزئ كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون".

وقال السمرقندى: يعني: عذاب النار يوم القيمة.

وقال الشعلى: وهو يوم القيمة.

القول الثاني: المراد يوم بدر وغيره من الأيام التي رموا فيها بالخذلان والقتل

١ - البحر المحيط (ح ١٥٦/٥) (٢٠٢/٥).

٢ - الطبرى (١١/١٢٤)، السمرقندى (١٤١/٢)، الشعلى والماوردي آية ٣، الوحدى في الوسيط (٥٦٣/٢)، البغوى آية ٣، الزمخشري (٣٥٧/٢)، ابن عطية (١٤٨/٣)، ابن الجوزى (٦٣/٤)، الرازى (٣١٧/١٧)، العز بن عبد السلام ص ٣٢١، البيضاوى (٣٢١/٢١٩)، النسفي (٢٥٨/٢)، ابن جزي (١٨٤/٢)، الخازن آية ٣، السمين فى الدر (٢٨٤/٦)، ابن كثير (٢٦٢/٤)، ابن عادل (٤٢٧/١٠)، الجلالين آية ٣، الشربينى (٤٨/٢)، أبي السعود (٤٨/١٨٢)، الجمل (٤/٣٨٠)، الشوكانى (٤٧٩/٢)، الألوسى (٣١٧/١١)، ابن عاشور (٣٠٨/١٢).

والنبي والنبي،^(□) وهو قول بعض المفسرين.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد به يوماً من الدنيا كدر وغیرها.

وقال القرطبي: وقيل: اليوم الكبير هو يوم بدر وغیره.

وقال الشوكاني: وقيل: اليوم الكبير يوم بدر.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بإنه يوم القيمة فهو قول عامة المفسرين، لأنه اليوم الذي يوعد ويتوعد به الناس كافة.

وهذه الآية والتي قبلها خطاب للناس جمِيعاً، فاللفظ هنا مطلق، والمتبع للفظ القرآني يجد أنه إذا أطلق اليوم فإنه يراد به يوم القيمة، وإذا قيد فإنه يصاحب وصف يدل على المراد منه.

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلُوا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَّقَى لِجَمِيعِنَ إِنَّمَا أَسْرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ ۚ ۖ
يُعَذِّبُونَ مَا كَسَبُوا ۚ وَلَقَدْ عَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ۱۵۵].

وقال تعالى ﴿وَسَلَّمُوا عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ
فِي السَّبَتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبَتِهِمْ شُرَاعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتُورُ
تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ [الأعراف: ۱۶۳].

- وأما من قال إنه يوم بدر وغیره فيكون هذا التوعيد خاصاً بفئة معينة من الناس وهم كفار قريش في عهد النبوة فيكون اللفظ مقيداً.

الترجيح:

يترجح القول بأن اليوم هو يوم القيمة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه.

وذلك:

١ - ابن عطية (٤٨/٣)، القرطبي (٩/٢)، الشوكاني (٤٧٩/٢).

١. لدلالة السياق.

قال ابن عطية: " وهو يؤيد أن "اليوم الكبير" يوم القيامة لأنه توعد به".

٢. لأن هذا هو المعهود من استعمال القرآن والمعهود مقدم على

غير المعهود

والله تعالى أعلم

المسألة السابعة

ما الموصوف بقوله تعالى ﴿كَبِيرٌ﴾؟

قال أبو حيان : " ووصف يوم بكبير وهو يوم القيامة لما يقع فيه من الأهوال . وقيل: هو يوم بدر وغيره من الأيام التي رموا فيها بالخذلان والقتل والسيء والنهاية وأبعد من ذهب إلى أنّ كبير صفة لعذاب ، وخفض على الجوار . " □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : الموصوف بكبير هو يوم القيامة، وهو قول جماعة من المفسرين. □ واختاره أبو حيان.

وقال الماوردي: ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ وفيه إضمار وتقدير: فقل لهم إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يعني يوم القيامة وصفه بذلك لكبر الأمور التي هي فيه.

وقال الزمخشري: هو يوم القيامة، وصف بالكبير كما وصف بالعظم والثقل .
وقال العز بن عبد السلام: ﴿كَبِيرٌ﴾ يوم القيامة لكبر الأمور فيه.

القول الثاني : الموصوف بكبير هو العذاب، ذكره أبو حيان والسمين وابن عادل والجمل □.

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ١٥٦) (٢٠٢ / ٥).

٢ - الماوردي آية ٣، الزمخشري (٣٥٧ / ٢)، ابن عبد السلام آية ٣، السمين في الدر (٢٨٣ / ٦)، ابن عادل (٤٢٧ / ١٠)، أبي السعود (١٨٢ / ٤)، الجمل (٤ / ٣٨٠)، الألوسي (٢٠٨ / ١١)، ابن عاشور (٣١٧ / ١١)، الجدول في إعراب القرآن (٢١٧ / ١٢).

٣ - سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل، من أهل منية عجيل (إحدى =

قال السمين: وقيل: بل "كَبِيرٌ" صفة لـ "عذاب" فهو منصوب، وإنما خفض على الجوار؛ كقوله: "هذا جُحر ضبٌّ خربٌ" بحسب خرب وهو صفة لـ "جُحر".
وقال ابن عادل: وقيل: بل "كَبِيرٌ" صفة لـ "عذاب" فهو منصوب، وإنما خفض على الجوار؛ كقوله: "هذا جُحر ضبٌّ خربٌ" بحسب خرب وهو صفة لـ "جُحر"

وقال الجمل: وقيل: بل "كَبِيرٌ" صفة لـ "عذاب" فهو منصوب، وإنما خفض على الجوار؛ كقولهم: "هذا جُحر ضبٌّ خربٌ" بحسب خرب وهو صفة لـ "جُحر"

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما من قال إن كبير هو وصف ليوم القيمة، فذلك لكبر الأمور والأهوال فيه .

فهو يوم عظيم قال تعالى ﴿أَلَا يَرْئَى أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَعَوْنَوْنَ ۖ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤ - ٥].

وهو يوم ثقيل قال تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧].

- وأما من قال إن كبير وصف للعذاب فهو منصوب وإنما خفض على الجوار كقولهم: «هذا جُحر ضبٌّ خربٌ» بحسب خرب وهو صفة لـ "جُحر"

فإنه يقال: اللفظ القرآني له معانٌ معهودة يفسر بها، لا يفسر بمجرد الاحتمال النحوي.

الترجيح:

= قرى الغريبة بمصر) توفي سنة ١٢٠٤ هـ. الأعلام (٣/١٣١).

يترجح القول إن كبير هو وصف ليوم القيمة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

قال القرطبي: "أي يوم القيمة، وهو كبير لما فيه من الأهوال." ^(□)

٢. لأنه [يجب حمل كتاب الله على الأووجه الإعرابية اللائقة بالسياق] ^(□) وهذه من قواعد الترجيح المهمة.

قال ابن القيم ^(□): "لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام بل للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها.." ^(□)

٣. لأن هذا هو المعهود من الاستعمال القرآني.

والله تعالى أعلم

١ - الجامع لأحكام القرآن (٩/٣).

٢ - قواعد الترجيح (٢/٦٣٥).

٣ - محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعبي الدمشقي، شمس الدين، أبو عبد الله مشهور بابن قيم الجوزية نسبة إلى مدرسة كان أبوه قيماً عليها، إمام البداية والنهاية (٤/٢٤٦)، شذرات الذهب (٦/١٦٨).

٤ - بدائع الفوائد (٣/٢٧) باختصار.

قال تعالى ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَحْقُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ
مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلَمُونَ إِنَّهُ عَلِيهِمْ بِذَاتِ الْصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما سبب نزول الآية ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورَهُمْ﴾؟

قال أبو حيان : " نزلت في الأحنف بن شريق، كان يجالس رسول الله ﷺ ويلف أنه ليحبه ويضم رخلاف ما يظهر قاله ابن عباس . وعنده أيضاً في ناس كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء . وقيل: في بعض المنافقين، كان إذا مر برسول ﷺ ثني صدره وظهره وطأطأ رأسه وغضى وجهه كي لا يرى الرسول قاله: عبد الله بن شداد (□). وقيل: في طائفة قالوا إذا أغلقنا أبوابنا، وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا صدورنا، على عداوته كيف يعلم بنا؟ ذكره الزجاج (□) (□)

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: نزلت في الأحنف بن شريق، كان يجالس رسول الله ﷺ ويلف أنه ليحبه ويضم رخلاف ما يظهر . وهو قول جماعة من المفسرين، □ واختاره أبو حيان.

١ - عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي ، ولد على عهد (٩٢٦/٣)، أسد الغابة (٢٧٦/٣)، الإصابة (٦٠/٥).

٢ - تهذيب معاني القرآن (٢٨/٣).

٣ - البحر المحيط (١٥٧/١٥٦) (١٥٧/٥) (٢٠٣/٥).

٤ - السمرقندى (١٤١/٢)، التعلبي آية ٥ ، الواعدي في أسباب النزول ص ٢٤ ، الزمخشري (٢٥٨/٢)، الخازن آية ٥، أبي السعود (٤/١٨٢).

قال السمرقندى: "قال الكلبى: نزلت في شأن أخنس بن شريق."

وقال الثعلبى: "ننزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلاً حلو الكلام، حلو المنظر، يأتي رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره".

وقال الواحدى: "ننزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلاً حلو الكلام، حلو المنظر، يلقى رسول الله ﷺ بما يحب ويطوي بقلبه ما يكره".

القول الثاني: نزلت في ناس كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء. قاله ابن عباس، وهو قول بعض من المفسرين. (□)

قال الطبرى: "...سمعت ابن عباس □ يقرأ (أَلَا إِنَّهُمْ تَشْتَهِيْنِي صُدُورُهُمْ) قال: كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط إلا وقد تغشو بشبابهم كراهة أن يفضوا بفروجهم إلى السماء.

وفي رواية أخرى: سمعت ابن عباس □ يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورَهُمْ﴾ قال: سأله عنه، فقال: كان ناس يستحيون أن يتخللوا فيفضوا إلى السماء، وأن يصيروا فيفضوا إلى السماء".

وقال ابن أبي حاتم : قال سمعت ابن عباس □ يقول: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورَهُمْ﴾ قال: كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط، وهم يفضون إلى السماء

١ - الطبرى (١٢٥/١١)، ابن أبي حاتم (١٩٩٨/٦)، النحاس (٥٠٠/١)، ابن الجوزي (٤/٦٤)، ابن كثير (٤/٢٦٣)، السيوطي في الدر المنشور (٤/٤٠٠)، الجلالين آية ٥.

٢ - وسنه قال: "حدثنا ابن وكيع، قال : ثنا أبوأسامة، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة قال: سمعت ابن عباس." وهي من القراءات الشواذ انظر المحتسب (١/٤٤١)، وإعراب القراءات الشواذ (١/٦٥٥).

٣ - وسنه قال : "حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال : حدثني: حجاج، عن ابن جريج، قال: سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول، سمعت ابن عباس.".

٤ - وسنه قال : "حدثنا أبي، ثنا ابن أبي سريح، ثنا أبوأسامة ، عن ابن جريج ، عن محمد بن عباد، قال سمعت ابن عباس.".

يتغشون فيما فنزلت هذه الآية".

وقال النحاس : "أنه سمع ابن عباس ^(□) يقرأ : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنَ صُدُورَهُمْ﴾ قال: سأله عنده، فقال: كان ناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يصيروا فيفضوا إلى السماء. فنزل ذلك فيهم".

القول الثالث: نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مر بالرسول ﷺ ثني صدره وظهره وطأطأ رأسه وغضى وجهه كي لا يرى الرسول . قاله عبد الله بن شداد، وهو قول بعض من المفسرين.

قال الطبرى : "عن عبد الله بن شداد بن الهداد ^(□)، قوله : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ قال: من رسول الله ﷺ قال: كان المنافقون إذا مرّوا به ثني أحدهم صدره ويطأطئ رأسه، فقال الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنَ صُدُورَهُمْ﴾. الآية." وقال الثعلبى: "عن عبد الله بن شداد : نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ ثني صدره وظهره، وطأطأ رأسه، وتغشى ثوبه كي لا يراه النبي ﷺ".

وقال الماوردى: "إن المنافقين كانوا إذا مرّوا بالنبي ﷺ غطوا رؤوسهم وثروا صدورهم ليستخفوا منه فلا يعرفهم".

القول الرابع : نزلت في طائفة قالوا إذا أغلقنا أبوابنا، وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثثينا صدورنا، كيف يعلم بنا . وهو قول جماعة من

١ - وسنده قال : " ومن صحيح ما فيه ما حدثنا على بن الحسين، قال: قال الزعفراني : حدثنا: حجاج، قال ابن جريج، أخبرني محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس".

٢ - الطبرى (١٢٥/١١)، الثعلبى والماوردى والبغوى آية^٥، الزمخشري (٢٥٨/٢)، القرطبي (٩/٤)، السيوطي في الدر المثور (٤٠٠/٤).

٣ - وسنده قال: " حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عبد الله بن شداد بن الهداد".

(□)
المفسرين.

قال الطبرى: "إن ابن عباس (□)، قرأ (أَلَا إِنْهُمْ شَنَوْنِي صُدُورُهُمْ) وقال ابن عباس: شنوني صدورهم : الشك في الله وعمل السيئات . يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ يستكبر، أو يستكنّ من الله والله يراهم، يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلَمُونَ".
وقال النحاس: "ويروى أن بعضهم قال : أغلقت بابي، وأرخت ستري، وتغشيت ثوبى، وثنيت صدرى فمن يعلم بي؟ فأعلم الله أنه يعلم ما يسرون وما يعلون".

وقال الماوردي: "إن رجلاً قال إذا أغلقت بابي وضربت ستري وتغشيت ثوبى وثنيت صدرى فمن يعلم بي؟ فأعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يسرون وما يعلون".

نلاحظ ملم سبق إيراده ما يلى:

- أما القول بأنها نزلت في الأخنس بن شريق ، فلم أجده له سندًا غير ما ذكره السمرقندى بأنه قول للكلبى، فإن صحت النسبة له فهو ضعيف، وإن لم تصح فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- أما القول بأنه نزلت في ناس كانوا يستحبون أن يفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء، فمدار الروايات المذكورة ابن جريج .
 وروايات الطبرى ليس فيها تصريح بسبب النزول، وإنما ذكر تفسير الآية .
 وكذا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فلا حرج، وأيضا فإنه لا يلام على حرصه على الستر.

١ - الطبرى (١٢٥/١١)، النحاس (٥٠٠/١)، الماوردي آية ٥ ،ابن عطية (٣/١٥٠)، الرازى (٢/٤٧٩)، البيضاوى (٣/٢١٩)، الثعالبي (٢/١١٧)، الشوكاني (٢/٣١٨).

٢ - وسنده قال: "حدثنا به محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: أخبرت عن عكرمة، أن ابن عباس":

- أما القول إنها نزلت في بعض المنافقين فهو بعيد، لأن أسلوب اللفظ ليس فيه دلالة على مخاطبة المنافقين، وكذا من ذكرها من أهل التفسير لم يذكر تصريحاً بالنزول، وإنما ذكرت كبيان معنى ، وأيضاً لا يناسب هذا كون الآية مكية.
- أما القول إنها في طائفة قالوا : إذا أغلقنا أبوابنا، وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا صدورنا، كيف يعلم بنا ، فليس فيه تصريح بسبب النزول ، وأسلوب الخطاب لا يناسب الجهلة ، وإنما فيه أسلوب تهديد ووعيد .

الترجيح:

يرجح القول أنها في كفار قريش، وذلك:

١. لأنه أظهر الأقوال وأنسبها للفظ والمعنى.
٢. لأن هذا الفعل فعل الكفار في كل عصر، كما قال نوح ﷺ عن قومه. قال تعالى ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي أَذْانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا شَأْبَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكَبَرُوا أَسْتِكَبَارًا﴾ [نوح: ٧].
٣. لدلالة السياق، فالآيات السابقة تتحدث عن الكفار ودعوتهم إلى توحيد الله ..

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿لِسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾؟

قال أبو حيان : " فالضمير في (منه) على قوله ^(□) عائد على الله، قال ابن عطية: " وهذا هو الأفصح الأجل في المعنى " ^(□) انتهى . ويظهر من بعض أسباب التزول أنه عائد على الرسول ﷺ كما قال ابن عطية . قال: " قيل: إنّ هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسول الله ﷺ طامنوا وثنا صدورهم كالمتستر، ورددوا إليه ظهورهم، وغشوا وجوههم بثيابهم تباعداً منهم وكراهية للقاءه، وهم يظنون أنّ ذلك يخفى عليه أو عن الله تعالى فنزلت الآية " انتهى . ^(□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الضمير يعود على الله ، وهو قول جماعة من المفسرين .
واختاره أبو حيان.

وقال الطبرى: لأن قوله: ﴿لِسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ بمعنى: ليستخفوا من الله، وأن
اهاء في قوله: مِنْهُ عائد على اسم الله.

قال الزمخشري: يعني: ويريدون ليستخفوا من الله، فلا يطلع رسوله
والمؤمنين على ازورارهم.

١ - أي على قول الزمخشري.

٢ - المحرر الوجيز (٣/١٥٠).

٣ - البحر المحيط (٥/٥٧) (١٥٧/٥) (٢٠٣).

٤ - الطبرى (١١/١٢٥)، الزمخشري (٢/٢٥٨)، ابن عطية (٣/١٥٠)، ابن الجوزي (٤/٦٤)، الرازى (١٧/٣١٨)، العز بن عبد السلام آية ٥، البيضاوى (٣/٢١٩)، النسفي (٢/٢٥٩)، ابن جزي (٢/٤٨)، السمين (٦/٢٨٨)، ابن عادل (٦/٤٣٤)، البقاعي (٣/٥٠٣)، الشربيني (٢/٤٨)، الألوسي (٢١/٥١).

وقال ابن عطية: والضمير في (منه) عائد على الله تعالى ، هذا هو الأفصح
الأجزل في المعنى.

القول الثاني: إن الضمير يعود على الرسول ﷺ، وهو قول جماعة من
() المفسرين.

وقال السمرقندى: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ يعني: من النبي ﷺ.

وقال الثعلبى: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي من رسول الله ﷺ.

وقال ابن الجوزى: في هاء (منه) قوله... .

الثاني: إلى رسول الله ﷺ.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بـألف الضمير عائد إلى الله فهو أظهر القولين بدلالة السياق.
- وأما القول بعد الضمير إلى النبي ﷺ فقد استدلوا بما جاء في رواية سبب النزول وهي : نزلت في الأئن بن شريق، كان يجالس رسول الله ﷺ ويحلف أنه ليح به ويضمير خلاف ما يظهر.

الترجيح:

يترجح القول بعد الضمير إلى الله ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

١. لأنه أظهر القولين.
٢. بدلالة السياق.

قال الطبرى: لأن قوله: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ معنى: ليستخفوا من الله، وأن الهاء في قوله : منه عائدة على اسم الله، ولم يجر لمح مد ذكر قبل ، . فيجعل من ذكره ﷺ وهي في سياق الخبر عن الله . فإذا كان ذلك كذلك كانت بأن تكون

١ - السمرقندى (١٤١/٢)، الثعلبى والواحدى في الوجيزآية ٥، ابن الجوزى (٦٤/٤)، القرطبي (٤/٩)، ابن جزي (١٨٤/٢)، ابن عادل (٤٣٤/١٠)، الألوسى (٥١/٢١).

من ذكر الله أولى . وإذا صح أن ذلك كذلك، كان معلوماً أنهم لم يحدّثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله إلا بجهلهم به، فلما أخبرهم جل شناوه أنه لا يخفى عليه سرّ أمورهم وعلانيتها على أيّ حال كانوا تغشوا بالثياب أو ظهروا بالبراز، فقال : **أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ** يعني : يتغشون ثيابهم يتغطونها ويلبسون.

٣. قرينة ختام الآية فقد أوكل علم السر والعلانية لله وحده ، مع التأكيد

على ذلك بقوله ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الْكُدُورِ﴾ .

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَرَهَا وَمُسْتَوْدِعَهَا كُلُّهُ﴾^٦ في كِتَابِ مُّبِينٍ [٦] هود: ٦ .

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بالمستقر والمستودع في الآية؟

قال أبو حيyan : " قال ابن عباس : مستقرها حيث تأوي إليه من الأرض، ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن." ^(□)

الدراسة:

في المسألة ستة أقوال:

القول الأول: المراد مستقرها حيث تأوي إليه من الأرض، ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن . قاله ابن عباس، وهو اختيار أبي حيأن، و قول كثير من المفسرين ^(□).

قال الفراء: فمستقرها: حيث تأوي ليلاً أو نهاراً ، ومستودعها: موضعها الذي تموت فيه فتدفن.

وقال الطبرى: وذلك مأواها الذي تأوي إليه ليلاً أو نهاراً . وَمُسْتَوْدِعَهَا: الموضع الذي يُوَدِّعُها، إما بموتها فيه أو دفنهـا.

وقال السمرقندى: يعني: يعلم مستقرها حيث تأوي بالليل، ومستودعها

١ - البحر المحيط (١٥٨/٥) (٢٠٥/٥)، والنهر الماد (٢٠٥/٥) بحاشية البحر المحيط ط دار الفكر.

٢ - الفراء(٤/٢)، الطبرى(٢/١٢)، السمرقندى(٢/١٤١)، الثعلبي والماوردي والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٦، ابن عطية (٣/١٥٠)، القرطبي(٩/٦)، البيضاوى(٣/٢٢١)، ابن جزي (٢٢١/٢)، الحازن آية ٦، ابن كثير (٤/٤)، ابن عادل(١٠/٤٣٤)، السيوطي في الدر المتشور(٤/٤٠١). الشريبي (٤/٥٢).

حيث تموت، وتدفن".

القول الثاني: المراد مستقرها في الجنة أو في النار، ومستودعها في القبر، وهو قول بعض المفسرين. (□)

قال الشعبي: وقيل: يعلم مستقرها في الجنة أو في النار، ومستودعها القبر،

ويدل عليه قوله تعالى في وصف أهل الجنة والنار : ﴿ حَسْنَتْ مُسْتَقَرًا وَمُقَامًا

﴾ [الفرقان: ٧٦] و﴿ سَاءَتْ مُسْتَقَرًا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

وقال الماوردي: إن مستقرها في الآخرة من جنة أو نار ، ومستودعها في القلب من كفر أو إيمان.

وقال البغوي: وقيل: المستقر: الجنة أو النار والمستودع القبر لقوله تعالى في

صفة الجنة والنار ﴿ حَسْنَتْ مُسْتَقَرًا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٦].

القول الثالث: المراد مستقرها في الرحم، ومستودعها في الصلب ، قاله مجاهد والضحاك، وهو قول جماعة من المفسرين. (□)

قال الطبرى: وقال آخرون: مُسْتَقَرُّها في الرحم، وَمُسْتَوْدَعُها: في الصليب.

وقال النحاس: وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : مستقرها في الرحم، ومستودعها في الصلب.

وقال السمرقندى : وقال سعيد بن جبير، ومجاهد : المستقر الرحم، والمستودع الصلب.

القول الرابع: المراد مستقرها في أيام حياتها، ومستودعها حين تموت وحين

١ - الشعبي والماوردي والبغوي آية٦، القرطبي (٩/٦)، الخازن آية٦.

٢ - الطبرى (١٢/٢)، النحاس (١١/٥٠١)، السمرقندى (٢/١٤١)، البغوى آية٦، ابن عطية (٣/١٥٠)، القرطبي (٩/٦)، البيضاوى (٣/٢٢١)، ابن جزي (٢/١٨٥)، الخازن آية٦، ابن كثير (٤/٢٦٤)، الجلالين آية٦، الألوسي (١٢/٥١)، الشعبي (٢/١١٧).

تَبْعَثُ . وَهُوَ قَوْلٌ بَعْضٌ مِّنَ الْمُفَسِّرِينَ .^(□)

قال الطبرى : "وقال آخرون: المستقر: في الرحم، والمستودع: حيث تموت".

وقال السمرقندى: وروي عن عبد الله بن مسعود، قال: مستقرها الأرحام، ومستودعها الأرض التي تموت فيها".

وقال الجلالان: "﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَرًا﴾ مسكنها في الدنيا أو الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعًا﴾ بعد الموت أو الرحم".

القول الخامس: ما يستقر عليه عملها، ومستودعها ما تصير إليه ، وهو قول الماوردي.^(□)

قال الماوردى: "مستقرها في الدنيا، ومستودعها في الآخرة".

القول السادس: المستقر مكانه من الأرض ومسكنه، والمستودع حيث كان موجوداً قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة . وهو قول بعض المفسرين.^(□)

قال الزمخشري: "المستقر": مكانه من الأرض ومسكنه . والمسودع حيث كان مودعاً قبل الاستقرار، من صلب، أو رحم، أو بيضة".

وقال الرازى: "المستقر هو مكانه من الأرض والمستودع حيث كان مودعاً قبل الاستقرار في صلب أو رحم أو بيضة".

وقال النسفي: "(المستقر) مكانه من الأرض ومسكنه (وَمُسْتَوْدَعًا)" حيث

١ - الطبرى (٢/١٢)، السمرقندى (١٤١/٢)، البيضاوى (٣/٢٢١)، الجلالين آية ٦، الشرييني (٥٢/٢).

٢ - الماوردى آية ٦.

٣ - الزمخشري (٢/٢٥٨)، الرازى (١٧/٣١٩)، النسفي (٢/٢٥٩)، البقاعي (٣/٥٠٢)، الشوكانى (٢/٤٧٩).

كان مودعاً قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد مستقرها حيث تأوي إليه من الأرض، ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن ، فهو الأقرب من حيث دلالة اللفظ.
- وأما القول إن المراد مستقرها في الجنة أو في النار، ومستودعها في القبر. فيقال : غير مناسب لترتيب اللفظ القرآني ذكر المستقر ثم المستودع . والاستقرار في الجنة أو النار يكون بعد الموت والبعث.
- وأما القول بأن المراد مستقرها في الرحم، ومستودعها في الصلب. فيقال فيه كالقول السابق.
- وأما القول بأن المراد مستقرها في أيام حياتها، ومستودعها حين تموت وحين تبعث.فيندرج تحت القول الأول.
- وأما القول بأن المراد ما يستقر عليه عملها، ومستودعها ما تصير إليه ، بعيد لعدم دلالة اللفظ عليه.
- وأما القول بأن المراد المستقر مكانه من الأرض ومسكنه، والمستودع حيث كان موجوداً قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة . فيقال: ترتيب اللفظ لا يدل عليه.

الترجح:

- يترجح القول إن المراد مستقرها حيث تأوي إليه من الأرض، ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :
١. لأنه أظهر الأقوال.
 ٢. لتوافقه مع دلالة الترتيب في اللفظ القرآني فالمستقر ثم المستودع.
 ٣. لدلالة السياق.

قال الطبرى: " وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فيه، لأن الله جل ثناوه

أخبر أن ما رزقت الدواب من رزق فمنه، فأولى أن يتبع ذلك أن يعلم
مثواها ومستقرّها دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأصلاب والأرحام.

٤. لمناسبة ذكر الأرض في الآية فالدواب في الأرض ومستقرّها الأرض ،
ومستودعها في الأرض .

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بالكتاب في قوله ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ؟

قال أبو حيان : " المستقر والمستودع في اللوح يعني : وذكرها مكتوب فيه مبين . وقيل : الكتاب هنا مجاز ، وهو إشارة إلى علم الله ، وحمله على الظاهر أولى . " (□)

الدراسة:

في المسألة قوله :

القول الأول : المراد اللوح المحفوظ . وهو قول كثير من المفسرين ، (□) و اختاره أبو حيان .

قال الطبرى : " يعني بقوله : ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ عدد كل دابة ، ومبلغ أرزاقها وقدر قرارها ، و مدة لبثها في مستودعها ، كل ذلك في كتاب عند الله مثبت مكتوب مبين ، يبين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدها ."

وقال السمرقندى : " يعني : المستقر ، والمستودع . وبيان كل شيء ، ورزق كل دابة ، مكتوب في اللوح المحفوظ ."

وقال التعليقى : " ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقها ."

١ - البحر المحيط (ح ٥/٥) (١٥٨/٥) (٢٠٥).

٢ - الطبرى (٢/١٢)، المرقندى (١٤١/٢)، الثعلبى والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٦، الزمخشري (٢٥٨/٢)، ابن عطية (٢٥٠/٢)، القرطبي (٩/٦)، البيضاوى (٣/٢٢١)، النسفي (٢٥٩/٢)، الخازن آيق٦، ابن كثير (٤/٢٦٤)، الجلالين آية ٦، الشرييني (٢/٥٢)، أبي السعود (٤/١٨٦)، الشوكانى (٢/٤٧٩)، الألوسى (١٢/٥١)، السعدي ص ٣٧٧ .

القول الثاني: المراد إشارة إلى علم الله ، وهو قول بعض المفسرين^(١).

قال الزجاج: أي ثابت من علم الله.

وقال ابن الجوزي: وقال الزجاج: المعنى: ذلك ثابت في علم الله عز وجل.

وقال الرازبي: قال الزجاج: المعنى أن ذلك ثابت في علم الله تعالى.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بإن الكتاب هو اللوح المحفوظ هو الظاهر.
- وأما القول بإنه إشارة إلى علم الله ، فهو قول ضعيف لعدم الدليل، ولمخالفته لظاهر القرآن.

الترجح:

يترجح القول إن المراد هو : المراد اللوح المحفوظ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لموافقتها لظاهر القرآن.

قال ابن عطية: وهذا ضعيف وحمله على الظاهر أولى.

٢. لدلالة آيات أخرى على هذا المعنى.

قال تعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحَشِّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا في

كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

قال السعدي: اللوح المحفوظ المحتوي على جميع الحوادث الواقعة، والتي

١ - الزجاج تهذيب معاني القرآن (٣/٢٨)، ابن الجوزي (٤/٦٥)، الرازبي (١٧/٣١٩).

تقع في السماوات والأرض، الجميع قد أحاط بها علم الله ، وجرى بها قلمه،
ونفذت فيها مشيئته، ووسعها رزقه.."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيَّمُكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [هود: ٧].

فِي الآية أربع مسائل:

المسألة الأولى

ما الدلالة في قوله ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ؟

قال أبو حيـان: "والظاهر أنّ قوله: وكان عرشه على الماء، تقديره قبل خلق السموات والأرض، وفي هذا دليل على أنّ الماء والعرش كانا مخـلوقيـن مـنـ قـبـلـ".

الدراسة:

في المسألة قولـانـ:

القول الأول: فيه دلالة على أنّ الماء والعرش كانوا مخلوقـين قبلـ ، قالـ مجـاهـدـ وقتـادةـ، وهو قولـ كثيرـ منـ المفسـرينـ. (□) واحتـارـهـ أبوـ حـيـانـ.

قال الطبرـيـ: "﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ يقولـ: وكان عرشه على الماء قبلـ أنـ يـخـلـقـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـمـاـ فـيـهـنـ".

وقـالـ ابنـ أبيـ حـاتـمـ: "عنـ مجـاهـدـ (□) فيـ قولهـ ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ قبلـ أنـ يـخـلـقـ شيئاـ".

١ - البحر الحـيـطـ (حـ / ٥ـ لـ ١٥٩ـ) (٢٠٥ـ / ٥ـ).

٢ - الطـبـريـ (٣ـ / ١٢ـ)، ابنـ أبيـ حـاتـمـ (٦ـ / ٢٠٠٥ـ)، السـمـرـقـنـدـيـ (٢ـ / ١٤١ـ)، الواـحدـيـ فيـ الـوـجـيزـ وـالـبـغـويـ آـيـةـ ٧ـ، ابنـ الجـوزـيـ (٤ـ / ٦٥ـ)، البـيـضاـوـيـ (٣ـ / ٢٢١ـ)، النـسـفـيـ (٢ـ / ٢٥٩ـ)، الـخـازـنـ آـيـةـ ٧ـ، ابنـ كـثـيرـ (٤ـ / ٢٦٥ـ)، ابنـ عـادـلـ (١٠ـ / ٤٤٠ـ)، الـبـقـاعـيـ (٣ـ / ٥٠٥ـ)، الـجـلـالـيـنـ آـيـةـ ٧ـ، الشـرـبـيـنـيـ (٢ـ / ٥٢ـ)، الشـوـكـانـيـ (٢ـ / ٤٧٩ـ)، الـأـلـوـسـيـ (١٢ـ / ٦١ـ)، ابنـ عـاشـورـ (١٢ـ / ٧ـ).

٣ - وـسـنـدـهـ قـالـ: حدـثـنـاـ حـجـاجـ بـنـ حـمـزةـ، ثـناـ شـبـابـةـ، ثـناـ وـرـقـاءـ، عنـ ابنـ أـبـيـ نـجـيـحـ، عنـ مجـاهـدـ.

وقال السمرقندى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قبل خلق السموات والأرض، لأنه لم يكن تحته شيء، سوى الماء.
القول الثاني: فيه دلالة على وجود الملائكة قبل خلق العرش والماء. وهو قول المعتزلة كما ذكره الرازى ^(□).

قال الرازى: وقالت المعتزلة: في الآية دلالة على وجود الملائكة قبل خلقهما، لأنه لا يجوز أن يخلق ذلك ولا أحد يتتفع بالعرش والماء، لأنه تعالى لما خلقهما فإما أن يكون قد خلقهما لمنفعة أو لا لمنفعة والثاني عبث، فبقي الأول وهو أنه خلقهما لمنفعة، وتلك المنفعة إما أن تكون عائدة إلى الله وهو حال لكونه متعالياً عن النفع والضرر أو إلى الغير فوجب أن يكون ذلك الغير حياً، لأن غير الحي لا يتتفع . وكل من قال بذلك قال ذلك الحي كان من جنس الملائكة.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

• أما القول إن فيه دلالة على أن الماء والعرش كانا مخلوقين قبل ، فهو

الظاهر والذي ذهب إليه عامة أهل التفسير؛ ودليلهم:

١. عن ابن حسين ^(□) وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: أتى قوم رسول الله ﷺ، فدخلوا عليه، فجعل يبشرهم ويقولون: أعطنا حتى ساء ذلك رسول الله ﷺ. ثم خرجوا من عنده، وجاء قوم آخرون فدخلوا عليه، فقالوا: جئنا نسلم على رسول الله ﷺ ونتفقه في الدين، ونسأله عن بدء هذا الأمر، قال : ((فَاقْبِلُوا الْبُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبِلْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ خَرَجُوا)) قالوا: قبلنا فقال رسول الله ﷺ: ((كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ،

١ - مفاتيح الغيب (١٧/٣٢٠).

٢ - عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي ، أسلم عام خير، توفي سنة ٥٢ هـ . الاستيعاب (٣/١٢٠٨)، أسد الغابة (٤/٢٦٩)، الإصابة (٥/٢٧).

وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر قبل كل شيء، ثم خلق سبع سموات)). ثم أتاني آت، فقال: تلك ناقتك قد ذهبت، فخرجت ينقطع دونها السراب ولو ددت أنتي تركتها. (□)

- وأما القول إن فيه دلالة على وجود الملائكة قبل خلق العرش والماء، فهو قول باطل نaculaً وعقولاً.

أما النقل فهو مخالف لما جاء في السنة . وهو المفهوم من حديث عمران بن حصين.

وأما العقل فالله هو الخالق يخلق ويقدر لحكمة، ولا يصح أن يقيس الإنسان بفهمه القاصر أمراً لا مجال للعقل أن يدركها.

الترجح:

يترجح القول إن فيه دلالة على أن الماء والعرش كانا مخلوقين قبل . وهو اختيار أبي حيـان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة القرآن

٢. لدلالة السنة.

٣. لأن] كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو

رد. (٢). □

والله تعالى أعلم

١ - صحيح البخاري / كتاب التوحيد / باب (وكان عرشه على الماء) حديث رقم ٧٤١٨.

٢ - قواعد الترجح (٢/٢١٤).

المسألة الثانية

بم تعلق قوله ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ ؟

قال أبو حيان: "والظاهر تعليق ليبلوكم بخلق".^(□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

^(□) القول الأول: إنه متعلق بقوله (خلق)، وهو قول كثير من المفسرين، واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: "وقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً﴾ يقول تعالى ذكره: وهو الذى خلق السموات والأرض رض أىها الناس، وخلقكم في ستة أيام، ليبلوكم يقول: ليختبركم، أىكم أحسن عملاً."

وقال الزمخشري: "﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ متعلق بخلق، أي خلقهن لحكمة بالغة." وقال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ متعلق بـ (خلق) والمعنى أن خلقه إياها كان لهذا".

القول الثاني: إنه متعلق بمحذوف م قدر، وهو قول جماعة من المفسرين . واختلفوا في التقدير على ثلاثة أقوال :
الأول: تقديره: أعلم بذلك ليبلوكم.
الثاني: تقديره: خلقكم ليبلوكم.

١ - البحر الحيط (ح ٥ / ل ١٥٩) (٢٠٦ / ٥).

٢ - الطبرى (٣ / ١٢)، الزمخشري (٢٥٩ / ٢)، ابن عطية (١٥٢ / ٣)، الرازى (٣٢٠ / ١٧)، القرطبي (٨ / ٩)، البيضاوى (٢٢١ / ٣)، النسفي (٢٥٩ / ٢)، ابن جزي (١٨٥ / ٢)، ابن كثير (٢٦٥ / ٤)، البقاعي (٣٥٠ / ٣)، الشرييني (٥٢ / ٢)، أبي السعود (٤١٨٦ / ٤)، الشوكانى (٤٧٩ / ٢)، الألوسي (٦١ / ١٢)، القاسمى (٦ / ٩٦)، ابن عاشور (٧ / ١٢)، الشنقيطي (٣ / ١٣)، المراغى (٦ / ١٢).

٣ - الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٧، الخازن آية ٧، السمين (٦ / ٢٩٠)، ابن عادل (٤٤٠ / ١٠).

الثالث: جمل مخدوفة والتقدير: وكان خلقه هما لمنافع يعود عليكم نفعها في الدنيا دون الأخرى، وفعل ذلك ليبلوكم، وهو قول بعض المفسرين
قال الواهي: "لَيَبْلُوكُمْ" أي: خلقها لكم لكي يختبركم بالمصنوعات فيها من آياته."

وقال البعوي: "لَيَبْلُوكُمْ" ليختبركم وهو أعلم.

وقال ابن عطية: وقال بعض الناس : هو متعلق بفعل مضمر تقديره أعلم بذلك ليبلوكم، ومقصد هذا القائل: أن هذه المخلوقات لم تكن لسبب البشر.

وقال الخازن: "لَيَبْلُوكُمْ" يعني ليختبركم وهو أعلم بكم منكم.

وقال السمين: في هذه اللام وجهان ، أحدهما:

أنها متعلقة بمحذف فقيل : تقديره:(أعلم بذلك ليبلوكم)، وقيل : ثم جمل مخدوفة والتقدير : (وكان خلقه هما لمنافع يعود عليكم نفعها في الدنيا دون الآخرة، وفعل ذلك ليبلوكم)، أو تقديره:(خلقكم ليبلوكم).

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول أنه متعلق بقوله (خلق)، فهو أظهر الأقوال والمعاني لأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق السماوات والأرض وما فيهن من المخلوقات عبثا، وإنما ليتتفع بها الناس .

قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِلًا ذَلِكَ ظُنُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧].

وخلقكم أيها الناس لعبادته وليعاملكم مع املة من يختبركم ليعلم إحسان المحسن، وإساءة المسيء.

قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْحَنَنَ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. قال تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

• أما القول أنه متعلق بمحذوف مقدر ففيه بعد:

لأن تقديره: (أعلم بذلك ليبلوكم). يعطي معنى أن المخلوقات لم تكن بسبب البشر.

وأما تقديره: (خلقكم ليبلوكم). فلا حاجة لهذا التقدير لأن المعنى واضح وأما تقديره بالجملة المذكورة فإن فيه تكلف، لأن هذا التقدير يدخل ضمن المعنى المفسر ل الآية.

الرجح:

يترجح القول إنه متعلق بقوله (خلق)، وهو قول أبي حيان ومن وافقه من المفسرين. وذلك:

١. لدلاله اللام في قوله ﴿لِيَبْلُوَكُم﴾ وهي لام التعلييل.

قال ابن عاشور: "وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُم﴾ متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾ واللام للتعليق."

٢. لوضوح المعنى في الآية.

قال الشنقيطي: "صرح في هذه الآية الكريمة أنه خلق السماوات والأرض لحكمة ابتلاء الخلق، ولم يخلقهما عبثاً ولا باطلاً . ونزعه نفسه تعالى عن ذلك

وصرح بأن من ظن ذلك فهو من الذين كفروا وهددتهم بالنار، قال تعالى :

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [٢٧]

[ص: ٢٧] وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [١١٥] [المؤمنون: ١١٥]

١١٥ - ١١٦] وقال ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] [الذاريات: ٥٦]

وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾



"[الملك: ٢] إلى غير ذلك من الآيات.."

□ ٣. لدلالة الآيات التي سبق ذكرها .

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

ما معنى قوله ﴿أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلًا﴾؟

قال أبو حيان : " ومعنى أيكم أحسن عملاً : أهذا أحسن أم هذا . قال ابن حجر (□) : روي عن النبي ﷺ ((أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله)) ولو صح هذا التفسير عن الرسول ﷺ لم يعدل عنه . وقال الحسن: أزهد في الله . وقال مقاتل : أتقى الله . وقال الضحاك : أكثركم شكرًا . (□)

الدراست

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: المعنى أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله، وهو قول جماعة من المفسرین: (□)

قال الطبرى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ يقول: ليختبركم، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ يقول:
أيكم أحسن له طاعة. كما: حدثنا عن داود بن المحرر (□)، قال: ثنا عبد الواحد بن زيد (□)، عن كلوب

١ - لم أعرف من هو ابن بحر ، وهكذا ورد في النسخة الخطية وثلاث نسخ مطبوعة من البحر المحيط ، ولعله تصحيف وهو ابن المحبير كما جاء في جامع البيان للطبرى (١٢/٣). وسيأتي.

٢ - البحر المحيط (١٥٩٥/٥)

٣ - الطبرى (١٢/٣)، الشعىي والماوردي والواحدى فى الوجيز آية ٧، الزمخشري (٢٥٩/٢)، ابن الجوزى (٤/٦٥)، القرطبى (٩/٨)، البيضاوى (٣/٢٢١)، النسفي (٢٥٩/٢)، أبي السعود (٤/١٨٦)، الشربينى (٥٢/٢).

٤ - داود بن المحرط الطائي، ويقال : الثقفي. صاحب كتاب العقل، قال البخاري : منكر الحديث، وقال أحمد : شبه لاشيء لا يدري ما الحديث، قال ابن حجر : متروك الحديث، وأكثر كتاب العقل الذي صنفه موضوعات، مات سنة ٢٠٦ هـ . التاريخ الكبير للبخاري (٣/٢٤٤)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/٤٢٤)، التقريب رقم ١٨١١.

بن وائل (□)، عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ : أنه تلا هذه الآية :

﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَقْلًا، وَأَوْرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ﴾.

وقال الشعبي: روى عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: (ليبلوكم أيكم أحسن عقلًا وأروع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله).

وقال الماوردي: ما روى كليب بن وائل عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: ﴿أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلًا﴾ أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَقْلًا وَأَوْرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ

القول الثاني: المعنى أيكم أزهد في الله ، قاله الحسن ، وهو قول جماعة من المفسرين. (□)

وقال السمرقندى: يعني: ليختبركم أيكم أحسن أي أخلص عملاً، وأزهد في الدنيا. والاختبار من الله تعالى، هو إظهار ما يعلم من خلقه.

وقال الشعبي: قال ابن عباس : أَيُّكُمْ أَعْمَلَ بطَاعَةَ اللَّهِ . قال مقاتل : أَيُّكُمْ أتقى لله، الحسن: أَيُّكُمْ أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا زَاهِدًا وَأَقْوَى لَهَا تَرْكًا .

وقال الماوردي -بعد أن ذكر أن فيها أربعة أوجه -: أَيُّكُمْ أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا ، وهو قول سفيان.

١ - عبد الواحد بن زيد البصري، القاسى، قال البخارى : منكر الحديث يذكر بالقدر، وقال أيضا : تركوه. وقال النسائي : ليس بثقة. وقال الجوزجاني : سيء المذهب ليس من معادن الصدق . أحوال الرجال للجوزجاني رقم ١٨٩، ميزان الاعتلال (٦٧٢/٢)، تعجيل المنفعة ص ١٧٧.

٢ - كليب بن وائل التيمى البكري صدوق روى عن ابن عمر . التاريخ الكبير (٢٢٩/٧)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٦٧/٧)، التقريب ص ٤٦٢.

٣ - السمرقندى (١٤١/٢)، الشعبي والماوردي آية ٧، الشوكاني (٤٧٩/٢)، الألوسي (٦١/١٢).

القول الثالث: المعنى أيكم أتقى الله، قاله مقاتل، ذكره بعض المفسرين. (□)

قال البغوي: "أَعْمَلُ بطاعة الله وَأَوْرَعُ عن حارم الله تعالى".

وقال القرطبي: مقاتل: أيكم أتقى الله.

وقال الشوكاني: وقيل: الأتقى الله.

القول الرابع: المعنى أيكم أكثركم شكرًا، قاله الضحاك . ذكره جماعة من المفسرين. (□)

وقال الماوردي — بعد أن ذكر أن فيها أربعة أوجه — : "الثالث: أيكم أكثر شكرًا، قاله الضحاك".

وقال القرطبي: الضحاك: أيكم أكثر شكرًا.

وقال النسفي: أكثر شكرًا.

القول الخامس: المعنى أيكم أتم عقلا. قاله قتادة وذكره بعض المفسرين. (□)

وقال الماوردي — بعد أن ذكر أن فيها أربعة أوجه — : "يعني أيكم أتم عقلاً".
قاله قتادة.

وقال ابن الجوزي — بعد أن ذكر أن فيها أربعة أوجه — : "أيكم أتم عقلا، قاله
قتادة".

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما ما ذكره المفسرون من أقوال السلف رحمة الله تعالى ، فهي تكمل بعضها، وتصلح لتفسير معنى الآية، لأنه لا يراد معنی واحداً من هذه المعانی بذاته.

١ - تفسير البغوي آية٧ ولم ينسبة لأحد. القرطبي (٨/٩)، الشوكاني (٤٧٩/٢).

٢ - الماوردي آية٧، القرطبي (٨/٩)، النسفي (٢٥٩/٢)، الشوكاني (٤٧٩/٢).

٣ - الماوردي آية٧، ابن الجوزي (٤/٦٥). وذكر ابن أبي حاتم (٢٠٠٦/٦) والقرطبي (٨/٩) عنه بلفظ (أيكم أتم عملا).

• إلا أن هذه المعاني لابد فيها من أمرتين وركنین أساسیین لقبولها. هما:

١. الإخلاص لله تعالى.

٢. متابعة النبي ﷺ.

ولذا قال سبحانه وتعالى ﴿أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً﴾ وليس أكثر عملا.

الرجح:

يترجح القول بأن المعاني المذكورة محتملة لتفسير معنى الآية مع توافر شرطي، الإخلاص لله تعالى ، والمتابعة للنبي ﷺ. وذلك:

١. لدلالة اللفظ القرآني، فإنه تعالى قال ﴿أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً﴾ وليس أكثر عملا.

قال ابن كثير : " لا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله تعالى شريعة رسول الله ﷺ فمتى فقد العمل واحداً من هذين الشرطين حبط وبطل." (□)

قال الفضيل بن عياض □: ﴿أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً﴾ أخلصه وأصوبه. قيل: يا أبل علي : ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً، لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً.

والخالص: أن يكون لوجه الله، والصواب: أن يكون متبعاً فيه الشع

١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٦٥).

٢ - الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي الخرساني، أبو على، الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، توفي سنة ١٨٧هـ. التاريخ (٧/١٢٣)، الجرح والتعديل (٧/٧٣)، سير أعلام النبلاء (٨/٤٢١).

□
والسنة.

٢. لصيغة الخطاب في مدلولها.

□ قال أبو السعود: "إيراد صيغة التفضيل مع الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضا لا إلى الحسن والأحسن فقط". □

والله تعالى أعلم

١ - تيسير الكريم الرحمن للسعدي. ص ٣٧٧.

٢ - الفريقان من المحتمل أن يكون المراد بهما الثقلين . كما قال ابن جرير وذكره الطبرى عنه (٢٥١/١٥) ويحتمل أن يكونا المؤمنين والكافرين ، ويكون كلام أبي السعود تعقيبا لما ذكره

الزمخشري في الكشاف (٢٠٨/٢) قال: "إِنْ قَلْتَ كَيْفَ قِيلُ: «إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» وَأَعْمَالُ الْمُؤْمِنِينَ هِيَ الَّتِي تَتَفَوَّتُ إِلَى حَسْنٍ وَأَحْسَنٍ، فَأَمَّا أَعْمَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فَتَتَفَوَّتُهَا إِلَى حَسْنٍ وَقَبِحٍ؟ قَلْتَ: الَّذِينَ هُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً هُمُ الْمُتَّقُونَ، وَهُمُ الَّذِينَ اسْتَبَقُوا إِلَى تَحْصِيلِ مَا هُوَ غَرْضُ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، فَخَصَّهُمْ بِالذِّكْرِ وَاطْرَحَ ذِكْرَ مِنْ وَرَاءِهِمْ تَشْرِيفًا لَّهُمْ وَتَنْبِيهًا عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْهُ، وَلَيَكُونَ ذَلِكَ لَطْفًا لِلسَّامِعِينَ، وَتَرْغِيَّبًا فِي حِيَازَةِ فَضْلِهِمْ".

٣ - إرشاد العقل السليم (٤/١٨٦).

المسألة الرابعة

ما المشار إليه في قوله ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر الإشارة بهذا إلى القول أي : إن قولك إنكم مبعوثون إلا سحر أى بطلان هذا القول كبطلان السحر، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلت عليه الجملة منبعث . أي: إن البعث . وقيل: أشاروا بهذا إلى القرآن، وهو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره" □

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن المشار إليه هو القول بالبعث بعد الموت، وحقيقة، وهو قول جماعة من المفسرين، □ واختاره أبو حيان .

قال السمرقندى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ما هذا إلا كذب بين حيث يخبرنا أنه يكون البعث.

وقال الواحدى: ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ﴾ للكفّار بعد خلق الله السّموات والأرض وبيان قدرته ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ كذبوا بذلك وقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: باطل وخداع.

وقال ابن عطية: ومعنى الآية : إن الله عز وجل هذه صفاته وهؤلاء بکفرهم في حيز إن قلت لهم: إنهم مبعوثون كذبوا وقالوا: هذا سحر.

١ - البحر المحيط (ح/٥٥) (١٥٩).

٢ - الطبرى (٣/١٢)، السمرقندى (٢/١٤١)، الواحدى في الوجيز آية ٧، ابن عطية (٣/٥٢)، البيضاوى (٣/٢٣١)، ابن كثير (٤/٢٦٥)، البقاعي (٣/٥٠٥)، أبي السعود (٤/١٨٦)، الألوسى (٦١/١٢).

القول الثاني: إن المشار إليه هو القرآن. وهو قول جماعة من المفسرين.

قال الشعبي: يعنيون القرآن.

وقال البغوي: يعنيون القرآن.

وقال الزمخشري: أشاروا بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره.

القول الثالث : إن المشار إليه هو النبي محمد ﷺ على قراءة حمزة والكسائي □ (ساحر) □ ، ذكره بعض المفسرين.

قال الرazi: قرأ حمزة والكسائي (إن هذا إلا ساحر) يريدون النبي ﷺ والساحر كاذب.

وقال البيضاوي: وقرأ حمزة والكسائي (إلا ساحر) على أن الإشارة إلى القائل.

وقال النسفي: ساحر حمزة وعلي يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل.

١ - الشعبي والبغوي آية ٧، الزمخشري (٢٥٩/٢)، الرازي (٣٢٠/١٧)، البيضاوي (٣٢١/٣)، النسفي (٢٥٩/٢)، ابن جزي (١٨٥/٢)، الخازن آية ٧، ابن عادل (٤٤٠/١٠)، أبي السعود (٤٤٠/٤)، الشوكاني (٤٧٩/٢)، الألوسي (٦١/١٢).

٢ - حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي، مولاهم الكوفي الزيّات، أبو عمارة ، الإمام القدوة شيخ القراءة توفي سنة ١٥٦هـ. طبقات بن سعد (٣٨٥/٦)، التاريخ الكبير (٣٥٢/٣)، سير أعلام النبلاء (٩٠/٧).

٣ - علي بن حمزة بن فiroz الأسدی، مولاهم الكو في، أبو الحسن، الملقب بالكسائي لكتبه أحقر فيه، الإمام، شيخ القراءة والعربية توفي سنة ١٨٩هـ. تاريخ بغداد (٤٠٣/١١)، سير أعلام النبلاء (١٣١/٩)، غاية النهاية (٥٣٥/١).

٤ - قرأ الجمهور (سحر) وقرأ حمزة والكسائي وخلف (ساحر) انظر: التيسيير ص ١٠١ ، النشر (١٩٢/٢)، إتحاف فضلاء البشر ص ٣١٨، غيث النفع ص ٣٠٤.

٥ - الرازي (٣٢٠/١٧)، البيضاوي (٣٢١/٣)، النسفي (٢٥٩/٢). ابن عادل (٤٤٠/١٠)، الشعبي (١١٧/٢).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المشار إليه هو القول بالبعث بعد الموت، فوجهه إنهم شبهوا البعث فيحقيقة وقوعه بالسحر من حيث بطلانهما . وكذا من حيث أن من وسائل السحر الأقوال المستحيلة والبهتان، فهم يكذبون بالبعث ويقررون بعدم إمكان وقوعه كما هو السحر عندهم . ويحاب عن ذلك : إن وجه التشبيه غير واضح ولا ملائم؛ لأن السحر مما يعتقد به الكافو ويؤمن به وبإمكانية حصوله لا ينكره بل يلتجأ إليه في الغالب لفساد المعتقد . والسحر بالنسبة إليهم موجود ظاهرا وأما نفس البعث فهو منكر معどوم . لذا فإن هذا القول ليس هو المشار إليه بل هو جزء مما ورد فيه.
- وأما القول إن المشار إليه هو القرآن ، فهذا مما دل عليه السياق.
- وأما القول إنه النبي محمد ﷺ فهذا ظاهر من القراءة المستدل بها . وهي من القراءات السبع.

الرجيح:

يترجح القول إن المشار إليه هو القرآن على قراءة ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وذلك:

1. لدلاله السياق؛ فإن الإخبار بالبعث من خلال الآيات التي تتلى.

قال الطبرى : "وقوله: ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ . يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم فتلتون عليهم بذلك تنزيليه ووحى، ليقولن إن هذا إلا سحر مبين أي ما هذا الذي

تتلوه علينا ما تقول إلا سحر لسامعه، مبين حقيقته أنه سحر.

٢. لقرينة تدل على ذلك من حيث إن للقرآن تأثيراً عجياً على

سامعيه، ولا سيما إن كان من يفهم اللغة التي نزل بها، وهؤلاء المعاندون الذي يشعرون بتأثير هذا القرآن في أسمائهم وقلوبهم لا يستطيعون إيجاد الوصف الحقيقى له وإنما أعظم ما يعرفونه هو السحر، فيظنون بزعمهم أن هذا مؤثر كتأثير السحر على المسحور، سرعان ما يتلاشى بزوال العارض.

ولقد قاله كبيرهم فيما حكى الله تعالى عنه ﴿إِنَّهُ فَكَرْ وَقَدَرَ ١٨ فَقُلْلَ كَيْفَ قَدَرَ ١٩ مُمْ قُلْلَ كَيْفَ قَدَرَ ٢٠ مُمْ نَظَرَ ٢١ مُمْ

عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ مُمْ أَذَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثِرُ ٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥﴾ [المدثر: ١٨ - ٢٥].

٣. وقد وردت آيات أخرى تذكر وصف الكفار للقرآن بالسحر

قال تعالى ﴿وَإِذَا نَلَى عَلَيْهِمْ أَيَّتِنَا بَيَّنَتِي قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ

أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ أَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِلْكَ مُفْرَى وَقَالَ

الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٤٣﴾ [سبأ: ٤٣].

. [٤٣]

٤. لأن هذا القول يندرج فيه القول بالبعث . فكل ما أخبر الله

به عنبعث فقد جاء في آيات تتلى .

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَخْرَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسُسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [هود: ٨].
في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالعذاب في قوله ﴿ وَلَئِنْ أَخْرَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ ﴾؟

قال أبو حيان : " ولئن أخرنا حكى تعالى نوعاً آخر من أباطيلهم واستهزائهم ، وال العذاب هنا عذاب القيامة . وقيل: عذاب يوم بدر . وعن ابن عباس: قتل جبريل المستهزئين،^(□) والظاهر العذاب الموعود به.^(□)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد به عذاب يوم القيامة. وهو قول جماعة من المفسرين.^(□)

قال الزمخشري: ﴿الْعَذَابَ﴾ عذاب الآخرة.

وقال الرازبي : "الأول: قال الحسن: معنى حكم الله في هذه الآية أنه لا يعذب أحداً منهم بعد عذاب الاستصال وأخر ذلك إلى يوم القيامة، فلما أخر الله عنهم ذلك العذاب قالوا على سبيل الاستهزاء ما الذي حبسه عنا."

وقال النسفي : ﴿ وَلَئِنْ أَخْرَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ ﴾ الآخرة.

١ - وهم خمسة من رؤساء أهل مكة وهم الوليد بن المغيرة وهو رأسهم، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب بن أسد أبو زمعة، والأسود بن يغوث ، والحارث بن الطلاطلة أهلهم الله جمیعا قبل يوم بدر في يوم واحد ، لاستهزائهم بالرسول ﷺ. ذكر قصتهم الطبری والبغوی والقرطی وابن کثیر عند تفسیر قوله تعالی ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]. وكذا ذکرها ابن إسحاق في سیرته ص ٢٥٤ ، وابن هشام (٤٠/٢-٤١).

٢ - البحر المحيط (١٥٩/٥) (٢٠٦).

٣ - الكشاف (٢٥٩/٢)، الرازبي (٣٢١/١٧)، النسفي (٢٥٩/٢)، ابن جزي (١٨٥/٢)، أبي السعود (١٨٦/٤)، الألوسي (٨١/١٢)، القاسمي (٩٨/٦).

القول الثاني: المراد به عذاب يوم بدر، وذكره جماعة من المفسرين. (□)

قال الزمخشري: "وقيل: عذاب يوم بدر."

وقال الرازي: "والثاني: أن المراد الأمر بالجهاد وما نزل بهم يوم بدر،

وعلى هذا الوجه تأولوا قوله : ﴿وَحَاقَ عَلَيْهِمْ أَيُّ نَزْلٍ بَعْدَ عَذَابٍ يَوْمَ بَدْرٍ﴾.

وقال النسفي: "أو عذاب يوم بدر."

القول الثالث: المراد به العذاب الموعود به، وهو شامل للعذاب في الدنيا سواء كان في الجهاد أو غيره، سواء كان فيه استئصال للكفار أم لا، وهو قول جماعة من المفسرين. (□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: "يقول تعالى ذكره : ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد العذاب فلم نعجله لهم، وأنسانا في آجالهم إلى أمة معدودة ووقت محدود وسنين معلومة."

وقال ابن عطية: المعنى: ولئن تأخر العذاب الذي توعدتم به عن الله قالوا ما هذا الحبس لهذا العذاب؟ على جهة التكذيب."

وقال البيضاوى: "﴿وَلَئِنْ أَخْرَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ الموعود."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد به عذاب يوم القيمة، فهو مندرج في القول إن المراد به العذاب الموعود به.
- وأما القول إن المراد عذاب يوم بدر . وعن ابن عباس : قتل

١ - الكشاف (٢/٢٥٩)، الرازي (١٧/٣٢١)، النسفي (٢/٢٥٩)، ابن عادل (١٠/٤٤٢)، أبي السعود (٤/١٨٦)، الألوسي (١٢/٨١)، القاسمي (٦/٩٨).

٢ - الطبرى (١٢/٥)، ابن عطية (٣/١٥٢)، البيضاوى (٣/٢٢١)، ابن كثير (٤/٢٦٥)، ابن عادل (١٠/٤٤٢)، البقاعي (٣/٥٠٥)، أبي السعود (٤/١٨٦)، الألوسي (١٢/٨١)، الشعابى (٢/١١٧).

جبريل المستهزئين،

فيقال: لم خص يوم بدر بذلك مع أنه وقع العذاب لهم في عدة معارك. وكذا فإن ما ذكر عن ابن عباس فلا يناسب أن يكون دليلاً لهذا القول وذلك لأن قتل المستهزئين وقع قبل يوم بدر، كما ذكره بعض المفسرين وأهل السير.

- وأما القول إن المراد به العذاب الموعود به، فهو أنساب الأقوال، وسيأتي بيان ذلك.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد به العذاب الموعود به، وهو شامل للعذاب في الدنيا سواء كان في الجهاد أم غيره، سواء كان فيه استئصال لـ لکفار أم لا، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه قول عام يندرج تحته الأقوال الأخرى.
٢. الأنسب في مقام الخطاب والمخاطبين . فالخطاب تهديد ووعيد ، والمخاطبين الكفار حالمون مع الأنبياء لا يتغير تكذيباً وعناداً واستكباراً واستهzaء واستعجالاً للعذاب ، سواء كان عذاب الدنيا أم الآخرة.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنَ رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴾ [هود: ٩].

في الآية مسألة واحدة وهي:
ما المراد بالإنسان في الآية؟

قال أبو حيان: "والظاهر أن الإنسان هنا هو جنس، والمعنى إن هذا الخلق في سجايها الناس، ثم استثنى منهم الذين ردّتهم الشرائع والإيمان إلى الصبر والعمل الصالح، ولذلك جاء الاستثناء منه في قوله: إلا الذين صبروا متصلًا." □

الدراسة:
في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد بالإنسان هو جنس الإنسان، وهو قول جماعة من المفسرين، □ واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري: "(الإنسان) للجنس."

وقال ابن عطية: و (الإنسان) هنا اسم الجنس والمعنى أن هذا الخلق في سجية الناس.

وقال ابن الجوزي - وقد ذكر فيها ثلاثة أقوال - "والثالث: أن الإنسان هاهنا اسم جنس، والمعنى: ولئن أذقنا الناس."

القول الثاني: المراد بالإنسان هو الكافر، وهو قول بعض المفسرين. □

١ - البحر المحيط (ح ٥/٥) (١٥٩ ل ٢٠٦).

٢ - الزمخشري (٥٩/٢)، ابن عطية (١٥٣/٣)، ابن الجوزي (٤/٦٦)، الرازى (١٧/٣٢٣)، البيضاوى (٣/٣)، النسفي (٢٦١/٢)، ابن عادل (١٠/٤٤٤)، الشوكاني (٢/٤٨٤)، الألوسي (١٢/٨٢)، الشعابى (٢/١١٨).

٣ - الرازى (١٧/٣٢٣)، القرطبي (٩/١٠)، الجلالين آية ٩.

قال الرازي : " والقول الثاني : أن المراد منه الكافر، ويدل عليه وجوه :
الأول: إن الأصل في المفرد المخلوي بالألف واللام أن يحمل على المعهود السابق
لولا المانع، وله هنا لا مانع فوجب حمله عليه ، والمعهود السابق هو الكافر
المذكور في الآية المتقدمة.

الثاني: أن الصفات المذكورة للإنسان في هذه الآية لا تليق إلا بالكافر لأنه
وصفه بكونه يؤسساً، وذلك من صفات الكافر لقوله تعالى : ﴿يَبْنَى أَذْهَبُوا
فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحَ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِشُ مِنْ رَوْحَ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ووصفه أيضاً بكونه كفوراً، وهو تصريح
بالكفر ووصفه أيضاً بأنه عند وجدان الراحة يقول: ذهب السيئات عنى،
وذلك جراءة على الله تعالى، ووصفه أيضاً بكونه فرحاً و ﴿اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ
﴿القصص: ٧٦﴾ ووصفه أيضاً بكونه فخوراً، وذلك ليس من صفات أهل
الدين".

وقال القرطبي: الإنسان اسم شائع للجنس في جميع الكفار.

وقال الجلالان: "﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَنَ﴾ الكافر."

القول الثالث: المراد بالإنسان هو إنسان معين في عهد النبي ﷺ نزلت فيه
الآية ، فقيل : هو الوليد بن المغيرة، وقيل : هو عبد الله بن أمية
المخزومي. ذكره الواحدي وابن الجوزي والقرطبي.

قال الواحدي: قال ابن عباس: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقال غيره: في
عبد الله بن أبي أمية المخزومي."

وقال ابن الجوزي: اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال..

١ - الواحدي في الوسيط (٥٦٦/٢)، ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٦٦)، القرطبي في جامع أحكام القرآن (٩/١٠).

أحدها: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس.

والثاني: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي، ذكره الواحدي.

وقال القرطبي: ويقال: إن الإنسان هنا الوليد بن المغيرة وفيه نزلت. وقيل:

في عبد الله بن أبي أمية المخزومي.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول المراد بالإنسان هو جنس الإنسان فهو أظهر الأقوال ،

وسيأتي بيان ذلك.

- وأما القول المراد بالإنسان هو الكافر بدلالة لفظ كفور، وهو

تصريح بالكفر.

فيقال: إن صفة الكفر لا تطلق على جميع الناس كما تقتضي لفظة الإنسان فالقول به مردود لما سبق.

- وأما القول المراد بالإنسان هو إنسان معين في عهد النبي ﷺ نزلت فيه الآية .

فيقال: على فرض صحة القول فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الترجح:

يترجح القول إن القول المراد بالإنسان هو جنس الإنسان، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه من المفسرين. وذلك:

1. دلالة السياق .

قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنَ رَّحْمَةٍ ثُمَّ نَرَعَنَّهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۚ ۹ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَّاءً مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَيْنَ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۚ ۱۰ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَيْرٌ ۗ ۱۱﴾ [هود: ۹ - ۱۱].

قال الرازي: إنه تعالى استثنى منه قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ﴾ وال الاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل، فثبت أن الإنسان المذكور في هذه الآية داخل فيه المؤمن والكافر.

2. دلالة النظائر القرآنية.

قال تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ خُلِقَ هَلْوَعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَهُ الشَّرُّ جَزِفَ عَانِي ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ مَنْعِي ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصْلِيْنَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٣].
وقال تعالى ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي حُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ إِيمَانُهُ وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ ﴿٣﴾﴾ سورة العصر.

3. لأنّه أظهر الأقوال من حيث تناسب المدلول مع اللفظ.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَلَعْلَكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكَافِلٌ ﴾ [١٢] هود: ١٢ .

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿ وَضَائِقٌ بِهِ ﴾؟

قال أبو حيان: "والظاهر عود الضمير في به على بعض . وقيل: على ما،
وقيل: على التبليغ، وقيل: على التكذيب." □

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: الضمير يعود على (بعض). وهو قول جماعة من المفسرين،
واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية: "والضمير في (به) عائد على (البعض)."

وقال القرطبي: "واهاء في (به) تعود على بعض."

وقال السمين: "واهاء في (به) تعود على (بعض)."

القول الثاني: الضمير يعود على (ما)، وهو قول بعض المفسرين. □

قال الطبرى: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلعلك يا محمد تارك بعض
ما يوحى إليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبلیغه ذلك، وضائق بما يوحى إليك
صدرك فلا تبلغه إياهم خافة أن يقولوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٥٩) (٢٠٨).

٢ - ابن عطية (٣/١٥٤)، القرطبي (١١/٩)، السمين (٦/٢٩٤)، الجمل (٢/٣٨٣)، الشوكاني
(٤/٤٨٦)، الألوسي (١٢/١٩)، الشعالي (٢/١١٨).

٣ - الطبرى (٧/١٢)، ابن عطية (٣/١٥٤)، القرطبي (٩/١١)، السمين (٦/٢٩٤)، الشوكاني
(٤/٤٨٦). ابن عاشور (١٢/١٥)، الشعالي (٢/١١٨).

له مصدق بأنه لله رسول".

وقال ابن عطية : "ويحتمل أن يعود على (ما)".

وقال القرطبي : "والهاء في (به) تعود على (ما)".

(□) القول الثالث: الضمير يعود على التبليغ ، ذكره بعض المفسرين.

قال السمرقندى : "﴿وَضَايِقُ بِهِ صَدْرُكَ﴾ في البلاغ".

قال الزمخشري : "﴿وَضَايِقُ بِهِ صَدْرُكَ﴾ بأن تتلوه عليهم".

وقال ابن الجوزي : "وفي معنى الآية قوله".

أحدهما: فلعلك تارك تبليغ بعض ما يوحى إليك من أمر الآلة، وضائق بما كلفته من ذلك صدرك، خشية أن يقولوا. لو لا أنزل عليه كنز.

وقال القرطبي: "أو على التبليغ".

(□) القول الرابع: الضمير يعود على التكذيب. ذكره بعض المفسرين.

قال القرطبي: "أو التكذيب".

وقال أبو حيان: "وقيل: على التكذيب".

وقال السمين: "وقيل: على التكذيب".

القول الخامس: الضمير يعود على قوله (أن يقولوا). وهو قول بعض المفسرين.

قال الواحدى: "الضائق بمعنى الضيق، قال ابن الأنباري": "أن في موضع

١ - السمرقندى (١٤١/٢)، الزمخشري (٢٦٠/٢)، ابن الجوزي (٦٨/٤)، القرطبي (١١/٩)، البيضاوى (٣/٢٢٤)، الخازن آية ١٢، الجلالين آية ١٢، الشرييني (٥٢/٢)، أبي السعود (١٨٦/٤)، الجمل (٣٨٣/٢)، الألوسي (٤٢/١٢)، الفاسمي (٦/١٠١).

٢ - القرطبي (١١/٩)، أبي حيان (٥/٢٠٨)، السمين (٦/٢٩٤)، الألوسي (١٢/٤٢).

٣ - الواحدى في الوسيط (٥٦٦/٢)، البغوى آية ١٢، ابن الجوزي (٤/٦٨)، الرازى (١٧/٢٠١)، ابن جزى (٢/١٨٦)، ابن عاشور (١٢/١٥).

خفض بالرد على الباء في به " يريد: وضائق به صدرك بأن يقولوا ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾".

وقال البعوي: ﴿وَضَائِقُ إِلَيْهِ صَدْرُكَ﴾: أي: فلعلك يضيق صدرك ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ أي: لأن يقولوا ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ ينفقه.

وقال ابن الجوزي: فأما الضائق، فهو بمعنى الضيق. قال الزجاج: ومعنى ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾: كراهة لأن يقولوا.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بعو^د الضمير على (بعض) و(ما)، أو التبليغ، أو على

تلاوة ما يوحى إليه؛ فهو بعيد ، وذلك لأنه غير ملائم لحقيقة
الاصطفاء في النبوة، فالنبي ﷺ لا يضيق صدره بالوحى، وإنما
ينشرح صدره به، مع الاهتمام بتلاوته وتبليله . وإنما كان ﷺ
يضيق صدره بأقواهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان.

- وأما القول بعو^د الضمير على التكذيب، فإنه يندرج تحت القول

بعو^ده على قوله (أن يقولوا)، لأنه يضيق صدره بتكذيبهم له.

- وأما القول بعو^د الضمير على قوله (أن يقولوا). فهو أنس^ب
الأقوال وأقربها في بيان المعنى . وسيأتي بيان ذلك.

الترجح:

يترجح القول بعو^د الضمير على قوله (أن يقولوا). وذلك:

١. لأنه أنس^ب الأقوال في تعظي م مقام النبوة وبيان حقيقة
الاصطفاء.

قال ابن عاشور: والباء في (إِلَيْهِ) للسببية، والضمير المجرور بالباء عائد على
ما بعده وهو (أن يقولوا) . و(أن يَقُولُوا) بدل من الضمير . ومثل ذلك

مستعمل في الكلام كقوله تعالى : ﴿ وَأَسْرُوا أَنْجَوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [الأنبياء: ٣]، فيكون تحذيراً من أن يضيق صدره لاقتراحهم الآيات بأن يقولوا : ﴿ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ ، ويحصل مع ذلك التحذير من أن يضيق صدره من قوله : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [هود: ٧]، ومن قوله : ما يَحْبِسُ العذاب عنا، بواسطة كون ضائق داخلاً في تفريع التحذير على قوله لهم السابقين. وإنما جيء بالضمير ثم أبدل منه لقصد الإجمال الذي يعقبه التفصيل ليكون أشد تمكنًا في الذهن، ولقصد تقديم المجرور المتعلق باسم الفاعل على فاعله تبنيها على الاهتمام بالمتعلق لأنّه سبب صدور الفعل عن فاعله فجيء بالضمير المفسر فيما بعد لما في لفظ التفسير من الطول، فيحصل بذلك بُعد بين اسم الفاعل ومرفوعة، فلذلك اختصر في ضمير يعود عليه، فحصل الاهتمام وقويّ الاهتمام بما يدل على تمكنه في الذهن.

٢. أن ذلك يوافق قاعدة : [عود الضمير إلى أقرب مذكور]. ولم يشترط المقرر أن يكون ما يعود عليه الضمير سابق له، وإنما يعود الضمير إلى المحدث عنه.

ومن قرر هذه القاعدة أبو حيان في تفسيره فقال : " ولسائل أن يقول إن الضمير إذا كان صالحًا لأن يعود على الأقرب وعلى الأبعد كان عوده على الأقرب راجحا، وقد نص النحويون على هذا ... والجواب : أنه إذا كان أحدهما هو المحدث عنه والآخر فضلته كان عوده على المحدث عنه أرجح ولا يلتفت إلى القرب." ^(□)

وكذا ذكر الزركشي ^(□) هذه القاعدة، وقرر أن الضمير يعود إلى القريب،

١ - البحر المحيط (٣٣٠/٧).

٢ - البحر المحيط في أصول الفقه (٣٢٥/٣)، والبرهان (٣٩/٤).

ولا يرجع إلى ما قبله إلا بدليل، بل عوده إلى الحديث عنه أولى.

٣. لدلالة آيات أخرى توضح ذلك المعنى.

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ٦٧ فَسَيِّحْ بِهِمْ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ الْسَّاجِدِينَ ﴾ ٦٨﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٨].

وقال ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٢٧].

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ٧٠﴾ [النمل: ٧٠].

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشَرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَتِ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].
في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما نوع (أم) في قوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾؟

قال أبو حيان: "الظاهر إنّ أم منقطعة تتقدّر بـبل، والهمزة أي : بل أقولون افتراء. وقال ابن القشيري ^(□): أم استفهام توسط الكلام على معنى: أيكتفون بما أوحيت إليك من القرآن، أم يقولون إنه ليس من عند الله، [فإن قالوا: إنه ليس من عند الله] ^(□) فليأتوا بمثله انتهى . فجعل أم متصلة، والظاهر الانقطاع كما قلنا. ^(□).

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن (أم) منقطعة ، وهو قول كثير من المفسرين ، [□] واختاره أبو حيان.

١ - عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، أبو نصر، الشیخ الإمام المفسر النحوی المتکلم، توفي سنة ٥١٤هـ. المستفاد من ذیل تاريخ بغداد ص ١٥٨، سیر أعلام النبلاء(٩/٤٢٤)، شذرات الذهب(٤/٤٥).

٢ - ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الخطية.

٣ - البحر الحيط (ح/٥ ل/١٦٠) (٥/٢٠٨).

٤ - البغوي آية ١٣ ، الزمخشري (٢/٢٦٠)، ابن عطية (٣/١٥٤)، ابن الجوزي (٤/٦٩)، القرطبي (٩/١١)، البيضاوي (٣/٢٢٤)، النسفي (٢/٢٦٢)، ابن جزي (٢/١٨٢)، الخازن آية ١٣ ، السمين (٦/٢٩٥)، الجلالين آية ١٣ ، الشعابي (٢/١١٨)، الشربيني (٢/٥٢)، أبي السعود (٤/١٨٦)، الجمل (٢/٣٨٤)، الشوكاني (٤/٤٨٦)، الألوسي (١٢/٦٢)، القاسمي (٦/١٠٣)، ابن عاشر (١٢/١٩).

قال البغوي : "﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ بل يقولون اختلقه."

وقال الزمخشري : "(أم) منقطعة."

وقال ابن عطية : "هذه (أم) التي هي عند سيبويه بمعنى (بل وألف الاستفهام) ، كأنه أضرب عن الكلام الأول ، واستفهم في الثاني على معنى التقرير ، كقولهم: إنها لإبل أم شاء ؟".

القول الثاني : إن(أم) متصلة، وهو قول القشيري كما نقله عنه أبو حيان، وذكر هذا القول السمين والقاسمي من غير ترجيح.

قال ابن القشيري : "أم استفهام توسط الكلام على معنى : أيكتفون بما أوحيت إليك من القرآن، أم يقولون إنه ليس من عند الله، فإن قالوا: إنه ليس من عند الله فليأتوا بمثله".

وقال السمين : "الثاني: أنها متصلة ، فقدروها بمعنى : أيكتفون بما أوحينا إليك من القرآن أم يقولون إنه ليس من عند الله؟".

وقال القاسمي ^(□) : "وفي (أم) وجهان ... ومتصلة والتقدير: أيكتفون بما أوحينا إليك، وهو ما في الإعجاز، أم يقولون ليس من عند الله ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول بإن (أم) منقطعة فهو الظاهر.
- وأما القول إن(أم) متصلة، ففيه بعد عن المعنى المراد.

الترجيح:

يترجح القول إن (أم) منقطعة، وهو قول أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

١. لأنه أظهر الأقوال.

١ - جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره ، علمًا بالدين، توفي سنة ١٣٣٢ هـ. الأعلام (١٣٥/٢).

٢. لأن فيه بياناً للمعنى المراد في الآية وهو إبطال مزاعم الكفار.

قال ابن عاشور: "﴿أَمْ﴾ هذه منقطعة بمعنى (بل) التي للإضراب للانتقال من غرض إلى آخر، إلاّ أن ﴿أَم﴾ مختصة بالاستفهام فتقدر بعدها همزة الاستفهام. والتقدير: بل أقولون افتراء. والإضراب انتقالي في قوة الاستئناف الابتدائي، فللهجمة حكم الاستئناف . والمناسبة ظاهرة، لأن الكلام في إبطال مزاعم المشركين، فإنهم قالوا : هذا كلام مفترى، وقرعهم بالحجفة . والاستفهام إنكارى."

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بالمثل في قوله ﴿فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾ ؟

قال أبو حيأن: "والظاهر إن قوله: [مثله][□]" ، لا يراد به المثلية في كون المعارض عشر سور، بل مثله يدل على مماثلة في مقدار ما من القرآن . وروي عن ابن عباس[□]: أن السور التي وقع بها طلب المعارضة لها تين معينة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأعراف، والأعنة، والأعراف، والأنعام، والنفال، والتوبة، ويونس، وهو دليل. فقوله: مثله، أي مثل هذه عشر سور، وهذه السور أكثرها مدنية، فكيف تصح الحوالة بمكة على ما لم ينزل بعد؟ ولعل هذا لا يصح عن ابن عباس.[□]

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن المراد مماثلة في مقدار ما من القرآن وليس تحديد قدر معين.

وهو قول كثير من المفسرين.[□] واختاره أبو حيأن

قال الطبرى : " فقل لهم: يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات."

وقال السمرقندى : " وقال بعضهم : ... معناه فأتوا بعشر سور مثل سور القرآن، أي سورة كانت."

وقال ابن عطية: " ووقع التحدي في هذه الآية (باعشر) لأنه قيدها بالافتراء ،

١ - ما بين المعقوفين من المطبوع.

٢ - لم أجده له سندًا ، ونقله الألوسي عن أبي حيأن.

٣ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ٦١) (٢٠٩/٥).

٤ - الطبرى (٧/١٢)، السمرقندى (١٤١/٢)، ابن عطية (٣/١٥٤)، الرازى (٢/٦٢)، القرطبي (٩/١١)، البيضاوى (٢٢٤/٢)، ابن كثير (٤/٢٦٨)، البقاعي (٣/٥١٠)، الألوسي (٢١/٦٢)، ابن عاشور (١٢/١٩).

فوسع عليهم في القدر لتقوم الحجة غاية القيام ، إذ قد عجزهم في غير هذه الآية ﴿سُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] دون تقييد بهذه مماثلة تامة في غيوب القرآن ومعانيه الحجة ، ونظمه ووعلده ووعيده وعجزوا في هذه الآية بل قيل لهم عارضوا القدر منه بعشر أمثاله في التقدير والغرض واحد واجعلوه مفترى لا يبقى لكم إلا نظمه بهذه غاية التوسيعة ؛ وليس المعنى عارضوا عشر سور بعشر ، لأن هذه إنما كانت تجيء معارضة سورة بسورة مفتراة ولا تبالي عن تقديم نزول هذه على هذه: ويؤيد هذا النظر أن التكليف في آية البقرة إنما هو بسبب الريب ، ولا يزييل الريب إلا العلم بأنهم لا يقدرون على المماثلة التامة".

القول الثاني: إن المراد المماثلة في العدد عشر سور وهي البقرة، وأآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وأآل نفال، والتوبة، ويونس، وهو قوله تعالى: "وهو قول بعض المفسرين".

قال السمرقندى: قال الكلبي : يعني: بعشر سور مثل سورة البقرة، وأآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة، ويونس . وهو لأن العاشرة هي سورة هود.

وقال الزمخشري: "﴿مِثْلِهِ﴾ يعني أمثاله، ذهاباً إلى مماثلة كل واحدة منها له." وقال النسفي: "تحداهم أولاً بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخبر في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن ذلك قال: اقتصرت منك على سطر واحد ﴿مِثْلِهِ﴾ في الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهاباً إلى مماثلة كل واحدة منها له."

١ - السمرقندى (١٤١/٢)، الزمخشري (٢٦٢/٢)، النسفي (٢٦٠/٢)، الجلالين آية ١٣، أبي السعود (٤/١٨٦)، الشوكاني (٤٨٤/٢).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد مماثلة في مقدار ما من القرآن ، وليس تحديد قدر معين، فهو ظاهر.
- وأما القول إن المراد المماثلة في العدد عشر سور معينة، ففيه نظر. لأنه لا يوجد دليل صحيح صريح يدل على تحديد هذه السور. وعلى فرض صحة ما نسب لابن عباس ففيه نظر من حيث إن سورة هود مكية، والبقرة، وآل عمران، والنمساء، والمائدة مدنیات، أنزلت بعد سورة هود بعده طويلة فكيف تصح الحالة بمكة على ما لم ينزل بعد؟ فهذه السورة متقدمة في ترتيب المصحف على سورة هود وليس في النزول. ولعل هذه الرواية هي رواية الكلبي كما ذكر السمرقندی ولا يخفى ضعفها.

الرجح:

يترجح القول إن المراد مماثلة في مقدار ما من القرآن وليس تحديد قدر معين. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه أظهر من حيث الدلالة على المعنى المراد.
٢. لا يوجد دليل على تحديد العشر سور.

قال البقاعي : " (مثله) أي تكون العشر مثل جميع القرآن في طوله وفي مثل احتوائه على أساليب البلاغة وأفاني العذوبة والمتانة والفحولة والرشاقة".

٣. لأنه أبلغ في التحدي الإتيان ولو بأقل قدر مماثل للقرآن.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوْا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمٍ أَللَّهِ وَأَنَّ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ﴾ [هود: ١٤].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ ؟

قال أبو حيان : "والذي يظهر أن الضمير في (فإن لم يستجيبوا) عائد على من استطعتم، وفي لكم عائد على الكفار، لعود الضمير على أقرب مذكور، ولكون الخطاب يكون لواحد . ولترتيب الجواب على الشرط ترتباً حقيقياً من الأمر بالعلم، ولا يتتجاوز بأنه أراد به فدوموا على العلم، ودوموا على العلم بأنه لا إله إلا هو." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الضمير في (فإن لم يستجيبوا) عائد على من استطعتم، وفي (لكم) عائد على الكفار، وهو قول كثير من المفسرين، □ واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله إلى أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات، ولم تطيقوا أنفقوهم أن تأتوا بذلك، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد ﷺ بعلم الله وإذنه، وأن محمداً لم يفتره، ولا يقدر أن يفتريه، وأن لا إله إلا هُوَ يقول : وأيقنوا أيضاً أن لا معبد يستحق

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/١٦١) (٢٠٩/٥).

٢ - الطبرى (٨/١٢)، الرمخشري (٢٦١/٢)، ابن عطية (٣/١٥٥)، ابن الجوزي (٤/٦٩)، الرازي (١٧/٣٢٧)، القرطبي (٩/١٢)، النسفي (٢٦٢/٢)، ابن جزي (٢/١٨٦)، الخازن والجلالين آية ١٤، الشعالي (٢/١١٩)، الشربيني (٢/٥٢)، الألوسي (٣/١٢)، النووي الحاوي آية ١٤، ابن عاشور (١٢/٢١).

الْأَلْوَهِيَّةِ عَلَى الْخَلْقِ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَهُ الْخُلْقُ وَالْأَمْرُ، فَأَخْلَعُوا الْأَنْدَادَ وَالْآتِهَةَ وَأَفْرَدُوا لِهِ الْعِبَادَةَ.

وقال الزمخشري : ووجه آخر : وهو أن يكون الخطاب للمشركين،

والضمير في ﴿فَإِلَّا مَنْ يَسْتَحِيْبُوا﴾ من استطعتم.

وقال ابن عطية : هذه الآية تأويلان : أحدهما أن تكون المخاطبة من النبي ﷺ للكفار؛ أي فإن لم يستجب من تدعون إلى شيء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليها فأذعنوا حينئذ واعلموا أنه من عند الله.

القول الثاني: إن الضمير في (فَإِلَّا مَنْ يَسْتَحِيْبُوا) عائد على الكفار، وفي (لكم) عائد على النبي ﷺ، وهو قول جماعة من المفسرين.

قال السمرقندى : إن كنتم تزعمون أن محمداً ﷺ يختلفه من ذات نفسه، ﴿وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: استعينوا بالهتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَنِدِيقِيْنَ﴾ في مقالتكم. فسكتوا، فلم يجيبوا، فنزل قوله تعالى: ﴿فَإِلَّا مَنْ يَسْتَحِيْبُوا لَكُمْ﴾ فإن لم يحيبواك، خاطب النبي ﷺ بلفظ الجماعة، كما قال : ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنَّمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال البغوى: ﴿فَإِلَّا مَنْ يَسْتَحِيْبُوا لَكُمْ﴾ يا أصحاب محمد. وقيل: لفظه جمع والمراد به الرسول ﷺ وحده.

وقال الزمخشري: معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لأن رسول الله ﷺ والمؤمنين كانوا يتحدونهم، وقد قال في موضع آخر: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيْبُوا لَكَ فَأَعْلَمُ﴾ [القصص: ٥٠].

١ - السمرقندى (١٤١/٢)، البغوى آية ١٤، الزمخشري (٢٦١/٢)، البيضاوى (٣/٢٢٤)، النسفي (٢٦٢/٢)، ابن كثير (٤٢٦٨/٤)، ابن عادل (١٠/٤٤٤)، الشعابى (١١٩/٢)، أبي السعود (٤/١٨٦).

نلاحظ سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير في (فإن لم يستجيبوا) عائد على من استطعتم، وفي (لكم) عائد على الكفار فهو أظهر القولين، وسيأتي بيانه.
- وأما القول إن الضمير في (فإن لم يستجيبوا) عائد على الكفار، وفي (لهم) عائد على النبي ﷺ. فهو بعيد ، لأنه من ذهب إليه ذكر بعضهم أنه خطاب للنبي ﷺ على سبيل تحويل المخاطبة من الإفراد إلى الجمع تعظيماً وتفخيمـاً ومن باب إنه جواز أن يخاطب الرئيس بما يخاطب به الجماعة، وقال البعض الآخر خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين.
- فهذا القول يستدعي إلى إضمار القول ، وحمل قوله (فاعلموا) على الأمر بالثبات. وليس تحريراً على الإسلام.

الرجح:

يترجح القول إن الضمير في (فإن لم يستجيبوا) عائد على من استطعتم، وفي (لهم) عائد على الكفار. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه الأقرب لفهم المراد من تفسير الآية.

قال الطبرى: "وقد قيل: إن قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوْ لَكُمْ﴾ خطاب من الله لنبيه، كأنه قال : فإن لم يستجب لك هؤلاء الكفار يا محمد، فاعلموا أيها المشركون أنها أنزلت بعلم الله. وذلك تأويل بعيد من المفهوم."

٢. موافقة قاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور وهي من قواعد الترجح المهمة.

٣. لأنه لا يحتاج فيه إليه إضمار في قوله (فاعلموا).

قال الرازي: "اعلم أن الآية المتقدمة اشتملت على خطابين : أحدهما:

خطاب الرسول، وهو قوله : ﴿قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِّيَتِ﴾

والثاني: خطاب الكفار وهو قوله : ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٣] فلما أتبعه بقوله : ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ احتمل أن يكون المراد أن الكفار لم يستجيبوا في المعارضة لتعذرها عليهم، واحتمل أن من يدعونه من دون الله لم يستجيبوا، فلهذا السبب اختلف المفسرون على قولين: فبعضهم قال: هذا خطاب للرسول ﷺ وللمؤمنين، والمراد أن الكفار إن لم يستجيبوا لكم في الإتيان بالمعارضة، فاعلموا أنها أنزل بعلم الله . والمعنى: فاثبتو على العلم ال ذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً وثبتات قدم على أنه منزلي عند الله، ومعنى قوله : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي فهل أنتم مخلصون، ومنهم من قال فيه إضمار، والتقدير: فقولوا أيها المسلمين للكفار اعلموا أنها أنزل بعلم الله . والقول الثاني: إن هذا خطاب مع الكفار، والمعنى أن الذين تدعونهم من دون الله إذا لم يستجيبوا لكم في الإعانة على المعارضة، فاعلموا أيها الكفار أن هذا القرآن إنما أنزل بعلم الله فهل أنتم مسلمون بعد لزوم الحجة عليكم، والقائلون بهذا القول قالوا هذا أولى من القول الأول، لأنكم في القول الأول احتجتم إلى أن حملتم قوله : ﴿فَاعْلَمُوا﴾ على الأمر بالثبات أو على إضمار القول، وعلى هذا الاحتمال لا حاجة فيه إلى إضمار، فكان هذا أولى، وأيضاً فعود الضمير إلى أقرب المذكورين واجب، وأقرب المذكورين في هذه الآية هو هذا الاحتمال ال ثانٍ، وأيضاً أن الخطاب الأول كان مع الرسول ﷺ وحده بقوله: ﴿فُلْ فَأَتُوا بِعَشِيرِ سُورِ﴾ [هود: ١٣] والخطاب الثاني كان مع جماعة الكفار بقوله : ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٣٨] وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾

"لَكَ فَاعْلَمُ" خطاب مع الجماعة فكان حمله على هذا الذي قلناه أولى.

٤. لكون الخطاب يكون لواحد.

٥. لترتيب الجواب على الشرط ترتباً حقيقياً من الأمر بالعلم، ولا يتحرر

بأنه أراد به فدوموا على العلم، ودوموا على العلم بأنه لا إله إلا هو .

كما ذكر ذلك أبو حيان.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا نُوَفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا﴾؟

قال أبو حيان : "و ظاهر (من) العموم في كل من يريد زينة الحياة الدنيا، والجزاء مقررون بمشيئته تعالى كما بين ذلك في قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ [الإسراء: ١٨] الآية."

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد هي عامة في جميع الخلق، قاله جماعة من السلف □ ، وهو قول كثير من المفسرين، □ واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا وَأَثَاثَهَا وَزَيَّتَهَا يَطْلُبُ بِهِ، نُوَفَّ إِلَيْهِمْ أَجْوَرُ أَعْمَالِهِمْ فِيهَا وَثَوَابَهَا . وَهُمْ فِيهَا يَقُولُونَ: وَهُمْ فِي الدُّنْيَا لَا يُبْخَسُونَ يَقُولُونَ: لَا يُنَقْصُونَ أَجْرَهَا، وَلَكُنُّهُمْ يُوَفَّونَهُ فِيهَا".

وقال السمرقندى: يعني: من كان يريد بعمله الدنيا، ولا يريد به وجه الله.

قال ابن العربى □: "هي عامة في كل من ينوي غير الله بعمله، كان معه

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/١٦١) (٢٠٩/٥).

٢ - كسعيد ابن جبير، وعلى بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان ، وابن عباس والحسن، وميمون بن مهران. ذكره الطبرى (٨/١٢)، وابن أبي حاتم (٦/٢٠١١-٧/٢٠١٠) بسنده.

٣ - الطبرى (٨/١٢)، السمرقندى (٢/٤١)، ابن العربى (٣/١٢)، ابن الجوزى (٤/٧١)، الرازى (١٧/٣٢٩)، القرطبي (٩/١٣)، الخازن آية ١٥، البقاعي (٣/٥١٣)، الجلالين آية ١٥، الشرييني (٤/٥٥)، أبي السعود (٤/١٩٣)، الألوسي (١٢/٢١)، ابن عاشور (١٢/٢٢).

٤ - محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي الأندلسى الإشبيلي المالكى، أبو بكر، الإمام العلامة

أصل إيمان ، أو لم يكن.

القول الثاني : المراد هم أهل الكفر فقط . قاله الضحاك، وهو قول بعض المفسرين. □

قال النحاس: قال الضحاك: يعني المشركين، إذا عملوا عملا جوزوا عليه في الدنيا... قال أبو جعفر: وأحسنها قول الضحاك، لقوله بعد ذلك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْنَّارُ﴾ [هود: ١٦].
وقال الواحدى: (من كان يريد الحياة الدنيا) أي: مَنْ كَانَ يَرِيدُهَا مِنَ الْكُفَّارِ، وَلَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَلَا بِالثَّوَابِ وَالْعَقَابِ.

قال ابن عطية: قالت فرقه: ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الكفرة:
 هذا قول قتادة والضحاك.

القول الثالث : المراد هم اليهود والنصارى، قاله أنس، ذكره بعض المفسرين. □

قال الرازى: إن المراد: اليهود والنصارى؛ وهو منقول عن أنس.
وقال ابن كثير: وقال أنس بن مالك والحسن: نزلت في اليهود والنصارى.
وقال ابن عادل: وقال أنس رضي الله عنه المرادُ اليهود والنَّصَارَى.

القول الرابع: المراد هم أهل الرياء، قاله مجاهد. ذكره بعض المفسرين. □

الحافظ القاضي، صاحب التصانيف، توفي سنة ٥٤٣ هـ. سير أعلام النبلاء (٢٠/١٩٧)، البداية والنهاية (١٢/٢٢٨)، شذرات الذهب (٤/١٤).

١ - النحاس(١/٥٠٢)، الواحدى في الوجيز آية ١٥، ابن عطية (٣/١٥٥)، ابن الجوزى (٤/٧١)، الرازى (١٧/٣٢٩)، القرطبي (٩/١٣)، ابن جزي (٢/١٨٧)، ابن عادل (١٠/٤٥١)، الشعابى (٢/١١٩)، الشوكانى (٢/٤٨٤).

٢ - الرازى (١٧/٣٢٩)، ابن كثير (٤/٢٦٩)، ابن عادل (٣/٤٥١)، الشوكانى (٢/٤٨٤).

٣ - الفراء (٢/٦)، ابن عطية (٣/١٥٥)، الرازى (١٧/٣٢٩)، القرطبي (٩/١٣)، ابن كثير (٤/٢٦٩)، الشعابى (٢/١١٩).

قال الفراء: يقول: من كان يريد بعمله من أهل القبلة ثواب الدنيا عجل له ثوابه ولم يبخس أي لم ينقص في الدنيا.

قال ابن عطية: وقال مجاهد: هي في الكفرة وفي أهل الرياء من المؤمنين.

وقال الرازبي: إن الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول ﷺ الغائم من دون أن يؤمّنوا بالآخرة وثوابها.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد هي عامة في جميع الخلق، فهو أظهر الأقوال، وذلك لأن دراج كل الأقوال تحته.

مع إن البعض قد استشكّله من وجهه أن قوله بعدها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيَسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ لا يليق بالمؤمن، وذلك: لأن فيه إشارة إلى التخليد في النار، والمؤمن لا يخلد لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].
وأجيب عنه بالأتي :

١. إن ما ورد في الإشكال محمول على ما لو كانت وفاته على الكفر.
 ٢. ليس المراد من الآية الخلود وإنما المعنى ليس لهم إلا النار في أيام معلومة، ثم يخرج منها، بفضل الله ورحمته.
- واستدل القائلون بأن المراد الكفار والمنافقون وأهل الرياء بقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيَسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ على سبيل الحصر لهؤلاء في دخول النار والخلود فيها.
- واستدل القائلون بأن المراد الكفار لتقدم الآيات السابقة في ذكر أحواهم.
والجواب عن ذلك: قد سبق الجواب عن المراد بهذه الآية، وأما ذكر الكفار

سابقاً، فليس هناك علاقة خاصة في ذلك، وإنما تحذير الكل من العمل الدنيوي البحث والتأكيد على ضرورة الإخلاص من حيث أن المؤمن يزداد حرصاً على إخلاص العمل لله ، وأما الكافر والمنافق والمرائي واليهودي والنصراني فيحرص على الدخول في الإسلام .

الترجح

يترجح القول إن المراد هي عامة في جميع الخلق، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأن القول بالعموم يندرج تحته الأقوال الأخرى.

قال ابن الجوزي: "اختلفوا فيما نزلت على أربعة أقوال.

أحدها: أنها عامة في جميع الخلق، وهو قول الأكثرين".

٢. ولأن الآية بيان لقوله ﷺ ((إِنَّمَا الْأَعْمَالَ بِالنِّيَاتِ)).

قال ابن العربي: "وذلك لأن العبد لا يعطى إلا على وجه قصده، وبحكم ما ينعقد ضميره عليه، وهذا أمر متفق عليه في الأمم من أهل كل ملة."

٣. لأنه أجمع الأقوال وأمنعها.

٤. لأنه قد فسر في آيات أخرى.

قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءَ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِنَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^١ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعِيهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلُّ نِعْمَةٍ هَوْلَاءُ وَهَوْلَاءُ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ [الإسراء: ١٨ - ٢٠].

والله تعالى أعلم

١ - رواه البخاري في صحيحه أول حديث فيه . / كتاب بدء الوحي / باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْنَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَنَطَّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾؟

قال أبو حيان : "والضمير في قوله : ما صنعوا فيها، الظاهر أنه عائد على الآخرة." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الضمير يعود على الآخرة، وهو قول جماعة من المفسرين، واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري : "﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ وحط في الآخرة ما صنعوه، أو صنيعهم، يعني : لم يكن له ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة، إنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا."

وقال البيضاوي: "﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ لأنه لم يبق لهم ثواب في الآخرة، أو لم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله."

وقال النسفي : "حط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم أي لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يزيدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا." □
القول الثاني: إن الضمير يعود على الدنيا، وهو قول جماعة من المفسرين.

١ - البحر المحيط (ح ٥/٥) (٢٦١ ل ٥/٢١٠).

٢ - الزمخشري (٢/٢٦١)، البيضاوي (٢/٣)، النسفي (٢/٢٦٣)، الجلالين آية ١٦، الشعالي (٢/١١٩)، الشربيني (٢/٥٥)، الشوكاني (٢/٤٨٤)، الألوسي (١٢/١٣).

٣ - الطبرى (١٢/١٠)، السمرقندى (٢/١٤١)، الواحدى فى الوسيط (٢/٥٦٧)، البغوى آية ١٦،

قال الطبرى: «وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا» يقول: وذهب ما عملوا في الدنيا.

وقال السمرقندى: «وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا» يعني: ثواب أعمالهم في الدنيا، لأنه لم يكن لوجه الله تعالى.

وقال الواحدى: ما عملوا في الدنيا من حسنة لأهتم لم يروا لها ثوابا.

القول الثالث : جواز عود الضمير على الآخرة وجواز عوده على الدنيا، وهو قول بعض من المفسرين. (□)

قال ابن جزي: الضمير في (فيها) هنا يعود على الآخرة إن تعلق المجرور بحطط، ويعود على الدنيا إن تعلق بصنعوا.

وقال أبو السعود: «وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا» أي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الأعمال التي كانت تؤدي إلى الثواب لو كانت معمولة للآخرة أو حبط ما صنعوه في الدنيا من أعمال البر إذ شرط الاعتداد بها الإخلاص.

وقال الجمل: يجوز أن يتصل فيها بحطط والضمير على هذا يعود على الآخرة أي: وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة، ويجوز أن يتصل بصنعوا فالضمير على هذا يعود على الحياة الدنيا.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما من قال إن الضمير يعود على الآخرة، فلأن المجرور متعلق

بقوله (حطط)، والمعنى: وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة.

وأما من قال إن الضمير يعود على الدنيا، فلأنه متعلق بقوله (صنعوا)،

وقد عاد عليها قبل في الآية السابقة وهي قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا وَزِينَهَا نُوقِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [١٥] هود: ١٥.

ابن الجوزي (٤/٧١)، الرازى (١٧/٣٣١)، ابن كثير (٤/٢٦٩)، الخازن آية ١٦، ابن عادل (١٢/٢٢).

١ - ابن جزي (٢/١٨٧)، أبي السعود (٤/١٩٣)، الجمل (٤/٣٨٦)، ابن عاشور (١٢/٢٢).

• وأما من قال بجواز القولين ، فهو أقرب وأجمع.

الترجيح:

يترجح القول بجواز عود الضمير على الآخرة و بجواز عوده على الدنيا،
وذلك :

١. لتساوي قوة الاستدلال في القولين.

٢. لأنه جمع بين القولين.

٣. لصحة المعنى في كلا القولين.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بِينَتِهِ مِنْ رَّبِّهِ، وَيَتَلَوُهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ، كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ، مِنَ الْأَخْزَابِ فَاللَّارُ مَوْعِدُهُ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٧] هود: . ١٧

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالشاهد في قوله ﴿وَيَتَلَوُهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾؟

قال أبو حيان : "والذي يظهر في تفسير هذه الآية أنه تعالى لما ذكر الكفار وأنهم ليس لهم إلا النار، أعقب بضدهم وهم المؤمنون، وهم الذين على بينة من ربهم، والشاهد القرآن، ومنه عائد على ربه . ويidel على أن الشاهد القرآن ذكر قوله: ومن قبله، أي : ومن قبل القرآن كتاب موسى، فمعناه : أنه تظافر على هدایته شيئاً: كونه على أمر واضح من برهان العقل، وكونه يوافق ذلك البرهان هذين الكتاپين الإلهيين القرآن والتوراة، فاجتمع له العقل والنقل." □

الدراسة:

في المسألة ثمانية أقوال:

القول الأول: المراد به القرآن . وهو قول جماعة من المفسرين، (□) واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري : "أي شاهد يشهد بصحته، وهو القرآن (منه) من الله."

قال الرازبي : "وقال آخرون: بل ذلك الشاهد هو كون القرآن واقعاً على

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٦٢) (١٦٢/٥).

٢ - الزمخشري (٢/٢٦١)، الرازبي (١٧/٣٣١)، البيضاوي (٣/٢٢٦)، النسفي (٢/٢٦٣)، ابن جزي (٢/٤٨٨)، الثعالبي (٢/١١٩)، النووي الحاوي آية ١٧، أبو السعود (٤/١٩٣)، الألوسي (١٢/٢٣)، القاسمي (٩/١٠٦)، ابن عاشور (١٢/٢٥).

ووجه يعرف كل من نظر فيه أنه معجزة وذلك الوجه هو اشتغاله على الفصاحة التامة والبلاغة الكاملة وكونه بحيث لا يقدر البشر على الإتيان بمثله.

وقال البيضاوي: "شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن."

القول الثاني: المراد به الرسول ﷺ ، قاله بعض السلف، (□) وهو قول جماعة (□) من المفسرين.

قال الطبرى: "وقال آخرون: يعني بقوله: ﴿وَيَتَلَوُهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ معداً ﷺ ."

ذكر من قال ذلك:

"...في قوله (□): ﴿وَيَتَلَوُهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قال: الشاهد ﷺ .."

وقال ابن أبي حاتم: ﴿وَيَتَلَوُهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ يعني: محمداً شاهد من الله.

وقال الثعلبي: "هو رسول الله".

القول الثالث: المراد به جبريل ﷺ ، قاله جماعة من السلف، وهو قول وهو قول كثير من المفسرين.

قال الفراء: "يعني جبريل ﷺ يتلو القرآن، الهاء للقرآن".

وقال الطبرى: وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصواب في تأويل قوله :

١ - الحسين بن علي، مجاهد، ابن زيد، عكرمة.

٢ - الطبرى (١٠/١٢)، ابن أبي حاتم (٢٠١٤/٦)، الثعلبي آية عن ١٧ عن الحسين، ابن عطية (٣/١٥٧)، الرازى (١٧/٣٣١)، القرطبي (٩/١٦)، ابن كثير (٤/٢٦٩).

٣ - وسنده: حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن سليمان العلاف، عن الحسين بن عليّ.

٤ - وسنده " حدثنا أبو سعيد الأشجع، ثنا أبوأسامة، عن عوف، عن سليمان العلاف، عن الحسين بن عليّ".

٥ - الفراء (٦/٢)، الطبرى (١٠/١٢)، النحاس (١٠٥/١)، السمرقندى (١٤١/٢)، الواحدى فى الوجيز والبغوى آية ١٧، ابن عطية (٣/١٥٧)، الرازى (١٧/٣٣١)، ابن كثير (٤/٢٦٩)، الخازن آية ١٧، البقاعى (٣/٥١٢)، الجلالين آية ١٧، الشربى (٢/٥٥)، الشوكانى (٢/٤٨٤).

﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾: قول من قال : هو جبرائيل^{عليه السلام}، لدلالة قوله : وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ وَذَلِكَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَتَلَ قَبْلَ الْقُرْآنِ كِتَابٌ مُوسَى، فَيَكُونُ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ قُولِهِ مِنْ قَالٍ : عُنِيَّ بِهِ لِسَانُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ مُحَمَّدٌ نَفْسُهُ، أَوْ عَلِيًّا عَلَى قُولِهِ مِنْ قَالٍ : عُرِيَّ بِهِ عَلِيًّا. وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا كَانَ تَلَأَ ذَلِكَ قَبْلَ الْقُرْآنِ أَوْ جَاءَ بِهِ مِنْ ذِكْرِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ أَنَّهُ عُنِيَّ بِقُولِهِ: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ غَيْرُ جَبْرِيلِ ﷺ.

وقال النحاس: قال النبي ﷺ ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ قال: جَبْرِيلُ ﷺ.

القول الرابع: المراد به علـيـ بن أـبـي طـالـبـ ^{عليه السلام} ، وذكره بعض المفسرين.
قال الطبرـيـ : وقال آخـرـونـ: هو عـلـيـ بن أـبـي طـالـبـ ... قال عـلـيـ ^{عليه السلام}: ما من رـجـلـ من قـرـيـشـ إـلـا وـقـدـ نـزـلـتـ فـيـهـ الـآـيـةـ وـالـآـيـاتـ . فـقـالـ لـهـ رـجـلـ: فـأـنـتـ فـأـيـ شـيـءـ نـزـلـ فـيـكـ؟ فـقـالـ عـلـيـ: أـمـاـ تـقـرـأـ الـآـيـةـ الـتـيـ نـزـلـتـ فـيـ هـوـدـ ﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾

١ - الطبرـيـ (١٢/١٠)، ابن أـبـي حـاتـمـ (٦/٢٠١)، الشـاعـبيـ آيـةـ (١٧)، ابن عـطـيةـ (٣/١٥٧)، ابن الجـوزـيـ (٤/٧١)، الرـازـيـ (١٧/٣٣١)، القرـطـبـيـ (٩/١٦)، الحـازـنـ آيـةـ (١٧).

٢ - وسـنـدـهـ: حـدـثـنـاـ مـحـمـدـ بـنـ عـمـارـةـ الـأـسـدـيـ، قـالـ: ثـنـاـ رـزـيقـ بـنـ مـرـزـوقـ، قـالـ: ثـنـاـ صـبـاحـ الـفـرـاءـ، عـنـ جـابـرـ، عـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ نـجـحـ، قـالـ: قـالـ عـلـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ.

قال محمود شاكر (١٥/٢٧٢) تفسير الطـبـرـيـ: الأـثـرـ (٤٨٠/١٨٠) - (رـزـيقـ بـنـ مـرـزـوقـ الـكـوـفـيـ الـمـقـرـئـ الـبـجـلـيـ)، روـيـ عنـ أـبـيـ الـأـحـوـصـ، وـابـنـ عـيـنـهـ، وـسـهـلـ بـنـ شـعـيبـ. وـروـيـ عـنـ أـمـدـ بـنـ يـحـيـ الصـوـفـيـ، وـأـبـوـ حـاتـمـ الـرـازـيـ، وـقـالـ: صـدـوقـ. مـتـرـجـمـ فـيـ اـبـنـ أـبـيـ حـاتـمـ (١/٢٥٠). وـ(صـبـاحـ الـفـرـاءـ) لـمـ أـجـدـهـ، وـأـخـشـيـ أـنـ يـكـوـنـ هـوـ (صـبـاحـ بـنـ يـحـيـ الـزـنـيـ)، وـهـوـ الـشـيـعـيـ الـمـتـرـوـكـ، وـ(جـابـرـ) هـوـ الـجـعـفـيـ (جـابـرـ بـنـ يـزـيدـ الـجـعـفـيـ)، وـهـوـ ضـعـيفـ، بـلـ رـبـماـ كـانـ القـوـلـ فـيـهـ أـشـدـ، وـكـانـ فـوـقـ ذـلـكـ رـافـضـيـاـ يـشـتمـ أـصـحـابـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ، وـقـالـ اـبـنـ حـبـانـ: كـانـ مـنـ أـصـحـابـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ سـبـأـ، وـكـانـ يـقـوـلـ: إـنـ عـلـيـ يـرـجـعـ إـلـىـ الـدـنـيـاـ. وـ(عـبـدـ اللـهـ بـنـ نـجـيـ بـنـ سـلـمـةـ الـكـوـفـيـ الـحـضـرـمـيـ)، لـيـسـ بـالـقـوـيـ، كـانـ أـبـوـهـ عـلـىـ مـطـهـرـةـ عـلـىـ ﷺ
قال البخارـيـ : فيه نـظـرـ . مـتـرـجـمـ فـيـ التـهـذـيـبـ، وـابـنـ أـبـيـ حـاتـمـ (٢/٢١٨)، ومـيـزـانـ الـاعـدـالـ (٢/٨٢)، وـقـالـ الـذـهـيـ: روـيـ عـنـ جـابـرـ الـجـعـفـيـ، فـالـنـكـارـةـ مـنـ جـابـرـ. وـوـثـقـهـ النـسـائـيـ. وـكـانـ فـيـ الـمـطـبـوـعـةـ: عـبـدـ اللـهـ بـنـ يـحـيـ. لـمـ يـحـسـنـ قـرـاءـةـ الـمـخـطـوـطـةـ، وـلـمـ يـعـرـفـ الـاسـمـ.

شَاهِدُ مِنْهُ ﴿١﴾

وقال ابن أبي حاتم: ... قال علي^(□): ما في قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية، قيل له: فما نزل فيك؟ قال **﴿وَيَتَلَوُهُ شَاهِدُ مِنْهُ﴾** وقال التعليق: وقيل: هو علي بن أبي طالب.
القول الخامس: المراد به لسان الرسول الذي يتلو القرآن، وهو قول بعض المفسرين^(□).

قال الطبرى: وقال محمد بن الحنفية^(□): قلت لأبي أنت التالي؟ قال: وما تعنى بالتالي؟ قلت: قوله: **﴿وَيَتَلَوُهُ شَاهِدُ مِنْهُ﴾** قال: وددت أنني هو ولكنه لسان رسول الله.

وقال النحاس: وقال الحسن: **﴿شَاهِدُ مِنْهُ﴾** يعني لسان.
وقال التعليق: وقال الحسن وقتادة: هو لسان رسول الله صلوات الله عليه.
القول السادس: المراد به ملك يحفظه، وهو قول بعض المفسرين^(□).

قال الطبرى: عن مجاهد: **﴿وَيَتَلَوُهُ شَاهِدُ مِنْهُ﴾** قال: معه حافظ من الله ملك.

١ - وسنه: عن الحسين بن بزيد الطحان، ثنا إسحاق بن منصور، ثنا قيس، عن الأعمش، عن المنهال، عن عباد بن عبد الله قال: قال علي ..

٢ - الطبرى(١٢/١٠)، النحاس(١/٥٠٢)، التعليق آية ١٧، ابن عطية (٣/١٥٧)، ابن الجوزي (٤/٧١)، الرازى(١٧/٣٣١)، القرطبي(٩٦/١)، الخازن آية ١٧.

٣ - وسنه: حدثى محمد بن خلف، قال: ثنا حسين بن محمد، قال: ثنا شيبان، عن قتادة، عن عروة، عن محمد ابن الحنفية.

ومحمد بن الحنفية: هو محمد بن علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، القرشي الهاشمى، أخوه الحسن والحسين، وأمه من سبى اليمامة زمن أبي بكر الصديق، وهي خولة بنت جعفر الحنفية، توفي سنة ٨١هـ. طبقات ابن سعد(٥٩١/٥)، تاريخ البخارى(١٨٢/١)، سير أعلام النبلاء(٤/١١٠).

٤ - الطبرى(١٢/١٠)، التعليق والمأوردى آية ١٧، ابن الجوزي (٤/٧١)، القرطبي (٩٦/١)، الخازن آية ١٧.

وقال الثعلبي: عن مجاهد قال: هو ملك يحفظه ويستدده.

وقال الماوردي: إنه ملك يحفظه، قاله مجاهد.

(□) القول السابع: المراد به الإنجيل، وهو قول بعض المفسرين.

قال الفراء: وقد قيل في قوله ﴿وَيَتَلَوُهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ يعني الإنجيل يتلو القرآن، وإن كان قد أُنْزِل قبله. يذهب إلى أنه يتلوه بالتصديق.

وقال ابن عطية: وقالت فرقه: هو الإنجيل.

وقال القرطبي: وقال الفراء قال بعضهم : ﴿وَيَتَلَوُهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الإنجيل، وإن كان قبله فهو يتلو القرآن في التصديق.

القول الثامن: المراد به صورة الرسول ﷺ ، وهو قول الثعلبي وابن الجوزي (□) والقرطبي.

قال الثعلبي: وقال بعضهم: الشاهد صورة النبي ﷺ ووجهه ومخائيله، لأن كل من كان له عقل ونظر إليه علم أنه رسول الله.

وقال ابن الجوزي: إنه صورة رسول الله ﷺ ووجهه ومخائيله، لأن كل عاقل نظر إليه علم أنه رسول الله ﷺ.

وقال الرازمي: وعلى هذا الوجه قالوا إن المراد أن صورة النبي ﷺ ووجهه ومخائيله كل ذلك يشهد بصدقه، لأن من نظر إليه بعقله علم أنه ليس بجنون ، ولا كاهن ولا ساحر ولا كذاب والمراد بكون هذا الشاهد منه كون هذه الأحوال المتعلقة بذات النبي ﷺ.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

• أما القول إن المراد به القرآن، فهو أظهر الأقوال، وسيأتي بيان

١ - الفراء(٢/٦)، ابن عطية(٣/١٥٧)، القرطبي(٩/١٦)، الخازن آية ١٧.

٢ - الثعلبي آية ١٧، ابن الجوزي (٤/٧١)، الرازمي(١٧/٣٣١)، القرطبي(٩/١٦).

ذلك.

- وأما القول إن المراد به الرسول ﷺ فإنه يندرج تحته القول بأن المراد به لسان الرسول، والقول بأن المراد به صورة الرسول ﷺ. ودلالة السياق لا تقويه.
- وأما القول بأن المراد به جبريل عليه السلام فيندرج تحته القول بأن المراد به ملك يحفظه، وإن ما ذكر من كون الرسول لم يتل قبل القرآن كتاب موسى فصحته ليس دليلا هنا، لأن النبي الأمي كما وصفه ربه بذلك، ودلالة السياق تبعده.
- وأما القول بأن المراد به على بن أبي طالب عليه السلام، فقد ورد في روایات أخرى إنكاره لذلك وذكرها المفسرون . وعدم ثبوت القائل في الرواية فهو مجهول، وليس عليا عليه السلام الوحيد من الصحابة ﷺ الذي انفرد بالتلاؤة.
- وأما القول بأن المراد به الإنجيل، فهو بعيد من ناحية إنزاله قبل القرآن .

الترجح:

يترجح القول بإن المراد هو القرآن. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة قوله تعالى «وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَى» من ناحيتين :
- الأولى: دلالة الضمير في قوله «قَبْلِهِ» فعود على القرآن أنساب وأكثر ملاءمة.

الثانية: دلالة التصرير بقوله «كِتَابٌ»، فيكون فيه توافق في الوصف.

٢. لدلالة العقل والنقل في كون القرآن كتاب هداية.
- قال أبو حيان: "فمعناه: إنه تظاهر على هدايته شيئاً: كونه على أمر واضح

من برهان العقل، وكونه يوافق ذلك البرهان هذين الكتابين الإلهيين القرآن والتوراة، فاجتمع له العقل والنقل".

قال السعدي : " ﴿ وَيَتْلُوهُ ﴾ أي: يتلو هذه البنية والبرهان برهان آخر، ﴿ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ وهو شاهد الفطرة المستقيمة، والعقل الصحيح، حين شهد حقيقة ما أوحاه الله وشرعه، وعلم بعقله حسنه، فازداد بذلك إيماناً إلى إيمانه . (و) ثم شاهد ثالث وهو ﴿ كِتَابٌ مُّوسَى ﴾ التوراة ."

٣. دلالة السياق .

قال ابن جزي : " والشاهد يريد به القرآن، فالمعنى يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن، فيزيد وضوحاً وتعظماً دلالته".
والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعَرِّضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [١٨].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بالأشهاد في قوله ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ ﴾ ؟

قال أبو حيان: "والأشهاد: جمع شاهد، كصاحب وأصحاب، أو جمع شهيد كشريف وأشراف، والأشهاد الملائكة الذين يحفظون عليهم أعمالهم في الدنيا، أو الأنبياء، أو هم المؤمنون، أو ما يشهد عليهم من أعضائهم أقوال".

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: هم الملائكة الذين يحفظون عليهم أعمالهم في الدنيا، قاله مجاهد، وقتادة، وهو قول كثير من المفسرين.

قال الطبرى": قوله: ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ ﴾ يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوا لهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون، وهم جمع شاهد مثل الأصحاب الذي هو جمع صاحب.

١ - البحر الحيط (ح/٥ ل/١٦٣) (٢١٢/٥).

٢ - الطبرى (١٢/١٣)، ابن أبي حاتم (٢٠١٧/٦)، النحاس (١/٥٣)، السمرقندى (٢/٤)، الشعابى والماوردى والبغوى آية ١٨، الزمخشري (٢٦٣/٢)، ابن عطية (٣/٥٩)، ابن الجوزى (٤/٧١)، الرازى (١٧/٣٣٢)، الخازن آية ١٨، القرطبى (٩/١٨)، النسفي (٢٦٣/٢)، ابن جزي (٢/١٨٨)، ابن عادل (١٠/٤٥٦)، الثعالبى (٢/١١٩)، الجلالين آية ١٨، الشreibى (٢/٥٥)، أبي السعود (٤/١٩٣)، الألوسى (١٢/٣٣).

... عن مجاهد ^(□): «**وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ**» قال: الملائكة.

... عن قتادة ^(□): «**وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ**» والأشهاد: الملائكة، يشهدون على بني آدم بأعمالهم.

قال ابن أبي حاتم: "عن مجاهد ^(□) قال: هؤلاء الملائكة، يشهدون على بني آدم بأعمالهم."

وقال النحاس: وقال مجاهد: الأشهاد الملائكة.

وقال سفيان: سألت الأعمش عن الأشهاد فقال: هم الملائكة.

قال السمرقندى: "وقال قتادة، ومجاهد، ويقول الأشهاد، يعني : الملائكة." يعني الرسـل: قد بلغناهم الرسـالة. وقال الضحاك: ويقول الأشهاد، يعني: الأنبياء. القول الثاني: هم الأنبياء. وهو قول كثير من المفسـرين. ^(□)

قال الطبرى: "وقوله: «**وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ**» يعني الم لائكة والأنبياء الذين شهدوا لهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون، وهم جمع شاهد مثل الأصحاب الذي هو جمع صاحب.

... قال: سمعت الضحاك ^(□) يقول في قوله : «**وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ**» يعني

١ - وسنده: "حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا نمير بن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيج، عن مجاهد."

٢ - وسنده: "حدثنا بشـر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة".

٣ - وسنده: "حدثنا حجاج بن حـزة، ثـنا شـبـابـة، ثـلـ ورـقـاء، عن ابن أبي نـجـيجـ، عن مجـاهـدـ".

٤ - الطبرى (١٢/١٣)، ابن أبي حاتم (٦/١٧٢٠)، النحاس (١/٣٥٣)، السمرقندى (٢/٤١)، الشعـلىـ والمـاـورـدـيـ وـالـبـعـوـيـ آـيـةـ ١ـ٨ـ، الزـخـشـريـ (٢ـ٦ـ٢ـ)، اـبـنـ عـطـيـةـ (٣ـ٩ـ١ـ)، اـبـنـ الجـوزـيـ (٤ـ٧ـ)، الرـازـيـ (١ـ٧ـ٣ـ٣ـ)، القرـطـبـيـ (٩ـ١ـ)، النـسـفـيـ (٢ـ٦ـ٣ـ)، اـبـنـ جـزـيـ (٢ـ٨ـ٨ـ)، اـلـخـازـنـ آـيـةـ ١ـ٨ـ، اـبـنـ عـادـلـ (١ـ٠ـ٤ـ٥ـ٦ـ)، اـبـيـ السـعـودـ (٤ـ٩ـ١ـ)، الشـوـكـانـيـ (٢ـ٩ـ٤ـ)، الـأـلوـسـيـ (١ـ٢ـ٣ـ).

٥ - وسنده: "حدـثـتـ عنـ الحـسـينـ بنـ الفـرجـ، قالـ: سـمعـتـ أـبـاـ مـعاـذـ، قالـ: ثـناـ عـبـيدـ بنـ سـليمـانـ، قالـ: سـمعـتـ الضـحاـكـ".

الأنبياء والرسل".

وقال ابن أبي حاتم: "عن الضحاك^(□) يقول في قوله: ﴿ وَيَقُولُ أَلْأَشَهَدُ ﴾ يعني الأنبياء والرسل".

وقال النحاس: قال الضحاك: الأشهاد الأنبياء والمرسلون، قال الله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتْوَلَاءَ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١].

القول الثالث : هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون، وهو قول جماعة من المفسرين^(□)

قال الواحدي: (وَيَقُولُ أَلْأَشَهَدُ) وهم الأنبياء والملائكة والمؤمنون.
القول الرابع: ما يشهد عليهم من أعضائهم، ذكره أبو حيـان وأبو السعود.

قال الماوردي: إن الأشهاد أربعة: الملائكة والأنبياء والمؤمنون والأجساد ، قاله زيد بن أسلم.

وقال ابن الجوزي: الملائكة والنبيون وأمة محمد ﷺ يشهدون على الناس ، والجوارح تشهد على ابن آدم، قاله ابن زيد.
قال أبو السعود: أو من جوارحهم.

القول الخامس: هم الخلائق، وهو قول جماعة من المفسرين^(□).

١ - وسنده: حديث أبي، ثنا عبد العزيز بن منيب، ثنا أبي معاذ النحوي، قال: عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك.

٢ - الواعدي في الوجيز آية ١٨، ابن الجوزي (٤/٧١)، القرطبي (٩/١٨)، الخازن آية ١٨، الشوكاني (٢/٤٨٩).

٣ - الماوردي آية ١٨، ابن الجوزي (٤/٧١)، أبي السعود (٤/١٩٣).

٤ - الشعبي والماوردي والبغوي آية ٨٤، ابن عطية (٣/١٥٩)، ابن الجوزي (٤/٧١)، ابن كثير (٤/٢٧١)، ابن عادل (٢/٤٥٦)، الشعالي (٢/١١٩)، الشريبي (٢/٥٥)، الشوكاني (٢/٤٨٩) =

قال الشعبي: وقال قتادة: يعني الخلائق.

وقال الماوردي: الخلائق, قاله قتادة.

وقال البغوي: وقال قتادة: الخلائق كلهم.

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- إن ما ذكره المفسرون محتمل صحته إلا أنه في الأنبياء أكد .

كما قال تعالى ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ

﴿الأعراف: ٦﴾.

- وأما من استدل بحديث صفوان بن حمزه [□] قال: كنت آخذًا بيد

ابن عمر إذ عرض له رجل قال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيمة؟ قال: سمعته يقول: ((إن الله عز

وجل يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنبه ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإنني أغفرها لك اليوم))

ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون : ﴿ وَيَقُولُ

﴿الأشهند هؤلاء الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الآية﴾ [□].

الألوسي (١٢/٣٣).

١ - صفوان بن حمزه المازني البصري، العابد، أحد الأعلام، قال ابن سعد : ثقة له فضل وورع .. حدث عن بعض الصحابة . طبقات ابن سعد (١٤٧/٧)، تاريخ البخاري (٤/٣٥)، سير أعلام النبلاء (٤/٢٨٦).

٢ - صحيح البخاري / كتاب التفسير / باب ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ د﴾ / حديث رقم (٤٦٨٥).

فالحديث ليس فيه دلالة على معنى الأشهاد . وأنما يدل على عظيم رحمة الله بالمؤمنين وستره عليهم ، بالمقابل فضحية كبرى للكفار والمنافقين.

الترجح:

يترجح القول إن الأنبياء هم الأشهاد، وذلك:

١. بدلالة آيات أخرى.

قال تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وقال تعالى ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

٢. لأن الفائدة في اعتبار قول الأشهاد المبالغة في إظهار الفضحية. لاسيما من بذلوا لهم النصح والإرشاد.
- والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

قول من قوله ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؟

قال أبو حيان : " وقد يظهر أن قوله تعالى : ألا لعنة الله على الظالمين من كلام الله تعالى لا على سبيل الحكاية." (□)

الدراست

في المسألة قولان:

القول الأول: من كلام الله تعالى، وهو قول جماعة من المفسرين، (□) واختاره أبو حيان.

قال السمرقندى: وقال الله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، يعني: عذابه وغضبه عليه، المشركين.

وقال الرازي: "ثم لما أخبر عن حالم في عذاب القيمة أخبر عن حالم في الحال فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وبيان أنهم في الحال المعونون من عند الله".

القول الثاني: من كلام الأشهاد، وهو قول جماعة من المفسرين.
وقال الخازن: يعني يقول الله ذلك يوم القيمة فيلعنهم ويطردهم من رحمته.

قال الزمخشري: «يُعَرِّضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ» يحبسون في الموقف و يتعرض أعمالهم ويشهد عليهم «أَلَا شَهَدْنَا» من الملائكة والنبيين بأنهم الكاذبون على الله بأنه

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٦٣) (٢١٢/٥).

٢ - السمرقندى (١٤٨/٢)، الرازى (١٧/٣٣٢)، الخازن آية (١٨)، البقاعي (٣/٥١٢)، أبي السعود (٤/١٩٣)، الشوكانى (٤٨٩/٢)، الألوسى (٢١/٣٣).

٣ - الزخيري (٢٦٣/٢)، ابن كثير (٤/٢٧١)، الثعالبي (١١٩/٢)، الشريبي (٥٥/٢)، الشوكاني (٤٨٩/٢)، الألوسي (٣٣/٢١).

الأخذ ولداً وشريكاً، ويقال ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.
وقال ابن كثير: وأما الكفار والمنافقون فيقول: ﴿أَلَا شَهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. وهو جزء من حديث صفوان بن حرز.

وقال الثعالبي: قوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون داخلاً في مفعول القول، وإليه نحا بعضهم:
نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنه من كلام الله تعالى، فهو الظاهر.
- وأما القول إنه من كلام الأشهاد، ففيه بعد من حيث إن الأشهاد أدوا الشهادة ولا يمكنون طرد أحد من رحمته، وهو الموقف يمنع ذلك.

الترجح:

- يترجح القول إنه من كلام الله تعالى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:
١. لأنه الظاهر.
 ٢. لأن سبحانه هو المالك والمتصرف يرحم من يشاء ويعذب من يشاء.
 ٣. لأن فيه تهويلاً عظيمًا لما يحقي بهم من عاقبة ظلمهم.
 والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلَائِهِمْ يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِعُونَ السَّمَعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُونَ﴾ [٢٠].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِعُونَ السَّمَعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُونَ﴾؟

قال أبو حيان: وهذا استئناف إخبار عن حاهم في الآخرة، لأنهم جعوا إلى الكفر بالبعث الكذب على الله، وصدّ عباده عن سبيل الله، وبغي العوج لها، وهي الطريقة المستقيمة. ما كانوا يستطيعون السمع أخبار عن حاهم في الدنيا على سبيل المبالغة يعني : السمع للقرآن، ولما جاء به الرسول ﷺ. وما كانوا يبصرون أي: ينظرون إليه لبغضهم فيه . ألا ترى إلى حشو الطفيلي بن عمرو أذنيه من الكرسف ^(□)، وإباهية قريش أن يسمعوا ما نقل إليهم من كلام الرسول حتى تردهم عن ذلك مشيختهم ^(□)? أو إخبارا عن حاهم إذا ضعف لهم العذاب أي: أنه تعالى حتم عليهم بذلك، فهم لا يسمعون لذلك سماعاً يتتفعون به، ولا يبصرون لذلك ^(□).

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الضمير يعود على الكفار، وهو قول كثير من المفسرين، واختاره أبو حيان.

١ - والكرسف : القطن. القاموس المحيط ص ١٠٩٦.

٢ - قصة الطفيلي بن عمرو في طبقات ابن سعد (١٥٧/٢) وعيون الأثر (٢٣٩/١).

٣ - البحر المحيط (ح ٥/١٦٣) (٢١٢/٥).

٤ - الطبرى (١٤/١٢)، النحاس (١/٤٥٠)، السمرقندى (٢/٤٨)، الشعابى الواحدى فى الوجيز والبغوى آية (١٩/٩)، ابن عطية (٣/١٥٣)، ابن الجوزى (٤/٧٤)، الرازى (١٧/٣٣٥)، القرطبي (٩/١٩)،

قال الطبرى: "وقوله: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيْعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ فإنَّه اختلف في تأویله، فقال بعضهم : ذلك وصف الله به هؤلاء المشركين أنه قد خلق على سمعهم وأبصارهم، وأنهم لا يسمعون الحقّ، ولا يبصرون حُجَّةَ الله سماع متتفع ولا إبصار مهتدٍ".

وقال النحاس: "ومن أحسن ما قيل فيه وهو معنى قول ابن عباس إنَّ المعنى: لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع متتفع، ولا يبصرون بصر مهتدٍ لاشغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين".

وقال السمرقندى: "﴿يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يعني: الرؤساء يكون لهم العذاب بكفرهم، وبما أضلوا غيرهم، ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيْعُونَ السَّمْعَ﴾ في العذاب، لا يقدرون أن يسمعوا ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ في النار شيئاً.

ويقال: ذلك التضعيف لهم، لأنهم كانوا لا يستطيعون الاستماع إلى محمد ﷺ، في الدنيا من بغضه".

القول الثاني : الضمير يعود على آلة الكفار، وهو قول جماعة من المفسرين.^(□)

قال الطبرى: "وقال آخرون: إنما عني بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أُولَئِكَ﴾ آلة الذين يصدّون عن سب يل الله . وقالوا: معنى الكلام : أولئك وأهلتهم لم يكونوا معجزين في الأرض، ﴿يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيْعُونَ

= البيضاوى(٣/٢٢٦)، النسفي (٢/٢٦٣)، ابن جزي (٢/١٨٨)، الخازن آية ٢٠، ابن كثير (٤/٢٧١)، ابن عادل (١٠/٤٥٦)، البقاعي (٣/٥١٥)، الثعالبي (٢/١١٩)، الألوسي (٢١/٤٣)، ابن عاشر (١٢/٣٤).

١ - الطبرى (١٢/١٤)، النحاس (١/٤٥٠)، التعليق آية ٢٠، الزمخشري (٢/٢٦٣)، ابن عطية (٣/١٥٣)، ابن الجوزي (٤/٧٤)، ابن عادل (١٠/٤٥٦)، الشوكاني (٢/٤٨٩).

السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُونَ ﴿٢﴾ يعني الآلة أنها لم يكن لها سمع ولا بصر . هذا قول رُوي عن ابن عباس من وجه كره لضعف سنته.

وقال النحاس: وقد روي عنه - أي ابن عباس - ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِعُونَ السَّمْعَ﴾ يعني الآلة.

وقال الشعلبي: وقال بعضهم: إنما عنى بذلك الأصنام.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على الكفار، فهو ظاهر.
- وأما القول إن الضمير يعود على آلة الكفار، فهو بعيد . فكيف ينفي عنهم السمع والبصر، وهم في الحقيقة وأن كانوا يملكونها إلا أنهم لا يغدون عمن يعبدون من دون الله شيء.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على الكفار، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأن الظاهر.
٢. لدلالة السياق.
٣. لأن الكفار هم المحدث عنهم في الآية . فالأولى عود الضمير على المحدث عنه، وفقا لقاعدة الترجيح.
٤. لدلالة آيات أخرى على هذا المعنى.

وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوَّافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[فصلت: ٢٦] 

قال تعالى: ﴿وَيَلْعَلُ لِكُلِّ أَفَّاكِ أَثَيمٍ ﴾٧ يَسْمَعُ إِيمَانَ اللَّهِ ثُمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصْرَّ مُسْتَكْبِرًا
كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا ﴾ [الجاثية: ٧ - ٨].

قال تعالى ﴿ قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَإِنَّنِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلِمَكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [٢٨].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بالبينة في قوله ﴿ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّيْ ﴾؟

قال أبو حيان: "والظاهر أن البينة غير الرحمة، فيجوز أن يراد بالبينة المعجزة، وبالرحمة النبوة. ويجوز أن تكون البينة هي الرحمة." (□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن البينة غير الرحمة ، وهو قول كثير من المفسرين، (□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: يقول تعالى ذكره خبراً عن قيل نوح لقومه إذ كذبوا وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من النصيحة : ﴿ يَقُولُ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّيْ ﴾ على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمني له، ويجب عليّ من إخلاص العبدة له وترك إشراك الأوثان معه ف بها. ﴿ وَإِنَّنِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ يقول: ورزقني منه التوفيق والنبوة والحكمة، فآمنت به وأطعته في ما أمرني ونهاني .

قال نوح (□): ﴿ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّيْ ﴾ قال: قد عرفتها وعرفت بها أمره

١ - البحر الحيط (ح/٥ ل/١٦٦) (١٦/٥).

٢ - الطبرى (١٢/١٢)، السمرقندى (١٤٨/٢)، الماوردي والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٢٨ ، ابن الجوزى (٤/٧٨)، الرازى (١٧/٣٣٩)، القرطبي (٩/٢٥)، البيضاوى (٣/٢٣٠)، السفى (٢/٢٦٦)، ابن جزى (٢/١٩٠)، الخازن آية ٢٨ ، ابن عادل (١٠/٤٦٥)، البقاعى (٣/٥٢٣)، الشوكانى (٢/٤٩٢)، ابن عاشور (١٢/٥٠).

٣ - وسنده: حديثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج.

وأنه لا إله إلا هو، وآتاني رحمةً مِنْ عَنْدِهِ : الإسلام والهدى والإيمان والحكم والنبوة".

وقال السمرقندى: قال نوح : ﴿ قَالَ يَقُولُ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّي ﴾

يعنى: إن كنت على دين ويقين وبيان من ربى، ﴿ قَالَ يَقُولُ أَرَءَيْتُمْ إِنْ ﴾ يقول: أكرمنى بالرسالة والنبوة .

وقال الماوردى: قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَقُولُ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّي ﴾ فيه

وجهان:

أحدهما: يعني على ثقة من ربى، الثاني: على حجة من ربى، ﴿ وَإِنَّنِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: الإيمان.

والثاني: النبوة، قاله ابن عباس.

وقال الوحدى: ﴿ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّي ﴾ يقينٌ وبرهانٌ ﴿ وَإِنَّنِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ نبوةً .

وقال البغوى: قال نوح ﴿ يَقُولُ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّي ﴾ أي: بيان من ربى ﴿ وَإِنَّنِي رَحْمَةٌ ﴾ أي: هدى ومعرفة

(□) القول الثاني: إن البينة هي الرحمة، وهو قول جماعة من المفسرين.

قال الزمخشري: بإيتاء البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة.

وقال ابن عطية: قوله ﴿ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ ﴾ أي على أمر بين جلي، واهاء في (بينة) للمبالغة كعلامة ونسابة، و (إيتاؤه الرحمة) هو هدايـة للـبـيـنة، والمـشار إـلـيـهـ بـهـذـا

١ - الزمخشري (٢٦٥/٢)، ابن عطية (٣/١٦٤)، أبي السعود (٤/١٩٩)، الألوسي (١٢/٥٤).

كله النبوة والشرع.

وقال أبو السعود : المذكور ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ﴾ برهان ظاهر ﴿مِنْ رَبِّي﴾ وشاهد يشهد بصحة دعواي ﴿قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ﴾ هي النبوة، ويجوز أن تكون هي البينة نفسها جيء بها إيداناً بأنها - مع كونها بينة من الله تعالى - رحمة ونعمة عظيمة من عنده.

وقال الألوسي : ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ﴾ حجة ظاهرة ﴿مِنْ رَبِّي﴾ وشاهد يشهد لي بصحة دعواي ﴿وَءَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ﴾ هي النبوة على ما روی عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم، وجوز أن تكون هي البينة نفسها جيء بها إيداناً بأنها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة منه سبحانه، ووجه إفراد الضمير في قوله تعالى : ﴿فَعَمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي أخفيت على هذا ظاهر، وإن أريد بها النبوة . وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالآفراد لإرادة كل واحدة منهمما، أو لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزم خفاء البينة خفاء المدعى.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن البينة غير الرحمة ، فالمفسرون ذكروا فيها معاني كثيرة، مختلفة المبني لكنها متفقة المعنى.
- وأما القول إن البينة هي الرحمة ، فباعتبار الجمجم بين المعاني المذكورة.

الترجيح:

يترجح القول إن البينة غير الرحمة إلا أن بينهما عموما وخصوصا، فالرحمة

أعم من البينة، فالبينة رحمة من الله، ومن رحمة الله تأييد رسالته بالبينة.

قال القرطبي: ﴿قَالَ يَقُولُ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّي﴾ أي نبوة ورسالة؛
عن ابن عباس؛ وهي رحمة على الخلق.

ولأنه من قواعد الترجيح: أن القول المبني على التأسيس مقدم على القول
بالتأكيد. (□).

والله تعالى أعلم

١ - انظر قواعد الترجيح (٤٧٣/٢).

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿فَعِمِّيَتْ عَلَيْكُم﴾؟

قال أبو حيان: "الظاهر إنّ الضمير عائد على البينة، وبذلك يحصل الزم لهم من أنه أتى بالمعجزة الجلية الواضحة، وأنها على وضوحها واستنارتها خفيت عليهم، وذلك بأنه تعالى سلبهم علمها ومنعهم معرفتها . فإن كانت الرحمة هي البينة فعود الضمير مفرداً ظاهراً، وإن كانت غيرها كما اخترناه فقوله: وآتاني رحمة من عنده، اعتراض بين المتعاطفين".^(□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إنّ الضمير عائد على البينة ، وهو قول جماعة من المفسرين،^(□) واختاره أبو حيان.

قال السمرقندى: "﴿فَعِمِّيَتْ عَلَيْكُم﴾" ، يعني: عميت عليكم هذه البينة.

وقال الماوردي: "﴿فَعِمِّيَتْ عَلَيْكُم﴾" يعني البينة في قوله ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي﴾ وإنما قال ﴿فَعِمِّيَتْ عَلَيْكُم﴾ وهم الذين عموا عنها ، لأنها خفيت عليهم بترك النظر فأعماهم الله عنها.

وقال البيضاوى: "﴿فَعِمِّيَتْ عَلَيْكُم﴾" فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحدوا الضمير لأن البينة في نفسها هي الرحمة.

القول الثاني: إن الضمير لا يعود على البينة. وهو قول بعض من المفسرين.^(□)

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ٢٦٦) (١٦٦/٥).

٢ - السمرقندى (١٤٨/٢)، الماوردي ،البيضاوى (٢٣٠/٣)، ابن جزي (١٩٠/٢)، الخازن آية ٢٨، ابن عادل (٤٦٥/١٠)، البقاعي (٥٢٣/٣)، الشوكاني (٤٩٢/٢)، ابن عاشور (٥٠/١٢).

٣ - الزمخشري (٢٦٥/٢)، القرطبي (٢٥/٩)، أبي السعود (٤/١٩٩)، الألوسي (١٢/٥٤).

قال الزخري: ويجوز أن يريد بالبينة : المعجزة، وبالرحمة : النبوة. فإن قلت: قوله: ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ ظاهر على الوجه الأول، فما وجهه على الوجه الثاني؟ وحقه أن يقال فعميت؟ قلت: الوجه أن يقدّر فعميت بعد البينة، وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة: ومعنى عميت خفيت.

وقال القرطبي: والمعنى: فعميت الرحمة.

قال أبو السعود: فوجه إفراد الضمير في قوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ حينئذ ظاهر وإن أريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالإفراد لإرادة كل واحدة منها أو لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزم خفائها خفاء النبوة، أو لتقدير فعل آخر بعد البينة، ومعنى عميت أخفيت.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- إن هذه المسألة تبع لما ذكر في المسألة السابقة من حيث:
- من قال إن البينة غير الرحمة أعاد الضمير على كل واحدة منها.
- ومن قال إن البينة هي الرحمة فقد عاد الضمير إليهما.

الترجح:

يترجح القول بعود الضمير على البينة ، وهو ا ختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه يتوافق مع قاعدة الترجح وهي : [حمل ألفاظ الوحي على التبaines،] أرجح من حملها على الترادف [] والسبب :

١- التبaines في اللغة: أصل مادة بين، وهو بعد الشيء وانكشافه . معجم مقاييس اللغة (٣٢٧/١)، واصطلاحاً: الألفاظ المختلفة للمعاني المختلفة . روضة الناظر مع شرحها (٥٣/١)، التعريفات ص ٧٧.

٢- الترادف في اللغة: التابع. لسان العرب (٩/١١٥).
اصطلاحاً: الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد. البحر المحيط للزرκشي (٢/١٠٥).

لأن التباین هو الأصل والأکثر في اللغة.

٢. لأن القول بالتباین يفید معنی جدیدا بخلاف الترادف الذي يفید

تأکید ما سبق.

قال ابن تیمیة: "إن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر

أو مع دوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل
يكون فيه تقریب معناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن." (□)

"وذهب بعض العلماء (□) إلى جواز وقوع الترادف في القرآن لأنّه واقع في
اللغة، والقرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليبها، وفنون كلامها، والترادف من
ذلك... وسواء قيل بالترادف في القرآن أو قيل بعده، متى أمكن حمل ألفاظ
القرآن على التباین كان ذلك هو المعتمد، لموافقته الأصل، ولإفادته فائدة
جديدة وهي أولى من التأکید." (□)

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجیح (٤٨١/٢).

٢ - مجموع الفتاوى (٣٤١/١٣).

٣ - منهم الزركشي في كتابه البحر المحيط (١٠٨/٢).

٤ - قواعد الترجیح (٤٨٦/٢).

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُم مُّلْكُوْرَبِهِمْ وَلَنِكْتُمْ أَنْكُمْ قَوْمًا مُّجْهَلُوْنَ ﴾ [٢٩].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا ﴾؟

قال أبو حيان : "والضمير في (عليه) عائد إلى الإنذار، وإفراد الله بالعبادة

المفهوم من قوله لهم ﴿ أَلَا تَعْبُدُوْا إِلَّا اللَّهُ إِنَّى لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَّبَشِيرٌ ﴾ [٢] .

الدراسة:

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: الضمير يعود على الإنذار، وهو قول جماعة من المفسرين؛
واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري: والضمير في قوله : ﴿ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ راجع إلى قوله
لهم : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [٢٥] .
[٢٥].

وقال البقاعي: "(عليه) أي الإنذار".

وقال الألوسي: وقيل: الضمير للإنذار، وأفرد الله سبحانه بالعبادة.

القول الثاني : الضمير يعود على الدين، وذكره أبو حيان وأشار إليه
 الشنقيطي.

قال أبو حيان: وقيل: على الدين.

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٦٧) (٢١٨/٥).

٢ - الزمخشري (٢٦٥/٢)، البقاعي (٣/٥٢٣)، الألوسي (٢١/٥٤).

٣ - أبو حيان (٥/٢١٨)، الشنقيطي (٣/١٣).

وقال الشنقيطي: "إنه يدل أنه أخبر قومه أنه لا يسألهم مالا في مقابلة ما جاءهم به من الوحي والمهدى"

القول الثالث : الضمير يعود على الدعوة إلى التوحيد، وهو قول بعض المفسرين.^(□)

قال الطبرى: "يا قوم لا أسألكم على نصيحتي لكم ودعaitكم إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له مالاً: أجرًا على ذلك".

وقال ابن الجوزى: "أى على نصحي ودعائي إياكم".
وقال القرطبي: "أى على الدعاء إلى الله".

القول الرابع: الضمير يعود على تبليغ الرسالة، وهو قول كثير المفسرين.^(□)

وقال الثعلبى: "أى على الوحي وتبليغ الرسالة كناية عن غير مذكور".
وقال الواحدى: "على تبليغ الرسالة".

وقال البعوى: "أى: على الوحي وتبليغ الرسالة كناية عن غير مذكور".

القول الخامس : الضمير يعود على الإيمان، وهو قول السمرقندى
والقرطبي.^(□)

قال السمرقندى: "يعنى: لا أطلب منكم على الإيمان أجراً، يعني: رزقاً ولا جعلاً".

وقال القرطبي: "أى على الإيمان به".

١ - الطبرى (١٢/١٩)، ابن الجوزى (٤/٧٨)، القرطبي (٩/٢٥)، ابن كثير (٤/٢٧٥)، أبي السعود (٤/١٩٩)، الألوسي (٢١/٥٤)، السعدي ص ٣١٨.

٢ - الثعلبى والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٢٩، ابن عطية (٣/١٦٤)، الرازى (١٧/٣٤١)، البيضاوى (٣/٢٣١)، النسفي (٢/٢٦٧)، ابن جزي (٢/١٩٠)، الحاذن آية ٢٩، ابن عادل (١٠/٤٧٣)، الجلالين آية ٢٩، الشربى (٢/٥٩)، الشوكانى (٢/٤٩٤)، الألوسى (١١/٥٤).

٣ - السمرقندى (٢/١٤٨)، القرطبي (٩/٢٥)،

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن ما ذكره المفسرون أقوال متقاربة تصح أن تكون معنى يعود الضمير إليه.

الرجيح:

يترجح القول إن كل ما ذكره المفسرون أقوال متقاربة تصح أن تكون معنى يعود الضمير إليه، وذلك:

١. لأنها أقوال متقاربة.

٢. لدلالة السياق.

٣. لأنها أقوال تتعلق بواقع الأنبياء في دعوة أقوامهم.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَنَدَتْنَا فَأَكَيْثَرَتْ حِدَانَاهَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢].

قال أبو حيان "قد جادلتنا) الظاهر المبالغة في الخصومة" (□)

الدراسة:

الدراسة:

في المسألة قولان:

(□) القول الأول: المعنى المبالغة في الخصومة، وهو قول كثير من المفسرين، واختاره أبو حيyan.

قال الطبرى : " يقول تعالى ذكره: قال قوم نوح العليل: قد خاصمتنا فأكثرت خصومنا".

"قال الشعلبي: ماريتنا وخاصمتنا."

قال ابن عطية: "معناه: قد طال منك هذا الجدال ، وهو المراجعة في الحجة والمخاخصة والمقابلة بالأقوال حتى تقع الغلبة ، وهو مأنوذ من الجدل وهو شدة القتل ومنه : حيل مجدول ، أي مرّ ، ومنه قيل للصقر أجدل لشدة بنيته وقتل أعضائه".

القول الثاني: المعنى حاججتنا. وهو قول بعض المفسرين.

١ البحر المحيط (١٦٨/٥/٢١٩)

٢ - الطبرى (١٢/٢٠)، الشعبي والبغوي آية ٣٢، ابن عطية (١٥٦/٣)، ابن الجوزي (٤/٨٠)، القرطبي (٩/٢٧)، البيضاوى (٣/٢٣٢)، النسفي (٣/١٣)، جلال الدين (٢/٢٦٧)، الشوكانى (٢/٤٩٢) والآلوسى (٣/٢٣٢)، ابن عاشور (١٢/٦٠).

٣ - ابن كثير (٤/٢٧٦)، البقاعي (٣/٥٢٥)، أبي السعود (٤/١٩٩).

قال ابن كثير: "أي حاججتنا فأكثرت من ذلك ونحن لا نتبعك".

قال البقاعي: "اردت فتلنا وصرفنا عن آرائنا بالحجاج"

وقال أبوالسعود : "صدر عنه الغليظ إظهاراً للعجز عن إلزامهم بالحجج

والبيانات لتماديهم في العناد".

نلاحظ مما سبق بيانه ما يلي:

- أما القول إن المعنى المبالغة في الخصومة، فهو الظاهر من اللفظ.
- وأما القول إن المعنى حاججتنا، فيحتمل إلا أن حال القوم الكافرين يرده، فهم بقوتهم له حاججتنا، يدل على عجزهم في مقابلة الحجة بالحججة، ويدل على تأدبهم معه في اللفظ ، والحال الواقع لا يدل عليه.

الترجح:

يترجح القول إن المعنى المبالغة في الخصومة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه ظاهر من اللفظ.
٢. لأن واقع الحال الكفار دل عليه.
٣. لأنه أبلغ في تصور مقدار الخصومة التي كان يقابل بها كل مصلح من قبل المخالفين.

قال الألوسي : "وسميت المنازعـة جـدـالـاً لأنـ الـمـتـجـادـلـينـ كـأـنـهـمـاـ يـفـتـلـ كـلـ

واحدـ مـنـهـمـاـ الآـخـرـ عـنـ رـأـيـهـ،ـ وـقـيـلـ :ـ الـأـصـلـ فـيـ الـجـدـالـ الـصـرـاعـ وإـسـقـاطـ

الـإـنـسـانـ صـاحـبـهـ عـلـىـ الـجـدـالـةـ،ـ وـهـيـ الـأـرـضـ الـصـلـبةـ".ـ

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِحٌ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغُوِّيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود: ٣٤].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما معنى قوله ﴿ أَنْ يُغُوِّيَكُمْ ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر أنّ معنى (يغوكم) يضللكم من قوله : غوى
الرجل يغوي وهو الضلال" □
الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المعنى يضللكم، وهو قول كثير من المفسرين، □ واختاره أبو حيان.

قال الواحدى: قال ابن عباس في رواية عطاء: يضللكم.

وقال ابن عطية: يضللكم.

وقال القرطبي: أي يضللكم.

القول الثاني: المعنى يهلككم، وهو قول بعض المفسرين. □

قال الطبرى: ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغُوِّيَكُمْ ﴾، يقول: إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه.

وقال الزمخشري: وقيل: ﴿ أَنْ يُغُوِّيَكُمْ ﴾ أن يهلككم.

١ - البحر الحيط (ح ٥ / ل ١٦٨) (٢٢٠ / ٥).

٢ - الواحدى في الوسيط (٥٧١ / ٢)، ابن عطية (١٦٦ / ٣)، ابن الجوزى (٤ / ٨٠)، القرطبي (٢٧ / ٢)، النسفي (٢٦٨ / ٢)، الخازن آيه ٣٤، البقاعي (٥٣٥ / ٣)، الشوكاني (٤٩٢ / ٢)، ابن عاشور (٦١ / ١٢).

٣ - الطبرى (٢٠ / ١٢)، الزمخشري (٢٦٧ / ٢)، ابن عطية (١٦٦ / ٣)، ابن الجوزى (٤ / ٨٠)، البيضاوى (٣ / ٢٣٢)، الألوسى (٥ / ٢١).

"وقال ابن عطية": وقالت فرقه معنى قوله: ﴿يُغْوِيْكُم﴾: يهلككم.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المعنى يضللكم، فالضلال مقابل الهدي وهو بنصحه لهم يريد هدايتهم.

- وأما القول إن المعنى يهلككم، فالهلاك مقابل النجاة، وهو بنصحه لهم يريد نجاتهم من العذاب.

فكلا القولين له وجه في المعنى والمحصلة واحدة. إلا أنه أقوى في معنى الضلال لأن الهلاك يأتي بعد الضلال. فإن ضلوا عن منهج الحق أهلكوا.

الترجح:

يترجح القول إن المعنى يضللكم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه أظهر وأقوى في إيراده المعنى المطلوب.
٢. لأنه حد فاصل بين النعيم والعقاب، فإن استجابوا للنصح نعموا، وإن ضلوا عذبوا.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَنَّهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا
بُحْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿يَقُولُونَ﴾ ؟

قال أبو حيان: "قيل: هذه الآية اعترضت في قصة نوح، والأخبار فيها عن قريش. يقولون ذلك لرسول الله ﷺ أي: افترى القرآن، وافترى هذا الحديث عن نوح وقومه، ولو صح ذلك بسند صحيح لوقف عنده، ولكن الظاهر أن الضمير في يقولون عائد على قوم نوح، أي : بل أ يقولون افترى ما أخبرهم به من دين الله وعقاب من أَعْ رض عنه، فقال ﷺ قل: إن افترته فعلٍ إثم إجرامي." (□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

□ القول الأول: إن الضمير يعود على قوم نوح، وهو قول كثير من المفسرين، واختاره أبو حيان.

قال السمرقندي: يعني: قوم نوح يقولون افتراء، أي: اختلقه من تلقاء نفسه.
وقال الواحدي: يعني قوم نوح.

وقال ابن عطية: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَنَّهُ ...﴾ الآية، قال الطبرى وغيره من المتأولين والمؤلفين في التفسير : إن هذه الآية اعترضت في قصة نوح وهي شأن محمد ﷺ مع كفار قريش، وذلك أنهم قالوا: افترى القرآن

١ - البحر المحيط (٤/٥) (٢٢٠/٥).

٢ - السمرقندى (١٤٨/٢)، الواحدى فى الوسي ط (٥٧١/٢)، ابن عطية (١٦٦/٣)، النظام النيسابورى (١٦/١٢)، الخازن آيه ٣٥ هود، الشوكانى (٤٩٦/٢)، الألوسى (١٥/٢١).

وافترى هذه القصة على نوح ، فنزلت الآية في ذلك . قال القاضي أبو محمد : وهذا لو صح بسند وجب الوقوف عنده ، وإلا فهو يحتمل أن يكون في شأن نوح عليه السلام، ويبقى اتساق الآية مطرياً، ويكون الضمير في قوله ﴿أَفَرَنَّهُ﴾ عائدًا إلى العذاب الذي توعدهم به أو على جميع أخباره ، وأوقع الافتراء على العذاب من حيث يقع على الإخبار به . والمعرى: أم يقول هؤلاء الكفرا افترى نوح هذا التوعد بالعذاب وأراد الإرهاب علينا بذلك؟ ثم يطرد باقي الآية على هذا.

القول الثاني : إن الضمير عائد إلى كفار قريش، وهو قول بعض من المفسرين . □

قال الطبرى: يقول تعالى ذكره: أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك: افترى محمد هذا القرآن؟ وهذا الخبر عن نوح . قل لهم: إن افترته فتخرصته واختلقته فعلى إجرامي يقول : فعلى إثمى في افترائي ما افتريت على ربى دونكم، لا تؤاخذون بذنبي ولا إثمى ولا أؤاخذ بذنبكم . ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا بُحْرِمُونَ﴾ يقول: وأنا بريء مما تذنبون وتأثمون بربكم من افترائكم عليه.

وقال الرازى: وأكثر المفسرين على أن هذا من بقية كلام نوح عليه السلام، وهذه الآية وقعت في قصة محمد صلوات الله عليه في أثناء حكاية نوح، وقولهم بعيد جداً، وقال ابن جزي: الضمير في (يقولون) لكتاب قريش، وفي افتراه صلوات الله عليه .
نلاحظ مما سبق إيراده ما يلى:

- أما القول إن الضمير يعود على قوم نوح، فهو الظاهر من سياق قصة نوح.

١ - الطبرى (٢٠/١٢)، الرازى (٣٤/١٧)، ابن جزي (١٩١/٢)، الخازن آية ٣٥، ابن كثير (٤/٢٧٦)، الجلالين آيه ٣٥، أبي السعود (٤/١٩٩).

- وأما القول بأن الضمير عائد إلى كفار قريش، فلا دليل صحيح يدل عليه.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على قوم نوح ، وهو قول أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه ظاهر من سياق قصة نوح في الآيات.
٢. لموافقته لقاعدة الترجيح وهي : [إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعد أولى من الخروج .]^(□)

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١٢٥/١).

قال تعالى ﴿ وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تُخَطِّبِنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ [هـود: ٣٧].

في الآية مسألة واحدـه وهي:
ما معنى (وَوَحِينَا) في الآية؟

قال أبو حـيان : " وـوحـينا نـوحـي إـليـكـ وـنـلـهـمـكـ كـيـفـ تـصـنـعـ " وعن ابن عباس: لم يـعـلـمـ كـيـفـ صـنـعـةـ الـفـلـكـ، فـأـوـحـىـ اللهـ أـنـ يـصـنـعـهـاـ مـثـلـ جـوـجـوـ الطـائـرـ () وـقـوـلـ مـنـ قـالـ: مـعـنـىـ وـوـحـينـاـ بـأـمـرـنـاـ لـكـ أـوـ بـعـلـمـنـاـ ضـعـيفـ، لـأـنـ قـوـلـهـ: وـاصـنـعـ الـفـلـكـ، مـعـنـ عـنـ ذـلـكـ ().

الدراسة:

في المسألة قوله:
القول الأول: المراد بـوـحـينـاـ بـإـلـهـامـنـاـ ، وـهـوـ قـوـلـ كـثـيرـ مـنـ الـمـفـسـرـينـ، () وـاختـارـهـ أبو حـيانـ.

قال الطـبـريـ: " وـقـوـلـهـ ﴿ بـأـعـيـنـنـاـ ﴾ " يـقـولـ: بـعـيـنـ اللهـ وـوـحـيـهـ كـمـاـ يـأـمـرـكـ .. عن ابن عـلـسـ () ، قـوـلـهـ: ﴿ وـاصـنـعـ الـفـلـكـ بـأـعـيـنـنـاـ وـوـحـينـاـ ﴾ وـذـلـكـ أـنـهـ لـمـ يـعـلـمـ كـيـفـ صـنـعـةـ

١ - الجـوـجـ: بـضـمـ الجـيمـ وـسـكـونـ الـهـمـزـةـ وـضـمـ الجـيمـ وـهـوـ مجـتمـعـ عـظـامـ الصـدرـ . المعـجمـ الوـسيـطـ () (١٠٣/١).

٢ - الـبـحـرـ الـمـحـيـطـ (حـ / لـ) (١٦٩ / ٥) (٢٢١ / ٥).

٣ - الطـبـريـ (٢١/١٢) ، السـمـرقـنـدـيـ (١٤٨ / ٢) ، الشـعـلـيـ آـيـهـ ٣٧ ، الزـخـشـرـيـ (٢٦٧ / ٢) ، ابن عـطـيةـ (١٦٨ / ٣) ، الرـازـيـ (٣٤٥ / ١٧) ، القرـطـبـيـ (٢٩٦ / ٩) ، النـسـفـيـ (٢٩٦ / ٢) ، ابن جـزـيـ (١٩١ / ٢) ابن كـثـيرـ (٢٧٨ / ٤) ، ابن عـادـلـ (٤٨٠ / ١٠) ، الـبـقـاعـيـ (٥٢٨ / ٣) ، أـبـيـ السـعـودـ (١٩٩ / ٤) الشـوـكـانـيـ (٤٩٦ / ٢) ، الـأـلوـسـيـ (٤٩ / ١٢) ، ابن عـاشـورـ (١٢٣ / ٤) .

٤ - وـسـنـدـهـ قـالـ الطـبـريـ: " حـدـثـنـيـ مـحـمـدـ بـنـ سـعـدـ ، قـالـ: ثـنـيـ أـبـيـ ، قـالـ: ثـنـيـ أـبـيـ ، عـنـ أـبـيـهـ ، عـنـ ابنـ عـبـاسـ ".

الفلک، فاؤحی اللہ إلیه أَن يصُنْعُهَا عَلی مِثْل جُوْجُوْ الطَّائِرِ.
وقال السمرقندی: "يعني: بوحينا إلينك".

قال الشعبي: "على ما أوحينا إليك، قال ابن عباس : وذلك إِنَّه لَمْ يُعْلَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ الْفَلَكَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَصْنَعُهَا عَلَى جَوَجُ الطَّائِفِ".

القول الثاني: المراد بأمرنا لك أو بعلمنا، وهو قول بعض المفسرين.
قال الطبرى : " قال مجاهد □: وَوَحْيِنَا قَالٌ: كَمَا نَأْمَرْكُ. "

وقال الماوردي: "﴿وَحِينَا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: وأمرنا لك أن تصنعوا.

الثاني: تعلّيمنا لك كيف تصنعها.

وقال البغوي: "﴿وَحْيَنَا﴾ بِأَمْرِنَا".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد بـ«وحينا إلهامنا»، فهو ظاهر من دلالة سياق الآية.
 - وأما القول إن بأمرنا لك أو بعلمنا، فهو يدخل ضمن المعنى الأول.

الترجمة

پررجم القول إن المراد يوحينا، وهو اختيار أبي حيّان ومن وافقه. وذلك:

١. دلالة الساق.

٢. لدلة قوله ﴿وَأَصْنَعَ الْفُلَكَ﴾.

قال ابن عاشور: "﴿وَاصْبَحَ الْفُلَكُ﴾ عطف على جملة ﴿فَلَا يَنْتَسِ﴾ [هود: ٣٦]

^{١٢} - الطري (٢١/١٢)، الماوردي والبغوي والخازن آية ٣٧، الألوسي (٤٩/١٢).

٢ - وسنده قال : " حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس : ﴿وَاصْنِعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ قال: بعين الله، قال ابن جريج، قال معاذد ."

وهي بذلك داخلة في الموحى به فتدل على أن الله أوحى إليه كيفية صنع الفلك كما دل عليه قوله: (وَوَحَّيْنَا)، ولذلك فنوح عليه السلام أول من صنع الفلك ولم يكن ذلك معروفاً للبشر، وكان ذلك منذ قرون لا يحصيها إلا الله تعالى.

٣. لموافقه قاعدة الترجيح وهي : [إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد

(□) فحمله على التأسيس أولى.]

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح لحسين الحربي (٣٧٣/٢).

قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ الْنَّورُ فَلَنَا أَحْمَلُ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ أَثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ، إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].
في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

ما المراد بالتنور؟

قال أبو حيان – بعد ذكره الأقوال كلها - : "والظاهر من هذه الأقوال حمله على التنور الذي هو مستوقد النار." □

الدراسة:

في المسألة تسعة أقوال:

القول الأول: المراد مستوقد النار، وهو قول كثير من المفسرين . □ واختاره أبو حيان.

قال الفراء: هو تنور الخابز : إذا فار من أحمر مكان في دارك فهـي آية العذاب فأسر بأهلك.

وقال الطبرى : قال آخرؤن : هو التنور الذي يختبز فيه ... عن ابن عباس، □ قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ الْنَّورُ ﴾ قال: إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك.

١ - البحر المحيط (ج/٥ ل/١٧٠) (٢٢٣/٥).

٢ - الفراء (١٤/٢)، الطبرى (١٢/٢٨)، ابن أبي حاتم (٦/٢٠٢٩)، السمرقندى (٢/١٤٨)، الشعبي والماوردي والبغوي آية ٤٠، ابن عطية (٣/١٧٠)، ابن الجوزي (٤/٨٤)، الرازى (١٧/٣٤٨)، القرطبي (٩/٣٠)، البيضاوى (٣/٢٣٢)، النسفي (٢/٢٧٠)، ابن جزي (٢/١٩٢)، ابن كثير (٤/٢٧٨)، البقاعي (٣/٥٢٨)، الجلالين آية ٤٠، الثعالى (٢/١٢٣)، أبي السعود (٤/١٩٩)، الشوكانى (٢/٢٩٦)، الألوسي (٢١/١٦).

٣ - وسنده : "حدثني محمد بن سعد، قال : ثني أبي، قال : ثني عمي، قال : ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس".

قال ابن أبي حاتم: "عن ابن عباس، ^(□) قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ الْنَّورُ ﴾
 قال: إذا رأيت نور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك."

القول الثاني: المراد وجه الأرض، قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك، وهو
 قول بعض المفسرين. ^(□)

قال الطبرى: "وقوله: ﴿ وَفَارَ الْنَّورُ ﴾ اختلف أهل التوسيط في معنى ذلك، فقال
 بعضهم: معناه: انبعاث الماء من وجه الأرض، وفار النور، وهو وجه
 الأرض... عن ابن عباس ^(□) أنه قال في قوله: ﴿ وَفَارَ الْنَّورُ ﴾ قال: النور:
 وجه الأرض. قال: قيل له: إذا رأيت الماء على وجه الأرض، فاركب أنت
 ومن معك قال: والعرب تسمى وجه الأرض: نور الأرض.
 ... عن الضحاك ^(□)، بنحوه.

"... عن عكرمة، ^(□) في قوله: ﴿ وَفَارَ الْنَّورُ ﴾ قال: وجه الأرض.

وقال ابن أبي حاتم: "عن ابن عباس ^(□): قال: النور وجه الأرض قيل له:

١ - وسنته: أخبرنا محمد بن سعد فيما كتب إلي، ثل أبي، قال: ثل عمي، قال: ثل أبي، عن أبيه، عن ابن عباس."

٢ - الطبرى (٢١/١٢)، ابن أبي حاتم (٢٠٢٩/٦)، السمرقندى (١٤٨/٢)، الثعلبى والماوردى آية ٤٠،
 ابن الجوزى (٤/٨٤)، القرطبي (٣٠/٩)، البيضاوى (٢٣٢/٣)، النسفي (٢٧٠/٢)، الشوكانى
 (٢٩٦/٢).

٣ - وسنته: حديثي يعقوب بن إبراهيم، قال : ثنا هشيم، قال : أخبرنا العوام بن حوشب، عن
 الضحاك، عن ابن عباس."

٤ - وسنته: حديثي المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن العوام، عن الضحاك.

٥ - وسنته: حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال : أخبرنا الشيبانى، عن
 عكرمة."

٦ - وسنته: حدثنا أبي، ثنا يعقوب الدورقى، ثنا هشيم، عن العوام بن حوشب، عن الضحاك، عن
 ابن عباس."

إذا رأيت الماء على وجه الأرض، فاركب أنت ومن معك قال: والعرب تسمى وجه الأرض: تنور الأرض. وروى عن عكرمة ، أنه قال: وجه الأرض.
وقال السمرقندى: وقال ابن عباس : وفار التنور، يعني : نبع الماء من وجه الأرض.

القول الثالث: المراد أعلى الأرض والموضع المرتفعة ، قاله قتادة، وهو قول بعض المفسرين. (□)

قال الطبرى: وقال آخرون: معنى ذلك: وفار على الأرض وأشرف مكان فيها بالماء. وقال: التنور أشرف الأرض...عن قتادة (□)، قوله: حتى إذا جاء أمرُنا وَفَارَ التَّنُورُ كنا نُحَدِّثُ أنه أعلى الأرض وأشرفها، وكان علماً بين نوح وبين ربها.

وقال الشعبي: قتادة: موضع في الأرض وأعلى مكان فيها.
وقال الماوردي: إن التنور ما زاد على وجه الأرض فأشرف منها، قاله قتادة.
القول الرابع : المراد العين التي بالجزير ة، قاله عكرمة، وهو قول بعض المفسرين. (□)

قال ابن أبي حاتم : عن ابن عباس (□) : في قوله ﴿وَفَارَ الْتَّنُور﴾ العين التي بالجزيرة عين الوردة.

وقال الشعبي: وقال مقاتل: كان ذلك تنور آدم وإنما كان بالشام بموضع يقال

١ - الطبرى (٢١/١٢)، الشعبي والماوردي آية ٤٠ ، ابن الجوزي (٤/٨٤)، البيضاوى (٣/٢٣٢)، الشوكانى (٢/٢٩٦).

٢ - وسنه : حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة.

٣ - ابن أبي حاتم (٦/٢٩٢)، الشعبي والماوردي آية ٤٠ ، ابن الجوزي (٤/٨٤)، البيضاوى (٣/٢٣٢)، الشوكانى (٢/٢٩٦).

٤ - وسنه : حدثنا أبي، ثنا أبو الجمهر، ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن عكرمة، عن اب ن عباس.

له: عين وردة".

وقال الماوردي: "إن التنور العين التي بالجزيرة (عين وردة)".

القول الخامس : المراد موضع اجتماع الماء في السفينة ، وهو قول بعض المفسرين.^(□)

قال القرطبي: "إنه موضع اجتماع الماء في السفينة؛ عن الحسن أيضاً".

وقال الشوكاني: "إنه موضع اجتماع الماء في السفينة، روي عن الحسن".^(□)

القول السادس: المراد طلوع الشمس، ذكره ابن الجوزي وأبو حيان.^(□)

قال ابن الجوزي: "إنه طلوع الشمس، وهو منقول عن علي أيضاً".

القول السابع: المراد نور الصبح،^(□)

قال الطبرى: "وقال آخرون: هو تنوير الصبح من قولهم: نور الصبح تنويراً..."

"عن علي"^(□) بن أبي حاتم، قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ الْثَّوْرُ ﴾ قال: هو تنوير الصبح.

وقال ابن أبي حاتم: عن علي^(□) قال: تنوير الصبح.

وقال السمرقندى: "وقال علي بن أبي طالب : يعني: طلوع الفجر، أي تنوير الصبح، يعني: إذا طلع الفجر، كان وقت ال�لاك".

القول الثامن: المراد غلبة الماء وظهور العذاب، أي مجاز. وهو قول النسفي وابن

١ - القرطبي (٣٠/٩)، الشوكاني (٢٩٦/٢)،

٢ - ابن الجوزي (٤/٨٤)، أبو حيان (٢٣٢/٥).

٣ - الطبرى (٢١/١٢)، ابن أبي حاتم (٢٠٢٨/٦)، ابن عطية (١٧٠/٣)، السمرقندى (١٤٨/٢)، الشعابى والبغوى آية ٤، ابن الجوزي (٤/٨٤)، القرطبي (٣٠/٩). الشوكاني (٢٩٦/٢).

٤ - و سنته : " حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال : ثنا محمد بن فضيل، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن عباس مولى أبي جحيفة، عن أبي جحيفة، عن علي ". وذكر عدة أسانيد مدارها على عبد الرحمن بن إسحاق.

٥ - من طريق عبد الرحمن بن إسحاق .

(□)
عاشر.

قال النسفي: هو كناية عن اشتداد الأمر وصعوبته.

وقال ابن عاشور: والذى يظهر لي أن قوله : ﴿وَفَارَ الْتَّنُورُ﴾ مثل لبلوغ الشيء إلى أقصى ما يتحمله، كما يقال : بلغ السيل الزبى، وامتلاء الصاع، وفاضت الكأس وتفاقم.

(□)
القول التاسع: المراد من مسجد الكوفة؛ وهو قول بعض المفسرين.

قال الشعبي: وروى السدي عن الشعبي (□) أنه كان يحلف بالله ما يظهر التنور إلا من ناحية الكوفة، وقال : اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة، وكان التنور على يين الداخل مما يلي باب كندة.

وقال ابن الجوزي: إنه فار من مسجد الكوفة، رواه حبة العرني (□) عن علي عليه السلام. وقال زر بن حبيش (□) : فار التنور من زاوية مسجد الكوفة الكوفة اليمنى.

وقال القرطبي: الخامس أنه مسجد الكوفة؛ قاله علي بن أبي طالب أيضاً؛

١ - النسفي (٢٧٠/٢)، ابن عاشور (٦٩/١٢).

٢ - الشعبي آية ٤، ابن الجوزي (٨٤/٤)، القرطبي (٣٠/٩)،

٣ - عامر بن شراحيل الهمданى الشعبي، أبو عمرو، الإمام علام العصر، توفي سنة ١٠٥ هـ. طبقات ابن سعد (٢٤٦/٦)، تاريخ البخاري (٤٥٠/٦)، سير أعلام النبلاء (٤/٤) (٢٩٤).

٤ - حبة ، بفتح أوله ثم موحدة ثقيلة، ابن جوين، بحيم ، مصغر، ال عرنى، بضم المهملة وفتح الراء بعدها نون، أبو قدامة الكوفي، صدوق له أغلاط، كان غالباً في التشيع، من الثانية، وأخطأ من زعم أن له صحابة، مات سنة ٧٦ هـ - وقيل ٧٩ هـ. تهذيب الكمال (٣٥١/٥)، تهذيب التهذيب (١٧٦/٢)، التقريب ص ١٥٠.

٥ - زر بن حبيش بن حباشة بن أوس، الإمام القدوة، مقرئ الكوفة مع السلمي، أبو مريم الأسدى، أدرك أيام الجاهلية، توفي سنة ١٢٧ هـ. طبقات ابن سعد (١٠٤/٦)، تاريخ البخاري (٤٤٧/٣)، سير أعلام النبلاء (٤/١٦٦).

وقاله مجاهد: قال ناحية التنور بالكوفة. وقال: اخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة، وكان التنور على يمين الدّاخل مما يلي كندة.^١ وذهب آخرون إلى أن المراد به المعنى المجازي ومن قال به النسفي والخازن وابن عاشور.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد مستوقد النار، فهو الظاهر وسيأتي بيانه.
- وأما القول إنه المراد وجه الأرض، وأعلى الأرض والموضع المرتفعة، وموضع اجتماع الماء في السفينة ، وطلع الشمس المراد، ونور الصبح المراد غلبة الماء . فلا يستقيم عليها التفسير، وبعضها يمنعه تصريف الكلمة مثل نور الصبح.
- أما القول إن المراد العين التي بالجزيرة ، و مسجد الكوفة فهي أماكن ذكرت، ولا دليل يصح عليها.
- وقد ذهب بعض المفسرين^(١) إلى أن جميع المعاني التي ذكرت محتملة ، لأنها ليست بمتناقضه؛ لأن الله عز وجل أخبرنا أن الماء جاء من السماء والأرض؛ قال: ﴿فَنَحْنُنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ إِنَّا لَمَنْهِمْ بِرَأْيٍ﴾ [القمر: ١١]. فهذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامه.

الترجمة:

يترجح القول إن المراد مستوقد النار، وهو قول أبي حيان ومن وافقه، وذلك:
١. لأنه هو الظاهر، ولا يصح صرفه إلا بدليل.

قال البقاعي: "التنور) وعن ابن عباس رضي الله عنهمَا والحسن ومجاهد أنه الحقيقى الذي يخرب فيه ، وهذا هو الظاهر فلا يعدل عنه إلا بدليل ، لأن

^١ - النحاس(٥٠٧/١)، القرطبي (٣٠/٩).

صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل عبث كما قاله أهل الأصول.

٢. لموافقته لقاعدة الترجيح وهي : [يجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر].^(□)

قال الطبرى : " وأولى هذه الأقوال عندنا بتأویل قوله : التّنور قول من قال : هو التّنور الذي يخز فيه لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانٍ يه عند العرب إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها . وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به لفهمهم معنى ما خاطبهم به".

٢. لأنه هو الأصل والحقيقة.

قال الرازى : " فإن قيل: فما الأصح من هذه الأقوال؟ قلنا: الأصل حمل الكلام على حقيقته ولفظ التّنور حقيقة في الموضع الذي يخز فيه فوجب حمل اللفظ عليه ولا متناع في العقل في أن يقال : إن الماء نبع أولاً من موضع معين وكان ذلك الموضع تنوراً." وقال الخازن: وهذا القول أصح لأن اللفظ إذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى ولفظ التّنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخز فيه فوجب حمل اللفظ عليه."

والله تعالى أعلم

١ - انظر قواعد الترجيح (٣٦٩/٢).

المسألة الثانية

كم عدد الذين آمنوا مع نوح عليه السلام؟

قال أبو حيyan: "وهذه أقوال متعارضة، والذي أخبر الله تعالى به أنه ما آمن معه إلا قليل، ولا يمكن التنصيص على عدد هذا النفر القليل الذي أبهم الله عددهم إلا بنص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم". □

الدراسة:

في المسألة قوله:

□ **القول الأول:** هم قليل ولا يعرف عددهم . وهو قول جماعة من المفسرين، واختاره أبو حيyan.

قال الطبرى: "والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله : ﴿وَمَا ءامَنَ مَعَهُ، إِلَّا قَلِيلٌ﴾ يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يحدد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقال ابن عطية: "واختلف في ذلك (القليل) فقيل: كانوا ثمانين رجلاً وثمانين امرأة وقيل كان جميعهم ثلاثة وثمانين : وقيل كانوا ثمانين في الكل ، قاله السدي: وقيل: عشرة؛ وقيل: ثمانية، قاله قتادة وقيل: سبعة؛ والله أعلم."

وقال الرازي : " قوله: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ قالوا كانوا ثمانين..... وذكروا ما هو أزيد منه وما هو أنقض منه وذلك مما لا سبيل إلى معرفته إلا أن الله تعالى وصفهم بالقلة وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ، إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ."

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ١٧١) (٢٢٣ / ٥).

٢ - الطبرى (٢١ / ١٢)، ابن عطية (٣ / ١٧٠)، الرازي (٣٤٨ / ١٧)، الشعابى (٢ / ١٢٣)، الشربى (٢ / ٦٣)،

(□)

القول الثاني: عدد معين مختلف فيه، وهو قول كثير من المفسرين.

قال الطبرى: "واختلفوا في عدد الذين كانوا آمنوا معه فحملهم معه في

الفلك، فقال بعضهم في ذلك: كانوا ثمانية أنفس - عن قتادة -

وقال آخرون: بل كانوا سبعة أنفس. - عن الأعمش -

وقال آخرون: كانوا عشرة سوى نسائهم. - عن ابن إسحاق -

وقال آخرون: بل كانوا ثمانين نفسا. - عن ابن عباس -. ".

وقال ابن أبي حاتم: "عن كعب الأحبار (□) أنه قال: والمؤمنون يومئذ اثنان

وسبعون فأرسل الله الماء من السماء وفتح الأرض."

وقال السمرقندى: "قال ابن عباس : هم ثمانون إنساناً، وقال الأعمش في

قوله: ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ، إِلَّا قَلِيلٌ﴾ كان نوح، وثلاث بنين، ونساؤهم . وقال مقاتل: كانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول هم قليل ولا يعرف عددهم، فهو الظاهر.
- وأما ذكر أعدادهم فلم يرد في ذلك دليل صحيح، ولا فائدة ترجى من معرفة عددهم.

١ - الطبرى (٢١/١٢)، ابن أبي حاتم (٢٠٣٢/٦)، السمرقندى (١٤٨/٢)، الثعلبي والماوردي والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٤، ابن الجوزى (٨٤/٤)، القرطبي (٩/٣٠)، البيضاوى (٢٣٢/٣)، النسفي (٢٧٠/٢)، ابن جزي (١٩٢/٢)، الخازن آية ٤٠، ابن كثير (٤/٢٧٨)، ابن عادل (٤٨٠/١٠)، البقاعي (٥٢٨/٣)، أبي السعود (٤٩٦/٢)، الشوكانى (٤/٢)، الألوسى (١٦/٢١).

٢ - كعب الأحبار بن ماتع الحميري، أبو إسحاق، أدرك النبي ﷺ أسلم في خلافة عمر بن الخطاب كان يهوديا، توفي سنة ٣٢ هـ. الإصابة (٣٢٢/٥) القسم الثاني، سير أعلام النبلاء (٤٨٩/٣).

الترجح:

يترجح القول إنهم قليل ولا يعرف عددهم، وهو اختيار أبي حيأن ومن وافقه. وذلك :

١. لأنه هو الظاهر من الآية، ومن اللفظ القرآني.
٢. لموافقته لقاعدة الترجح وهي "[لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة]. وجعلت هذه القاعدة ترجيحية، لأنها ترجح أصل الإبهام والإجمال والاختصار في الآية على تلك التفصيلات التي لا دليل عليها، وإنما هي مبنية على أخبار إسرائيلية . □"

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجح (٢٢٥/١). وفيه تفصيلاً وافياً للقاعدة .

قال تعالى ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا إِسْمَ اللَّهِ بَحْرَنَهَا وَمُرْسَنَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٤١] هود: ٤١

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَقَالَ﴾؟

قال أبو حيان : "الضمير في: وقال، عائد على نوح أي: وقال نوح حين أمر بالحمل في السفينة لمن آمن معه ومن أمر بحمله : اركبوا فيها. وقيل: الضمير عائد على الله، والتقدير: وقال الله لنوح ومن معه، ويبعد ذلك قوله : إن ربي لغفور رحيم." □

الدراسة :

في المسألة قوله:

□ **القول الأول:** الضمير يعود على نوح الملائكة، وهو قول جماعة من المفسرين، واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: يقول تعالى ذكره : وقال نوح: اركبوا في الفلك بسم الله مُجراها ومرساها . وفي الكلام مذوق قد استغني بدلالة ما ذكر من الخبر عليه عنه، وهو قوله: ﴿ قُلْنَا أَحْمَلُ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ أَثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْتَّوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ، إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ فحملهم نوح فيها وقال لهم: اركبوا فيها. فاستغني بدلالة قوله: وقال اركبوا فيها عن حمله إياهم فيها، فترك ذكره.

١- البحر المحيط (١٧١/٥/٢٢٥).

٢ - الطبرى (٢٧/١٢)، الواحدى فى الوسيط (٥٧٣/٢)، الشعابى والبغوى آية ٤١، ابن عطية (١٧٢/٣)، ابن الجوزى (٨٧/٤)، الرازى (١٧/٣٥٠)، القرطبي (٩/٣٦)، النسفي (٣٦/١٨)، ابن جزى (٢/١٩٣)، الخازن آية ٤١، ابن كثير (٤/٢٧٩)، ابن عادل (١٠/٤٨٠)، الجلالين آية ٤١، الألوسى (٢/٨٦)، القاسمى (٦/١٢١)، النبهانى آية ٤١، الجزائرى (٢/٥٤٤).

وقال الوحدى : "(وَقَالَ) نوح لقومه الذين أمر بحملهم: "

وقال الشعلى: "(وَقَالَ) نوح لهم: ﴿أَرْكَبُوا فِيهَا إِسْمَ اللَّهِ مَحْرُونَهَا﴾".

القول الثاني : الضمير يعود على الله ، وذكره القرطبي وابن عادل والشوکانی ^(□).

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا﴾ أمر بالركوب؛ ويحتمل أن يكون من الله تعالى، ويحتمل أن يكون من نوح لقومه.

وقال ابن عادل: قال تعالى: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا إِسْمَ اللَّهِ مَحْرُونَهَا﴾. يجوز أن يكون فاعلً (قال) ضمير نوح الشَّهِيدَةُ ويجوز أن يكون ضمير الباري - تعالى جل ذكره - أي: وقال الله ل Noah ومنه معه.

وقال الشوكاني: قوله: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا﴾ القائل: نوح، وقيل: الله سبحانه.

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على نوح، فهو ظاهر.
- وأما القول إن الضمير يعود على الله، فيرده ختام الآية ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ولو رجع الضمير إلى الله تعالى لناسب أن يقال: إن ربكم.

الرجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على نوح الشَّهِيدَةُ، وهو قول أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. لدلالة ختام الآية.

١ - القرطبي (٣٦/٩)، ابن عادل (٤٨٠/١٠)، الشوكاني (٤٩٦/٢).

وقال الشوكاني : " قوله: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُواْ فِيهَا﴾ القائل: نوح، وقيل: الله سبحانه. والأول: أولى، لقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .
والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

من الخطاب في قوله ﴿أَرْكَبُوا﴾؟

قال أبو حيان : " قيل: وغلب من يعقل في قوله : اركبوا، وإن كانوا قليلاً بالنسبة لما لا يعقل من حمل فيها، والظاهر أنه خطاب لمن يعقل خاصة، لأنه لا يليق بما لا يعقل. (□)"

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول: الخطاب لمن يعقل خاصة، وهو قول جماعة من المفسرين (□)، واختاره أبو حيان.

قال الواحدي: ﴿وَقَالَ﴾ نوح لقومه الذين أمر بحملهم .

قال ابن عطية: ﴿وَقَالَ﴾ نوح - حين أمر بالحمل في السفينة - لمن آمن معه.

وقال الرازى: أما قوله: ﴿وَقَالَ﴾ يعني نوح السفينة لقومه.

وقال أبي السعود: ﴿وَقَالَ﴾ أي نوح السفينة لمن معه من المؤمنين.

القول الثاني: الخطاب لمن يعقل ومن لا يعقل، وهو قول بعض المفسرين. (□)

وقال ابن الجوزى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني نوحا للذين أمر بحملهم ﴿أَرْكَبُوا﴾ السفينة.

وقال الخازن: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا﴾ يعني وقال نوح لمن حمل معه اركبوا في السفينة.

١- البحر المحيط (ح/٥) (١٧١ل/٢٢٥). (٥/٥).

٢ - الواعدي في الوجيز آية ٤، ابن عطية (٣/١٧٢٩)، الرازى (١٧/٣٥٠)، أبي السعود (٤/١٩٩)، الألوسي (٢١/٨٦)، الشنقيطي (٣/١٨)،الجزائري (٢/٥٤٤).

٣ - ابن الجوزى (٤/٨٧)، الخازن آيه ٤١، ابن كثير (٤/٢٧٩)، البقاعي (٣/٥٣١)، ابن عاشور (١٢/٧٣).

ابن كثير: يقول تعالى إخباراً عن نوح ﷺ أنه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما الخطاب لمن يعقل خاصة، فهو الظاهر.

فقد استدل له بقوله: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلَكِ فَقُلِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٢٨] وَقُلْ رَبِّ أَنْزَلَنِي مُنْزَلًا مُبَارَّكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ [٢٩] [المؤمنون: ٢٨ - ٢٩]. فالحمد يصدر من العاقل بلفظه وبفعله والركوب يكون من فعل العاقل طوعية منه وأما غير العاقل فالركوب ليس باختيار منه وإنما بفعل غيره من يعقل والدليل أن هناك من عقل رفض الانصياع إلى الأمر بالركوب كابن نوح ﷺ ولم يرد خبر يفيد تخلف بعض من لا يعقل عن الركوب ولذا فإنهم كانوا أكثر عدداً من عقل.

- وأما القول إن الخطاب لمن يعقل ومن لا يعقل، فهو محتمل.

الترجح:

يترجح ما ذهب إليه أبو حيان ومن وافقه لما سبق بيانه، مع عدم امتناع دخول غيرهم معهم في الخطاب فالركوب شمل الجميع سواء كان بفعله أو فعل غيره والحمد يمكن أن يصدر من يعقل ومن لا يعقل كالتسبيح قلل تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِمَهْدِهِ وَلَكِنَّ لَا يَنْفَقُهُونَ﴾ [٤٤] [الإسراء: ٤٤].

قال القرطبي: أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل، لما أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح.

قال الشوكاني: قيل: ولعل نوحأ قال هذه المقالة بعد إدخال ما أمر بحمله من الأزواج، كأنه قيل: فحمل الأزواج وأدخلها في الفلك، وقال للمؤمنين،

ويمكن أن يقال إنه أمر بالركوب كل من أمر بحمله من الأزواج والأهل والمؤمنين، ولا يمتنع أن يفهم خطابه من لا يعقل من الحيوانات، أو يكون هذا على طريقة التغليب"

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَتَبَيَّنُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكُفَّارِ ﴾ [هـود: ٤٢].

في الآية مسألة واحدة وهي:

هل الابن المذكور في الآية من صلب نوح أم لا؟

قال أبو حيـان : " في قوله : إن ابني من أهلي ، وندائه دليل على أنه ابنه لصلبه ، وهو قول : ابن مسعود ، وابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك ، وابن جبير ، وميمون بن مهران ^(□) ، والجمهور ، والذـي يدل عليه ظاهر الآية أنه ابنه ^(□) ."

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الابن لنوح من صلبه . قاله جماعة من السلف؛ وهو قول كثير من المفسرين، ^(□) واختاره أبو حيـان.

قال الطبرـي : " يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ ﴾ والفلك تجري بنوح ومن معه فيها في مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَهُ يام ، وكان في مَعْزِلٍ عنه

١ - ميمون بن مهران الجـزـري، أبو أيوب، أصلـه كوفي، ثقة فقيـه، ولـيـ الجزـيرـة لـعـمرـ بنـ عـبدـ العـزيـزـ، وـكانـ يـرسـلـ، تـوفـيـ سـنةـ ١١٧ـهـ. تـهـذـيـبـ الـكمـالـ(٢٩٠/٢١٠)، تـهـذـيـبـ التـهـذـيـبـ(١٠/٣٩٠)، التـقـرـيـبـ، ٥٥٦ـ،

٢ - الـبـحـرـ الـمـحيـطـ (حـ/٥ـ لـ/١٧٢ـ) (١٧٢ـ/٥ـ) (٢٢٦ـ-٢٢٧ـ).

٣ - الطـبـرـيـ (١٢/٢٨)، ابنـ أـبـيـ حـاتـمـ (٦/٢٠٣٤)، النـحـاسـ (١١/٥٠٨)، الشـعـلـيـ وـالـمـاـورـدـيـ وـالـواـحـدـيـ فيـ الـوـجـيـزـ وـالـبـغـوـيـ آـيـةـ ٤ـ، الزـخـشـرـيـ (٢٧٠/٢ـ)، ابنـ عـطـيـةـ (٣/١٧٢)، ابنـ الجـوزـيـ (٤/٨٨)، الرـازـيـ (١٢/٣٥٣)، القرـطـيـ (٩/٣٦)، النـسـفـيـ (٢/٢٧١)، النـظـامـ الـنـيـساـبـورـيـ (١٢/١٦)، ابنـ جـزـيـ (٢/١٩٣)، الـخـازـنـ آـيـةـ ٤ـ، ابنـ كـثـيرـ (٢/٢٧٩)، ابنـ عـادـلـ (١٠/٤٨٠)، الـبـقـاعـيـ (٣/٥٣١)، السـيـوطـيـ فـيـ الدـرـ النـثـورـ (٤/٤٣٣)، الشـرـبـيـنـيـ (٢/٦٦)، أـبـيـ السـعـودـ (٤/١٩٩)، الشـوـكـانـيـ (٢/٢٩٦)، الأـلـوـسـيـ (٢١/٨٦)، ابنـ عـاشـورـ (١٢/٧٤).

لم يركب معه الفلك: ﴿يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا﴾ الفلك ﴿وَلَا تَكُنْ مَّعَ الْكَفَرِينَ﴾.
وقال ابن أبي حاتم: عن ابن عباس ^(□) يعني قوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ﴾ قال:
 ابنه غير أنه خالفه في العمل والنية.
وقال النحاس: قال عبدالله بن عباس: ما بعثت امرأة نبي قط، وكان ابنه.
 قال سعيد بن جبير: وهو ابنه، لأن الله خبرنا بذلك.
 وقال عكرمة: إن شئتم حلفت لكم أنه ابنه.
 وقال الضحاك: هو ابنه، قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ﴾...
 قال أبو جعفر: وهذا القول حسن في اللغة. والأول أولى..
 (□)
 القول الثاني: الابن ليس ابن نوح، ذكره بعض المفسرين.
قال الصناعي ^(□): عن قتادة قال كنت عند الحسن فقال ونادي نوح ابنه
 لعمر الله ما هو ابنه قال قلت يا أبا سعيد يقول الله تعالى ونادي نوح ابنه
 وتقول ليس بابنه قال أقرأت قوله إنه ليس من أهلك قال قلت إنه ليس من
 أهلك الذين وعدتك أن أنجيكهم معك ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه قال إن
 أهل الكتاب يكذبون.

١ - وسنده قال: حدثنا الحسن بن أبي الريبع، ثنا عبد الرزاق أبنانا معمر، عن قتادة، وغيره، عن عكرمة، عن ابن عباس. (٢٠٣٤/٦).

٢ - عبد الرزاق الصناعي (١٨٢/٢)، ابن أبي حاتم (٢٠٣٤/٦)، النحاس (٥٠٨/١)، الزمخشري (٢٧٠/٢)، ابن عطية (١٧٢/٣)، ابن الجوزي (٤/٨٨)، الرازي (٣٥٣/١٧)، القرطبي (٣٦/٩)، النسفي (٢٧١/٢)، ابن عادل (١٠/٤٨٠)، البقاعي (٣/٥٣١)، الشوكاني (٢٩٦/٢)، الالوسي (٨٦/٢١)، ابن عاشور (١٢/٧٤).

٣ - عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم الصناعي الثقة ، أبو بكر عالم اليمـن ، الحافظ الكبير ، توفي سنة ٢١١هـ . طبقات ابن سعد (٥٤٨/٥) ، الجرح والتعديل (٣٨/٦) ، سير أعلام النبلاء (٥٦٣/٩) .

وقال ابن أبي حاتم: "عن الحسن" □ قال: ليس بابنه.

.. عن ثابت بن الحجاج الكلابي □ في قول الله : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ أَبَّهُمْ ﴾ قال: ولد على فراشه.

وقال النحاس: " وقال مجاهد: ليس هو ابنه، ويبيّن ذلك قول الله تبارك

وتعالى ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [هود: ٤٦] .

قال الحسن: لم يكن ابنه وإنما ولد على فراشه فنسب إليه.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنه ابنه فهو الصحيح ، وموافق لصريح القرآن ، مما لا يدع مجالا للشك.

- وأما القول إنه ليس ابنه فاستدلوا بما يلي:
 ١. قراءة من قراء [ابنه]—بفتح الهاء من غير ألف —أو ابنها— بإثبات الألف [].

٢. استدل بقوله: ﴿ مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود: ٤٥] ولم يقل: مي، ولنسبته إلى أمّه وجهان، أحدهما : أن يكون ربّياً له، كعمر بن أب ي سلمة رسول الله ﷺ، وأن يكون لغير رشده.

٣. استبعدوا أن يكون ولد الرسول المعصوم كافراً.

٤. أن نوحا عليه السلام قال: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّي لَا نَذَرَ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَفَّارِينَ دَيَارًا ﴾

١ - وسنه: "حدثنا أبو زرعة، ثنا صفوان بن صالح، ثنا الوليد، ثنا خليل وس عيد عن قتادة ، عن الحسن".

٢ - وسنه: "حدثنا الحسن بن عرفة، ثنا علي بن ثابت الجزري، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج الكلابي." (٦/٢٠٣٤) وثبت بن الحجاج الكلابي الجزري الرقي، ثقة من الثالثة، أخرج له أبو داود. تهذيب الكمال (٤/٣٥١)، تهذيب التهذيب (٤/٢)، التقريب ص ١٣٢ .

﴿٢٦﴾ [نوح: ٢٦] فكيف ناداه مع كفره؟

والجواب على ذلك من وجوه:

١. اتفاق المفسرين. على شذوذ قراءة من قرأ [ابنه - بفتح الهاء من

غير الف - أوابنها] (□) - بإثبات الالف [□].

٢. اتفاق أهل التفسير على شناعة ما ذكر البعض في ابن نوح من

أنه ليس ابنه لصلبه ... الخ ما ذكر ونسبة القول إلى بعض
التابعين. (□).

٣. أنه ثبت أن والد رسولنا ﷺ كان كافراً، ووالد إبراهيم ﷺ كان
كافراً بنص القرآن، فكذلك ه هنا.

٤. أن نوحاً ﷺ نادى ابنه وكان يعلم أنه كافر، لكنه ظن أنه لما
شاهد الغرق والأهوال العظيمة فإنه يقبل الإيمان فصار قوله : ﴿

يَبْيَنَ أُرْكَبَ مَعَنَا﴾ كالدلالة على أنه طلب منه الإيمان وتأكد
هذا بقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَفَّارِ﴾ أي تابعهم في الكفر واركب
معنا. ثم إن شفقة الأبوة لعلها حملته على ذلك.

الترجح:

يترجم القول إنه ابن نوح لصلبه. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١ - وأخرج ابن الأنباري في المصاحف وأبو الشيخ عن علي رضي الله عنه أنه قرأ (ونادى نوح ابنها). الدر المنشور (٤/٤٣٣). قال ابن عطية: "على هذه القراءة يدخل تأويل من قال: (كانت خائنة)". وهذا لا يصح أن يقال في حق أنبياء الله".

٢ - قال القرطبي (٩/٣٦) : "فأما (ونادى نوح ابنه وكأن) فقراءة شادة، وانظر المحتسب (١/٤٤٥)، إعراب القراءات (١/٦٦٣)، وابن خالويه في القراءات الشادة ص ٦٠.

٣ - وقال الالوسي: "ونسبة هذا القول إلى الحسن. ومجاهد - كما زعم الطبرسي - كذب صريح. روح المعاني (٢١/٨٦). وانظر الطبرسي في مجمع البيان (١١/١٥١).

١. لصريح اللفظ القرآني في أنه ابنه أكثر من مرة ومقام .

قال تعالى ﴿ وَنَادَى نُوحُ أَبَّهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أُرْكَابَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَفَّارِينَ ﴾ [هود: ٤٢].

وقوله ﴿ وَنَادَى نُوحُ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبَّنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود: ٤٥].

٢. لموافقة قاعدة الترجيح وهي: [معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة]^(١). فإذا خالفت القراءة الشاذة القراءة المتواترة في مدلولها، ووقع الخلاف بين العلماء في تفسير الآية بناء على اختلاف معنى القراءتين، ولم يمكن حمل معنى القراءة الشاذة على معنى القراءة المتواترة بحيث يتحد معنى القراءتين، فأولى الأقوال بالصواب في تفسير الآية، تفسيرها وحملها على مدلول القراءة المتواترة؛ لأن الشاذ لا يقوى على منازعة الثابت المجمع عليه.^(٢)

٣. لأن في هذا القول تعظيمًا لمقام الأنبياء بخلاف القول الآخر.

قال النحاس: والقول الأول أبين وأصح لحللة من قاله، وأن قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَيَسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود: ٤]. ليس مما ينفي عنه أنه ابنه، وقد قال الضحاك : معناه: ليس من أهل دينك، ولا من أهل ولايتك . وقال سفيان: معناه : ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيكم ."

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١٠٤/١).

٢ - قواعد الترجيح (١٠٥/١).

قال تعالى ﴿قَالَ سَائِرٍ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغَرَّقِينَ﴾ [هود: ٤٣].
في الآية مسألة واحدة وهي:
ما المراد بقوله ﴿لَا عَاصِمَ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر إبقاء عاصم على حقيقته وأنه نفي كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت، وأنّ من رحم يقع فيه من على المعصوم".
الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد لا مانع اليوم من أمر الله إلا من رحم، وهو قول جماعة من المفسرين،^(□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : "يقول تعالى ذكره : قال ابن نوح لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة خوفا عليه من الغرق : ﴿سَائِرٍ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ يقول: سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء، فيعني منه أن يغرقني . ويعنى بقوله: ﴿يَعْصِمُنِي﴾ يعني، مثل عصام القربة الذي يشدّ به رأسها في منع الماء أن يسيل منها . قوله: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ يقول: لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك إلا من رحمنا فأنقذنا منه، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصمه."

١ - البحر المحيط (٥/٥) (١٧٣/٢٢٧).

٢ - الطبرى (١٢/٢٨)، الواحدى في الوسيط (٢/٥٧٤)، السمرقندى (٢/٤٨)، الزمخشري (٢/٢٧٠)، ابن عطيه (٣/١٧٤)، ابن الجوزى (٤/٨٨)، الرازى (١٧/٢٥٣)، القرطبي (٩/٣٦)، النسفي (٢/٢٧١)، ابن جزي (٢/١٩٣)، والخازن آيه ٤٣، ابن عادل (١٠/٤٨٠)، البقاعي (٣/٥٣١)، أبي السعود (٤/١٩٩)، الشوكاني (٢/٤٩٦).

وقال السمرقندى: "﴿قَالَ نُوحٌ﴾ نوح: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ يقول: لا مانع اليوم من عذاب الله، أي الغرق، لا جبل ولا غيره ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ يعني: إلا من قد آمن، فعصمه الله.

وقال الواحدى: لا مانع اليوم من عذاب الله ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ هذا استثناء منقطع، المعنى لكن من رحم الله، فإنه معصوم.
القول الثاني: المراد هو: لا معصوم اليوم من أمر الله إلا من رحم، □ وهو قول بعض المفسرين.

قال النحاس: فيه قوله: ... والآخر: أنه على النسبة، فيكون المعنى لا معصوم، كما قال ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]. أي: مدفوق.
وقال الزمخشري: وقيل لا عاصم، يعني: لذا عصمة إلا من رحمة الله، كقوله: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]..
وقال ابن عطية: وقيل: (العاصم) معناه ذو انتقام ، فـ (العاصم) على هذا في معنى معصوم، ويحيى الاستثناء مستقيماً.

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:
 أن السبب في ذلك هو الاختلاف في موضع (من):

- ف(من) في القول الأول: في موضع رفع، لأن معنى الكلام: لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله إلا الله.
- و(من) في القول الثاني : في موضع نصب، لأن المعصوم بخلاف

١ - النحاس (١/٥٠٩)، الزمخشري (٢/٢٧٠)، ابن عطية (٣/١٧٤)، ابن الجوزي (٤/٨٨)، الرازى (١٧/٢٥٣)، القرطبي (٩/٣٦)، البيضاوى (٣/٢٣٦)، النظام النيسابوري (١٢/١٦)، ابن عادل الحنبلي (١٢/٤٨٠)، ابن عاشور (١٢/٧٤).

(□) العاصم، والمرحوم معصوم.

- أو: لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ عَلَى : لَكِنْ مَنْ رَحِمَ، ويجوز أن يكون على : لا ذَا عصمة : أي معصوم، ويكون (إلا من رحم) رفعا بدلأً من العاصم (□).

١ - وهو قول نحوي الكوفة. قاله الطبرى في جامع البيان (٢٨/١٢).

٢ - ذكره الطبرى (٢٨/١٢)، وقد أجاب الرازى عن هذا القول بعدة إجابات في تفسيره (٣٥٣/١٧). فقال: "فيه سؤال، وهو أن الذى رحمه الله معصوم، فكيف يحسن استثناء المعصوم من العاصم وهو قوله: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وذكروا في الجواب طرقاً كثيرة.

الوجه الأول: أنه تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ بِهَا يَسِّمُ اللَّهُ مَجْرِنَاهَا وَمَرْسَنَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١] فيبين أنه تعالى رحيم وأنه برحمته يخلص هؤلاء الذين ركبوا السفينة من آفة الغرق. إذا عرفت هذا فنقول: إن ابن نوح ﷺ لما قال: سأوي إلى جبل يعصمني من الماء قال نوح ﷺ أخطأت ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ والمعنى: إلا ذلك الذي ذكرت أنه برحمته يخلص هؤلاء من الغرق فصار تقدير الآية: لا عاصم اليوم من عذاب الله إلا الله الرحيم وتقديره: لا فرار من الله إلا إلى الله، وهو نظير قوله ﷺ في دعائه: ((وأعوذ بك منك)) وهذا تأويل في غاية الحسن. الوجه الثاني: في التأويل وهو الذي ذكره صاحب (حل العقد) أن هذا الاستثناء وقع من مضمر هو في حكم الملفوظ لظهور دلالة اللفظ عليه، والتقدير: لا عاصم اليوم لأحد من أمر الله إلا من رحم وهو كقولك لا نضرب اليوم إلا زيداً، فإن تقديره لا تضرب أحداً إلا زيداً إلا أنه ترك التصریح به لدلالة اللفظ عليه فكذا هنا.

الوجه الثالث: في التأويل أن قوله: ﴿لَا عَاصِم﴾ أي لا ذَا عصمة كما قالوا: رامح ولا بن ومعناه ذو رمح، ذو لبن وقال تعالى: ﴿مِنْ مَاءِ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] و ﴿عِيشَةٌ رَّاضِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١] ومعناه ما ذكرنا فكذا هنا، وعلى هذا التقدير: العاصم هو ذو العصمة، فيدخل فيه المعصوم، وحينئذ يصح استثناء قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ منه.

الوجه الرابع: قوله: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ عنى بقوله إلا من رحم نفسه، لأن نوحأً وطائفته هم الذين خصهم الله تعالى برحمته، والمراد: لا عاصم لك إلا الله يعني أن بسيبه تحصل رحمة الله، كما أضيف الإحياء إلى عيسى ﷺ في قوله: ﴿وَرَسُولاً إِلَيْ﴾ [آل عمران: ٤٩] لأجل أن الإحياء حصل بدعائه.

=

ويجب عن ذلك بالقول: أنه لا وجه لهذه الأقوال التي ذكرت، لأن كلام الله تعالى إنما يوجه إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بسانه ما وجد إلى ذلك سبيل. ولا حاجة إلى التكلف في المعنى المراد فنجعل (عاصما) في معنى (معصوم)، ولا أن نجعل (إلاً) بمعنى (لكن)، إذ كنا نجد لذلك من كلام العرب مَحْرِجاً صحيحاً.

الترجيح:

يترجح القول في إبقاء عاصم على حقيقة فيكون المراد : لا مانع اليوم من أمر الله إلا من رحم. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه الأنسب في سياق الكلام.

قال الشوكاني: فأجاب عنه نوح بقوله : ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: لا مانع، فإنه يوم قد حق فيه العذاب وجف القلم بما هو كائن فيه، نفى جنس العاصم فيندرج تحته العاصم من الغرق في ذلك اليوم اندراجاً أوّلياً، وعبر عن الماء أو عن الغرق بأمر الله سبحانه تفخيماً لشأنه، وتهويلاً لأمره.

٢. لموافقة قاعدة الترجيح وهي : [يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة].

وقد أشار إليها الإمام الطبرى فقال بعد أن ذكر تفصيل الأقوال والنواحي الإعرابية: ولا وجه لهذه الأقوال التي حكيناها عن هؤلاء، لأن كلام الله تعالى إنما يوجه إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بسانه ما وجد إلى ذلك سبيل، ولم يضطرنا شيء إلى أن نجعل (عاصما) في معنى (معصوم)، ولا أن

الوجه الخامس: أن قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾ استثناء منقطع، والمعنى لكن من رحم الله معصوم ونظيره قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتَيْاعَ الظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧] ثم إنه تعالى بين بقوله : ﴿وَهَلَّ أَيَّتُهُمَا الْمَوْجُ﴾ أي بسبب هذه الحيلولة خرج من أن يخاطبه نوح ﴿كَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ﴾.

نجعل (إلاً) بمعنى (لكن)، إذ كنا نجد لذلك في معناه الذي هو معناه في المشهور من كلام العرب مَحْرِجاً صحيحاً، وهو ما قلنا من أن معنى ذلك : قال نوح: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمنا فأنجانا من عذابه، كما يقال: لا مُنْجِيَّ اليوم من عذاب الله إلا الله، ولا مُطِعْمَ اليوم من طعام زيد إلا زيد . فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم".

٣. وأيضا فإن الآية تتحدث عن العاصم لا عن المعصوم فابن نوح قال

سَأَوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي ، واسم الفاعل عاصم، فيجب إبقاءه على حقيقة.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَقِيلَ يَتَأْرُضُ أَبْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَاءَ أَقْلَعِي وَغِيَضَ الْمَاءِ وَفُصِّيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِي وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤].
في الآية مسألة واحدة وهي:

قول من قوله ﴿ وَقِيلَ ﴾؟

قال أبو حيyan: "والظاهر أن قوله : وقيل بعداً من قول الله تعالى كالأفعال السابقة، وبني الجميع للمفعول للعلم بالفاعل." □
الدراسة:

في المسألة قولان:

(□) القول الأول: هو من قول الله تعالى، وهو قول جماعة من المفسرين؛
واختاره أبو حيأن.

قال الطبرى: يقول الله تعالى ذكره: وقال الله للأرض بعد ما تناهى أمره في هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق: ﴿ يَتَأْرُضُ أَبْلَعِي مَاءَكِ ﴾: أي تشرّبى ﴿ وَيَسْمَاءَ أَقْلَعِي ﴾ يقول: أقلعي عن المطر: أمسكي. ﴿ وَغِيَضَ الْمَاءِ ﴾ ذهبت به الأرض ونشفته. ﴿ وَفُصِّيَ الْأَمْرُ ﴾ يقول: قضى أمر الله، فمضى بهلاك قوم نوح. ﴿ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِي ﴾ يعني الفلك. استوت: أرست على الجودي، وهو جبل في ما ذكر بناحية الموصل أو الحزيرة. ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ يقول: قال الله: أبعد الله القوم الظالمين الذين كفروا بـ الله من قوم نوح.
وقال الزمخشري: نداء الأرض والسماء بما ينادي به الحيوان المميز على

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٢٩) (١٧٣/٥).

٢ - الطبرى (٢٩/١٢)، الزمخشري (٢/٢)، ابن عطية (٣/٢٧١)، الرازى (١٧٢/٣)، البيضاوى (٣٥٧/١٨)، ابن كثير (٤/٢٣٦)، ابن العالى (٢/١٢٦)، أبي السعود (٤/١٩٩)، ابن عاشور (١٢/٧٨).

لفظ التخصيص والإقبال عليهم بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله: ﴿يَا أَرْضٌ﴾، ﴿وِيَا سَمَاء﴾ ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله : ﴿أَبْلَعَيْ مَاءِكَ﴾ و ﴿أَقْلَعَيْ﴾ من الدلالة على الاقتدار العظيم، وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير متنعة عليه، كأنها عقلاً مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور، وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث، فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء.

وقال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿وَقَيْلَ يَتَأَرَّضُ أَبْلَعَيْ مَاءِكَ﴾ الآية، بناء الفعل للمفعول أبلغ في التعظيم والجبروت ، وكذلك بناء الأفعال بعد ذلك في سائر الآية؛ وروي أن أعرابياً سمع هذه الآية فقال: هذا كلام القادرين." □
القول الثاني: هو على سبيل المجاز، وهو قول بعض المفسرين.

قال النحاس: "قيل هذا مجاز لأنها موات . وقيل: جعل فيها ما تُميّز به . والذى قال إنه مجاز قال : لو فُتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، وبلاهة رصفيها، واشتمال المعاني فيها."

وقال القرطبي: "هذا مجاز لأنها موات . وقيل: جعل فيها ما تُميّز به . والذى قال إنه مجاز قال : لو فُتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، وبلاهة رصفيها، واشتمال المعاني فيها."

وقال النسفي: "﴿وَقَيْلَ﴾ على سبيل المجاز على الإرادة الواقع بسببيها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا أرض ويا سماء".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

١ - النحاس في إعراب القرآن (٢٨٦/٢)، النسفي (٢٧٢/٢)، القرطبي (٣٦/٩)، الألوسي (٢٧٩/٢).

- أما القول إنه هو من قول الله تعالى، فهو الأظهر.
- وأما القول إنه على سبيل المجاز بعيد، ويرد على هذا القول بما يلي □:
 ١. إن القول بالمجاز ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال والجلال.
 ٢. ليس كل ما جاز في اللغة جاز في القرآن؛ لأنه بلسان عربي مبين .

الرجح:

يترجح القول إنه من قول الله تعالى . وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه،
وذلك:

١. لأنه الأظهر في سياق الكلام.

وقال الرازى: " قوله: ﴿وَقَيْلَ﴾ وذلك لأن هذا يدل على أنه سبحانه في الجلال والعلو والعظمة، بحيث أنه متى قيل قيل لم ينصرف العقل إلا إليه ولم يتوجه الفكر إلا إلى أن ذلك القائل هو هو وهذا تنبئه من هذا الوجه، على أنه تقرر في العقول أنه لا حاكم في العالمين ولا متصرف في العالم العلوي والعالم السفلي إلا هو".

٢. لأنه أبلغ في الكلام وأفخم.

قال البيضاوى: " والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الإيحاز الحالى عن الإخلال، وفي إيراد الأخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل، وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره، إذ لا يذهب الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار".

١ - ملخص من كتاب (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز) للشيخ الشنقيطي. وانظر رسالة في الحقيقة وابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٤٠٠/٢٠)، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢١٤/٢).

٣. لموافقة قاعدة الترجيح وهي :[يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة.]^(□)

والله تعالى أعلم

١ - انظر قواعد الترجيح (٣٨٧/٢).

قال تعالى ﴿قَالَ يَنْتُوْحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلَ عَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ أَعْظُمَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].
في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿إِنَّهُ عَمَلَ عَيْرُ صَالِحٍ﴾؟

قال أبو حيأن : "والظاهر أنّ الضمير في أنه عائد على ابن نوح لا على النداء المفهوم من قوله: ﴿وَنَادَى﴾ المتضمن سؤال ربه."

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إنّ الضمير في إنه عائد على ابن نوح ، و معناه : إن ابنك عمل عملاً غير صالح، (□) وهو قول بعض المفسرين، (□) و اختاره أبو حيأن.
قال الواحدي: وقيل: معناه: إنّ ابنك ذو عملٍ غير صالح.

وقال الزمخشري: "﴿إِنَّهُ عَمَلَ عَيْرُ صَالِحٍ﴾ تعليل لانتفاء كونه من أهله . وفيه إذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب، وأنّ نسيبك في دينك و معتقدك من الأبعد في المنصب وإن كان حبشاً و كنت قرشياً لصيقك و خصيصك . ومن لم

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٢٩) (١٧٤/٥).

٢ - والبعض ارجع الضمير إلى ابنه ولكن بتفسير سبق بيان خطئه . قال الماوردي آية ٤٦: _ بعد أن ذكر أن فيه ثلاثة أقوال : "والثاني: معناه أن ابنك الذي سألتني أن أنجيه هو عملٌ غير صالح ، أي أنه لغير رشه، قاله الحسن". وقد أجاب القرطبي (٩/٤٥) فقال: "إن قوله: ﴿قَالَ يَنْتُوْحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلَ عَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلُنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ أَعْظُمَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ليس مما ينفي عنه أنه ابنه . و قوله: ﴿فَحَائَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠] يعني في الدين لا في الفراش، وذلك أن هذه كانت تخبر الناس أنه مجنون".

٣ - الواحدي في الوجيز آية ٤ ، الزمخشري (٢/٢٧٢)، البيضاوي (٣/٢٧٣)، النسفي (٢/٢٧٤)، ابن جزي (٢/١٩٥)، أبي السعود (٤/١٩٩)، الألوسي (٢١/٩٧٩).

يكن على دينك - وإن كان أمس أقاربك رحماً - فهو أبعد بعيد منك، وجعلت ذاته عملاً غير صالح، مبالغة في ذمه".

وقال البيضاوي: "﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ أي عمل عملاً غير صالح."

القول الثاني: إن الضمير يرجع إلى نداء و سؤال نوح ربه، وهو قول بعض المفسرين.^(□)

قال الطبرى: "عن مجاهد^(□)، قوله: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ قال: سؤالك إياي عمل غير صالح فلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ". فقال بعضهم: معناه: إن مسألك إياي هذه عمل غير صالح..."

وقال: "والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراءة الأم صار، وذلك رفع (عمل) بالتنوين، ورفع (غير)، يعني: إن سؤالك إياي ما تسألنيه في ابنك المخالف دينك الموالي أهل الشرك بي من النجاۃ من الھلاک".

وقال النحاس: "وقال قتادة: معناه إن سؤالك إياي ما ليس لك به علم في قوله: ﴿قَالَ سَعَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٣] عمل غير صالح، وهذا عمل غير صالح.

وهذا أحسن ما قيل فيه، لأن عبد الله بن مسعود قرأ^(□) (إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم)".

وقال السمرقندى: "وقرأ الباقيون: ﴿عَمَلٌ غَيْرٌ﴾، بالتنوين والضم، وضم

١ - الطبرى (٣٠/١٢)، النحاس (٥٠٩/١)، السمرقندى (١٤٨/٢)، ابن الجوزى (٤/٨٩)، ابن جزي (٢/٩٥)، الجلالين آية ٤٦.

٢ - وسنده: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن حمزة الزيارات، عن الأعمش، عن مجاهد".

٣ - وهي قراءة تفسيرية.

الراء، ومعناه: إن سؤالك ودعائك لابنك الكافر عمل غير صالح.

القول الثالث: عود الضمير على الكفر، وهو قول بعض المفسرين. (□)

قال الطبرى: ... قال: سمعت الضحاك (□) يقول في قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ يقول: ليس من أهل ولادتك، ولا من وعديك أن أنجح من أهلك .

﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ يقول: كان عمله في شرك.

قال السمرقندى: ثم قال: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ﴾ قرأ الكسائي: (إنه عمل غير صالح) ، بكسر الميم ونصب الراء. وروت أم سلامة عن رسول الله ﷺ أنه كان

يقرأ هكذا، ومعناه: إن ابنك عمل عمل المشركين، ولم يعمل عمل المؤمنين.

وقال الشعبي: وقرأ أهل الكوفة (عمل) بكسر الميم وفتح اللام، (غير) بنصب الراء على الفعل ومعناه: إنه عمل الشرك والكفر، وقرأ الباقيون (عمل) بفتح الميم وضم اللام وتنوين غير بالرفع ومعناه : إن سؤالك إياي أن أنجحه عمل غير صالح.

نلاحظ ما سبق لإيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير في إنف عائد على ابن نوح، فهو أظهر.
- وأما القول إن الضمير يرجع إلى نداء وسؤال نوح ربه . فعلى قراءة: (عمل غير) بفتح الميم ورفع اللام منونة، ورفع الراء. (□)
- وأما القول إن الضمير يعود على الكفر . فعلى قراءة (إنه عمل غير صالح) (عمل) بكسر الميم وفتح اللام، (غير) بنصب الراء. (□). ولا

١ - الطبرى (١٢/٣٠)، السمرقندى (٤٨/٢)، الشعبي آية ٤٦، ابن جزي (٩٥/٢).

٢ - وسنه قال الطبرى: حديث عن الحسين بن الفرج، قال : سمعت أبا معاذ، قال : ثناع بيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول.

٣ - وهي قراءة الباقيين . النشر (٢١٧/٢) ، إتحاف فضلاء البشر ص ٣٢١.

٤ - وهي قراءة يعقوب والكسائي. النشر (٢١٧/٢)، اتحاف فضلاء البشر ص ٣٢١.

يُخفى ضعف القول لأن من المعلوم بداهة أن الكفر من الأعمال الغير
صالحة.

- وأما من استدل بقراءة عبد الله بن مسعود فهي ليست بقراءة، وإنما تحمل على وجه التفسير.

الترجيح

يترجح القول إن الضمير في إنه عائد على ابن نوح، وهو اختيار أبي حيأن ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق فنوح قال ﴿ وَنَادَى نُوحُ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنَى مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ

وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحَمْمُ الْحَكِيمَ ﴾٤٥﴿ [هود: ٤٥].

٢. لأنه الأظهر معنى وأنسب قوله.

قال الواحدى: "وقيل: معناه: إن ابنك ذو عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم وذلك أن نوحًا لم يعلم أن سؤاله رب نجا ولديه محظوظ عليه مع إصراره على الكفر، حتى أعلمه الله سبحانه ذلك."

٣. لموافقة قاعدة الترجيح وهي : [إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادةه إلى غيره[□]] ، والمحدث عنه ابن نوح وليس النداء.

٤. ولم يوافقه قاعدة الترجيح وهي : [توحيد مرجع الضمائر في السياق أولى من تفريقيها[□]] ، فالضمير في (إنه) الأولى تعود على ابن نوح دون خلاف وكذا (إنه) الثانية تبعا للقاعدة.

١ - قواعد الترجيح (٦٠٣/٢).

٢ - قواعد الترجيج (٦١٣/٢).

قال تعالى ﴿قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ سَلَمٌ مِّنَا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّةٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأَمْمٌ﴾

سَنُنْتَعِهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨]

في الآية مسألة واحدة وهي:

من القائل في قوله ﴿قِيلَ يَنْوُحُ﴾؟

قال أبو حيyan : "بني الفعل للمفعول، فقيل : القائل هو الله تعالى، وقيل : الملائكة تبلغاً عن الله تعالى. والظاهر الأول لقوله: (منا)." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

(□) **القول الأول:** إن القائل هو الله تعالى، وهو قول جماعة من المفسرين؛ واختاره أبو حيyan.

قال القرطبي: "أو قال الله تعالى له : اهبط من السفينة إلى الأرض، أو من الجبل إلى الأرض؛ فقد ابتلعت الماء وجفت".

وقال البقاعي : "(قيل) بالبناء للمفعول دلالة على العظمة والجلال الذي تكون الأمور العظيمة لأجله بأدنى إشارة (يا نوح أهبط)"

وقال الألوسي: ﴿قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ﴾ الخ وهو من الحسن بمكان، وبني الفعل لما لم يسم فاعله لظهور أن القائل هو الله تعالى.

القول الثاني: إن القائل هم الملائكة تبلغا عن الله. وهو قول بعض المفسرين.

قال القرطبي: "أي قالت (له) الملائكة".

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٧٥) (٢٣١/٥).

٢ - القرطبي (٨/٩)، البقاعي (٣/٥٣٤)، الألوسي (٨/٢١)، ابن عاشور (١٢/٨٨)، الجزائري في أيسر التفاسير (٢/٥٤٨)، المراغي في تفسيره (٤٢/١٢). ولم يتطرق أكثر المفسرين إليه.

وقال الألوسي: وقيل: القائل الملائكة عليهم السلام.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن القائل هو الله تعالى . فهو الأظهر والأنسب، وأول ما يتبادر إلى الذهن.

- وأما القول إنهم الملائكة . فيدخل ضمن القول الأول، لأن الملائكة لا تقول ذلك إلا بأمر اللطيف الخبير.

الترجح:

يترجح القول إن القائل هو الله تعالى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

وهو قوله تعالى ﴿قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطُ بِسَلَمٍ مِّنَا﴾ بدلالة (منا).

٢. لدلالة ما سبق من الحوار في الآيات السابقة.

قال ابن عاشور: "وكان مقتضى الظاهر أن يقول: قال يا نوح اهبط، ولكنه عدل عنه إلى بناء الفعل للنائب ليجيء على و蒂رة حكاية أجزاء القصة المتقدمة

من قوله: ﴿وَقِيلَ يَأْرُضُ أَبْلَعِي مَاءً لَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلَعِي وَغِيَضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُوُودِيَّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] فحصل بذلك البناء قضاء

- حق الإشارة إلى جزء القصة، كما حصل بالفصل قضاء حق الإشارة إلى أن ذلك القول جزء المحاور. ونداء نوح ﷺ للثواب به بين الملا.

٣. لموافقته لقاعدة الترجح وهي: [إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج].

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجح (١٢٥/١).

قال تعالى ﴿ وَيَقُولُ أَسْتَعْفِرُو رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ الْسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تُنَلُّوا مُجْرِمِينَ ﴾ [٥٢].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله (تولوا)؟

قال أبو حيان : "والظاهر أنّ الضمير في (تولوا) عائد على قوم هود،
وخطاب لهم من تمام الجمل المقولة قبل "□"
الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إنّ الضمير في (تولوا) عائد على قوم هود، وهو قول جماعة من
المفسرين. □ واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه ... قوله: ﴿ وَلَا
ثُنَلُّوا مُجْرِمِينَ ﴾ يقول: ولا تدبوا عما أدعوكم إليه من توحيد الله، والبراءة
من الأواثان والأصنام مجرمين، يعني كافرين بالله.

وقال الشعبي: فقال لهم هود: إن آمنتكم أحيا الله ببلادكم ورزقكم المال والولد.
﴿ وَلَا ثُنَلُّوا ﴾ ولا تدبوا مشركين.

وقال البغوي: فقال لهم هود السعيد: إن آمنتكم أرسل الله عليكم المطر
فتزدادون مالاً ويعيد أرحام الأمهات إلى ما كانت فيلدن فتزدادون قوة

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٧٧) (٢٣٤/٥).

٢ - الطبرى (٣٥/١٢)، الشعبي والبغوى آية ٥٢، الرمخشري (٢/٢٧٤)، ابن عطية (٣/١٧٩)، القرطبي (٩/٤٩)، البيضاوى (٣/٢٣٩)، النسفي (٢/٢٧٧)، الخازن الجلالين آية ٢٥، أبي السعود (٤/٢١٦)، الشوكاني (٢/٤٥٠)، الالوسي (٢١/٣٨)، ابن عاشور (١٢/٩٤).

بالأموال والأولاد. وقيل: تزدادون قوة في الدين إلى قوة في البدن . «وَلَا نُثْلِوْا مُجْرِمِينَ» أي: لا تدبروا مشركين.

القول الثاني: إن الضمير هو عائد على كفار قريش ، وهو قول التبريزي (□) نقله أبو حيان عنه .

قال أبو حيان: وقال التبريزي: هو عائد على كفار قريش، وهو من تلوين الخطاب، انتقل من خطاب قوم هود إلى الإخبار عن بحضرة الرسول ﷺ، وكأنه قيل: أخبرهم عن قصة قوم هود، وادعهم إلى الإيمان بالله لئلا يصيّبهم كما أصاب قوم هود، فإن تولوا فقل لهم: قد أبلغتكم.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير في (تولوا) عائد على قوم هود، فهو الظاهر.
- وأما القول إن الضمير هو عائد على كفار قريش ، فهو بعيد . بدلالة الآيات السابقة لهذه الآية والتي تليها . وللمعتبر استخلاص العبرة والعظة منها.

قال تعالى ﴿يَقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾٥١﴿ وَيَقُومُ أُسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَرِدُّ كُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا نُثْلِوْا مُجْرِمِينَ ﴾٥٢﴾ [هود: ٥١ - ٥٢].

قال تعالى ﴿ قَالُوا يَهُودُ مَا جَحْتَنَا بِيَنِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيَّةِ إِلَهَيْنَا عَنْ قَوْلَكَ وَمَا

١ - أبو زكريا يحيى بن على الشيباني الخطيب التبريزي؛ إمام اللغة سمع من أبي بكر الخطيب توفي سنة اثنين وخمس مئة . سير أعلام النبلاء (٢٦٩/١٩)، شذرات الذهب (٤/٤)، كشف الظنون ص ١٠٨ . ولم أقف على قوله . ولم ينقله سوى أبي حيان فيما اطلعت عليه من كتب التفسير . والله أعلم.

نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ [٥٣] هود: .

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير في (تولوا) عائد على قوم هود . وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة سياق آيات قصة هود مع قومه كما سبق بيانه.
 ٢. لأن الظاهر المبادر إلى الفهم عند سماع الآيات.
- والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ ﴾ [هود: ٥٨]

فِي الآيَةِ مَسَأْلَتَانٌ :

المُسَأْلَةُ الْأُولَى

ما سبب نجاة هود ومن معه؟

قال أبو حيان : " والظاهر تعلق برحمه منا بقوله : نجينا أي، نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقتهم، لا بأعمالهم الصالحة . أو كنى بالرحمة عن أعمالهم الصالحة، إذ توفيقهم لها إنما هو بسبب رحمته تعالى إياهم." □

الدراسة:

في المسألة قوله:

القول الأول : سبب النجاة هو رحمة الله تعالى، وهو قول كثير من المفسرين، □ واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : يقول تعالى ذكره : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ قَوْمَ هُودٍ عَذَابُنَا أَجْيَنَا مِنْهُ هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾ يعني بفضل منه عليهم ونعمته، ﴿ وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ ﴾ يقول: نجيناهم أيضاً من عذاب غليظ يوم القيمة، كما نجناهم في الدنيا من السخطة التي أنزلتها بعده.

وقال البغوى : قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابنا ﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ وكانوا أربعة آلاف. ﴿ بِرَحْمَةٍ ﴾ بنعمة ﴿ مَنَا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ ﴾ وهو

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٣٥) (١٧٨/٥).

٢ - الطبرى (٣٧/١٢)، البغوى آيه ٥٨، ابن عطية (٣/٥٠٤)، ابن الجوزي (٤/٩٦)، الرازى (١٨/٣٦٧)، القرطبي (٩/٤٩)، النسفي (٢/٢٧٩)، ابن عادل (١٠/٥٠٤)، البقاعي (٣/٥٤٤)، الشوكانى (٢/٤٠٥)، الالوسي (١٢/٩٨)، ابن عاشور (١٢/١٠٣).

الريح التي أهلك بها عاداً وقيل : العذاب الغليظ: عذاب يوم القيمة أي : كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة.

وقال ابن عطية : " قوله ﴿بِرَحْمَةٍ﴾، إما أن يكون إخباراً مجرداً عن رحمة من الله لحقتهم، وإما أن يكون قصداً إلى الإعلام أن النجاة إنما كملت بمجرد رحمة الله لا بأعماله؛ فتكون الآية - على هذا - في معنى قول رسول الله ﷺ: ((لا يدخل أحد الجنة بعمله)) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ((ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمته)) □"

القول الثاني : سبب النجاة هو الإيمان والهدایة إليه، وهو قول بعض المفسرين. □

قال الواعدي: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بهلاك عاد ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ بِرَحْمَةِ مِنَّا﴿ حيث هدیناهم إلى الإيمان، وعصمناهم من الكفر.

وقال ابن الجوزي: نجيناهم بأن هدیناهم إلى الإيمان، وعصمناهم من الكفر.

وقال الرازى : المراد من الرحمة : ما هداهم إليه من الإيمان بالله والعمل الصالح.

نلاحظ مما إيراده ما يلي:

- أما القول إن سبب النجاة هو رحمة الله تعالى، فهو الظاهر.
- وإنما القول إن سبب النجاة هو الإيمان والهدایة إليه . فهو داخل في القول الأول ضمنا فالإيمان والهدایة من رحمة الله لعباده.

١ - صحيح البخاري / كتاب الرفاق / باب القصد حديث رقم (٦٤٦)، صحيح مسلم / كتاب صفات المناقين حديث رقم (٢٨١٦).

٢ - الواعدي في الوجيز آية ٥٨، ابن الجوزي (٩٦/٤)، الرازى (٣٦٧/١٨)، النسفي (٢٧٩/٢)، أبي السعود (٤/٢١٦).

الترجح:

يترجح القول إن سبب النجاة هو رحمة الله تعالى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة لفظ الرحمة العام، فالنجاة بسبب رحمة الله لهم ورحمة الله

شملتهم لإيمانهم بالله وحده سبحانه.

قال أبو حيان : "ويحتمل أن يكون متعلقاً بآمنوا أي : أن إيمانهم بالله وبتصديق

رسوله إنما هو برحمته تعالى إيمانهم، إذ وفهم بذلك".

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بالعذاب الغليظ في قوله ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ﴾؟

قال أبو حيان : " وتكررت التجوية على سبيل التوكيد، ول قلق من لو لاصقت (منا) فأعيدت التجوية وهي الأولى، أو تكون هذه التنجي هي من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه، فأعيدت لأجل اختلاف متعلقيها." ^(□)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول : المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة، وهو قول بعض المفسرين، ^(□) و اختاره أبو حيان.

قال الطبرى: "﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ﴾ يقول: نجناهم أيضاً من عذاب غليظ يوم القيمة، كما نجناهم في الدنيا من السخطة التي أنزلتها بعده."

قال ابن عطية: "وقوله ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ﴾ يحتمل أن يريد: عذاب الآخرة .
وقال الرازى : " فالمراد من النجاة الأولى هي النجاة من عذاب الدنيا، والنجاة الثانية من عذاب القيمة، وإنما وصفه بكونه غليظاً تبيهاً على أن العذاب الذي حصل لهم بعد موتهم بالنسبة إلى العذاب الذي وقعوا فيه كان عذاباً غليظاً".

القول الثاني: المراد عذاب قوم هود في الدنيا، وهو قول بعض المفسرين. ^(□)

١ - البحر المحيط (٤/٥) (٢٣٥). ووجه كونها ترجيح عطفها على المسألة السابقة فقال والظاهر تعلق برحمة منا.... ثم وتكررت ..."

٢ - الطبرى (١٢/٣٧)، ابن عطية (٣/١٨٢)، الرازى (١٧/٣٦٧)، القرطى (٩/٤٩)، النسفي (٢/٢٧٩)، والخازن آيه ٥٨، ابن عاشور (٢١/٩٨).

٣ - الواحدى فى الوجيز والبغوى آية ٥٨، الزمخشري (٢٧٦/٢)، ابن عطية (٣/١٨٢)، البيضاوى (٣/٢٤١)، ابن جزي الكلبى (٢/١٩٧)، البقاعى (٣/٥٤٤)، الجلالان آية ٥٨، الشربى (٢/٧٢)، أبي

قال الوحداني: «وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ» يعني: ما عذب به الذين كفروا.

وقال البعوي: «وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ» وهو الريح التي أهلك بها عاداً.

وقال الزمخشري: على معنى: وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ،

وذلك أن الله تعالى بعث عليهم السرور فكانت تدخل في أنوفهم وتنخرج من أدبارهم فتقطعهم عضواً عضواً.

(□) القول الثالث: المراد به عذاب الدنيا والآخرة، وهو قول بعض المفسرين.

قال السمرقندى: «وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ» يعني: من العذاب الذي عذب به عاد في الدنيا وما يعذبون به في الآخرة.

وقال الشعبي: قيل: أراد بالعذاب الغليظ عذاب القيمة أي كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة من العذاب.

وقال البعوي: وقيل: العذاب الغليظ: عذاب يوم القيمة أي: كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة.

نلاحظ ملمس بسبق إيراده ما يلى:

- أما القول إن المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة، فهو معنى محتمل.

- وأما القول إن المراد عذاب قوم هود في الدنيا. فهو أظهر.

- وأما القول إن المراد به عذاب الدنيا والآخرة. فإنه جمع بين القولين.

الرجح:

يترجم القول إن المراد عذاب قوم هود في الدنيا، وذلك:

= السعود (٤/٢١٦)، الشوكاني (٢/٥٠٤)، الألوسي (٢١/٩٨).

١ - السمرقندى (٢/١٥٩)، الشعبي والبعوي آية ٥٨، الزمخشري (٢/٢٧٦)، ابن الجوزي (٤/٩٦)، أبي السعود (٤/٢١٦).

١. لدلة التكرار . فيكون معنى الآية : أن الله نجى المؤمنين برحمته منه .

ولسائل يسأل من أى شيء نجاهم ؟ فيكون الجواب : نجاهم من عذاب

غليظ؛ فالتكرار لتأكيد منه الرحمٰن، بنجاة المؤمنين.

٢. لأنه أظهر من حيث دلالة السياق.

قال البقاعي: ﴿ وَنَجَّيْتُهُمْ ﴾ أي بما لنا من ا لعظمة، وبين فطاعة ما أهلك به

أعداءهم بقوله: ﴿مَنْ عَذَابٌ غَلِظٌ﴾ أي أهلتنا به مخالفتهم وهو الريح الصرصار،

وهذا أولى من حمله على عذاب الآخرة لما يأتي من قوله ﴿وَمَنْ خَرَّى يَوْمِئِذٍ﴾

[الهود: ٦٦] كأنهم كانوا إذا رأوا مخايل العذاب قصدوا نبيهم ومن آمن به

ليهلكوهم قبلهم كما صرّح به في قصة صالح.

قال تعالى ﴿ وَأَتَيْعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعدًا لِعَادٍ قَوْمٌ هُودٌ ﴾ [هود: ٦٠].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

من هم الذين أتبعوا اللعنة في الدنيا والآخرة ؟

قال أبو حيان : "والظاهر أن قوله : وأتبعوا عام في جميع عاد . وقال الزمخشري: "ما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تکبهم على وجوههم في عذاب الله .^(□) انتهى. فظاهر كلامه يدل على أن اللعنة مختصة بالتابعين للرؤساء.^(□)

الدراسة:

في الآية قولان:

القول الأول : الذين أتبعوا اللعنة هم جميع عاد ، وهو قول بعض من المفسرين،^(□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : "يقول تعالى ذكره: وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضباً من الله وسخطة يوم القيمة، مثلها لعنة إلى اللعنة التي سلفت لهم من الله في الدنيا".

وقال ابن عطية: "وكان التجبر والعناد من خلق عاد لقوتهم، قوله ﴿ وَأَتَيْعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ الآية، حكم عليهم بهذا الحكم لكفرهم وإصرارهم حتى

١ - الكشاف (٢٧٧/٢).

٢ - البحر الحيط (ح/٥ ل/١٧٩) (٢٣٥/٥).

٣ - الطبرى (٣٨/١٢)، ابن عطية (٣/١٨٣)، الرازى (١٧/٣٦٧)، البيضاوى (٣/٢٤٢)، الخازن آية ٦٠.

حل العذاب بهم، و "اللعنة": الإبعاد والخزي، وقد تيقن أن هؤلاء وافوا على الكفر فيلعن الكافر الموافي على كفره ولا يلعن معين حي ، لا من كافر ، ولا من فاسق، ولا من بهيمة".

وقال الرازي: واعلم أنه تعالى لما ذكر أوصافهم ذكر بعد ذلك أحواهم فقال : ﴿وَأَتَيْعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي جعل اللعن رديفاً لهم، ومتابعاً ومصاحباً في الدنيا وفي الآخرة.

القول الثاني : الذين أتبعوا اللعنـة هـم التـابـعـونـ، وهو قول بعض من المفسـرينـ.

قال الزمخشري: "ما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنـة تـابـعـة لهم في الدارـينـ تـكـبـهـمـ علىـ وجـوهـهـمـ فيـ عـذـابـ اللهـ".

وقال النسفي: "ما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنـة تـابـعـة لهم في الدارـينـ".

وقال أبو السعود: ﴿وَأَتَيْعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ إبعاداً عن الرحمة وعن كل خير، أي جعلت اللعنـة لـازـمـةـ لهمـ، وعـبرـ عنـ ذـلـكـ بـالـتـبـعـيـةـ لـلـمـبـالـغـةـ فـكـأـنـهاـ لا تـفـارـقـهـمـ وإنـ ذـهـبـواـ كـلـ مـذـهـبـ بلـ تـدـورـ معـهـمـ حـيـثـماـ دـارـواـ، وـلـوـقـوـعـهـ فيـ صـحـبـةـ أـتـابـعـهـمـ رـؤـسـاءـهـمـ يـعـنيـ أـنـهـمـ لـماـ اـتـبـعـوـ هـمـ أـتـبـعـواـ ذـلـكـ جـزـاءـ لـصـنـيـعـهـمـ جـزـاءـ وـفـاقـاـ".

نلاحظ ما سبق إيراده ما تليـيـ:

- أما القول الأول فهو الظاهر الذي دل عليه السياق.
- وأما القول الثاني ففيه نظر لأنـهـ لاـ دـلـيلـ عـلـىـ التـخـصـيـصـ . فإنـ ماـ سـبـقـ

١ - الزمخشري (٢٧٧/٢)، النسفي (٢٧٩/٢)، أبي السعود (٢١٦/٤)، للشوكتاني (٥٠/٢).

ذكره من اتباع أمر كل جبار هو وصف لحاهم على العموم .

الرجح:

يترجح أن الذين أتبعوا اللعنة هم جميع عاد، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه ، وذلك:

١. دلالة السياق.

٢. وهو أقرب من حيث واقع الأمم ، فمن آمن نجا ومن كفر بأي حال من الأحوال فقد هلك وطرد من رحمة الله.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما الفائدة من قوله ﴿قَوْمٌ هُودٌ﴾ في الآية؟

قال أبو حيyan : "فائدة قوله: قوم هود مزيد التأكيد للمبالغة في التنصيص، أو تعين عاد هذه من عاد ارم، لأنّ عاد إثنان ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا

الأولى ﴿النجم: ٥٠﴾؛ فتحقق أن الدعاء على عاد هذه، ولم تلتبس بغيرها.

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الفائدة هي: التأكيد . وهو قول بعض المفسرين،^(□) و اختاره أبو حيyan.

قال الرازي: والثاني: أن المبالغة في التنصيص تدل على مزيد التأكيد.

وقال البقاعي: ﴿قَوْمٌ هُودٌ﴾ تحقيقاً لهم لأنهم عادان: الأولى والآخرة، وإيماء إلى أن استحقاقهم للإبعاد بما جرى له العليل معهم من الإنكار والدعاء عليهم بعد الهلاك كنایة عن الإخبار بأنهم كانوا مستحقين الله لاك.

وقال الخازن: ﴿قَوْمٌ هُودٌ﴾ عطف بيان لعاد.

فإن قلت: هذا البيان حاصل مفهوم بما الفائدة في قوله قوم هود؟
 قلت: إن عاداً كانا قبيلتين عاد الأولى القدية التي هم قوم هود وعاد الثانية وهم إرم ذات العماد وهم العماليق فأتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهو أن المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيد.

١ - البحر المحيط (ح ٥/٢٣٥) (١٧٩٦/٥).

٢ - الرازي (٣٦٧/١٨)، ابن جزي (١٩٧/٢)، البقاعي (٢٢٣/٥)، الخازن آية ٦٠ ،ابن عادل (٥٦٠/١٠)، أبي السعود (٤/٢١٦)، الجمل (٤٠٦/٢).

القول الثاني: الفائدة هي: تعيين . وهو قول بعض من المفسرين،^(□) واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري: "﴿قَوْمٌ هُودٌ﴾ عطف بيان لعاد: فإن قلت: ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه؟ قلت: الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة وسما، وتجعل فيهم أمراً محققاً لا شبهة فيه بوجه من الوجوه، ولأنّ عاداً عادان : الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم، والأخرى إرم."

وقال الرازي: ما الفائدة في قوله: ﴿لِعَادٍ قَوْمٌ هُودٌ﴾.

الجواب: كان عاد عادين، فالأولى: القديمة هم قوم هود، والثانية: هم إرم ذات العمامد، فذكر ذلك لإزالة الاشتباه.

وقال ابن جزي: "﴿لِعَادٍ قَوْمٌ هُودٌ﴾ بيان لأن عادا اثنان: إحداهما قوم هود، والأخرى إرم."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- كلا القولين محتمل، إلا إن التعيين، أقوى وأوكر . لأن العذاب إذا حل على قوم عرروا به وانتشر الخبر فذكرهم للتعيين.

الترجيح:

يترجح القول إن الفائدة هي: التعيين، وذلك:

1. نكارة بالقوم الكافرين.

2. اختلاف عذاب عاد الأولى عن الثانية. وزوال الاشتباه بالتعيين.

والله تعالى أعلم

١ - الزمخشري (٢/٢٧٧)، الرازي (١٨/٣٦٧)، ابن جزي (٢/١٩٧)، البقاعي (٥/٢٢٣)، الخازن آية ٦٠، ابن عادل (٤/٥٦٠)، أبي السعود (٤/٢١٦)، الجمل (٢/٤٠٦).

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا مَنِلَّا وَالَّذِينَ إِمْنَوْا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمَنْ خَرَّى يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [هود: ٦٦].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ وَمَنْ خَرَّى يَوْمَئِذٍ ﴾؟

قال أبو حيان : "أي: ومن فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحل بهم . وقال الزمخشري: ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيمة، كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة^(□) انتهى. وهذا ليس بعيد، لأن التنوين في إذ تنوين العوض ولم يتقدم إلا قوله، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرُنَا ﴾ ولم تتقدم جملة فيها ذكر يوم القيمة ولا ما يكون فيها، فيكون هذا التنوين عوضاً من الجملة التي تكون في يوم القيمة.^(□)

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد من فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحل بهم وهو هلاكهم بالصيحة. وهو قول جماعة من المفسرين^(□) و اختاره أبو حيان.

قال الواحدي: ﴿ وَمَنْ خَرَّى يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: نجيناهم من العذاب الذي أهلك قومه، ومن الخزي الذي لزمه ، وبقي العارُ فيهم ماثوراً عنهم ، فاللواوُ في (ومن) نسقٌ على مذدوف، وهو العذاب.

١ - الكشاف (٢٧٧/٢).

٢ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٨١) (٢٤١/٥).

٣ - الواحدي (٢/٥٨٠)، ابن عطية (٣/١٨٦)، البيضاوي (٣/٢٤٤)، النسفي (٢/٢٨١)، الخازن آيه ٦٦، ابن عادل (١٠/٥١١)، الشوكاني (٢/٢٠٧)، ابن عاشور (١٢/١١٤)، وإليه أشار الطبرى (١٢/٣٩).

وقال ابن عطية: والإشارة بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إلى يوم التعذيب.

وقال البيضاوي: أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة.

(□) القول الثاني: المراد يوم القيمة. وهو قول بعض المفسرين.

قال الرخشري: ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيمة، كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة.

وقال البيضاوي: أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة.

وقال النسفي: ونجيناهم من خزي يومئذ أي من ذله وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز أن يرید بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد من فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحل بهم وهو هلاكهم بالصيحة، فهو ما دل عليه ظاهر الآية.

- وأما القول إن المراد يوم القيمة. فاستدل له بالدلالة المعنوية.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد من فضيحة يوم إذ جاء الأمر وحل بهم وهو هلاكهم بالصيحة وهو قول أبي حيان ومن وافقه، وذلك: لدلالة السياق.

١ - الرخشري (٢٧٧/٢)، البيضاوي (٢٤٤/٣)، النسفي (٢٨١/٢)، النظام النيسابوري (١٢/٣٠)، السمين (٦/٣٥٠)، الألوسي (٤٩/٢١).

٢ - قال السمين - بعد أن ذكر كلام شيخه أبي حيان في المسألة - : "قد تكون الدلالة لفظية، وقد تكون معنوية، وهذه من المعنوية".

١. لموافقة قاعدة الترجيح وهي : [إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك][□]. فالآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية تتحدث عن العذاب الذي توعد به نبي الله صالح عليه السلام .

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١٢٥/١).

قال تعالى ﴿فَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيهِمْ لَا تَصُلُّ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَاتُلُوا لَا تَخْفَفُ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ [هود: ٧٠].

في الآية مسألة واحدة وهي:

هل عرف إبراهيم عليه السلام الملائكة مباشرة أم هم عرفوه بأنفسهم؟
 قال أبو حيان: "والظاهر أنه لم يعرف أنهم ملائكة لم يجهلهم في صورة البشر،
 وكان مشغوفاً بإكرام الأضياف، فلذلك جاؤوا في صورهم، ولمسارعته إلى
 إحضار الطعام إليهم، ولأن امتناع الملائكة من الأكل لا يدل على حصول
 الشر، وإنما عرف أنهم ملائكة بقولهم: لا تخاف إنا أرسلنا إلى قوم لوط، فهو
 عن شيء وقع في نفسه، وعرفوا خيفته بكون الله جعل لهم من الاطلاع ما لم
 يجعل لغيرهم كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٢]".

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: لم يعرف أنهم ملائكة. وهو قول كثير من المفسرين، (□) واختاره
 أبو حيان.

قال الطبرى: يقول تعالى ذكره: فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى
 العجل الذي أتاهم به والطعام الذي قدم إليهم نكرهم، وذلك أنه لما قدم
 طعامه عليه السلام فيما ذكر، كفوا عن أكله، لأنهم لم يكونوا من يأكله، وكان
 إمساكهم عن أكله عند إبراهيم وهم ضيوفه مستنكراً، ولم تكن بينهم معرفة،
 وراعه أمرهم وأوجس في نفسه منهم خيفة.

١ - البحرالمحيط (ح/٥) (١٨٢/٥) (٢٤٢).

٢ - الطبرى (٤٣/١٢)، ابن عبد السلام آية ٧٠، البيضاوى (٣/٢٤٤)، ابن عادل (١٠/٥١٩)،
 الخازن آية ٧٠، ابن عاشور (١١٥/١٢). المراغى (٥٩/١٢).

وقال ابن عبد السلام : " ﴿نَكِرَهُمْ ﴾ نَكِر وَأَنْكَر وَاحِد ، أَوْ نَكِر إِذَا لم يعْرِفُهُمْ وَأَنْكِرُهُمْ وَجْدَهُمْ عَلَى مُنْكَرٍ .

وقال البيضاوي : " أَنْكَر ذَلِكَ مِنْهُمْ وَخَافَ أَنْ يَرِيدُوا بِهِ مَكْرُوهًا " .
(□)
القول الثاني : عَرَفَ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ ، وَهُوَ قَوْلٌ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ .

قال الزمخشري : " وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَحْسَنَ بِأَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ ، وَنَكِرُهُمْ لِأَنَّهُ تَخُوفُ أَنْ يَكُونُ نَزْوَلَهُمْ لِأَمْرٍ أَنْكَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَوْ لِتَعْذِيبِ قَوْمٍ " .

وقال النسفي : " وَالظَّاهِرَةُ أَنَّهُ أَحْسَنَ بِأَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ وَنَكِرُهُمْ لِأَنَّهُ تَخُوفُ أَنْ يَكُونُ نَزْوَلَهُمْ لِأَمْرٍ أَنْكَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَوْ لِتَعْذِيبِ قَوْمٍ " .

وقال الألوسي : " إِنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ أَرْسَلُوا لِعَذَابٍ قَوْمًا أَوْ لِأَمْرٍ أَنْكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ " .

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنه لم يعرف أنهم ملائكة . فلأنه كان ينزل ناحية من الناس فخاف أن ينزلوا به مكروهاً لامتناعهم من طعامه .

- وأما القول إنه عرف أنهم ملائكة، فهو غير مقبول لأنه لو عرفهم لما خاف منهم ولما قدم لهم طعاما، ولعرف لماذا قدموا .

الترجيح:

يترجح القول إن إبراهيم الصليل لم يعرف أنهم ملائكة ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

1. لدلالة الحال، وهو خوفه منهم، وتقديم الطعام لهم، وإنكار لهم في عدم الأكل.

قال الخازن : " وَالْأَقْرَبُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الصليل لَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ فِي أَوَّلِ

١ - الزمخشري (٢٨٠/٢)، النسفي (٢٨٢/٢)، الألوسي (٢٠١/٢١).

الأمر ويدل على صحة هذا أنه ﷺ قدم إليهم الطعام ولو عرف أنهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف إبراهيم ﷺ ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ يا إبراهيم ﴿إِنَّا﴾ ملائكة الله ﴿أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ لَوْلَيْتُ﴾.

٢. لأنه الأقرب لحال الأنبياء في عدم معرفة الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [٢٦] ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، رَصَدًا﴾ [٢٧] لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَاحْتَاطَ بِمَا لَدَهُمْ وَاحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [٢٨] [الجن: ٢٦ - ٢٨].

٣. لموافقته قاعدة الترجيح وهي : لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل [□].

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١٣٧/١).

قال تعالى ﴿ وَأَمْرَأَهُ، قَائِمَةٌ فَضَحِّكَتْ فَبَشَّرَنَّهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ . [٧١] ٦١ ﴾

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله «فَضَحِّكَتْ»؟

قال أبو حيان : "والذي يظهر والله أعلم أنهم لما لم يأكلوا، وأوجس في نفسه خيفة بعدهما نكر حالمهم، لحق المرأة من ذلك أعظم ما لحق الرجل . فلما قالوا: لا تخف، وذكروا سبب مجئهم زال عنه الخوف وسر، فلتحقها هي من السرور إن ضحكت، إذ النساء في باب الفرح والسرور أطرب من الرجال وغالب عليهن ذل ك . وقد أشار الزمخشري (□) إلى طرف من هذا فقال :

ضحكت سروراً بزوال الخيبة. (□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إن المراد به الضحك المعروف ؛ وهو قول أكثر المفسرين (□)، واختاره أبو حيان؛ وخالفوا في سببه على عدة وجوه هي:

- ضحكت تعجبًا من أنها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيوفهما بأنفسهما تكرمة لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون.

١- الكشاف (٢٨٠/٢).

٢- البحار المحيط (ح/٥/١٨٣) (٢٤٣/٥).

٣- الطبرى (٤٣/١٢)، النحاس (٥١٣/١)، الثعلبي والماوردي والبغ وي آية ٧١ ، الوحدى في الوسيط (٥٨١/٢) ، الزمخشري (٢٨٠/٢)، ابن عطية (١٨٧/٣)، ابن الجوزي (٤/١٠٤)، الرازى (٣٧٥/١٨)، والعز ابن عبد السلام آية ٧١ ، البيضاوى (٣/٢٤٤)، النسفي (٢٨٢/٢)، والنظام النيسابوي (٣٥/١٢)، والخازن آية ٧٠ ، ابن عادل (١٠/٥١٩)، الشعابى (٢/١٣٠)، أبي السعود (٤/٢٢٤)، والجمل (٤١٠/٢) ، الشوكاني (٢/٥٠٩)، الألوسي (٢١/٤٠١)، ابن سعدى ص ٣٨٦، القاسمي (٦/١٤٩)، المراغي (١٢/٥٩)،

- ضحكت من أن قوم لوط في غفلة وقد جاءت رسول الله هلاكم.
- ضحكت ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط.^(١)
- ضحكت لما رأت بزوجها إبراهيم العليّهُ أَعُوْذُ بِهِ الروع.
- ضحكت حين بشرت بإسحاق تعجبًا من أن يكون لها ولد ع لى كبر سنها وسن زوجها.^(٢)
- ضحكت فرحا بزوال الخوف عن إبراهيم العليّهُ أَعُوْذُ بِهِ حيث قالت الملائكة :

﴿لَا تَخَفِ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْ قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ وعظم سرورها بسبب سروره بزوال خوفه.

- ضحكت استبشاراً بهلاك قوم لوط.
- قال إبراهيم العليّهُ أَعُوْذُ بِهِ للملائكة : ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ قالوا: لا نأكل طعاماً إلا بالشمن، فقال: ثممنه أن تذكروا اسم الله تعالى على أوله وتحمدوه على آخره، فقال جبريل ميكائيل العليّهُ أَعُوْذُ بِهِ: (حق مثل هذا الرجل أن يتخدنه ربه خليلاً) فضحكت امرأته فرحاً منها بهذا الكلام^(□).
- أن سارة قالت لإبراهيم العليّهُ أَعُوْذُ بِهِ أرسل إلى ابن أخيك وضممه إلى نفسك، فإن الله تعالى لا يترك قوته حتى يعذبهم، فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على إبراهيم العليّهُ أَعُوْذُ بِهِ، فلما أخبروه بأنهم إنما جاؤوا لإهلاك قوم

١ - وقد ضعف هذا القول والذى بعده ابن كثير (٤/٢٨٧). فقال: "وقول محمد بن قيس: إنها إنما ضحكت من أنها ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط. وقول الكلبي: إنها إنما ضحكت لما رأت من الروع بإبراهيم ضعفاً ووجداً وإن كان ابن جرير قد رواهما بسندهما إليناهما فلا يلتفت إلى ذلك والله أعلم".

٢ - ضعفه ابن كثير (٤/٢٨٧) فقال: "وقال وهب بن منبه: إنما ضحكت لما بشرت بإسحاق وهذا مخالف لهذا السياق فإن البشرة صريحة مرتبة على ضحكتها".

٣ - قال الطبرى (٤٣/١٢): "حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ".

لوط صار قوله مموافقةً لقولها، فضحكت لشدة سرورها بحصول الموافقة بين كلامها وبين كلام الملائكة^(□).

قال الطبرى : " قوله: ﴿فَضَحِكْتَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿فَضَحِكْتَ﴾ وفي السبب الذي من أجله ضحكت، فقال بعضهم : ضحكت الضحك المعروف تعجبًا من أنها زوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما تكرمة لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون."

قال النحاس: "فيه أقوال: أحسنها أنه لما لم يأكل نكرهم وخافهم، فلما قالوا: لا تخف وخبروه أنهم رسل، فرح بذلك، فضحكت امرأته سروراً بفرحة." وقال الثعلبي: "ضحكت سروراً بالأمن عليهم لما قالوا: لا تخف." القول الثاني: إن المراد بـ(ضحكت) أي حاضت، وهو قول جماعة من المفسرين^(□).

قال البغوي : "﴿فَضَحِكْتَ﴾ قال مجاهد وعكرمة: ضحكتْ أي: حاضت في اللوقت تقول العرب : ضحكت الأرنب أي : حاضت. والأكثرون على أن المراد منه الضحك المعروف."

وقال ابن الجوزي : "وفي قوله: ﴿فَضَحِكْتَ﴾ ثلاثة أقوال... والثاني: أن معنى ﴿فَضَحِكْتَ﴾: حاضت قاله مجاهد، وعكرمة. قال ابن قتيبة: وهذا من قوله: ضحكت الأرنب: إذا حاضت. فعلى هذا، يكون حيضها حينئذ تأكيدا للبشرة بالولد، لأن من لا تحيسن لا تحمل."

١ - قال الطبرى (٤٣/١٢): "حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة".

٢ - البغوي آية ٧١ ، ابن الجوزي (٤/١٠٢)، النسفي (٢/٢٨٢)، والعز ابن عبد السلام آية ٧١، والخازن آية ٧١ ، ابن كثير (٤/٢٨٧)العوфи عن ابن عباس ،ابن عادل (١٠/٥١٩)،الشوكانى (٢/٥٠٩).

وقال النسفي : «**فَضَحِكَتْ**» أو فحاضت.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي :

- أما القول إن المراد به الضحك المعروف. فهو الأقرب والأظهر.
وأما سببه فلم أجده دليلاً يقوى سبباً دون الآخر إلا أن ذلك السبب لا بد وأن يكون سبباً جرى ذكره في هذه الآية، وما ذكر هو قول الملائكة لإبراهيم ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُّوطٍ﴾. والضحك بزوال الخوف، والضحك بأنهم أرسلوا إلى قوم لوط، وقد يكون الضحك بسبب تفاجئها بحقيقة الضيوف وكونهم ملائكة لا بشراً مع أن سماتهم الظاهر وأشكالهم كالبشر.
- وأما القول إن المراد بـ(**فَضَحِكَتْ**) أي حاضت، فهو بعيد . من حيث اللغة والنظر.

أما اللغة فلم يسمع من ثقة. (□)

وإن كان أطلقه البعض على الأرانب . (□) إلا أن ذلك ليس تفسيراً لضحكـت ، وإنما جعل ذلك إمارة لما بشرت به فحاضت في الوقت ليعلم أن حملها ليس منكراً إذا كانت المرأة ما دامت تحيسـن فإنها مظنة الحبل. (□)

١ - قاله الفراء (٢٢/٢).

٢ - " وقال مجاهد وعكرمة : فضـحت أي حاضـت في الوقت ، تقول العرب : ضـحت الأرنب إذا حاضـت ، وقال مجاهد وعكرمة : فـضـحت أي حاضـت في الوقت ، تقول العرب : ضـحت الأرنب إذا حاضـت ، وضـحت الأرانب فوق الصفا // كـمـثـل دـمـ الخـوف يـوـمـ اللـقاـ ". قالـهـ الشـعـلـيـ آـيـةـ ٧١ـ . وـقـالـ اـبـنـ عـطـيـةـ (١٨٧/٣)ـ : " وـهـذـاـ القـوـلـ ضـعـيفـ قـلـيلـ التـمـكـنـ " وـقـالـ أـبـوـ السـعـودـ : " وـقـيلـ : ضـحـكتـ حـاضـتـ ، وـمـنـهـ ضـحـكتـ الشـجـرـ إـذـاـ سـالـ صـمـعـهـاـ وـهـوـ بـعـيـدـ " إـرـشـادـ العـقـلـ السـلـيمـ (٤/٢٤ـ).

٣ - ذكره السمين في عمدة الحفاظ ص ٣٠٦ . وقال : " ظاهر كلام أبو البقاء – أن ضـحـكـ بالفتح مختص بالحـيـضـ . فإـنـهـ قـالـ (ـيـعـنـىـ حـاضـتـ)ـ يـقـالـ ضـحـكتـ الأرـنـبـ بـفـتـحـ الـحـاءـ " . " الإـمـلـاءـ لأـبـيـ الـبـقاءـ " . (ـالـدرـ المـصـونـ لـالـسمـينـ (٣٥٤/٦ـ).

وأما من حيث النظر فإنها من الممكن أن تحمل ولو لم تحيض، بقدرة الواحد الأحد الذي لا يعجزه شيء.

الترجح:

يترجح القول إن المراد به الضحك المعروف . وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.
 ٢. لأنه الأقرب والأظهر في المعنى المراد.
 ٣. لموافقة قاعدة الترجح وهي: [يجب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر].[□]
- والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجح (٣٦٩/٢).

قال تعالى ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ أُلْسَيْغَاتٍ قَالَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُونَ فِي ضَيْفَتِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود: ٧٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ﴾؟

قال أبو حيان : "هؤلاء بناتي": الأحسن أن تكون الإضافة المجازية، أي: بنات قومي، أي البنات أطهر لكم، إذ النبي يتنزل منزلة الأب لقومه. وفي قراءة ابن مسعود: ﴿ الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهُنْهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] (وهو أب) [□] لهم ويدل عليه أنه فيما قيل: لم يكن له الابتان، وهذا بلفظ الجمع . وأيضاً فلا يمكن أن يزوج ابنته من جميع قومه.

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول : المراد نساء أمهاته ، قاله مجاهد وقتادة، وهو قول كثير من المفسرين، [□] واختاره أبو حيان.

قال الفراء: ويقال بنات قومه . وذلك جائز في العربية؛ لأن الله عزوجل

يقول ﴿ الَّتِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهُنْهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] في بعض

١ - هي في القراءات الشاذة ص ١١٩.

٢ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ١٨٥) (١٨٥ / ٥) (٢٤٦).

٣ - الفراء (٢٣/٢)، الطبرى (٥٠/١٢)، التحاش (٥١٥/١)، الماوردي آية ٧٨، الوحدى في الوسيط (٥٨٣/٢)، البغوي آيه ٧٨، ابن عطية (١٩٣/٣)، الرازى (٣٨٠/١٨)، البيضاوى (٢٤٦/٣)، الخازن آية ٧٨، ابن كثير (٤٠/٤)، ابن عادل (٥٣١/١٠)، الجمل (٤١٣/٢)، ابن عاشور (١٢٦/١٢).

القراءة (وهو أب لهم).

وقال الطبرى: "قوله: ﴿ قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ﴾ يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه لما جاءوا يراودونه عن ضيفه : هؤلاء يا قوم بناتي يعني نساء أمنته فانكحوهن فهن أطهر لكم".

وقال النحاس: فيه أقوال: أحسنها مجاهد قال: يريد نساء أمنته، ويقويه قول الله تعالى ﴿ وَأَزَوَّجَهُ أُمَّهَاتِهِم ﴾ [الأحزاب: ٦]. ويروى أن أبي بن كعب، وابن مسعود قرأ (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم).

القول الثاني: المراد بناته لصلبه، وهو قول جماعة من المفسرين.^(□) قال الزمخشري : أراد أن يقي أضيفه بناته، وذلك غاية الكرم، وأراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزًا.

وقال ابن الجوزي: وفي قوله: ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ﴾ قوله: "أنهن بناته لصلبه، قاله ابن عباس".

وقال النسفي: فتزوجوهن أراد أن يقي أضيفه بناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزًا في ذلك الوقت.

القول الثالث: إن لوطا لم يعرض عليهم بناته ولا بنات أمنته، وإنما قال لهم هذا لينصرفوا. ذكره النحاس، السعدي، والشنقيطي^(□).

قال النحاس: وقال عكرمة : ﴿ لَمْ يَعْرِضْ عَلَيْهِمْ بَنَاتِهِ وَلَا بَنَاتِ أَمَّتِهِ ﴾

- ١ - الزمخشري (٢/٢٨٢)، ابن الجوزي (٤/١٠٦)، النسفي (٢/٢٨٤)، ابن عبد السلام آيه ٧٨، السيوطي في الدر المثور (٤/٤٥٦)، الشوكاني (٢/٥١٣)، الألوسي (٢١١/٢١).
- ٢ - النحاس في معاني القرآن (١/٥١٥)، السعدي في تيسير الكريم الرحمن ص ٣٨٦، الشنقيطي أضواء البيان (٣/٢٠).

وإنما قال لهم هذل لينصرفوا.

وقال السعدي: قوله ﴿قَالَ يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُم﴾ من أضيافي وهذا كما عرض سليمان عليه المرأتين أن يشق الولد المختص فيه لاستخراج الحق ولعلمه أن بناته ممتنع منهاهن ولاحق لهم فيهن والمقصود الأعظم دفع هذه الفاحشة الكبرى.

وقال الشنقيطي: وخالف العلماء في المراد بقول لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ في الموضعين على أقوال أحدها: أنه أراد المدافعة عن ضيفه فقط، ولم يرد إمساء ما قال، وبهذا قال عكرمة وأبو عبيدة.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد نساء أمته. فاستدلوا بقوله تعالى ﴿وَأَزْوَجُهُمْ أُمَّهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وقراءة (وهو أب لهم). وهي من شواذ القراءات كما سبق بيانه. لكن تؤخذ من باب التفسير.

• وأما القول إن المراد بناته لصلبه، فيقال : كيف جمع، وقد كن اثنتين؟

والجواب: أنه قد يقع الجمع على اثنين، قوله : ﴿وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

وكذا يقال لهم: كيف عرض تزويج المؤمنات على الكافرين؟
فالجواب:

١. أنه قد كان يجوز ذلك في شريعته، وكان جائزًا في صدر الإسلام ، فقد زوج رسول الله ﷺ ابنته من عتبة بن أبي لعب وأبى العا ص وهما كافران. حتى نسخ.

٢. أنه عرض ذلك عليهم بشرط إسلامهم، ... يؤكده أن عرضهن عليهم

موقوف على عقد النكاح، فجاز أن يقف على شرط آخر.

- وأما القول إن لوطاً لم يعرض عليهم بناته ولا بنت أمته، وإنما قال لهم هذل لينصرفوا. فلا دليل واضح يدل عليه.

الترجح:

ما ذكره المفسرون من الأقوال محتمله ألا أن أرجحها هو ما جاء في اللفظ القرآني وهو أن البنات هن بنات نبي الله لوطاً حقيقة وذلك:

١. لأن عرض بناته على هؤلاء من باب دعوتهم إلى الحق والفطرة السليمة في النكاح وما لا شك فيه أن أنبياء الله عليهم السلام أرفق الناس بالخلق ولا سيما أقوامهم فكان حال لوطاً يقول لهم :إن باب التوبة والعودة إلى الطريق المستقيم تبدأ بترك أعظم جريمة في تاريخ البشرية وأنا عون لكم في ذلك بأن أزوجكم بناتي فهو قدوة لقومه فإن تابوا وقبلوا العرض فلا شك أن بقية القوم سيفعلون مثل ما فعل نبيهم وقدوتهم فيزوجون بناتهم من أراد منهم العودة إلى الحق ."

٢. وهذا موافق لقاعدة الترجح وهي : [لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل]. [□]

٣. ولأن فيه إقامة الحجة عليهم لآخر لحظة من حياتهم قبل نزول العذاب عليهم وبشهادة نبيهم.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجح (١٣٧/١).

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَمِتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَعَلَمُ مَا تُرِيدُ ﴾ [٧٩] هود: ٧٩.

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما معنى قوله ﴿ مِنْ حَقٍّ ﴾ ؟

قال أبو حيان : "والظاهر أنَّ معنى من حق من نصيب، ولا من غرض ولا من شهوة، قالوا له ذلك على وجه الخلاعة." (□)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المعنى من حق من نصيب، ولا من غرض ولا من شهوة، وهو قول كثير من المفسرين، (□) واختاره أبو حيان.

قال الماوردي: فيه وجهان:

"أحدهما: ما لنا فيهن حاجة، قاله الكلبي."

وقال البغوي: وقيل: معناه مالنا فيهن من حاجة وشهوة.

وقال ابن الجوزي: فيه قولان.

"أحدهما: مالنا فيهن حاجة، .. عن ابن عباس."

القول الثاني: المعنى ليس لنا من حق لأنهن لسن لنا أزواجاً، وهو قول جماعة من المفسرين، (□).

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/١٨٦) (٢٤٧/٥).

٢ - الماوردي آية ٧٩، البغوي آية ٧٩، ابن الجوزي (٤/١٠٦)، الرازى (١٨/٣٨٠)، ابن عبد السلام آية ٧٩، البيضاوى (٣٤٦/٣)، النسفي (٢/٢٨٥)، النظام النسابوري (١٢/٣٥)، ابن جزي (٢٠١/٢)، الخازن آية ٧٩، ابن كثير (٤/٢٨٩)، ابن عادل (١٠/٥٣١)، الشوكاني (٢/٥١٣)، الالوسي (٢١/٣١١)، ابن عاشور (١٢٩/١٢)، الجزائرى آية ٧٩.

٣ - قاله ابن أبي حاتم عن ابن إسحاق (٦/٢٦٣)، الطبرى (١٢/٥٢)، الماوردي والبغوي آية ٧٩، الواحدى في الوجيز (١/٥٢٩)، ابن الجوزي (٤/١٠٦)، ابن عبد السلام آية ٧٩، الخازن آية ٧٩.

قال ابن أبي حاتم: "عن ابن إسحاق ^(□)، قال: قالوا: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍ﴾: أي من أزواج ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْمَمُ مَا نُرِيدُ﴾".

وقال الطبرى: يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط للوط: لَقَدْ عَلِمْتَ يَا لوط ما لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍ لَأَنَّهُنَّ لَسْنُ لَنَا أَزْواجًا".

وقال الماوردي: الثاني: ليس لنا بأزواج، قاله محمد بن إسحاق.

القول الثالث: المعنى ليس لنا إلى بناتك تعلق، ولا هن قصدنا ولا لنا عادة نطلب ذلك، وهو قول ابن عطية والقرطبي. ^(□)

قال ابن عطية: روي أن قوم لوط كانوا قد خطبوا بناات لوط فردهم ، وكانت سنتهم أن من رد في خطبة امرأة لم تحل له أبداً ، فلذلك قالوا: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍ﴾.

قال القاضي أبو محمد : وبعد أن تكون هذه المخاطبة ، فوجه الكلام : إننا ليس لنا إلى بناتك تعلق، ولا هم قصدنا ولا لنا عادة نطلبها في ذلك.

وقال القرطبي: روي أن قوم لوط خطبوا بناته فردهم، وكانت سنتهم أن من رد في خطبة امرأة لم تحل له أبداً؛ فلذلك قوله تعالى : ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍ وَإِنَّكَ لَنَعْمَمُ مَا نُرِيدُ﴾ وبعد ألا تكون هذه الخاصية . فوجه الكلام أنه ليس لنا إلى بناتك تعلق، ولا هن قصدنا، ولا لنا عادة نطلب ذلك.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المعنى من حق من نصيب، ولا من غرض ولا من شهوة .
فقد دل واقع حالم عليه.

١ - وسنده: حديثنا محمد بن العباس مولىبني هاشم، ثنا عبد الرحمن بن سلمة، ثنا سلمة، عن ابن إسحاق.

٢ - ابن عطية(٣/١٩٣)، القرطبي (٩/٧٣).

- وأما القول المعنى ليس لنا من حق لأنهن لسن لنا أزواجا، فهو حقيقة.
 - وأما القول المعنى ليس لنا إلى بناتك تعلق، ولا هن قصدنا ولا لنا عادة نطلب ذلك، فلأن طبعهم الشذوذ والعياذ بالله.
- ولذا فإن ما ذكره المفسرون من الأقوال يكمل بعضه بعضًا.

الترجح:

يترجح القول إن ما ذكره المفسرون محتمل ويمكن الجمع بينها وذلك:

١. لدلالة السياق.
٢. بدلالة الحال التي كان عليها قوم لوطن.
والله تعالى أعلم

قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَنْوَطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعَ مِنَ الْأَيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأُنَاكَ إِنَّهُ مُصِيبَهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الْصُّبُحُ أَلَيْسَ الْصُّبُحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود: ٨١].

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بقوله « ولا يلتفت » ؟

قال أبو حيـان: "والظاهر أن قوله ولا يلتفت، من التفات البصر." (□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

(□) القول الأول: المراد هو التفات البصر . وهو قول جماعة من المفسرين، واختاره أبو حيـان.

قال الواحدي: لا ينظر أحدٌ إلى ورائه إذا خرج من قريته.

وقال ابن عطية: والظاهر في (يلتفت) أنها من التفات البصر.

وقال الخازن: يعني ولا يلتفت منكم أحد إلى ورائه ولا ينظر إلى خلفه.

(□) القول الثاني: المراد النهى عن التخلف؛ وهو قول جماعة من المفسرين.

قال السمرقندى: يعني: لا يتخلف منكم أحد.

وقال الزمخشري: وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها، فإن هواما إليهم، فلم يسر بها.

وقال ابن الجوزي: فيه قولان:... الثاني: يعني لا يختلف منك أحد ، قاله

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/١٨٧) (٢٤٩/٥).

٢ - الواحدي في الوجيز (٥٢٩/١)، ابن عطية (١٩٥/٣)، الخازن آيه (٨١)، الشريبي (٨٠/٢).

٣ - السمرقندى (١٦٨/٢)، الكشاف (٢٨٣/٢)، ابن الجوزي (١٠٦/٤)، النسفي (٢٨٦/٢)، البيضاوى (٢٤٩/٣)، ابن عادل (١٠/٥٣١)، أبو السعود (٤/٢٢٤)، الشوكاني (٥١٣/٢).

ابن عباس:

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد هو التفات البصر، فهذا هو المعنى المشهور الحقيقى للالتفات.

- وأما القول إن المراد النهى عن التخلف، والتخلف هو الانصراف عن المسير^(□)، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِءَابَاءَنَا﴾ [يونس: ٧٨].

فيقال أما الاستدلال بالأية فليس بواضح، لأن المراد بها الصرف عن معتقد، فهو صرف معنوي، وأما في قصة لوط فهو التفات حقيقى.

الترجح:

يترجح القول إن المراد هو التفات البصر، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.
 ٢. لكي لا يروا العذاب، رحمة بهم.
 ٣. لأنه المعنى المبادر للذهن .
 ٤. ولموافقة قاعدة الترجح وهي : [يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ و الضعيف والمنكر.]^(□)
- والله تعالى أعلم

١ - وقال الراغب: "يقال لفته عن كذا صرفه عنه، قال تعالى ﴿أَجِئْنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ [يونس: ٧٨] . أي تصرفنا." مفردات القرآن ص ٤٧٢.

٢ - قواعد الترجح (٣٦٩/٢).

قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرٌ نَا جَعَلْنَا عَنِيهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [٨٣] مُسَوَّمٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِعَيْدٍ [٨٢]

[٨٣ - ٨٢]

في الآية مسالتان :

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِعَيْدٍ﴾ ؟

قال أبو حيان : "والظاهر أن ضمير هي عائد على القرى التي جعل الله أعلىها أسفلها، والم عنى: أن ذوات هذه المدن كانت بين المدينة والشام، ير عليها قريش في مسيرهم، فالنظر إليه وفيها فيه اعتبار واتعاظ." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : عود الضمير على قرى قوم لوط، وهو قول جماعة من المفسرين. □ واختاره أبو حيان.

وقال الزمخشري: وقيل الضمير للقرى، أي هي قريبة من ظالمي مكة يرون بها في مسairهم.

وقال الرازبي: وقيل: الضمير في قوله : ﴿وَمَا هِيَ﴾ للقرى. أي وما تلك القرى التي وقعت فيها هذه الواقعة من كفار مكة بعيد، وذلك لأن القرى كانت في الشام، وهي قريب من مكة.

وقال النسفي: الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يرون بها في مسairهم.

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ١٨٨) (٢٥٠ / ٥).

٢ - الزمخشري (٢/٢٨٤)، الرازبي (١٨/٣٨٤)، النسفي (٢/٢٨٧)، ابن جزي (٢٠٢/٢)، ابن عادل (١٠/٥٣١)، الحلالين آيه ٨٣، ابن عاشور (١٢/١٣٧).

(□)

القول الثاني: عود الضمير على الحجارة، وهو قول جماعة من المفسرين.

قال الطبرى: وأما قوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ فإنه يقول تعالى ذكره متهدداً مشركي قريش: وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط من مشركي قومك يا محمد ببعد أن يمطروها إن لم يتوبوا من شركم.
وقال البغوى: (وَمَا هِيَ) يعني: تلك الحجارة.
وقال ابن عطية: قوله (وما هي) إشارة إلى الحجارة.

القول الثالث: عود الضمير على النسمة أو العقوبة المفهومة من السياق . وهو قول ابن كثير وابن عادل.

قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ أي وما هذه النسمة من تشبه بهم في ظلمهم ببعد عنده.
وقال ابن عادل: وقيل: يعود على العقوبة المفهومة من السياق.
 نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على قرى قوم لوط ، فهو محتمل إلا أنه بعيد بدلالة السياق.
- وأما القول إن الضمير يعود على الحجارة، فهو الأظهر والأقرب.
- وأما القول إن الضمير يعود على النسمة أو العقوبة. فهي محتمله على ما يفهم من السياق ، ويمكن أن تدخل في القول بأنها الحجارة.

الترجح:

يترجح القول إن الضمير يعود على الحجارة، وذلك:

1. لأنها أقرب مذكور .

١ - الطبرى (١٢/٥٧)، البغوى آيه ٨٣، ابن عطية (٣/١٧٣)، أبي السعود (٤/٢٢٤)، البيضاوى (٣/٢٥١)، الخازن آيه ٨٣.

٢. لموافقة لقاعدة الترجيح وهي : [إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر]^(□).

٣. لأنها اداة العذاب التي ورد وصف شامل ودقيق لها، وقربها من الظالمين يدخل ضمن الوصف .

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٥٩٣/٢).

المسألة الثانية

ما المراد بالظالمين في الآية ؟

قال أبو حيان : "والظاهر عموم الظالمين".^(□)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول: المراد عموم الظالمين، ويدخل فيهم ظالمو الأمة، وهو قول جماعة من المفسرين.^(□) واختاره أبو حيان.

قال الفراء : "يقول: من ظالمي أمتك يا محمد".

وقال النحاس: "المعنى من ظالمي هذه الأمة".

وقال البغوي: وقال قتادة وعكرمة : يعني ظالمي هذه الأمة والله ما أجار الله منها ظالماً بعد.

القول الثاني: المراد كفار قريش، وهو قول كثير من المفسرين.^(□)

وقال النحاس: "قال مجاهد: يرعب بهذا قريشا".

وقال الطبرى: وأما قوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعْلَمُ﴾ فإنّه يقول تعالى ذكره متهدداً مشركي قريش: وما هذه الحجارة التي أمرتها على قوم لوط من مشركي قومك يا محمد ببعيد أن يمطروها إن لم يتوبوا من شرّكم.

وقال الواحدى: قال قتادة: والله ما أجار الله منها ظالماً بعد قوم لوط

١ - البحر المحيط (ح/٥٠٢) (١٨٨٥).

٢ - الفراء (٢٤/٢)، النحاس (١/٥١٧)، البغوي آية ٨٣، ابن عطية (٣/١٩٧)، ابن الجوزي (٤/١١١)، الرazi (١٨/٤٣٨)، القرطبي (٩/٧٣)، النسفي (٢/٢٨٧)، ابن جزي (٢/٢٠٢)، والخازن آية ٨٣، ابن كثير (٤/٢٩٣)، الشوكاني (٢/٥١٣).

٣ - النحاس (١/١٧٥)، الطبرى (١٢/٥٧)، الواحدى في الوسيط (٢/٥٨٥)، البغوي آية ٨٣، الزمخشري (٢/٢٨٤)، ابن الجوزي (٤/١١١)، الرazi (١٨/٤٣٨)، البيضاوى (٣/٢٥١)، الجلالين آية ٨٣، أبو السعود (٤/٢٢٤)، الشوكاني (٢/٥١٣). ابن عاشور (١٢/١٣٤).

فاقتوا الله وكونوا علی حذر . وأكثر المفسرين على أن المراد بالظالمين ها هنا كفار قريش يرعبهم الله بها".

القول الثالث: المراد قوم لوط، وهو قول بعض المفسرين.^(□)

قال الفراء: ويقال: ما هي من الظالمين يعني قوم لوط أنها لم تكن نخطئهم.
وقال ابن الجوزي: في المراد بالظالمين ها هنا ثلاثة أقوال:

والثالث: أنهم قوم لوط، فالمعنى : وما هي من الظالمين، أي : من قوم لوط بعيد، والمعنى: لم تكن نخطئهم.

وقال القرطبي: يعني قوم لوط؛ أي لم تكن نخطئهم.

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد عموم الظالمين، ويدخل فيهم ظالمو الأمة، فهو قول عام يندرج تحته باقي الأقوال . واستدلوا بالحديث: ((إنه سيكون في أمري خسف ومسخ وقدف بالحجارة)).^(□).

وبحيث: ((سيكون في أواخر أمري قوم يكتفي رجالهم بالرجال والنساء بالنساء فإذا كان كذلك فارتقوا عذاب قوم لوط أن يرسل الله عليهم حجارة من سجيل ثم تلا وما هي من الظالمين بعيد)).^(□).

والجواب عن ذلك ما يلي:

١. الآية في سياق الخصوص وهي قصة قوم لوط وكيفية عذابهم . ولكل معتبرأخذ العظة والعبرة من خلال العلم بما جرى للأقوام السابقين.

١ - الفراء (٢٤/٢)، ابن الجوزي (١١١/٤)، القرطبي (٧٣/٩)، الخازن آية ٨٣ .

٢ - قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٨): رواه أبو يعلى والبزار وفيه مبارك بن سحيم وهو مترونك".

٣ - لم أجده بهذا اللفظ وإنما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٨) مثله. وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن داود اليمامي وهو مترونك.

٢. وما ذكر من الأحاديث ليس تفسيراً للاية وإنما إخبار لما سيقع لهذه الأمة من أحداث.

٣. ودخول عموم الظالمين المرتكبين لهذه الجريمة محتمل أن يقع عليهم مثل عذاب سابقיהם.

- وأما القول إن المراد كفار قريش، فهو بعيد، وإنما ذكر ذلك ليتأملوا حال الأمم السابقة ويأخذوا العزة والعبرة منه.
- وأما القول إن المراد قوم لوط، فهو أظهر الأقوال، وهم المعنيون بهذا الحدث الجلل. ولتدبر العزة والعبرة مما حصل لهم.

الترجيح:

يترجح القول إن المراد قوم لوط. وذلك:

- ١ - لدلالة السياق.
- ٢ - لموافقة قاعدة الترجيح وهي: [كل تفسير ليس مأخوذا من دلالة الآية وسياقها فهو رد.]^[١].
- ٣ - لأنه أظهر الأقوال، وأقربها إلى تحديد المعنيين بأحداث القصة.
- ٤ - لأن هذه العقوبة بهذه الكيفية خاصة بقوم لوط أول من فعل ذلك، ومن فعل فعلهم له عقوبة من الله تشابه عقوبتهم ولكن ليس بذات التفاصيل ، لأن الأول عليه من الإثم والعقوبة ما ليس لغيره.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٣٤٩/٢).

قال تعالى ﴿ قَالُوا يَسْعِيهِ أَصَلَوْتَكَ تَأْمِرُكَ أَنْ تَرْكَ مَا يَعْبُدُ إِبَّاً وَنَّاً أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧].

في الآية ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى

ما المراد بالصلاحة في الآية؟

قال أبو حيyan : "والظاهر أنه أريد بالصلاحة الصلاة المعهودة في تلك الشريعة. وقال الحسن: لم يبعث الله نبياً إلا فرض عليه الصلاة والزكاة." □

الدراسة:

في المسألة أقوال:

القول الأول : المراد بالصلاحة هي الصلاة المعهودة، وهو قول كثير من المفسرين، □ واختاره أبو حيأن.

قال السمرقندى: يعني: أكثر صلواتك تأمرك.

وقال الثعلبى: قال ابن عباس: كان شعيب كثير الصلاة لذلك قالوا هذا.

وقال الماوردي: في (صلاتك) ثلاثة أوجه:

... الثاني: صلاتك التي تصليها لله تعبدًا.

القول الثاني : المراد: قراءتك ، قاله الأعمش ، وهو قول جماعة من المفسرين. □

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ١٩٠) (٢٥٤ / ٥).

٢ - السمرقندى (١٦٨ / ٢)، الماوردي والبغوى آية ٨٧، الزمخشري (٢٨٦ / ٢)، ابن عطية (٣ / ٢٨٦)، ابن الجوزي (١١٥ / ٤)، الرازى (٣٨٧ / ١٧)، القرطبي (٨٤ / ٩)، النسفي (٣ / ٢٥٣)، ابن جزي (٢ / ٢٥٣)، الخازن آية ٨٧، الشعالي (٣٠٣ / ١)، الشربيني (٨٢ / ٢)، أبي السعود (٤ / ٢٣١)، الشوكاني (٥١٧ / ٢)، الألوسي (٣٢١ / ٢١).

٣ - عبد الرزاق (١٨٢ / ٢)، للطبرى (٦٢ / ١٢) من طريق عبد الرزاق ، ابن أبي حاتم (٦ / ٢٠٧٢)،

قال عبد الرزاق: عن الثوري عن الأعمش في قوله تعالى ﴿أَصَلَوْتَكَ تَأْمُرُكَ﴾
قال أقرأتك.

وقال الطبرى: قوله: ﴿أَصَلَوْتَكَ﴾ كان الأعمش يقول: في قوله: ﴿أَصَلَوْتَكَ﴾ قال: قراءتك.

وقال ابن أبي حاتم: عن الأعمش في قوله تعالى ﴿أَصَلَوْتَكَ تَأْمُرُكَ﴾ قال:
أقرأتك.

(□) القول الثالث: المراد: الدين والإيمان، وهو قول بعض المفسرين.

قال الماوردي: الثالث: دينك الذي تدين به وأمرت باتباعه لأن أصل
الصلة الاتباع.

وقال الواحدى: يريدون: دينك يأمرك، أي: أفي دينك الأمر بذا؟.

وقال ابن الجوزى: وفي المراد بصلواته ثلاثة أقوال. أحدها: دينه.

(□) القول الرابع: المراد: دعواتك، ذكره ابن عطية، والشعابي.

قال ابن عطية: وقيل: أرادوا: أدعواتك.

وقال الشعابي: وقيل: أرادوا: أدعائكم.

القول الخامس: المراد: مساجدك، ذكره ابن عطية.

قال ابن عطية: وقيل: أرادوا: أمساجدك؟.

نلاحظ ما سبق لإيراده ما يلي:

• أما القول إن المراد بالصلة هي الصلاة المعهودة، فهو الظاهر.

=
البغوي آية ٨٧، ابن عطية (٢٨٦/٣)، ابن الجوزي (١١٥/٤)، القرطبي (٨٤/٩)، الخازن آية ٨٧، ابن
كثير (٤/٢٩٥)، الشوكاني (٥١٧/٢).

١ - الواحدى في الوسيط (٥٨٦/٢)، ابن الجوزي (١١٥/٤)، الرازى (٣٨٧/١٧)، الخازن آية ٨٧،
ابن عادل (٣٩٥/٤).

٢ - ابن عطية (٢٨٦/٣)، الشعابي (٣٠٣/٣).

- وأما القول المراد : قراءتك ، فالقراءة ضمن في الصلاة.
- وأما القول المراد : الدين والإيمان ، وهو أشمل الأقوال ، إلا إن عادة الكفار في السخرية إن يسخروا بفعل في الدين ظاهر دائماً.
- وأما القول المراد: دعواتك، والدعاء ضمن الصلاة، والدين.
- وأما القول المراد: مساجدك، فهو بعيد ، لأن اللفظ لا يدل عليه.

الترجح:

يترجح القول إن المراد به الصلاة على وجه الحقيقة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأن الصلاة هي العبادة الأكثر ظهوراً ، فهي تشتمل على أفعال وأقوال خاصة بها، لا يمكن إخفاءها وشعيب أشتهر بكثرة الصلاة.
قال الألوسي: وتحصيصهم إسناد الأمر إلى الصلاة من بين سائر أحكام النبوة لأنه عليه السلام كان كثير الصلاة معروفاً بذلك..... وهذا الإسناد حقيقي لا بجازي غاية ما في الباب أنهم قصدوا الحقيقة تهكمًا.

٢. لدلالة قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال ابن عطية : " يجعلوا الأمر من فعل الصلوات على جهة التجوز ، وذلك أن كل من حصل في رتبة من خير أو شر ففي الأكثر تدعوه رتبته إلى التزييد من ذلك النوع : فمعنى هذا: ألم كنت مصلياً تجاوزت إلى ذم شرعنا وحالنا؟ فكأن حاله من الصلاة جسرته على ذلك فقيل: أمرته، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]."

٣. لموافقة قاعدة الترجح وهي:[القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على

ما عدم ذلك [□].

٤. لموافقة قاعدة الترجيح وهي : [لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا

[□] بدليل

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٣١٢/١).

٢ - قواعد الترجيح (١٣٧/١).

المسألة الثانية

ما المراد بقوله : ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ ؟

قال أبو حيان : "والظاهر أنّ الذي كانوا يفعلونه في أموالهم هو بخس الكيل والوزن المقدم ذكره." □

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد هو بخس الكيل والوزن، وهو قول جماعة من المفسرين، □ واختاره أبو حيان.

قال السمرقندى: "من نقصان الكيل والوزن."

وقال الماوردى: "فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: ما كانوا عليه من البخس والتطفيف."

وقال الواحدى: "من البخس والظلم، ونقص المكيال والميزان."

القول الثاني: المراد هو حذف الدرارم □ . وهو قول جماعة من المفسرين.

قال الطبرى: "عن زيد بن أسلم، □ في قوله: ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٩٠) (٢٥٠/٥)، وذكر قراءة آخرى فقال: "وقرأ الضحاك بن قيس، وابن أبي عبلة، وزيد بن علي : بالباء فيما على الخطاب، ... والظاهر أنه إيفاء المكيال والميزان. وقال سفيان الثورى: كان يأمرهم بالزكاة." وكذا قال ابن كثير .

٢ - السمرقندى (١٦٨/٢)، الماوردى والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٨٧، الزمخشري (٢٨٦/٢)، ابن عطية (٢٨٦/٣)، ابن الجوزى (٤/١١٥)، الرازى (٣٨٧/١٧)، ابن عبد السلام آية ٨٧، القرطبي (٨٤/٩)، النسفي (٣/٢٥٣)، ابن جزي (٢٥٣/٢)، الخازن آية ٨٧، ابن كثير (٤/٢٩٥)، الشعاعى (١/٣٠٣)، الشربينى (٢/٨٢)، أبي السعود (٤/٢٣١)، الشوكانى (٢/٥١٧)، الألوسى (٢١/٣٢).

٣ - حذفه يحذفه: أسلفه. القاموس ص ١٠٣٢.

٤ - الطبرى (١٢/٣٨)، ابن أبي حاتم (٦/٢٠٧٢)، النحاس (١١/٥١٨).

٥ - وسنده : ثنا حماد بن خاله الحياط، عن داود بن قيس، عن زيد بن أسلم:

﴿شَتَوْا﴾ قال: كان مما نهاهم عنه: حذف الدرادم.

وقال ابن أبي حاتم: ^(□) عن زيد بن أسلم، في قوله: ﴿أَوْ أَنْ تَقْعَلَ فِي

﴿أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ قال: كان مما نهاهم عنه: حذف الدرادم.

وقال النحاس: روى عن زيد بن أسلم أنه قال: كان مما نهاهم عنه:

”حذف الدرادم.“

القول الثالث: المراد قطع الدنانير والدرادم. وهو قول بعض المفسرين. ^(□)

قال الطبرى: قال ابن زيد، ^(□) في قوله: ﴿قَالُوا يَسْعَى بِأَصَلَوْتُكَ

تَأْمُرُكَ أَنْ تَرْكَ مَا يَعْبُدُ إِبَّاً وَنَأِّا أَوْ أَنْ تَقْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ قال: منهاهم عن قطع الدنانير والدرادم، فقالوا: إنما هي أموالنا نفعل فيها ما نشاء، إن شئنا قطعناها، وإن شئنا حرّقناها، وإن شئنا طرحتناها.

وقال الشعبي: قال أهل التفسير: كان هذا نهياً لهم عنه وعذبوا لأجله قطع الدنانير والدرادم.

وقال الماوردي: الثالث: قطع الدرادم والدنانير لأنه كان ينهاهم عنه.

القول الرابع: المراد كان يأمرهم بها فيمتنعون منها ^(□)، وهو قول بعض المفسرين.

١ - وسنده: حدثنا أبو سعيد الأشج، حماد بن خالد الخياط، عن داود بن قيس، عن زيد بن أسلم.

٢ - الطبرى (٣٨/١٢)، الشعبي والماوردي آية ٨٧، البغوي آية ٨٧، الزخري (٢٨٦/٢)، ابن عطية (٢٨٦/٣).

٣ - وسنده: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد.

٤ - وهذا القول على قراءة الضحاك بن قيس، وابن أبي عبلة، وزيد بن علي: بالباء فيهما على الخطاب، والظاهر أنه إيفاء المكيال والميزان.

٥ - الماوردي آية ٨٧، ابن الجوزي (٤/١١٥)، ابن كثير (٤/٢٩٥)، الألوسي (٢١/٣٢١).

قال الماوردي: الثاني: الزكاة، كان يأمرهم بها فيمتنعون منها، قاله زيد بن أسلم وسفيان الثوري.

وقال ابن الجوزي: قال سفيان الثوري: إنه أمرهم بالزكاة فامتنعوا.

وقال ابن عبد السلام: أو الزكاة التي أمرهم بها.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- ما ذكره المفسرون كلها معاني محتمله، يصح التفسير بها منفرده، مع إمكان الجمع بينها، فكلها تدرج تحت باب المعاملات المالية وهي محتملة للبخس والغش والتسليس، ولأن النهي جاء عن ترك كل ما فيه إفساد للمال.

الترجيح:

يتوجه القول إن المراد المراد هو بخس الكيل والوزن، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

1. لدلالة السياق.

قال تعالى ﴿ وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَلَا نَنْقُصُوا الْمِكَيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنَّ أَرْبَعَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ [٨٤] هود: ٨٤ .

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

لماذا قالوا لشعيـب التـليلـة ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ ؟
 قال أبو حيـان : "وقوله: إنـك لـأـنتـ الـحـلـيمـ الرـشـيدـ ظـاهـرـهـ أـنـهـ إـخـبارـ منـهـ عـنـهـ بـهـذـينـ الـوـصـفـيـنـ الجـمـيلـيـنـ، فـيـحـتـمـلـ أـنـ يـرـيـدـواـ بـذـلـكـ الحـقـيقـةـ أـيـ :ـ أـنـكـ لـمـتـصـفـ بـهـذـينـ الـوـصـفـيـنـ، فـكـيـفـ وـقـعـتـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ مـنـ مـخـالـفـتـكـ دـيـنـ آـبـائـنـاـ وـمـاـ كـانـوـاـ عـلـيـهـ، وـمـثـلـكـ مـنـ يـنـعـهـ حـلـمـهـ وـرـشـدـهـ عـنـ ذـلـكـ .ـ أوـ يـحـتـمـلـ أـنـ بـذـلـكـ إـنـكـ لـأـنـتـ الـحـلـيمـ الرـشـيدـ بـزـعـمـكـ إـذـ تـأـمـرـ نـاـ بـمـاـ تـأـمـرـ بـهـ .ـ أوـ يـحـتـمـلـ أـنـ قـالـواـ ذـلـكـ عـلـىـ سـبـيلـ الـاسـتـهـزـاءـ وـالـتـهـكـمـ، قـالـهـ قـتـادـةـ .ـ وـالـمـرـادـ: نـسـبـتـهـ إـلـىـ الطـيشـ وـالـعـيـ كـمـاـ تـقـولـ لـلـشـحـيـحـ :ـ لـوـ رـأـكـ حـاتـمـ لـسـجـدـ لـكـ، وـقـالـواـ لـلـحـبـشـيـ :ـ أـبـوـ الـبـيـضـاءـ .ـ"□

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

(القول الأول): قالوا ذلك: حقيقة، وهو قول جماعة من المفسرين.

قال الماوردي: فيه ثلاثة أوجه:

الثالث: أنـهـمـ اـعـرـفـواـ لـهـ بـالـحـلـمـ وـالـرـشـدـ عـلـىـ وـجـهـ وـالـحـقـيقـةـ وـقـالـواـ أـنـتـ حـلـيمـ رـشـيدـ فـلـمـ تـنـهـانـاـ أـنـ نـفـعـلـ فـيـ أـمـوـالـنـاـ مـاـ نـشـاءـ؟ـ وـالـحـلـمـ وـالـرـشـدـ لـاـ يـقـتضـيـ مـنـعـ "ـ الـمـالـكـ مـنـ فـعـلـ مـاـ يـشـاءـ فـيـ مـالـهــ".

وقال البغوي: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهـماـ:ـ أـرـادـواـ السـفـيـهـ الغـاوـيـ وـالـعـربـ تـصـفـ الشـيـءـ بـضـدـهـ فـتـقـولـ :ـ لـلـدـيـعـ سـلـيمـ وـلـلـفـلاـةـ مـفـازـةـ .ـ"

١ - البحر المحيط (٥/٥) (٢٥٠/٥).

٢ - الماوردي والبغوي آية ٨٧، ابن عطية (٣/٢٠٠)، ابن الجوزي (٤/١١٥)، الرازى (١٧/٣٨٧)، الشوكاني

وقال ابن عطية: "وقيل: بل قالوه على جهة الحقيقة وأنه اعتقادهم فيه ، فكأنهم فندوه، أي أنه حليم رشيد فلا ينبغي لك أن تؤمننا بهذه الأوامر." القول الثاني: قالوا ذلك: استهزاء وسخرية، قاله ابن جريج^(□)، وابن زيد^(□)، وهو قول أكثر المفسرين.

قال الطبرى: "وأما قوله لهم لشعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ فإنهم أعداء الله قالوا ذلك له استهزاء به وإنما سفهوه وجاهلوه بهذا الكلام وقال الماوردي: "أحدها: أنهم قالوا ذلك استهزاء به، قاله قتادة".

وقال الواحدي: "أي: السفيه الجاهل ، وقالوا: الحليم الرشيد على طريق الاستهزاء".

القول الثالث: قالوا ذلك : لينفوا عنه الحلم والرشد . قاله الماوردي، وابن عطية.

قال الماوردي: الثاني: معناه أنك لست بحليم ولا رشيد على وجه ا لنفي، قاله ابن عباس.

١ - قال الطبرى (٦٢/١٢): حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج : ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قال: يستهزءون.

عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج ، أبو الوليد القرشي الأموي، الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، صاحب التصانيف، توفي سنة ١٥٠ هـ. تاريخ البخارى (٤٢٢/٥)، سير أعلام النبلاء (٣٢٥/٦)، تهذيب التهذيب (٤٠٢).

٢ - قال الطبرى (٦٢/١٢): حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قوله : ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ المستهزئون يستهزئون بأنك لأنت الحليم الرشيد.

٣ - الطبرى (٦٢/١٢)، الماوردي آية ٨٧، الواحدي في الوسيط (٥١٦/٢)، البغوي آية ٨٧، الزمخشري (٢٨٦/٢)، ابن عطية (٢٠٠/٣)، ابن الجوزي (١١٥/٤)، الرازى (٣٨٧/١٧)، النسفي (٢٨٨/٢)، ابن كثير (٤/٢٩٥)، الجلالان آية ٨٧، أبي السعود (٤/٢٣١)، الشوكاني (٥١٧/٢)، ابن عاشور (١٤١/١٢).

وقال ابن عطية : فقيل: إنما كانت ألفاظهم : إنك لأنك الجاهل السفهاء ، فكنى الله عن ذلك.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنهم قالوا ذلك له حقيقة، فهو ظاهر من اللفظ، فالكافار يعرفوا أن صفات أنبيائهم رفيعه، ويقررون بها ومع ذلك يخالفوهم كبراً وعناداً.
- وأما القول إنهم قالوا ذلك : استهزاء وسخرية، فمحتمل، وهذه طريقتهم، إلا أن السياق لا يساعده.
- وأما القول إنهم قالوا ذلك لينفوا عنه الحلم والرشد، فيدخل في باب الاستهزاء أيضاً. وما المانع لو أخبرنا الله تعالى بالوصف الحقيقي الذي قالوه في حق نبي من أنبياء الله عليهم صلاة الله وسلامه، فقد جاء في القرآن ما وصف الكفار به الرسول من قوهم كاهن وساحر... الخ.

الترجح:

يترجح القول إنهم قالوا ذلك له حقيقة، وذلك:

1. لدلالة السياق.

2. لموافقته قاعدة الترجح وهي : [يحب حمل نصوص الوحي على (□) الحقيقة.]

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجح (٣٨٧/١).

قال تعالى ﴿ قَالَ يَقُولُمْ أَرَعَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بِيَنَّةٍ مِّنْ رَّبِّي وَرَزْقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوَفَّقْتِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [٨٨].

في الآية مسألة واحدة وهي:
ما المراد بالرزق الحسن في الآية؟

قال أبو حيان : "والظاهر في قوله: ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ أنه الحلال الطيب من غير بخس ولا تطفييف أدخلتموه أموالكم . قال ابن عباس : الحلال، وكان شعيب الشعبي كثير المال ."

الدراسة:
في المسألة ستة أقوال:
القول الأول: المراد الحلال الطيب، وهو قول كثير من المفسرين، (□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : "﴿ وَرَزْقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ يعني حلالاً طيباً"
وقال ابن أبي حاتم : "عن الضحاك (□) قال: الرزق الحسن: الحلال."
وقال النحاس: "﴿ وَرَزْقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ قيل: حلالاً."

١ - البحر المحيط (ح/٥٥) (١٩٠) (٢٥٣/٥).

٢ - الطبرى (١٢/٦٣)، ابن أبي حاتم (٦/٢٠٧٣)، النحاس (١١/٥١٨)، الماوردي والتعليق والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٨٨، الزمخشري (٢/٢٨٧)، الرازى (١٨/٣٩٠)، ابن عبد السلام آية ٨٨ القرطى (٩/٨٤)، النسفي (٢/٢٨٨)، الخازن آية ٨٨، ابن كثير (٤/٢٩٥)، ابن عادل (١٠/٥٤٣)، البقاعى (٣/٥٦٥)، الجلالين آية ٨٨، الشربيني (٢/٨٢)، الشوكانى (٢/٥١٧).
٣ - وسنده قال: "حدثنا أبو سعيد الأشجع، ثنا أبوأسامة، عن سلمة بن نشيط، عن الضحاك."

^(□) القول الثاني: المراد النبوة والحكمة، وهو قول جماعة من المفسرين.
وقال الماوردي: "فيه تأويلان:

الثاني: أنه النبوة، ذكره ابن عيسى ، وفي الكلام مذوف وتقديره ، فأعدل مع
 ذلك عن عبادته".

وقال الزمخشري: "رِزْقًا حَسَنًا" ^{هـ} وهو ما رزقه من النبوة والحكمة.

وقال ابن الجوزي: ثلاثة أقوال... والثاني: النبوة.

القول الثالث : المراد خالصا من الفساد، وهو قول ابن عطية وابن جزي
^(□) والشعالي.

قال ابن عطية: "ييد: خالصاً من الفساد الذي أدخلتم أنتم أموالكم."

وقال ابن جزي: "أي سالما من الفساد الذي أدخلتم أنتم أموالكم."

وقال الشعالي: "أي: سالماً من الفساد الذي أدخلتم في أموالكم.

^(□) القول الرابع: المراد العلم والمعرفة ، وهو قول بعض المفسرين.

قال الشعالي: "وقيل: علمًاً ومعرفة".

وقال البعوي: "وقيل: الرزق الحسن: العلم والمعرفة".

وقال ابن الجوزي: "والثالث: العلم والمعرفة".

^(□) القول الخامس: المراد التوفيق والهدى، وهو قول بعض المفسرين.

قال النحاس: "ما وفق له من الطاعة".

١ - الماوردي آية ٨٨، الزمخشري (٢٨٧/٢)، النسفي (٢٨٨/٢)، ابن كثير (٤/٢٩٥)، أبي السعود (٤/٤)، الشوكاني (٥١٧/٢)، الألوسي (٤٢١/٢١)، ابن عاشور (١٤٣/١٢).

٢ - ابن عطية (٣/٢٠٠)، ابن جزي (٢٠٣/٢)، الشعالي (١٣٤/٢).

٣ - الشعالي والبعوي آية ٨٨، ابن الجوزي (٤/١١٥)، القرطبي (٩/٨٤)، الخازن آية ٨٨، ابن عادل (١٠/٥٤٣)، الشوكاني (٥١٧/٢).

٤ - النحاس (١/٥١٨)، السمرقندى (٢/١٦٨)، القرطبي (٩/٨٤)، الشوكاني (٢/٥١٧).

وقال السمرقندى: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ يعني: بعثنى بالرسالة فهدانى "لديه".

وقال القرطبي: وقيل: أراد به الهدى والتوفيق،
القول السادس: المراد الكثير، وهو قول السمرقندى والبغوى
وقال السمرقندى: ووسع على من رزقه.
قال البغوى: وقيل: كثيراً. كان شعيب عليه السلام كثير المال.
نلاحظ ما سبق إيراده ما يلى:

- أما القول إن المراد هو الحلال الطيب، فهو أظهر الأقوال، ويصح أن يندرج تحته القول إن المراد هو الخالص من الفساد والكثير.
- وأما القول إن المراد هو النبوة والحكمة، فإنه يندرج تحته العلم والمعرفة والتوفيق والهدى. ومع احتمال صحته إلا أن السياق لا يدل عليه.

الترجح:

يترجح القول إن المراد هو الحلال الطيب، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلاله السياق، لأن دعوة شعيب عليه السلام مع قومه بعد توحيد الله هي قضية المال وكيفية كسبه وإنفاقه في الوجه المشروعة.
 ٢. لأنه أقرب من حيث لفظ الرزق.
 ٣. لأن شعيبا عليه السلام ذكر البينة أولا ثم الرزق الحسن . فرتب الأهم فالمهم النبوة والعلم ... الخ ، ثم الحلال الكثير.
- والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ قَالُوا يَسْعِيهِ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَيْكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لِرَجْمَنَكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود: ٩١]

المسألة الأولى

ما معنى ضعيفاً؟

قال أبو حيـان: "الظاهر أنه ضعيف الانتصار والقدرة." □

الدراسة :

في المسألة ثمانية أقوال:

القول الأول : المعنى إنه ضعيف الانتصار والقدرة ، وهو قول كثير من

قال الرمخشري: "لا قوة لك ولا عز فيما بيننا، فلا تقدر على الامتناع منا
إن أردنا يك مكر وهاً".

وقال ابن عطية: "والظاهر من قولهم: (ضعيفاً) أنه ضعيف الانتصار والقدرة."

وقال الرازى: إنه الضعيف الذى يتغدر عليه منع القوم عن نفسه.

القول الثاني: المعنى إنه ضعيف البصر، قاله سفيان. وذكره بعض المفسرين (□)

قال الطبرى : قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَرَكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ قال: كان ضعيف البصر. قال

١- البحر المحيط (١٩١٥/٥/٢٥٦).

- الزخيري (٢٨٨/٢)، ابن عطية (٢٠١/٣)، الرازي (٣٩١/١٧)، البيضاوي (٢٥٦/٢)، ابن جزي (٢٠٤/٢)، الخازن آيه ٩١، ابن عادل (٥٤٣/١٠)، الشربيني (٨٢/٢)، أبي السعود (٤/٢٣١)، الشوكاني (٥١٧/٢)، الألوسي (٩٢١/٢١)، ابن عاشور (١٤٨/١٢).

٣- الجامع (٨٤/٩). ابن أبي حاتم (٢٠٧٦/٦) الماوردي آية ٩١، القرطبي (٨٤/٩)، البيضاوي (٢/٢٥٦)، النسفي (٣/٢٨٩)، ابن كثير (٤/٢٩٧)، الشافعي (٨٢/٢)، الشوكاني (٥١٧/٢).

الأخوات (٢١/٩٢١)

سفيلان^(□): وكان يقال له خطيب الأنبياء.

وقال ابن أبي حاتم: "قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَرَيْكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ قال: كان ضعيف البصر. قال سفيان: وكان يقال له خطيب الأنبياء."

قال الماوردي: فيه سبعة تأويلات:

أحدها: ضعيف البصر، قاله سفيان.

القول الثالث: المعنى إنه أعمى، قاله سعيد بن جبير ، وقتادة وهو قول جماعة من المفسرين.^(□)

قال الطبرى: "﴿وَإِنَّا لَنَرَيْكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ذكر أنه كان ضريراً."

وقال ابن أبي حاتم: عن سعيد بن جبير^(□) عن ابن عباس قال: كان ضريراً بالبصر.

وقال الزمخشري: وقيل: ﴿ضَعِيفًا﴾ أعمى. وحمير تسمى المكفوف: ضعيفاً، كما يسمى ضريراً.

القول الرابع: المعنى إنه ضعيف البدن، وهو قول بعض المفسرين.^(□)

قال الماوردي: الثاني: ضعيف البدن، حكاه ابن عيسى.

وقال ابن عطية: وقيل: كان ناحل البدن ز منه.

١ - وسنه: حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان. وكذا ابن أبي حاتم من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين.

٢ - الطبرى (٦٤/١٢)، ابن أبي حاتم (٦/٢٠٧٦)، النحاس (١/٥١٩)، السمرقندى (٢/١٦٨)، الشعابى والماوردى والبغوى والواحدى فى الوجيز آيه ٩١، الزمخشرى (٢/٢٨٨)، ابن عطية (٣/٢٠١)، ابن الجوزى (٤/١١٥)، القرطى (٩/٨٤)، السيوطي فى الدر المثور آيه ٩١، الشوكانى (٢/٥١٧).

٣ - وسنه: من طريق عباد عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير.

٤ - الماوردى آية ٩١، ابن عطية (٣/٢٠١)، القرطى (٩/٨٤)، البقاعى (٣/٥٨٦). الشوكانى (٢/٥١٧).

القول الخامس: المعنى إنه قليل العقل، وذكره الماوردي.

قال الماوردي: "قليل العقل".

القول السادس: المعنى إنه ذليل مهين، قاله الحسن،[□] وذكره بعض المفسرين.

قال السمرقندى: "وقال مقاتل: يعني: ذليلاً لا قوة لك، ولا حيلة".

وقال الماوردي: "الخامس: ذليلاً مهيناً، قاله الحسن".

وقال الزمخشري: "ومن الحسن (ضَعِيفًا) مهيناً".

القول السابع: : قليل المعرفة وحيداً، قاله السدي. ذكره الماوردي[□].

قال السمرقندى: "يقال: وحيداً لم يوافقك من عظمائنا أحد".

وقال الماوردي: "الرابع: قليل المعرفة وحيداً، قاله السدي".

القول الثامن: قليل المعرفة بصالح الدنيا وسياسة أهلها . ذكره الماوردي وابن الجوزي.

وقال الماوردي: "السابع: قليل المعرفة بصالح الدنيا وسياسة أهلها".

وقال ابن الجوزي: "عاجزا عن التصرف في المكاسب".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المعنى ضعيف الانتصار والقدرة، فهو أظهر الأقوال .

وي يكن أن يندرج تحته المهين.

- وأما باقي الأقوال فهي ترك للظاهر من غير دليل . وكل قول منها مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف.

الترجمة:

١ - السمرقندى(٢/٦٨)، الماوردي آية ٩١، القرطبي (٩/٨٤)، ابن الجوزي (٤/١١٥)، الجلالين آية ٩١، الشوكاني (٢/٥١٧).

٢ - السمرقندى(٢/٦٨)، النكت والعيون آية ٩١. القرطبي (٩/٨٤).

يترجح القول إن المعنى إنه ضعيف الانتصار والقدرة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

١. هو الظاهر الدال على واقع القوم مع نبيهم.

وقال الخازن : " ﴿وَإِنَّا لَنَرَيْكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ هو الذي يتذرع عليه المنع عن نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله ﴿وَلَوْلَا رَهُطْكَ﴾ يعني جماعتك وعشيرتك".

وقال ابن عادل : " وأيضاً قولهم بعد ذلك ﴿وَلَوْلَا رَهُطْكَ لِرَجَمَنَكَ﴾ فنفوا عنه القوّة التي أثبتوها في رهطه وهي النّصرة؛ فوجب أن تكون القوة التي نفوا عنها هي النّصرة".

٢. تتناسب مع المعنى الواصف لحالة الإعراض من الكفار.

قال ابن عطيه - بعد أن ذكر الأقوال - : " وهذا كلّه ضعيف ولا تقوم عليه حجة بضعف بصره أو بدنّه؛ والظاهر من قوله: ﴿ضَعِيفًا﴾ أنه ضعيف الانتصار والقدرة، وأن رهطه الكفرة كانوا يراغعون فيه".

٣. أنه المعنى الحقيقي الواضح في وصرف معنى الضعف .

قال ابن عاشور : " ﴿وَإِنَّا لَنَرَيْكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي وإنك فيما لضعف، أي غير ذي قوّة ولا منعة . فالمراد الضعف عن المدافعة إذا راموا أداؤه وذلك مما يرى لأنّه ثُرى دلائله وسماته .

وذكر فعل الرؤية هنا للتحقيق، كما تقدّم في قوله تعالى : ﴿مَا نَرَيْكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَيْكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا أُلَّذِينَ هُمْ أَرَادُنَا﴾ [هود: ٢٧] بحيث نزلوه منزلة من تُظنون أنهم لا يرون ذلك بأبصارهم فصرحوا بفعل الرؤية".

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿لِرَجْمَنَّكَ﴾؟

قال أبو حيـان : " لرجـنـاكـ ظـاهـرـهـ القـتـلـ بـالـحـجـارـةـ،ـ وـهـيـ مـنـ شـرـ الـقـتـلـاتـ،ـ وـبـهـ قـالـ اـبـنـ زـيـدـ (□)"

الدراة

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : المراد به القتل بالحجارة، وهو قول كثير من المفسرين،[□] واختاره أبو حيyan.

قال الطبرى: "وقال بعضهم: معناه لقتلناك. ذكر من قال ذلك:

...قال ابن زيد، ^(□) في قوله: ﴿وَلَوْلَا رَهُطْكَ لِرَجْمَنَكَ﴾ قال: قالوا: لولا أن

نتقي قومك ورهطك لرجنناك. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ يعنيون: ما أنت ممن

١ - "الرجم في اللغة": عبارة عن الرمي، وذلك قد يكون بالحجارة عند قصد القتل، ولما كان هذا الرجم سبباً للقتل لا جرم سموا القتل رجماً وقد يكون بالقول الذي هو القذف، كقوله : ﴿رَجْمًا﴾ [الكهف: ٢٢] وقوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيرٍ﴾ [سبأ: ٥٣] وقد يكون بالغيبة ﴿بِالْغَيْبِ﴾ [النحل: ٩٨] وقد يكون بالطرد كقوله: ﴿رُجُومًا﴾ بالشتم واللعن، ومنه قوله: ﴿الشَّيْطَنُ الرَّجِيمُ﴾ [الملك: ٥]. قاله الرازبي (٣٩١/١٧).

٢ - البحار المحيط (ح/٥ لـ ١٩١) (٢٥٦/٥). وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم توفي سنة ١٨٢ هـ.

٣ - الزجاج في معاني القرآن (٣/٧٤)، الطبرى (١٢/٦٤)، السمرقندى (٢/١٦٨)، الشعلى
والماوردي والواحدى في الوجيز آية ٩١، البغوى آية ٩١، الزمخشري (٢/٢٨٨)، ابن الجوزى (٤/١١٥)،
الرازى (١٧/٣٩١)، ابن عبد السلام آية ٩١، القرطبي (٩/٨٤)، البيضاوى (٣/٢٥٦)، النسفي
(٣/٢٨٩)، ابن جزي (٢/٢٠٤)، والخازن آية ٩١، ابن كثير (٤/٢٩٧)، ابن عادل (١٠/٥٤٣)،
القاعع، آية ٩١، السوطى، فى الدر المثور آية ٩١، الالوهى (٢١/٩٢١).

٤ - و سندہ: حدثیتے یونس، قال: اخیر نا اب: و هب، قال: قال اب: زید.

يكرم علينا، فيعظم علينا إذلاله وهوأنه، بل ذلك علينا هين.

وقال السمرقندى: يعني: لو لا عشيرتك لقتلناك، لأنهم كانوا يقتلون رجماً.

وقال النحاس: أي لو لا عشيرتك لقتلناك بالرجم.

(□) القول الثاني: المراد السب والشتم، وهو قول بعض المفسرين.

قال الطبرى: قوله: ﴿وَلَوْلَا رَهُطْكَ لِرَجْنَنَكَ﴾ يقول: يقولون: لو لا أنت في عشيرتك وقومك لرجناك، يعنون: لسبيناك.

(□) وقال ابن أبي حاتم: أي لشمناك وأذيناك ول فعلنا بك.

وقال ابن عطية: وقيل معناه: (لرجناك) بالسب - وبتفسير الطبرى . وهذا أيضاً تستعمله العرب. ومنه قوله تعالى: ﴿لَأَرْجُنَنَكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ للمريم:

[٤٦].

القول الثالث: المراد لأبعدناك وأخر جناك. ذكره الرازي وأبي حيان.

قال الرازي: الثاني: لشمناك وطردناك.

وقال أبو حيان: وقيل: لأبعدناك وأخر جناك من أرضنا.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن المراد به القتل بالحجارة، فهو الأظهر.

- وأما القول إن المراد السب والشتم و لأبعدناك وأخر جناك فهي أقوال محتملة.

الترجح:

يترجح القول إن جميع المعاني التي ذكرها المفسرون محتملة، وذلك :

١ - الطبرى (١٢/٦٤) ورجحه، ابن أبي حاتم (٦/٢٠٧٦)، ابن عطية (٣/٢١)، الرازي (٣٩١/١٨)، القرطبي (٩/٨٤)، الخازن آية ٩١، ابن كثير (٤/٢٩٧).

٢ - وهو قول أبي روق وسنده : حدثنا أبو زرعة، ثنا منجاتب، ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق .

١. لأن مجرد القذف بالحجارة وبدون قصد القتل هو أيضاً من الأسلوب التي يستخدمونها.
٢. لأن التهديد منهم مراده إلحاق أنواع الأذى به ابتداء من أقل شيء وانتهاء بأعظمها وأشرها وهو القتل فكل حسب استطاعة في ذلك.
٣. لأن السياق يدل على استيعاب اللفظ لكل أنواع الرجم.
والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ قَالَ يَنْقُومُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَأَنْخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهَرِيًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود: ٩٢].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿ وَأَنْخَذْتُمُوهُ ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر في قوله : وانخذتموه، أن الضمير عائد على الله تعالى أي: ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به." □

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : إن الضمير يعود على الله تعالى، وهو قول كثير من المفسرين. □ و اختاره أبو حيان.

قال الطبرى : " يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أعزكم ف كانوا أعز عليكم من الله، واستخففت م بربكم، فجعلتموه خ لف ظهوركم، لا تأترون لأمره ولا تخافون عقابه، ولا تعظمونه حق عظمته . يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل : نبذ حاجته وراء ظهره: أي تركها لا يلتفت إليها، وإذا قضاها قيل: جعلها أمامه ونصب عينيه."

وقال الواعدي: كأنه يقول : حفظكم إياي في الله أولى منه في رهطي ﴿ وَأَنْخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهَرِيًا ﴾ أقيتموه خلف ظهوركم ، وامتنعتم من قتلي مخافة قومي، والله أعز وأكبر من جميع خلقه."

١ - البحر المحيط (ح ٥/١٩٢) (٥/٥٦).

٢ - الطبرى (١٢/٦٤)، الواعدي في الوجيز (١/٥٣٢)، الزمخشري (٢/٢٨٨)، ابن الجوزي (٤/١١٥)، ابن عبد السلام آية ٩٢ ،البيضاوى (٣/٢٥٦)، النسفي (٢/٢٨٩)، البقاعي (٣/٥٧٠)، السيوطي (٤/٤٦٩)، أبي السعود (٤/٢٣١)، الشوكاني (٢/٥١٧)، الألوسي (٢١/٩٢١).

وقال الزمخشري: "قلت: تهاونهم به - وهو نبي الله - تهاون بالله، فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله . ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] ، ﴿ وَأَنْخَذَ ثُمُوَهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ﴾ ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به".

القول الثاني : إن الضمير يعود على أمر الله تعالى، وهو قول بعض المفسرين .
□

قال الفراء: "رميتم بأمر الله وراء ظهوركم."

وقال النحاس: قال أهل اللغة: المعنى: واتخذتم أمر الله وراءكم ظهرياً.

وقال البغوي: "أي: نبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه."

القول الثالث: إن الضمير يعود على كتاب الله تعالى، وهو قول ابن كثير.
□

قال ابن كثير: يقول: أتتركوني لأجل قومي ولا تتركوني إعظاماً لجناب الرب تبارك وتعالى أن تنالوا نبيه بمساءة وقد اتخذتم كتاب الله ﴿ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ﴾ أي نبذتموه خلفكم لا تطيعونه ولا تعظمونه."

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على الله فهو أظهر الأقوال.
- وأما القول يعود على أمر الله أو كتاب الله فلا دليل عليه يخصصه، وإنما هما ضمن القول الأول.

الرجيح:

يترجح القول بعود الضمير على الله تعالى، وهو اختيار أبي حيان ومن

١ - الفراء (٢٦/٢)، النحاس (١٥١٩)، البغوي آية ٩٢، ابن عطية (٣/٢٠١)، القرطي (٩/٤)، الحازن آية ٩٢، ٢ - (٤/٢٩٧).

وافقه. وذلك:

١. لأنه أظهر الأقوال، وأقربها من حيث دلالة السياق.
٢. لموافقة قاعدة الترجيح وهي: [إعادة الضمير إلى أقرب مذكور أولى من إعانته إلى مقدر].[□]
٣. لأن قومه لم يقولوا ذلك لشخصه وإنما لما جاء به من عز الله.

قال الشوكاني: "وجملة: ﴿قَالَ يَنْقَوِمُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ مستأنفة، وإنما قال أعز عليكم من الله، ولم يقل أعز عليكم مني، لأن نفي العزة عنه وإثباتها لقومه استهانة به، والاستهانة بأنبياء الله استهانة بالله عَزَّلَهُ، فقد تضمن كلامهم أن رهطه أعز عليه من الله، فاستنكر ذلك عليهم، وتعجب منه وألزمهم ما لا مخلص لهم عنه، ولا خرج لهم منه بصورة الاستفهام، وفي هذا من قوّة المحاجة ووضوح المجادلة وإلقاء الخصم الحجر ما لا يخفى، ولأمر ما سمي شعيب خطيب الأنبياء، والضمير في ﴿وَاتَّخَذْتُمُهُ﴾ راجع إلى الله سبحانه. والمعنى: واتخذتم الله عَزَّلَهُ بسبب عدم اعتدادكم بنبيه الذي أرسله إليكم".

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٥٩٣/٢).

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَسُلْطَانَ مُّهَمَّـٰدَ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَـٰئِكَةٍ ۗ فَأَتَبَعَوْا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۚ ۷۶ ۷۷﴾ [هود: ۹۶ - ۹۷].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۚ ۷۷﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر أن يراد بقوله : أمر فرعون أمره إياهم بالكفر وجحد معجزات موسى عليه السلام، ويحتمل أن يريد الطريق والشأن." (□)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد بأمر فرعون هو أمره إياهم بالكفر وتکذیب موسى عليه السلام، وهو قول كثير من المفسرين، (□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: ﴿ فَأَتَبَعَوْا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۚ ۷۷﴾ يقول: فكذب فرعون وملؤه موسى عليه السلام، وجحدوا وحدانية الله، وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله، واتبع ملأ فرعون دون أمر الله، وأطاعوه في تکذیب موسى عليه السلام ورد ما جاءهم به من عند الله عليه . يقول تعالى ذكره: ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۚ ۷۷﴾ يعني: أنه لا يرشد أمر فرعون من قبله منه، في تکذیب موسى عليه السلام، إلى خير، ولا يهديه إلا صلاح، بل يورده نار جهنم .

وقال الزمخشري: "تجهيل لمعبيه حيث شايدهم على أمره، وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل، وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر

١ - البحار المحيط (ج/٥ ل/٦٥٨) (١٩٣/٥).

٢ - الطبرى (٦٦/١٢)، الزمخشري (٢٩٠/٢)، ابن عطية (٢٠٤/٣)، ابن الجوزي (١١٩/٤)، الرازى (٣٩٥/١٨)، البيضاوى (٢٥٦/٣)، النسفي (٢٩١/٢)، ابن عادل آية ٩٧، أبي السعود (٤/٢٣١)، الشوكانى (٥٢٢/٢)، الألوسي (٦٣١/٢١).

مثلكم، وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد.
وقال ابن عطية : "والمعنى: أرسلناه إليهم ليؤمنوا بالله تعالى ، فصدّهم فرعون فاتبعوا أمره ولم يؤمنوا وكفروا".

القول الثاني: المراد بأمر فرعون هو شأنه وحاله وطريقته، وهو قول القرطبي
 (□) وابن كثير.

قال القرطبي : "أي شأنه وحاله، حتى اتخوه إلها".
وقال ابن كثير : "أي منهجه ومسلكه وطريقته في الغي".

القول الثالث: المراد بأمر فرعون الأول هو ما عليه من الكفر وترك الإيمان بما جاءهم به موسى عليه السلام، والأمر الثاني هو طريقه وحاله. وهو قول الخازن. (□)

قال الخازن : "﴿فَأَتَبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني ما هو عليه من الكفر وترك الإيمان بما جاءهم به موسى عليه السلام ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو إلى خير."

نلاحظ مما سبق بيانه ما يلي:

- أما القول إن المراد بأمر فرعون هو أمره إياهم بالكفر وتكذيب موسى عليه السلام، فيندرج في القول الثاني.
- وأما القول إن المراد بأمر فرعون هو شأنه وحاله وطريقته، فهو الظاهر.
- وأما القول بالفرق بين الأمرين وهو القول الثالث، فبعيد.

الترجح:

يترجح القول إن المراد بأمر فرعون هو شأنه وحاله وطريقته، وذلك:
 ١. لأنّه جمع بين القولين، ومنع من اختلاط الأمر.

١ - القرطبي (٢٠٤/٩)، ابن كثير (٤/٢٩٩).

٢ - التفسير آية ٩٧.

٢. لوضوح الدلالة على المراد.

٣. لأن في تكرار لفظ (أمر فرعون) فيه سر بلاغي من لفت الأنظار إلى
عاقبة هذا الأمر.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَاصِيدٌ ﴾ ١٠٠
[هود: ١٠٠].

في الآية مسألة واحدة وهي:
ما المراد بالقرى في الآية ؟

قال أبو حيان : "الإشارة بذلك إلى ما تقدم من ذكر الأنبياء وقومهم، وما حل بهم من الع قوبات، أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى . ويحتمل أن يعني بالقرى قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم، وأن يعني القرى عموماً أي : هذا النبأ المقصوص عليك هو ديدن المدن إذ كفرت، فدخل المدن المعاصرة." □

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم، وهو قول كثير من المفسرين. □

قال الطبرى: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هذا القصص الذي ذكرناه لك في هذه السورة، والنبا الذي أنبأناكه فيها من أخبار القرى التي أهلتنا أهلها بکفرهم بـلـلـهـ، وـتـكـذـيـبـهـ رـسـلـهـ، نـقـصـهـ عـلـيـكـ فـنـخـبـرـكـ بـهـ.

وقال الواحدى: "من أخبار القرى المهلكة".

وقال الزمخشري: أي: ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك.

القول الثاني: المراد عموم القرى، ذكره أبو حيان، وهو قول وابن عاشور.

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ١٩٩) (٢٥٩/٥).

٢ - الطبرى (٦٢/١٢)، الواحدى في الوسيط (٥٨٩/٢)، الزمخشري (٢٩٠/٢)، ابن الجوزى (١٢٠/٤)، البيضاوى (٢٥٦/٣)، النسفي (٢٩٢/٢)، الخازن آيه ١٠٠، أبي السعود (٢٣٩/٤)، الألوسي (٨٢١/٢١).

قال ابن عاشور : " وليس المراد القرى المذكورة في هذه السورة خاصة . والمقصود من هذه الجملة الأعتبار ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي :

- أما القول إن المراد هو قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم، فهو ظاهر من سياق الآيات.
- وأما القول إن المراد هو عموم القرى . فيدخل فيه قرى أهل الإيمان . ولا يوجد دليل يخصصه.

الرجيح :

يترجح القول إن المراد هو قرى أولئك المهلكين المتقدم ذكرهم، وذلك:
١. لدلالة السياق .

٢. لأنه ليس كل القرى ظالمة كافرة.
٣. لأنأخذ العظة والعبرة مطلوب في كل حال.
والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ أَبَاؤُهُمْ مِّنْ قَبْلِ وَإِنَّا لَمُوْفَّهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْفُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من المخاطب في قوله ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾؟

قال أبو حيان : "والخطاب في فلا تك متوجه إلى من داخله الشك، لا إلى الرسول ﷺ، والمعنى: والله أعلم قل يا محمد لكل من شك لا تك في ميرية مما يعبد هؤلاء، فإن الله لم يأمرهم بذلك، وإنما اتبعوا في ذلك آباءهم تقليداً لهم وإعراضًا عن حجج العقول." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: الخطاب متوجه لكل من شك لا إلى الرسول ﷺ وهو قول القرطبي والشوكاني. □ واختاره أبو حيان.

قال القرطبي: "جزم بالنهي؛ وحذفت النون لكثره الاستعمال . ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ أي في شك ، من الآلهة أنها باطل . وأحسن من هذا: أي قل يا محمد لكل من شك ﴿لَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ أن الله عَزَّ ذِلْكَ ما أمرهم به، وإنما يعبدونها كما كان آباءهم يفعلون تقليداً لهم."

وقال الشوكاني: "وهذا النهي له ﷺ هو تعریض لغيره من يدخله شيء من الشك. فإنه ﷺ لا يشك في ذلك أبداً."

القول الثاني: الخطاب متوجه إلى النبي ﷺ، وهو قول جماعة من المفسرين .

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ١٩٧) (٢٦٥ / ٥).

٢ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٤ / ٩)، فتح القدير للشوكاني (٥٢٨ / ٢).

وصرح بذلك البعض،^(□) وأشار إليه آخرون^(□).

قال الطبرى: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلا تك فى شك يا محمد مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام أنه ضلال وباطل وأنه بالله شرك، ما يعبد هؤلاء إلا كما يعبد آباءهم من قبل.

وقال الوادى: «فَلَا تَكُنْ يَمْحَدُ فِي مَرْيَةٍ» في شك «مَمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ»

وقال ابن الجوزى: «فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَةٍ» أي: فلا تك يا محمد في شك «مَمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ» المشركون من الأصنام، أنه باطل وضلال، إنما يقلدون آباءهم.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الخطاب متوجه لكل من شك لا إلى الرسول ﷺ. فلا دليل يشير إليه.

- وأما القول إن الخطاب متوجه إلى النبي ﷺ، فإنه هو الظاهر من اللفظ.

الرجح:

يترجح القول إن لفظ الخطاب للنبي ﷺ والمعنى له ولأمهه جمعاً بين القولين. وذلك:

١. لدلالة السياق، والمعنى المفهوم من النهي.

قال ابن عطية: لفظ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى له ولأمهه، ولم يقع لأحد شك فيقع عنه نهي ولكن من فصاحة القول في بيان ضلاله الكفرة إخراجه في

١ - الطبرى (٧٣/١٢)، الوادى في الوسيط (٥٩٢/٢)، ابن الجوزى (٤/١٢٥)، النسفي (٢/٢٩٥)، الخازن والجلالين آية ١٠٩، الخطيب الشربيني (٢/٩١)، أبي السعود (٤/٢٣٩)، أبي بكر الجزائري (٢/٥٨٠).

٢ - البغوي آية ١٠٩، الزمخشري (٢٩٤/٢)، الرازى (١٨/٤٠٤)، البيضاوى (٢٥٦/٢)، ابن جزي (٢/٢٠٦)، ابن عادل (١٠/٥٦٢)، الألوسى (٢١/٤٥١).

هذه العبارة، أي حاهم أوضح من أن يمترى فيها. ^(١)

٢. ومن القواعد الأصولية : أن النهي عن الشيء لا يستلزم أن يكون الشخص متلبساً بما نهي عنه ^(٢)، كما أن الأمر بالشيء لا يستلزم أن يكون المأمور غير ممثل لما أمر به ^(٣).

والله تعالى أعلم

١ - المحرر الوجيز (٣/٢٠٩).

٢ - كما يقال لمسلم: لا تشرك، وكما قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آتَقَ اللَّهَ وَلَا تُطْعِمُ الْكَفِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] وهذا مما استفادته من توجيهات فضيلة المشرف .

٣ - كما قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا آتَقُوا اللَّهَ وَإِمَّا نَفَرُوا بِرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] أي: استمروا.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ فَأَخْتِلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾ [١١٠] هود: ١١٠.

في الآية مسالتان:

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿فَأَخْتِلَفَ فِيهِ﴾ ؟
 قال أبو حيان: "والظاهر عود الضمير فيه على الكتاب لقربه." □

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول: الضمير يعود على الكتاب، وهو قول كثير من المفسرين.
 واختار أبو حيان .

قال الطبرى : "﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ﴾ يعني التوراة، كما آتيناك الفرقان، فاختلف في ذلك الكتاب قوم موسى فكذب به بعضهم وصدق به بعضهم."

وقال الواحدي : "أى: إن كذبوا بالكتاب الذي آتيناك فقد كذب من قبلهم بالكتاب الذي آتينا موسى."

وقال البغوي : "﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ﴾ التوراة ﴿فَأَخْتِلَفَ فِيهِ﴾ فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن يعزى نبيه ﷺ."

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٥) (١٩٧٦) (٢٦٦).

٢ - الطبرى (٧٣/١٢)، الواحدي في الوسيط (٥٩٢/٢)، البغوي آية (١١٠)، الزخشري (٢٩٤/٢)، ابن عطية (٢٠٩/٣)، ابن الجوزي (١٢٥/٤)، البيضاوى (٢٥٦/٣)، النسفي (٢٩٦/٢)، الخازن والجلالين آية (١١٠)، ابن عادل (٥٧٥/١٠)، أبي السعود (٤/٢٣٩)، الشوكاني (٥٢٨/٢)، الألوسي (٦٥١/٢١)، ابن عاشور (١٦٩/١٢).

القول الثاني: الضمير يعود على موسى الصلوة، وذكره أبو حيان وابن عادل.
قال أبو حيان: "ويجوز أن يعود على موسى الصلوة. ويلزم من الاختلاف في
 أحدهما الاختلاف في الآخر."

قال ابن عادل: "ويكون الضمير لموسى الصلوة أي: فاختلف عليه
 نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن الضمير يعود على الكتاب. فهو الظاهر.
- وأما القول : إن الضمير يعود على موسى الصلوة. فلا يظهر لمخالفته
 دلالة السياق.

الترجيح:

يترجح أن يعود الضمير إلى الكتاب وهو التوراة، وهو اختيار أبي حيان
 ومن وافقه، وذلك:
 ١. لأنه أقرب مذكور.
 ٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهي: [الأصل عود الضمير لأقرب مذكور ما لم
 يرد دليل بخلافه].

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٦٢١/٢).

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ ؟

قال أبو حيان : "والظاهر عود الضمير في بينهم على قوم موسى العليّة ، إذ هم المختلفون فيه." (□)

الدراسة :

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: الضمير يعود على قوم موسى العليّة ، واختاره أبو حيان.

القول الثاني: الضمير يعود على قوم النبي محمد ﷺ ، وهو قول بعض المفسرين. (□)

قال الواهدي : قال ابن عباس : يريد إني أي أخرت أمتك إلى يوم القيمة ولو لا ذلك لعجلت عقاب من كذبك.

وقال أبو السعود : أي ل الواقع القضاء بين المختلفين من قومك بإزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين، وقيل : بين قوم موسى وليس بذاته.

وقال الألوسي: أي ل الواقع القضاء بين المختلفين من قومك بإزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين.

القول الثالث: الضمير يعود على قوم موسى العليّة وعلى قوم النبي ﷺ ؛ وهو قول بعض المفسرين. (□)

١ - البحر الحيط (ح/٥ ل/٢٦٦) (١٩٧٥/٥).

٢ - الواهدي في الوسيط (٥٩٢/٢)، أبي السعود (٤/٢٣٩)، الألوسي (٢١/٦٥١)، ابن عاشور (١٦٩/١٢).

٣ - الزخيري (٢٩٤/٢)، ابن عطية (٣/٢٩٦)، النسفي (٢/٢٠٩)، الشوكاني (٢/٥٢٨)، الثعالبي (٢/١٣٩).

قال الزخشري: «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ»^١ بين قوم موسى أو قومك. وهذه من جملة التسلية أيضاً.

وقال ابن عطية: يحتمل أن يريد به أمة موسى ، ويحتمل أن يريد به معاصرى محمد ﷺ؛ وأن يعمهم اللفظ أحسن -عندى - ويفك ذلك قوله: «وَإِنَّ كُلًا»^٢.

وقال النسفي: بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل.
القول الرابع: الضمير يعود على المكذب والمصدق، وهو قول الطبرى وابن الجوزى.[□]

قال الطبرى: لقضى بين المكذب منهم به والمصدق بإهلاك الله المكذب به منهم وإنجائه المصدق به.

وقال ابن الجوزى: فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن.
القول الخامس: الضمير يعود على المؤمن والكافر، وهو قول ابن عطية والقرطبي.[□]

قال ابن عطية: «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ»^٣ أي لفصل بين المؤمن والكافر.
وقال القرطبي: ولو لا ذلك لقضى بينهم أجلهم بأن يثبت المؤمن ويعاقب الكافر.

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على قوم موسى العلية السلام ، فهو الظاهر.
- وأما القول إن الضمير يعود على قوم النبي محمد ﷺ، فلا دليل على الخصوص.

١ - جامع البيان للطبرى (١٢/٧٣)، زاد المسير لابن الجوزى (٤/١٢٥).

٢ - الجامع لأحكام القرآن (٩/١٠٣).

- وأما القول إن الضمير يعود على قوم موسى العليل وعلى قوم النبي ﷺ؛ فهو قول بالعموم.
- وأما القول إن الضمير يعود على المكذب والمصدق والمؤمن والكافر، فيندرج في القول السابق.

الترجيح

يترجح القول إن الضمير يعود على قوم موسى العليل، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.
٢. لأنهم المحدث عنهم بدلالة ما يفهم من الآية.
والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَإِنَّ كُلَّا لَمَّا لَيَوْقِنُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ ۚ ۱۱۱ ۲۶۶﴾ [هود: ۱۱۱].

في الآية مسألة واحدة وهي:
ما الذي يشمله قوله ﴿ كُلًا ۚ ۲۶۶﴾؟

قال أبو حيان: "الظاهر عموم كل وشموله للمؤمن والكافر".

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول: يشمل كل مؤمن والكافر . وهو قول جماعة من المفسرين،
واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : " وإن كل هؤلاء الذين قصصنا عليك يا مرح مد قصصهم في هذه السور، لمن ليوفينهم ربكم أعمالهم بالصالح منها بالجزيل من الثواب، وبالطحالب منها بالتشديد من العقاب".

وقال الواحدى : " **وَإِنَّ كُلًا** من البر والفاجر، والمؤمن والكافر".

وقال الزمخشري : "يعنى: وإن كلهم، وإن جميع المختلفين فيه".

القول الثاني: كفار الأمم الذين قص القرآن قصصهم .

القول الثالث : يشمل كفار هذه الأمة، قاله مقاتل وذكره أبو حيان
والألوسي **(۲۶۶/۵)**.

١ - البحر المحيط (ح/٥/٢٦٦).

٢ - الطبرى (١٢/٧٤)، الواحدى في الوجيز آية ١١١، الزمخشري (٢/٢٩٤)، ابن عطية (٣/٢٠٩)، ابن الجوزي (٤/١٢٦)، الرازى (٤٠٦/١٨)، القرطبي (٩/١٠٤)، البيضاوى (٣/٢٥٦)، النسفى (٢/٢٩٦)، الخازن آية ١١١، البقاعي (٣٣/٥٨١)، الشربى (٢/٩١)، أبي السعود (٤/٢٣٩)، الجمل (٢/٤٢٧)، الشوكانى (٢/٥٢٨)، الألوسى (٢١/٦١)، ابن عاشور (١٧٣/١٢).

٣ - أبو حيان (٥/٢٦٦)، الألوسى (٢١/٦١).

قال أبو حيـان: و قال مقاتل: يعني به كفار هذه الأمة.

وقال الألوسي: و قال مقاتل: يعني به كفار هذه الأمة.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنه يشمل كل مؤمن وكافر، فهو ظاهر. إلا أن عبارة بعضهم تشير إلى أن كلاً يشمل عموم المذكورين في القصص التي ذكرت في هذه السورة ونص بعضهم بقوله (كل المختلفين).
- وأما القول إنه يخص كفار هذه الأمة. فلا دليل على التخصيص.

الرجـح:

يتـرجـح القول إنه يشمل كل مؤمن وكافر، وهو قول أبي حيـان ومن وافقه ، وذلك:

١. لـدـلـالـةـ السـيـاقـ.

قال الرازي: المعنى أن من عجلت عقوبته ومن أخرت ومن صدق الرسـلـ ومن كذـبـ فـحـاـلـمـ سـوـاءـ فيـ أـنـهـ تـعـالـىـ يـوـفـيـهـمـ جـزـاءـ أـعـمـاـلـهـمـ فيـ الـآـخـرـةـ،ـ فـجـمـعـتـ الآـيـةـ الـوـعـدـ وـالـوـعـيـدـ فـإـنـ تـوـفـيـهـ جـزـاءـ الطـاعـاتـ وـعـدـ عـظـيمـ وـتـوـفـيـةـ جـزـاءـ الـمـعـاـصـيـ وـعـيـدـ عـظـيمـ،ـ وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ توـكـيدـ الـوـعـدـ وـالـوـعـيـدـ،ـ فـإـنـهـ لـمـ كـانـ عـالـمـاـ بـجـمـيـعـ الـعـلـومـاتـ كـانـ عـالـمـاـ بـمـقـادـيرـ الطـاعـاتـ وـالـمـعـاـصـيـ فـكـانـ عـالـمـاـ بـالـقـدـرـ الـلـاتـقـ بـكـلـ عـمـلـ مـنـ الـجـزـاءـ،ـ فـحـيـنـئـذـ لـاـ يـضـيعـ شـيـءـ مـنـ الـحـقـوقـ وـالـأـجـزـيةـ وـذـلـكـ نـهاـيـةـ الـبـيـانـ.

وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ

قال الله تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَ النَّهَارِ وَزُلْفًَا مِنَ الْيَلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ الْسَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذِّكِيرِ ﴾ [هود: ١٤].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

ما المراد بالحسنات في الآية ؟

قال أبو حيyan : "والظاهر عموم الحسنات من الصلوات المفروضة، وصيام رمضان، وما أشبههما من فرائض الإسلام . وخصوص السينات وهي الصغار، ويدل عليه الحديث الصحيح : ((ما اجتنبت الكبائر))^(□) وذهب جمهور المتأولين من الصحابة والتابعين : إلى أن الحسنات يراد بها الصلوات الخمس، وإليه ذهب عثمان عند وضوئ على المقاعد^(□)، وهو تأويل مالك.^(□)

وقال مجاهد: الحسنات قول الرجل : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(□). وينبغي أن يحمل هذا كله على جهة المثال في الحسنات، ومن أجل أن الصلوات الخمس هي

١ - صحيح مسلم / كتاب الطهارة / باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة / حديث رقم (٢٣٣).

٢ - قال محمود شاكر في جامع البيان (٥١٢/١٥) : "وهذا الخبر صحيح الإسناد رواه أحمد في مسنده مطولا رقم: ٥١٣" ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٧/١) والمقاعد: بفتح الميم وبالكاف، جمع مقعد عند باب الأقرب بالمدينة قيل: موضع بقرب المسجد اتخذه عثمان رض للقعود فيه لقضاء حوائج الناس، وقيل: هي مساقف حوها . وقيل: هي دكاكين عند دار عثمان رض ، وقال الداودي : هي الدرج . انظر الفتح الرباني للينا (٣٠٨/١)، ومعجم البلدان حرف الميم .

٣ - الموطأ (٣٣/١) جامع الوضوء / بعد حديث رقم (٧٣) قال مالك : أرأه يريد هذه الآية [هود: ١٤].

٤ - جامع البيان للطبرى (٥١٥/١٥).

أعظم الأعمال^(□)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد عموم الحسنات من الصلوات المفروضة، وصيام رمضان، وما أشبههما من فرائض الإسلام . وخصوص السينيات وهي الصغار، وقول جماعة من المفسرين،^(□) اختاره أبو حيان.

قال ابن عطية: والذى يظهر أن لفظ الآية لفظ عام في الحسنات خاص في السينيات بقوله ﷺ: ((ما اجتنبت الكبائر)) .

وقال القرطبي: قال ابن عطية : والذى يظهر أن اللفظ عام في الحسنات خاص في السينيات؛ لقوله ﷺ: ((ما اجتنبت الكبائر)).

وقال ابن كثير: يقول إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة.

القول الثاني: المراد أن الحسنات هي الصلوات المفروضة وهو قول جماعة من السلف^(□). وهو قول جماعة من المفسرين.^(□)

قال الطبرى : قال^(□): والذى نفس كعب بيده إن الصلوات الخمس لهنّ

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٠٠) (٢٧٠/٥).

٢ - ابن عطية(٣/٢١١)، القرطبي (٩/٨١)، ابن كثير(٤/٣٠٤).

٣ - كعب ومحمد بن كعب القرظى وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وابن عباس وسلمان الفارسي والحسن البصري والضحاك ومجاهد ومسروق ورواياتهم في تفسير الطبرى (١٢/٧٩) وابن أبي حاتم (٦/٩٠٢).

٤ - الطبرى (١٢/٧٦)، السمرقندى (٢/١٧٧)، الواحدى (٢/٥٩٦)، البغوى آية ١١٤، الزمخشري (٢/٢٦٦)، ابن الجوزى (٤/١٢٨)، الرازى (١٧/٤٠٩)، القرطبي (٩/٨١)، البيضاوى (٣/٢٥٦)، الخازن آية ١١٤، ابن عادل (١٠/٥٧٥)، الجلالين آية ١١٤، الشربينى (٢/٩١)، الشوكانى (٢/٥٢٨)، السعدي ص ٣٩١.

٥ - وسنه: حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن الجريري، عن أبي الورد بن ثمامة، عن أبي محمد ابن الحضرمي، قال: ثنا كعب في هذا المسجد قال.

الحسنات التي ينفعن السينيات كما يغسل الماء الدرن.

... (□) في قوله ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ الْسَّيِّئَاتِ﴾ قال: هنّ الصلوات الخمس.

... عن ابن عباس (□): ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ الْسَّيِّئَاتِ﴾ قال: الصلوات الخمس.

عن مجاهد (□): إِنَّ الْحَسَنَاتِ الصلوات...

وأولى التأويلين بالصواب ذلك قول من قال في ذلك : هنّ الصلوات الخمس، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ وتواترها عنه أنه قال : ((مَكِلٌ الصلوات الخمسٍ مَكِلٌ نَهْرٌ جَارٌ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَنْعَمِسُ فِيهِ كُلُّ يَهْ وَمِنْ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَاذَا يُبْقِيَنَّ مِنْ دَرَنَه)) (□)، وإن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات، والوعد على إقامتها الجزيل من الثواب عقيبها أولى من الوعد على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال إذا خص بالقصد بذلك بعض دون بعض.

وقال السمرقندى: يعني: الصلوات الخمس، يكفرن السينيات فيما دون الكبائر.

وقال الواحدى: إِنَّ الصلوات الخمس تکفِر ما بينها من الذنوب إذا اجتنبت الكبائر.

القول الثالث: المراد قول (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، قاله مجاهد. وذكره بعض المفسرين.

١ - حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن أفلح، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول:

٢ - وسنده: حديث الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن عباس.

٣ - وسنده: قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن منصور، عن مجاهد.

٤ - صحيح البخاري / كتاب مواقيت الصلاة / باب الصلوات الخمس كفارة / حديث رقم (٥٢٨).
وصحیح مسلم / كتاب المساجد / باب المشي إلى الصلاة / حديث رقم (٦٦٧).

قال الطبرى: "وقال آخرون: هو قوله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. عن مجاهد[□]: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ الْسَّيِّئَاتِ﴾ قال: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر. ولا إله إلا الله، والله أكبر."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول المراد عموم الحسنات فهو أظله ر الأقوال وأقربها إلى المعنى . وبقية الأقوال تندرج تحته.

الترجح:

يترجح القول إن المراد عموم الحسنات من الصلوات المفروضة، وصيام رمضان، وما أشبههما من فرائض الإسلام . وخصوص السينات وهي الصغار، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.
٢. لعموم الأدلة.

٣. لموافقته قاعدة الترجح وهي [يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتفصيص.[□]].

"فمتى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها - من قبيل التفسير بالمثال ،أو بالجزء ،أو بالثمرة ،أو بنحو ذلك- ولا معارض له، وتشهد الأدلة لصحته، فهو أولى بتفسير الآية حملها على عموم ألفاظها،ولا داعي لتفصيصها بوحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير إلا أن يكون السياق يقتضي تفصيصها حتماً ،أو يقوم

١ - وسنه قال الطبرى : "حدثني المشرى، قال: ثنا الحمانى، قال: ثنا شريك، عن منصور، عن مجاهد".

٢ - قواعد الترجح (٥٢٧/٢)

الدليل على ذلك. (□)

والله تعالى أعلم

١ - قواعد التدبر الأمثل للميداني ص ٥٩ بتصريف يسير .

المسألة الثانية

ما المشار إليه في قوله ﴿ذلك﴾؟

قال أبو حيأن : "والظاهر أن الإشارة قوله ذلك، إلى أقرب مذكور وهو قوله :

﴿إِنَّمَا أَقْرَبَ مَذْكُورٍ إِلَيْهِ مَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^١.

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: إن المشار إليه هو الصلاة وهو قول بعض المفسرين .^٢ واختاره أبو حيأن.

قال السمرقندى: يعني: الصلوات الخمس توبة للتائبين.

وقال ابن عطية: قوله ذلك إشارة إلى الصلوات ، ووصفها بـ (ذكرى)، أي هي سبب ذكر وموضع ذكرى.

وقال الشعابى: إشارة إلى الصلوات، أي: هي سبب الذكرى، وهي العظة.

القول الثاني: إن المشار إليه هو الإخبار أن الحسنات يذهبن السيئات، فيكون في هذه الذكرى حضا على فعل الحسنات ، وقد ذكره ابن عطية^٣ وأبو حيأن .

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى الإخبار بـ (إن الحسنات يذهبن السيئات) ، فتكون هذه الذكرى تحض على الحسنات.

وقال أبو حيأن: وقيل: إشارة إلى الإخبار بأن الحسنات يذهبن السيئات، فيكون في هذه الذكرى حضًا على فعل الحسنات.

القول الثالث: إن المشار إليه هو ما تقدم من الوصية بالاستقامة، وإقامة الصلاة ، والنهي عن الطغيان، والرکون إلى الظالمين . وبه قال كثير من

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٢٧٠) (٢٠٠ / ٥).

٢ - السمرقندى (١٧٧ / ٢)، ابن عطية (٢١١ / ٣)، الشعابى (١٤٠ / ٢).

٣ - المحرر الوجيز (٢١١ / ٣).

(□)
المفسرين.

قال الطبرى: "وقوله: ﴿ذَلِكَ ذَكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ﴾ يقول تعالى: هذا الذى أو عدت عليه من الركون إلى الظلم وتهددت فيه، والذى وع دت فيه من إقامة الصلوات اللواتي يذهبن السينات تذكرة ذكرت بها قوماً يذكرون وعد الله، فيرجون ثوابه ووعيده فيخافون عقابه، لا من قد طبع على قلبه فلا يحيب داعياً ولا يسمع زاجراً."

قال الشعبي: "(ذلك) الذي ذكرناه."

وقال البغوى: "(ذلك) الذي ذكرناه."

(□)
القول الرابع: إن المشار إليه هو القرآن. وهو قول بعض المفسرين.

قال الشعبي: "وقيل: هو إشارة إلى القرآن."

وقال الواحدى: يعني القرآن عظمه لمن ذكره.

وقال البيضاوى: "وقيل: إلى القرآن."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلى:

- ما ذكره المفسرون من المعانى يصح أن يكون المشار إليه.

الترجح:

يترجح جميع ماذكره المفسرون من المعانى فالاختلاف تنوع وليس اختلاف

١ - الطبرى (٧٦/١٢)، الشعبي والبغوى آية ١١٤، الزمخشري (٢٦٦/٢)، ابن الجوزى (١٢٨/٤)، الرازى (٤٠٩/١٨)، البيضاوى (٣/٢٥٦)، النسفي (٢٩٨/٢)، الخازن آية ١١٤، البقاعى (٥٨٥/٣)، الشعبي (١٤٠/٢)، أبي السعود (٤/٢٣٩)، الألوسى (٤٦١/٢١)، ابن عاشور (١٧٨/١٢).

٢ - الشعبي آية ١١٤، الواحدى في الوسيط (٥٩٦/٢)، البيضاوى (٢٥٦/٣)، الخازن آية ١١٤، أبي السعود (٤/٢٣٩).

تضاد. وذلك:

١. لدلالة السياق في الآيات المتقدمة.
٢. لأن ما ذكر من المعاني يصح أن يكون مفتاح باب التوبه والعمل الصالح.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَيِّنَاتٍ يَنْهَا عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَأَتَّابَعَ الظِّنَّ ظَلَمُوا مَا أَتَرْفَوْا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

في الآية مسألة واحدة هي:

ما المراد بالذين ظلموا في الآية؟

قال أبو حيان: "والظاهر أنّ الذين ظلموا هم تاركو النهي عن الفساد".

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: المراد هم تاركو النهي عن الفساد، وهو قول كثير من المفسرين،[□] واختاره أبو حيان.

قال الزخشي: أراد بالذين ظلموا : تاركي النهي عن المنكرات، أي : لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقدوا هممهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والتترف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهيء . ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم."

وقال الرازي: وأراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتبعوا طلب الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرياسات."

وقال البيضاوي: إذ المعنى: فلم ينهاوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا

١ - البحر المحيط (ح ٢٧١/٥) (٢٠١/٥).

٢ - الزخشي (٢٦٦/٢)، الرازي (٤٠٩/١٨)، البيضاوي (٢٥٦/٣)، النسفي (٢٩٨/٢)، أبو السعود (٤/٢٣٩)، الألوسي (٤٦١/٢١)، ابن عاشور (١٧٨/١٢).

مجرمين".

(□) القول الثاني: المراد هم الذين ظلموا. وهو قول بعض المفسرين.

قال الطبرى: "واتبعوا الذين ظلموا الشيء الذي أنظرهم فيه ربهم من نعيم الدنيا ولذاتها، إيثارا له على عمل الآخرة وما ينحىهم من عذاب الله".

وقال البغوى: "اتبع الدين ظلموا ما عودوا من النعيم واللذات وإيثار الدنيا على الآخرة".

وقال ابن الجوزي: "اتبعوا مع ظلمهم ما أترفوا فيه مع استدامة نعيمهم، فلم يقبلوا ما ينقص من ترفهم".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما ما ذكره المفسرون من المعاني فيصح أن يكون هو المراد.

الرجح:

يترجح ما ذكره المفسرون من الأقوال. وذلك:

١. لأن الذين ظلموا من صفتهم ترك النهي عن المنكر بل هم الذين يأمرؤون الناس به وينهونهم عن فعل المعرف.
٢. لدلالة الوصف .

والله تعالى أعلم

١ - الطبرى (١٢/٨٣)، البغوى آية ١١٦، ابن الجوزى (٤/١٣٠)، الخازن آية ١١٦، ابن كثير (٤/٣٠٩).

قال تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَأُونَ مُخْلِفِينَ﴾ ١١٨
[هود: ١١٨].

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بالاختلاف في قوله ﴿وَلَا يَرَأُونَ مُخْلِفِينَ﴾؟

قال أبو حيأن : "والظاهر أن قوله : ولا يزالون مختلفين، هو من الاختلاف الذي هو ضد الاتفاق، وأن المعنى في الحق والباطل قاله: ابن عباس." □

الدراسة:

في المسألة ستة أقوال:

القول الأول: المراد الاختلاف في الحق والباطل؛ قاله ابن عباس؛ وهو قول أكثر المفسرين. □ واختاره أبو حيأن.

قال ابن أبي حاتم: عن ابن عباس □. قال: أهل الحق وأهل الباطل.

وقال الماوردي: مختلفين في الحق والباطل إلا من رحم ربك من أهل الطاعة، قاله ابن عباس.

وقال الزمخشري: فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل، فاختلفوا.

القول الثاني: المراد الاختلاف في الأديان؛ قال له عطاء؛ وهو قول جماعة من المفسرين. □

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٢٠٢) (٥ / ٢٧٢).

٢ - ابن أبي حاتم (٢٠٩٣/٦)، الماوردي آية ١١٨، الزمخشري (٢٩٨/٢)، ابن الجوزي (١٣٢/٤)، البيضاوي (٢٥٦/٣)، النسفي (٢٩٩/٤)، أبي السعود (٤/٢٣٩)، الشوكاني (٥٣٣/٢)، الألوسي (٧٦١/٢١)، ابن عاشور (١٨٨/١٢).

٣ - وسنده: "حدثنا أبي، ثنا محمد بن عمران، ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس." رواية الضحاك عن ابن عباس منقطعة.

٤ - الطبرى (٨٤/١٢)، ابن أبي حاتم (٢٠٩٣/٦)، السمرقندى (١٧٧/٢)، الشعابي والماوردي آية ١١٨، الواحدي في الوسيط (٥٩٧/٢)، البغوي آية ١١٨، الرازى (٤١٢/١٧)، القرطى (١١٤/٩)،

قال الطبرى: "فقال بعضهم: هو الاختلاف في الأديان. فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى من بين يهودي ونصراني ومجوسى، ونحو ذلك". وقال قائلو هذه المقالة: استثنى الله من ذلك من رحمهم، وهم أهل الإيمان... عن عطاء^(١): ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ قال: اليهود والنصارى والمجوس. والخنيفة هم الذين رحم ربكم".

وقال ابن أبي حاتم: قال الحسن^(٢): الناس مختلفون على أديان شتى.

وقال السمرقندى: وقال عطاء: ولا يزالون مختلفين، يعني : اليهود والنصارى، والمجوس.

القول الثالث: المراد الاختلاف في السعادة والشقاوة؛ وهو قول بعض المفسرين.^(٣)

وقال الماوردي: مختلفين بالشقاء والسعادة إلا من رحم ربكم بال توفيق.

وقال ابن عطية: وقالت فرقه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في السعادة والشقاوة، وهذا قريب المعنى من الأول إذ هي ثمرة الأديان والاختلاف فيها، ويكون الاختلاف - على هذا التأويل - يدخل فيه المؤمنون إذ هم مخالفون للكفرة.

القول الرابع: المراد الاختلاف في الرزق فمنهم غني وفقير ؛ قاله الحسن.^(٤)

قال الطبرى: وقال آخرون: بل معنى ذلك : ولا يزالون مختلفين في

ابن جزي (٢٠٨/٢)، الخازن آية ١١٨، ابن كثير (٤/٩٠)، ابن عادل (١٠/٥٩٦)، الشعالي (٣/٥٨٩)، الجلالين آية ١١٨، الشربيني (٢/٩٦)، الشوكاني (٢/٥٣٣).

١ - وسنه: "حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء.

٢ - وسنه: "حدثنا أبو سعيد الأشجع، ثنا ابن عليه، عن منصور بن عبد الرحمن، قال: قلت للحسن: ".

٣ - الماوردي آية ١١٨، ابن عطية (٣/٢١٥)،

٤ - الطبرى (١٢/٨٤)، الماوردي آية ١١٨، ابن عطية (٣/٢١٥)، الشوكاني (٢/٥٣٣)،

الرزق، فهذا فقير وهذا غنى ... أَنَّ الْحَسَنَ[□]) قال: مختلفين في الرزق، سخر بعضهم لبعض".

وقال الماوردي: مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير إلا من رحم ربك من أهل القناعة. قاله الحسن.

"وقال ابن عطية: وقال الحسن أيضاً: لا يزالون مختلفين في الغنى والفقر.
القول الخامس: المراد الاختلاف في الأهواء؛ قاله عكرمة.[□].

قال ابن الجوزي: أنهم أهل الأهواء لا يزالون مختلفين، رواه عكرمة عن ابن عباس".

القول السادس: المراد يختلف بعضهم بعضاً، ذكره الماوردي.

وقال الماوردي: أنه معنى مختلفين أي يختلف بعضهم بعضاً ، فيكون من يأتي خلفاً للماضي لأن سوءاً في كل منهم خلف بعضهم بعضاً ، فاقتتلوا ومنه قولهم: ما اختلف الجديدان، أي جاء هذا بعد ذاك".

القول السابع : المراد الاختلاف في المغفرة والعذاب إلا من رحم ربك بالجنة. ذكره الماوردي.

وقال الماوردي: مختلفين في المغفرة والعذاب .

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الاختلاف في الحق والباطل، فهو الظاهر.

- وأما القول إن الاختلاف في الأديان ، فهو يندرج في القول الأول لأن

الإسلام دين الحق وما عداه باطل قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيَنًا

فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

١ - وسنده: "حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر، عن أبيه، أن الحسن".

٢ - ابن الجوزي (٤/١٣٢).

- وأما القول إن الاختلاف في السعادة والشقاوة، فهذا قريب المعنى من الأول إذ هي ثمرة الأديان والاختلاف فيها.
- وأما القول إن الاختلاف في الرزق فمنهم غني وفقير؛ فهذا قول بعيد معناه من معنى الآية.
- وأما القول إن الاختلاف في الأهواء؛ فهذا القول يندرج في القول إن المراد الاختلاف في السعادة والشقاوة.
- وأما القول إن المراد يخالف بعضهم بعضاً ، أو الاختلاف في المغيرة والعذاب، فهما بعيدان عن سياق الآية.

الترجح:

يترجح القول إن الاختلاف في الحق والباطل، وهو قول أبي حيان ومن وافقه. وذلك:

1. لدلالة السياق.

قال الطبرى: "أولى الأقوال في تأوily ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان ومملل وأهواء شتى، إلا من رَحِمَ رَبُّكَ فآمن بالله وصدق رسleه، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله وتصديق رسleه وما جاءهم من عند الله.

وإنما قلت ذلك أولى للصواب في تأوily ذلك، لأن الله جل شناوه أتبع ذلك قوله: ﴿وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ففي ذلك دليل واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار، ولو كان خبراً عن اختلافهم في الرزق لم يعقب ذلك بالنجاة عن عقابهم وعذابهم.

.2. لأنه محور الصراع في البشرية منذ أن خلق الله الخلق.

□ .3. لأن بسببه نجا أناس وعذب آخرون.

والله تعالى أعلم

قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلْقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [١١٩] هود: ١١٩

في الآية مسألة واحدة وهي :

علام يعود الضمير في قوله ﴿ خَلْقَهُمْ ﴾ ؟

قال أبو حيان: "وليس في هذه الجملة ما يمكن أن يعود عليه الضمير إلا الاختلاف كما قال الحسن وعطاء أو الرجمة كما قال مجاهد، وقتادة أو كلاهما كما قال ابن عباس ^(□). وقد أبعد المتأولون في تقدير غير هذه الثلاث .. - وذكر الأقوال ^(□) .. ولو لا أن هذه الأقوال سطرت في كتب التفسير لضررت عن ذكرها صفحًا ^(□)".

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : إن الضمير يعود على الاختلاف . وهو قول جماعة من المفسرين.

١ - أقوال السلف انظرها في تفسير الطبرى (١٢/٨٢)، وابن أبي حاتم (٦/٢٠٩٤)، الدر المثور (٤٩١/٤).

٢ - قال أبو حيان: "فروي أنه إشارة إلى ما عده . وفيه تقديم وتأخير أي : وتمت الكلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين، ولذلك خلقهم أي ملء جهنم منهم، وهذا بعيد جداً من تراكيب كلام العرب . وقيل: إشارة إلى شهود ذلك اليوم المشهود، وقيل: إلى قوله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ ﴾ [١٠٥] وقيل: إشارة إلى أن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير، وقيل: إشارة إلى قوله: ﴿ يَنْهَاكُ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾ [١١٦] هود: ١١٦ وقيل: إشارة إلى العبادة، وقيل: إلى الجنة والنار، وقيل: للسعادة والشقاوة . وقال الزمخشري : ولذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام، أولاً من التمكين والاختيار الذي عنه الاختلاف، خلقهم ليثبت مختار الحق بحسن اختياره، ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره انتهى . وهو على طريقة الاعتزال".

٣ - البحر المحيط (٥/٥٢) (٢٧٣/٥).

٤ - الطبرى (١٢/٨٢)، الشعبي آية ١١٩، البغوي آية ١١٩، الزمخشري (٢/١٩٨)، الرازى =

قال الطبرى: "وأما قوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: وللخلاف خلقهم".

وقال الشعبي: قال الحسن ومقاتل بن حيان وعطاء: وللخلاف خلقهم.

وقال البغوي: قال الحسن وعطاء: وللخلاف خلقهم.

القول الثاني: إن الضمير يعود على الرحمه. (□)

قال السمرقندى: يعني: الحنيفة خلقهم للرحمه.

وقال الماوردي: للرحمه خلقهم، قاله مجاهد.

القول الثالث: إن الضمير يعود على الاختلاف والرحمه. (□)

قال الوادى: أي: خلق أهل الاختلاف للاختلاف ، وأهل الرحمة للرحمه.

وقال ابن عطية: فجاءت الإشارة بذلك إلى الأمرين : الاختلاف والرحمه

وقد قاله ابن عباس:

وقال ابن الجوزى: إنه يرجع إلى ما هم عليه . قال ابن عباس: خلقهم فييدين،

فريقا يرحم فلا يختلف، وفريقا لا يرحم يختلف.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن الضمير يعود على الاختلاف، فهو الظاهر.
- وأما القول : إن الضمير يعود على الرحمه. فمحتمل .
- أما القول : إن الضمير يعود على الاختلاف والرحمه ، فهو جمع بين الأقوال.

= (٤١٢/١٨)، البيضاوى (٣/٢٥٦)، الخازن آية ١١٩، ابن عادل (١٠/٥٩٦)، البقاعي (٣/٥٨٩)، أبي السعود (٤/٢٣٩)، الألوسي (٢١/٧٦)، ابن عاشور (١٢/١٨٨).

١ - السمرقندى (٢/١٧٧)، الماوردي آية ١١٩ ، ابن عطية (٣/٢١٥)، القرطبي (٩/١١٤)، الجلالان آية ١١٩ .

٢ - الوادى في الوجيز آية ١١٩ ، ابن عطية (٣/٢١٥)، ابن الجوزى (٤/١٣٢)، القرطبي (٩/١١٤)، الجلالان آية ١١٩ .

الترجح:

يترجح القول إن الضمير يعود على الاختلاف، وهو قول أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

قال الخازن: "فحاصل الآية أن الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين ، وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم إلى النار وحكم على بعضهم بالرحم وهم أهل الاتفاق ومصيرهم إلى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى : ﴿وَتَمَّتْ كِلَمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وهذا صريح بأن الله سبحانه وتعالى خلق أقواماً للجنة وللرحمة فهداهم ووفقاهم لأعمال أهل الجنة وخلق أقواماً للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهدى".^(١)

٢. لأنه أقرب مذكور،

قال النحاس: "وهذه الآية من المشكل ، وقد قيل فيها أقوال وأبينها قول الحسن ... ويكون المعنى : ولا يزال أهل الباطل مختلفين في دينهم، إلا من رحم الله، وأهل الإسلام لا يختلفون في دينهم، ولذلك خلق أهل السعادة للسعادة، وأهل الشقاء للشقاء ، وبين هذا قوله تعالى ﴿وَتَمَّتْ كِلَمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].^(٢)

والله تعالى أعلم

آخر ترجيحات سورة هود والله الحمد والمنة

١ - التفسير آية ١١٩.

٢ - معاني القرآن (٥٢٤/١).

تَعْرِيفُ الْجَمَاتِ أَبْيَانٌ

فِي
الْمُهَاجَرَةِ

لِلْمُهَاجِرِ

قال تعالى ﴿الرَّتِلَكَ إِيَّاَنْ أَلْكِتَبِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١] في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالكتاب في الآية؟

قال أبو حيان: "والظاهر أن المراد بالكتاب القرآن." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن المراد بالكتاب القرآن وهو قول بعض المفسرين □، واختاره أبو حيان.

قال الواهidi: "﴿تِلْكَ﴾ يعني هذه ﴿إِيَّاَنْ أَلْكِتَبِ الْمُبِينِ﴾ يعني: القرآن لأنه يبين الهدى والرشد."

وقال ابن عطية: و ﴿أَلْكِتَبِ﴾ القرآن.

وقال الرازى: "﴿أَلْكِتَبِ الْمُبِينِ﴾ وهو القرآن"

القول الثاني: إن المراد بالكتاب السورة وهو قول جماعة من المفسرين □.

قال الزمخشري: و ﴿أَلْكِتَبِ الْمُبِينِ﴾ السورة، أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم. أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر. أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزو لها بلسانهم. أو قد أبین فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف .

١ - البحر المحيط (ح/٥٤) (٢٧٨/٥).

٢ - الواهidi (٥٩٨/٢)، ابن عطية (٢١٨/٣)، الرازى (٤١٧/١٨)، القرطبي (١١٨/٩)، ابن جزي (٢٠٩/٢)، ابن كثير (٣١٣/٤)، ابن عادل (١١/٣)، الجلالان آية (٤)، الشريبي (٩٩/٢).

٣ - الزمخشري (٢٠٠/٢)، البيضاوى (٢٧١/٣)، النسفي (٣٠٩/١)، الشوكانى (٣١/٣).

وقال البيضاوي: "﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة وهي المراد بـ ﴿الْكِتَبِ﴾".

وقال النسفي: "تلك إشارة إلى آيات هذه السورة، والكتاب المبين السورة".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول بأنه القرآن فهو ظاهر من دلالة السياق.
- وأما القول بأنه السورة فلا وجه لهذا التخصيص، وإنما هي جزء من الكتاب.

الرجح:

يترجح القول إن المراد بالكتاب القرآن، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق. وما دل عليه السياق هو الأولى في التفسير.

قال ابن كثير : " قوله : ﴿تِلْكَ أَيْنَتُ الْكِتَبِ﴾ أي هذه آيات الكتاب، وهو القرآن المبين، أي الواضح الجلي الذي يفصح عن الأشياء المبهمة، ويفسر رها ويبيّنها ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾؟

قال أبو حيان: "والضمير في (أنزلناه)، عائد على الكتاب الذي فيه قصة يوسف، وقيل: على القرآن، وقيل: على نبأ يوسف، قاله الزجاج وابن الأنباري. وقيل: هو ضمير الإنزال." □
الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن الضمير يعود على القرآن. وهو قول أكثر المفسرين □، واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآناً عربىًّا على العرب، لأن لسانهم وكلامهم عربىٌّ، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعلقلاه ويفقها منه، وذلك قوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وقال الماوردي: قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ فيه وجهان:
أحدهما: إنا أنزلنا الكتاب قرآنًا عربىًّا بلسان العرب ، وهو قول الجمهور.
الثاني: إنا أنزلنا خبر يوسف السليمان قرآنًا، أي مجموعاً عربىًّا أي يعرب عن المعانى بفصيح من القصص وهو شاذ.

وقال ابن عطية: والضمير في قوله: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ لـ ﴿الكتاب﴾، والإنزال: إما

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ٤٠٤) (٢٧٩/٥).

٢ - الطبرى (٨٩/١٢)، الماوردي آيه ٢، ابن عطية (٣/٢١٨)، القرطبي (٩/١١٨)، البيضاوى (٣/٢٧١)، الخازن آيه ٢، ابن كثير (٤/٣١٣)، ابن عادل (١١/٣)، البقاعي (٤/٣)، الجلالان آيه ٢، أبو السعود (٤/٢٥٠)، الشوكانى (٣/٤)، الألوسى (٢١/٥٨١)، ابن عاشور (١٢/٢٠١).

معنى الإثبات، وإنما أن تتصف به التلاوة والعبارة.

القول الثاني: إن الضمير يعود على نبأ يوسف عليه السلام. وهو قول الزجاج وابن الأنباري - كما ذكره أبو حيان - وقول ابن عبد السلام □.

قال الزجاج: ويجوز أن يكون «أنا أنزلناه» أي أنزلنا خبر يوسف وقصته.

وقال ابن عبد السلام: «أَنْزَلْنَاهُ» خبر يوسف عليه السلام، أو الكتاب عند الجمهور.

القول الثالث: أنه هو ضمير الإنزال. ذكره أبو حيان والألوسي.

قال أبو حيان: وقيل: هو ضمير الإنزال.

وقال الألوسي: وقيل: هو للإنزال المفهوم من الفعل

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن الضمير يعود على القرآن فهو الظاهر.
- وأما القول : إن الضمير يعود على نبأ يوسف عليه السلام، فلا يخفى ضعفه □، لعدم الدلالة عليه.
- وأما القول : إنه ضمير الإنزال فهو بعيد.

الرجح:

يترجح القول بعود الضمير على القرآن، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لعموم الآيات الدالة على ذلك.

٢. لأنه هو الظاهر.

١ - تهذيب معاني القرآن للزجاج (٣/٦١)، تفسير ابن عبد السلام آيه ٢.

٢ - قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٢١٨): «قال الزجاج: الضمير في «أنزلناه» يراد به خبر يوسف. قال القاضي أبو محمد □: وهذا ضعيف».

قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْنَاهُمْ لِي سَجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].
في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ماذا رأى يوسف عليه السلام في منامه؟

قال أبو حيان: والظاهر أنه رأى في منامه كواكب والشمس والقمر. وقيل:
رأى إخوته وأبويه، فعبر عنهم بذلك، □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: رأى كواكب والشمس والقمر وهو قول أكثر المفسرين □،
واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن كنت يا مرح مد لم ن الغافلين عن نبأ ي وسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهي م، إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق : يا أبا إني رأيت أحد عشر كوكبا يقول : إنني رأيت في منامي أحد عشر كوكبً وقال الزمخشري: رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له.

وقال ابن عطية: وقيل: إنه قد رأى كواكب حقيقة والشمس والقمر فتاوها يعقوب إخوته وأبويه، وهذا قول الجمهور.

١ - البحر المحيط (٥/٢٠٥) (٥/٢٨٠).

٢ - الطبرى (١٢/٩٠)، الزمخشري (٢/٣٠١)، ابن عطية (٣/١٣٧)، الرازى (١٨/٤٢٠)، النسفي (٢/٣٠٣)، الخازن آيه ٤، البقاعي (٤/١٠)، الجلالان آيه ٤، الشوكاني (٤/٣)، الألوسي (٢١/٩٨١)، ابن عاشور (١٢/٢٠٥).

القول الثاني : رأى إخوته وأبويه ، فعبر عنهم بذلك . وهو قول السدي كما ذكره الطبرى ^(□) .

قال الطبرى : " عن السدي ^(□) ، في قوله : ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ﴾ . الآية، قال : رأى أبويه وإخوته سجوداً له . فإذا قيل له من قال إن كان حقاً، فإن ابن عباس فسره ."

وقال ابن عطية : " وقيل : إنما كان رأى إخوته وأبويه فعبر عنهم بالكواكب والشمس والقمر ، وهذا ضعيف ترجم به الطبرى ثم أدخل عن قتادة والضحاك وغيرهما كلاماً محتملاً أن يكون كما ترجم وأن يكون مثل قول الناس ^(□) ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي :

- أما القول : إنه رأى كواكب والشمس والقمر فهو الظاهر .
- وأما القول بأنه رأى إخوته وأبويه فعبر عنهم بالكواكب والشمس والقمر، فهو بعيد لمخالفته لتصريح القرآن، ولأن ابن أبي حاتم ذكر عن السدي أنه تفسير للرؤي ^(□)

الترجمة:

يترجح القول إن يوسف عليه السلام رأى الكوكب والشمس والقمر له ساجدين وفسر ذلك بالأدب والأخوة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١ - حدثني الحارث، قال: ثني عبد العزيز، قال: ثنا شريك، عن السديّ، في قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ﴾ . الآية، قال: رأى أبويه وإخوته سجوداً له . فإذا قيل له من قال إن كان حقاً، فإن ابن عباس فسره .

٢ - وسنده قال: " حدثني الحارث، قال: ثني عبد العزيز، قال: ثنا شريك، عن السديّ ."

٣ - المحرر الوجيز (٣/٢١٩).

٤ - التفسير (٧/١٠٢).

١. لموافقته لصريح القرآن.

قال ابن كثير: وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام إن الأحد عشر كوكباً عبارة عن إخوته، وكانوا أحد عشر رجلاً سواه، والشمس والقمر عبارة عن أمه وأبيه . روی هذا عن ابن عباس والضحاك وقتادة وسفیان الثوری وعبد الرحمن بن زید بن أسلم.[□]

والله تعالى أعلم

١ - التفسير (٤٩٨/٤).

المسألة الثانية

هل الشمس والقمر مندرجات في الأحد عشر كوكباً؟

قال أبو حيyan: "والظاهر إنّ الشمس والقمر ليسا مندرجات في الأحد عشر كوكباً، ولذلك حين عدهما الرسول ﷺ لليهودي ذكر الأحد عشر كوكباً غير الشمس والقمر" ^(□)، ويظهر من كلام الزمخشري ^(□) أنهما مندرجات في الأحد عشر ^(□).

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إنّ الشمس والقمر ليسا مندرجات في الأحد عشر كوكباً ، وهو

١ - قال الطبرى: "حدىنى على بن سعيد الكندي، قال : ثنا الحكم بن ظهير، عن السدىّ، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر، قال : أتى النبي ﷺ رجل من يهود يقال له بستانة اليهودي، فقال له : يا محمد أخبرنى عن الكواكب التي رأها يوسف ساجدة له، ما أسماؤها؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ، فلم يحبه بشيء، ونزل عليه جبرئيل وأخبره بأسمائها . قال: فبعث رسول الله ﷺ إليه، فقال: ((هل آتت مؤمناً إن أخْبَرْتُكَ بِأَسْمَائِهَا؟)) قال: نعم، فقال: ((جَرْبَانُ وَالْطَّارِقُ، وَالدَّيْلُ، وَدُو الْكَتَفَيْنِ، وَقَابْسٌ، وَوَقَابٌ وَعَمْوَدَانٌ، وَالْفَلَقُ، وَالْمُصْبَحُ، وَالضَّرُوحُ، وَدُو الْفَرْغُ، وَالضَّيَاءُ، وَالنُّورُ)). فقال اليهودي: والله إنها لأسماؤها.

قال السيوطي في الدر المنشور: وأخرج سعيد بن منصور والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي وابن حبان في الضعفاء ، وأبو الشيخ والحاكم وصححه، وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً في دلائل النبوة . هذا الخبر تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري وهو متوفى كما في التهذيب (٤٢٧/٢) والتقريب رقم (١٤٤٥) وقال: وأنكر العقيلي حديثه في تسمية نجوم يوسف النجوم وقال أبو شهبة في الإسرائيлик ص ٢١٩: "والذي يظهر: أنه من الإسرائيлик ، وألصقت بالنبي النجوم زوراً ثم إن سيدنا يوسف النجوم رأى كواكب بصورها لا بأسمائها ، ثم ما دخل الاسم فيما ترمز إليه الرؤيا ؟"!

٢ - الكشاف (٣٠١/٢).

٣ - البحر الحيط (ح/٥ لـ ٢٠٥) (٢٨١/٥).

قول جماعة من المفسرين. [□] واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : وذكر أن الأحد العشر الكواكب ا لتي رآها في منامه ساجدة مع الشمس والقمر.

وقال النسفي: " قيل: الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر."

وقال الخازن: قال أهل التفسير: رأى يوسف عليه السلام في منامه كأن أحد عشر كوكباً نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له.

القول الثاني: إنّ الشمس والقمر مندرج ان في الأحد عشر كوكباً . وهو ظاهر قول الزمخشري.

قال الزمخشري : " فإن قلت لم آخر الشمس والقمر؟ قلت : آخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص، بياناً لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع، كما آخر جبريل، وميكائيل عن الملائكة، ثم عطفهما عليها لذلك، ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع، أي : رأيت الكواكب مع الشمس والقمر."

وقال الألوسي: وزعم بعضهم أن الواو للمعية وليس بذلك وتخصيصهما بالذكر وعدم الاندراج في عموم الكواكب لاختصاصهما بالشرف وتأخيرهما لأن سجودهما أبلغ وأعلى كعباً.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنّ الشمس والقمر ليسا مندرجين في الأحد عشر كوكباً فهو الظاهر وما دل عليه صحته تعبير الرؤيا.

- وأما القول إنّ الشمس والقمر مندرج ان في الأحد عشر كوكباً . فهو

١ - الطبرى (١٢/٩٠)، النسفي (٢/٣٠٣)، الخازن آيه ٤، البقاعي (٤/١٠)، الجلالين آيه ٤، الشوكاني (٣/٤)، الألوسي (٢١/٩٨١)، ابن عاشور (١٢/٢٠٥).

بعيد لأن العطف يقتضي المعايره، ويرده ظاهر الآية وصريح العبارة القرآنية، وبه يفسد تفسير الرؤيا بسجود أبوه وأخوه.

- وأما لم أخر ذكر الشم س والقمر عن الكواكب؛ فقد أجاب أبو حيان بذلك فقال: "والذي يظهر أن التأخير إنما هو من باب الترقى من الأدنى إلى الأعلى، ولم يقع الترقى في الشمس والقمر جرياً على ما استقر في القرآن من أنه إذا اجتمعا قدمت عليه . قال تعالى : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] وقال: ﴿وَجَمِيعَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ [القيمة: ٩] ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] وقدمت عليه لسطوع نورها وكبر جرمها وغرابة سيرها، واستمداده منها، وعلو مكانها".

الرجح:

- يترجح القول إنّ الشمس والقمر ليسا مندرجين في الأحد عشر كوكباً ، وهو قول أبي حيان ومن وافقه من المفسرين. وذلك:
١. لموافقته لصريح القرآن.
 ٢. لأنه بدلاته يتوافق السياق القرآني مع واقع تفسير الرؤيا في ضبط عدد الساجدين.
 ٣. لموافقته قاعدة العطف يقتضي المعايره.
والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ يَعْنِيُكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتَمِّمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَهْلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف: ٦].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من هم آل يعقوب؟

قال أبو حيان: "آل يعقوب الظاهر أنه أولاده ونسليهم أي : نجعل النبوة فيهم. وقال الزمخشري: هم نسله وغيرهم. وقيل أهل دينه وأتباعهم، كما جاء في الحديث: من آلك؟ فقال : ((كُلٌّ تقيٌ))،[□] وقيل: امرأته وأولاده الأحد عشر. وقيل: المراد يعقوب نفسه خاصة

الدراسة :

في المسألة خمسة أقوال:

القول الأول: إن آل يعقوب الكلمة أولاده ونسليهم. وهو قول أكثر المفسرين.[□]
واختاره أبو حيان.

قال البغوي: ﴿ وَعَلَىٰ أَهْلِ يَعْقُوبَ ﴾ أي: على أولاده فإن أولاده كلهم كانوا

١ - الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي، قال: حدثنا محمد بن عمر المعدل، قال حدثنا عبد الله البغوي، قال: حدثنا شيبان بن فروخ، قال : حدثنا نافع بن هرمز، عن أنس رضي الله قال : قالوا يا رسول الله من آل محمد، قال: لقد سألتني عن شيء ما سأله عن المسلمين قبلكم: آل محمد كل تقي. فيه نافع أبي هرمز كما في تهذيب الكمال (٥٩٨/١٢) في ترجمة شيبان بن فروخ، وضعفه الإمام أحمد في العلل رقم (٣١٧٧) وسماه نافع السلمي، وفي الجرح والتعديل (٤٥٥/١/٨) متورك الحديث.

٢ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٠٧) (٢٨٢/٥).

٣ - البغوي آية ٦، ابن عطية (٣/٢٢٠)، ابن الجوزي (٤/١٣٩)، الرازي (١٨/٤٢٢)، ابن عبد السلام آية ٦، ابن جزي (٢/٢١٠)، الخازن آية ٦، ابن عادل (١١/٥)، البقاعي (٤/١١)، أبي السعود (٤/٢٥٠)، الألوسي (٢٩١/٢١).

أنبياء".

وقال ابن عطية : " قوله: ﴿إَلِّي يَعْقُوبَ﴾ ي يريد في هذا الموضع الأولاد والقرابة التي هي من نسله، أي يجعل فيهم النبوة."

وقال ابن الجوزي : " إنهم ولده، قاله ابن عباس.

وقال البيضاوي : ﴿وَعَلَّقَ إَلِّي يَعْقُوبَ﴾ ي يريد به سائر بنيه، ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب أو نسله.

القول الثاني: إن آل يعقوب العليّة هم أهل دينه وأتباعه وهو قول الطبرى (□).

قال الطبرى : ﴿وَعَلَّقَ إَلِّي يَعْقُوبَ﴾ يقول: وعلى أهل دين يعقوب العليّة وملته من ذرّيته وغيرهم.

القول الثالث: إن آل يعقوب هم امرأته وأولاده . ذكره ابن الجوزي وأبو حيان؛ وبه قال ابن عاشور (□).

قال ابن الجوزي: "يعقوب وامرأته وأولاده الأحد عشر، أتم عليهم نعمته بالسجود ليوسف، قاله مقاتل".

وقال أبو حيان: وقيل: امرأته وأولاده الأحد عشر.

وقال ابن عاشور: فالمراد من آل يعقوب العليّة خاصتهم وهم أبناءه وزوجه.

القول الرابع : إن آل يعقوب هم نسله وغيرهم . وهو قول الزمخشري والنسفي (□).

قال الزمخشري: "وآل يعقوب العليّة. أهله وهم نسله وغيرهم."

وقال النسفي: "وآل يعقوب العليّة أهله وهم نسله وغيرهم."

١ - جامع البيان (٩٢٩/١٢).

٢ - التحرير والتنوير (٣١٥/١٢).

٣ - الكشاف الزمخشري (٣٠٣/٢)، تفسير النسفي (٢٠٤/٢).

القول الخامس: إن آل يعقوب العليّة هو يعقوب نفسه خاصة. ذكره أبو حيان.

نلاحظ مما سبق إيراده من الأقوال ما يلي:

- **أما القول إن آل يعقوب العليّة أولاده ونسلهم ، فهو الظاهر لدلالة السياق وسيأتي بيانه.**
- **وأما القول إن آل يعقوب العليّة هم أهل دينه وأتباعه، فهو ضعيف بدلالة اللغة والعرف.**
- **وأما القول إن آل يعقوب العليّة هم امرأته وأولاده ..، فمحتمل وتخرج المرأة بقرينة البشارة بالنبوة.**
- **وأما القول إن آل يعقوب العليّة هم نسله وغيرهم، أما نسله فصحيح ، وأما غيرهم فلا.**
- **وأما القول إن آل يعقوب العليّة هو يعقوب العليّة نفسه خاصة، فالاعطف يقتضي المغايره .**

الترجح:

يترجم القول بأن آل يعقوب العليّة هم أولاده ونسلهم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق فالآيات تتحدث عن يعقوب وبنيه عليهم السلام، واستدلال يعقوب العليّة بما سيكون لهم من النبوة والفضل كما كان لأبائهم من قبل إبراهيم وإسحاق عليهمما السلام.
٢. بدلالة المعنى اللغوي لآل . فإن "أصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن أهله وإنما علم يعقوب أن يوسف يكون نبياً وإخوته أنبياء

استدلاً بضوء الكواكب فلذا قال وعلي آل يعقوب.^(□)

٣. ملماً موافقته قاعدة الترجيح وهي : [القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية].^(□)

والله تعالى أعلم

١ - الكشاف (٣٠٣/٢)، وانظر بصائر ذوي التمييز (١٦٢/٢).

٢ - قواعد الترجيح (٥١١/٢).

قال تعالى ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾
 قوماً صَنِّلِحَينَ [يوسف: ٩].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

من القائل في قوله ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر أنّ ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ من جملة قوله، وقيل : هو من قول قوم استشارهم أخوة يوسف فيما يفعل به فقالوا ذلك . والظاهر أن ﴿أَطْرَحُوهُ﴾ هو من قوله أن يفعلوا به أحد الأمرين." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : هو من قول إخوة يوسف العلية السلام . وهو قول كثير من المفسرين □ ، و اختاره أبو حيان.

قال الطبرى : يقول جل ثناوه : قال إخوة يوسف بعضهم لبعض : اقتلوا يوسف العلية السلام أو اطرحوه في أرض من الأرض.

وقال ابن عطية : و قوله: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ الآية، كانت هذه مقالة بعضهم . أو ﴿أَطْرَحُوهُ﴾ معناه: أبعدوه.

وقال الرازى: واعلم أنه لما قوي الحسد وبلغ النهاية قالوا لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه : وذلك لا يحصل إلا بأحد طريقين : القتل أو التغريب إلى

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٠٨) (٢٨٤/٥).

٢ - الطبرى (١٢/٥٣)، ابن عطية (٣/٢٢١)، الرازى (٨/٤٢٥)، القرطبي (٩/١٢٩)، البيضاوى (٣/٢٧٥)، النسفي (٢/٣٠٥)، الخازن آية ٩، ابن كثير (٤/٣١٨٩)، ابن عادل (١١/٢٠)، أبي السعود (٤/٢٥٠)، الشوكانى (٣/٧)، الألوسى (٢١/٤٩١).

أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه ولا وجه في الشر يبلغه الحاسد أعظم من ذلك، ثم ذكروا العلة فيه وهي قولهم : ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَيْكُمْ﴾ والمعنى أن يوسف عليه السلام شغله عنا وصرف وجهه إليه فإذا أفقده أقبل علينا بالميل والمحبة.

وقال القرطبي : "في الكلام حذف؛ أي قال قائل منهم : ﴿أَقْتُلُوْنَا يُوسُفَ﴾ ليكون أحسم لادة الأمر."

القول الثاني : هو من قول قوم استشارهم أخوة يوسف عليه السلام فيما يفعل به فقالوا ذلك. ذكره الرازي و أبو حيان .

قال الرازي : "واختلفوا في أن هذا القائل الذي أمر بالقتل من كان؟ على قولين: أحدهما: أن بعض إخوته قال هذا. والثاني: أنهم شاوروا أجنبياً فأشار عليهم بقتله، ولم يقل ذلك أحد من إخوته".

وقال أبو حيان : "وقيل: هو من قول قوم استشارهم أخوة يوسف فيما يفعل به فقالوا ذلك."

نلاحظ مما سبق إيراده ما نهي :

- أما القول إنه من قول إخوة يوسف عليه السلام. فهو الظاهر من دلالة اللفظ.
- وأما القول إنه من قول قوم استشارهم أخوة يوسف عليه السلام فيما يفعل به فقالوا ذلك. فهو بعيد بدلالة إقدامهم على ما فعلوه بسرية تامة وحيلة منهم فيستبعد استشارتهم لآخرين.

الترجيح:

يترجح القول الأول أن القائلين هم إخوة يوسف عليه السلام، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.



٢. لموافقتها قاعدة الترجيح وهي: [كل تفسير ليس مأخوذا من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله.][□]

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٣٩٤/٢).

المسألة الثانية

ما المراد بالصلاح في قوله ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَلِّحِينَ﴾؟
 قال أبو حيان: "صلاحهم إما صلاح حالمهم عند أبيهم وهو قول مقاتل،
 أو صلاحهم بالتوبة والتنصل من هذا الفعل وهذا أظهر، وهو قول الجمهور
 منهم الكليبي." (□)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد صلاح حالمهم عند أبيهم؛ وهو قول مقاتل، وذكر جماعة من
 المفسرين. (□)

قال السمرقندى: يعني: تصلاح أحوالكم عند أبيكم، بعد ذهاب يوسف.

قال الماوردي: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَلِّحِينَ﴾ فيه
 وجهان: ...

ويحتمل ثالثاً: أنهم أرادوا صلاح الأحوال بتسوية أبيهم بينهم من غير أثره ولا
 تفضيل.

وقال البغوي: وقال مقاتل: يُصلِحُ أمركم فيما بينكم وبين أبيكم.

القول الثاني: المراد صلاحهم بالتوبة والتنصل من هذا الفعل ، وهو قول أكثر
 المفسرين، (□) واختاره أبو حيان.

١ - البحر الحيط (ح ٥ / ل ٢٠٨) (٢٨٤ / ٥).

٢ - السمرقندى (٢/١٨٤)، الماوردي والبغوي آية ٩، الزمخشري (٢/٣٠٤)، ابن الجوزي (٤/١٤١)،

النسفي (٢/٣٠٥)، الخازن آية ٩، أبو السعود (٤/٢٥٠)، الشوكاني (٣/٧)، الألوسي (٢١/٤٩١).

٣ - الطبرى (١٢/٩٣)، السمرقندى (٢/١٨٤)، الماوردي والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٩،

الزمخشري (٢/٣٠٤)، ابن عطية (٣/٢٢١)، ابن الجوزي (٤/١٤١)، الرazi (١٨/٤٢٥)، القرطبي

= النسفي (٢/٣٠٥)، الخازن آية ٩، ابن كثير (٤/٣١٨)، ابن عادل (١١/٢٠)، أبو السعود

قال الطبرى: "﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَلِحِينَ﴾" يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسف وذنبهم الذي يركبونه فيه، فيكونون بتوبتهم من قتلهم من بعد هلاك يوسف قوماً صالحين.

وقال السمرقندى: ويقال: وتكونوا من بعد هلاكه قوماً تائبين إلى الله تعالى.

قال الماوردى: أنهم أرادوا صلاح الدين بالتوبة، قاله السدي.

القول الثالث: المراد صلاح أمور دنياهם. وقد ذكره بعض المفسرين. (□)

قال الماوردى: أنهم أرادوا صلاح الدنيا لا صلاح الدين.

وقال الزمخشري: "﴿قَوْمًا صَلِحِينَ﴾" تصلاح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجهه أبيكم.

وقال البيضاوى: صالحين في أمر دنياكم فإنه يتنظم لكم بعده بخلو وجهه أبيكم.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلى:

- أما القول المراد صلاح حا لهم عند أبيهم فهو محتمل لأنهم ما فعلوه بابعاد يوسف عن أبيه إلا لأجل أن تصلاح أحواهم.
- وأما القول المراد صلاحهم بالتوبة والتنصل من هذا الفعل ، فهو وارد لأن ما فعلوه ذنب شنيع .
- وأما القول المراد صلاح أمور دنياهم فهو محتمل ويندرج في القول الأول.

الترجيح:

ما ذكره المفسرون من المعانى محتمله ولكن يترجح القول الثاني وهو

= ٤/٢٥٠، الشوكاني (٣/٧)، الألوسي (١١/٤٩١).

١- الماوردى آية ٩، الزمخشري (٢/٣٠٤)، البيضاوى (٣/٢٧٥)، الشوكاني (٣/٧).

صلاح حالم بالتوبة وذلك:

١. لأنه هو المبادر إلى الذهن عند أقدام الإنسان على فعل الذنب.
٢. أن من طرق الشيطان في غواية العباد تسوييف التوبة لتسهيل فعل المعصية

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَيْهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجِبْرِيلِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئُهُمْ بِإِمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].
في الآية مسألة واحدة وهي:
علام يعود الضمير في قوله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾؟

قال أبو حيان: "والظاهر إن الضمير في ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ عائد على يوسف العلية... ويدل على أن الضمير عائد على يوسف قوله لهم قال : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذأنتم جاهلون . وقيل: الضمير في إليه عائد على يعقوب العلية، وإنما أوحى إليه ليأنس في الظلمة من الوحدة، ولبيشر بما يؤول إليه أمره، ومعناه : للتخلص مما أنت فيه، ولتحذن إخوتك بما فعلوا بك" □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إن الضمير عائد على يوسف العلية. وهو قول كثير من المفسرين □، واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئُهُمْ بِإِمْرِهِمْ﴾ يقول: وأوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك بأمرهم هذا يقول: بفعلهم هذا الذي فعلوه بك. ﴿وَهُمْ

١ - البحر الحيط (٤٥/٢١٠) (٢٨٨/٥).

٢ - الطبرى (١٢/٩٥)، الواحدى (٢/٦٣)، البغوى آية ١٥، الزمخشري (٢/٣٦)، ابن عطية (٣/٢٢٣)، ابن الجوزى (٤/١٤٥)، الرازى (١٨/٤٢٨)، القرطبي (٩/١٤١)، البيضاوى (٣/٢٧٥)، النسفى (٢/٣٠٧)، الخازن آية ١٥، ابن كثير (٤/٤)، ابن عادل (١١/٣٥)، البقاعى (٤/١٥)، السيوطي في الدر المنثور (٢/٥١٠)، عن مجاهد، الشربى (٢/٦١)، أبي السعود (٤/٢٥٠)، الشوكانى (٣/٩)، الألوسى (٢١/٣٠٢).

"لَا يَشْعُرُونَ" يقول: وهم لا يعلمون ولا يدركون".

وقالواحدى: "أوحى الله إلى يوسف عليه تقوية لقلبه في البئر".

وقال البعوى: "أوحينا إلى يوسف عليه لتصدقن رؤياك ولتخبرن إخوتك

بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بوحى الله وإعلامه إياه ذلك قاله مجاهد".

القول الثاني: إن الضمير عائد على يعقوب عليه ذكره بعض المفسرين ^(□). مع ردهم له .

قال ابن عطية: "والضمير في «إِلَيْهِ» عائد إلى يوسف عليه. وقيل: على يعقوب عليه، والأول أصح وأكثر".

وقال القرطبي: "وقيل: (الهاء) ليعقوب عليه؛ أوحى الله تعالى إليه ما فعلوه بيوسف عليه، وأنه سيعرفهم بأمره، وهم لا يشعرون بما أوحى الله إليه، والله أعلم".

وقال الألوسي: "وزعم بعضهم أن ضمير «إِلَيْهِ» يعود على يعقوب عليه وليس بشيء كما لا يخفى".

نلاحظ ما سبق بإيراده ما يلي:

- أما القول : إن الضمير عائد على يوسف عليه ، فهو ظاهر.
- وأما القول : إن الضمير عائد على يعقوب عليه. فهو بعيد ، لأنه لو علم بذلك ولاسيما أنه وحي من الله ، لما أصابه ما أصابه من الهم والحزن على فراق ابنه ، ولتدارك الموقف من أوله ، ولو بخ أبنائه على فعلتهم.

الترجح:

يترجح القول بعد الضمير على يوسف عليه ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١ - ابن عطية(٣/٢٢٣)، القرطبي(٩/٤١)، أبو حيان (٥/٢٨٨)، الألوسي(٢١/٣٠٢).

١. لدلالة السياق .
 ٢. لموافقة لقاعدة الترجيح وهي : [توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقيها][□]، والضمائر في الآية تعود إلى يوسف عليه السلام فهو المحدث عنه .
 ٣. لدلالة قوله تعالى ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [يوسف: ٨٩].
- والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٧١٧/٢).

قال تعالى ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَادْكَنَ دُلُوهَ، قَالَ يَبْشِرَى هَذَا غُلْمَانٌ^١ وَأَسْرُوهُ بِضَعَةً وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف: ١٩].

في الآية ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى

هل الوارد واحد أم جماعة؟

قال أبو حيان : "والظاهر أن الوارد واحد . وقال ابن عطية : والوارد هنا يمكن أن يقع على الواحد وعلى جماعة انتهى . وحمل على معنى السيارة في قوله : فأرسلوا ، ولو حمل على اللفظ لكان التركيب فأرسلت واردها."

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: إن الوارد واحد، وهو قول أكثر المفسرين،[□] واختاره أبو حيان.

قال الماوردي : " وهو الذي يرد أمامهم الماء ليستقي لهم . وذكر أصحاب التواريخ أنه مالك بن ذعر بن حجر بن يكه بن خم".

وقال البغوي : " فلما نزلوا أرسلوا رجلاً من أهل مدین يقال له مالك بن ذعر لطلب الماء فذلك قوله عَجَلَ : ﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾ والوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيء الأرشية والدلاء".

وقال الزمخشري: ﴿ فَأَرْسَلُوا ﴾ رجلاً يقال له مالك ابن ذعر الخزاعي، ليطلب لهم الماء. والوارد: الذي يرد الماء ليستقي للقوم.

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ٢١٢) (٢٨٨/٥). وفي المطبوع (لكان التركيب).

٢ - الماوردي والبغوي آية ١٩، الزمخشري (٣٠٨/٢)، الرازي (٤٣٤/١٨)، القرطبي (١٥٢/٩)، البيضاوي (٢٧٨/٣)، النسفي (٣٠٩/٢)، ابن جزي (٢١٢/٢)، الخازن آية ١٩، ابن كثير (٣٢٢/٤)، الجلالين آية ١٩، أبي السعود (٤/٢٥٠)، الشوكاني (١٢/٣)، ابن عاشور (٢٤١/١٢).

القول الثاني : إن الوارد جماعة . وقد ذكر ذلك ابن عطية ^(□) .

قال ابن عطية : " الوارد " هو الذي يأتي الماء ليسقى منه لجماعة ، ويروى أن مدللي الدلو كان يسمى مالك بن ذعر ، والوارد هنا يمكن أن يقع على الواحد وعلى الجماعة ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي :

- أما القول إن الوارد واحد فهو الظاهر .

- وأما القول إن الوارد جماعة ، فيرده دلالة السياق في قوله ﴿ قَالَ يَبُشِّرَى هَذَا غُلَمٌ ﴾ .

الترجح :

يترجح القول إن الوارد واحد ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه ، وذلك :

١. لدلالة السياق .

٢. لأن السيارة تطلق على الجماعة وهم أرسلوا واحداً منهم ليستقي لهم .

قال ابن الجوزي : قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَيَارَةٌ ﴾ أي : قوم يسرون ﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾ قال الأخفش : أنت السيارة وذكر الوارد ، لأن السيارة في المعنى للرجال . ^(□)

والله تعالى أعلم

١ - المحرر الوجيز ص ٩٨٤ ط. دار الأندرس ، وهو ساقط من بعض النسخ .

٢ - زاد المسير (٤/١٤٩).

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿يَبُشِّرَى﴾ ؟

قال أبو حيأن : " قوله ﴿يَا بُشْرَى﴾ هو على سبيل السرور والفرح بيوسف الصلوة، إذ رأى أحسن ما خلق . وأبعد السدي في زعمه أنّ بشرى اسم رجل، وأضاف البشري إلى نفسه كأنه قال : تعالى فهذا من آوانك . (□)

الدراسة:

في المسألة قوله:

القول الأول: قوله: يا بشرى هو على سبيل السرور والفرح بيوسف الصلوة.

وهو قول أكثر المفسرين. (□) وعزاهم بعضهم إلى قتادة، واختاره أبو حيأن.

قال الطبرى: "عن قتادة (□) يا بشرى هذا غلام قال بشرهم واردهم حين

وجد يوسف الصلوة"

وقال الزمخشري: "نادى البشري، كأنه يقول: تعالى، فهذا من آونتك".

وقال الرازى: "في تفسير النداء وجهان : الأول: قال الزجاج: "معنى النداء

في هذه الأشياء التي لا تحجب تنبية المخاطبين وتوكيد القصة ف إذا قلت : يا

عجباه فكأنك قلت اعجبوا (□). الثاني...: كأنه يقول : يا أيتها البشري هذا

الوقت وقتك، ولو كنت من يخاطب لخوطبت الآن ولأمرت بالحضور.

واعلم أن سبب البشرة هو أنهم وجدوا غلاماً في غاية الحسن وقالوا :

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٢١٢) (٢٨٨ / ٥).

٢ - الطبرى (٩٩ / ١٢)، النحاس (٥٣٣ / ١١)، الماوردي آية ١٩، الزمخشري (٣٠٨ / ٢)، ابن عطية (٣ / ٢٢٨)، ابن الجوزي (٤ / ١٤٩)، الرازى (٤٣٤ / ١٨)، القرطبي (١٥٢ / ٩)، البيضاوى (٣ / ٢٧٨)، النسفي (٣٠٩ / ٢)، ابن كثير (٤ / ٣٢٢)، الحلالين آية ١٩، أبي السعود (٤ / ٢٥٠).

٣ - وسنده قال الطبرى: "حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة".

٤ - تهذيب معاني القرآن (٣ / ٦٨).

نبيعه بثمن عظيم ويصير ذلك سبباً لحصول الغنى".

القول الثاني : إنّ بشرى اسم رجل □ وهو قول السدي . وذكره جماعة من المفسرين.

قال الطبرى : عن السدى □ يا بشرى هذا غلام قال نادى رجلاً من أصحابه يقال له بشرى فقال: يا بشرى هذا غلام.

وقال الماوردي: ﴿ قَالَ يَنْبُشِرَى هَذَا غُلَمٌ ﴾ فيه قوله:

الثاني: أنه نادى أحدهم ، كان اسمه بشرى فناداه باسمه يعلمه بالغلام ، قاله السدي .

وقال ابن الجوزي: وذكر السدي أنه نادى بذلك أحدهم وكان اسمه بشرى.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن قوله: يا بشارى هو على سبيل السرور والفرح بيوسف

العليل^١.

هو أقرب إلى ظاهر الآية وهو المبادر إلى فهمه عند سماع الآية.

- وأما القول إنّ بشرى اسم رجل ، فهو بعيد، لأنّه لم يأت في القرآن تسمية أحد إلا يسيراً، ولأمر في غاية الأهمية.

الترجيح:

يترجح إن قوله: يا بشارى هو على سبيل السرور والفرح بيوسف العليل^٢.
وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة المعنى في السياق.

١ - الطبرى (٩٩/١٢)، الماوردي آية ١٩، ابن الجوزي (٤/١٤٩)، الرازى (١٨/٤٣٤)، القرطبي (٩/١٥٢)، البيضاوى (٣/٢٧٨)، النسفي (٢/٣٩)، ابن كثير (٤/٣٢٢)، الجلالين آية ١٩، أبي السعود (٤/٢٥٠).

٢ - وسنده قال الطبرى: حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدي.

قال النحاس: وهذا القول الصحيح - أي القول الأول - والمعنى في نداء البشري: التنبه لمن حضر؛ وهو أوكد من قولك تبشرت.

وقال القرطبي : قال النحاس : قول قتادة أولى؛ لأنَّه لم يأت في القرآن تسمية أحد إلا يسيراً؛ وإنما يأتي بالكتنائية كما قال ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدِيهِ يَكُوْلُ يَلَيْتَنِي أَخْرَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيِّلَا ٢٧﴾ [الفرقان: ٢٧] وهو عقبة بن أبي معيط، وبعده ﴿ يَوْلَقَ لَيْتَنِي لَمْ أَخْرَذْ فُلَانًا خَلِيلًا ٢٨﴾ [الفرقان: ٢٨] وهو أمية بن خلف.

٢. ملحوظته قاعدة الترجيح وهي : [كل تفسير ليس مأخذوا من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله]. □

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٣٤٩/٢).

المسألة الثالثة

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَعَةً﴾؟

قال أبو حيان: "وأسروه". الظاهر أنّ الضمير للسيارة التي الوارد منهم أي : أخفوه من الرفقة، أو كتموا أمره من وجدهم له في الجب وقالوا : دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر. وقال ابن عباس: الضمير في وأسروه وشروعه لإخوة يوسف عليهما السلام، وأنهم قالوا للرفقة : هذا غلام قد أبقى لنا فاشتروه منا، وسكت يوسف عليهما السلام مخافة أن يقتلوه، وذلك أنه روى أن بعضهم رجع إلى الجب ليتحققوا أمر يوسف عليهما السلام ويقفوا على الحقيقة من فقده، فلما علموا أن الوارد قد أخذوه، جاءوهم وقالوا تلك المقالة. (□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إنّ الضمير يعود للسيارة التي الوارد منهم ، قاله مجاهد، وهو قول أكثر المفسرين. (□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : "وأما قوله وأسروه بضاعة فإنّ أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم وأسره الوارد المستقي وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا لهم هو بضاعة استضعنها بعض أهل مصر لأنّهم خافوا إن علموا أنّهم اشتروه بما اشتروه به أن يطلبوا منهم فيه الشركة .. عن مجاهد (□)"

١ - البحر المحيط (٤٥/٢١٢). (٢٨٨/٥).

٢ - الطبرى (٩٩/١٢)، النحاس (١١/٥٣٣)، السمر قندي (٢/١٨٤)، الماوردي آية ١٩، الزمخشري (٢/٣٠٨)، ابن عطية (٣/٢٢٨)، ابن الجوزي (٤/١٤٩)، الرازى (١٨/٤٣٤)، القرطبي (٤/٣٢٢)، البيضاوى (٣/٢٧٨)، النسفي (٢/٣٠٩)، ابن كثير (٤/٢٧٨)، الجلالين آية ١٩، أبي السعود (٤/٢٥٠).

٣ - وسنده : حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجح عن مجاهد."

﴿وَأَسْرُوهُ بِضَعَةً﴾ قال صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنما استبضعناه خيفة أن يشركوه فيه إن عدوا بثمنه وتبعهم إخوته يقولون للمدلي وأصحابه : استوثق منه لا يأبقي حتى وقفوه بمصر فقال من يتبعني ويبشر فاشتراء الملك والملك مسلم .^١

وقال السمرقndi : قال : ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَعَةً﴾ يعني : التجار بعضهم من بعض ، وقال بعضهم البعض : اكتموه من أصحابكم لكيلا يسألوكم فيه شركة ، فإن قالوا لكم ما هذا الغلام؟ قولوا : استبضعننا بعض أهل الماء ، لنبيعه لهم بمصر .
وقال البعوي : قال مجاهد : أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين معهم وقالوا هو بضاعة استبضعنها بعض أهل الماء إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه المشاركة .^٢

القول الثاني : إن الضمير يعود إلى إخوة يوسف عليهما السلام وهو منسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما . ذكره جماعة من المفسرين .^(□)

قال الطبرى : وقال آخرون إنما عنى بقوله وأسروه بضاعة إخوة يوسف عليهما السلام أنهم أسرموا شأن يوسف عليهما السلام أن يكون أخاهم قالوا هو عبد لنا ذكر من قال ذلك .

عن ابن عباس^(□) قوله وأسروه بضاعة يعني إخوة يوسف عليهما السلام أسرموا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم فكتم يوسف عليهما السلام مخافة أن تقتله إخوته واختار البيع فذكره إخوته لوارد القوم فنادى أصحابه قال : يا بشرى هذا غلام يباع فباعه إخوته .

١ - الطبرى (٩٩/١٢)، الزمخشري (٣٠٨/٢)، ابن الجوزي (٤/١٤٩)، الرازى (٤٣٤/١٨)، القرطبي (٩/١٥٢)، البيضاوى (٣٧٨/٣)، النسفي (٣٠٩/٢)، ابن كثير (٤/٣٢٢)، أبي السعود (٤/٢٥٠).

٢ - وسنده : حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس .

وقال الزمخشري : " وعن ابن عباس أنّ الضمير لإخوة يوسف ﷺ، وأنهم قالوا للرّفقة هذا غلام لنا قد أبقي فاشتروه منا، وسكت يوسف ﷺ خافةً أن يقتلوه".

وقال ابن الجوزي: "أنهم إخوته، أسرروا أمره، وباعوه، وقالوا : هو بضاعة لنا، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس".

القول الثالث: إن الضمير يعود على الذين شروه ، ذكره الماوردي.

قال الماوردي: "﴿وَأَسْرُوهُ بِضَعَةً﴾ فيه ثلاثة أوجه:
الثالث: أن الذين شروه أسرّوا بيعه على الملك حتى لا يعلم به أصحابهم
وذكروا أنه بضاعة لهم."

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول إنّ الضمير يعود لسيارة التي الوارد منهم
- وأما القول إن الضمير يعود إلى إخوة يوسف ﷺ فهو مترب على القول الأول فهو تبع له في القصة.
- وأما القول إن الضمير يعود على الذين شروه، فهو بعيد جداً عن المراد

الترجح:

يترجح ما سبق القول إنّ الضمير يعود لسيارة التي الوارد منهم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:
١. لدلالة السياق؛ وترتبط الأحداث في القصة.

قال الواحدى: "﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةً﴾ رفقه تسير للسفر ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ وهو الذي يرد الماء ليستقي للقوم ﴿فَأَدْلَنَ دَلْوَهُ﴾ أرسلها في البئر ، فتشبت يوسف ﷺ بالرّشاء فأخرجه الوارد، فلما رأه ﴿قَالَ يَنْبُشِرَى﴾ أي: يا فرحتنا ﴿هَذَا غُلْمَانٌ وَأَسْرُوهُ بِضَعَةً﴾ أسره الوارد ومن كان معه من التجار من غيرهم ، وقالوا: هذه بضاعة

استبعضها بعض أهل الماء ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بيوفس الكتاب، فلما علم إخوته ذلك أتواه ، وقالوا: هذا عبدٌ آبقٌ منا ، فقالوا لهم: فيبعوناه، فباعوه

منهم، وذلك قوله: ﴿وَشَرَوْهُ شَمَنْ بَخْسٍ﴾.^(□)

٢. ولما وافقته قاعدة الترجيح وهي: [القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجع

على ما خالفه]^(□).

والله تعالى أعلم

١ - الوجيز (٥٤٢/١).

٢ - قواعد الترجيح (٢٩٩/١).

قال تعالى ﴿ وَشَرَوْهُ شَمَنٍ بَخْسِ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ ﴾

[يوسف: ٢٠].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر إن الضمير في ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ عائد على السيارة، أي : وباعوا يوسف الصليل. ومن قال: إن الضمير في وأسروه عائد على إخوة يوسف الصليل جعله عائداً عليهم أي : باعوا أخاهم يوسف الصليل بثمن بخس وذلك أن الذين باعوه إن كانوا الواردة فإنهم لم يعطوا به ثمناً، مما أخذوا فيه ربح كله وإن كانوا إخوته، فالمقصود خلو وجه أيهم منه لا ثمنه." (□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

(□) القول الأول: إن الضمير يعود على السيارة وهو قول بعض المفسرين واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري: "﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ وباعوه ﴿ شَمَنٍ بَخْسِ ﴾ مبخوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً، أو زيف ناقص العيار ﴿ دَرَاهِمَ ﴾ لا دنانير ﴿ مَعْدُودَةٍ ﴾ قليلة تعدّ عدّاً ولا توزن ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ ﴾ من يرغب بما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بم باعه، ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٢١٣) (٢٩٢ / ٥).

٢ - الزمخشري (٣٠٨ / ٢)، النسفي (٣٠٩ / ٢)، أبي السعود (٤ / ٢٥٠)، ابن عادل (١١ / ٤٦)، الشوكاني (٣ / ١٢).

مساوم بأوكس الشمن. ويحوز أن يكون معنى ﴿وَشَرَوْهُ﴾ واشتروه، يعني الرفقة من إخوته.

وقال النسفي : "معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من إخوته وكانوا فيه من الزاهدين أي غير راغبين لأنهم اعتقدوا أنه آبق ويروى أن إخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لا يأبقي".

وقال أبو السعود : "﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي باعوه والضمير للوارد وأصحابه".
القول الثاني : إن الضمير يعود على إخوة يوسف . وهو قول بعض المفسرين (□)

قال الطبرى : القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ شَمَّ بَخْسِ دَرَّهُمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وشروه به وباع إخوة يوسف يوسف عليه السلام".

وقال الرازى : والمراد من قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي باعوه يقال: شريت الشيء إذا بعته، وإنما وجب حمل هذا الشراء على البيع، لأن الضمير في قوله : ﴿وَشَرَوْهُ﴾ وفي قوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ﴾ عائد إلى شيء واحد لكن الضمير في قوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ﴾ عائد إلى الإخوة فكذا في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ يجب أن يكون عائداً إلى الإخوة، وإذا كان كذلك فهم باعوه فوجب حمل هذا الشراء على البيع.

وقال القرطبي: أي نقص؛ وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم؛ أي باعوه بشمن مبخوس، أي منقوص . ولم يكن قصد إخوته ما يستفيدونه من ثمنه،

١ - الطبرى (٩٩/١٢)، الرازى (٤٣٤/١٨)، القرطبي (١٥٤/٩)، الألوسي (٧١٢/٢١)، وذكر جملة من المفسرين كلا القولين.

وإنما كان قصدهم ما يستفيدونه من خلو وجه أبיהם عنه.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

الترجيح:

يترجح عود الضمير في قوله ﴿وَشَرُوهُ﴾ على السيارة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك على معنيين :

١. على معنى باعوه بثمن بخس لأنهم التقظوا فلا يبالون بثمنه لهوانه

عندهم

٢. على معنى اشتروه من إخوته بثمن بخس لأن مراد إخوته التخلص منه

وليس الربح.

ولموافقة قاعدة [توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من فريقها][□].

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٦١٣/٢).

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله تعالى ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ﴾ ؟
 قال أبو حيان : "والظاهر عود الضمير في فيه إلى يوسف العليل أي: لم يعلموا
 مكانه من الله تعالى." □

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: إن الضمير يعود على يوسف العليل; وهو قول أكثر المفسرين □؛
 واختاره أبو حيان.

قال الطبرى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكان إخوة
 يوسف في يوسف العليل من الزاهدين، لا يعلمون كرامته عند الله، ولا يعرفون
 منزلته عنده، فهم مع ذلك يحجبون أن يحولوا بينه وبين والده ليخف لهم وجهه
 منه، ويقطعوه عن القرب منه لتكون الم نافع التي كانت مصروفة إلى يوسف
العليل دونهم مصروفة إليهم.

وقال البغوى: ﴿وَكَانُوا﴾ يعني: إخوة يوسف ﴿فِيهِ﴾ أي: في يوسف العليل
 ﴿مِنَ الْزَّاهِدِينَ﴾ لأنهم لم يعلموا منزلته عند الله.
وقال الرازى: والضمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾ يحتمل أن يكون عائد إلى يوسف
العليل.

القول الثاني: إن الضمير يعود على الثمن. وذكره بعض المفسرين □ .

١ - البحر المحيط (ح ٥/٥ ل ٢١٣) (٢٩٢/٥).

٢ - الطبرى (٩٩/١٢)، البغوى آية ٢٠، الرازى (٤٣٤/١٨)، القرطبي (١٥٤/٩)، البيضاوى (٢٧٩/٣)، النسفي (٣٠٩/٢)، أبي السعود (٤/٤)، الألوسي (٧١٢/٢١).

٣ - ابن الجوزي (٤/١٥٠)، الرازى (١٨/٤٣٤)، الألوسي (٧١٢/٢١).

قال ابن الجوزي: "قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ﴾ الزهد: قلة الرغبة في شيء.....(و)في هاء فيه قوله...والثاني: أنها ترجع إلى الثمن.
وقال الرازى: ويحتمل أن يكون عائداً إلى الثمن البخس والله أعلم.
وقال الألوسى: وقيل: ضمير ﴿فِيهِ﴾ للثمن وزهدهم فيه لرداة له أو لأن مقصودهم ليس إلا إبعاد يوسف عليه السلام.
نلاحظ ما سبق بيانه ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على يوسف عليه السلام; فهو الظاهر.
- وأما القول إن الضمير يعود على الثمن، فهو بعيد لأنهم لم ينحطروا لبيه وإنما همهم التخلص بأي طريقة.

الرجح:

يترجح القول إن الضمير يعود على يوسف عليه السلام, وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة الظاهر.

٢. لأن مقصد إخوته التخلص منه وليس الربح فهو على كل حال ليس ذات أهمية عندهم .

٣. ولأن أحداث القصة تدور على يوسف عليه السلام وكيفية التخلص منه.
والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي أَشْرَكْنَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَاتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَتِهِ عَسَقَ أَنْ يَنْفَعُنَا أَوْ نَنْجِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْعِلَمْهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَذِكْنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٦١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿ وَاللَّهُ عَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والضمير في على أمره الظاهر عوده على الله قاله ابن جبير، لا يمنع عما يشاء ولا ينazuع فيما يريد، ويقضي. أو على يوسف السقلاوة قاله الطبرى (□)، أي: يديبه ولا يكله إلى غيره . قد أراد أخوته به ما أرادوا، ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره." (□)

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: إن الضمير يعود على الله تعالى، وهو قول بعض المفسرين . (□) واختاره أبو حيان.

قال الواعدي: ﴿ وَاللَّهُ عَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ على ما أراد من قضايه ، لا يغلبه غالب على أمره ، ولا يُبطل إراداته منازع ."

وقال ابن كثير: ﴿ وَاللَّهُ عَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ أي إذا أراد شيئاً فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف ، بل هو الغالب لما سواه . قال سعيد بن جبير في قوله: ﴿ وَاللَّهُ عَالِبٌ

١ - جامع البيان (١٢/٤٠).

٢ - البحر المحيط (٥/٥، ٢١٤/٥) (٥٣٩).

٣ - الواعدي في الوجيز (١/١٤٥)، ابن كثير (٤/٣٢٤)، الجلالين آية ٢١، الشوكاني (٣/١٢)، الألوسي (٢١/٩١٢)، ابن عاشور (١٢/٤٥).

"عَلَيْهِ أَمْرٌ" : أي فعال لما يشاء.

وقال الجلالان: "وَاللهُ عَالِبٌ عَلَيْهِ أَمْرٌ" تعالى لا يعجزه شيء.

القول الثاني : إن الضمير يعود على يوسف الصليل؛ وهو قول جماعة من المفسرين. □

قال الطبرى : قوله: "وَاللهُ عَالِبٌ عَلَيْهِ أَمْرٌ" يقول تعالى ذكره : والله مستول على أمر يوسف الصليل يسوسه ويدبره ويحوطه. واهاء في قوله: على "أَمْرٌ عَائِدٌ على يوسف الصليل".

وقال الماوردي : غالب على أمر يوسف الصليل حتى يبلغ فيه ما أراده له ، قاله مقاتل.

وقال البغوى: وقيل: هي راجعة إلى يوسف الصليل معناه: إن الله مستول على أمر يوسف الصليل بالتدبير والحياطة لا يكمله إلى أحد حتى يبلغه منتهى علمه فيه.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير يعود على الله تعالى فهو الظاهر.
- وأما القول إن الضمير يعود على يوسف الصليل فيندرج في القول الأول ضمنا.

الرجح:

يترجح القول إن الضمير يعود على لفظ الجلالة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١ - الطبرى (١٢/١٠٦)، الماوردي والبغوى آيه ٢١، الزمخشري (٢/٣٠٨)، ابن عطية (٣/٢٣٠)، ابن الجوزي (٤/١٥٢)، الرازى (١٨/٣٦)، القرطبي (٩/١٥٧)، البيضاوى (٣/٢٨٠)، النسفي (٢/٢١٠)، ابن جزى (٢/٢١٣)، الخازن آيه ٢١.

١. لدلالة العموم.

٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهي : [حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى].

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١٧٢/١).

قال تعالى ﴿ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّ أَحْسَنَ مَثَوَىٰ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونُ ﴾ [يوسف: ٢٣].

في الآية مسألة واحدة وهي:

علام يعود الضمير في قوله ﴿ إِنَّهُ رَبِّ أَحْسَنَ ﴾ ؟

قال أبو حيان: "والضمير في إنه الأصح إنه يعود على الله تعالى أي: إن الله ربى أحسن مثواي إذ نجاني من الجب، وأقامني في أحسن مقام . وإنما أن يكون ضمير الشأن وعني بربه سيد العزيز فلا يصلح لي أن أخونه، وقد أكرمني أكرم مثواي واتئمني قاله : مجاهد، والسدوي، وابن إسحاق ^(□) . ويبعد جداً، إذ لا يطلقنبي كريم على مخلوق أنه ربه، ولا بمعنى السيد، لأنه لم يكن في الحقيقة مملوكاً له." ^(□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

^(□). القول الأول: إن الضمير يعود على الله تعالى، ذكره بعض المفسرين واختاره أبو حيان.

قال البغوي ^{":} وقيل: الهاء راجعة إلى الله تعالى يريد : إن الله تعالى ربّي أحسن مثواي أي: آوانني ومن بلاء الجب عافاني.

وقال ابن الجوزي ^{":} ويجوز أن يكون (إِنَّهُ رَبِّي) يعني الله ربّك (أَحْسَنَ مَثَوَىٰ) أي: تولاني في طول مقامي.

١ - انظر جامع البيان (١٠٦/١٢).

٢ - البحر المحيط (ح/٥، ل/٥، ٢١٥) (٢٩٤/٥).

٣ - البغوي آية ٢٣، ابن الجوزي (٤/١٥٥)، البيضاوي (٣/٢٨١)، ابن عاشور (١٢/٢٤٩).

وقال البيضاوي: وقيل الضمير لله تعالى أي إنه خالقى أحسن منزلتى بـأـن عـطـفـ عـلـىـ قـلـبـهـ فـلـاـ أـعـصـيـهـ.

القول الثاني : إن الضمير يعود على سيده العزيز، وهو قول أكثر المفسرين (□).

قال الطبرى: قوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّ أَحْسَنَ مَثَوَىً﴾ يقول: إن صاحبك وزوجك سيدى.

وقال الواحدى: ﴿إِنَّهُ رَبِّ﴾ إن الذى اشتراهى هو سيدى.

وقال البغوى: ﴿إِنَّهُ رَبِّ﴾ ي يريد أن زوجك قطفيز سيدى ﴿أَحْسَنَ مَثَوَىً﴾ أي: أكرم منزلى. هذا قول أكثر المفسرين.

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلى:

- أما القول إن الضمير يعود على الله تعالى فيه نظر من حيث دلالة المعنى.

- وأما القول إن الضمير يعود على سيده العزيز فهو الظاهر من السياق.

الرجح:

يترجح القول إن الضمير يعود على العزيز وذلك:

1. لدلالة السياق، فما سبق من الآيات وهو قوله تعالى ﴿وَقَالَ اللَّهُ أَشْرَكَهُ مِنْ مَقْصَرٍ لِأَمْرَأِتِهِ أَكْرَمِي مَثْوِيهِ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْخَذَهُ وَلَدَّا وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنُعْلَمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَالِمٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

1 - الطبرى (١٠٦/١٢)، البغوى آية ٢٣، الزمخشري (٣٠٨/٢)، ابن عطية (٢٣٢/٣)، ابن الجوزى (٤/١٥٥)، الرازى (٤٣٩/١٨)، القرطبي (١٦٢/٩)، البيضاوى (٣١١/٣)، النسفي (٣/٢٨١)، الحازن آية ٢٣، ابن كثير (٤/٣٢٥)، الجلالين آية ٢٣، الشوكانى (٣/١٦).

أَنَّا إِلَيْنَا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ [يوسف: ٢١]، يقوى هذا القول في يوسف عليه السلام أراد أن يذكرها بقول العزيز لها لما اشتراه وهو أن تكرم مثواه لأنه في مقام الولد بالنسبة لها.

٢. دلالة الحال في يوسف عليه السلام ربا بحكم أنه اشتراه فهو سيده.

قال الألوسي: وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ رَبِّ الْأَحْسَنِ مَثَوَّاً﴾ تعليل بعض الأسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثراً عندها وداعياً لها إلى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي التي لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها، والضمير للشأن، وفي تصدير الجملة به من الإيذان بفخامة مضمونها ما فيه مع زيادة تقريره في الذهن أي إن الشأن الخطير هذا أي هو ربى أي سيدى العزيز أحسن تعهدى حيث أمرك بإكرامي على أكمل وجه فكيف يمكن أن أسىء إليه بالخيانة في حرمه؟ وفيه إرشاد لها إلى رع اية حق العزيز بالطف وجه، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد. والسدي. وابن إسحاق، وتعقب بأن فيه إطلاق الرب على غيره تعالى فإن أريد به الرب يعني الخالق فهو باطل لأنه لا يمكن أن يطلقنبي كريم على مخلوق ذلك، وإذا أريد به السيد فهو عليه السلام في الحقيقة ملوك له، وإن كان فيما ذكر نظر ظاهر - اختار في (البحر) أن الضمير لله تعالى.

والله تعالى أعلم

١ - روح المعاني (٣٢٢/٢١).

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَعَاهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الْمُسَوَّءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا ﴾؟

قال أبو حيان : " ولقد همت به وهم بها لو لا أن رأى برهان ربه طول المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ﷺ ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق . والذي اختاره أن يوسف ﷺ لم يقع منه همٌ بها البة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول : لقد قارت لولا أن عصاك الله..... وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب، ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة، وبراءة يوسف ﷺ من كل ما يشين ."

الدراسة:

في المسألة سبعة أقوال:

القول الأول : إنه هم بمواقعها وعزم عليه. قال ابن عباس: وحل الهميان (□) وجلس بين رجليها مجلس الرجل من المرأة، وهو قول جمهور المفسرين (□).
قال الطبرى : فأما ما كان من هم يوسف ﷺ بل المرأة وهمها به، فإن أهل العلم قالوا في ذلك ما أنا ذاكره - وذكر روایات عن ابن عباس ومجاہد

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢١٥) (٢٩٥/٥).

٢ - شداد السراويل انظر لسان العرب (٦/٤٧٠).

٣ - الطبرى (١٠٨/١٢)، الزجاج (٣/٧٠)، تهذيب معاني القرآن، ابن أبي حاتم (٧/٢١٢٢).
 الواحدى في الوسيط (٢/٦٠٨)، البغوى آية ٢٤، القرطبي (٩/١٦٢)، والجلالين آية ٢٤، وذكره كثير من المفسرين لمجرد ذكر القول ورد بعضهم .

وسعید بن جبیر وعکرمة ؛ ثم قال - "فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ يُحُوزُ أَنْ يُوصَفُ
يُوسُفُ السَّلَطَانُ بِمِثْلِ هَذَا وَهُوَ لِلَّهِ نَبِيٌّ ؟ قَيْلٌ : إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ : كَانَ مِنْ أَبْتَلِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِخُطْبَيْهِ ، فَإِنَّمَا ابْتِلَاهُ اللَّهُ بِهَا لِيَكُونَ مِنَ اللَّهِ
بِعَجَلٍ عَلَى وَجَلٍ إِذَا ذَكَرَهَا ، فَيَجِدُ فِي طَاعَتِهِ إِشْفَاقًاً مِنْهَا ، وَلَا يَتَكَلَّ عَلَى سُعَةِ
عَفْوِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ لِيُعْرِفُهُمْ مَوْضِعَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ ،
بَصْفَهُ عَنْهُمْ وَتَرَكَهُ عَقْوَبَتِهِ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ .
وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ ابْتَلَاهُمْ بِذَلِكَ لِيُجَعِّلُهُمْ أَئْمَةً لِأَهْلِ الذُّنُوبِ فِي رَجَاءِ
رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَتَرَكَ الإِيَّاسَ مِنْ عَفْوِهِ عَنْهِ إِذَا تَابُوا .
وَأَمَّا آخَرُونَ مِنْ خَالِفِ أَقْوَالِ السَّلْفِ وَتَأْوِلِهِمُ الْقُرْآنَ بِآرَائِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ
قَالُوا فِي ذَلِكَ أَقْوَالًا مُخْتَلِفَةٌ ..."

وقال الزجاج : "وَالَّذِي عَلَيْهِ الْمُفَسَّرُونَ أَنَّهُ هُمْ بِهَا وَأَنَّهُ جَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسٌ
الرَّجُلُ مِنْ امْرَأَتِهِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تُفَضِّلَ بِأَنَّ أَرَاهُ الْبَرَهَانَ أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : ﴿وَمَا
أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالشَّوَءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّهِ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:
٥٣].

وقال الواحدي : "وَأَمَّا هُمْ يُوسُفُ السَّلَطَانُ فَذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَلَةً أَهْلَ التَّفْسِيرِ :
(أَنَّهُ حَلَ الْهَمْيَانَ وَجَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الْخَاتَنِ وَهَذَا قَوْلُ سَعِيدَ بْنَ جَبِيرٍ
وَالضَّحَّاكَ وَالسَّدِيِّ وَمُجَاهِدَ وَابْنَ أَبِي بَزَّةَ وَالْأَعْمَشَ وَالْحَسَنِ هَذَا قَوْلُ
الْمُقْدَمِينَ ."

القول الثاني : إِنَّهُ هَمَتْ بِالْمُعْصِيَةِ وَكَانَتْ مُصْرِّةً ، وَهُمْ يُوسُفُ السَّلَطَانُ وَلَمْ يَوْاْقِعْ
مَا هُمْ بِهِ ؛ فَيَنْ اهْمَتْ فَرْقٌ ؛ فَهُمْ مِنْ حَدِيثِ نَفْسٍ مِنْ غَيْرِ عَزْمٍ . ذَكْرُهُ جَمَاعَةُ

١ - قَوْلُهُ ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي﴾ هُوَ مِنْ قَوْلِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ .

من المفسرين □.

قال الوحدى □ : "...وذكر المتأخرن فرقاً بين الهمين فقال أبو العباس أحمد بن يحيى □ : "همت المرأة بالمعصية مصرة على ذلك ، وهم يوسف العليل بالمعصية ولم يأتها ولم يصر عليها في بين الهمين فرق ؟ وشرحه ابن الأنباري □ همت المرأة عازمة على الزنا ويوسف العليل عارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب وحديث النفس فلم يلزمها هذا الهم ذنباً إذ الرجل الصالح يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد فإذا لم يشرب كان غير مؤاخذ بما هجس في نفسه"

.... والذى نذهب إليه في هذه الآية ما يروى عن الصحابة والتابعين من إثبات الهم ليوسف العليل غير عائين له بل نقول إن انصرافه بعد إثبات الهم ونهيه نفسه عن هواها تعظيمًا لله ومع رفة يحقة أدل على وفور الثواب وتكامل الأجر ؟ والذين أثبتوا الهم ليوسف العليل من علي وابن عباس و وهب وابن سيرين وغيرهم كانوا أعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهم عنه □ ؛ وقد قال الحسن : "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصُصْ عَلَيْكُمْ ذَنُوبَ الْأَنْبِيَاءِ تَعِيرًا لَهُمْ وَلَكُنَّهُ قَصَّهَا عَلَيْكُمْ لَئِلَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِهِ" . وقال أبو عبيد : "يذهب الحسن إلى أن الحجة من الله على أنبيائه أو كد وهي لهم ألزم فإذا كان يقبل التوبة منهم فهي إلى قبولها منكم أسرع".

وقال البغوي □ : "وقال بعض أهل الحقائق : الهم هَمٌّان : هُمْ ثَابٌّ وَهُوَ إِذَا

١ - الوحدى في الوسيط (٦٠٨/٢)، البغوي آية ٤، ابن عطية (٢٣٢/٣)، ابن العربي (٣/٢٤)، القرطي (٩/٦٢)، البيضاوي (٣/٢٨٢)، النسفي (٢/٣١١)، ابن جزي (٢/٢١٤)، الشوكاني (٣/١٦)، الألوسي (٢١/٤٢٢).

٢ - هو ثعلب (٢٩١-٢٠٠ هـ).

٣ - بعض المفسرين جمع بين القولين الأول والثاني فكان هذا من جملة حكاياتهم الجمع بين القولين .

كان معه عزم وعقد ورضى مثل هم امرأة العزيز والعبد مأخوذ به وهم عارضٌ وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام فالعبد غير مؤخذ به مالم يتكلم أو يعمل ... وذكر حديث ... أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: ((قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدي بأنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَإِنَا أَكْتَبْهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْهَا فَإِذَا عَمِلَهَا فَإِنَا أَكْتَبْهَا لَهُ فَإِذَا عَمِلَهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهِ وَإِذَا تَحْدَثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَإِنَا أَغْفِرْهَا لَهُ مالم يَعْمَلْهَا فَإِذَا عَمِلَهَا فَإِنَا أَكْتَبْهَا لَهُ بِمِثْلِهِ)) □

وقال ابن العربي : "... كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادن الذين استخلصناه م . والفحشاء هي الزنا والسوء هو المراودة والمغازلة ، فما ألم بشيء ولا أتي بفاحشة . فإن قيل : فقد قال الله ﷺ ﴿ وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ، وَهَمَ بِهَا ﴾ قلنا : ... وبينما أن الله سبحانه ما أخبر عنه أنه أتى في جانب القصة فعلا بجراحته ، وإنما الذي كان منه الهم ، وهو فعل القلب ، كان بمدينة السلام إماما ... يعرف بابن عطاء تكلم يوماً على يوسف عليه السلام وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب إليه من مكروهه؛ فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة فقال : يا شيخ يا سيدنا فإذاً يوسف عليه السلام هم وما ثم؟ قال : نعم لأن العناية من ثم . فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلم ، وانظر إلى فطنة العامي في سؤاله ، وجواب العالم في اختصاره واستيفائه..."

القول الثالث : إنه هم بها أن يضربها حين راودته عن نفسه ولم يهم بمواعيدها قاله بعض المفسرين □ .

قال الماوردي : "... إنه هم بها أن يضربها حين راودته عن نفسه ولم يهم

١ - صحيح مسلم / كتاب الإيمان / باب إذا هم العبد بحسنة كتبت / حديث رقم (١٢٩).

٢ - الماوردي آية ٢٤ ، ابن الجوزي (١٥٦/٤) ، العز ابن عبد السلام آية ٢٤ ،

"بمواقعها قاله بعض المتأخرین...."

وقال ابن الجوزي : "...إنه هم أن يضربها ويدفعها عن نفسه، فكان البرهان الذي رأه من ربه أن الله أوقع في نفسه إن ضربها كان ضربه إليها حجة عليه، لأنها تقول: راودني فمنعته فضربني، ذكره ابن الأنباري."

وقال ابن عبد السلام : "...﴿وَهُمْ﴾ بضربها...."

القول الرابع : إن في الكلام تقدیماً وتأخیراً، تقدیره: ولقد همت به، ولو لا أن رأى برهان ربه لهم بها، فلما رأى البرهان، لم يقع منه لهم . قاله قطرب □
كمَا ذكره بعض المفسرين. □

قال الماوردي : "إن قوله ولقد همت به كلام تام قد انتهى، ثم ابتدأ الخبر عن يوسف فقال ﴿وَهُمْ يَهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ ومعنى الكلام لو لا أن رأى برهان ربه لهم بها، قاله قطرب ."

قال ابن الجوزي : "...أن في الكلام تقدیماً وتأخیراً، تقدیره: ولقد همت به، ولو لا أن رأى برهان ربه لهم بها، فلما رأى البرهان، لم يقع منه لهم، فقدم جواب «لو لا» عليها، كما يقال : قد كنت من الهاكلين، لو لا أن فلانا خلصك، لكنت من الهاكلين .. وإلى هذا القول ذهب قطرب، وأنكره قوم، منهم ابن الأنباري، وقالوا: تقديم جواب (لو لا) عليها شاذ مستكره، لا يوجد في فصيح كلام العرب..."

وقال القرطبي : "...قال أبو عبيدة: هذا على التقاديم والتأخير؛ كأنه أراد

١ - محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي الشهير بقطرب، نحوی، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة، من الموالي، كان يرى رأی المعتزلة النظامية، توفي سنة ٢٠٦هـ. تاريخ بغداد (٣٩٨/٣)، شذرات الذهب (٢/١٥)، الأعلام (٧/٩٥).

٢ - الماوردي آیة ٢٤، ابن الجوزي (٤/١٥٦)، القرطبي (٩/١٦٢)، العز ابن عبد السلام آیة ٢٤، ابن كثیر (٤/٣٢٦).

ولقد همت به ولو لا أن رأى برهان ربّه لَمْ بها...".

القول الخامس : إنه تمناها أن تكون له زوجة ، ذكره ابن الجوزي وابن ^(□) كثير.

قال ابن الجوزي : أنها همت به أن يفترشها، وهم بها، أي : تمناها أن تكون له زوجة، رواه الضحاك عن ابن عباس.

وقال ابن كثير : "وقيل: تمناها زوجة."

القول السادس : إنه هم بالفرار منها؛ ذكره الثعلبي وابن الجوزي ^(□).

قال الثعلبي : "وقال بعضهم: وهم بالفرار منها، وهذا لا يصح لأنّ الفرار مذكور وليس له في الآية ذكر."

وقال ابن الجوزي : "... أنه هم بالفرار منها، حكاه الثعلبي، وهو قول مرذول، أفتراه أراد الفرار منها، فلما رأى البرهان، أقام عندها؟".

القول السابع : إن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لو لا أن عصمت الله . وهو قول الرazi ^(□) والباقاعي ^(□) ؛ واختاره أبو حيان .

قال الرazi : "... إن يوسف عليه السلام كان بريئاً عن العمل الباطل، والهم المحرم، وهذا قول المحقدين من المفسرين والمتكلمين، وبه نقول وعنده ندب..."

وقال الباقاعي : ﴿ وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ﴾ أي أوقعت الهم ، وهوقصد الثابت والعزم الصادق المتعلق بمواقعه ، ولا مانع لها من دين ولا عقل ولا عجز فاشتد طلبها ﴿ وَهُمْ بِهَا﴾ كما هو شأن الفحول عند توفر الأسباب ﴿ لَوْلَا أَنَّ

١ - ابن الجوزي (٤/١٥٦)، ابن كثير (٤/٣٢٦).

٢ - تفسير الثعلبي آيه ٢٤ ، ابن الجوزي (٤/١٥٦).

٣ - مفاتيح الغيب (٤٤٤/١٨)، تفسير الباقاعي (٤/٢٦).

رَّءَا》 أي بعين قلبه 《بُرْهَنَ رَبِّهِ》 الذي آتاه إياه من الحكم والعلم ، أي لهم بها ، لكنه لما كان البرهان حاضراً لديه حضور من يراه بالعين ، لم يغطه وفور شهوة ولا غلبة هوى ، فلم يهم أصلاً مع كونه في غاية الاستعداد لذلك لما آتاه الله من القوة مع كونه في سن الشباب ، فلو لا المراقبة لهم بها لتتوفر الدواعي غير أن نور الشهود محاها أصلاً ، وهذا التقدير هو اللائق بمثل مقامه مع أنه هو الذي تدل عليه أساليب هذه الآيات من جعله من المخلصين والمحسينين المصروف عنهم السوء".

ما سبق إيراده يتضح ما يلي:

- أما القول الأول : وهو إنه هم بمواععتها وعزم عليه . وإن قال به جمهور المفسرين وعامتهم مستدلين بما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره إلا أنه لا يناسب مقام النبوة والاصطفاء قاعدة الترجيح عند المفسرين وهي : [كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود][□] لعدة أمور :

قال الرازي : " واعلم أن الدلائل الدالة على وجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام كثيرة ... - منها -... أن الزنا من منكرات الكبائر والخيانة في معرض الأمانة أيضاً من منكرات الذنوب، وأيضاً مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضاً من منكرات الذنوب . وأيضاً الصبي إذا تربى في حجر إنسان وبقي مكفي المؤنة مصون العرض من أول صباح إلى زمان شبابه وكما ل قوته فإقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم معظم من منكرات الأعمال . إذا ثبت هذا فنقول : إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات

١ - قواعد الترجيح (٣٢٨/١).

الأربع ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكر منه، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول ﷺ المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة. ثم إنه تعالى قال في غير هذه الواقعة: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ أَسْوَءَ وَأَفَحْشَاءَ﴾ [يوسف: ٢٤] وذلك يدل على أن ماهية السوء والفحشاء مصروفة عنه، ولا شك أن المعصية التي نسبوها إليه أعظم أنواع وأفحش أقسام الفحشاء فكيف يليق برب العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئاً من السوء مع أنه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء و- هب أن هذه الآية لا تدل على نفي هذه المعصية عنه، إلا أنه لا شك أنها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يحيى عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ثم إنه مدحه ويثنى عليه بأعظم المدائح والأثنية عقيب أن حكمى عنده ذلك الذنب العظيم ثم- أن الأنبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة، أو هفوة استعظموها ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع، ولو كان يوسف ﷺ أقدم هنها على هذه الكبيرة المنكرة لكان من الحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكمى الله تعالى عنه إتيانه بها كما في سائر الموضع وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب ولا معصية . . . وكذا- أن كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية".

وقال ابن جزي : أكثر الناس في هذه الآية حتى ألفوا فيها التأليف ، فمنهم مفرط ومفرط، وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف ﷺ من حيث الفعل الذي أراده وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجلها وحله التكة وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله".

وقال أبو حيان : " وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة ينافق بعضها بعضاً، مع كونها قادحة في

بعض فساق المسلمين، فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة".

- وأما القول الثاني إنه همت بالمعصية وكانت مصرة، وهم يوسف العتيق ولم ي الواقع ما هم به؛ فبين الهمتين فرق؛ فهو قول وسط بين من فسر الهم بالفعل بما لا يناسب مكانة الأنبياء عند الله تعالى وبين من أنكر الهم برمتة وسيأتي بيان ذلك .
- وأما القول الثالث ضعيف لعدم الدلالة عليه في اللفظ والمعنى .
قال ابن عطية : "وقالت فرقة: كان "هم" يوسف العتيق بضربيها ونحو ذلك.... وهذا ضعيف البة".
- وقال الشنقيطي : "وتأويل الهم بأنه هم بضربيها، أو هم بدفعها عن نفسه، فكل ذلك غير ظاهر، بل بعيد من الظاهر ولا دليل عليه".
- وأما القول الرابع إن في الكلام تقدما وتأخرا فقد رده بعض المفسرين كابن الجوزي .
وقال ابن كثير : "وقيل: هم بها لو لا أن رأى برهان ربه أي فلم يهم بها، وفي هذا القول نظر من حيث العربية".
- وقال الشوكاني : "ولما كان الأنبياء معصومين عن الهم بالمعصية والقصد إليها شطح أهل العلم في تفسير هذه الآية بما فيه نوع ت كلف، فمن ذلك ما قاله أبو حاتم قال: كنت أقرأ على أبي عبيدة غريب القرآن، فلما أتيت على ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ، وَهَمَ بِهَا﴾ قال: هذا على التقاديم والتآخير: كأنه قال: ولقد همت به ولو لا أن رأى برهان ربه لهم بها".
- وأما القول الخامس : إنه تمناها أن تكون له زوجة؛ فهو ضعيف ولا وجاه له فكيف ببني كريم ابن كريم ابن كريم يتمنى من هي في ذمة غيره فكيف وهو من اشتراه واتخذه ولداً ورباه.
- وأما القول السادس فإنه هم بالفرار منها ، فهو ضعيف وقد سبق بيان

ذلك .

• وأما القول السابع : إن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البته ، فالله قال في كتابه العزيز ﴿وَهَمَ بِهَا﴾ فكيف يقال أنه لم يهم البته .

قال الشنقيطي : "... هذا الوجه الذي اختاره أبو حيان وغيره هو أجرى الأقوال على قواعد اللغة العربية، لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب : أن الجواب المذوق يذكر قبله ما يدل عليه، كقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقُولُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِإِلَهٍ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] أي إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه، فالأول: دليل الجواب المذوق لا نفس الجواب، لأن جواب الشرط وجواب (وَلَا) لا يتقدم، ولكن يكون المذكور قبله دليلاً عليه كالآية المذكورة."

الترجح :

بالنظر في الأقوال السابقة يترجح القول الثاني وهو إنها همت بالمعصية وكانت مصيرة، وهم يوسف ولم ي الواقع ما هم به؛ وبين الهمتين فرق ؟ فمه من حديث نفس من غير عزم؟ وذلك لعدة أمور :

1. أن الله تعالى ذكر أنه هم بها ولكن هم وما تم وسياق الآيات في أحداث قصة يوسف أكد هم المرأة وإصرارها عليه من خلال تغليق الأبواب وتهيئها له .. الخ أما يوسف عليه السلام فهم وما تم ويظهر ذلك من هروبه إلى الباب .

قال ابن تيمية: "المقصود إن يوسف عليه السلام لم يفعل ذنباً ذكره الله عنه ، وهو سبحانه لا يذكر عن أحد من الأنبياء ذنباً إلا ذكر استغفاره منه، ولم يذكر عن يوسف عليه السلام عن هذه الكلمة، كما لم يذكر عنه استغفاراً من مقدمات الفاحشة فعلم أنه لم يفعل ذنباً في هذا ولا هذا ، بل هم مما تركه الله ، فأثيب

عليه حسنة . (□)

٢. أن هذا القول هو الأنسب لمقام أنبياء الله فالله سبحانه يتولاهم بعنایته من قبل الاصطفاء بالنبوة فكيف تكون العناية بعدها . وقد ذكر القرآن أخطاء وقعت من أنبياء الله تابوا من بعدها لكن لا تصل بهم إلى ما ذكر في الروايات في قصة يوسف عليه السلام فالخطأ وارد لكن ليس بهذا القبح الذي لا يوصف به آحاد الناس المشهور صلاحهم في المجتمع فكيف بأنبياء الله عليهم صلوات الله وسلامه ؟ ولا عبرة بقول من قال إن ذلك وقع قبل النبوة فسياق الآيات يرده فقد ذكر الله تعالى قبل هذه الآية قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي أَشْتَرَنَا مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأِتِهِ أَكْرِمِي مَثُونَهُ عَسَوْنَ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْعِلَّمُهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَذِكْنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٢١ ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَدَهُ، أَتَيْتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ بَحْرَنِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٢٢ ﴿ [يوسف: ٢١ - ٢٢].

قال ابن عطية : " قوله: ﴿ حَكْمًا ﴾ يحتمل أن يريد الحكمة والنبوة ، وهذا على الأشد الأعلى ، ويحتمل الحكمة والعلم دون النبوة ، وهذا أشبه إن كانت قصة المراودة بعد هذا . و ﴿ وَعِلْمًا ﴾ ي يريد تأويل الأحاديث وغير ذلك . ويحتمل أن يريد بقوله : ﴿ حَكْمًا ﴾ أي سلطاناً في الدنيا وحكمًا بين الناس ب الحق . وتدخل النبوة وتأويل الأحاديث وغير ذلك في قوله: ﴿ وَعِلْمًا ﴾ . وقال : " والذي أقول في هذه الآية : إن كون يوسف عليه السلامنبياً في وقت هذه

١ - التفسير الكبير (٥٩/٥) والمقصود بقوله (ولم يذكر عن يوسف عليه السلام استغفاراً من هذه الكلمة) هي قوله عليه السلام ﴿ أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢] للناجي وسيأتي في مسألة مستقلة .

النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية ، وإذا كان ذلك فهو مؤمن قد أؤتي حكماً وعلمًا ويجوز عليه الهم الذي هو إرادة الشيء دون مواقعته ، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة؛ وإن فرضناه نبياً في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندي إلا الهم الذي هو الخاطر ، ولا يصح عليه شيء مما ذكر من حل تكة ونحو ذلك، لأن العصمة مع النبوة.

٣. إن هذا القول وسط بين من أثبت الهم وما تلاه من وصف شنيع وبين من نفاه .

قال الرازى : "واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف عليه السلام ، وتلك المرأة وزوجها، والنسوة والشهدور رب العالمين شهد ببراءته عن الذنب، وإبليس أقر ببراءته أيضاً عن المعصية، وإذا كان الأمر كذلك، فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب □). أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام : ﴿ هِيَ زَوْدُتِنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ [يوسف: ٢٦] وقوله عليه السلام :

﴿ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣] وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة : ﴿ وَلَقَدْ زَوَّدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف: ٣٢]

وأيضاً قالت : ﴿ قَالَ مَا خَطَّبْكَنَ إِذْ زَوَّدْتُنَ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَشَّ لِلَّهِ ﴾ [يوسف: ٥١] وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك، فهو قوله : ﴿ إِنَّمَا مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [٢٨] ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكَ ﴾ [يوسف: ٢٩ - ٢٨]

١ - ويظهر ذلك في عبارة ابن كثير حيث قال : "اختلت أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام، وقد روی عن ابن عباس ومجاحد وسعيد بن جبير وطائفة من السلف في ذلك ما رواه ابن جرير وغيره، والله أعلم".

وأما الشهود فقوله تعالى: ﴿ وَسَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ بُقْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِيلِينَ ﴾ [يوسف: ٢٦] وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [٦٣] يوسف: ٢٤] فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات : أولها: قوله: ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ﴾ واللام للتأكيد والبالغة. والثاني: قوله: ﴿ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ أي كذلك لنصرف عنهسوء والفحشاء. والثالث: قوله: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ مع أنه تعالى قال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] والرابع: قوله: ﴿ الْمُخْلَصِينَ ﴾ وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته، فلأنه قال ﴿ فَيَعْرِزُكَ لَأَغْوِنَهُمْ أَجَمِيعَنَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [٨٣] [ص: ٨٢ - ٨٣] فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف عليه السلام من المخلصين....

وقال السعدي: "هذه المخنة العظيمة أعظم على يوسف عليه السلام من مخنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجرًا ، لأنه صبر اختيار مع وجود الداعي الكثيرة لوقوع الفعل ، فقدم محبة الله عليها ، وأما مخنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجاً إلا الصبر عليها ، طائعاً أو كارهاً وذلك أن يوسف عليه السلام بقي مكرماً في بيت العزيز ، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك ... فصبر عن معصية الله ، مع وجود الداعي القوي فيه ، لأنه قد هم فيها بما تركه لله ، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء ورأى من برهان ربه ما أوجب له بعد

والانكaf ، عن هذه المعصية الكبيرة^(□)

والله تعالى أعلم

١ - تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٦ . □

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿لَوْلَا أَن رَّعَاهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ ؟

قال أبو حيان : والبرهان الذي رأه يوسف هو ما آتاه الله تعالى من العلم الدال على تحريم ما حرمه الله، وأنه لا يمكن الهم به فضلاً عن الواقع فيه.

الدراسة:

في المسألة ستة أقوال:

القول الأول : إن برهان ربه الذي رأه أن نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة .
وهو قول جماعة من المفسرين .

قال الطبرى : وأما البرهان الذي رأه يوسف فترك من أجله مواقعة الخطيئة، فإن أهل العلم مختلفون فيه، فقال بعضهم: نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة... وذكر في ذلك روایات عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الماوردي : إن برهان ربه الذي رأه أن نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة، قال ابن عباس: نودي أي ابن يعقوب تزني فيكون مثل طائر سقط ريشه فذهب يطير فلم يستطع.

وقال ابن عطية : واختلف في " البرهان " الذي رأى يوسف فتركه، وقيل: نودي. واختلف فيما نودي به ، فقيل ناداه جبريل: يا يوسف، تكون في ديوان

١ - في المطبوع (والله).

٢ - البحر الحيط (ح / ٥ ل / ٢٦٦) (٢٩٥ / ٥).

٣ - الطبرى (١٠٨ / ١٢)، الشعى والماوردي والبغوى آية ٢٤، ابن عطية (٣ / ٢٣٢)، ابن الجوزى (٤ / ١٥٦)، الرازى (١٨ / ٤٤٤)، القرطى (٩ / ٤٤٤)، البيضاوى (٤ / ٦٢)، النسفى (٣ / ٣١١)، ابن جزي (٢ / ٢١٤)، الخازن آية ٢٤، ابن كثير (٤ / ٣٢٦)، الجلالين آية ٢٤، الجمل (٢ / ٤٤٥)، الشوكانى (٣ / ٤٢٢)، الألوسى (٢١ / ٤٢٢) وذكروا معه بعض الأقوال الأخرى وهم بين معدد لها وبين راد على بعضها.

الأنبياء. وتفعل فعل السفهاء؟ وقيل : نودي: يا يوسف ، لا ت الواقع المعصية ف تكون كالطائر الذي عصى فتساقط ريشه فبقي ملقي - ناداه بذلك يعقوب - ، وقيل غير هذا مما في معناه".

القول الثاني : إنه رأى صورة يعقوب عليهما السلام وهو يقول: يا يوسف عليهما السلام أتّهم بفعل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء؟ فخرجت شهوته من أنامله ، قاله قتادة ومجاحد والحسن وسعيد بن جبير. وذكره بعض المفسرين.

قال الفراء : "ذكروا أنه رأى صورة يعقوب عليهما السلام".

قال الطبرى : "وقال آخرون: البرهان الذي رأى يوسف عليهما السلام فكف عن مواجهة الخطيئة من أجله صورة يعقوب عليهما السلام يتوعده". وذكر من قاله من السلف.

قال الواحدي : "وهو أنه مُثِّل له يعقوب عليهما السلام عاضتاً على أصابعه يقول : أتعمل عمل الفجّار، وأنت مكتوب في الأنبياء، فاستحي يا منه".

القول الثالث: رأى آية من آيات ربه، حجزه الله بها عن معصيته ، واحتلقو في الآية المكتوبه، ذكره ابن عطية والقرطبي.

قال ابن عطية : "وقيل: كان "البرهان" كتاباً رآه مكتوباً ، فقيل: في جدار المحس الذي كان فيه ، وقيل: بين عيني زليخا ، وقيل: في كف من الأرض خرجت دون جسد؛ وختلف في المكتوب ، فقيل: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] ، وقيل: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْزِئْنَ إِنَّهُ كَانَ فَدِحَشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] وقيل غير هذا".

١ - الفراء(٤٠/٢)، الطبرى (١٢/١٠٨)، الواحدي في الوجيز آية ٢٤، والبغوى آية ٤، ابن عطية (٣١١/٢) ، ابن الجوزي (٤/١٥٦)، النسفي (٢/٣٣).

٢ - ابن عطية (٣/٢٣٢)، القرطبي (٩/١٦٢).

وقال القرطبي: وقيل: رأى مكتوباً في سقف البيت ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْزِفَنَ إِنَّهُ كَانَ فَخِسَّةً وَكَاءَ سَيِّلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]. وقال ابن عباس: بدت كفٌ مكتوب عليها ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحْفَظِينَ ﴾ [الأنفال: ١٠].

القول الرابع : إن البرهان خيال سيده، رآه عند الباب فهرب . ذكره بعض المفسرين.

قال الطبرى : و قال آخرون: بل رأى تمثال الملك .

وقال الماوردي : أن البرهان الذي رآه. الملك قططير سيده، قاله ابن إسحاق.

وقال ابن كثير : .. عن ابن عباس: رأى خيال الملك يعني سيده، وكذا قال محمد بن إسحاق فيما حكاه عن بعضهم : إنما هو خيال قططير سيده حين دنا من الباب .

القول الخامس: إن البرهان الذي رآه أنه لما همت به وهم بها رأى ستراً فقال لها: ما وراء هذه السترة؟ فقلت: صنمي الذي أعبده أستره استحياء منه. فقال: إذا استحيت مما لا يسمع ولا يبصر فأنا أحق أن أستحي من إلهي وأتوقاه ، قاله الضحاك وذكره البغوي والقرطبي.

قال البغوي : .. قال: كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب فقال لها يوسف: لِمَ فعلتِ هذا؟ . فقلت: استحيت منه أن يراني على المعصية . فقال يوسف السليمان: أتستحي مما لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه؟ فأنا أحق أن أستحي من ربّي وهرب.

وقال القرطبي: وهذا البرهان غير مذكور في القرآن؛ فروي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن زليخاء قامت إلى صنم مكمل بالدرّ والياقوت في زاوية

١ - الطبرى (١٠٨/١٢)، الماوردي آية ٢٤، ابن كثير (٣٢٦/٤).

٢ - والبغوي آية ٢٤، القرطبي (٩/١٦٢).

البيت فسترته بثوب، فقال: ما تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني في هذه الصورة؟ فقال يوسف ﷺ: أنا أولى أن أستحي من الله؛ وهذا أحسن ما قيل فيه، لأن فيه إقامة الدليل".

القول السادس: والبرهان الذي رأه يوسف ﷺ هو ما آتاه الله عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ الدال على تحريم ما حرم الله ، وهو قول بعض المفسرين، () و اختاره أبو حيان.

قال الطبرى : "وقال آخرون: بل البرهان الذى رأى يوسف ﷺ ما أوعده الله عَلَيْهِ عَلَى الزنا أهله." وذكر عدة روايات عن محمد بن كعب القرظى .

وقال الماوردى : "إن البرهان الذى رأه ما أوعده الله تعالى على الزنى."

وقال ابن الجوزى : "إن البرهان أنه علم ما أحل الله مما حرم الله، فرأى تحريم الزنا، روى عن محمد بن كعب القرظى، قال ابن قتيبة : رأى حجة الله عليه، وهي البرهان، وهذا هو القول الصحيح."

وقال السعدي : "ما من الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه".

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أنه قد أطالت المفسرون في تعين البرهان الذي رأه، واختلفت أقوالهم في ذلك اختلافاً كثيراً.

- أن الأقوال الخمسة الأولى متشابهة من حيث إن البرهان الذي رأه شيء محسوس ماثلاً أمامه ولذا جمع الطبرى بينها فقال : "أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أخبر عن همّ يوسف ﷺ"

١ - الطبرى (١٠٨/١٢)، الماوردى آية ٤، ابن الجوزى (١٥٦/٤)، البقاعي (٤/٢٦)، الألوysi (٤٢٢/٢١)، السعدي ص ٣٩٦.

١ - تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٦.

وامرأة العزيز كلّ واحد منها بصاحبه، لولا أن رأى يوسف عليه السلام برهان ربِّه، وذلك آية من آيات الله، زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة. وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب عليه السلام، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات الـ تي ذكرها الله في القرآن على الزنا، ولا حجة للعذر قاطعة بأي ذلك من أي . والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تباركت وتعالى ، والإيمان به، " وترك ما عدا ذلك إلى عالمه ".

- أنه قد ضعف هذه الأقوال المحققة من المفسرين كابن عطيه فقال : وخالف في "البرهان" الذي رأى يوسف التميمي... وذكر الأقوال ثم قال - وهذا ضعيف". وكذا الرازبي .
 - وأما القول السادس فهو الظاهر .

الترجمة

يترجم القول إن البرهان : هو ما آتاه الله تعالى من العلم الدال على تحريم ما حرمه الله. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لاختلاف الروايات وعدم مناسبة ما جاء فيها لمقام النبوة .

قال الرازى : " ومن الذى يضمن لنا أن الذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسرين كانوا صادقين أم كاذبين ".

قال ابن تيمية : .. وأما ما ينقل من أنه حل سراويله، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، وأنه رأى صورة يعقوب الصلبي عاصيا على يده، وأمثال ذلك فكله مما لم يخبر الله به ولارسوله ، وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذبا على الأنبياء، وقدحا فيهم ، وكل من نقله من

المسلمين فعنهم نقله، لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا ﷺ حرفاً واحداً .^١

وقال الشنقيطي : " هذه الأقوال التي رأيت نسبتها إلى هؤلاء العلماء

منقسمة إلى قسمين:

- قسم لم يثبت نقله عمن نقله عنه بسند صحيح، وهذا لا إشكال في سقوطه.

- وقسم ثبت عن بعض من ذكر، ومن ثبت عنه منهم شيء من ذلك، فالظاهر الغالب على الظن، المزاحم للثبات يقين: أنه إنما تلقاء عن الإسرائييليات. لأنه لا مجال للرأي فيه، ولم يرفع منه قليل ولا كثير إليه .^٢

وبهذا تعلم أنه لا ينبغي التجربة على القول في نبي الله يوسف عليه السلام بأنه جلس بين رجلي كافرة أجنبية، يرى يد وأن يزني بها . اعتماداً على مثل هذه الروايات. مع أن في الروايات المذكورة ما تلوح عليه لواحة الكذب . كقصة الكف التي خرجت له أربع مرات، وفي ثلاثة منها لا يبالي بها، لأن ذلك على فرض صحته فيه أكبر زاجر لعوام الفساق. مما ظنك بخيار الأنبياء.."

٢. أن هذا القول مناسب لسياق الآية في تفسير الهم منه فالعاصم له هو الله سبحانه وتعالى وأعظم دليل على أن أكثر الناس معرفة بالله هم أنبياؤه عليهم صلوات الله وسلامه وهم أشد خوفاً منه ورجاء به كما أنهم أشد الناس بلاء.

٣. أن هذا القول تظهر مناسبته لقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُءَاتَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَّاكَ بَنَرِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٢٢].

٤. ملighetه لقاعدة الترجيح وهي : [القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب

١ - التفسير الكبير لابن تيمية (٧٨/٥).

٢ - أضواء البيان (٣/٣٢).

إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية].^(□)

١ - قواعد الترجيح (٣٢٨/١).

قال تعالى ﴿ قَالَ هِيَ رَوْدَتِنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ فَمِيقُصُهُ قُدَّ مِنْ قُبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِيلَنَ ﴾ [يوسف: ٢٦].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالشاهد في قوله ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾؟

قال أبو حيان : "فشهد شاهد من أهلها . فقال أبو هريرة، وابن عباس، والحسن، وابن جبير، وهلال بن يساف، والضحاك : كان ابن خالتها طفلاً في المهد أنطقه الله تعالى ليكون أدل على الحجة وروي في الحديث: ((إنه من الصغار الذين تكلموا في المهد)) وأسنده الطبرى^(١). وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم : ((لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، عيسى بن مرريم، وصاحب جريج، وابن السوداء))^(٢). وقيل: كان ابن عمها الذي كان مع زوجها لدى الباب، ولا ينافي ذلك قول قتادة، كان رجلاً حليماً من أهلها ذا رأي يأخذ الملك برأيه ويستشيره . وقيل: كان حكماً حكمه زوجها فحكم بينهما، وكان الشاهد من أهلها ليكون أوجب للحجارة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وأنهى للتهمة. ويحتمل أن يكون معهما في الدار بحيث لا يشعر به، فبصر بما جرى بينهما، فأغضبه الله ليوسف عليه السلام، وشهد بالحق. ويبعد قول مجاهد وابن حبيب

١ - جامع البيان (١١٥/١٢) قال : حدثنا الحسن بن محمد، قال : أخبرنا عفان، قال : ثنا حماد، قال : أخبرني عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال : ((تَكَلَّمُ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صَغَارٌ)) فذكر فيهم شاهد يوسف . قال محمود شاكر : رواه أحمد في مسنده رقم ٢٨٢٢، ٢٨٢٣، ٢٨٢٤، ٢٨٢٥، وفي آخره قال ابن عباس : تكلم في المهد أربعة صغار عيسى بن مرريم، وصاحب جريج، وشاهد يوسف ، وابن ماشطة فرعون) ولم يرفع هذا الأخير إلى رسول الله ﷺ وإنساده صحيح . جامع البيان تحقيق محمود شاكر (١٦/٥٤).

٢ - صحيح البخاري / كتب الأنبياء / باب قول الله ﴿ وَذُكْرٌ فِي الْكِتَابِ مَرِيمٌ ﴾ / حديث رقم (٣٤٣٦) ، وصحيف مسلم / كتاب البر والصلة / باب تقديم بر الوالدين على التطوع / حديث رقم (٢٥٥٠) وفي الباب رقم (٨).

أن الشاهد هو القميص المقدود لقوله : شاهد من أهلها، ولا يوصف القميص بكونه شاهداً من أهل المرأة. وسمى الرجل شاهداً من حيث دل على الشاهد، وهو تحرير القميص.

الدراسة :

في المسألة أربعة أقوال :

القول الأول: إنه صبي أنطقه الله تعالى في مهده ، قاله ابن عباس وأبو هريرة والحسن وسعيد بن جبير والضحاك. وهو قول أكثر المفسرين .^(□)

قال الطبرى : " وأما قوله: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد، فقال بعضهم: كان صبياً في المهد... - وذكر الروايات في ذلك ثم قال - .. والصواب من القول في ذلك، قول من قال : كان صبياً في المهد للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر من تكلم في المهد، فذكر أن أحدهم صاحب يوسف السعيلان".

وقال القرطبي : وقد اختلف في هذا الشاهد على أقوال أربعة : الأول أنه طفل في المهد تكلم؛ قال السهيلي : وهو الصحيح؛^(□) للحديث الوارد فيه عن النبي ﷺ وهو قوله: ((لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة)) وذكر فيهم شاهد يوسف السعيلان ... وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: ((تكلم أربعة وهم صغار)) فذكر منهم شاهد يوسف السعيلان."

وقال ابن كثير : .. عن ابن عباس في قوله ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾

١ - البحر المحيط (ح/٥) (٢١٧ـ) (٢٩٧).^(□)

٢ - الطبرى (١١٥/١٢)، الماوردي والبغوي آية ٢٦، الزخشرى (٣١٢/٢)، ابن الجوزي (٤/١٦٢)، القرطبي (٩/١٧٢)، البيضاوى (٣/٢٨٣)، النسفي (٢/٣١٣)، ابن جزي (٢/٢١٥)، الخازن آية ٢٦، ابن كثير (٤/٣٢٨)، الجلالين آية ٢٦، البقاعي (٤/٣١)، الشوكاني (٣/١٦)، الألوسي (٢١/٧٢٢).

٣ - التعريف والإعلام للسهيلي ص ٨٠-٨١.

قال: كان صبياً في المهد، وكذا روي عن أبي هريرة وهلال بن يساف والحسن وسعید بن جبیر والضحاک بن مزاحم أنه كان صبياً في الدار، واختاره ابن جریر: وقد ورد فيه حديث مرفوع.."

القول الثاني : إنه رجل حکیم من أهلها ، قاله مجاهد وعکرمة وقناة والسدی وهو قول جماعة من المفسرين (□) واختاره أبو حیان (□). واختلفوا في صلة قرابته بالمرأة على قولین :

١. إنه ابن عمها .

٢. إنه ابن خالتها .

قال الواحدی : "﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ أي أعلم معلم وأبين مبين وكان رجلا حکیما من أقارب المرأة ."

وقال ابن عطیة : "...روي إن الشاهد كان الرجل ابن عمها ، قال: انظر إلى القميص فإن كان قده من دبر فكذبت ، أو من قبل فصدقت ، قاله السدی . وقال ابن عباس: كان رجلاً من خاصة الملك، قاله مجاهد وغيره..."

وقال ابن الجوزی : "إنه كان من خاصة الملك، رواه ابن أبي مليكة (□) عن ابن عباس . وقال أبو صالح (□) عن ابن عباس : كان ابن عم لها، وكان رجلاً

١ - الوحدی في الوسيط (٦٠٩/٢)، الرمخشري (٣١٢/٢)، ابن عطیة (٢٣٦/٣)، ابن الجوزی (٤/١٦٢)، الرازی (٤٤٧/١٨)، البقاعی (٤/٣١)، ابن عاشور (١٢/٤٩).

٢ - ودلالة اختياره اعتراضه على القول الأول وتضعيفه للقول الثالث والرابع .

٣ - عبدالله بن عبیدالله بن أبي مليكة، زهیر بن عبد الله بن جدعان، أبو بکر وأبو محمد القرشی التیمی المکی القاضی الأحوال المؤذن، الإمام الحجة، ولد في خلافة علي أو قبلها، توفي سنة ١١٧ھـ. طبقات بن سعد (٤٧٣/٥)، تاريخ البخاری (١٣٧/٥)، سیر أعلام النبلاء (٨٨/٥).

٤ - باذام ويقال: باذان حدث عن مولاته أم هانیء، و أخيها علي ، وأبي هريرة، وابن عباس، قال ابن معین: ليس به يأس، وإذا حدث عن الكلبی فليس بشيء، توفي سنة ١٢١ھـ. طبقات بن سعد (٣٢٠/٥)، التاريخ الكبير (١٤٤/٢)، سیر أعلام النبلاء (٣٧/٥).

حكيماً ، فقال : قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب ، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة وهو كاذب ، وإن كان من خلفه فهو صادق وأنت كاذبة ، وقال بعضهم كان ابن حالة المرأة ."

وقال الرازى : " إنه كان لها ابن عم وكان رجلاً حكيماً واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها فقال قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص إلا أنا لا ندرى أى كما قدام صاحبه ، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة والرجل كاذب وإن كان من خلفه فالرجل صادق وأنت كاذبة فلما نظروا إلى القميص ورأوا الشق من خلفه .."

القول الثالث : إنه شق القميص ، قاله مجاهد ، ورده بعض المفسرين .^(□)

قال الطبرى : " فأما ما قاله مجاهد من أنه القميص المقدود فما لا معنى له لأن الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذي شهد بذلك أنه من أهل المرأة فقال : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ولا يقال للقميص هو من أهل الرجل ولا المرأة ."

قال ابن عطية : " وقال مجاهد - أيضاً - الشاهد القميص ... وهذا ضعيف لأنه لا يوصف بأنه من الأهل ."

وقال الرازى : " أنه شق القميص ، رواه ابن أبي نجيح ^(□) عن مجاهد ، وفيه ضعف ، لقوله ((مِنْ أَهْلِهَا)) ."

القول الرابع : إنه خلق الله تعالى ليس بإنس ولا جن ، قاله مجاهد .

١ - الطبرى (١١٥/١٢) ، ابن عطية (٢٣٦/٣) ، الرازى (٤٤٧/١٨) .

٢ - عبد الله بن أبي نجيح : يسار المكي ، أبو يسار ، الثقفي مولا هم ، ثقة رمي بالقدر وربما دلس ، من السادسة ، توفي سنة ١٣١ هـ . تهذيب الكمال (٢١٥/١٦) ، تهذيب التهذيب (٥٤/٦) ، التقريب رقم (٣٦٦٢) .

ورده بعض المفسرين^(١) من ذكر القول .

قال ابن كثير : " .. عن مجاهد: كان من أمر الله تعالى، ولم يكن إنسياً وهذا قول غريب ."

وقال الشوكاني : " عن مجاهد قال : إنه ليس بإنسني ولا جنني هو خلق من خلق الله . قلت: ولعله لم يستحضر قوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ .
ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي :

- أما القول إنه صبي أسطقه الله تعالى في مهده ، فقد اختلفوا في الذين تكلموا في المهد .

قال ابن عطية : " وما يضعف هذا أن في صحيح البخاري ومسلم : لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مرريم، وصاحب جريج، وابن السوداء الذي تمنت له أن يكون كالفارجر الجبار ، فقال: لم يتكلم وأسقط صاحب يوسف العثيمين منها، ومنها أن الصبي لو تكلم لكان الدليل نفس كلامه دون أن يحتاج إلى الاستدلال بالقديص . وأسنده الطبرى إلى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: " تكلم في المهد أربعة " ، فذكر الثلاثة وزاد صاحب يوسف ..."

إن الأثر الذى ذكر فيه الأربعة الذين تكلموا في المهد موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما .

وقال الألوسي : " وقد جمعت من تكلم في المهد فبلغوا أحد عشر ."

- أما القول إنه رجل حكيم من أهلها، فهو ظاهر .
- أما القولين الثالث والرابع فهما ضعيفان بدلالة السياق، وهو قوله ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ .

الترجح :

١ - ابن كثير (٤/٣٢٨)، الشوكاني (٣/١٦).

يترجح القول إن الشاهد من أهلها سواءً أكان رجالاً أم طفلاً وذلك :

١. لوجود قرينة دالة على براءة يوسف عليه السلام ما اتهم به ولو كان الشاهد طفلاً بالمهد ونطق ببراءة يوسف لكن تقرينة لوحدها بالبراءة والصدق والتأيد ولأغنت عن كل دليل آخر؛ وكذا كونه من أهلها دليلاً آخر وحجه أخرى لبراءة يوسف عليه السلام .

قال السعدي : "ولكن الله تعالى جعل للحق والصدق علامات وأمارات تدل عليه، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها، فمن الله في القضية بعرفة الصادق منهمما ، تبرئة لنبيه وصفيه يوسف عليه السلام، فانبعث شاهد من أهل بيتها ، يشهد بقرينة من وجدت معه هو الصادق ..."

٢. ملحوظته قاعدة الترجيح وهي : [القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجع على ما خالفه].
٣. لدلالة السياق .

قال الرازى - بعد أن ذكر القولين قول ا جبائي^(□) في تضييف القول الأول وترجح الثاني واستدلاله على ذلك من وجوه عدة هي - : "الأول: أنه تعالى لو أنطق الطفل بهذا الكلام لكان مجرد قوله إنها كاذبة كافياً وبرهاناً قاطعاً، لأنه من البراهين القاطعة القاهرة، والاستدلال بتمزيق القميص من قبل ومن دبر دليل ظني ضعيف والعدول عن الحجة القاطعة حال حضورها ومحضوها إلى الدلالة الظنية لا يجوز. الثاني: أنه تعالى قال: ﴿وَسَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وإنما قال من أهلها ليكون أولى بالقبول في حق المرأة لأن الظاهر من

١ - تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٦.

٢ - محمد بن عبد الوهاب البصري، أبو علي، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف، مات بالبصرة سنة ٣٠ هـ. الفرق بين الفرق ص ١٦٧، سير أعلام النبلاء (١٤/١٨٣٩)، شذرات الذهب (٢٤١/٢).

حال من يكون من أقرباء المرأة ومن أهلها أن لا يقصدها بالسوء والإضرار، فالمقصود بذكر كون ذلك الرجل من أهلها تقوية قول ذلك الرجل وهذه الترجيحات إنما يصار إليها عند كون الدلالة ظنية، ولو كان هذا القول صادراً عن الصبي الذي في المهد لكان قوله حجة قاطعة ولا يتفاوت الحال بين أن يكون من أهلها، وبين أن لا يكون من أهلها وحينئذ لا يبقى ل لهذا القيد أثر . والثالث: أن لفظ الشاهد لا يقع في العرف إلا على من تقدمت له معرفة بالواقعة وإحاطة بها".

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ [يوسف: ٢٩].

في الآية مسألة واحدة وهي :

من القائل ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾ ؟

قال أبو حيان : " يوسف أعرض عن هذا أي : عن هذا الأمر واكتمه، ولا تتحدث به . وفي ندائه باسمه تقريب له وتلطيف، ثم أقبل عليها وقال : واستغفرى لذنبك، والظاهر أن المتكلم بهذا هو العزيز." □

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إن المتكلم بهذا هو العزيز . وهو قول أكثر المفسرين، □ واختاره أبو حيان .

قال الماوردي : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾ هذا قول الملك لزوجه ، وهو القائل ليوسف ﷺ أعرض عن هذا.

وقال الواحدي : قال لأمرأته : توبى أنت من ذنبك .

وقال البعوي : ثم قال لأمرأته : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾ أي : توبى إلى الله . □

القول الثاني : إن المتكلم بهذا هو الشاهد . وهو قول الطبرى والقرطبي .

قال الطبرى : وهذا في ما ذكر ابن عبلس، خبر من الله تعالى ذكره عن قيل

١ - البحر الحيط (ح / ٥ ل / ٢١٧) (٢٩٨ / ٥).

٢ - الماوردي آية ٢٩، الواحدي (٦٠٩ / ٢)، البعوي آية ٢٩، الزمخشري (٣١٢ / ٢)، ابن عطية (٣١٣ / ٢)، ابن جزي (٢١٦ / ٢)، الخازن آية ٢٩، ابن كثير (٣٢٩ / ٤)، البقاعي (٤ / ٣)، الجلالين آية ٢٩، الشوكاني (٣ / ١)، الألوسي (٤ / ٢١).

٣ - الطبرى في جامع البيان (١١٧ / ١٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٧٢ / ٩).

الشاهد أنه قال للمرأة وليوسف الظليلة .

وقال القرطبي - بعد ذكره للاية - : " القائل هذا هو الشاهد ."

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي :

- أما القول إن المتكلم بهذا هو العزيز، فهو ظاهر.
- وأما القول إن المتكلم بهذا هو الشاهد فهو بعيد لقرينة مكانة صاحب القضية.

الترجح :

يترجح القول الأول وهو إن القائل هو العزيز زوج المرأة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لعظم الحدث ومكانة الأشخاص الاجتماعيـ فالشاهد أدى ما أمر به وليس من الحكمة بمكان أن يوجه أي عبارة إلى زوج العزيز أو إلى يوسف الظليلة فهو يعرف حدود الأمر المطلوب .

٢. دلالة السياق في القصة قال تعالى ﴿ وَاسْتَبَقَ الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ ، مِنْ دُبُرِ وَأَفْنِيَا سَيِّدَهَا لَدَّا الْبَابِ ﴾ قالت مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٌ [يوسف: ٢٥]. فالزوج هو أول من عرف الحدث وهو السيد والزوج وهو الأمر والنافي .

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَ وَاعْتَدَتْ لَهُنَ مُتَّكِّفًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ أَخْرُجْ عَلَيْهِنَ فَلَمَّا رَأَيْهُمْ أَكْبَرُهُمْ وَقَطَعُنَ أَيْدِيهِنَ وَقُلْنَ حَشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا
إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

في الآية أربع مسائل :

المسألة الأولى

ع لام يعود الضمير في قوله ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والظاهر عود الضمير على تلك النسوة القائلة ما قلن عنها. " □

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إن الضمير يعود على النسوة و هن خمس : امرأة خبازة ، و امرأة ساقية ، و امرأة بوابة ، و امرأة صاحب دوابه، و امرأة سجانة، ذكره بعض المفسرين. □

قال الماوردي : " كن أربعاً : امرأة الحاجب و امرأة الساقي و امرأة الخباز و امرأة القهرمان. قال مقاتل: و امرأة صاحب السجن".

وقال البغوي : " وقلن - وهن خمس نسوة : امرأة حاجب الملك و امرأة صاحب الدواب و امرأة الخباز و امرأة ا لساقي و امرأة صاحب السجن قاله مقاتل".

وقال القرطي : " وذلك أن القصة انتشرت في أهل مصر فتحدث النساء .

قيل: امرأة ساقي العزيز، و امرأة خبازه، و امرأة صاحب دوابه، و امرأة صاحب

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٢١٩) (٢٠١ / ٥).

٢ - الماوردي والبغوي آية ٣٠ ، القرطي (١٧٥ / ٩)، البيضاوي (٢٨٤ / ٣)، النسفي (٣١٣ / ٢).

سجنه. وقيل: امرأة الحاجب؛ عن ابن عباس وغيره.

القول الثاني : إن الضمير يعود على النسوة القائلة ﴿أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَنَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠] قاله قتادة؛ وأشار إليه كثير من المفسرين،^(□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى :..... عن قتادة^(□)، قوله: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ : أي بحديثهنّ.
﴿أَرْسَلْتُ إِلَيْهِنَّ﴾ يقول: أرسلت إلى النسوة اللاتي تحذلن بشأنها وشأن يوسف.
وقال الألوسي : والظاهر عود الضمير على تلك النسوة القائلة ما قلن عنها.
نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن الضمير يعود على النسوة و هن خمس : امرأة خبازة ، وامرأة ساقية، وامرأة بوابه ، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة سجانة، فهو خاص.
- وأما القول : إن الضمير يعود على النسوة اللاتي قلن ما قلن في حق امرأة العزيز، فهو عام وهو الظاهر.

الترجيح:

يترجح القول إن الضمير يعود على النسوة اللاتي قلن ما قلن في حق امرأة العزيز، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

١. لأنه ظاهر الآية.
٢. لموافقته لقاعدة الترجيح وهي : لا يجوز العدول عن ظاهر الآية إلا

١ - الطبرى (١١٩/١٢)، البغوي آية ٣١، الزمخشري (٣١٦/٢)، ابن الجوزي (٤/٦٥)، الرازى (١٨/٤٥٠)، البيضاوى (٣/٢٨٤)، النسفي (٢/٣١٣)، ابن جزي (٢/٢١٧)، الخازن آية ٣١، ابن كثير (٤/٣٢٩)، البقاعي (٤/٢٣). الألوسي (٦/٢١).

٢ - وسنده قال الطبرى: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة.

بدلیل [□]

٣. لأنه قول عام يندرج تحته القول الآخر.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١٣٧/١).

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿أَكْبَرُهُ﴾ ؟

قال أبو حيان : " ومعنى أكبرنـهـ : أعظمـهـ ودهـشـنـ بـرـؤـيـةـ ذـلـكـ الـجـمـالـ الفـائقـ الرـائـعـ . . . وـقـالـ عـبـدـ الصـمـدـ بـنـ عـلـيـ الـهاـشـمـيـ (□)، عـنـ أـبـيهـ، عـنـ جـدـهـ : معـناـهـ حـضـنـ، وـأـنـشـدـ بـعـضـ النـاسـ (□) حـجـةـ هـذـاـ التـأـوـيلـ :

لأئتي النساء على أطهارهن □
ولا لأتني النساء إذا أكبيرن إكبارة

قال ابن عطية : " وهذا قول ضعيف ، والبيت مصنوع مختلف ، كذلك قال الطبرى وغيره من المحققين ، وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمة الله (□) (□)

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : إن معنى أكبرنا : أعظمنه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع.

وهو قول مجاهد وقتادة والسدي ؛ وبه قال أكثر المفسرين، واختاره (□)

١ - عبد الصمد بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو محمد، الهاشمي، العباسي، الأمير، عم السفاح والمنصور، توفي سنة ١٨٥هـ. تاريخ بغداد (٣٧/١١)، سير أعلام النبلاء (٩/١٢٩)، شذرات الذهب (١/٣٠٧).

٢ - في المطبوع (النساء).

٣ - لا يعرف قائله وهو في التهذيب (٢١١/٥)، واللسان (٣٨٠٨/٥) مادة (كر). وذكره المفسرون.

٤ - المحرر الوجيز (٢٣٧/٣).

٥ - البحر المحيط (٢٢٠ ل/٥٤) (٣٠٢%).

٦ - الفراء (٤٢/٢)، الطبرى (١١٩/١٢)، الواحدى فى الوسيط (٦١٠/٢)، البغوى آية ٣١،

الزمخشري (٣١٦/٢)، ابن الجوزي (٤/١٦٥)، الرازي (٤٥٠/١٨)، القرطبي (٩/١٧٥)، البيضاوي

(٢٨٤/٣)، النسفي (٣١٣/٢)، ابن جزي (٢١٧/٢)، الخازن آية ٣١، ابن كثير (٤/٣٢٩)، البقاعي

(٤/٢٣)، أبي السعود (٤/٦٢).

أبو حيان ^(□).

قال الفراء : " أعظمنه أن يكون بشراً".

وقال الطبرى : «**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَاهُ**» يقول جل شناوه: فلما رأين يوسف عَلَيْهِ الْكَفَافُ أعظمنه وأجللنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

وقال الواحدى: " أعظمنه وهابن أمره وبهتن بالنظر إليه .."

القول الثاني : إن معنى أكبرنه : حصن ، وهو قول يروى عن ابن عباس . وقد ذكره المفسرون ^(□) عنه .

قال البغوى : وقيل: أكبره أي: حصن لأجله من جماله. ولا يصح.

وقال الزمخشري : يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت، وحقيقةه : دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر.

القول الثالث : إن معنى أكبرنه : وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً ، ذكره الماوردي ^(□).

قال الماوردي : " معناه وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً."

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول إن معنى أكبرنه : أعظمنه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع، فهو الظاهر.

- وأما القول إن معنى أكبرنه : حصن، فقد رده كثير من المفسرين وأهل

١ - واختاره بدلالة نقله قول ابن عطية في تضييف القول الثاني وسيأتي ظهور اختياره للقول الأول في المسألة التالية في هذه الآية . وانظر النهر الماد لأبي حيان (٣٠١/٥) بخاشية البحر .

٢ - البغوى آية ٣١، الزمخشري (٣١٦/٢)، ابن الجوزي (٤/١٦٥)، الرازى (١٨/٤٥٠)، القرطبي (٩/١٧٥)، البيضاوى (٣١٣/٢)، النسفي (٢٨٤/٣)، ابن جزي (٢١٧/٢)، الخازن آية ٣١، البقاعي (٤/٢٣)، أبي السعود (٤/٢٦٢).

٣ - النكت والعيون آية ٣١. ذكره عن ابن بحر.

اللغة وتأوله بعضهم على فرض صحة الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الطبرى : " وهذا القول، أعني القول الذي رُوي عن عبد الصمد، عن أبيه، عن جده، في معنى ﴿أَكْبَرُهُ أَنَّهُ حِضْنٌ﴾، إن لم يكن عنى به أنه حضن من إجلالهنّ يوسف وإعظامهنّ لما كان الله قسم له من البهاء والجمال، ولم يجد من مثل ذلك النساء عند معاييرهنّ إياه، فقول لا معنى له لأن تأوي لذلك: فلما رأين يوسف أكبرنه، فالهاء التي في أكبرنه من ذكر يوسف العليّة، ولا شكّ أنه من الحال أن يحيط بـ يوسف العليّة، ولكن الخبر إن كان صحيحاً عن ابن عباس على ما رُوي، فخليق أن يكون كان معناه في ذلك : أنهن حضن لما أكبرن من حُسن يوسف العليّة وجماله في أنفسهن ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك. وقد زعم بعض الرواية أن بعض الناس أنشده في أكبرن بمعنى حضن، بينما لا أحسب أن له أصلاً، لأنه ليس بالمعروف عند الرواية، وذلك: **نَأَتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا نَأَتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا.**"

وقال ابن الجوزي : " حضن، رواه الضحاك عن ابن عباس . وروى علي بن عبد الله ابن عباس عن أبيه قال : حضن من الفرح، قال : وفي ذلك يقول الشاعر:

نَأَيَ النِّسَاءُ لَهُ أَطْهَارُهُنَّ وَلَا
وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ مُجَاهِدٍ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، وَرَدَهُ بَعْضُ
اللُّغَوَيْنِ، فَرُوِيَ عَنْ أَبِيهِ عَبِيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ (أَكْبَرْنَ) بِمَعْنَى
(حضن). وَلَكِنْ عَسَى أَنْ يَكُنْ مِنْ شَدَّةِ مَا أَعْظَمْنَهُ حِضْنٌ [□]، وَكَذَلِكَ رُوِيَ
عَنِ الزَّجَاجِ [□] أَنَّهُ أَنْكَرَهُ."

١ - مجاز القرآن (٣٠٩/١).

٢ - قال الزجاج في معاني القرآن : " وهذه اللفظة ليست بمعروفة في اللغة . والهاء في (أكبرنه) تنفي =

- أما القول الثالث إن معنى أكبرته: وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيراً يندرج في معنى القول الأول.

الترجيح:

يترجح القول إن معنى أكبرته: أعظم منه ودهشن برؤية ذلك الجمال الفائق الرائع. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لأمور:

١. دلالة السياق فقد حصل ذهول النساء وقطع الأيدي من شدة جماله.

٢. لمناسبة المعنى في تفسير السياق القرآني فـ[كل تفسير ليس مأخوذا من دلالة الآية وسياقها فهو رد على قائله .] [□] وهذه قاعدة من قواعد الترجيح .

٣. قوة اللفظ في تفسير المعنى وإجماع المفسرين عليه .
والله تعالى أعلم

هذا؛ لأنه لا يجوز أن يقول : النساء قد حضنه يا هذا لأن حضن لا يتعدى إلى مفعول ". التهذيب (٧٣/٣).

١ - قواعد الترجيح (٣٦٣/٢).

المسألة الثالثة

ما نوع الهماء في قوله ﴿أَكْبَرْنَاهُ﴾ وعلام تعود؟
 قال أبو حيان : " وإن جماع القراء ^(□) على ضم الهماء في الوصل دليل على أنها ليست هاء السكت ^(□)، إذ لو كانت هاء السكت، وكان من أجرى الوصل بجرى الوقف، لم يضم الهماء. والظاهر أن الضمير يعود في أكبرناه على يوسف ^(□) إن ثبت أن أكبر بمعنى حاضر، فتكون الهماء عائدة على المصدر أي : أكبرن الإكبار." ^(□)

الدراسة:

في المسألة قوله :

القول الأول : إن الهماء هاء السكت، وهو قول بعض المفسرين. ^(□)
قال القرطبي : ... وأجاب الأزهري ^(□) فقال: يجوز أن يكتب بمعنى حاضرة؛ لأن المرأة إذا حاضرت في الابتداء خرجت من حيز الصغر إلى الكبر؛ قال : والهماء في (أَكْبَرْنَاهُ) يجوز أن تكون هاء الوقف لا هاء الكنية...
وقال أبو السعود : " وقيل: معنى أكبرنا حضن والهاء للسكت أو ضمير راجع إلى يوسف عليه السلام على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق".
وقال الشوكاني : "... قال الأزهري: أكبرنا بمعنى حضن، والهماء للسكت،

١ - النشر (٢٣٩/١).

٢ - السكت قطع الصوت زمناً هو دون زمن التوقف عادة من غير تنفس ... ولا يجوز الوقف إلا على ساكن. إتحاف فضلاء البشر ص ٨٥.

٣ - أصنفتها للحاجة النص. وهي غير موجودة في النسخ.

٤ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٢٠) (٣٥/٣٠٣).

٥ - القرطبي (٩/١٧٥)، أبي السعود (٤/٢٦٢)، الشوكاني (٣/٢٠).

٦ - محمد بن أحمد بن الأزهري بن طلحة الأزهري الهروي الشافعي، أبو منصور، له تهذيب اللغة، توفي سنة ٣٧٠هـ. سير أعلام النبلاء (٦/١٥٣)، شذرات الذهب (٣/٧٢).

يقال: أكترت المرأة أي: دخلت في الكبر بالحِيْضُور، وقع منها ذلك دهشاً وفرعاً لما شاهدته من جماله الفائق، وحسنِه الرائق.

القول الثاني : إن الهماء ليست هاء السكت وإنما ضمير للمصدر أو تعود على يوسف. وهو قول بعض المفسرين.^(□) واختاره أبو حيأن.

قال القرطبي - بعد أن ذكر قول الأزهري السابق - " وهذا مزيّف ، لأن هاء الوقف تسقط في الوصل ، وأمثل منه قول ابن الأنباري : إن الهماء كناية عن مصدر الفعل ، أي أكبرن إكباراً ، بمعنى حِضْن حَبْضاً . وعلى قول ابن عباس الأول تعود الهماء إلى يوسف اللطيف ، أي أعظم من يوسف اللطيف وأجللنه".

وقال البيضاوي : والهماء ضمير للمصدر أو ليوسف اللطيف على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق.

وقال الألوسي : وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن معنى أكبرن حضن ... وكأنه إنما سمي الحِيْضُور إكباراً لكون البلوغ يُعرف به فكأنه يدخل الصغار سن الكبر فيكون في الأصل كناية أو مجازاً، والهماء على هذا إنما ضمير المصدر فكأنه قيل: أكبرن إكباراً. وإنما ضمير يوسف عليه السلام على أسلات الحار أي حضن لأجله من شدة شبجهن.

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن الهماء هاء السكت فهو بعيد بدلالة المعنى.
- وأما القول : إن الهماء ليست هاء السكت وإنما تعود على يوسف، فهو الظاهر.
- وأما القول : إن الهماء ليست هاء السكت وإنما ضمير للمصدر فهو مبني على قول ضعيف سبق بيان ذلك في المسألة السابقة.

١ - القرطبي (٩/١٧٥)، البيضاوي (٣/٢٨٤)، الألوسي (٣١/٦).

الترجح:

يترجح القول إن الماء ليس تهاء السكت وإنما ضمير تعود على يوسف، أي أعظم من يوسف العليل وأجللنه، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لإجماع القراء على ضم الماء في الوصل.

٢. لدلالة المعنى الظاهر.

٣. لأن مقصد امرأة العزيز من ذلك هو ظهار شدة دهشة النسوة لرؤيتها يوسف. فهذا دلاله الحال والواقع وهي قرينة تضاف إلى المعنى المطلوب.

والله تعالى أعلم

المسألة الرابعة

ما المراد بالأيدي في قوله ﴿وَقَطَعُنَ أَيْدِيهِنَ﴾ ؟

قال أبو حيان : "والظاهر إن الأيدي هي الجوارح المسماة بهذا الاسم .
وقال عكرمة: الأيدي هنا الأكمام." □

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول : إن الأيدي هي الجوارح المسماة بهذا الاسم ذكره بعض المفسرين □ واختاره أبو حيان .

قال الطبرى : "إنهن حزن بالسكين في أيديهن .."

وقال ابن الجوزى : "حزن أيديهن، وكن يحسبن أنهن يقطعن طعاماً".

وقال النسفي : "... وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت بدي
تيد جرحتها أي أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فدهشن لما رأينه
فخدشن أيديهن."

القول الثاني : إن الأيدي الأكمام، ذكره أبو حيان عن عكرمة ولم أجده أحدا من المفسرين فيما اطلعت عليه ذكره .

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو الحقيقة المتبادره .
- وأما القول الثاني فهو غير معروف .

١ - البحر المحيط (٤/٥) (٢٢٠) (٣٠٣).

٢ - الطبرى (١٢/١٩)، ابن الجوزى (٤/٦٥)، النسفي (٢/٣١٣)، ابن كثير (٤/٣٢٩)، البقاعي (٤/٢٣)، أبي السعود (٣/٢٨٤)، الشوكاني (٣/٢٠)، ابن عاشور (١٢/٢٦١)،

الترجح:

يترجح القول الأول إنها هي الجواز المعروفة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

١. لأنه [يجب حمل نصوص القرآن على الحقيقة .[□]] وهي قاعدة ترجحية مهمة، ولذا لا يشك اثنان في ذلك عند سماع اللفظ ولا يتadar إلى الذهن غير ذلك .

٢. لموافقته قاعدة الترجح وهي : [يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعف والمنكر].[□]
والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجح (٣٨٧/٢).

٢ - قواعد الترجح (٣٦٩/٢).

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بالآيات في قوله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا أَلَا يَتَتَّ﴾؟

قال أبو حيان : " والآيات هي: الشواهد الدالة على براءة يوسف عليه السلام . قال مجاهد وغيره: قد القميص، فإن كان الشاهد طفلاً فهي آية عظيمة، وإن كان رجلاً فيكون استدلالاً بالعادة. والذي يظهر أن الآية إنما يعبر بها عن الواضح الجلي، وجمعها يدل على ظهور أمور واضحة دلت على براءته، وقد تكون الآيات التي رأوها لم ينص على جميعها في القرآن، بل رأوا قول الشاهد . وقد القميص وغير ذلك مما لم يذكره . وأما ما ذكر عكرمة أن من الآيات خمس وجهها، والسدي من حز أيديهم، فليس في ذلك دلالة على البراءة فلا يكو ن آية . (□)

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول : إن الآيات هي : كل عالمة واضحة دلت على براءة يوسف عليه السلام، وهو قول بعض المفسرين، (□) و اختاره أبو حيyan.

قال الواهدي : "يعني آيات براءة يوسف الكتيبة".

وقال ابن جزي : أي الأدلة على براءته .

وقال ابن كثير : "ثم ظهر له م من المصلحة فيما رأوه أنهم يسجتونه إلى حين، أي إلى مدة، وذلك بعد ما عرفوا براءته وظهرت الآيات، وهي الأدلة

١ - البحر المحيط (٢٢٣ / ٥ / ٣٠٧).

^٢ - الواحدي في الوسيط (٦١٢/٢)، ابن جزي (٢١٨/٢)، ابن كثير (٤/٣٣١)، الجلالين آية ٣٥.

على صدقه في عفته ونراحته.

القول الثاني : إن الآيات هي : المذكوره في السورة ، وهو قول كثير من المفسرين [□]. واختلفوا فيها فذكروا منها : قول الشاهد ، قد القميص ، خمس الوجه ، حز الأيدي ، ذهاب عقولهن ، قول العزيز إن كيدكن عظيم ، جماله وعفته ، صدق يوسف .

قال الطبرى : "رأوا أن يسجّنوه منْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الآيات براءته مما قدرته به امرأة العزيز. وتلك الآيات كانت: قد القميص من دُبر، وخمسا في الوجه، وقطع أيديهن." وذكر جماعة من السلف ذكروها كابن عباس ومجاحد وقادة .

وقال الماوردي : "قد القميص وحز الأيدي...و... ما ظهر لهم من عفته وجماله."

وقال البغوي : "﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الآيات﴾ الدالة على براءة يوسف الثَّلِيلَةِ من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء أيديهن وذهاب عقولهن."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الآيات هي : كل عالمة واضحة دلت على براءة يوسف الثَّلِيلَةِ فهو الظاهر.

- وأما القول الثاني فإنه يندرج في القول الأول؛ ويستثنى مما ذكروه ما لا يدل على أنه آية لبراءة يوسف الثَّلِيلَةِ مثل خمس الوجه وقطع اليد وقول العزيز وذهب العقول وجماله وعفته.

الترجح:

يترجح القول إن الآيات هي : كل عالمة واضحة دلت على براءة يوسف

١ - الطبرى (١٢٥/١٢)، الماوردي والبغوي آية ٣٥، ابن عطية (٤/٣٦)، ابن الجوزى (٤/١٦٩)، الرازى (٩/٤٥٥)، القرطبي (٩/١٨٦)، البيضاوى (٣/٢٨٧)، النسفي (٢/٣١٧)، الخازن آية ٣٥، البقاعي (٤/٣٦)، الشوكانى (٣/٢٤).

ال**العنبر**، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

٢. لموافقته قاعدة الترجيح وهي : [يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتفصيص]^(□) وهي قاعدة مهمة، فإذا اختلفت أقوال المفسرين في تفسير آية من كتاب الله تعالى فمنهم من يحملها على عموم ألفاظها، ومنه م من يخصصها ويقصرها على بعض أفراد العموم فالصواب هو حملها على العموم، ومتى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها —من قبيل التفسير بالمثال ،أو بالجزء ،أو بالثمرة ،أو بنحو ذلك —ولا معارض له ،وتشهد الأدلة لصحته ، فهو أولى بتفسير الآية حملا لها على عموم ألفاظها ،ولا داعي لتفصيصها بوحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتما ،أو يقوم الدليل على ذلك^(□).

٣. لدلالة الحال فلا بد من وجود دليل أو أكثر محسوس لمعرفة الحقيقة.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٥٢٧/٢).

٢ - انظر التدبر الأمثل ص ٥٩ . بتصرف يسير .

قال تعالى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَى نَبِيًّا أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَى نَبِيًّا أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خَبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَيْثَانًا تَأْوِيلُهُ إِنَّا نَرَنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٣٦].

في الآية مسألة واحدة وهي :

هل (أعصر عنباً) و (فوق رأسي ثريداً تأكل الطير منه) تفسيراً أم قراءة ؟
 قال أبو حيأن : " وقرأ أبي عبد الله : (أعصر عنباً) ، وينبغي أن يحمل ذلك على التفسير لخالفته سواد المصحف ، وللثابت عنهم بالتواتر قراءتهما أعصر خمراً وفي مصحف عبد الله : (فوق رأسي ثريداً تأكل الطير منه) ، وهو أيضاً تفسير لا قراءة . " □

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إن (أعصر عنباً) و (أحمس فوق رأسي ثريداً) تفسير لا قراءة ، وهو قول جماعة من المفسرين □ دون الإشارة إلى ما ذكر عن ابن مسعود عليه السلام . واختاره أبو حيأن وابن عادل .

قال الماودي : " قوله ﴿ إِنِّي أَرَى نَبِيًّا أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ ٣ أي عنباً ... "

وقال البغوي : ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا ﴾ وهو صاحب الشراب ﴿ إِنِّي أَرَى نَبِيًّا أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ أي: عنباً سمي العنبر خمراً باسم ما يقول إليه ﴿ وَقَالَ الْآخَرُ ﴾ وهو

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٤٤) (٣٠٨/٥).

٢ - الماودي والبغوي آية ٣٦، ابن الجوزي (٤١٧/٤)، الرازى (٤٥٥/١٨)، البيضاوى (٣٨٧/٣)، النسفي (٣١٧/٢)، الخازن آية ٣٦، ابن كثير (٤٣٢/٤)، البقاعي (٤٣٦/٤)، الشوكاني (٣/٢٤).

٣ - " هذه القراءة هي مراد قراءة الجماعة ﴿ إِنِّي أَرَى نَبِيًّا أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ وذلك أن المعصور حينئذ هو العنبر، فسماه خمراً لما يصير إليه من بعد حكاية حاله المستأنفة." قاله ابن جني في المحتسب (٢/١٥).

الخبار: «إِنِّي أَرَيْتُنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خَبْرًا تَأْكُلُ الْطَّيْرُ مِنْهُ» وذلك أنه قال: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاثة سلال فيها الخبر وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منه.

وقال ابن عادل: "قراءة أبي" ﷺ، وعبد الله بن عباس: (أعصر عنباً)، لا تدل على الترافق؛ لإرادتهما التفسير، لا التلاوة، وهذا كما في مصحف عبد الله بن عباس: (فَوْقَ رَأْسِي شَرِيداً)، فإنه اراد التفسير فقط.

القول الثاني: إن (أعصر عنباً) و (فوق رأسي شريداً تأكل الطير منه) قراءة.

وهو قول بعض المفسرين □.

قال الطبرى: "وعنى بقوله: ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي إني أرى في نومي أنى أعصر عنبلً وكذلك ذلك في قراءة ابن مسعود ﷺ".

وقال الزمخشري: "﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ يعني عنباً، تسمية للعنبر بما يؤول إليه... وفي قراءة ابن مسعود ﷺ (أعصر عنباً)".

وقال ابن عطية: "وفي قراءة أبي بن كعب ﷺ وعبد الله بن مسعود ﷺ (إني أراني أعصر عنباً)".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن (أعصر عنباً) و (أحمل فوق رأسي شريداً) تفسير لا قراءة، وذلك حسب القواعد التي ذكرها العلماء في شروط القراءة وسيأتي بيانه.

- وأما القول إن (أعصر عنباً) و (أحمل فوق رأسي شريداً) قراءة، فهي قراءة شاذة .

١ - الطبرى (١٢٦/١٢)، والزمخشري (٣١٩/٢)، وابن عطية (٢٤٢/٣)، القرطبي (١٨٨/٩). وقد ذكروا قراءة (أعصر عنباً) فقط .

الترجح:

يترجح القول إن قوله (أعصر عنبا) وقوله (فوق رأسى ثريداً تأكل الطير منه) تفسير لا قراءة . وهو اختيار أبي حيأن ومن وافقه، وذلك لأن العلماء اشترطوا لصحة القراءة وثبوتها أن يتوفّر فيها ثلاثة أركان:

١. صحة السند (□).

٢. موافقة أحد المصاحف ولو احتمالا .

٣. موافقة العربية ولو بوجه .

فمتى احتل ركن من أركان القراءة الصحيحة وصفت القراءة بالشذوذ (□).

قال أبو عبيد - بعد أن ذكر بعضًا من القراءات الشاذة المروية عن

الصحاباة: "فهذه الحروف وأشباهها كثيرة، قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير ، فيستحسن ذلك ، فكيف إذا روى لباب أصحاب محمد ﷺ ، ثم صار في نفس الـ قراءة، فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى ، وأدنى ما يستنبط من علم هذه الحروف معرفة صحة التأويل (□)" على أنها من العلم الذي لا يعرف العامة فضلها ، إنما يعرف ذلك العلماء .

والله تعالى أعلم

١ - ويقصد به :أن يروي القراءة العدل الضابط عن مثله كذلك حتى تنتهي ، وتكون مع ذلك مما عرف واشتهر عند أئمة الشأن الضابطين له ، غير معدود عندهم من الغلط أو ما شذ به بعضهم .
النشر (١٣/١).

٢ - انظر الإبانه لمكي ص ٣٩ ، والنشر (١٤/١)، والقراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضي ص ٧.

٣ - فضائل القرآن ص ٩٥.

قال تعالى ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَوْيِيلِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْتِنِي رَفِيقٌ إِنِّي تَرَكَتُ مِلَّةً قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَفَرُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾

[يوسف: ٣٧].

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بقوله «**قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ**» ؟
 قال أبو حيان : "والظاهر أن قوله لا يأتيكم إلى آخره، أنه في اليقظة." □
الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : المراد لا يأتيكم طعام ترزقانه في اليقظة . قاله ابن جريج وهو قول بعض المفسرين □ و اختاره أبو حيان .

قال الزمخشري : " لما استعبأه ووصفه بالإحسان، افترض ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء، وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبعهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما، ويقول : اليوم يأتيكم طعام من صفتة كيت وكيت، فيجدانه كما أخبرهما."

وقال النسفي : "... وإنه ينبعهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكم طعام من صفتة كيت وكيت فيكون كذلك".

وقال البقاعي : "﴿ لَا يَأْتِيكُمَا ﴾ أي في اليقظة".

القول الثاني : المراد لا يأتيكم طعام ترزقانه في المنام . قاله السدي وابن

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٢٢٥) (٣٠٧ / ٥).

٢ - الزمخشري (٣٢٠ / ٢)، النسفي (٣١٨ / ٢)، البقاعي (٤ / ٣٦)، أبي السعود (٤ / ٢٧٤)، ابن عاشور (١٢ / ٢٧٠).

إسحاق وهو قول بعض من المفسرين^(□).

قال الطبرى : يقول تعالى ذكره: قال يوسف للفتىين اللذين استعبراه الرؤيا: لا يأْتِيكمَا أَيْهَا الْفَتِيَانُ فِي مَنَامِكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا بَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ فِي يَقْظَتِكُمَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا".

وقال ابن كثير : يخبرهما يوسف اللطيلة أنهم ما رأيا في المنام من حلم فإنه عارف بتفسيره يخبرهما بتأويله قبل وقوعه، ولهذا قال : « لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا بَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ». ومجاحد: يقول « لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا بَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ » في نومكما « إِلَّا بَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا » ، وكذا قال السدي.

وقال الجلالان : « قَالَ » لهما خبرا أنه عالم بتعبير الرؤيا « لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ » في منامكما « إِلَّا بَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ » في اليقظة.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن المراد لا يأتيكم طعام ترزقانه في اليقظة فما جاء في اليقظة هو مترب على ما جاء في الرؤى ، وماأتي في اليقظة حقيقة وواقع مشاهد وملموس لا يحتاج إلى تأويل.
 - وأما القول : المراد لا يأتيكم طعام ترزقانه في المنام فهو الظاهر، وعبر عنه بالإتيان دلالة على صدق التأويل وأنه سيتحقق في الواقع كما شاهدناه، لأن هذا التأويل مما علمه الله إياه وليس اجتهادا.
- وفي كثير من الأحوال يرى الإنسان رؤيا كأنها واقع في اليقظة، فيستيقظ يظنها حقيقة من وضوح ما يرى، وقد تحقق له كما رأها.

١- الطبرى (١٢٨/١٢)، ابن كثير (٤/٣٣٢). الجلالين آية ٣٧.

الترجح:

يترجح إن المراد لا يأتيكم طعام ترزقانه في المنام وذلك:

١. لدلالة السياق لأن كلا الرجلين رأى في المنام رؤيا فالرأي الأول رأى أنه يعصر خمراً والثاني رأى أنه يحمل خبزاً وفسره يوسف عليه السلام هما .

٢. أن الأمر الذي يحتاج إلى تأويل هو الرؤى وليس الأمور التي في اليقظة في يوسف عليه السلام ظاهر أخباره هما أن الله علمه التأويل . وهو سبب نجاته من السجن

٣. يقين يوسف بتحقق الرؤيا عبر عنه بلفظ يدل على أنها واقع حقيقي لا رؤيا ولعل هذا يعد أسلوباً من أساليب البلاغة القرآنية.
والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٌ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ أَشَّيْطَنُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَيَثَ فِي السِّجْنِ بِضَعَ سِينِينَ ﴾ [يوسف: ٤٢].
في الآية أربعة مسائل:

المسألة الأولى

ما المراد بالظن في قوله ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٌ مِنْهُمَا ﴾؟

قال أبو حيان : " والضمير عائد على الذي وهو الساقى أي : لما أخبره يوسف عليه السلام بما أخبره، ترجح عنده أنه ينجو، ويبعد أن يكون الظن على بابه، ويكون مسندًا إلى يوسف عليه السلام على ما ذهب إليه قتادة والمخشري ."
□

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إن الظن هو اليقين قاله مجاهد وهو قول جماعة من المفسرين، □ واختاره أبو حيان .

قال الطبرى : يقول تعالى ذكره : قال يوسف عليه السلام للذى علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤى ﴿ أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾.

وقال الواحدى : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٌ مِنْهُمَا ﴾ أي يقين وعلم وهو الساقى .
وقال البغوى : ﴿ وَقَالَ ﴾ يعني: يوسف عليه السلام عند ذلك ﴿ لِلَّذِي ظَنَّ ﴾ أي: علم ﴿ أَنَّهُ نَاجٌ مِنْهُمَا ﴾ وهو الساقى ﴿ أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾.

١ - البحرالمحيط (٥/٥) (٢٢٦/٣١٠).

٢ - الطبرى (١٢/١٣١)، الواحدى (٢/٦١٤)، البغوى آية ٤٢، ابن عطية (٣/٢٤٥)، القرطبي (٩/١٩٤)، الخازن آية ٤٢، البقاعي (٤/٤٣)، الجلالين آية ٤٢، أبي السعو (٤/٢٧٤)، الشوكانى (٣/٢٨)، الألوسي (١٢/٢٤٧) ط دار الفكر . وذكر الماوردي آية ٤٢، وابن الجوزى (٤/١٧٤)، والرازى (٨/٤٦٣) القولين .

القول الثاني : إن الظن على بابه الذي هو خلاف اليقين . قاله قتادة وهو قول بعض المفسرين .

قال الزمخشري : "الظان" هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق الاجتهاد . وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي ، أو يكون الظن بمعنى اليقين ."

وقال النسفي : "الظان هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق الاجتهاد وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين ."

وقال البيضاوي : "الظان يوسف عليه السلام إن ذكر ذلك عن اجتهاد وإن ذكره عن وحي فهو الناجي إلا أن يؤول الظن باليقين ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي :

- أما القول إن الظن هو اليقين، فهو الظاهر.
- وأما القول إن الظن هو خلاف اليقين فهو بعيد ، لأن يوسف عليه السلام أخبر الناجي بنجاته بوحي من الله في تعليمه تفسير الرؤى ، فهو على يقين من نجاته وخروجه من السجن.

الرجح :

يترجح القول إن الظن هو اليقين والعلم ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

﴿١﴾ لدلة السياق، سواء أكان الظان يوسف عليه السلام وهو الارجح قال تعالى ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْتُنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَةً قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧]

فكيف يكون ظنه خلاف اليقين مادام أن التأويل ماعلمه الله وخصبه به .

أم كان الظان هو الساقي قال تعالى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَنِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَنِي أَحِمْلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الْطَّيْرُ مِنْهُ ﴾

يَدْعُنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَكَ مِنَ الْمُحَسِّنِينَ ﴿٣٦﴾ [يوسف: ٣٦]. وقد وثقا به فهو عندهما من المحسنين فكيف يظن به خلاف اليقين .

قال الطبرى : " وهذا الذى قاله قتادة من أن عبارة الرؤيا ظن ، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء . فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لا يكون ، أو أنه غير كائن ثم يكون مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن لأن ذلك لو جاز على بها في أخبارها لم يؤمن مثل ذلك في كل أخبلوها ، وإذا لم يؤمن بذلك في أخبلوها سقطت حجتها على من أرسلت إليه . فإذا كان ذلك كذلك كان غير جائز عليها أن تخبر بخبر إلا وهو حق وصدق . فمعلوم إذ كان الأمر على ما وصفت أن يوسف عليه السلام لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتىين اللذين استعبراه أنه كائن ، فيقول

لأحدهما: ﴿يَصَحِّبِي الْسِّجْنُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ، خَمْرًا وَأَمَّا الْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الظَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ ثم يؤكّد ذلك بقوله: ﴿فُضِّلَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْفِيَانٌ﴾ عند قولهما: لم نر شيئاً ، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه أنه كائن لا محالة لا شك فيه ، وليقينه بكون ذلك قال للناجي منهمما: ﴿أَذْكُرْنِي عَنْدَ رَبِّكَ﴾ . فيُبَيَّنُ إذن بذلك فساد القول الذي قاله قتادة في معنى قوله : ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَ أَنَّهُ نَاجٌ مِنْهُمَا﴾ .

وقال ابن عطية : وقوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَ أَنَّهُ نَاجٌ﴾ الآية . " الظن " هاهنا - بمعنى اليقين ، لأن ما تقدم من قوله: ﴿فُضِّلَ الْأَمْرُ﴾ يلزم ذلك ، وهو يقين فيما لم يخرج بعد إلى الوجود : وقال قتادة: " الظن " - هنا - على بابه لأن عبارة الرؤيا ظن .

قال القاضي أبو محمد -(ابن عطية)-: وقول يوسف عليه السلام: ﴿فُضِّلَ الْأَمْرُ﴾ دل

على وحي ولا يترتب قول قتادة إلا بأن يكون معنى قوله **﴿قِضَى الْأَمْرُ﴾** أي قضي كلامي وقلت ما عندي وتم، والله أعلم بما يكون بعد.

وقال القرطبي : (ظن) هنا يعني أيقن، في قول أكثر المفسرين وفسره قتادة على الظن الذي هو خلاف اليقين؛ قال: إنما ظن يوسف نجاته لأن العابر يظن ظناً وربك يخلق ما يشاء؛ والأول أصح وأشبه بحال الأنبياء وأن ما قاله للفتيين في تعبير الرؤيا كان عن وحي، وإنما يكون ظنا في حكم الناس، وأما في حق الأنبياء، فإن حكمهم حق كيما وقع.

وأيضاً فإن تفسير الظن يعني اليقين موافق لقواعدي الترجيح □ وهم:

١. [القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينس ب لها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية] ٢. [كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود].
- وهذا مما فهم من كلام العلماء السابق ذكره .

وقال الألوسي : والظان هو يوسف عليه السلام ... وهو يعني اليقين كما في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظْنُونَ أَنَّهُمْ مُلَكُوْرَبِهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦] ونظائره .

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (١/٣٢٨).

المسألة الثانية

لم قال يوسف ﷺ ﴿لِلَّذِي طَنَّ أَنَّهُ نَاجٌ مِّنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾؟
 قال أبو حيأن : "والذي اختاره أن يوسف ﷺ إنما قال لساقي الم لك:
 اذكرني عند ربك ليتوصل إلى هدایته وإيمانه بالله، كما توصل إلى إيضاح الحق
 للساقي ورفيقه." □

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول: اذكرني عند الملك أي : بعلمي ومكانتي وما أنا عليه مما آتاني
 الله. وهو قول ابن عطية والشوكاني. □

قال ابن عطية : "ومعنى الآية: قال يوسف ﷺ لساقي الملك حين علم أنه
 سيعود إلى حالته الأولى مع الملك ﴿أَذْكُرْنِي﴾ عند الملك، فيحتمل أن يريد
 أن يذكره بعلمه ومكانته ، ويحتمل أن يذكره بظلمته وما امتحن به بغير حق ،
 أو يذكره بهما".

وقال الشوكاني : "أمره بأن يذكره عند سيده ويصفه بم ما شاهده منه من
 جودة التعبير والاطلاع على شيء من علم الغيب".

القول الثاني: اذكرني بظلمتي وما امتحنت به بغير حق. قاله ابن إسحاق . وهو
 قول كثير من المفسرين □ .

قال الطبرى : "اذكرني عند سيدك، وأخبره بظلمتي وأنى محبوس بغير جرم ."

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٢٦) (٣١٠/٥).

٢ - ابن عطية في المحرر الوجين (٢٤٥/٣)، والشوكاني في فتح القدير (٢٨/٣).

٣ - الطبرى (١٢/١٣١)، الواحدى (٢/٦١٤)، البغوى آية ٤٢، الرازى (١٨/٤٦٣)، القرطبي
 (٩/١٩٤)، البيضاوى (٣/٢٨٩)، النسفي (٢/٣٢٠)، الخازن آية ٤٢، ابن كثير (٤/٣٣٤)، البقاعي
 (٤/٤٤)، أبي السعود (٤/٢٧٤).

وقال الواحدي : "اذكرني عند ربك أي عند الملك صاحبك وقل له : إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً".

وقال البغوي : " قل له: إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً طال حبسه".

القول الثالث : اذكرني عند ربك ليتوصل إلى هدايته وإيمانه بالله . واختاره أبو حيان . وتفرد به .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- ما ذكر من المعاني التي ذكرها المفسرون محتمله إلا أنها متفاوتة حسب الأهمية.

الترجح:

كل المعاني المذكورة داعية لطلب ذكره عند الملك إلا أن ذكر مظلمة شاب سجن ظلماً وزوراً ومكيدة ومن ثم طلب البراءة مقدم أولاً:

قال تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَئْتُنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بِأَنْ

اللِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْتَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبِّي بِكِيدْهَنَ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

ثم إنه مع رسوخه في العلم وتحليه بخلق جم دل عليه . كل هذه الأمور مجتمعة من دواعي إعادة النظر في كيفية دخوله إلى السجن مع وجود هدف سام يحركه ويدفعه ألا وهو الدعوة إلى الواحد الأحد.

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

علام يعود الضمير في قوله ﴿فَأَنْسَهُهُ الشَّيْطَنُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ ؟
 قال أبو حيان : "والضمير في فأنساه عائد على الساقى، ومعنى ذكر ربه : ذكر يوسف عليه السلام لربه، والإضافة تكون بأدنى ملابسة . وإنسأ الشيطان له بما يosoس إليه من اشتغاله حتى يذهل عما قال له يوسف عليه السلام، لما أراد الله بيوسف عليه السلام من إجر إلى أجر (□) بطول مقامه في السجن وقيل: الضمير في فأنساه عائد على يوسف عليه السلام . ورتبا في ذلك أخباراً لا يليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام." (□)

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إن الضمير في فأنساه عائد على الساقى ، قاله مجاهد وابن إسحاق وغيره . وهو قول بعض من المفسرين . (□) واختاره أبو حيان .
قال البغوي : "أنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عليه السلام للملك تقديره : فأنساه الشيطان ذكره لربه ."

وقال ابن كثير : "عائد على الناجي ، كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد ."

وقال البقاعي : "﴿فَأَنْسَهُهُ﴾ أي الساقى ﴿الشَّيْطَنُ﴾ أي بعيد من الرحمة المحترق باللعنة ﴿ذِكْرَ﴾ يوسف عليه السلام عند ﴿رَبِّهِ﴾ أي بسبب اعتماده عليه في ذلك ."

١ - في المطبوع: (من إجزال أجره).

٢ - البحر الحيط (ح ٥ / ل ٢٢٦) (٣١٠ / ٥). ووجه اختيار رده للقول الآخر لتعظيم مقام النبوة .

٣ - البغوي آية ٤٢، ابن كثير (٤/٣٣٤)، البقاعي (٤/٤٣)، أبي السعود (٤/٢٧٤). وكثير منهم ذكر القولين من غير ترجيح

القول الثاني: إن الضمير في فأنساه عائد على يوسف عليه السلام؛ وهو قول جماعة من المفسرين □.

قال الطبرى : " وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف عليه السلام من قبل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زل بها، فأطال من أجلها في السجن حبسه وأوجع لها عقوبته..... عن ابن عباس □ ، قال : قال النبي ﷺ : ((لَوْلَمْ يَقُلْ يُوسُفُ)) يعني الكلمة التي قال : ((ما لَيْثَ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَيْثَ)) يعني حيث يتغير الفرج من عند غير الله - و - عن الحسن، قال : قال نبى الله ﷺ : ((رَحْمَ اللَّهُ يُوسُفَ لَوْلَا كَلِمَتُهُ مَا لَيْثَ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَيْثَ)) □ ، يعني قوله : «أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ». قال : ثم يبكي الحسن فيقول : نحن إذا نزل بنا أمر

١ - الطبرى (١٣١/١٢)، الماوردي آية ٤٤، وكذا الواحدى في الوسيط (٦١٤/٢)، والزمخشري (٣٢١/٢)، ابن عطية (٢٤٥/٣)، ابن الجوزي (١٧٤/٤)، الرازى (٤٦٣/١٨)، القرطبي (١٩٤/٩)، البيضاوى (٤٦/٢)، النسفي (٣٢٠/٢)، ابن جزي (٢١٩/٢)، الخازن آية ٤٢، الشوكانى (٢٨/٣)، ابن عاشر (٢٧٨/١٢).

٢ - وسنده قال : " حدثنا ابن وكيع، قال : ثنا عمرو بن محمد، عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس ". قال محمود شاكر : فهذا خبر ضعيف الإسناد جداً ". جامع البيان (١١٢/١٦).

وقال ابن كثير : ويقال: إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه ابن حجر عن ابن عباس ومجاهد أيضاً وعكرمة وغيرهم، وأسنده ابن حجر رهنا حديثاً فقال : حدثنا ابن وكيع، حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً، قال : قال النبي ﷺ : ((لَوْلَمْ يَقُلْ يُوسُفَ)) يعني يوسف الكلمة التي قال، ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يتغير الفرج من عند غير الله)، وهذا الحديث ضعيف جداً، لأن سفيان بن وكيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي أضعف منه أيضاً. وقد روی عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما، وهذه المرسلات هنها لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الوطن، والله أعلم". التفسير (٣٣٤/٤).

٣ - وهذا الأثر مرسل لا حجة فيه . قاله محمود شاكر محقق تفسير الطبرى (١١٢/١٦).

فرعننا إلى الناس".

وقال الماوردي: "إن يوسف عليه السلام أنساه الشيطان ذكر ربه في الاستغاثة به والتعويل عليه. روى أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الكلمة التي قال: اذكوري عند ربك ما لبست في السجن ما لبست".

وقال الواحدي: "قال مجاهد أنسى الشيطان يوسف عليه السلام الاستغاثة بربه وأوقع في قلبه الاستغاثة بالملك فعوقب بأن لبست في السجن بضع سنين وهذا قول ابن عباس .. ثم ذكر القول الآخر .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إن الضمير في فأنساه عائد على الساقى فهو الظاهر.
- وأما القول الثاني فإنه ضعيف لضعف دليله وما يترتب عليه نسبة في حق نبي الله يوسف عليه السلام .

وأما الاستدلال بحديث أبي هريرة فلا دلالة فيه على نسبة النسيان إلى يوسف وكذا أنه يجوز الاستغاثة بالناس في دفع الظلم لاسيما من ولاة الأمور بحسب مكانتهم .

الترجح:

يترجح القول إن الضمير يعود على الساقى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق.

١ - أخرجه ابن حبان رقم (٦٢٠٦)، وابن أبي حاتم (٢١٤٨/٧) رقم (١١٦٣). وسنده قال: "حدثنا أبي ، ثنا مسدد، ثنا خالد بن عبد الله، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال .. وذكره اليهيشمي في مجمع الزوائد (٤٠/٧) وقال: "رواه أحمد - حديث رقم (٨٥٦٢) - وفيه محمد بن عمرو وهو حسن الحديث".

قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةً أَنَّا أُنْتُمْ كُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلْنَاهُ ﴾ [٤٥]

يوسف: ٤٥] فهنا وصفان:

١. الذي نجا منهما . وهو الساقى .

٢. تذكر بعد مدة من الزمن؛ ولا يتذكر إلا من نسى؛ وهو الساقى .

ويضاف إلى دلالة السياق أمر آخر وهو ضعف القول الثاني.

قال ابن تيمية : بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربه ، وهذا هو

الصواب ، فإنه مطابق لقوله ﴿ أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ قال تعالى ﴿ فَأَنْسَهُ

الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ والضمير يعود إلى القريب ، إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك ، ولأن يوسف عليه السلام لم ينس ذكر ربه بل كان ذاكراً لربه.

وقد دعاهمما قبل تعبير الرؤيا على الإيمان بربه وقال لهم ﴿ يَصْحِحِي الْسِّجْنَ

ءَارْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ ﴿ ٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً

سَمَيَّتُهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَأُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرَ أَلَّا

تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الْدِينُ الْقِيمُ وَلَا كِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤٠] ي يوسف:

٣٩ - ٤٠]. وقال لهمما قبل ذلك : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقُانِيهِ ﴾ أي في الرؤيا ﴿ إِلَّا

بَأَنْتُمُ كُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ يعني التأويل ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمْنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَةً

قَوْمًا لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ ﴿ ٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَةً إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشَرِّكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى

النَّاسِ وَلَا كِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [٣٨] ي يوسف: ٣٧ - ٣٨]. فبذا يذكر ربه

بعجل ، فإن هذا ما علمه ربه ، لأنه ترك ملة قوم مشركين لا يؤمنون بالله ثم

بعد ذلك عبر الرؤيا ... ثم لما قضى تأويل الرؤيا : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ

مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ فكيف يكون قد أنسى الشيطان يوسف عليه السلام

ذكر ربه ؟ وإنما أنسى الشيطان الناجي ذكر ربه . أي الذكر المضاف إلى ربه
والمنسوب إليه ، وهو أن يذكر عنده يوسف ﷺ ... □

والله تعالى أعلم

١ - التفسير الكبير (٥٥/٥٧)، باختصار.

المسألة الرابعة

ما المراد بقوله ﴿فَلِبَثَ فِي السِّجْنِ بِضُعْسِينَ﴾؟

قال أبو حيأن : "والظاهر إن قوله: فلبث في السجن، إخبار عن مدة مقامه في السجن، منذ سجن إلى أن أخرج . وقيل: هذا اللبث هو ما بعد خروج الفتىين ."

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : المراد لبث مدة مقامه في السجن، منذ سجن إلى أن أخرج .
وانفرد أبو حيأن بهذا القول؛ فيما اطلعت عليه .

القول الثاني : المراد لبث من خروج الفتى بضع سنين قاله ابن إسحاق . وهو قول جماعة من المفسرين .

قال الطبرى : "فلبث يوسف عليه السلام في السجن لقيله للناجي من صاحبى السجن من القيل: اذكرني عند سيدك بضع سنين ، عقوبة له من الله بذلك ."
وقال الماوردي : "قال ابن عباس رضي الله عنهما : عوقب يوسف عليه السلام بطول السجن بضع سنين لما قال للذى نجا من هما اذكرني عند ربك ، ولو ذكر يوسف عليه السلام ربه لخلصه ."

وقال ابن عطية : "والذى روى في هذه الآية أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين ثم نزلت له قصة الفتىين وعوقب على قوله ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ بالبقاء في السجن سبع سنين، فكانت مدة سجنه اثنى عشرة سنة ."

١ - البحر المحيط (٥/٥) (٢٢٦) (٣١٠).

٢ - الطبرى (١٢/١٣)، الماوردي آيه ٤٢، ابن عطية (٣/٤٥)، الرازى (١٨/٤٦)، القرطبي (٩/١٩)، البيضاوى (٣/٢٨٩)، ابن جزى (٢/٢٢٠)، الخازن آية ٤٢، البقاعي (٤/٤٣)، أبي السعود (٤/٢٧٤).

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- **أما القول إن المراد لبث مدة مقامه في السجن، منذ سجن إلى أن أخرج فهو بعيد لعدم الدلالة عليه.**
- **وأما القول إن المراد لبث من خروج الفتى بضع سنين، فهو الظاهر.**

الرجح:

يترجح القول إن المراد لبث من خروج الفتى بضع سنين، وذلك :

١. لأنه المبادر إلى الذهن بالتعبير بالفَلَّة في قوله ﴿ فَلَّيْثَ ﴾.
٢. لأنه قول جميع المفسرين ماعدا أبي حيان فيما اطلعت عليه، وهذا يشبه الإجماع إن لم يكن إجماعا بالفعل، والقول المعتمد على الإجماع مقدم على غيره.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ [٤٤] [يوسف: ٤٤]

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بقوله « وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ » ؟

قال أبو حيان : "والظاهر أنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الأحلام أي : لسنا من أهل تعبير الرؤيا. ويجوز أن تكون الأحلام المنفي علمها أرادوا بها الموصوفة بالتلخيل والأباطيل أي : وما نحن بتأويل الأحلام التي هي أضغاث عالمين أي : لا يتعلّق علم لنا بتأويل تلك، لأنّه لا تأويل لها إنما التأويل للمنام الصحيح، فلا يكون في ذلك نفي للعلم بتأويل المنام الصحيح، ولا تصور علمهم." □

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول: إنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الأحلام التي هي أضغاث. وهو قول جماعة من المفسرين. □

قال الطبرى : " وما نحن بـم اتعول إلـيـه الأـحـلـامـ الـكـاذـبـةـ بـعـالـمـينـ ... لأنـ معـنىـ الكـلامـ: لـيـسـ هـذـهـ الرـؤـيـاـ بـشـيءـ إـنـماـ هـيـ أـضـغـاثـ أـحـلـامـ".
وقال الواحدى : "أـحـلـامـ مـخـتـلـطـةـ لـاـ تـأـوـيـلـ لـهـ عـنـدـنـاـ".

وقال ابن الجوزى : "ليـسـ لـلـرـؤـيـاـ الـمـخـلـطـةـ عـنـدـنـاـ تـأـوـيـلـ".

القول الثاني : إنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الرؤيا، وهو قول الزمخشري

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٢٧) (٣١١/٥).

٢ - الطبرى (١٣٤/١٢)، الواحدى في الوجيز آية ٤، ابن الجوزى (٤/١٧٥)، الرازى (٤٦٤/١٨)، البيضاوى (٢٩١/٢)، النسفي (٣٢١/٢)، ابن جزي (٢٢٠/٢)، ابن كثير (٤/١٣٤)، أبي السعود (٤/٢٧٤)، ابن عاشور (١٢/٢٧٩).

والقرطبي.^(□) واختاره أبو حيان .

قال الزمخشري : وإنما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير.

وقال القرطبي : نفوا عن أنفسهم علم التعبير . والأضغاث على هذا الجماعات من الرؤيا التي منها صحيحة ومنها باطلة".
نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الأحلام التي هي أضغاث فمحتمل.

- وأما القول إنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الرؤيا فهو ظاهر، وأقوى .

الرجح:

يترجح القول إنهم نفوا عن أنفسهم العلم بتأويل الرؤى جملة واحدة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه والدليل على ذلك :

١. دلالة السياق من وجهين :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سَبُلَتٍ خُضْرٌ وَآخَرَ يَأْسَتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءُيْنِي إِنْ كُنْتُمْ لِرُؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣] ، فكان رد المباشر منهم كما قال تعالى ﴿ قَالُوا أَضَغَثُ أَحَلَنِمْ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحَلَنِمْ بِعَلِيمِنَ ﴾ [يوسف: ٤٤]. ولو كان عندهم أدنى علم لذكره ذلك .

- قوله الساقي : ﴿ أَنَا أُسْئِلُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ﴾ فعلم أن القوم عجزوا عن التأويل،

١ - الزمخشري ٣٢٣/٠٢)، القرطبي (٢٠٠/٩).

لَا أَنْهُمْ ادْعَوْا أَلَا تَأْوِيلُهَا.

٢. خوفهم من الملك فلو أدعوا التفسير وقال بما علموه وكان الواقع غير ذلك
لما يعقبهم عليه عقابا شديدا .

٣. لطف الله بيوسف ﷺ أن عرض الملك الرؤيا عليهم فظهر جهلهم فلما
عبرها يوسف وقعت عنده موقعا عظيما فعلم تفرده بعلم تفسير الرؤى.
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَم

قال تعالى ﴿قَالَ تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُبْلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا كُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المقصود بقوله ﴿تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر أن قوله: تزرعون سبع سنين دأباً خبر، أخبر أنهم تتواли لهم هذه السنون لا ينقطع فيها زرعهم للري الذي يوجد." □
الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المقصود أن يوسف التسلية أخبرهم أنه تتواли لهم هذه السنون لا ينقطع فيها زرعهم. وهو قول كثير من المفسرين، □ واختاره أبو حيان .

قال الطبرى: يقول: تزرعون هذه السبع السنين، كما كتتم تزرعون سائر السنين قبلها على عادتكم فيما مضى . والدأب: العادة.

وقال الماوردي: قوله تعالى : ﴿قَالَ تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ فيه وجهان:
أحدهما: يعني تباعاً متواالية.

وقال القرطبي: أي متواتلة متتابعة.

القول الثاني : المقصود أن يوسف التسلية أمرهم بالزراعة مدة سبع سنين، وهو قول الواحدى والماوردى والجلالان □.

قال الواحدى : ﴿قَالَ تَزَرَّعُونَ﴾ أي: ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ متتابعةً.

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٢٨) (٣١٤/٥).

٢ - الطبرى (١٢/١٣٦)، الماوردى آية ٤٧، القرطبي (٩/٢٠٢) البيضاوى (٣/٢٩٢)، ابن كثير (٤/٣٣٥)، أبي السعود (٤/٢٧٤) ابن عاشور (١٢/٢٨٦).

٣ - الواحدى فى الوجيز والماوردى آية ٤٧ والجلالان فى التفسير آية ٤٧.

وقال الماوردي : "الثاني: يعني العادة المألوفة في الزراعة."

وقال الجلالان : "﴿فَلَمَّا تَرَرَعْوَنَ﴾ أي ازرعوا ﴿سَبْعَ سِينِينَ دَأْبًا﴾ متابعة وهي تأويل السبع السمان ."

القول الثالث : المقصود به خبر في معنى الأمر . وهو قول جماعة من المفسرين .[□]

قال الزمخشري : "﴿تَرَرَعْوَنَ﴾ خبر في معنى الأمر، ك قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهْدُونَ﴾ [الصف: ١١] وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به، فيجعل بأنه يوجد، فهو يخبر عنه . والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُبْلِهِ﴾ ."

وقال الرازي : "اعلم أنه الكتاب ذكر تعبير تلك الرؤيا فقال: ﴿تَرَرَعْوَنَ﴾ وهو خبر بمعنى الأمر، ك قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ يَرَبَصُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿وَأَلْوَلَدَتُ يُرْضِعُنَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وإنما يخرج الخبر بمعنى الأمر، ويخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في الإيجاب، فيجعل بأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُبْلِهِ﴾ ."

وقال النسفي : "محتك ﴿فَلَمَّا تَرَرَعْوَنَ سَبْعَ سِينِينَ﴾ [يوسف: ٤٧] هو خبر في معنى الأمر ك قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] .. مما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول الأول فهو الأقرب للصواب.
- وأما القول الثاني فيه نظر لأن يوسف الكتاب في مقام تأويل رؤيا ولم

١ - الزمخشري (٣٢٤/٢)، الرازي (٤٦٦/١٨)، النسفي (٣٢٢/٢)، الحازن آية ٤٧، البقاعي (٤/٥١).
وابن عطية ذكر الأقوال الثلاثة (٢٤٩/٣).

يمكن من منصب بله لم يخرج من السجن .

- أما القول الثالث جمع بين القولين الأول والثاني .

الترجح:

يترجح القول إن المقصود هو إخبارهم أنه تمر عليهم سبع سنين يزرعون فيها، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لأن المطلوب م ن يوسف العليل تأويل الرؤيا ومن في منزلته ومكانته يعرف حق المعرفة ما هو المطلوب منه؛ ولا يستسيغ العاقل أن يصدر كلامه بأمر وهو ليس في مقام إصدار الأمر .

٢. دلالة السياق.

قال ابن جزي : "هذا تعبير للرؤيا وذلك أنه عبر البقرات السمان بسبع سنين خصبة وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجدهبة إذا داوم عليه ... فما حصدتم فدروه في سبله هذا رأى أرشدهم يوسف العليل إليه ."

والله تعالى أعلم

١ - التسهيل لعلوم التنزيل (١٢١/٢).

قال تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوَنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا
بِالنِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٠].
في الآية مسألة واحدة هي :

من المراد بالرب في قوله ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَ عَلِيمٌ ﴾ ؟

قال أبو حيان : " إن ربى أي : إن الله بكيدهن عليم . أراد أن كيدهن عظيم
لا يعلمه إلا الله بعد عوده ، واستشهد بعلم الله على أنهن كدنه ، وأنه بريء
ما قذف به . أو أراد الوعيد لهن ، أو هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه . . وقال
ابن عطيه : " ويحتمل أن يريد بالرب العزيز مولاهم ، ففي ذلك استشهاد به وتقرير
له " . وما ذكره ابن عطيه من هذا الاحتمال لا يسوغ . " (□)

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : المراد إن الله بكيدهن عليم ، وهو قول كثير من المفسرين
واختاره أبو حيان .

قال البغوي : " إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَ عَلِيمٌ" أي : إن الله بصنعيهن عالم ."

وقال الزمخشري : " إِنَّ رَبِّي " إن الله تعالى : " بِكَيْدِهِنَ عَلِيمٌ" أراد أنه كيد
عظيم لا يعلمه إلا الله ."

وقال البيضاوي : وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه
بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن ."

١ - المحرر الوجيز (٣/٢٥١).

٢ - البحر المحيط (٤/٥، ٢٢٩) (٥/٣١٦).

٣ - البغوي آية ٥٠، الزمخشري (٣٢٥/٢)، البيضاوي (٣٢٣/٢)، النسفي (٣٩٢/٣)، الخازن آية ٥٠،
البقاعي (٤/٥٢)، الشوكاني (٣/٣٤)، ابن عاشور (١٢/٢٨٨).

^(□) القول الثاني : المراد بالرب العزيز مولاه . وهو قول بعض المفسرين.

قال الماوردي : " ﴿إِنَّ رَبِّيٍّ يُكَيِّدُهُنَّ عَلِيمٌ﴾ فيه وجهان : ... الثاني : أن سيدى الذي هو العزيز بكىدهن علیم".

قال الجلالان : " ﴿إِنَّ رَبِّيٍّ﴾ سيدى ﴿يُكَيِّدُهُنَّ عَلِيمٌ﴾ فرجع فأخبر الملك فجمعهن".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلى :

- أما القول إن المراد إن الله بكىدهن علیم فهو الظاهر.
- وأما القول إن المراد بالرب العزيز مولاه ففيه نظر ، فلو كان لديه علم بما حدث لما كان هناك حاجة في سؤاهن و مجرد الكلام في المكيدة عبث.

الترجح :

يترجح القول إن المراد بالرب هو الله سبحانه وتعالى . وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه ، وذلك :

١. لدلالة السياق ،

٢. لدلالة اللفظ القرآني ، لما ووجه كلامه إلى الرسول قال له قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أْرْجِعْ إِلَيْ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠].

ثم قال ﴿إِنَّ رَبِّيٍّ يُكَيِّدُهُنَّ عَلِيمٌ﴾ فلما فرق في الضمير عرف إن المقصود ليس بواحد.

والله تعالى أعلم

١ - الماوردي آية ٥٠ ، ابن عطية (٣/٢٥١)، وتقدم ، الرازي (٤٦٩/١٨) ، الجلالين آية ٥٠ .

قال تعالى ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [٥٢].

في الآية مسألة واحدة وهي :

من قائل ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ؟
 قال أبو حيان : "الظاهر أن هذا من كلام امرأة العزيز وهو داخل تحت قوله: قالت. والمعنى: ذلك الإقرار والاعتراف بالحق، ليعلم يوسف العليّة أنني لم أخنه في غيبته وأكذب عليه (□)، وأرميه بذنب هو منه بريء".

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول: إنه من كلام امرأة العزيز، وهو قول بعض المفسرين، □ واختاره أبو حيان.

قال ابن تيمية : "... فمن كلام امرأة العزيز كما يدل القرآن على ذلك دلالة
 بينة لا يرتاب فيها من تدبر القرآن حيث قال تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلَكُ أَنْتُوْنِي بِهِ فَلَمَّا
 جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالِ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعَنَ أَيْدِيهِنَ إِنَّ رَبِّي يَكِيدُهُنَّ
 عَلِيْمٌ﴾ [٥٠] □ قال ما خطبكن إذ رودتن يوسف عن نفسه □ قلن حش لله ما علمنا عليه من
 سوء □ قالت أمراة العزيز □ ألا حق أنا رودته عن نفسه □ وإنما لمن الصدقين □ [٥١]
 ذلك ليعلم أني لم أخنه بغيري وأن الله لا يهدى كيد الخائنين □ [يوسف: ٥٠ - ٥٢].
 فهذا كله كلام امرأة العزيز، ويوسف العليّة إذ ذاك في السجن لم يحضر إلى الملك

١ - في المطبوع: والذب عنه.

٢ - البحر الحيط (ح/٥ ل/٢٢٩) (٣١٦/٥).

٣ - ابن تيمية في التفسير الكبير (٥/٧٨)، ابن كثير (٤/٣٣٦)، إبي السعود (٤/٢٧٤)، ابن عاشور (١٢/٢٩٢).

ولاسمع كلامه ولارأه. ولكن لما ظهرت براءته في غيبته كما قالت امرأة العزيز **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَابِرِينَ﴾** [يوسف: ٥٢]. أي لم أخنه في حال مغيبيه عنى، وإن كنت في حال شهوده راودته.

وقال ابن كثير : "تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أنني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، ولا وقع المذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أنني بريئة."

وقال أبو السعود: **﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾** وكانت حاضرةً في المجلس.. **﴿ذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ﴾** في حرمته كما زعمه لا علمًا مطلقاً..

القول الثاني : إنه من كلام يوسف عليه السلام مجاهد والضحاك وقتادة وابن جريح وابن إسحاق، وهو قول جماعة من المفسرين[□].

قال الفراء: "وقوله قال يوسف عليه السلام: **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ﴾** قال ذلك يوسف عليه السلام لما رجع إليه الساقي فأخبره ببراءة النسوة إياه ."

وقال الطبرى : "يعنى بقوله **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ﴾** هذا الفعل الذى فعلته من ردّي رسول الملك إليه، وتركى إجابته والخ روح إليه، ومسئلتي إياه أن يسأل النسوة الالاية قطعنَ أَيْدِيهُنَّ، عن شأنهنّ إذ قطعنَ أَيْدِيهِنَّ، إنما فعلته ليعلم أنني لم أخنه في زوجته بالغيب."

وقال الواحدي : "... قال يوسف عليه السلام: **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ﴾** .."

١ - الفراء (٤٧/٢)، الطبرى (١٤٠/١٢)، الماوردي والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٥٢، الزمخشري (٣٢٦/٢)، البيضاوى (٣٢٤/٣)، النسفي (٢٩٢/٣)، البقاعى (٤/٥٨)، الجلالين آية ٥٢، الشوكانى (٣/٣٤)، الألوسى (١٢/٢٦١).

القول الثالث : إنه من كلام العزيز وذكره ابن الجوزي^(١) ذكره بعد القولين .

قال ابن الجوزي : والثالث: أنه قول العزيز، والمعنى: ليعلم يوسف أنني لم أخنه بالغيب، فلم أغفل عن مجازاته على أمانته..

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- **أما القول الأول فهو ظاهر.**

- **وأما القول الثاني فلا يخفى ضعفه من تأمل في سياق الآيات .**

- **أما القول الثالث فهو بعيد لأن محور الكلام في هذه الحالة يدور بين الملك والنساء من غير حضور يوسف عليه السلام والعزيز .**

قال النحاس :.....عن ابن عباس^(٢) قال جمع فرعون^(٣) النسوة فقال لهن : أنت راودتن يوسف عن نفسه؟ فقلت امرأة العزيز ﴿أَلَمْ حَصَحَ الْحَقُّ أَنَّ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِمَنْ أَصْنَدِيقِينَ﴾ فقال يوسف عليه السلام ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ... وهذا كلام غامض عند أهل العربية لأن كلام يوسف عليه السلام مختلط بما قبله وغير منفصل منه ...^(٤)

وقال ابن الجوزي : واحتلقو في القائل لهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوسف، وهو من أغمض ما يأتي من الكلام أن تحكي عن شخص شيئاً ثم تصله بالحكاية عن آخر..

وقال ابن تيمية : وقد قال كثير من المفسرين : إن هذا من كلام يوسف عليه السلام، ومنهم من لم يذكر إلا هذا القول،^(٥) وهو قول في غاية الفساد ، ولا دليل

١ - زاد المسير (٤/١٨٢).

٢ - وسنده قال: روى إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس، قال:...

٣ - يقصد الملك وعبر عنه بفرعون من باب إطلاق الاسم على كل ملك.

٤ - معاني القرآن (١/٥٤٧).

٥ - وقد سبق ذكرهم عند القول الثاني أما الماوردي وابن عطية والرازي والقرطبي وابن جزي =

"عليه بل الأدلة تدل على تقديره".

الرجح:

يترجح القول إنه من كلام امرأة العزيز، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق؛ فالحوار بين الملك والنساء ومنهن امرأة العزيز ؛ والسؤال متوجه من الملك إلى النساء ومنهن امرأة العزيز ؛ فالجواب قطعاً يكون من النساء ومنهن امراة العزيز فيما يخصهن ؛ وامرأة الـ عزيز عليها قدر كبير من الجواب بحجم القضية والمكيدة المدبرة .

قال ابن كثير : "والقول الأول أقوى وأظهر، لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضورة الملك، ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك".

والله تعالى أعلم

=
والخازن فقد ذكروا القولين انظر تفاسيرهم آية ٥٢. وابن الجوزي ذكر ثلاثة أقوال كما سبق بيانه .

قال تعالى ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَرَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظَ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥].

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بقوله «إِنِّي حَفِظَ عَلِيمٌ»؟

قال أبو حيان : " فقال: اجعلني على خزائن الأرض أي : ولني خزائن أرضك إني حفظ أحفظ ما تستحفظه، علیم بوجوه التصرف . وصف نفسه بالأمانة والكفاءة وهمما مقصود الملو ك من يولونه، إذ هما يعمان وجوه الشقيف والحياطة، ولا خلل معهما لقائل . وقيل: حفظ للحساب، علیم بالألسن. وقيل: حفظ لما استودعني، علیم ببني الجوع . وهذا التخصيص لا وجه له".

الدراسة :

في المسألة سبعة أقوال :

القول الأول : المراد حفظ أحفظ ما تستحفظه، علیم بوجوه التصرف . وهو قول كثير من المفسرين،^(□) واختاره أبو حيان^(□).

قال الزمخشري : "أمين أحفظ ما تستحفظني، عالم بوجوه التصرف.

وقال البيضاوي : "إِنِّي حَفِظْ لِهَا مَنْ لَا يَسْتَحْقِهَا. عَلِيمٌ بِوُجُوهِ التَّصْرِيفِ".

وقال النسفي : "أمين أحفظ ما تستحفظني، عَلِيمٌ عالم بوجوه التصرف."

القول الثاني: المراد حفظ للحساب، علیم بالألسن. ذكره الطبری^(□).

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٣٠) (٣١٨/٥).

٢ - الزمخشري (٣٢٨/٢)، البيضاوي (٣٢٦/٣)، النسفي (٢٩٥/٣)، أبي السعود (٢٨٤/٤)، الألوسي (٩/٣١). ابن عاشور (٧/١٣).

٣ - ووجه اختياره رد القولين الآخرين الدالين على التخصيص .

٤ - جامع البيان (٤/١٣). عن الأشجاعي، عبيد الله بن عبيد الرحمن، أبو عبد الرحمن الكوفي، =

قال الطبرى: "... عن الأشجعى ^(□) إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ: حافظ للحساب، علیم بالألسن".

القول الثالث : المراد حفيظ لما استودعتني، علیم ببني الجوع ، ذكره ^(□) الطبرى.

قال الطبرى: "... عن شيبة الضبى ^(□) في قوله: إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ يقول: إِنِّي حَفِيظٌ لِمَا اسْتُوْدِعْتِي، عَلِيمٌ بِبَنِي الْمَجَاهِةِ".

القول الرابع : المراد حفيظ لما استودعتني علیم بما وليتني . قاله ابن إسحاق ورجحه الطبرى .

قال الطبرى: "أولى القولين عندنا بالصواب، قول من قال : معنى ذلك: إِنِّي حَفِيظٌ لِمَا اسْتُوْدِعْتِي، عَالَمٌ بِمَا أَوْلَيْتِي، لَأَنَّ ذَلِكَ عَقِيبَ قَوْلِهِ: اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَمَسَأْلَتِهِ الْمُلْكُ اسْتَكْفِلَةُ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَكَانَ إِعْلَامُهُ بِأَنَّهُ عَنْهُ خَبْرٌ فِي ذَلِكَ، وَكَفَى يَتَّهِيَ إِيَّاهُ، أَشْبَهُ مِنْ إِعْلَامِهِ حَفْظَهُ الْحَسَابَ وَمَعْرِفَتَهُ بِالْأَلْسُنِ".

القول الخامس : المراد حفيظ لما وليت ، علیم بأمره قاله قتادة كما ذكر ^(□) الطبرى وهو قول الواحدى والقرطبي .

قال الواحدى: "قال قتادة حفيظ لما وليت ، علیم بأمره .
وقال القرطبي: "المراد حفيظ لما وليت ، علیم بأمره .."

الحافظ، الثبت، الإمام، توفي سنة ١٨٢هـ. تاريخ بغداد (٣١١/١٠)، سير أعلام النبلاء (٥١٤/٨)، تهذيب التهذيب (٣٤/٧).

١ - وسنده قال: "حدثنا ابن وكيع، قال: ثقة عمرو، عن الأشجعى".

٢ - جامع البيان (٤/١٣). عن شيبة بن نعامة الضبى ، أبو نعامة ضعيف الحديث لا يحتاج به، انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/٣٣٥)، ميزان الاعتدال (١/٤٥٢)، لسان الميزان (٣/١٥٩).

٣ - وسنده قال: "حدثنا ابن حميد، قال: ثنا إبراهيم بن المختار، عن شيبة الضبى".

٤ - الواحدى في الوسيط (٢/٦١٨). والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/٢١٢).

القول السادس : المراد حافظ للأموال وأعلم الموضع التي يجب أن أجعلها فيها. وهو قول النحاس والشوکانی ^(□).

قال النحاس : أي حافظ للأموال وأعلم الموضع التي يجب أن أجعلها فيها.
وقال الشوکانی : إني حفيظ لما جعلته إلى من حفظ الأموال لا أخرجها في غير خارجها، ولا أصرفها في غير مصارفها . علیم بوجود جمعها وتفريقها ومدخلها ومحركها.

القول السابع : المراد حفيظ أي خازن أمين، علیم ذو علم وبصيرة بما يتولاه. وهو قول ابن كثير ^(□).

قال ابن كثير : حفيظ أي خازن أمين، علیم ذو علم وبصيرة بما يتولاه.
ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

أن الأقوال متقاربة ومدارها على معنى الحفظ والمع لم فمنها ما خصص ببني الجاعة، ومنها ما هو أعم من ذلك ، والخاص يندرج تحت العام.

الترجح:

يترجح أن المراد هو عموم لفظ حفيظ وعلیم في كل ما يطلق عليه من أمور فيها صلاح حالم ومعاشهم . وكل ما عبر عنه المفسرون مما يدل على العموم فهو صالح للدخول في مجال الحفظ والعلم دون تخصيص وجه من الوجوه .

قال ابن جزي : (إني حفيظ علیم) صفتان تعما وجوه المعرفة والضبط للخزائن ، وقيل : حفيظ للحساب علیم بالألسن ، واللفظ أعم من ذلك .
ولموافقته قاعدة الترجح: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ^(□).

١ - النحاس في معاني القرآن (٥٤٨/١)، والشوکانی في فتح القدیر (٣٤/٣).

٢ - التفسير (٣٣٨/٤).

٣ - التسهيل (٢٢٣/٢).

٤ - قواعد الترجح (٥٢٧/٢).

وإلهٗ تَعَالَى أَعْلَم

قال تعالى ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ، فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا نَقْرَبُونَ﴾ [٦٠].

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما الداعي لفعل يوسف مع إخوته ؟

قال أبو حيان : " وظاهر كل ما فعله يوسف الصلحة معهم أنه بوحى، وإلا فإنه كان مقتضى البر أن يبادر إلى أبيه ويستدعيه، لكن الله تعالى أراد تكميل أجر يعقوب ومحنته: ولتفسر الرؤيا الأولى." (□)
الدراسة (□) :

في المسألة قولان:

القول الأول : إن فعله كان بوحى من الله . وهو قول ابن عطية والقرطبي
والألوسي (□) واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية : " وظاهر كل ما فعله يوسف الصلحة معهم أنه بوحى وأمر
إلا فكان بر يعقوب يقتضي أن يبادر إليه ويستدعيه، لكن الله تعالى أعلم بما
يصنع ليكمل أجر يعقوب ومحنته وتفسر الرؤيا الأولى".

وقال القرطبي : " مسألة: إن قيل: كيف استجاز يوسف الصلحة إدخال الحزن
على أبيه بطلب أخيه؟ قيل له : عن هذا أربعة أجوبة: أحدها: يجوز أن يكون
الله عَزَّ ذِلْكَ أمره بذلك ابتلاء ليعقوب الصلحة، ليعظم له الثواب؛ فاتبع أمره فيه .

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ٢٣٢) (٣١٩/٥).

٢ - تطرق إلى هذه المسألة قليل من المفسرين.

٣ - ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٥٧/٣)، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٢١/٩)، الألوسي في روح المعاني (١١/٣١).

الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف عليهما السلام. الثالث: لتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه . الرابع: ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته؛ لميل كان منه إليه؛ والأول أظهر، و الله أعلم..

وقال الألوسي: والظاهر أن ما فعله معهم كان بوحى وإلا فالبر يقتضي أن يبادر إلى أبيه ويستدعيه لكن الله سبحانه أراد تكميل أجر يعقوب في محتته وهو الفعال لما يريد في خلائقه..

القول الثاني: إن فعله كان باجتهد منه. وأشار إليه القرطبي كما تقدم.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو ظاهر.
- وأما الأقوال أو الاحتمالات الأخرى التي ذكرها القرطبي سابقا، وكلها احتمالات بعيدة لا تؤيدها القراءن.

الرجح :

يترجح أن ما فعله يوسف كان بوحى من الله تعالى. وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لوجود قرائن تؤيدوه وهي :

١. معرفة يوسف مدى تعلق أبيه يعقوب بأخيه فكيف يطلب منهم إحضاره معهم.
 ٢. البر يستدعي أن يبادر بإحضار والده لا زيادة البلاء وأنخذ ابنه منه .
 ٣. تحقيق قدر الله في تحقق الرؤيا الأولى .
- والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَأَبَّانَا مُنْعَ مِنَ الْكَيْلِ فَأَرْسَلَ مَعَنَّا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [يوسف: ٦٣].

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المشار في قوله ﴿ مُنْعَ مِنَ الْكَيْلِ ﴾ ؟

قال أبو حيان : " وقولهم: (منع منا الكيل)، إشارة إلى قول يوسف ﷺ: فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي . ويكون منع يراد به في المستأنف، وإن فقد كيل لهم . وجاؤوا أباهم بالميرة، لكن لما أنذروا منع الكيل قالوا : منع . وقيل: أشاروا إلى بعير بنiamin الذي منع من الميرة، وهذا أولى بحمل منع على الماضي حقيقة، ولقولهم : فأرسل معنا أخانا نكتل ، ويقويه قراءة يكتل بالياء أي: يكتل أخونا، فإنما منع كيل بغيره لغيبته، أو يك ن سبب للاكتيال. فإن امتناعه في المستقبل بسبب وهي قراءة الأخرين .".

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إشارة إلى قول يوسف ﷺ: فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي. ويكون منع يراد به في المستأنف أو المستقبل قاله السدي و ابن إسحاق . وهو قول بعض المفسرين .

قال الماوردي: ﴿ قَالُوا يَتَأَبَّانَا مُنْعَ مِنَ الْكَيْلِ ﴾ أي سيمنع منا الكيل إن عدنا

١ - قال ابن الجزري في النشر (٢٢٢/٢): " وخالفوا في (نكتل) فقرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء وقرأ الباقون بالنون ". والأخوان هما: حمزة والكسائي. البدور الزاهرة ص ١١.

٢ - البحر الحيط (ح ٥/٥ ل ٢٣٢) (٣٢٠/٥). في المطبع: فإن امتناعه في المستقبل تشبيه.

٣ - انظر تفسير الطبرى جامع البيان (١٣/٧).

٤ - الماوردي آية ٦٣، الواحدى في الوسيط (٢/٦٢٠)، ابن عطية (٣/٢٥٨)، وابن جزي (٢/٢٢٥). وأشار إلى القول الزمخشري (٢/٣٣٠)، السفى (٢/٣٢٨).

بغير أخيانا لأن ملك مصر أزلمنا به وطلبه منا إما ليراه أو ليعرف صدقنا منه..

وقال الواحدي : "﴿فَالْوَلَا يَتَأْبَانَا مُنْعِ مِنَ الْكَيْلُ﴾ أي فيما يستقبل إن لم نأته بأخينا لقوله فلا كيل لكم عندي".

قال ابن عطية : وقوله ﴿مُنْعِ مِنَ﴾ ظاهره أنهم أشاروا إلى قوله : ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ [يوسف: ٦٠] فهو خوف في المستأنف؛ وقيل : أشاروا إلى بغير بنiamين - الذي لم يمتنع - والأول أرجح.

القول الثاني : أشاروا إلى بغير بنiamين الذي منع من الميرة ، وهو قول بعض المفسرين، □ واختاره أبو حيان .

قال البيضاوي : "﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيْمَهُمْ فَالْوَلَا يَتَأْبَانَا مُنْعِ مِنَ الْكَيْلُ﴾ حكم بمنعه بعد هذا إن لم نذهب بنiamين. ﴿فَأَرْسَلَ مَعَّا أَخَانَا نَكْتَلَ﴾ نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه . وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ أي يكتل لنفسه فيرضم اكتياله إلى اكتيالنا".

وقال ابن كثير : يعنيون بعد هذه المرة، إن لم ترسل معنا أخانا بنiamين لا نكتل، فأرسله معنا نكتل، وإنما له لحافظون، قرأ بعضهم بالياء أي يكتل هو.

وقال البقاعي : قوله: ﴿مُنْعِ مِنَ الْكَيْلُ﴾ لأنينا بنiamين على بغيره لغيبته. نلاحظ مما سبق ما يلي:

كلا القولين يدلان على معنى المنع سواء في الحاضر أو المستقبل والسبب عدم حضور أخيهم معهم .

الترجح:

١ - البيضاوي (٢٩٧/٣)، ابن كثير (٤/٣٤١)، البقاعي (٤/٦٥)، الجلالين آية ٦٣، أبي السعود (٤/٢٨٤)، الشوكاني (٣٦/٣)، وابن عاشور (١٣/١٥).

كلا المعنين المشار إليهما صحيح وذلك:

١. لتأييد كل قول بقراءة صحيحة ودلالة الآية عليه.

قال الطبرى : واختلفت القراء في قراءة قوله: **نَكْتَلُ**، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل مكة والковفة **نَكْتَلُ** بالنون، بمعنى : نكتل نحن وهو. وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة : **(يَكْتَلُ)** بالياء، بمعنى يكتل هو لنفسه كما نكتال لأنفسنا .

والصواب من القول في ذلك : أنهم قراءتان معروفتان متفقتا المعنى، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب الصواب . وذلك أنهم إنما أخبروا أبناءهم أنه منع منهم زيادة الكيل على عدد رؤوسهم، فقالوا: ﴿مُنِعَ مِنَا الْكَيْلُ﴾ ثم سأله أن يرسل معهم أخاهم ليكتال لنفسه، فهو إذاً اكتال لنفسه واكتالوا هم لأنفسهم، فقد دخل الأخ في عددهم . فسواء كان الخبر بذلك عن خاصة نفسه، أو عن جميعهم بلفظ الجميع، إذ كان مفهوماً معنى الكلام وما أريد به. □ .

وقال الرازى : ثم إنه تعالى حكى عنهم أنهم لما رجعوا إلى أبيهم قالوا : ﴿قَالُوا يَتَأَبَّا إِنَّا مُنِعْ مِنَا الْكَيْلُ﴾ وفيه قولهن: الأول: أنهم لما طلبوا الطعام لأبيهم وللأخ الباقي عنده منعوا منه، فقولهم: ﴿وَأُوفُوا الْكَيْلَ﴾ إشارة إليه . والثاني: أنه منع الكيل في المستقبل وهو إشارة إلى قول يوسف عليه السلام: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِ بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ [يوسف: ٦٠] والدليل على أن المراد بذلك قولهم: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَل﴾ قرأ حمزه والكسائي : بالياء، والباقيون بالنون،

والقراءة الأولى تقوى القول الأول، والقراءة الثانية تقوى القول الثاني. □

١ - جامع البيان (١٣/٧).

٢ - مفاتيح الغيب (١٨/٤٨٠)، وكذا ذكر القولين البغوي آية ٦٣، ابن الجوزي (٤/١٨٩)، الخازن =

٣. ملحوظاته قاعدة الترجيح وهي : [الحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه].

والله تعالى أعلم

=
آية ٦٣.

١ - قواعد الترجيح (١٠٠/١).

قال تعالى ﴿قَالَ هَلْ ءَامْنَكُمْ عَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنَثْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].
في الآية مسألة واحدة وهي :

هل قوله (وهو خير الحافظين) قراءة أم تفسير ؟

قال أبو حيان : " وقال ابن عطية : وقرأ ابن مسعود، فالله خير حافظاً وهو خير الحافظين .^(□) وينبغي أن تجعل هذه الجملة تفسيراً لقوله : فالله خير حافظاً، وهو خير الحافظين. لا أنها قرآن.^(□)

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول : إن قوله : (وهو خير الحافظين) قراءة . وهو قول الفراء والزمخشري^(□) وعزرا القراءة لأبي هريرة .

قال القراء : "... وهي في قراءة عبدالله (والله خير الحافظين). وهذا شاهد للوجهين جميماً"

وقال الزمخشري : " وقرأ أبو هريرة : (خير الحافظين). وكذا نقله عنه أبو حيان .

القول الثاني : إن قوله (وهو خير الحافظين) تفسير لا قراءة، وهو قول أبي حيان وتبعه الألوسي^(□) .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

أما القول الأول فهو بعيد عن كونه قراءة^(□) وإنما هو تفسير لما قبله .

١ - المحرر الوجيز (٣/٢٥٩).

٢ - البحر المحيط (٥/٥) (٢٣٢) (٣٢٠).

٣ - القراء (٢/٤٩)، الزمخشري (٢/٣٣٠).

٤ - روح المعاني (٣١/٤٢).

٥ - ولم أجدها في كتب القراءات الشاذة. وقد سبق بيان مثل هذا عند آية (٣٦) من سورة يوسف

الرجح:

يجب القول إن قوله (وهو خير الحافظين) تفسير لا قراءة، وهو اختيار أبي حيان.

قال ابن عطية : "قرأ ابن مسعود: (فالله خير حافظ وهو خير الحافظين) وفي هذا بعد .

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا فَتَحْنَا مَتَعْهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتْهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَأْبَانَا مَا بَغَى هَذِهِ بِضَعْنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظْ أَخَانَا وَنَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ [يوسف: ٦٥].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ ؟

قال أبو حيان : "والظاهر إنّ البعير هو من الإبل . وقال مجاهد: كيل حمار، قال: وبعض العرب تقول للحمار: بعير، وهذا شاذ." □ .

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول: المراد حمل بعير، والبعير من الإبل. قاله ابن جريج وابن إسحاق وهو قول كثير من المفسرين، □ و اختاره أبو حيان .

قال الطبرى : " قوله: ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ يقول: ونطلب لأهلنا طعاما فنشتريه له... ﴿ وَنَحْفَظْ أَخَانَا ﴾ الذي ترسله معنا ﴿ وَنَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ يقول: وننذداد على أحمالنا من الطعام حمل بعير يكال لنا ما حمل بعير آخر من إبلنا ، ﴿ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ يقول: هذا حمل يسير."

وقال البغوى: " ﴿ وَنَزَدَادُ ﴾ على أحملنا ﴿ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ أي: حمل بعير يكال لنا من أجله لأنّه كان يعطي باسم كلّ رجل حمل بعير ."

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٢٣٣) (٣٢١ / ٥).

٢ - الطبرى (٩ / ١٣)، البغوى آية ٦٥، ابن عطية (٣ / ٢٥٩)، ابن كثير (٤ / ٣٦)، أبي السعود (٤ / ٢٨٤)، الشوكاني (٣ / ٣٦)، الألوسي (٣١ / ٥٢).

وقال ابن عطية : " وقوهم: ﴿وَنَزَدَ أُكَيْلَ بَعِيرٍ﴾ يريدون بغير أخيهم ."
القول الثاني: المراد حمل حمار قاله مجاهد . وذكره عنه بعض المفسرين .^(□)

قال الطبرى : "... قال مجاهد: ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ حمل حمار . قال: وهي لغة..."
وقال ابن كثير: " وقال مجاهد: حمل حمار، وقد يسمى في بعض اللغات بعيراً ."

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلى:

- أما القول : إنّ البعير هو من الإبل ، فهذا هو المعروف .
 - وأما القول الثاني فلا يخفى ضعفه كما ذكر ذلك ابن عطية وأبو حيان .
- قال النحاس: " فأما أهل اللغة فلا يعرفون أنه يقال للحمار بعير ، والله أعلم
 بما أراد .^(□)

وقال ابن عطية : " وقال مجاهد: ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ أراد كيل حمار . قال: وبعض
 العرب يقول للحمار بعير... وهذا شاذ .."

الترجح:

يترجح أن المراد كيل بعير من الأبل ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه ،
 وذلك:

١. لأنّه [يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ
 والضعيف والمنكر].[□] وهذه قاعدة مهمة من قواعد الترجح .

قال البغوي : "... والأول أصح أنه البعير المعروف ."

والله تعالى أعلم

١ - الطبرى (١٣/٩)، ابن كثير (٤/٣٦)، أبي السعود (٤/٢٨٤)، الشوكانى (٣/٣٦)، الألوسي (٣١/٥٢).

٢ - معانى القرآن (١/٥٤٩).

٣ - قواعد الترجح (٢/٣٦٩).

المسألة الثانية

من قائل ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر أن قوله : ذلك كيل يسير، من كلامهم لا من كلام يعقوب العليل.^(□)

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول : إنه من كلام إخوة يوسف العليل، وقد أشار إليه كثير من المفسرين،^(□) واختاره أبو حيان .

قال الواحدي : ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ﴾ ما حملوه من مصر ﴿وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتِ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَانَا مَا نَبْغِي﴾ منك شيئاً ترددنا به وتصرفنا إلى مصر ﴿هَذِهِ بِضَعَتَنَا رُدَّتِ إِلَيْنَا﴾ فنتصرف بها ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نجلب إليهم الطعام ﴿وَنَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ نزيد حِمل بعير من الطعام ، لأنّه كان يُكال لكل رجل وقر بعير ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ متيسّر على من يكيل لنا لسخائه.

وقال البغوي : ﴿وَنَزَادُ﴾ على أحملنا ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ أي: حمل بعير يكال لنا من أجله لأنّه كان يعطي باسم كل رجل حمل بعير ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي: ما حملنا قليل لا يكفيانا وأهلنا.

القول الثاني : إنه من كلام يعقوب العليل، ذكره الزمخشري والبيضاوي

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٣٣) (٣٢١/٥).

٢ - الطبرى (٩/١٣)، الواحدي في الوجيز آية ٦٥، البغوي آية ٦٥، وابن عطية (٢٥٩/٣)، وابن الجوزي (٤/١٩٠)، الرازى (٤٨١/١٨)، القرطبي (٢٢٣/٩)، والنسفى (٣٢٩/٢)، الخازن آية ٦٥، وابن جزي (٢٢٥/٢)، الجلالين آية ٦٥، الشوكانى (٣٦/٣).

والألوسي (□).

قال الزمخشري : "ويجوز أن يكون من كلام يعقوب اللعنة الله علية، وأن حمل بغير واحد شيء يسير لا يخاطر مثله بالولد."

وقال البيضاوي : "وقيل إنه من كلام يعقوب اللعنة الله علية ومعناه، إن حمل بغير شيء يسير لا يخاطر مثله بالولد."

وقال الألوسي : "وجوز بعضهم كون ذلك من كلام يعقوب اللعنة الله علية والإشارة إلى كيل البعير أي كيل بغير واحد شيء قليل لا يخاطر مثله بالولد."

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول الأول : فهو ظاهر.
- أما القول الثاني : فهو بعيد بدلالة السياق ، وعلى فرض صح أنه كان الظاهر على هذا ذكره مع كلامه - أي كلام يعقوب اللعنة الله علية - السابق أو اللاحق.

الترجح:

يترجح القول إنه من كلام إخوة يوسف اللعنة الله علية، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة السياق فالحديث من أول الآية من كلامهم افتح بـ (قالوا) وأخذوا يسردون ماحدث لهم من رد البضاعة معهم وطلبوها منه أن يرسل معهم أخاهم وأوضحاوا سبب هذا الطلب ...، فكيف يقول لهم يعقوب اللعنة الله علية إنه كيل قليل في مقابل المشقة عليه في فراق ابنه وعلى ابنه بطول مسافة السفر وهم في عصر قلة طعام وحاجة.
٢. لأنه ظاهر الآية والمتبادر إليه عند سماعها

١ - الزمخشري (٢٣١/٢)، البيضاوي (٢٩٨/٣)، الألوسي (٥٢/٣١).

٣. موافق للنحو القرآني في سرد الحدث والمقال.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَمَا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُعْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَمَنَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٦٨]

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَمَنَهُ ﴾ ؟

قال أبو حيان : ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ ﴾ يعني لقوله: إن الحكم إلا لله، وما بعده وعلمه بأنّ القدر لا يدفعه الحذر . وهذا ثناء من الله على يعقوب عليه السلام . وقال قتادة: لعامل بما علمناه . وقال سفيان: من لا يعمل لا يكون عالماً، ولفظة ذو علم لا تساعد على هذا التفسير وإن كان صحيحاً في نفسه.

الدراسة :

في الآية أربعة أقوال:

القول الأول : إن يعقوب لذو علم لما علمه الله تعالى، وإليه أشار كثير من المفسرين. □ واختاره أبو حيان .

قال الفراء: يقول: إنه لذو علم لتعلمنا إياه .

وقال الطبرى: وإن يعقوب لذو علم لتعلمنا إياه .

وقال البغوى: كان يعمل ما يعمل عن علم لا عن جهل ﴿ لِمَا عَلَمَنَهُ ﴾ أي: لتعلمنا إياه .

١ - البحر المحيط (٢٢٣/٥) وهذا الترجيح ساقط من النسخة الخطية، ووجه اختياره أنه وجّه القول الثاني بأنه لا يندرج في لفظة ذو علم .

٢ - الفراء (٥٠/٢)، الطبرى (١٠/١٣)، الماوردي والبغوى آية ٦٥، ابن عطية (٣/٢٦٢)، ابن الجوزى (٤/١٩٠)، البيضاوى (٢/٢٩٨)، ابن كثير (٤/٣٤٢)، الخازن آية ٦٥، أبو السعود (٤/٢٨٤)، الألوسي (٣١/٦٢)، ابن عاشور (١٢/٢٤).

القول الثاني : أن يعقوب لعامل بما علمه الله تعالى، قاله قتادة وذكره بعض المفسرين.

قال الطبرى : "... عن قتادة ^(□): ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَمَنَاهُ﴾ قال: إنه لعامل بما علم.

وقال ابن عطية : "وقيل: معناه: إنه لعامل بما علمتناه - قاله قتادة - وقال سفيان: من لا يعمل لا يكون عالماً."

وقال القرطبي : "﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ أي عمل؛ فإن العلم أول أسباب العمل، فسمى بما هو بسببه."

القول الثالث: إن يعقوب ^{العليّة} لذو يقين ومعرفة بالله، قاله الضحاك، وذكره الماوردي والواحدى وابن الجوزي ^(□).

قال الماوردي - بعد أن ذكر أن فيه ثلاثة أوجه - الثاني : لم تيقن بوعدنا، وهو معنى قول الضحاك.

وقال الواحدى : "﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَمَنَاهُ﴾ لذو يقين ومعرفة بالله سبحانه."

وقال ابن الجوزي - بعد أن ذكر أن فيه سبعة أقوال - الرابع : وإن لم تيقن بوعدنا، قاله الضحاك.

١ - الطبرى (١٣/١٠)، ابن عطية (٣/٢٦٢)، القرطبي (٩/٢٢٨)، الخازن آية ٦٥، الألوysi (٣١/٦٢).

٢ - وسنه قال: "فحدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة..."

٣ - الماوردى آية ٦٨، الواحدى في الوسيط (٢/٦٢)، ابن الجوزى (٤/١٩٠).

٤ - والأقوال التي ذكرها مدارها على الأقوال الأربع المذكورة في المسألة . قال ابن الجوزى : "فيه سبعة أقوال:

أحدها: إنه حافظ لما علمناه ، والثانى: وإنه لذو علم أن دخلوهم من أبواب متفرقة لا يغنى عنهم من الله شيئاً،

والثالث: إنه لعامل بما علم ، والرابع: وإن لم تيقن بوعدنا ، والخامس: وإنه لحافظ لوصيتنا ،

القول الرابع : إن يعقوب العليل لحافظ، ذكره الماوردي والبغوي وابن الجوزي (□).

قال الماوردي : الثالث: إنه لحافظ لوصيتنا، وهو معنى قول الكلبي.

وقال البغوي : وقيل: وإنه لذو حفظ لما علّمه.

وقال ابن الجوزي : أحدها: إنه حافظ لما علمناه، قاله أبو صالح عن ابن

عباس... الخامس: وإنه لحافظ لوصيتنا، قاله ابن السائب...

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو الظاهر من معنى الآية.
- وأما القول الثاني فهو صحيح المعنى ولكن لا يدخل في مفهوم لفظ ذو علم وأئمـا العمل يتبع العلم. وقد نقل الاختلاف فيه عن قتادة.

قال الطبرـي : واختلف عن قتادة في ذلك:

...عن قتادة، قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمَنَاهُ﴾: أي مما علمناه..

...عن قتادة: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمَنَاهُ﴾ قال: إنه لعامل بما علم..

وقال ابن عطـية - بعد ذكره قول قتادة - : " وهذا لا يعطيه اللفظ ، أما إنه صحيح في نفسه يرجحه المعنى ، وما تقتضيه منزلة يعقوب العليل".

- وأما القول الثالث والرابع فإنهما يندرجان في القول الأول فالآيـنـ والحفظ من العلم .

والسادس: وإنه لعلم بما علمناه أنه لا يصيـبـ بنـيهـ إـلاـ ما قـضاـهـ اللهـ، والسـابـعـ: وإنـهـ لـذـوـ عـلـمـ لـتـعـلـيمـناـ إـيـاهـ . أـهـ بـاختـصارـ.

١ - الماوردي آية ٦٨، البغوي آية ٦٨، ابن الجوزي (٤/١٩٠).

الترجح:

يترجح القول: إن يعقوب عليهما السلام ذو علم لما علمه الله تعالى، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك :

١. لدلالة السياق فما فعله يعقوب ظاهره أنه عن علم من لدن عليم حكيم.

٢. مناسبة اللفظ لختام الآية قال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلِمَنَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٨]. فالله تعالى أثني على يعقوب بأنه ذو علم في مقابل أكثرية من الناس لا يعلمون فأي ثناء أعظم منه ومن من؟!؟!

قال ابن عطية: "ثم أثني الله عز وجل على يعقوب بأنه لقن ما علمه الله من هذا المعنى، واندرج غير ذلك في العموم وقال إن أكثر الناس ليس كذلك".
والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف: ٦٩].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

ما المراد بقوله : «أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ» ؟
 قال أبو حيان : وعن ابن عباس : تعرف إليه أنه أخوه، وهو الظاهر. وهو
 قول ابن إسحاق وغيره. □

الدراسة:

في المسألة قوله :

القول الأول: إنه تعرف إليه أنه أخوه، وهو قول كثير من المفسرين، □ واختاره أبو حيان.

قال البغوي: «أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ» أي: ضم إليه أخاه فلما خلا به ... قام إليه وعانقه وقال له: «قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ».

وقال الزمخشري: ضم إليه بنiamin... قال له «إِنِّي أَنَا أَخُوكَ» يوسف.

وقال الرازي: قام إليه وعانقه وقال: «إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

القول الثاني : أخبره إنه أخوه في الود مقام أخيه الذاهب، ولم يكشف إليه

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٣٤) (٣٢٥/٥). وانظر الروايات في جامع البيان للطبراني (١١/١٣).

٢ - البغوي آية ٦٩، الزمخشري (٢٣٣/٢)، الرازي (٤٨٧/١٨)، القرطبي (٢٢٨/٩)، النسفي (٣٣١/٢)، ابن كثير (٤/٢٤٣)، الحازن آية ٦٩، البقاعي (٤/٧٥)، الألوسي (٣١/٧٢)، ابن عاشور (٢٦/١٣).

الأمر، بل تركه تجوز عليه الحيلة كسائر إخوته ، قاله وهب بن منبه ^(□)؛ وقد ذكره بعض من المفسرين.

قال الطبرى: "يقول: وسئل عن قول يوسف : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَسِّعْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ كيف أجابه حين أخذ بالصواع، وقد كان أخبره أنه أخوه وأنتم تزعمون أنه لم ينزل متنكراً لهم يكايدهم، حتى رجعوا، فقال: إنه لم يعترف له بالنسبة، ولكنه قال: أنا أخوك مكان أخيك الهاulk، ﴿ فَلَا تَبْتَسِّعْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يقول: لا يحزنك مكانه."

وقال الماوردي: "إنه قال له: أنا أخوك مكان أخيك الهاulk، قاله وهب ."

وقال ابن عطية: "وقال وهب بن منبه : إنما أخبره أنه أخوه في الود مقام أخيه الذاهب، ولم يكشف إليه الأمر بل تركه تجوز عليه الحيلة كسائر إخوته.." نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول : فهو الظاهر.
- وأما القول الثاني : فهو مخالف لظاهر القرآن.

الترجح:

يترجح القول أن يوسف عرف نفسه إلى أخيه بأنه يوسف، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

١ - وهب بن منبه بن كامل ، أبو عبد الله الأبناوي، اليماني الدماري الصناعي، أخو همام، العلامة الأخباري القصصي، توفي سنة ١١٣هـ. طبقات بن سعد (٥٤٣/٥)، تاريخ البخاري (٦٤/٨)، سير أعلام النبلاء (٥٤٤/٤)

٢ - الطبرى (١١/١٣)، الماوردي آية ٦٩، ابن الجوزي (٤/١٩٣). وأبو حيان (٥/٣٢٥)، أبوالسعود (٤/٢٨٤).

١. ملؤافته لظاهر الآية .

٢. لأن يوسف ما كان ليفعل ما فعله مع أخيه وهو لم يعرفه بنفسه حقيقة لأن ذلك يدخل الرعب والخوف في نفس أخيه .

قال الرازي : " قوله: ﴿إِنِّي أَنَا أَخْوَكَ﴾ فيه قولان: قال وهب: لم يرد أنه أخوه من النسب، ولكن أراد به إني أ قوم لك مقام أخيك في الإيناس لئلا تستوحش بالتفرد . والصحيح ما عليه سائر المفسرين من أنه أراد تعريف النسب، لأن ذلك أقوى في إزالة الوحشة وحصول الأنس، ولأن الأصل في الكلام الحقيقة، فلا وجه لصرفه عنها إلى المجاز من غير ضرورة." ثم ما الداعي إلى عدم تعريفيه بنفسه حقيقة ؟

قال البقاعي : " هل أعلم بمنه أو كتم ذلك عنه كما فعل بسائر إخوته؟ فقيل: بل قال معلماً له، لأنه لا سبب يقتضي الكتم عنه."

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

على من يعود الضمير المرفوع في قوله : ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ؟ قال أبو حيان : "عن ابن عباس : يعرف إليه أنه أخوه، وهو الظاهر. وهو قول ابن إسحاق وغيره، أعلمه أنه أخوه حقيقة واستكتمه، وقال له : لا تبالي بكل ما تراه من المكرور في تحيلي في أخذك منهم . قال ابن عطية : "على هذا التأويل يحتمل أن يشير بقوله : بما كانوا يعملون إلى ما يعمله فتیان يوسف من أمر السقاية ونحو ذلك "□". ولا يحتمل ذلك لأنه لو كان التركيب بما يعملون بغير كان، لأمكن على بعده، لأن الكلام إنما هو مع أخوة يوسف . وأما ذكر فتیانه فبعيد جداً، لأنهم لم يتقدم لهم ذكر إلا في قوله : وقال لفتیانه، وقد حال بينهما قصص واتسق الكلام مع الأخوة اتساقاً لا ينبغي أن يعدل عن أن الضمير عائد إليهم، وأن ذلك إشارة إلى ما كان يلقى منهم قدماً من الأذى، إذ قد أمن من ذلك باجتماعه بأخيه يوسف ."

الدراسة:

في المسألة قوله :

القول الأول : إن المراد هم فتیان يوسف العليّة. وهو قول ابن عطية في أحد الاحتمالين وابن جزي.

قال ابن عطية : "على هذا التأويل يحتمل أن يشير بقوله : بما كانوا يعملون إلى ما يعمله فتیان يوسف العليّة من أمر السقاية ونحو ذلك .
وقال ابن جزي : "ويحتمل أن يكون لفتیانه."

١ - المحرر الوجيز (٣/٢٦٢).

٢ - البحر المحيط (٥/٥) (٣٢٥).

٣ - التسهيل (٢/٢).

□ القول الثاني : إن المراد هم إخوة يوسف الطهارة ، وهو قول أكثر المفسرين . واختاره أبو حيأن.

قال الطبرى : " فتاویل الكلام إذن : فلا تحزن ولا تستكن لشيء سلف من إخوتك إليك في نفسك وفي أخيك من أمك ، وما كانوا يفعلون قبل اليوم بك ."

وقال الماوردي : " ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ... بما فعلوه في الماضي بك وب أخيك ."

وقال الواحدي : " ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الحسد لنا ، وصرف وجه أبينا عنا ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي :

- أما القول الأول: فهو ضعيف، وقد قاله ابن عطية على سبيل الاحتمال، وقد يتadar إلى الذهن لأول وهلة لكن بعد إمعان النظر يتبيّن بعده.

قال الألوسي -بعد أن ذكر احتمال ابن عطية - "... وهو لعمري مما لا يكاد يقول به من له أدنى معرفة بأساليب الكلام ."

- وأما القول الثاني: فهو الظاهر.

الترجح:

يترجح القول بأن المراد هم إخوة يوسف، وهو اختيار أبي حيأن ومن وافقه، وذلك :

١. لفظ (لاتبتئس) ومعناها لا تحزن ولا تغتم وكيف يحزن بشيء سيفعله أخوه يوسف الطهارة مما يزيد في قربه منه والمكوث عنده .

١- الطبرى (١١/١٣)، الماوردي آية ٦٩، الواحدي في الوجيز والبغوي آية ٦٩، الزمخشري (٢٣٣/٢)، ابن عطية (٢٦٢/٣)، ابن الجوزي (٤/١٩٤)، الرازى (١٨/٤٨٧)، القرطبي (٩/٢٢٨)، البيضاوى (٣/٢٩٨)، ابن جزي (٢٢٦/٢)، الخازن آية ٦٩، ابن كثير (٤/٢٤٣)، البقاعي (٤/٧٥)، الجلالين آية ٦٩، أبي السعود (٤/٢٨٤)، الشوكاني (٣/٤٠)، الألوسي (٣١/٧٢). ابن عاشور (١٣/٢٦).

٢. عود الضمير إلى أقرب مذكور، وهم إخوة يوسف أما الفتىان فتقديم ذكرهم.

قال ابن عاشور : " والضميران في ﴿كَانُوا﴾ و﴿يَعْمَلُونَ﴾ راجعان إلى إخوتهما بقرينة المقام، وأراد بذلك ما كان يجده أخوه (بنيامين) من الحزن هلاك أخيه الشقيق وفظاظة إخوته وغيرتهم منه".

٣. لفظ (كانوا) الدالة على الماضي، وليس فيها دلالة على فعل مستقبل.
والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَهَرَهُمْ بِعَهَازِهِمْ جَعَلَ الْسِقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتَهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠].
في الآية ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى

من الذي جعل السقاية في رحل أخيه يوسف ؟

قال أبو حيان : "والظاهر إنَّ الذي جعل السقاية في رحل أخيه هو يوسف العليّة، ويظهر من حيث كونه ملكاً أنه لم يباشر ذلك بنفسه، بل جعل غيره من فتيانه، أو غيرهم أن يجعلها." (□)

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إنَّ الذي جعل السقاية في رحل أخيه هو يوسف العليّة، أشار إلى ذلك بعض من المفسرين. (□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : "وقوله: ﴿جَعَلَ الْسِقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ يقول: جعل الإناء الذي يكيل به الطعام في رحل أخيه."

وقال ابن عطية : "وقيل: إنما أوحى إلى يوسف أن يجعل السقاية فقط."

وقال ابن الجوزى : "قال المفسرون: أوفي لهم الكيل، وحمل لـ (بنيامين) بغيراً باسمه كما حمل لهم، وجعل السقاية في رحل أخيه، وهي الصواع."

القول الثاني: إنَّ الذي جعل السقاية في رحل أخيه هـ م فتيان يوسف العليّة، وهو قول بعض المفسرين. (□)

١ - البحر المحيط (ح/٥/٢٣٥). (٣٢٥/٥).

٢ - الطبرى (١١/١٣)، الماوردي و البغوى آية ٧٠، ابن عطية (٢٦٣/٣)، ابن الجوزى (١٩٤/٤)، البيضاوى (٢٩٨/٣)، و صرح بذلك الشوكاني (٤٠/٣) والألوسي (٧٢/٣١).

٣ - ابن عطية (٢٦٣/٣)، ابن كثير (٣٤٣/٤)، والألوسي (٧٢/٣١).

وقال ابن عطية : "وقوله: ﴿جعل﴾ أي بأمره خدمته وفتیانه،"
وقال ابن كثير : لما جهزهم وحمل لهم أبعرتهم طعاماً، أمر بعض فتيانه أن يضع السقاية."

وقال الألوسي : ويظهر من حيث كونه ملكاً أنه لم يباشر العمل بنفسه بل أمر أحداً فجعلها ﴿في رحل أخيه﴾ بنiamin من حيث يشعر أو لا يشعر.
نلاحظ مما سبق : أن القول الثاني بعيد وذلك لخالفته ظاهر الآية ، ولكون الأمر بينه وأخيه ومن غير المستحسن أن يطلع عليه أحد ولو كانوا فتيانه .

الترجح:

يترجح القول إنَّ الذي جعل السقاية في رحل أخيه هو يوسف عليه السلام، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:
 ١. لموافقته ظاهر الآية.
 ٢. لموافقته قاعدة الترجح وهي : [لايجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل]^(□).

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجح (١٧٣/١).

المسألة الثانية

من الأمر بالتأذين؟

قال أبو حيان: "والذي يظهر إن تأذين المؤذن كان عن أمر يوسف عليه السلام".^(١)

في المسألة قوله:

القول الأول: إن الأمر هو يوسف عليه السلام، ذكره الماوردي والنسيفي.^(٢) واختاره أبو حيان.

قال الماوردي - بعد أن ذكر فيه أربعة أقوال -: "والثالث: أن النداء كان بأمر يوسف عليه السلام .."

وقال النسيفي: "ثم نادى مناد آذنه أي أعلم وأذن أكثر إلا علام ومنه المؤذن لكثره ذلك منه روى أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدرکوا".

القول الثاني: إن يوسف عليه السلام لم يأمر بالتأذين، وهو قول الرazi والبيضاوي والخازن.^(٣)

قال الرazi: "فإن قيل: هل كان ذلك النداء بأمر يوسف عليه السلام أو ما كان بأمره؟ فإن كان بأمره فكيف يليق بالرسول الحق من عند الله أن يتهم أقواماً وينسبهم إلى السرقة كذباً وبهتاناً، وإن كان الثاني وهو أنه ما كـ ان ذلك بأمره فهلا أنكره وهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة."

قلنا: العلماء ذكروا في الجواب عنه وجوهاً : الأولى: أنه عليه السلام لما أظهر لأخيه أنه يوسف عليه السلام قال له: إني أريد أن أحبسك ههنا، ولا سبيل إليه إلا بهذه الحيلة فإن رضيت بها فالأمر لك فرضي بأن يقال في حقه ذلك، وعـ لـ

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٢٣٥) (٣٢٥ / ٥).

٢ - الماوردي آية ٧٠ ، النسيفي (٣٣١ / ٢).

٣ - الرazi (٤٨٧ / ١٨)، البيضاوي (٢٩٨ / ٣)، الخازن آية ٧٠.

هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام فخرج عن كونه ذنباً . والثاني: أن المراد إنكم لسارقون يوسف ﷺ من أبيه إلا أنهم ما أظهروا هذا الكلام والمعاريض لا تكون إلا كذلك . والثالث: أن ذلك المؤذن ربما ذكر ذلك النداء على سبيل الاستفهام، وعلى هذا التقدير يخرج عن أن يكون ذنباً . الرابع: ليس في القرآن أنهم نادوا بذلك النداء عن أمر يوسف ﷺ والأقرب إلى ظاهر الحال أنهم فعلوا ذلك من أنفسهم لأنهم لما طلبوا السقاية وما وجدوها وما كان هناك أحد إلا هم غالب على ظنونهم أنهم هم الذين أخذوها ثم إن إخوة يوسف ﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴾ .

وقال البيضاوي : "﴿ كُمْ أَذَنَ مُؤَذِّنٌ ﴾ نادى مناد. ﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴾" لعله لم يقله بأمر يوسف ﷺ أو كان تعبيه السقاية والنداء عليها بربما بنiamin . وقال الخازن : "... ليس في القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك بأمر يوسف ﷺ وهو الأقرب إلى ظاهر الحال لأنهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك أحد غيرهم وغالب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم ﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴾ ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول : ففيه نظر.
- وأما القول الثاني : فهو أقرب لم ذكره الرازي . لأن الفتيا لا يفعلون شيئاً إلا بأمر سيدهم والمشرف عليهم وهو يوسف ﷺ .

الرجح:

يترجح القول إن يوسف ﷺ لم يأمر بالتأذين وذلك :

١. لأن القرآن لم ينص على أن الأمر يوسف ﷺ .
٢. لأن اتهام أناس بالسرقة مع علمه ببر اتهم يتعارض مع مقام النبوة،

ومن قواعد الترجيح القول الذي لا يتعارض مع مقام النبوة مقدم على ما يتعارض منها.

٣. لدلاله السياق في الآية التي تليها .

قال تعالى ﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَاذَا تَفْعِدُونَ ﴾ [يوسف: آية ٧١] . فإخوة يوسف اللعنة الله علیهم أقبلوا عليهم وتكلموا مع المنادين، ولو كان يوسف اللعنة الله علیهم هو الأمر لردوا الأمر إليه ولি�تكلم معهم.

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

على أي شيء يطلق لفظ العير؟

قال أبو حيأن: "والظاهر وقول الجمھور: إن العير الإبل".^(١)

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: إن العير الإبل وهو قول كثير من المفسرين ^(□)، واختاره أبو حيأن.

قال الزمخشري: "العير: الإبل التي عليها الأحمال."

وقال ابن الجوزي: "﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ ي يريد: أهل العير، فأنت لأنك جعلها للعير. قال الفراء: لا يقال: عير، إلا لأصحاب الإبل. وقال أبو عبيدة: العير: الإبل المرحولة المركوبة. وقال ابن قتيبة: العير: القوم على الإبل".^(□).

وقال البيضاوي: "عير القافلة وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تتردد، فقيل لأصحابها".

القول الثاني: إن العير الإبل والبغال والحمير؛ وبه قال بعض المفسرين ^(□).

قال الزجاج: "معناه: ي أصحاب العير وكل ما سير عليه من الإبل والحمير والبغال فهو عير".

وقال الرازى: "كل ما سير عليه من الإبل والحمير والبغال فهو عير".

١ - البحر الحيط (ح/٥ ل/٢٣٥) (٣٢٦/٥).

٢ - الزمخشري (٣٣٣/٢)، ابن الجوزي (١٩٤/٤)، البيضاوي (٢٣٨/٣)، النسفي (٣٣١/٢)، أبي السعود (٤/٢٨٤). الشوكاني (٣/٤٠)، الألوسي (٧٢/٣١).

٣ - لم أجده قول الفراء في معاني القرآن؛ وكذلك قول أبي عبيدة لم أجده في مجاز القرآن.

٤ - الزجاج في معاني القرآن (١٢٠/٣)، ونقل الواحدى كلامه في الوسيط (٦٢٣/٢)، الرازى (١٨٧/١٨)، القرطبي (٢٢٨/٩)، البقاعي (٧٥/٤).

وقال القرطبي: "العير ما امتيز عليه من الحمير والإبل والبغال".

القول الثالث: إن العير القافلة، قاله بعض المفسرين^(□).

قال الطبرى: «أَيْتُهَا أَلْعِيرٌ»: وهي القافلة فيها الأحمال إِنْكُمْ لَسَارِقُونَ ..

وقال البغوى: «أَيْتُهَا أَلْعِيرٌ»: وهي القافلة التي فيها الأحمال.

وقال ابن عطية: و مخاطبة العير تجوز ، والمراد أربابها ، وإنما المراد : أيتها القافلة أو الرفقة.

القول الرابع: إن العير الرفقة، قاله بعض المفسرين^(□).

قال الماوردي: إنها الرفقة.

وقال الواحدى: أيتها العير: الرُّفقة.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول وهو: إن العير الإبل، فهو الصحيح؛ وإطلاقه على غير الإبل شاذ

الرجح :

يترجح القول إن العير هي الإبل خاصة، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه هو المعروف عن العرب، وإطلاقه على غيره شاذ والمعروف مقدم على الشاذ.

٢. لأنه قد سبق بيان أن لفظ (عيير) يراد بها الإبل خاصة^(□) ، وكان القصد من النداء في هذه الآية هو مخاطبة أصحابها ولفت

١ - الطبرى (١١/١٣)، البغوى آية ٧٠، ابن عطية (٣/٢٦٣)، الجلالين آية ٧٠.

٢ - الماوردي والواحدى في الوجيز آية ٧٠ ، ابن عطية (٣/٢٦٣)، ابن جزي (٢/٢٢٧).

٣ - عند آية (٦٥) سورة يوسف.

أنظارهم إلى الأمر المهم وهو سرقة صواع الملك الذي يكال به
وليس المراد الدواب كما مر سابقاً.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ قَالُوا فَمَا جَرَوْهُ إِن كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾^{٧٤} ﴿ قَالُوا جَرَوْهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَرَوْهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾^{٧٥} [يوسف: ٧٤ - ٧٥].
في الآية مسألة واحدة وهي :

علام يعود الضمير في قوله ﴿ فَمَا جَرَوْهُ ﴾ ؟

قال أبو حيان : "والضمير في جزاؤه عائد على السارق. فما جزاء السارق إن كتم كاذبين في قولكم : وما كنا سارقين له؟ قاله ابن عطية .^(□) وقال الزمخشري: "فما جزاؤه الضمير للصواب أي : فما جزاء سرقته إن كتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه ^(□) انتهى. وقوله: هو الظاهر لاتحاد الضمائر في قوله: قالوا جزاؤه من وجد في رحله، إذ التقدير إذ ذاك قال: جزاء الصاع، أي : سرقته من وجد الصاع في رحله . وقولهم: جزاؤه من وجد في رحله، كلام من لم يشك أنهم برأء مما رموا به، ولاعتقادهم البراءة علقوا الحكم على وجدان الصاع لا على سرقته، وكأنهم يقولون : لا يمكن أن نسرق، ألا يمكن أن يوجد الصاع في رحالنا ^(□) .

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول : إن الضمير في جزاؤه عائد على السارق ، وهو قول كثير من المفسرين ^(□) .

قال الماوردي : "أي ما عقوبة من سرق منكم إن كتم كاذبين في أنكم لم

١ - المحرر الوجيز (٣/٢٦٣).

٢ - الكشاف (٢/٣٣٤).

٣ - البحر المحيط (٥/٢٣٦) (٥/٣٢٧).

٤ - الماوردي والواحدي في الوجيز والبغوي آية ٧٤، الرازى (١٨/٤٨٨)، القرطبي (٩/٢٣٤)، ابن جزي (٢/٢٢٧)، الخازن والجلالين آية ٧٤، والشربيني (٢/١٣٩).

تسرقوا منا".

وقال الواحدي : " ﴿ قَالُوا فَمَا جَرَبُوهُ ﴾ أَيْ : ما جزاء السارق ﴿ إِن كُنْتُمْ كَذِيلِينَ ﴾ في قولكم : ما كنا سارقين .."

وقال البغوي : " ﴿ فَمَا جَرَبُوهُ ﴾ أَيْ : جزاء السارق ﴿ إِن كُنْتُمْ كَذِيلِينَ ﴾ في قولكم : " وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ."

القول الثاني : الضمير في جزاؤه عائد على الصواع ، وهو قول جماعة من المفسرين. ^(□) واختار أبو حيأن.

قال النسفي : " الضمير للصواع أي فما جزاء سرقته ."

وقال البقاعي : " ﴿ فَمَا جَرَبُوهُ ﴾ أَيْ الصواع ."

وقال أبو السعود : " ﴿ قَالُوا ﴾ أَيْ أصحاب ي يوسف عليه السلام ﴿ فَمَا جَرَبُوهُ ﴾ الضمير للصواع على حذف المضاف أي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم ."

القول الثالث : الضمير في جزاؤه عائد على السرقة ، وهو قول الطبرى؛ وذكره ابن الجوزى عن الأخفش مع القول الأول؛ والبيضاوى مع القولين. ^(□)

قال الطبرى : " يقول تعالى ذكره: قال أصحاب ي يوسف لإخوته: فما ثواب السرقة إن كنتم كاذبين ."

وقال ابن الجوزى : " المعنى: قال المنادى وأصحابه: فما جزاؤه . قال الأخفش: إن شئت ردت الكنية إلى السارق، وإن شئت ردتها إلى السرقة."

١ - النسفي (٣٣٢/٢)، البقاعي (٤/٧٥)، أبو السعود (٤/٢٨٤)، الألوسي (٤٣/٣١).

٢ - الطبرى جامع البيان (١٣/١٥)، ابن الجوزى زاد المسير (٤/١٩٥)، البيضاوى التفسير (٣٠١/٣) .

وقال البيضاوي : " ﴿ قَالُوا فَمَا جَرْبَوْهُ ﴾ فما جزاء السارق أو السرق
أو الصّواع على حذف المضاف. ﴿ إِنْ كُنْتُمْ كَذَّابِينَ ﴾ في ادعاء البراءة .
نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي :

إن عود الضمير على السارق أو السرق أو الصّواع محتملة إلا عودته على
الصّواع أرجح كما سبق أن بينه أبو حيان وسيأتي تفصيل ذلك.

الترجح :

يترجح عود الضمير إلى الصّواع، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. أن الصّواع هو المحدث عنه في السياق فرجوعه إليه أولى من رجوعه إلى غيره إذا تعددت الاحتمالات في مرجعه طالما أنه جاء في السياق القرآني ، وهذا يوافق قاعدة الترجح القائلة : [إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادةه إلى غيره .[□]]. وهو موافق لما ذكره أبو حيان من أوجه الترجح .
٢. في إعادة الضمير إلى الصّواع [توحيد مرجع الضمائر في السياق وهو أولى][□] وأحسن لانسجام النظم ، واتساق السياق، وقوة الإعجاز .
٣. أن الصّواع هو أقرب مذكور ووفقا لقاعدة الترجح : أن [الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ، ما لم يرد الدليل بخلافه][□] ولا دليل هنا.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجح(٦٠٣/٢).

٢ - قواعد الترجح(٦١٣/٢).

٣ - قواعد الترجح (٦٢١/٢).

قال تعالى ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخُوهُ لَهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [٧٧] .

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿ فَأَسْرَهَا ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والضمير في قوله : فأسرها يفسره سياق الكلام أي : الحزارة التي حدثت في نفسه من قوله كما فسره في قول حاتم : لعمرك ما يعني الثراء عن الفتى إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر (□) (□)." (□)

في المسألة أربعة أقوال :

القول الأول : إن الضمير يعود على الحزارة التي حدثت في نفسه من قوله . وهو قول ابن عطية وأبي السعود والألوسي (□). واختاره أبو حيان.

قال ابن عطية : والضمير في قوله : ﴿ فَأَسْرَهَا ﴾ عائد يراد به الحزارة التي حدثت في نفس يوسف من قوله ، والكلام يتضمنها وهذا كما تضمن الكلام الضمير الذي في قوله حاتم :

لعمرك ما يعني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

١ - البيت لحاتم الطائي ، انظر ديوانه ص (١١) والممع (٦٥/١)، والدرر (٤٤/١) ، واللسان (٨٨٤/٢) حشر.

٢ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٣٢٩) (٢٣٨/٥).

٣ - ابن عطية المحرر الوجيز (٢٦٦/٣)، أبي السعود إرشاد العقل السليم (٤/٢٨٤)، الألوسي روح المعاني (٣١/٨٣).

٤ - ووجه اختياره هو توجيهه للقول بتفسير سياق الكلام .

وهذا كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوا
ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠] فهى مراد بها الحالة المتحصلة من هذه الأفعال..

وقال أبو السعود : ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُف﴾ أي أكنّ الحزاوةَ الحاصلةَ مما قالوا .
وقال الألوسي : الضمير لما يفهم من الكلام والمقام أي أضمر الحزاوة التي حصلت له عليه السلام مما قالوا .

القول الثاني : إن الضمير يعود على الكلمة أو الجملة أو الكلام أو القول، وهو قول كثير من المفسرين^(□)؛ ثم اختلفوا فيه على قولين :
الأول: إن الذي أسره قولهم : ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلٍ﴾.
الثاني : إن الذي أسره هو قوله: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شُرُّ مَكَانًا﴾.

قال الطبرى : يعني بقوله: ﴿فَأَسْرَهَا﴾: فأضمرها، وقال: ﴿فَأَسَرَّهَا﴾
فأنث، لأنه عنى بها الكلمة، وهي : ﴿أَنْتُمْ شُرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصْفُونَ﴾:

وقال النحاس : ثم بين الذي أسر بقوله قال أَتُّمْ شَرْ مَكَانًا .
وقال الماوردى : فيه وجهاً :

الثاني: أسر في نفسه ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ الآية.^٦

وقال القرطبي : "أسرّ في نفسه قوله : ﴿إِن يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَحَدٌ مِّنْ قَبْلِهِ﴾ .

١ - الطبرى (١٣/١٩)، النحاس (١/٥٥٢)، الماوردي والبغوي آية ٧٧، الزخشري (٢/٣٣٥)، ابن الجوزي (٤/١٩٥)، الرازي (١٨/٤٩١)، القرطبي (٩/٢٣٨)، البيضاوى (٣/٣٠٢)، ابن كثير (٤/٣٤٤)، ابن عادل (١١/١٦٨)، الجلالين آية ٧٧، الشربيني (٢/١٤١)، الشوكانى (٣/٤٤).

...وقيل: إنه أسرّ في نفسه قوله ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾^١.

القول الثالث: إن الذي أسره هو المجازاة.

القول الرابع: إن الذي أسره هو الحجة.

قال ابن عطية : " وقال قوم: أسر الحجة وما قدمناه
أليق.." .

وقال ابن الجوزي - بعد أن ذكر أنها ثلاثة أوجه - : " أنها ترجع إلى الحجة،
المعنى: فأسر الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة، ذكره ابن الأنباري .."
وقال أبو حيان: " وقيل: أسر المجازاة، وقيل: الحجة."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن الحجازة هي إحساس قلبي لا يمكن ظهوره بحال وإنما يظهر أثرها
بشكل قول أو فعل .

- وأما قول بعض المفسرين في القول الثاني إنه أسرّ في نفسه قولهم: ﴿إِنْ يَسِّرِ فَقَدْ سَرَّكَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلٍ﴾ فكيف يسرّ قولهم أظهروه وإنما
الأفضل أن يقال أسر إجابة قولهم هذ، وقد عبر عنه الواحدي
والبقاعي .

قال الواحدي : أي أسر إجابة هذا الكلام وأضمرها في نفسه و قال - لهم -

(□) ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾^٢.

وقال البقاعي : ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ أي إجابتهم عن هذه القولة القبيحة ﴿يُوسُفُ فِي
نَفْسِهِ﴾ على تمكنه مما يريد بهم من الانتقام.[□] .

١ - الوسيط (٦٢٤/٢).

٢ - التفسير (٣٠٢/٣).

- وأما القولان الثالث والرابع : فلا يخفى بعدهما مع احتمال دخول الرابع وهو الحجة ضمن قولهم أسر إجابتهم عن قولهم فإجابته حجة.

الترجح:

يترجح الجمع بين القولين الأول والثاني بما يأتي : وهو لما سمع قولهم هذا - في حقه وحق أخيه- ﴿إِن يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلٍ﴾ حدثت في نفسه حزارة من الصاق إخوته السرقة به وب أخيه فكانهم اختصوا بها فأراد إجابتهم عن قولهم علينا لكنه آثر السكوت وعدم الإفصاح لا قولًا ولا فعلًا ولا تأثيرًا بل صفحاً وحلماً وتحقيقاً لأمر قدره الله .

قال سيد قطب ^(□) : ﴿إِن يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلٍ﴾ ... لقد قذفوا بها يوسف وأخاه، ﴿إِن يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلٍ﴾ أسر هذه الفعلة وحفظها في نفسه ، ولم يجد تأثيره منها وهو يعلم براءاته وبراءة أخيه. [□]
والله تعالى أعلم

١ - سيد قطب بن إبراهيم ، مفكر إسلامي من مصر، من جماعة الإخوان إعدم سنة ١٣٨٧ هـ. الأعلام (١٤٧/٣).

٢ - في ظلال القرآن (٤/٢٠٢٢).

المسألة الثانية

قوله ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ هل أفصح لهم الخطاب أم أسره ؟
 قال أبو حيان : "والظاهر من قوله: أنتم شر مكاناً، خطابهم بهذا القول في
 الوجه، فكأنه أسر كراهية مقالتهم، ثم وبخهم بقوله: أنتم شر مكاناً." (□)

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: إنه أفصح لهم الخطاب في الوجه، وهو قول ابن عطية، واختاره
 أبو حيان.

قال ابن عطية : "وقوله: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ الآية، الظاهر منه أنه قالها
 إفصاحاً فكأنه أسر لهم كراهية مقالتهم ثم تجهمهم بقوله : ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾
 أي لسوء أفعالكم، والله يعلم إن كان ما وصفتموه حقاً." (□)

القول الثاني: إنه أسر الخطاب لهم، وهو قول كثير من المفسرين.

قال الطبرى: "لما رأى بنو يعقوب ما صنع أخوه يوسف ولم يشكوا أنه سرق
 قالوا أسفًا عليهم لما دخل ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، فلما سمعها
 يوسف السقلاوة ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ سرًا في نفسه ولم يُبَدِّلْهَا لَهُمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصْفُونَ".

١ - البحر الحيط (ح/٥ ل/٢٣٨) (٣٣٠/٥).

٢ - المحرر الوجيز (٣/٢٦٦).

٣ - الطبرى (١٣/١٩)، النحاس (١/٥٥٢)، الماوردي والبغوي والواحدى في الوجيز آية ٧٧،
 الزمخشري (٢/٣٣٥)، ابن الجوزي (٤/١٩٥)، الرازى (١٨/٤٩١)، القرطبي (٩/٢٣٨)، البيضاوى
 (٣/٣٠٢)، ابن كثير (٤/٣٤٤)، ابن عادل (١١/١٦٨)، الجلالين آية ٧٧، الشربيني (٢/١٤١)، الشوكانى
 (٣/٤٤)، الألوسي (٣١/٨٣). وقد تقدم في المسألة السابقة سرد أقوال بعضهم .

وقال النحاس: "ثم بين الذي أسر بقوله ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾".

وقال الماوردي: "أسر في نفسه ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾.. الآية.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول إنه أفسح لهم الخطاب في الوجه، فهو غير ظاهر . لأنه لا يليق بخلق الأنبياء.

- وأما القول إنه أسر الخطاب لهم، فهو الظاهر.

الترجح:

يترجح أنه أسر الخطاب وذلك:

١. لأن هذا أليق بحال الأنبياء عليهم السلام، [فكل قول فيه تعظيم

مقام النبوة فهو أولى][□]، وهذا من قواعد الترجح.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجح (٣٢٨/١).

قال تعالى ﴿أَرْجِعُوكُمْ فَقُولُوا يَأَبَانَا إِنَّكَ أَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا
بِمَا عِلْمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١].
في الآية مسألة واحدة وهي:

من القائل في قوله ﴿أَرْجِعُوكُمْ فَقُولُوا يَأَبَانَا إِنَّكَ أَبْنَكَ﴾ ؟

قال أبو حيان : "والظاهر إن الأمر بالرجوع هو من قول كبيرهم".
الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إن الأمر بالرجوع هو من قول كبيرهم ، وهو قول كثير من المفسرين^(□)، واختاره أبو حيان .

قال الطبرى : يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل روبيل لإخوته حين أخذ يوسف عليهما السلام أخاه بالصراط الذي استخرج من وعائه: ﴿أَرْجِعُوكُمْ﴾ إخوتي ﴿إِلَيْكُمْ﴾ يعقوب ﴿فَقُولُوا يَأَبَانَا إِنَّكَ أَبْنَكَ﴾ بنiamin ﴿سَرَقَ﴾.

وقال الواحدى : ﴿فَالَّذِي أَنْهَا رُوبِيلُ هُمْ﴾ وهو روبيل ، وكان أكبرهم سنًا : ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِيقًا مِنَ اللَّهِ﴾ .. وقال لإخوته ﴿أَرْجِعُوكُمْ فَقُولُوا يَأَبَانَا إِنَّكَ سَرَقَ﴾ يعنيون في ظاهر الأمر .

وقال البغوى : ﴿أَرْجِعُوكُمْ﴾ يقول الأخ المحتبس بمصر لإخوته ارجعوا

١ - البحر المحيط (ح/٥) (٢٤٠) (٣٣٢/٥).

٢ - الطبرى (٢٤/١٣)، الواحدى في الوجيز والبغوى آية ٨١، ابن عطية (٣/٢٧٩)، ابن الجوزى (٤/٢٠٠)، الرازى (٤٩٥/١٨)، القرطبي (٢٤٤/٩)، البيضاوى (٣٠٣/٣)، النسفي (٣٣٤/٢)، ابن جزي (٢٢٩/٢)، الخازن آية ٨١، ابن كثير (٣٤٦/٤)، ابن عادل (١٧٧/١١)، البقاعى (٨٦/٤)، الشرينى (١٤١/٢)، أبي السعود (٤٤/٤)، الشوكاني (٣/٤)، الألوسى (٣١/٣٤)، ابن عاشور (٣٨/١٣).

إلى أبيكم ﴿فَقُولُوا يَتَأْبَانَا إِنَّكَ أَبْنَكَ﴾ بنiamin ﴿سَرَقَ﴾.

القول الثاني : إن الأمر بالرجوع هو من قول يوسف ﷺ . وذكره بعض المفسرين [□] ابن عطية وابن جزي و أبو حيان والألوسي .

قال ابن عطية : وقيل: بل هو من قول يوسف ﷺ لهم .

وقال ابن جزي: وقيل: هو من قول يوسف ﷺ .

وقال أبو حيان : وقيل: بل هو من قول يوسف لهم .

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول الأول : فهو الظاهر.

- أما القول الثاني : بعيد جدا ولا دلالة عليه من أي وجهة.

قال ابن جزي : وقيل: هو من قول يوسف ﷺ وهو بعيد .

وقال الألوسي : الظاهر إن هذا القول من تتمة كلام كبيرهم ؛ وقيل: هو من كلام يوسف ﷺ وفيه بعد .

الترجح:

يترجح أنّ الأمر بالرجوع هو من قول كبيرهم ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه وذلك:

١. لدلالة السياق .

قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْشُوْ مِنْهُ خَلَصُوا بَخِيَّا قَالَ كَيْرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِيقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَيْنَ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ ﴿٨٠﴾ آرْجِعُوكُمْ إِلَيْكُمْ فَقُولُوا يَتَأْبَانَا إِنَّكَ أَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شِهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفَظِينَ ﴿٨١﴾﴾

١ - ابن عطية (٢٧٩/٣)، ابن جزي (٢٢٩/٢)، أبو حيان (٣٣٢/٥)، الألوسي (٣٤/٣١).

[ليوسف: ٨٠ - ٨١].

قال ابن عطية : "الأمر بالرجوع قيل : هو من قول كبيرهم ، وقيل: بل هو من قول يوسف لهم، والأول أظهر."
٢. ولأنهم أعطوا أباهم عهد الرجوع بأخيهم وعدم التفريط به.
والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَسَلِّمْ الْقَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِّقُونَ ﴾

يوسف: ٨٢ [١].

في الآية مسألة واحدة وهي :

ما المراد بقوله ﴿ وَسَلِّمْ الْقَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ؟

قال أبو حيان : " فالظاهر أن ذلك على إضمار أهل كأنه قيل : وسل أهل القرية وأهل العير، إلا أن أريد بالعير القافلة، فلا إضمار في قوله والعير ، وأحالوا في توضيح القصة على ناس حاضرين الحال في شهدون بما سمعوا، وعلى ناس غيب يرسل إليهم فيسألون . وقالت فرقه: بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة، ومن حيث هونبي، ولا يبعد أن يخبره بالحقيقة، وحذف المضاف هو قول الجمهور." (□)

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن المراد وسائل أهل القرية وسائل أهل العير، وهو قول كثير من المفسرين (□) واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : يقول: وإن كنت متهمنا لنا لا تصدقنا على ما نقول من أن ابنك سرق، فسائل القرية التي كنا فيها، وهي مصر . يقول: سل من فيها من أهلها، والعير التي أقبلنا فيها وهي القافلة التي لئا فيها".

١ - البحر الحيط (ح/٥، ل/٤٠، ج/٥) (٣٣٢).

٢ - الطبرى (١٣/٢٥)، الماوردي آية ٨٢، الواعظى في الوسيط (٦٢٦/٢)، البغوى آية ٨٢، الزمخشري (٢/٣٣٧)، ابن عطية (٣/٢٧٠)، ابن الجوزي (٤/٢٠١)، الرازى (١٨/٤٩٥)، القرطبي (٩/٩٥)، البيضاوى (٣/٤٠٤)، النسفي (٢/٣٣٥)، ابن جزي (٢/٢٣٠)، الخازن آية ٨٢، ابن كثير (٤/٣٤٦)، ابن عادل (١١/١٧٧)، البقاعي (٤/٨٦)، الجلالين آية ٨٢، الشرييني (٢/١٤١)، أبي السعود (٤/٢٩٩)، الشوكانى (٣/٤٤)، الألوسي (٤/٣١)، ابن عاشور (١٣/٣٨).

وقال الماوردي : " قوله عز وجل : ﴿ وَسَأَلَ الْقَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ وهي مصر، والمعنى وسائل أهل القرية فحذف ذكر الأهل إيجازاً، لأن الحال تشهد به.

﴿ وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ... والمعنى أهل العير..

وقال الواحدي : " ﴿ وَسَأَلَ الْقَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ أي قولوا لأبيكم سل أهل القرية ليتبين لك صدقنا ﴿ وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ يعني أهل الرفقة التي كنا فيها ..
القول الثاني : إن المراد إسأل القرية وسائل العير على الحقيقة في سؤال الجمادات والبهائم لأنه النبي سوف تخبره بالحقيقة من باب المعجزة له ، وذكره بعض المفسرين ^(□).

قال الماوردي : " وقيل فيه وجه ثالث : أنهم أرادوا من أبيهم يعقوب أن يسأل القرية وإن كانت جماداً ، أو نفس العير وإن كانت حيواناً بهيماً لأنه النبي ، والأنبياء قد سخر لهم الجماد والحيوان بما يحدث فيهم من المعرفة إعجازاً لأنبيائه، فأحالوه على سؤال القرية والعير ليكون أوضاع برهاناً".

وقال ابن عطية : " وقالت فرقه: بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة، ومن حيث هو النبي فلا يبعد أن تخبره بالحقيقة ."

وقال الرazi : "والثاني : قال أبو بكر الأنباري المعنى : إسأل القرية والعير والجدار والحيطان فإنها تجييك وتذكر لك صحة ما ذكرناه لأنك من أكابر أنبياء الله فلا يبعد أن ينطق الله بهذه الجمادات معجزة لك حتى تخبر بصحة ما ذكرناه .".

القول الثالث : إن المراد هو ظهور الأمر وشيوعه بحيث لا يخفى على أحد ،

١ - الماوردي آية ٨٢، ابن عطية (٣/٢٧٠)، الرazi (٤٩٥/١٨)، الخازن آية ٨٢، ابن عادل (١٤١/١١)، الشربيني (١٧٧/١١).

وهو قول الرازي ، وذكره ابن عادل ^(□) .

قال الرازي : وفيه وجه ثالث ، وهو: أن الشيء إذا ظهر ظهوراً تماماً كاملاً فقد يقال فيه، سل السماء والأرض وجميع الأشياء عنه، والمراد أنه بلغ في الظهور إلى الغاية التي ما بقي للشك فيه مجال.."

وقال ابن عادل : "وقيل: إن الشيء إذا ظهر ظهوراً تماماً كاملاً فقد يقال فيه: سل السماء والأرض وجميع الأشياء عنه ، والمراد أنه بلغ في الظهور إلى الغاية حتى لم يبق للشك فيه مجال".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول : إن المراد وسائل أهل القرية وسائل أهل العير فهو الظاهر.
- وأما القول الثاني : فإنه بعيد لأنهم لو علّمون أن ذلك من معجزات يعقوب عليه السلام لكان أولى أن لا يطلبوا منه ذلك لأن لهم سابقة في إحضار قميص يوسف عليه السلام فلو كان من معجزاته لعرفوا بذلك ولم يخفى عليهم ولاكتفوا بسؤاله للغير لأنها أقرب إليه ولم يطلبوا سؤاله القرية لبعدها عنهم .

قال ابن عطية : "وهذا وإن جوز بعيد."

- وأما القول الثالث وإن كان صحيح المعنى فإنه لا يناسب تفسير الآية لأنه يقال: لأي شيء خص القرية والغير ؟

الترجح:

يترجح أن المراد وسائل أهل القرية وسائل أهل العير، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه بذلك:

١. لأن الإضمار أسلوب يستخدم بكثرة في كلام العرب، فإذا اختلف

١ - الرازي (٤٩٥/١٨)، ابن عادل (١١/١٧٧).

المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى، فممنهم من يقول بالإضمار في الآية، ومنهم من يقول بالزيادة فيها ،والكلام محتمل لذلك، فقول القائل بالإضمار أولى؛ لأنه في كلام العرب أكثر من الزيادة .[□] وقد أشار إلى ذلك أبو حيان .

قال ابن عطية : " والأول أقوى."

وأَللَّهُ تَعَالَى أَعْلَم

١ - انظر قواعد الترجيح (٣٨٥/٢)، وقد ذكر هذه القاعدة بعض الأصوليين انظر التمهيد للأبنوي ص ٢٠٦، وشرح الكوكب (١٩٦/١).

قال تعالى ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَائِسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَيْضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٨٤].
في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ وَأَيْضَتْ عَيْنَاهُ ﴾ ؟

قال أبو حيان : وايضاض عينيه من توالى العبرة، فينقلب سواد العين إلى بياض كدر. والظاهر أنه كان عمي لقوله : فارتدى بصيراً. وقال: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٩] فقابل البصیر بالأعمى:

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : المراد إنه كان عمي؛ قاله مجاهد ومقاتل؛ وهو قوله لـ كثير من المفسرين^(□)؛ واختاره أبو حيان .

قال الماوردي : "إنه ذهب بصره، قاله مجاهد.."

قال الواحدي : "وايضاشت عيناه انقلبت إلى حال البياض، فلم يبصر بهما".

وقال البعوي : ﴿ وَأَيْضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ﴾ يعني: عمي بصره، قال مقاتل: "لم يبصر بهما ست سنين".

القول الثاني : المراد أنه كان يدرك إدراكاً ضعيفاً، وعمل الإيضاض بالحزن ،

١ - البحر المحيط (ح/٥ لـ ٢٤١) (٣٣٣/٥).

٢ - الماوردي والواحدي في الوجيز والبعوي آية ٨٤، الزمخشري (٣٣٨/٢)، ابن الجوزي (٢٠٣/٤)، القرطبي (٢٤٧/٩)، البيضاوي (٣٠٤/٣)، ابن جزي (٢٣٠/٢)، البقاعي (٤/٨٦)، الجلالين آية ٨٤، أبي السعود (٢٩٩/٤)، الشوكاني (٤٧/٣)، الألوسي (٧٤/٣١) .

وذكره بعض المفسرين. (□)

قال الماوردي : "إنه ضعف بصره لبياض حصل فيه من كثرة بكائه.."

وقال الزمخشري : "وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً."

وقال ابن عاشور : "وأيضاً العينين: ضعف البصر. وظاهره أنه تبدل

"لون سوادهما من الهاز. ولذلك عَبَرَ بِ『وَأَيْضَتْ عَيْنَاهُ』 دون عميته عيناه."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول: فهو ظاهر.

- وأما القول الثاني: فهو بعيد ولا دليل عليه.

قال أبو حيان : "وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً، وعمل الإيضاخت بالحزن، وإنما هو من البكاء المتواتي، وهو ثمرة الحزن، فعمل بالأصل الذي نشأ منه البكاء وهو الحزن."

الرجح:

يترجح أن المراد أنه كان عمي؛ وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه ، وذلك:

١. لدلالة السياق قال تعالى ﴿فَأَرْتَدَ بَصِيرًا﴾ [يوسف: ٩٦]. وقال

تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٩] فقابل البصير بالأعمى وهو ما استدل به أبو حيان .

٢. لأن الإيضاخت من البكاء المتواصل الذي مصدره العين فيؤثر في قوة الإبصار أما الحزن فمصدره القلب فيؤثر فيه وسبب البكاء الحزن الشديد بفقدة ثلاثة من الولد .

١ - الماوردي آية ٨٤، الزمخشري (٣٣٨/٢)، ابن الجوزي (٤/٢٠٣)، القرطبي (٩/٢٤٧)، البيضاوي (٣/٣٠٤)، ابن جزي (٢/٢٣٠)، أبي السعود (٤/٢٩٩)، الشوكاني (٣/٤٧)، الألوسي (٣١/٧٤)، ابن عاشور (١٣/٤٢).

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾؟

قال أبو حيان : والكظيم إما للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب عليه السلام أي: شديد الكظم كما قال تعالى ﴿وَالْكَاظِمُونَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ولم يشك يعقوب عليه السلام إلى أحد، وإنما كان يكتمه في نفسه، ويمسك همه في صدره، فكان يكتمه أي : يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر. وإما أن يكون فعيلًا بمعنى مفعول، وهو لا ينقاذه، و قاله قوم كما قال في يونس: ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]. قال ابن عطية: "إنما يتوجه على تقدير أنه مليء بحزنه، فكانه كظم حزنه في صدره" [□]. وفسر ناس الكظيم بالمكروب وبالمحروم... وقال الزمخشري: " فهو كظيم، فهو مملوء من الغيظ على أولاده، ولا يظهر ما يسوؤهم" [□] انتهى. وقد ذكرنا أن فعيلًا بمعنى مفعول لا ينقاذه، [□]

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول: المراد به شديد الكظم أي الكاظم الممسك على حزنه في صدره لا يشكو ولا يظهره لأحد. قاله قتادة؛ وهو قول بعض المفسرين، [□] و اختاره أبو حيان .

قال النحاس: قال قتادة: أي لم يقل بأسا، وكذلك هو في اللغة ،يقال فلان كظيم ،وكاظم: أي حزين لا يشكو حزنه .

١ - المحرر الوجيز (٢٧٢/٣).

٢ - الكشاف (٣٣٨/٢).

٣ - البحر المحيط (ح ٥/٥) (٢٤١ ل) (٣٣٣/٥).

٤ - النحاس في معاني القرآن (١/٥٥٣)، الواحدي في الوسيط (٢/٦٢٧)، ابن كثير (٤/٣٤٦).

وقال الواحدى : "الكظيم ها هنا بمعنى الكاظم وهو المسك على حزنه فلا يظهره ولا يشكوه قال قتادة : فلا يقول بأسا ."

وقال ابن كثير : "أي ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق، قاله قتادة وغيره".

القول الثاني : المراد به الكظيم بالمكروب وبالمحمود، وهو قول الجلالين ^(□) .

قال الجلالان : "غموم مكروب لا يظهر كربه .."

القول الثالث : المراد به مملوء بالحزن ^(□) أو مملوء من الغيظ على أولاده ^(□) ، ولا يظهر ما يسؤولهم، وهو قول جماعة من المفسرين .

قال الطبرى : «فَهُوَ كَظِيمٌ» يقول: فهو مكظوم على الحزن، يعني أنه مملوء منه مهمك عليه لا يبينه .

وقال البغوى : «فَهُوَ كَظِيمٌ» أي: مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبشه.

وقال الزمخشري : فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسؤولهم .

وقال البيضاوى : "مملاً من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره،

فيعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى : «وَهُوَ مَكْظُومٌ» من كظم السقاء إذا شده على ملئه ..

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو ظاهر، ويندرج فيه القول الثاني.
- وأما مملوء من الحزن فهو يندرج في القول الأول؛ وأما قول من قال

١ - التفسير آية ٨٤.

٢ - قاله الطبرى (٢٦/١٣)، البغوى آية ٨٤، ابن عطية (٣/٢٧٢)، ابن الجوزي (٤٢/١٣)، القرطبي (٩/٢٤٧)، النسفي (٢/٣٣٥)، ابن جزي (٢/٢٣١)، ذكر القولين، الخازن آية ٨٤، البقاعي (٤/٤)، الألوسي (٣١/٧٤) ذكر القولين.

٣ - قاله الزمخشري (٢/٣٣٨)، البيضاوى (٣/٣٠٤) وذكر معه القول الأول، أبو السعود (٤/٢٩٩) الشوكاني (٣/٤٧)، ابن عاشور (١٣/٤٢).

ملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهه ر ما يسوقهم فالسياق يرده من حيث أن هذا الغيظ لا ينبع الحزن وإنما قد يسبب الغضب عليهم لتفريطهم بإخوتهم وقد يظهر لهم استياؤه منهم كونه والدهم .

الترجح:

يترجح أن المراد به شديد الكظم أي الكاظم الممسك على حزنه في صدره لا يشكو ولا يظهر ه لأحد، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لأن هذا الخلق يليق بمقام الأنبياء، ولما ذكره أبو حيان من وجوه الترجح.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَحِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُقْنَدُونَ ﴾ [يوسف: ٩٤].

في الآية ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى

أين كان يعقوب عليه السلام؟

قال أبو حيان : " معنى فصلت العير : انفصلت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب، وكان قريباً من بيت المقدس . وقيل: بالجزيرة، وبيت المقدس هو الصحيح، لأن آثارهم وقبورهم هناك إلى الآن ."

الدراسة :

في المسألة أربعة أقوال :

القول الأول : كان قريباً من بيت المقدس ، وهو قول ابن عطية والألوسي (□) واختاره أبو حيان .

قال ابن عطية : قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ الآية، معناه: فصلت العير من مصر متوجهاً إلى موضع يعقوب ، حسبما اختلف فيه ، فقيل: كان على مقربة من بيت المقدس .

وقال الألوسي : خرجت من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب عليه السلام وكان قريباً من بيت المقدس .

القول الثاني : كان بيت المقدس . وهو قول ابن جزي (□) .

قال ابن جزي : كان يعقوب عليه السلام بيت المقدس .

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٢٤٥) (٣٣٩).

٢ - ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٢٧٨)، الألوسي في روح المعاني (٣١/٧٥).

٣ - التسهيل (٢/٢٣٣).

القول الثالث : كان بأرض كنعان قاله الحسن ^(□)؛ وهو قول بعض من المفسرين ^(□).

قال الطبرى : "...عن الحسن ^(□): ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذٍ ثمانون فرسخاً، يوسف ^{الظليل} بأرض مصر ويعقوب ^{الظليل} بأرض كنعان، وقد أتى لذلك زمان طويل".

وقال الواحدى : قال المفسرون: لما خرجت العير من مصر متوجهة إلى كنعان.

وقال البغوى : ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي: خرجت من عريش مصر متوجهة إلى كنعان.

القول الرابع: كان بالجزيرة. ذكره ابن عطية وأبوحيان والألوسي.

قال ابن عطية: وقيل كان بالجزيرة.

وقال الألوسي: والقول بأنه كان بالجزيرة لا يعول عليه .

القول الخامس: كان بالشام . قاله السدي ذكره ابن أبي حاتم ؛ وهو قوله الماورى والقرطبي.

قال ابن أبي حاتم: عن السدي قال: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ من مصر إلى الشام.

قال الماوردي : قوله ^{تعمل}: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي خرجت من مصر منطلقة

١ - الطبرى (٣٨/١٣)، الواحدى في الوسيط (٦٣٢/٢)، البغوى آية ٩٤، ابن الجوزى (٤/٢١٢)، الرازى (١٨/٥٠٩)، الخازن آية ٩٤.

٢ - وسنه: "حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن".

٣ - ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/٢٧٨)، الألوسي في روح المعاني (٣١/٧٥).

٤ - ابن أبي حاتم في التفسير (٧/٢١٩٧) وسنه قال: حدثنا عبد الله، ثنا الحسين ثنا عامر ، عن أسباط، عن السدي الماوردي في النكت والعيون آية ٩٤، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩/٢٥٩).

"إلى الشام".

وقال القرطبي : "أي خرجت منطلقة من مصر إلى الشام".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- القول الأول والثاني يندرجان في القول الخامس، فبيت المقدس وما كان قربها في أرض الشام.
- أما القول الثالث فلم أعرف أرض كنعان أين، وكذلك لم أعرف ما المراد بالجزيرة بعد بحث. والله أعلم.
- أما القول الخامس فهو عام يندرج تحته كل ما يصح أن يسمى أرض الشام.

الترجح: لا مرجح عندي لمكان معين.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما معنى قوله ﴿لَوْلَا أَنْ تَفِنَّدُونَ﴾ ؟

قال أبو حيان : " ومعنى تفندون قال ابن عباس، ومجاحد، وقتادة : تسفوهون. وعن ابن عباس أيضاً : تجهلون، وعنده أيضاً : تضعفون. وقال عطاء وابن جبير : تكذبون. وقال الحسن : تهرمون. وقال ابن زيد، والضحاك ومجاحد أيضاً : تقولون ذهب عقلك وخرفت . وقال أبو عمرو : تقبحون. وقال الكسائي : تعجزون. وقال أبو عبيدة : تضللون. وقيل : تخطئون. وهذه كلها متقاربة في المعنى، وهي راجعة لاعتقاد فساد رأي المفند إما بجهله، أو لهوى غالب عليه، أو لكذبه، أو لضعفه وعجزه لذهب عقله بهرمته." □

الدراسة :

في المسألة عدة أقوال :

وقد ذكر المفسرون المعاني □ التي ذكرها أبو حيان تزيد وتنقص ؛ وأضاف الماوردي معنى آخر وهو تلوموني، فقال : "لولا أن تلوموني، قاله ابن بحر."

الترجح :

يترجح أن المعاني المذكورة كلها متقاربة المعنى. كما ذكر ذلك المفسرون .

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٥) (٢٤٥) (٣٣٩).

٢ - الطبرى (٣٨/١٣)، ابن أبي حاتم (٢١٩٨/٧)، الماوردي آية ٤، الوادى فى الوسيط (٢٣٣/٢)، البغوى آية ٩٤، الزمخشري (٣٤٢/٢)، ابن عطية (٢٧٨/٣)، ابن الجوزى (٢١٢/٤)، الرازى (٥٠٩/١٨)، القرطى (٢٥٩/٩)، البيضاوى (٣٠٨/٣)، النسفى (٢٣٩/٢)، ابن جزي (٢٣٣/٢)، الخازن آية ٩٤، ابن كثير (٣٥٠/٤)، البقاعى (٩٦/٤)، الجلالين آية ٩٤، أبي السعود (٤/٢٩٩)، الشوكانى (٥١/٣)، الألوسى (٧٥/٣)، ابن عاشور (٥٢/١٣). ولم أر فائدة تطال من ذكر كل مفسر وما ذكره من المعاني .

قال الطبرى : " فقد تبين إذ كان الأمر على ما وصفنا أن الأقوال التي قالها من ذكرنا قوله في قوله : لَوْلَا أَنْ تُفِنَّدُونَ على اختلاف عباراتهم عن تأويله ، متقاربة المعاني ، محتمل جميعها ظاهر التنزيل ، إذ لم يكن في الآية دليلاً على أنه معنى به بعض ذلك دون بعض ."

وقال ابن عطية : " والتفنيد يقع إما لجهل المفند ، وإما لهوى غلبه ، وإما لكذبه ، وإما لضعفه وعجزه لذهب عقله وهرمه ، فلهذا فسر الناس التفنيد في هذه الآية بهذه المعاني ومنه قوله ﷺ: ((أو هرماً مفندًا)) ."

وقال ابن الجوزي : " وأقوال المفسرين تتقارب معانيها ."
وقال القرطبي : " وكله متقارب المعنى ."

والله تعالى أعلم

١ - هو جزء من حديث ((بادروا بالأعمال سبعاً ، هل تنتظرون إلا مرضياً مفسداً ، أو هواً مفندأً ، أو غنى مطغياً ، أو فقراً منسياً ، أو موتاً مجهاً ، أو الدجال فشر متضرر أو الساعة أدهى وأمر .)) .

قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٦٣ / ٤) رقم (١٦٦٦) : ضعيف رواه العقيلي في الضعفاء (٤٢٥) وابن عدي (١ / ٣٤١) عن محرز بن هارون قال سمعت الأعرج يحدث عن أبي هريرة مرفوعاً ، قال العقيلي محرز بن هارون ، قال البخاري : منكر الحديث ...).

المسألة الثالثة

من المخاطب في قوله ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ﴾ ؟

قال أبو حيان : "المخاطب بقوله: تفندون، الظاهر من تناسق الضمائر أنه عائد على من كان بقي عنده من أولاده غير الذين راحوا يمتارون، إذ كان أولاده جماعة. وقيل: المخاطب ولد ولده ومن كان بحضرته من قرابته." (□)

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول : المخاطب من كان بقي عنده من أولاده غير الذين راحوا يمتارون.

ذكره القرطبي (□) على وجه الاحتمال ؛ واختاره أبو حيان .

قال القرطبي : " وقد يحتمل أن يكون خرج بعض بنيه، فقال من بقي : ﴿إِنَّ لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ﴾ ."

القول الثاني : المخاطب ولد ولده ومن كان بحضرته من قرابته ، وهو قول جماعة من المفسرين. (□)

قال الواهidi : " قال أبوهم ملن حضره من أهله وقرباته وولد ولده، وأولاده كانوا غائبين عنه ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ﴾ ."

وقال البغوي : " **قَالَ أَبُوهُمْ** ﴿أَيِّ: قال يعقوب عليه السلام لولد ولده ﴿إِنِّي لَأَجِدُ

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٤٥) (٣٤٠/٥).

٢ - الجامع لأحكام القرآن (٩/٢٥٩).

٣ - الواهidi في الوسيط (٢/٦٣٢)، البغوي آية ٩٤، ابن الجوزي (٤/٢١٢)، الرازى (١٨/٥٠٩)، البيضاوى (٣/٣٠٨)، النسفي (٢/٣٣٩)، الخازن آية ٩٤، البقاعي (٤/٩٦)، أبي السعود (٤/٢٩٩)، الشوكاني (٣/٥١)، الألوسي (٣١/٧٥).

رِبَحْ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونَ ﴿٤﴾.

وقال ابن الجوزي : «قَالَ أَبُوهُمْ» يعني يعقوب عليه السلام من حضره من أهله وقرباته ولد ولده «إِنِّي لَأَحِدُ رِبَحْ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونَ».
ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي:

- أما القول الأول يرده السياق لأن أولاد يعقوب خرجوا إلى مصر أولاً كلهم، ثم عادوا إليها كلهم كما أمرهم أبوهم .

الترجح:

يترجح أن المخاطب ولد ولده ومن كان بحضرته من قرباته وذلك:
١. لدلالة السياق

قال تعالى ﴿ وَجَاءَ إِخْرَجَةً يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾٥٨﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِمَا زِهْمَهُمْ قَالَ أَتُؤْنِي بِأَخْ لَكُمْ مِنْ أَيِّكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ ﴾٥٩﴾ [يوسف: ٥٨ - ٥٩]. فهم خرجوا جميعاً إلى مصر أول مرة عدا شقيق يوسف عليه السلام.

وقال تعالى ﴿ يَبْنَىَ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحَ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾٨٧﴾ [يوسف: ٨٧]. وعادوا جميعاً إلى مصر كما أمرهم أبوهم؛ عدا من كان في مصر وهو شقيق يوسف وكثيرهم .

قال القرطبي : «وَلَمَّا فَصَلَّتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَحِدُ رِبَحْ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونَ» أي قال من حضر من قرباته من لم يخرج إلى مصر وهم ولد ولده: «قَالُوا تَالَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَالْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىَ

وَجْهِهِ، فَأَرْتَدَ بَصِيرَةِ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَأَبَا إِنَّا
آسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾ [يوسف: ٩٥ - ٩٧].

في الكلام حذف، التقدير: فلما رجعوا من مصر قالوا يا أبا إنا؛ وهذا يدل على أن الذي قال له: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَلِيلٍ الْقَدِيمٌ﴾ بنو بنية أو غيرهم من قرابته وأهله لا ولده؛ فإنهم كانوا غيباً، وكان يكون ذلك زيادة في العقوق.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ الْقَنْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَرْتَدَ بَصِيرًا قَالَ اللَّمَّا أَقْلَعَ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦].
في الآية ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى

علام يعود ضمير الفاعل في قوله ﴿الْقَنْهُ﴾ ؟

قال أبو حيان : " والضمير المستكن في (اللقاه) عائد على البشير، وهو الظاهر، قوله: فألقوه. وقيل: يعود على يعقوب عليه السلام".

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: إن الضمير يعود على البشير، وهو قول بعض من المفسرين واختاره أبو حيان .

قال الطبرى : " قوله: ﴿الْقَنْهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ يقول: ألقى البشير قميص يوسف عليه السلام على وجه يعقوب عليه السلام".

وقال البعوى : "يعنى: ألقى البشير قميص يوسف عليه السلام على وجه يعقوب عليه السلام".
وقال الخازن: "يعنى فألقى البشير قميص يوسف عليه السلام على وجه يعقوب عليه السلام".

القول الثاني : إن الضمير يعود على يعقوب عليه السلام . وقد ذكره جماعة من المفسرين.

١ - البحر الحيط (ح ٥ / ل ٤٥) (٢٤٠ / ٥).

٢ - الطبرى (٤١ / ١٣)، البعوى آية ٩٦، الخازن آية ٩٦، ابن كثير (٤ / ٣٥١)، ابن عادل (١١ / ٢٠٨)، البقاعي (٤ / ٩٦)، الجلالين آية ٩٦. الألوسي (٣١ / ١٦). وأشار الماوردي وابن الجوزي والقرطبي إلى ذلك .

٣ - الزمخشري (٢ / ٣٤٢)، الرازى (١٨ / ٥٠٩)، البيضاوى (٣ / ٣٠٨)، النسفي (٢ / ٢٤٠)، الشريفى (٢ / ١٤٨)، أبي السعود (٤ / ٢٩٩)، الشوكانى (٣ / ٥١).

قال الزخشري : " ﴿أَلْقَنُهُ﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليهما السلام .
أو ألقاه يعقوب عليهما السلام ."

وقال الرازى : قوله : ﴿أَلْقَنُهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي طرح البشير القميص على وجه
يعقوب عليهما السلام أو يقال ألقاه يعقوب عليهما السلام على وجه نفسه ."

وقال البيضاوى : " ﴿أَلْقَنُهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ طرح البشير القميص على وجه
يعقوب عليهما السلام أو يعقوب نفسه ."

ما سبق إيراده نلاحظ ما يلي :

- أما القول الأول فهو ظاهر .
- وأما القول الثاني فإن دلالة السياق ت رده فيعقوب عليهما السلام وجد ريح يوسف عليهما السلام ولكن لا يعلم بأمر القميص ؛ وكذا فإن يوسف عليهما السلام قال :

$$\text{﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾}$$
 فأمرهم أن يلقوه فيكون من باب المفاجأة له .

الترجح :

يترجح أن الضمير يعود على البشير، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:
١. لدلالة السياق .

٢. لعود الضمير إلى أقرب مذكور وهو البشير، فقاعدة الترجح تقول
[الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه] [□].

قال الألوسي : " أي ألقى البشير القميص ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي وجه
يعقوب عليهما السلام ، وقيل : فاعل (أَلْقَنُهُ) ضمير يعقوب عليهما السلام أيضاً والأول أوفق
لقوله : ﴿فَأَلْقُوهُ﴾ على وجه أبي ."

١ - قواعد الترجح (٦٢١/٢).

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿وَجِهِهِ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر إنه أريد الوجه كله كما جرت العادة أنه متى وجد الإنسان شيئاً يعتقد فيه البركة مسح به وجهه . وقيل: عبر بالوجه عن العينين. لأنهما فيه. وقيل: عبر بالكل عن البعض" ^(□)
الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : المراد به الوجه، قاله ابن إسحاق؛ وهو قول كثير من المفسرين^(□)؛ واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : "... عن ابن إسحاق^(□): ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ أَبْشِيرٌ﴾ ألقى القميص على وجهه.

وقال الماوردي : ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ يعني ألقى قميص يوسف عليه ووجه يعقوب^(العليل).

وقال ابن الجوزي : ﴿أَلْقَاهُ﴾ يعني القميص ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾ يعني يعقوب^(العليل).

القول الثاني: المراد به العينان وهو قول القرطبي^(□) ، وذكره أبو حيان.

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٤٥) (٣٤٠/٥).

٢ - الطبرى (٤١/١٣)، البغوى آية ٩٦، الزمخشري (٣٤٢/٢)، ابن الجوزي (٢١٤/٤)، الرازى (٥٠٩/١٨)، البيضاوى (٣٠٨/٣)، النسفي (٢٤٠/٢)، ابن جزي (٢٣٣/٢)، الخازن آية ٩٦، ابن كثير (٤/٣٥١)، ابن عادل (١١/٢٠٨)، البقاعي (٤/٩٦)، الجلالين آية ٩٦، الشربى (٢/١٤٨)، أبي السعود (٤/٢٩٩)، الشوكاني (٣/٥١)، الألوسي (١٦/٣١).

٣ - وسنده قال: "حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق."

٤ - الجامع لأحكام القرآن (٩/٢٥٩).

قال القرطبي : " قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي على عينيه .."

القول الثالث: المراد أنه ألقاء على بعض وجهه وليس على كل الوجه، ذكره أبو حيان.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول فهو صريح للفظ القرآني.
- وأما القول الثاني فهو بعيد وذلك لمخالفته لصريح للفظ القرآني فليس هناك حاجة أن يفسر الوجه بالعين وإن كانت هي المقصودة من ألقاء القميص .
- وأما القول الثالث فهو من إطلاق الكل على البعض، ويندرج في القول الأول.

الترجح:

يترجح أن المراد هو الوجه، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لأنه [لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل] .[□] وهي قاعدة

مهمة من قواعد الترجح.

٢. أن العين هي المقصودة من الإلقاء وذلك مفهوم من لفظ الوجه فهي

داخله في نطاقه، فدلالة لفظ الوجه تعطي مساحة أوسع للتأمل.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجح (١٣٧/١).

المسألة الثالثة

ما المراد بقوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر أن قوله : إني أعلم، محكي بالقول ويريد به إنما أشكو بشي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون." (□)

الدراسة :

في المسألة قولان:

القول الأول : إن قوله : إني أعلم، محكي بالقول ، وهو قول جماعة من المفسرين (□)، واختاره أبو حيان، واختلفوا بالمراد به على أقوال :

الأول : المراد قوله إنما أشكون بشي وحزني إلى الله. واختاره أبو حيان .

الثاني : ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه السلام، وأن الله يجمع بيننا وبينه.

الثالث : من صحة رؤيا يوسف عليه السلام.

الرابع : من بلوى الأنبياء بالحزن، ونزل الفرج.

الخامس : المراد من أخبار ملك الموت إبليس، وكان أخبره أنه لم يقبض

روحه.

السادس : أن يشير إلى حسن ظنه بالله فقط.

قال الطبرى : " ﴿قَالَ أَلَمْ أَفْلَ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول يحيى بن عيسى : قال يعقوب عليه السلام لمن كان بحضرته حينئذٍ من ولده : ألم أقل لكم يا بني إني

١ - البحر الحيط (ح / ٥ ل / ٢٤٦) (٣٤٠ / ٥).

٢ - الطبرى (٤١ / ١٣)، الماوردي والبغوي آية ٩٦، ابن عطية (٢٨٠ / ٣)، الرازى (٥٠٩ / ١٨)، البيضاوى (٣٠٨ / ٣)، النسفي (٢٤٠ / ٢)، ابن جزي (٢٣٣ / ٢)، الخازن آية ٩٦، ابن كثير (٣٥١ / ٤)، ابن عادل (٢٠٨ / ١١)، البقاعي (٩٦ / ٤)، الجلالين آية ٩٦، الشربيني (١٤٨ / ٢)، أبي السعود (٤ / ٢٩٩)، الشوكاني (٥١ / ٣)، الألوسي (١٦ / ٣١).

أعلم من الله أنه سيرد على يوسف ﷺ، ويجمع بيني وبينه، وكتتم لا تعلمون أنت من ذلك ما كنت أعلم به، لأن رؤيا يوسف ﷺ كانت صادقة، وكان الله قد قضى أن آخر أنا وأنتم له سجودا، فكنت موقدنا بقضاءه.

وقال الماوردي : «**قَالَ اللَّمَّا أَقْلَ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**» فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: إني أعلم من صحة رؤيا يوسف ﷺ ما لا تعلمون.

الثاني: إني أعلم من قول ملك الموت أنه لم يقبض روح يوسف ﷺ ما لا تعلمون.

الثالث: إني أعلم من بلوى الأنبياء بالمحن ونزول الفرج ونيل الثواب ما لا تعلمون.

وقال البغوي : «**قَالَ اللَّمَّا أَقْلَ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**» من حياة يوسف ﷺ وأن الله يجمع بيننا.

وقال ابن عطية : ثم وفهم على قوله: «**إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**» وهذا - والله أعلم - هو انتظاره لتأويل الرؤيا - ويحتمل أن يشير إلى حسن ظنه بالله تعالى فقط.

قال الرازي : والمراد علمه بحياة يوسف ﷺ من جهة الرؤيا، لأن هذا المعنى هو الذي له تعلق بما تقدم، وهو إشارة إلى ما تقدم من قوله: «**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُرْزِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**» [يوسف: ٨٦].

القول الثاني : قوله (إني أعلم) ، كلام مبتدأ لم يقع عليه القول. وهو قول الزمخشي (□)

قال الزخري: "﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ يعني قوله ﴿إِنِّي لَا جِدُّ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أو قوله: ﴿وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] وقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ كلام مبتدأ لم يقع عليه القول، ولذلك أن توقعه عليه وتربي قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَيْنِ وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]. نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الثاني يرجع إلى القول الأول في تفسير المراد من إني أعلم .

الترجح:

يترجح أن المراد من قوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كل ما يشمل هذه العبارة مما يقوى إيمان العبد ويزيد من ثقته وتوكله على الله وحسن الظن به أضعف إلى ذلك صدق مشاعر الآباء تجاه ابنه وإحساسه القوي من فيض هذا العلم أن الله سيجمعه بابنه ويعوض صبره خيرا وفيها وكل ما حدث بعد ذلك دل السياق القرآني على معنى قوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩].

في الآية ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى

ما المراد بقوله «إِلَيْهِ أَبُوهُ»؟

قال أبو حيان : آوي إليه أبويه أي : ضمهمما إليه وعائقهما، والظاهر أنهما أبوه وأمه راحيل. فقال الحسن وابن إسحاق: كانت أمه بالحياة.

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول : المراد أبوه وأمه ، قاله الحسن وابن إسحاق؛ وفيه قولان:
الأول : كانت أمه بالحياة. واختاره أبو حيان .

الثاني : كانت ماتت من نفاس بنيا مين، وأحياناً لها ليصدق رؤياه في

قوله: ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْنَاهُمْ لِي سَجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤]؛ وهو قول جماعة من المفسرين .

قال الطبرى : "وقال آخرون: بل كان أباه وأمه ... عن ابن إسحاق : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ إِلَيْهِ أَبُوهُ ﴾ قال: أباه وأمه."
وقال الماوردي : إنهما أبوه وأمه وكانت باقيه إلى دخول مصر ، قاله الحسن وابن إسحاق ."

١ - البحر الحيط (٥/٢٤٦) (٥/٣٤١).

٢ - الطبرى (٤٢/١٣)، الماوردي ، والبغوى آية ٩٩ ، ابن عطية (٣/٢٨٠)، ابن الجوزي (٤/٢١٥)، الرازى (١٨/٥١٤)، القرطبي (٩/٢٥٩)، البيضاوى (٣/٣٠٨)، النسفي (٢/٣٤٠)، ابن جزي (٤/٩٨)، الحازن آية ٩٩، ابن كثير (٤/٣٥٢)، ابن عادل (١١/٢١٢)، البقاعي (٤/٢٣٤)، الجلالين آية ٩٩، الشوكانى (٣/٥٣)، الألوسي (٣١/٥٦)، ابن عاشور (١٣/٥٤).

وقال البعوي : " قال الحسن: هو أبوه وأمه وكانت حية".

القول الثاني : المراد أبوه وحالته، وكان يعقوب تزوجها بعد موت راحيل، والخالة أم؛ وكانت ربت يوسف، والرابة تدعى أمّا^١ قاله ابن عباس والسدي^٢ وهو قول كثير من المفسرين^٣.

قال الطبرى : " عُرِي بقوله: ﴿ءَاوَى إِلَيْهِ أَبُوئِيهِ﴾ : أبوه وحالته. وقال الذين قالوا هذا القول : كانت أم يوسف قد ماتت قبل^٤. وإنما كانت عند يعقوب يومئذٍ خالته أخت أمها، كان نكحها بعد أمها ... عن السدي^٥: فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبُوئِيهِ قال: أبوه وحالته.."

وقال الماوردي : " إنهم أبوه وحالته راحيل، وكان أبوه قد تزوجها بعد أمها فسميت أمّا، وكانت أمها قد ماتت في نفاس أخيه بنiamin، قاله وهب والسدي".
وقال الواحدى : " قال عامة المفسرين: يعني أبله وحالته وذلك أن أمها كانت قد ماتت في نفاسها بنiamin..".

القول الثالث : المراد أبوه وجدته أم أمها، ذكره ابن عطية وأبو حيان
والألوسي^٦.

قال ابن عطية : " وقال بعضهم: أباه وجدته - أم أمها - حكاہ الزهراوى".

قال أبو حيان : " وقال بعضهم: أبوه وجدته أم أمها، حكاہ الزهراوى".

١ - الطبرى (٤٢/١٣)، الماوردي آية ٩٩ ، الواحدى في الوسيط (٦٣٥/٢)، والبعوى آية ٩٩ ، الزمخشري (٣٤٤/٢)، ابن عطية (٢٨٠/٣)، ابن الجوزى (٤/٢١٥)، الرازى (١٨/٥١٤)، القرطبي (٢٥٩/٩)، البيضاوى (٣٠٨/٣)، النسفي (٢/٣٤٠)، ابن جزي (٢/٢٣٤)، الخازن آية ٩٩، ابن كثير (٣٥٢/٤)، ابن عادل (١١/٢١٢)، البقاعى (٤/٩٨)، الجلالين آية ٩٩ ، وأبى السعود (٤/٢٩٩).

الشوکانى (٣/٥٣)، الألوسى (٣١/٥٦)، ابن عاشور (١٣/٥٤).

٢ - وسنده قال: " حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسباط، عن السدى".

٣ - ابن عطية (٣/٢٨٠)، الألوسى (٣١/٥٦).

وقال الألوسي : " وقال بعضهم: المراد أبوه وجدته أم أمه حكاه الزهراوي.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما المراد أبوه وأمه، فهو الظاهر.
- أما ما ذكر في القول الأول من أنه أحبي أمه فهو بعيد لعدم الدليل كذلك.
- وأما القول الثاني وإن كان هو الأشهر إلا أنه يفتقر إلى الدليل أيضا.
- أما القول الثالث فهو ضعيف لعدم الدليل وبعده.

الرجح:

يترجح أن المراد هو أبوه وأمه، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأنه الأظهر والأقرب للفظ القرآني .

٢. لدلالة السياق .

٣. أن من خلاله تتحقق رؤيا يوسف عليه السلام على التمام.

قال الطبرى : " أولى القولين في ذلك بالصواب ما قاله ابن إسحاق لأن ذلك هو الأغلب في استعمال الناس والمعارف بينهم في (أبوين)، إلا أن يصح ما يقال من أن أم يوسف عليه السلام كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها، فيسلم حينئذ لها .."

وقال ابن عطية : " والأول أظهر - بحسب اللفظ - إلا لو ثبت بسند أن أمه قد كانت ماتت".

وقال ابن كثير : " قال ابن جرير: ولم يقم دليل على موت أمه، وظاهر القرآن يدل على حياتها، وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدل عليه السياق."

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ أَمِينٌ﴾؟

قال أبو حيان : " وظاهر قوله: ادخلوا مصر، إنه أمر بإنشاء دخول مصر .

قال السدي: قال لهم ذلك وهم في الطريق حين تلقاهم انتهى . فيبقى قوله: فلما دخلوا على يوسف كأنه ضرب له مضرب، أو بيت حالة التلقي في الطريق فدخلوا عليه فيه . وقيل: دخلوا عليه في مصر . ومعنى ادخلوا مصر أي: تمكنا منها واستقرروا فيها." □

الدراسة :

في المسألة قوله :

القول الأول : المراد إنه أمر بإنشاء دخول مصر ، وهو قول بعض المفسرين □، واختاره أبو حيان .

قال الطبرى : " يقول جل ثناؤه : فلما دخل يعقوب عليه السلام وولده وأهله وهم على يوسف عليه السلام أوى إليه أبويه يقول: ضم إليه أبويه، فقال لهم : أدخلوا مصر إن شاء الله أمين ."

فإن قال قائل: وكيف قال لهم يوسف عليه السلام: أدخلوا مصر إن شاء الله أمين بعد ما دخلوها، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف عليه السلام وضم إليه أبويه قال لهم هذا القول؟ قيل: قد اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم: إن يعقوب عليه السلام إنما دخل على يوسف عليه السلام هو وولده، وأوى يوسف عليه السلام أبويه إليه قبل دخول مصر، قالوا: وذلك لأن يوسف عليه السلام تلقى أباه تكرمة له قبل أن يدخل مصر، فآواه إليه، ثم قال له ولمن معه: أدخلوا مصر

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٢٤٦) (٣٤١ / ٥).

٢ - الطبرى (١٣ / ٤٢)، الوادى (٢ / ٦٣٥)، الزمخشري (٢ / ٣٤٤)، الرازى (١٨ / ٥١٤).

إِن شَاءَ اللَّهُ إَمْنِينَ بِهَا قَبْلَ الدُّخُولِ".

وقال الواحدي : "فقال لهم قبل دخولهم مصر ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ إَمْنِينَ﴾".

وقال الزمخشري : "إِنْ قَلْتَ: مَا مَعْنَى دُخُولِهِمْ عَلَيْهِ قَبْلَ دُخُولِهِمْ مِصْرَ؟ قَلْتَ: كَأَنَّهُ حِينَ اسْتَقْبَلُهُمْ نَزَلَ لَهُمْ فِي مَضْرِبٍ أَوْ بَيْتٍ ثُمَّ فَدَخَلُوكُمْ عَلَيْهِ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ إَمْنِينَ﴾".

القول الثاني : المراد أنه قال لهم بعد الدخول عليه تمكناً منها واستقروا فيها .
وهو قول جماعة من المفسرين. □

قال ابن عطية : "وقوله: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ معناه: تمكناً واسكناً واستقروا، لأنهم قد كانوا دخلوا عليه".

وقال البيضاوي : "أَمَّا ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ إَمْنِينَ﴾ من القحط وأصناف المكاره، والمشيئة المتعلقة بالدخول المكيف بالأمن والدخول الأول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ."

وقال النسفي : "ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر أنه حين استقبلهم نزلهم في مضرب خيمة أو قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضم إليه أبويه ﴿وَقَالَ﴾ لهم بعد ذلك ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ إَمْنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩] من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجواز أو من القحط."

نلاحظ ما سبق لإيراده ما يلي:

١ - ابن عطية (٣/٢٨٠)، ابن الجوزي (٤/٢١٥)، البيضاوي (٣/٣٠٨)، النسفي (٢/٣٤٠)، ابن جزي (٢/٢٣٤)، الخازن آية ٩٩، ابن كثير (٤/٣٥٢)، ابن عادل (١١/٢١٢)، البقاعي (٤/٩٨)، الشوكاني (٣/٥٣)، الألوسي (٣١/٥٦)،

أنه ذكر في الآية دخولان :

الأول : في قوله ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ إِوْيَى إِلَيْهِ أَبُو يَهُ﴾.

الثاني : في قوله ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ إِمْنِينَ﴾.

والمتأمل للسياق يعرف أن الغرض من مجئهم هو دخول مصر والسكنى فيها فليس هناك حاجة أن يأمرهم بلفظ الأمر بالدخول فهو الذي طلب إليهم

القدوم إليها بقي أن يقال قوله ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ إِوْيَى إِلَيْهِ أَبُو يَهُ﴾ هو إخبار بدخولهم على يوسف عليه السلام وهو دخولهم مصر سواء كان الدخول عليه

في داره أم مدخل مصر، وأن قوله ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ إِمْنِينَ﴾. إبلاغهم أن هذا الدخول سيكون مصحوباً بالأمن والاستقرار والرخاء فيكون من باب التأكيد بالمكانة والرفعة والاطمئنان.

وقد يكون من باب الدعاء كما قال ابن عاشور : " قوله: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ إِمْنِينَ﴾ جملة دعائية بقرينة قوله: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ لكونهم قد دخلوا مصر حينئذٍ. فالأمر في ﴿أَدْخُلُوا﴾ للدعاء كالذي في قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُم﴾ [الأعراف: ٤٩].

والمقصود: تقييد الدخول بـ ﴿إِمْنِينَ﴾ وهو مناط الدعاء . □

الترجح :

يترجح القول أن المراد هو دخول مصر مع الأمن والاستقرار فيها، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لأن المفهوم من السياق .

قال الخازن : " ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ قيل المراد بالدخول الأول في قوله فلما

١ - التحرير والتنوير (١٣/٥٤).

دخلوا على يوسف ﷺ أرض مصر و ذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد و قيل إنه أراد بالدخول الأول دخولهم مصر وأراد بالدخول الثاني الاستطيان بها أي ادخلوا مصر مستوطنين فيهما".

وقال ابن كثير : " وما المانع أن يكون قال لهم بعدهما دخلوا عليه و آواههم إليه: ادخلوا مصر، و ضمنه اسكنوا مصر إن شاء الله آمنين، أي مما كنتم فيه من الجهد والقط".

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

ما الذي تعلق على مشيئة الله؟

قال أبو حيان م : "والظاهر تعلق الدخول على مشيئة الله لما أمره بالدخول، علق ذلك على مشيئة الله لأن جميع الكائنات إنما تكون بمشيئة الله، وما لا يشاء لا يكون. قال الزمخشري: التقدير ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، إن شاء الله دخلتم آمنين، ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام، ثم اعتراض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال . ومن بدع التفاسير أن قوله : إن شاء الله من باب التقديم والتأخير، وأن موضعه بعد قوله : سوف أستغفر لكم ربى في كلام يعقوب السعيلية انتهى. وهذا البدع من التفسير مروي عن ابن جرير، وهو في غاية البعد، بل في غاية الامتناع." □

في المسألة قولان:

القول الأول : تعلق الدخول على مشيئة الله لما أمرهم بالدخول ، وهو قول كثير من المفسرين □، واختاره أبو حيان .

قال الطبرى : "... إن يوسف تلقى أباه تكرمة له قبل أن يدخل مصر، فآواه إليه، ثم قال له ولن معه: أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين بها قبل الدخول عن السديّ □: فحملوا إليه أهلهم وعيالهم، فلما بلغوا مصر كلم يوسف السعيلية الملك الذي فوقه، فخرج هو والملوك يتلقونهم، فلما بلغوا مصر

١ - البحر الحيط (ح ٥ / ل ٢٤٧) (٣٤١ / ٥).

٢ - الطبرى (٤٢/١٣)، الماوردي والبغوي آية ٩٩، ابن عطية (٣/٢٨٠)، ابن الجوزي (٤/٢١٥)، الرازى (١٨/٥١٤)، القرطبي (٩/٢٥٩)، اليضاوى (٣/٣٠٨)، النسفي (٢/٣٤٠)، ابن جزي (٢/٢٣٤)، الخازن آية ٩٩، ابن كثير (٤/٣٥٢)، ابن عادل (١١/٢١٢)، البقاعي (٤/٩٨) (الحالين آية ٩٩)، الشوكاني (٣/٥٣)، الألوسي (٣١/٥٦)، ابن عاشور (١٣/٥٤).

٣ - وسنده قال: "حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عمرو، عن أسلطط، عن السديّ."

قال ﴿اَذْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ اَمِينَ فَلَمَا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبُوهُه﴾.

وقال الماوردي : إن يعود إلى استيطان مصر ، وتقديره استوطنا مصر إن شاء الله.

وقال ابن عطية: قال لهم ذلك في الطريق حين تلقاهم - قاله السدي وهذا الاستثناء هو الذي ندب القرآن إليه ، أن يقوله الإنسان في جميع ما ينفذه بقوله في المستقبل.

القول الثاني : إن قوله: إن شاء الله من باب التقاديم والتأخير، و إن موضعه بعد قوله: سوف أستغفر لكم ربِّي في الكلام يعقوب قاله ابن جريج . وذكره عنه كثير من المفسرين □ .

قال الطبرى : قال آخرون: بل قوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء من قول يعقوب عليه السلام لربِّه أستغفرُ لكم ربِّي قال: وهو من المؤخر الذي معناه التقاديم، قالوا: وإنما معنى الكلام : قال: أستغفر لكم ربِّي إن شاء الله إنه هو الغفور الرحيم . فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبوه و قال ادخلوا مصر ورفع أبوه. ذكر من قال ذلك:

...عن ابن جريج □: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ إن شاء الله آمين. وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن يعني ابن جريج : (وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن) أنه قد دخل بين قوله : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي وبين قوله : إن شاء

١ - الطبرى (٤٢/١٣)، النحاس في معاني القرآن (٥٥٥/١)، الماوردي والبغوي آية ٩٩، ابن عطية (٣/٢٨٠)، ابن الجوزي (٤/٢١٥)، الرازى (١٨/٥١٤)، القرطبي (٩/٢٥٩)، النسفي (٢/٣٤٠)، ابن جزي (٢/٢٣٤)، الخازن آية ٩٩، ابن كثير (٤/٣٥٢)، ابن عادل (١١/٢١٢)، الشوكانى (٣/٥٣)، الألوسي (٣١/٥٦)، ابن عاشور (١٣/٥٤).

٢ - حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج.

اللّهُ من الكلام ما قد دخل، وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله : سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي..

وقال النحاس: قال ابن جريج: أي سوف أستغفر لكم ربى إن شاء الله؛
قال: وهذا من تقديم القرآن وتأخيره؛ قال النحاس : يذهب ابن جُريج إلى
أنهم قد دخلوا مصر فكيف يقول: ﴿اَدْخُلُوا مِصْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

وقال الماوردي : إنه راجع إلى قول يعقوب: سوف أستغفر لكم ربى إن
شاء الله آمنين إنه هو الغفور الرحيم ، ويكون اللفظ مؤخرًا ، وهو قول ابن
جريج ..

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فهو ظاهر.
- وأما القول الثاني ففيه ضعف لأنّه لم يقم على دليل واضح يقوى القول
بالتقديم والتأخير.

قال ابن عطية: وقال ابن جريج: هذا مؤخر في اللفظ وهو متصل في المعنى
بقوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ ... وفي هذا التأويل ضعيف.

الترجح:

يترجح تعلق الدخول على مشيئة الله لما أمرهم بالدخول ، وهو اختيار أبي
حيان ومن وافقه. وذلك:

١. لدلالة السياق.
٢. ولا وجہ للقول بالتقدیم والتأخیر.

قال الطبری : والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله السُّدِّی، وهو
أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم
مصر حين تلقاهم، لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك، فلا دلالة تدل على
صحة ما قال ابن جريج، ولا وجہ لتقدیم شيء من كتاب الله عن موضعه أو

"تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة."

قال تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُولَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَكْبَتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُيَّتِي مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ أَلْبَدُو مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِ وَبَيْنِ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

في الآية ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى

هل الرفع والخرور قبل الدخول إلى مصر أم بعد الدخول ؟

قال أبو حيان : " ويحتمل أن يكون الرفع والخرور قبل دخول مصر بعد قوله: ادخلوا مصر، فكان يكون في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال أو الإبل، فحين دخلوا إليه آوى إليه أبوه وقال : ادخلوا مصر، ورفع أبوه . وخرعوا له ."

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول: إن الرفع والخرور قبل الدخول إلى مصر، وذكر هذا القول أبو حيان من باب الاحتمال ولم يذكره غيره من المفسرين مما اطلعنا على كتبهم .

القول الثاني: إن الرفع والخرور كان بعد الدخول إلى مصر، قد ذهب إليه بعض من المفسرين .

قال النسفي : " قيل لما دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستويًا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبوه فرفعهما على السرير وخرعوا له يعني الإخوة الأسد

١ - البحر المحيط (٣٤١/٥) وهذا الترجيح ساقط من النسخة الخطية.

٢ - النسفي (٣٤١/٢)، ابن كثير (٣٥٢/٤)، البقاعي (٩٨/٤)، أبي السعود (٢٩٩/٤)، الشوكاني (٥٥/٣).

عشر والأبوين سجداً".

وقال ابن كثير : ومعنى الكلام ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ أَمِينِ﴾ وآوى إليه أبويه ورفعهما على العرش... ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ أي سجد له أبواه وإن خوطه الباقيون. وكانوا أحد عشر رجلاً.

وقال البقاعي : ولما ذكر الأمان الذي هو ملاك العافية التي بها لذة العيش ، اتبعه الرفعة التي بها كمال النعيم، فقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ أي بعدهما استقرت بهم الدار بدخول مصر مستويين ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي السرير الرفيع .. ﴿وَخَرُّوا﴾ أي انحطوا له سجداً الأبوان والأخوة تحقيقاً لرؤياه من هو غالب على كل أمر.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الأول بعيد ويرده السياق .

الرجح :

يتزوج أن الرفع والخرور كان بعد دخول مصر وذلك:

١. لدلالة السياق وترتبط أحداث القصة.

٢. لكون الخرور تحقيقاً لرؤيا يوسف عليه السلام فمن تمام تتحققها أن تكون على مرأى من الناس ولا يتحقق ذلك إلا بعد الدخول إلى مصر.

قال الشوكاني : إنه تلقاهم إلى خارج مصر، فوقف متظراً لهم في مكان أو خيمة، فدخلوا عليه فـ ﴿مَا وَأَوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ فلما دخلوا مصر ودخلوا عليه دخولاً آخر في المكان الذي له بمصر ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: أجلسهما معه على السرير الذي يجلس عليه كما هو عادة الملوك ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ أي: الأبوان والأخوة،.

المسألة الثانية

ما المراد بالسجود في قوله ﴿وَخَرُّوا لِهِ سُجَّدًا﴾؟

قال أبو حيان : " وظاهر قوله : وخرروا له سجداً أنه السجود المعهود ... وكان السجود إذ ذاك جائزأ من باب التكريم بالمصافحة، وتقبيل اليد، والقيام مما شهر بين الناس في باب التعظيم والتوقير . وقال قتادة: كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة . وقيل: هذا السجود كان إيماء بالرأس فقط . وقيل: كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض. ولفظة وخرروا تأبى هذين التفسرين." □

الدراسة :

في المسألة أربعة أقوال :

القول الأول : إنه السجود الم عهود، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وابن جرير وهو قول كثير من المفسرين □ واختاره أبو حيان .

قال الطبرى : " قوله: ﴿وَخَرُّوا لِهِ سُجَّدًا﴾ يقول: وخرّ يعقوب عليه السلام سجداً. ثم ذكر من قال من الصحابة والتابعين .
وقال الماوردي - بعد أن ذكر أن فيه ثلاثة أوجه - : " إنهم سجدوا ليوسف عليه السلام تعظيماً له ، قال قتادة: وكان السجود تحية من قبلكم وأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة".

وقال البغوي: وقيل : وضعوا الجباء على الأرض وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم لا على طريق العبادة . وكان ذلك جائزأ في الأمم السالفة

١ - البحر المحيط (٣٤٢/٥) وهذا الترجيح ساقط من النسخة الخطية.

٢ - الطبرى (٤٢/١٣)، الماوردي والبغوي آية ١٠٠، الرازى (٥١٤/١٨)، البيضاوى (٣٠٩/٣)، النسفي (٣٤١/٢)، ابن جزي (٢٣٤/٢)، الخازن آية ١٠٠، ابن كثير (٣٥٢/٤)، أبي السعود (٢٩٩/٤)، الشوكانى (٥٥/٣)، الألوسى (٦٦/٣١).

فنسخ في هذه الشريعة".

القول الثاني: إن هذا السجود كان انحناء أو إيماء بالرأس فقط ، قاله الحسن
وهو قول الواحدي والجلالين.^(□)

قال الواحدي : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ، سُجَّدًا ﴾ سجدوا ليوسف عليه السلام سجدة التّحِيَّة
وهو الانحناء".

وقال البعوي : وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع
الجباه على الأرض وإنما هو الانحناء والتواضع.

وقال الجلالان : ﴿ وَخَرُّوا ﴾ أي أبواه وإخوته ﴿ لَهُ، سُجَّدًا ﴾ سجود انحناء لا
وضع جبهة وكان تحيتهم في ذلك الزمان .

القول الثالث: إنه كان كالركوع البالغ دون وضع العجبة على الأرض. ذكره
القرطبي^(□) وأبو حيان .

قال القرطبي : وقيل: كان انحناء كالركوع، ولم يكن خروراً على الأرض.

القول الرابع: إن السجود هنا التواضع، والخرور بمعنى المرور لا السقوط على
الأرض لقوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِعَيْنِتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمَّاً وَعُمِيَّانَا ﴾
[الفرقان: ٧٣] أي لم يمرروا عليها. ذكره الرازى^(□) وأبو حيان.

قال الرازى : أن الخرور قد يعني به المرور فقط قال تعالى : ﴿ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا
صُمَّاً وَعُمِيَّانَا ﴾ [الفرقان: ٧٣] يعني لم يمرروا.

وقال أبو حيان : وقيل: السجود هنا التواضع، والخرور بمعنى المرور لا

١ - الواحدي في الوجيز والجلالين آية ١٠٠ .

٢ - الجامع لأحكام القرآن (٩/٢٦٤) .

٣ - مفاتيح الغيب (١٨/٥١٤) .

السقوط على الأرض لقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُواْ يَأْتِيْ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوْ أَعْلَيْهَا صُمَّاً وَعَمَيْانًا﴾ [الفرقان: ٧٣] أي لم يروا عليها.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن الأقوال كلها عدا القول الأول بعيدة لأنها صرف للفظ القرآني عن ظاهره؛ ولا يتadar إلى الذهن عند سماع لفظ السجود غير وضع الجباء على الأرض.

الترجح:

يترجح أن المراد بالسجود المعهود وضع الجباء على الأرض . وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لدلالة الظاهر، ومعهود اللفظ.

قال الشوكاني : "إإن الخرور في اللغة المقيد بالسجود لا يكون إلا بوضع الوجه على الأرض."

وقال الألوسي: "خروا له ﴿سُجَّدًا﴾ أي على الجبهة كما هو الظاهر، وهو كما قال أبو البقاء حال مقدرة لأن السجود يكون بعد الخرور وكان ذلك جائزًا عندهم وهو جار مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمسافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير".

ومما ينبغي التنبيه عليه حتى يزول الإشكال في المعنى أن السجود كان سجود تعظيم وتحية لاسجود عبادة تحقيقا لأمر الله في تأويل الرؤيا ؛ كما

سجد الملائكة لآدم سجود تكريما بأمر من الله ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِلَيْسَ أَبَنَ وَاسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

قال القرطبي : "وأجمع المفسرون أن ذلك السجود لـ أي وجه كان فإنما كان تحية لا عبادة".

المسألة الثالثة

علام يعود الضمير في قوله ﴿وَخَرُّوا لَهُ﴾ ؟

قال أبو حيان : وإن الضمير في له عائد على يوسف العليل مطابقة الرؤيا في

قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدًا عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤] الآية... □)

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول: الضمير يعود على يوسف العليل، وهو قول كثير من المفسرين □)
واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : " قوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ يقول: وخرّ يعقوب العليل وولده
وأمه ليوسف العليل سجداً."

وقال الماوردي : " إنهم سجدوا ليوسف العليل تعظيمًا له".

وقال البغوى : ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ يعني: يعقوب العليل وخته وإخوته.
□)
القول الثاني: الضمير يعود على الله، وهو قول النحاس والرازي والخازن
وذكره بعض المفسرين □) مع القول الأول .

١ - البحر المحيط (٣٤٢/٥). وهذا الترجيح ساقط من النسخة الخطية، قوله : (وإن الضمير
...الخ) معطوف على قوله (وظهر قوله وخرروا له سجدا)؛ فيكون هذا وجه اختياره .

٢ - الطبرى (٤٢/١٣)، الماوردي والبغوى آية ١٠٠، الزمخشري (٣٤٤/٠٢)، ابن عطية (٣/٢٨٢)،
ابن الجوزي (٢١٦/٤)، القرطبي (٢٦٤/٩)، البيضاوى (٣٠٩/٣)، النسفي (٣٤١/٢)، ابن جزي
(٢/٢٣٤)، ابن كثير (٤/٣٥٢)، ابن عادل (١١/٢١٢)، الجلالين آية ١٠٠، أبي السعود
(٤/٢٩٩)، الشوكاني (٣/٥٥)، الألوسي (٣١/٦٦)، ابن عاثور (٣/٥٤).

٣ - النحاس في معاني القرآن (١/٥٥٦)، الرازي في مفاتيح الغيب (١٨/٥١٤)، الخازن في لباب
التأويل آية ١٠٠.

٤ - الماوردي والبغوى آية ١٠٠، ابن الجوزي (٤/٢١٦)، القرطبي (٩/٢٦٤)، البيضاوى
(٣/٣٠٩)، النسفي (٢/٣٤١)، الألوسي (٣١/٦٦)،

قال النحاس : "والمعنى : وخرروا لله سجداً ."

وقال الرازي : " وأما قوله : ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ ففيه إشكال ، وذلك :

لأن يعقوب عليه السلام كان أبا يوسف عليه السلام وحق الأبوة عظيم قال تعالى : ﴿وَقَضَى رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا﴾ [الإسراء: ٢٣] فقرن حق الوالدين بحق نفسه ، وأيضاً أنه كان شيخاً ، والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ .

والقول الثالث: إنه كان من أكابر الأنبياء ويوسف عليه السلام وإن كاننبياً إلا أن يعقوب عليه السلام كان أعلى حالاً منه .

والقول الرابع: إن جد يعقوب عليه السلام واجتهاده في تكثير الطاعات أكثر من جد يوسف عليه السلام ولما اجتمعت هذه الجهات الكثيرة فهذا يوجب أن يبالغ يوسف عليه السلام في خدمة يعقوب عليه السلام فكيف استجاز يوسف عليه السلام أن يسجد له يعقوب عليه السلام هذا تقرير السؤال .

والجواب عنه من وجوهه :

الوجه الأول: وهو قول ابن عباس في رواية عطاء أن المراد بهذه الآية أنهم خروا له أى لأجل وجدانه سجداً لله تعالى، وحاصل الكلام : أن ذلك السجود كان سجوداً للسكر فالم سجود له هو الله، إلا أن ذلك السجود إنما كان لأجله والدليل على صحة هذا التأويل أن قو له : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى آثَارِهِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ مشعر بأنهم صعدوا ذلك السرير، ثم سجدوا له، ولو أنهم سجدوا ليوسف عليه السلام لسجدوا له قبل الصعود على السرير لأن ذلك أدخل في التواضع فإن قالوا: فهذا التأويل لا يطابق قوله : ﴿وَقَالَ يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَنِي مِنْ قَبْلٍ﴾ والمراد منه قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

قلنا: بل هذا مطابق ويكون المراد من قوله : ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ﴾ لأجل أي أنها سجدت لله لطلب مصلحتي وللسعي في إعلاء منصبي، وإذا كان هذا محتملاً سقط السؤال . وعندي أن هذا التأويل متعين، لأنه لا يستبعد من عقل يوسف عليه السلام ودينه أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة.

والوجه الثاني: في الجواب أن يقال: إنهم جعلوا يوسف عليه السلام كالقبلة وسجدوا لله شكرًا لنعمة وجدانه . وهذا التأويل حسن فإنه يقال : صلية للكعبة كما يقال: صلية إلى الكعبة. قال حسان شعراً:

ما كنت أعرف أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لـ^{بـ}لتكم وأعرف الناس بالقرآن والسنة □

وهذا يدل على أنه يجوز أن يقال فلان صلى للقبلة، وكذلك يجوز أن يقال سجد للقبلة وقوله: ﴿وَخَرُّوا لِهِ سُجَّداً﴾ أي جعلوه كالقبلة ثم سجدوا لله شكرًا لنعمة وجدانه.

الوجه الثالث: في الجواب قد يسمى التواضع سجوداً ...
وقال الخازن : "إإن قلت كيف استجاز يوسف عليه السلام أن يسجد له أبوه وهو أكبر منه وأعلى منصباً في النبوة والشيخوخة؟ قلت : يحتمل أن الله تعالى أمر بذلك لتحقيق رؤياه ، ثم في معنى هذا السجود قولان : أحدهما أنه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا إشكال فيه ، والقول الثاني : أنه كان حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الأرض وهو مشكل لأن السجود على هذه الصورة لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى ، وأجيب عن هذا الإشكال بأن السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وإنما كان يوسف عليه السلام

١ - لم أجده في ديوانه .

كالقبلة كما سجد الملائكة لآدم ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع أبويه على العرش وخرموا له سجداً وظاهر هذا يدل على أنهم لما صعدوا على السرير خروا سجداً لله تعالى ولو كان يوسف عليه السلام لكان قبل الصعود لأن ذلك أبلغ من التواضع فإن قلت يدفع صحة هذا التأويل قوله ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وقوله ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ فإن الضمير يرجع إلى أقرب المذكرات وهو يوسف عليه السلام .

قلت: يحتمل أن يكون المعنى وخرموا الله سجداً لأجل يوسف واجتماعهم به.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فظاهر.

- وأما القول الثاني فهو بعيد من عدة وجوه :

الأول: إن سجودهم ليوسف عليه السلام فضل من الله عليه ورفعة في منزلته في الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿تِلْكَ الْرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

الثاني: إن سجود يعقوب عليه السلام وهو الأب ليوسف عليه السلام الابن ليس نقصا في قدر يعقوب حاشا وكلا وإنما هي كرامة أكرم الله بها الكريمة ابن الكرماء .

الثالث : أن هذا له نظير في نبي الله داود عليه السلام وابنه سليمان عليه السلام قال تعالى ﴿وَوَهَبَنَا لِدَاؤِدَ سَلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

وقال تعالى ﴿وَدَاؤِدَ وَسَلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَا فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتِ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَهِيدِينَ﴾ ٧٨ ففهـ منها سليمان و كلـا وإنـا حـكمـا وعلـما وسـخـرـنا مع داود الجـبار يـسـيـحـنـ وـالـطـيرـ وـكـنـا فـعـلـيـنـ ٧٩ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]. فالآلية واضحة تماماً الوضوح أن حكم سليمان عليه السلام الابن أصوب من حكم الأب

داود عليه السلام لأنه فضل الله ومع ذلك فكلا أتاهم الله حكما وعلما .

الرابع: أنه مما ذكر العلماء أن السجود كان تحية عندهم فحينئذ لا أشكال في أن يلقي الأب التحية بما هو متعارف عليه عندهم؛ لاسيما أنه كان في منصب رفيع قال الطبرى: " وإنما عنى من ذكر بقوله: إن السجود كان تحية بينهم، أن ذلك كان منهم على الخلق لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض .."

الخامس: حب يعقوب عليه السلام الشديد ليوسف عليه السلام تجعله يحيي بهذه التحية إذا أضفنا لهذا الحب فترة غيابه عنه وانقطاع أخباره يجعله يلقاء بأفضل تحية.

السادس: قال الخازن : " وقيل : يحتمل أن الله أمر يعقوب عليه السلام بتلك السجدة لحكمة خفية وهي أن إخوة يوسف عليه السلام ربما احتملتهم الأنفة والتكبر عن السجود ليوسف عليه السلام فلما رأوا أن أباهم قد سجد له سجدوا له أيضاً فتكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جائزًا في ذلك الزمان فلما جاء الإسلام نسخت هذه الفعلة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه"

السابع: مما لا شك فيه أن أنبياء الله أشد الناس بعداً عن كل ما يكرهه الله ويبغضه .

وهم أعلى الناس خلقاً ومنزلة فإن كان في سجود يعقوب عليه السلام نقصاً في قدره لكان يوسف عليه السلام من أشد المانعين له .

الثامن : دلالة السياق ترد هذا القول .

قال القرطبي : "اهء في ﴿خَرُّوا لَهُ﴾ قيل: إنها تعود على الله تعالى؛ المعنى: وخرّوا شكرًا لله سجداً؛ ويوسف كالقبلة لتحقي ق رؤياه، وهذا خطأ؛ واهء راجعة إلى يوسف لقوله تعالى في أول السورة : ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين﴾ [يوسف: ٤]."

التاسع: أن أسلوب القرآن وروعة بيانه يجعل هذا القول بعيداً .

العاشر: أن سجود الشكر لله لا يتنازع عليه اثنان وهو أول ما يتبادر إليه عن حصول النعمة، ولكان هنا عند أول اللقاء أو دخول مصر وليس بعد أن رفع أبويه على العرش. لاته سيكون سجود متأخراً على حصول النعمة.

الرجح:

يترجح أن الضمير يعود على يوسف وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك :

١. لدلالة السياق في حصول تفسير الرؤيا القديمة ليوسف العليل وتحقّقها على أكمل وجه.

٢. عود الضمير إلى أقرب مذكور وهو يوسف العليل. وهو موافق لقاعدة

الرجح : [الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه].

قال البغوي : "روي عن ابن عباس أنه قال : معناه خرُوا الله تعالى سُجَّداً بين يدي يوسف. والأول أصح."

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّلَاحِينَ﴾

[يوسف: ١٠١].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

ما المراد بالملك في قوله ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ ؟
قال أبو حيان : "والظاهر إن الملك هنا ملك مصر." □

الدراسة :

في المسألة خمسة أقوال :

القول الأول : المراد ملك مصر، وهو قول كثير من المفسرين □؛ واختاره أبو حيان .

قال الطبرى : "﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ يعني: من ملك مصر."
وقال الماوردي : "إنه أراد ملك الأرض وهو الأشهر . وإنما قال من الملك لأنه كان على مصر من قبل فرعون."

وقال البغوى : "﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ يعني: ملك مصر."
القول الثاني : المراد ملك نفسه من إنفاذ شهوته، ذكره أبو حيان .

قال أبو حيان : "وقيل: ملك نفسه من إنفاذ شهوته."

١ - البحر الحيط (ح/٥ ل/٢٤٧) (٣٤٣/٥).

٢ - الطبرى (٤٧/١٣)، الماوردي والبغوى آية ١٠١، الزمخشري (٣٤٤/٢)، ابن الجوزي (٢١٦/٤)، الرازى (٥١٨/١٨)، القرطى (٢٦٩/٩)، البيضاوى (٣/٣)، النسفى (٣٤٢/٢)، ابن جزي (٢٣٥/٢)، الخازن آية ١٠١ ، ابن عادل (٢١٢/١١)، أبي السعود (٤/٢٩٩)، الشوكانى (٥٥/٣)، الألوسى (٣١/٧٦)، ابن عاشور (٥٩/١٣).

القول الثالث : المراد ملك حساده بالطاعة، ونيل الأمانى من الملك وهو قول عطاء وذكره الماوردي وأبو حيأن .

قال الماوردي : " إن الملك هو احتياج حساده إليه، قاله عطاء ."

" وقال أبو حيأن : و قال عطاء: ملك حساده بالطاعة، ونيل الأمانى من الملك ."

القول الرابع : أراد تصديق الرؤيا التي رأها، ذكره الماوردي .

قال الماوردي : " أراد تصدق الرؤيا التي رأها .."

القول الخامس: إنه الرضا بالقضاء والقناعة بالعطاء ، ذكره الماوردي .

قال الماوردي : " إنه الرضا بالقضاء والقناعة بالعطاء ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول فظاهر.

- وإنما بقية الأقوال فكلها بعيدة لبعد معناها من اللفظ وهو الملك .

الترجميح:

يترجح أن المراد هنا ملك مصر، وهو اختيار أبي حيأن ومن وافقه، وذلك :

١. لدلالة السياق قال تعالى ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَآءِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظُ عَلَيْمٌ ٥٥ ٥٦﴾ وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا تُضِيقُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾ [يوسف: ٥٥ - ٥٦].

٢. ولأنها من أعظم النعم التي حصلت له بعد النبوة والحكمة، لاسيما وقد طلبها من الملك بنفسه فهو أهل لها .

٣. وكذلك لم يحصل له من العزة والتمكين إلا بكونه في هذا المنصب الرفيع.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

هل تمنى يوسف الموت أم لا عندما قال ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ﴾ ؟ قال أبو حيأن : وذكر كثير من المفسرين أنه لما عد نعم الله عنده تشوق إلى لقاء ربه ولحاقه بصالحي سلفه، ورأى أن الدنيا كلها فانية فتمنى الموت . وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يتمن الموت حتى غير يوسف عليه السلام، والذي يظهر أنه ليس في الآية تمني الموت، وإنما عدد نعمه تعالى عليه، ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي أمره أي: توفني إذا حان أجلي على الإسلام، واجعل لحافي بالصالحين . وإنما تمنى الوفاة على الإسلام لا الموت.^(□)

الدراسة :

في المسألة قوله:

القول الأول : إنه تمنى الموت، قاله ابن عباس وقتادة؛ وذكره جماعة من المفسرين.^(□) قال الطبرى : "وقيل: إنه لم يتمن أحد من الأنبياء الموت قبل يوسف عليه السلام .. كان ابن عباس يقول: أول نبى سأله الموت يوسف عليه السلام".

وقال البغوى : ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ يقول: اقبضني إليك مسلماً ﴿وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ﴾ يريد بأبائى النبيين ، قال قتادة: لم يسأل نبى من الأنبياء الموت إلا يوسف عليه السلام ، وفي القصة: لما جمع الله شمله وأوصل إليه أبويه وأهله اشتاق إلى ربه عَجَّلَ فقال هذه المقالة.

وقال الزمخشري : طلب للوفاة على حال الإسلام، ولأن يختتم له بالخير

١ - البحر المحيط (ح ٢٤٧/٥) (٣٤٣/٥).

٢ - الطبرى (٤٧/١٣)، البغوى آية ١٠١، الزمخشري (٣٤٤/٢)، ابن عطية (٢٨٣/٣)، الرازى (٥١٨/١٨)، البيضاوى (٣١٠/٣)، النسفي (٣٤٢/٢)، ابن جزي (٢٣٥/٢)، الخازن آية ١٠١، ابن عادل (٢١٢/١١)، البقاعي (٤/٩٩)، أبي السعود (٤/٢٩٩)، الألوسي (٣١/٧٦).

والحسنى، كما قال يعقوب لولده ﴿وَلَا تَمُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ويحوز أن يكون تمنياً للموت على ما قيل.

القول الثاني : إنه لم يتمن الموت ولكن دعا الله أن يتوفاه على الإسلام، وهو قول كثير من المفسرين. □ واختاره أبو حيان.

قال الطبرى : يقول: أقضني إليك مسلماً، وألحقني بالصلحين يقول: " وألحقني بصالح آبائى إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من آنپلائك ورسلك".

وقال الواحدى : «تَوَفَّنِي مُسْلِمًا» أقضني على الإسلام.

وقال ابن عطية: وذكر المهدوى □ تأويلاً آخر - وهو الأقوى عندي - أن ليس في الآية تمني موت - وإنما عدد يوسف عليه السلام نعم الله عنده ثم دعا أن يتم عليه النعم في باقي عمره أي «توفني» - إذا حان أجله - على الإسلام، واجعل لحالي بالصالحين، وإنما تمني الموافاة على الإسلام لا الموت.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

• أما القول الأول فهو ضعيف وذلك :

١. لمخالفته دلالة السياق فالمفهوم منها أنه لم يتمن الموت وأنما دعا

بحسن الختام .

٢. لأن هذا لا يليق بأنباء الله ورسله .

٣. لأن الإنسان في أغلب أحواله يتمنى الموت في حالة الكرب والفتن والبلاء الشديد ولا يتمناه في حالة الرخاء واليسر والملك

١ - الطبرى (٤٧/١٣)، الواحدى في الوجيز آية ١٠١، الزمخشري (٣٤٤/٢)، ابن عطية (٣/٢٨٣)، ابن الجوزي (٤/٢١٦)، القرطبي (٩/٢٦٩)، البيضاوى (٣/٣١٠)، النسفي (٢/٣٤٢)، ابن جزي (٢/٢٣٥)، الخازن آية ١٠١ ، ابن كثير (٤/٣٥٤)، الشوكانى (٣/٥٥)، الألوسى (٣١/٧٦).

٢ - أحمد بن عمار المهدوى، أبو العباس، مقرئ أندلسى له تفسير "التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل". توفي سنة ٤٠٤ هـ. كشف الظنون (٥/٧٥)، الأعلام (١/١٨٤).

والمنصب بل أنه يكون أشد حرضا على الحياة والسلامة .

٤. لأنه قد ورد عن ابن عباس ما ينافق قوله الأول فلا يصح الاستدلال بقوله .

الترجح:

يترجح أن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت بل دعا الله أن يختتم له وهو عمل إسلام، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك:

١. لأن هذا الدعاء هو اللائق بمقام الأنبياء وهم القدوة للمؤمنين .
 ٢. لأن هذا مقام شكر من النبي يوسف عليه السلام ومقام تذلل الله وإخبارات فهو عدد نعم الله عليه ولسان حاله يقول يا رب أعطيتني من النعم الكثيرة والعظيمة وأنا لم أسألك إياها بل بفضلك وكرمك وإنسانك إلي وبدلت العسر يسرا فانا أسألك أن تتم عليّ نعمك بأن تتوفاني على الإسلام فإنه مسك الختام وهي وصية أبيه يعقوب لهم قال تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَاٰ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنَيَّ إِنَّ اللَّهَ أَضَطَفَنِي لَكُمُ الْدِينَ فَلَا تَمُؤْنَنَ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

قال ابن الجوزي : " **«رَبٌّ قَدْ**" أي: الذي تلي أمري . توفني مسلما قال ابن عباس: يريد: لا تسألني الإسلام حتى تتوفاني عليه . وكان ابن عقيل يقول: لم يتمن يوسف عليه السلام الموت، وإنما سأله أن يموت على صفة . والمعنى: توفني إذا توفيتني مسلمًا قال الشيخ: وهذا الصحيح .

وقال القرطبي : وقيل: إن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت، وإنما تمنى الوفاة على الإسلام؛ أي إذا جاء أجلي توفيني مسلماً؛ وهذا قول الجمهور .
 والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

في الآية مسألة واحدة وهي :
ما المراد بالناس في الآية ؟

قال أبو حيان : " والناس، الظاهر الع موم قوله : ولكن أكثر الناس لا يؤمنون. □"

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: المراد عموم الناس وهو قول كثير من المفسرين؛ □ واختاره أبو حيان.

قال الزمخشري: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ ﴾ يريد العموم، كقوله: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود: ١٧].

قال النسفي: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم.

وقال ابن جزي : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ ﴾ عموم لأن الكفار أكثر من المؤمنين.

القول الثاني : المراد أهل مكة قاله ابن عباس، وهو قول بعض المفسرين . □

قال الطبرى: يقول جل شناوه: وما أكثر مشركي قومك يا محمد، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدقوك، و يتبعوا ما جئتهم به من عند ربك بم صدقتك

١ - البحر المحيط (ح ٤٧/٥) (٣٤٤/٥).

٢ - الزمخشري (٢/٣٤٥)، النسفي (٢/٣٤٣)، ابن جزي (٢/٢٣٥)، ابن كثير (٤/٣٥٧)، البقاعي (٤/١٠٥)، أبي السعود (٥/٢)، الشوكاني (٣/٥٧)، والألوسي (٣١/٦٧)، ابن عاشور (١٣/٦٦).

٣ - الطبرى (٩/٥٠)، ابن عطية (٣/٢٨٤)، الرازى (١٨/٥٢٠)، القرطبي (٩/٢٧١)، الجلالين آية ١٠٣.

ولا متبغيك..

وقال ابن عطية: هاتان الآيتان \square تدلان أن الآية التي قبلهما فيها تعريض

لقرיש ومعاصري محمد ﷺ.

وقال الرازى: إن كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله ﷺ على سبيل التعتن، واعتقد رسول الله ﷺ أنه إذا ذكرها فربما آمنوا، فلما ذكرها أصرروا على كفرهم فنزلت هذه الآية، وكأنه إشارة إلى ما ذكره الله تعالى في قوله : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الثاني فيندرج تحت القول الأول، وإن ذكره البعض كسبب للنزول الآية .

الترجح:

يترجح القول بالعموم، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ وهي قاعدة مهمة في الترجح.
والله تعالى أعلم

١ - أي آية رقم [١٠٣ و ١٠٤] يوسف وهي قوله ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذُكْرٌ لِلْعَلَمِينَ﴾

قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَسْتَيَّسَ الرَّسُولُ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا فَنُحِيَّ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرْدَ بِأَسْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠].

في الآية مسألة واحدة وهي :

علام يعود الضمير في قوله ﴿ جَاءَهُمْ نَصْرًا ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر إن الضمير في جاءهم عائد على الرسل ."

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول : إن الضمير في جاءهم عائد على الرسل ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد ، وهو قول كثير من المفسرين ،^(□) واختاره أبو حيان .

قال الطبرى: " حتى إذا استيأس الرسل الذين أرسلناهم إليهم منهم أن يؤمنوا بـللـه ، ويصدقـونـهم فيما أـتوـهـمـ بهـ منـ عندـ اللهـ ، وـظـنـ الـذـيـنـ أـرـسـلـنـاـهـمـ إـلـيـهـمـ منـ الأـمـمـ الـمـكـدـبـةـ أنـ الرـسـلـ الـذـيـنـ أـرـسـلـنـاـهـمـ ، قدـ كـذـبـوـهـمـ فـيـمـاـ كـانـواـ أـخـبـرـوـهـمـ عنـ اللهـ مـنـ وـعـدـهـ إـيـاـهـمـ نـصـرـهـمـ عـلـيـهـمـ ، جـاءـهـمـ نـصـرـنـاـ .

... عن ابن عباس^(□) ، في قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَسْتَيَّسَ الرَّسُولُ ﴾ قال : من قومهم أن يؤمنوا بهـمـ ، وأنـ يـسـتـجـيـبـوـهـمـ ، وـظـنـ قـوـمـهـمـ أـنـ الرـسـلـ قدـ كـذـبـوـهـمـ جـاءـهـمـ نـصـرـنـاـ يعنيـ الرـسـلـ .

وقال الماوردي: " جاء الرسل نصر الله تعالى ، قاله مجاهد ."

١ - البحر الحيط (ح / ٥، ل / ٢٥٠) (٣٤٨ / ٥).

٢ - الطبرى (٥٣ / ١٣)، الماوردي آية ١١٠ ، الواحدى فى الوسيط (٦٣٨ / ٢)، ابن عطية (٢٨٦ / ٣)، ابن الجوزي (٤ / ٢٢٠)، القرطبي (٩ / ٢٧٤)، ابن عادل (١١ / ٢٢٥)، البقاعي (٤ / ١١٣)، الجلالين آية ١١٠، أبي السعود (٥ / ٢)، الشوكاني (٣ / ٦٠)، الألوسي (٣١ / ٧٩)، ابن عاشور (١٣ / ٢٨٦).

٣ - وسنده قال : " حدثنا أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ."

وقال الواحدي: قال ابن عباس : يريد نصر النبيين ، والمعنى : أن نصر الرسل على قومهم تأخر عنهم حتى ظن قومهم الظ نون ثم نصروا فأهلك المكذب وأنجى المصدق .

القول الثاني : إن الضمير في جاءهم عائد على الرسل وعلى من آمن بهم، وهو قول البيضاوي والنوفي وابن كثير. □

قال البيضاوي: «**جَاءَهُمْ نَصَرْنَا فَنُحِّيَ مَنْ نَشَاءُ**» النبي والمؤمنين وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم لا يشاركونهم فيه غيرهم.

وقال النوفي: «**جَاءَهُمْ نَصَرْنَا**» للأنبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب.

وقال ابن كثير: يذكر تعالى أن نصره ينزل على رسالته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله في أحوج الأوقات إليه،

كقوله تعالى: ﴿وَزُلْزُلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصَرُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٤].

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- إن كلا القولين صواب فإذا نصر الرسل فهو نصر لمن آمن بهم، وإن لم يصر بذكرهم فإنه لاشك أن العاقبة لرسل الله تعالى ومنتبعهم.

الترجيح:

يترجح أن الضمير يعود على الرسل، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وذلك: لأنهم هم الذين ذكروا في سياق الآية ولم يجر لمن آمن بهم ذكر في السياق، ومع ذلك فإن نصر الله إذا جاء للرسل فهو لمن آمن بهم أيضاً . قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَدُ﴾ [الغافر: ٥١].

١ - البيضاوي (٣١٢/٣)، النوفي (٣٤٥/٢)، ابن كثير (٣٦٣/٤).

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَئِكَ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصَدِّيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

علام يعود الضمير في قوله ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾ ؟
قال أبو حيان : "الضمير (في قصصهم) عائد على الرسل، أو على يوسف عليه السلام وأبوه وأخوه، أو عليهم وعلى الرسل ثلاثة أقوال."

الدراسة:

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول: الضمير يعود على الرسل، وهو قول جماعة من المفسرين.
قال الزمخشري: الضمير في ﴿ قَصَصِهِمْ ﴾ للرسل وينصره قراءة منقرأ: (في قصصهم) بكسر القاف .

"وقال ابن كثير": لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم.
وقال البقاعي: ﴿ في قصصهم ﴾ أي الخبر العظيم الذي تلي عليك تتبعاً لأخبار الرسل الذين طال بهم البلاء حتى استيأسوا من نوح عليه السلام إلى يوسف عليه السلام ومن بعده - على جميعهم أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام.".
القول الثاني: الضمير يعود على يوسف عليه السلام وأبوه وإخوه، وهو قول جماعة

١ - البحر المحيط (ح ٥ / ل ٢٥٠) (٣٤٨/٥)، والأقوال الثلاثة كلها محتملة عند أبي حيان.

٢ - الزمخشري (٣٤٧/٢)، وابن كثير (٤/٣٦٥)، البقاعي (٤/١١٣)، والجلالين آية ١١١.

٣ - قال أبو حيان يرد على قول الزمخشري : "ولا ينصره إذ قصص يوسف وأبيه وإخوه مشتمل على قصص كثيرة وأنباء مختلفة. والذي فرأى بكسر القاف هو أحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي، والقصبي عن عبد الوارث عن أبي عمر وجعه قصة". انظر البحر المحيط (٣٤٨/٥).

(□) من المفسرين.

قال الطبرى: "لقد كان في قصص يوسف ﷺ وإخوته عبرة لأهل الحجا والعقول، يعتبرون بها وموعظة يتعظون بها".

وقال الواحدي: "لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ يُعْنِي إِخْوَةُ يُوسُفَ".

وقال البغوى: "﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: في خبر يوسف ﷺ وإخوته".

القول الثالث: الضمير يعود على الرسل وعلى يوسف ﷺ وأبويه وإخوته، وهو قول بعض الفسرين. (□)

قال ابن عطية: "الضمير في قصصهم عام ليوسف ﷺ وأبوية وإخوته وسائر الرسل الذين ذكروا على الجملة".

وقال البيضاوى: "لقد كان في قصص الأنبياء وأئمهم أو في قصة يوسف ﷺ وإخوته".

وقال النسفي: "﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي في قصص الأنبياء وأئمهم أو في قصة يوسف ﷺ وإخوته".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الثالث يجمع بين القول الأول والثاني.

الترجيح:

يترجح أن الضمير يعود على الرسل وعلى يوسف ﷺ وأبويه وإخوته وذلك: لدلالة السياق فالله فضل في قصة يوسف ﷺ ثم ذكر حال المرسلين.

١ - الطبرى (٥٩/١٣)، الواحدي في الوسيط (٦٣٨/٢)، البغوى آية ١١١، ابن الجوزي (٤/٢٢١)، الرازى (١٨/٥٢٤)، القرطبي (٩/٢٧٧)، الشوكانى (٣/٦٠).

٢ - ابن عطية ص ١٠٢٥ طبعة دار الأندلس وهو ساقط من الطبعة الأخرى ،البيضاوى (٣/٣١٢)، النسفي (٢/٣٥٤)، ابن جزي (٢/٢٣٦)، أبي السعود (٥/٢)، والألوسي (٣١/١٠١).

المسألة الثانية

علام يعود الضمير في قوله ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ ؟

قال أبو حيان : "والظاهر إنّ اسم كان مضمر يعود على القصص أي : ما كان القصص حديثاً مختلقاً، بل هو حديث صدق ناطق بالحق جاء به من لم يقرأ الكتب، ولا تلمذ لأحد، ولا خالط العلماء، فمحال أن يفترى هذه القصة بحيث تطابق ما ورد في التوراة من غير تفاوت. وقيل: يعود على القرآن أي: ما كان القرآن الذي تضمن قصص يوسف عليه السلام وغيره حديثاً مختلفاً ...

وتقديم أول السورة قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْفَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وفي آخرها: ما كان حديثاً يفترى إلى آخره، فلذلك احتمل أن يعود الضمير على القرآن، وأن يعود على القصص والله تعالى أعلم .^(١)

الدراسة:

في المسألة قولان :

القول الأول: يعود على القرآن؛ وهو قول كثير من المفسرين.

قال الواعدي: قوله ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ أي: ما كان هذا القرآن حديثاً يتقوله بشر.

وقال البغوي: ﴿مَا كَانَ﴾ يعني: القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ .

١ - البحر المحيط (ح/٥ ل/٢٥١) (٢٥٨/٥).

٢ - الواعدي في الوسيط (٦٣٩/٢)، البغوي آية ١١١، الفمخشري (٣٤٧/٢)، ابن عطية ص ١٠٢٥ طبعة دار الأندلس ، ابن الجوزي (٤/٢٢١)، الرازى (١٨/٥٢٤)، القرطبي (٩/٢٧٧)، البيضاوى (٣١٢/٣)، النسفي (٢/٣٤٥)، ابن جزي (٢/٢٣٦)، ابن كثير (٤/٣٦٥)، البقاعي (٤/١١٣)، الجلالين آية ١١١، أبي السعود (٥/٢)، الشوكاني (٣/٦٠)، الألوسي (٣١/١٠١).

وقال الرمخشري: أي: ما كان القرآن حدثاً يفترى.

القول الثاني : يعود على القصص ذكره ابن الجوزي، واختاره أبو حيان .

قال ابن الجوزي: ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق.

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الثاني مندرج تحت القول الأول ففي القرآن القصص

- والأخبار والأحكام والمواعظ والأوامر والنواهي .. الخ.

الترجح:

يترجح أن الضمير يعود على القرآن وذلك:

لعموم اللفظ ودلالة السياق.

قال تعالى ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

فالقرآن مصدق لما بين يديه قال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمَهِيمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

والقرآن هدى ورحمة قال تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

والله تعالى أعلم



تمت بحمد الله ترجيحات سورة يوسف

تُرْكِيَّةُ الْمُهَاجِرَاتِ أَبْجِيَّةُ حَيَاةِ

فِي سَعْدَةِ الْمُرْسَلِينَ

قال تعالى ﴿الْمَرْءُ تِلْكَ إِيمَانُ الْكِتَبِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].

في الآية مسألة واحدة وهي:

ما المراد بقوله ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ﴾؟

قال أبو حيان : "وأكثرا الناس قيل: كفار مكة لا يصدقون أن القرآن منزل من عند الله تعالى. وقيل: المراد به اليهود والنصارى، والأولى أنه عام." □
الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول : المراد كفار مكة وهو قول جماعة من المفسرين . □

قال الطبرى: "وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ من مشركي قومك لا يصدقون بالحق الذي أنزل إليك من ربك، ولا يقرّون بهذا القرآن وما فيه من محكم آيه."

وقال الواحدى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ يعني: أهل مكة.

وقال البغوى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة.

القول الثاني : المراد اليهود والنصارى وذكره الماوردي □ وأبو حيان والألوسي.

قال الماوردى: أكثر اليهود والنصارى، لأن أكثرهم لم يسلم.

وقال الألوسى: "وقيل: اليهود والنصارى."

١ - البحر المحيط (ح ٦ / ل ٣) (٣٥٣/٥).

٢ - الطبرى (١٣/٦٠)، الواحدى في الوجيز والبغوى آية ١، ابن الجوزى (٤/٢٢٣)، القرطى (٩/٢٧٨)، الخازن والجلالين آية ١، الألوسى (٣١/٧٠١).

٣ - النكت والعيون آية ١.

القول الثالث : المراد به العموم ، وهو قول جماعة من المفسرين^(□) و اختاره أبو حيأن.

قال الماوردي : "أكثر الناس في زمان رسول الله ﷺ".

وقال ابن كثير : " قوله: ﴿وَلِنَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كقوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] أي مع هذا البيان والجلاء والوضوح لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاوة والعناد والنفاق." نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول والقول الثاني فبعيد لأنه لا دليل على التخصيص.
- وأما القول الثالث فهو الظاهر.

الترجح:

يترجح القول بالعموم، وهو اختيار أبي حيأن ومن وافقه، وذلك :

١. لفهم دلالة الآية.

قال الألوسي: والأولى أن يراد أكثرهم مطلقاً.

٢. لموافقته قاعدة الترجح وهي : [يجب حمل نصوص الوحي على العموم]^(□).

والله تعالى أعلم

١ - الماوردي آية ١ ، ابن كثير (٤/٣٦٧)، البقاعي (٤/١١٧)، أبي السعود (٥/٢)، الشوكاني (٣/٦٣)، الألوسي (٣١/٧٠١)، ابن عاشور (١٣/٧٨).

٢ - قواعد الترجح (١/٥٢٧).

قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَرَ النَّجَارَاتِ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّهُ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يَدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُونِي رَبِّكُمْ تُوقَنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

في الآية ثلاثة مسائل :

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ؟

قال أبو حيان : "يتحمل وجهين : أحدهما أنها لها عمد، ولا ترى تلك العمد، وهذا ذهب إليه مجاهد وقتادة . وقال ابن عباس : وما يدريك أنها بعمد لا ترى؟ وحكى بعضهم أن العمد جبل قاف المحيط بالأرض، والسماء عليه كالقبة ."

والوجه الثاني : أن يكون نفي العمد، والمقصود نفي الرؤية عن العمد، فلا عمد ولا رؤية أي : لا عمد لها فترى . والجمهور على أن السموات لا عمد لها البنة، ولو كان لها عمد لاحتاجت تلك العمد إلى عمد، ويتسلى الأمر، فالظاهر أنها ممسكة بالقدرة الإلهية . ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥] ونحو هذا من الآيات .

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول : إنها لها عمد، ولا ترى تلك العمد، قاله ابن عباس وذكره جماعة من المفسرين .

١ - البحر المحيط (ح ٦ / ل ٣) (٣٥٤ / ٥).

٢ - الفراء (٢ / ٥٧)، الطبراني (٣ / ٦١)، الماوردي آية ٢، ابن عطية (٣ / ٢٩٠)، القرطي (٩ / ٢٧٩)، الخازن آية ٢، البقاعي (٤ / ١١٧)، الشوكاني (٣ / ٦٣)، الشنقيطي (٣ / ٢٤).

قال الفراء: ويقال : خلقها بعمرد لا ترونها، لاترون تلك العمد . والعرب قد تقدم الحجة^(□) من آخر الكلام إلى أولها: يكون ذلك جائزًا .

قال الطبرى: وخالف أهل التأویل في تأویل قوله : ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فقال بعضهم : تأویل ذلك : الله الذي رفع السموات بعمرد لا ترونها....

..عن عكرمة^(□) ، قال: قلت لابن عباس: إن فلاناً يقول: إنها على عمد، يعني السماء؟ قال: فقل: اقرأها ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: أي لا ترونها.. ..عن مجاهد^(□) ، في قول الله : ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ قال: هي لا ترونها.

وقال الماوردي: فيه تأويلان:
أحدهما: يعني بعمرد لا ترونها، قاله ابن عباس.
القول الثاني: إنه ليس لها عمد وهو قول كثير من المفسرين،^(□) وخالفه

١ - هكذا في الم طبوع، وفي تفسير الطبرى (٦/٣٢٣-٣٢٤) تحقيق محمود شاكر ما نصه : " فقال بعضهم: تأویل ذلك: الله الذي رفع السموات بعمرد لا ترونها ذكر من قال ذلك ... ومن تأول ذلك كذلك، قصد مذهب تقديم الجهد من آخر الكلام إلى أوله كقول الشاعر:
ولا أراها تزال ظالمة تحدث لي نكبة وتنكؤها

يريد: أراها لا تزال ظالمة، فقدم الحجج عن موضعه من(تزال).

٢ - وسنده قال الطبرى: حدثنا أحمد بن هشام، قال : ثنا معاذ بن معاذ، قال : ثنا عمران بن حذير، عن عكرمة.."

٣ - وسنده قال الطبرى: حدثنا الحسن بن محمد، قال : ثنا عفان، قال : ثنا حماد، قال : ثنا حميد، عن الحسن بن مسلم، عن مجاهد.."

٤ - الفراء(٢/٥٧)، الطبرى(١٣/٦١)، النحاس(١١/٥٦)، الماوردي آية ٢، الواحدى في الوجيز والبغوى آية ٢، الكشاف(٢/٣٤٨)، ابن عطية (٣/٢٩٠)، ابن الجوزى (٤/٢٢٣)، الرازى(٩/٥)، القرطى(٩/٢٧٩)، البيضاوى (٣/٣١٦)، النسفي(٢/٣٤٧)، ابن جزي (٢/٢٣٧)، الخازن آية ٢، =

أبلحـان.

قال الفراء: يقول خلقها مرفوعة بلا عمد ، ترونها : لا تحتاجون مع الرؤية إلى خبر.

وقال الطبرى : وقال آخرون: بل هي مرفوعة بغير عمد...
عن قتادة (□)، قوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ قال: رفعها بغير عمد.
وقال النحاس: المعنى : ترونها بغير عمد .

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

إن مدار الخلاف هو في مرجع الضمير في قوله ﴿تَرَوْنَهَا﴾ .

قال ابن عطية : والضمير في قوله : ﴿تَرَوْنَهَا﴾ قالت فرقـة: هو عائد على (السمـاوات). فـ (تروـنـها) - على هـذا - في موضع الحال، وـقال جـمهـورـ الفـاسـ: لا عـمدـ لـلـسـماـواـتـ الـبـتـةـ، وـقـالـتـ فـرقـةـ: الضـمـيرـ عـائـدـ عـلـىـ العـمـدـ، فـ (تروـنـها) - على هـذا - صـفـةـ لـلـعـمـدـ، وـقـالـتـ هـذـهـ فـرقـةـ: لـلـسـماـواـتـ عـمـدـ غـيرـ مـرـئـةـ - قالـهـ مجـاهـدـ وـقـتـادـةـ - وـقـالـ ابنـ عـبـاسـ: وـمـاـ يـدـرـيـكـ أـنـهـ بـعـمـدـ لـاـ تـرـىـ؟ـ وـحـكـىـ بعضـهـمـ: أـنـ الـعـمـدـ جـبـلـ قـافـ الـمـحـيطـ بـالـأـرـضـ، وـالـسـمـاءـ عـلـيـهـ كـالـقـبـةـ.

وـأـمـاـ معـنـىـ الـعـمـدـ فـهـوـ :

قال الفراء : العـمـدـ وـالـعـمـدـ جـمـعـ الـعـمـودـ مـثـلـ أـدـيمـ وـادـمـ، وـقـضـيمـ وـقـضـمـ، وـالـعـمـادـ وـالـعـمـودـ مـاـ يـعـمـدـ بـهـ الشـيـءـ، وـمـنـهـ يـقـالـ : فـلـانـ عـمـدـ قـوـمـهـ إـذـاـ كـانـوـاـ يـعـتـمـدـوـنـهـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ.

فالقول إن السماء مرفوعة بغير عمد يراها الناس ، دل عليه السياق و

ابن كثير (٤/٣٦٧)، البقاعي (٤/١١٧)، الجلالين آية ٢، أبي السعود (٥/٢)، الشوكاني (٣/٦٣)، الألوسي (٣١/١٠١)، السعدي ص ٤١٢، الشنقيطي (٣/٢٤)، ابن عاشور (١٣/٧٩).

١ - وـسـنـدـهـ قـالـ الطـبـرـىـ: حـدـثـاـ بـشـرـ، قـالـ: ثـنـاـ يـزـيدـ، قـالـ: ثـنـاـ سـعـيدـ، عـنـ قـتـادـةـ..

تعضده آيات وردت في القرآن تدل على هذا المعنى : قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا الْسَّمَاءَ سَقَفاً مَحْفُظًا وَهُمْ عَنْ أَيْمَانِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وقال تعالى ﴿ وَالسَّقْفُ الْمَرْفُوعُ ﴾ [الطور: ٥].

وقال تعالى ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧].

وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا أَشَدُ خَلْقَاهُ امْرَأَ السَّمَاءَ بَنَهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّهَا ﴾ [النازعات: ٢٧].

. [٢٨]

وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَلْأَبِلِ كَيْفَ خَلَقْتَ ﴾ [الغاشية: ١٧].

وهي مرفوعة يقدرة الله سبحانه قال تعالى ﴿ وَمُسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥].

وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

وقد فسر بعض العلماء العمد بأنها قدرة الله .

قال الرازي : " وعندني فيه وجه آخر أحسن من الكل وهو أن العمد ما يعتمد عليه وقد دللتنا على أن هذه الأجسام إنما بقيت واقفة في الجو العالي بقدرة الله تعالى وحينئذ يكون عمدتها هو قدرة الله تعالى فتتجزأ أن يقال إنه رفع السماء بغير عمد ترونها أي لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاءه إليها في الجو العالي وأنهم لا يرون ذلك التدبير ، ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك ."

أما في العصر الحديث فقد ذكر علماء الإعجاز العلمي في القرآن أن العمد غير المرئية في العلوم الكونية قد أشارت الدراسات الكونية إلى وجود قوى مستترة في اللبنات الأولية للمادة وفي كل من الذرات والجزيئات وفي كافة

أجرام السماء تحكم بناء الكون وتمسك بأطرافه إلى أن يشاء الله تعالى فيدمره ويعيد خلق غيره جديد . ومن القوى التي تعرف عليها العلماء في كل من الأرض والسماء أربع صور، يعتقد بأنها أوجه متعددة لقوة عظمى واحدة تسرى في مختلف جنبات الكون لترتبطه برباط وثيق وإنما لا انفراط عقده وهذه القوى هي :

١. القوة النووية الشديدة.
٢. القوة النووية الضعيفة.
٣. القوة الكهربائية المغناطيسية (الكهرومغناطيسية).
٤. قوة الجاذبية .

وهي على المدى القصير تعتبر أضعف القوى المعروفة لنا ، ولكن على المدى الطويل تصبح القوة العظمى في الكون نظراً لطبيعتها التراكمية فتمسك بكافة أجرام السماء ، ويختلف تجمعاتها، ولو لا هذا الرباط الحاكم الذي أودعه الله تعالى في الأرض وفي أجرام السماء ما كانت الأرض ولا كانت السماء ولو زال هذا الرباط لانفراط عقد الكون وانهارت مكوناته .

ولا يزال أهل العلم يبحثون عن موجات الجاذبية المنتشرة في أرجاء الكون كله ، منطلقة بسرعة الضوء دون أن ترى ، ويفترض وجود هذه القوة على هيئة جسيمات خاصة في داخل الذرة لم تكشف بعد يطلق عليها اسم الجسيم الجاذب أو الجرافيتون ، وعلى هذا فإن الجاذبية هي أربطة الكون^(□)
وعلى كل حال فهل من الممكن إطلاق مسمى العمد على هذه الروابط الكونية .

وأما القول بأن العمد جبل قاف المحيط بالأرض ، والسماء عليه كالقبة . فقد

١ - مقال د. زغلول النجار بعنوان (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها) باختصار شديد ، في جريدة الأهرام تاريخ ٢٠٠١/٩/١٧ موجود على موقعه .

قال الرازي: "أن قوله: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة للعمد، والمعنى : بغير عمد مرئية، أي للسموات عمد. ولكن لا نراها قالوا: ولها عمد على جبل قاف وهو جبل من زبرجد محيط بالدنيا ولكنكم لا ترونها . وهذا التأويل في غاية السقوط، لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام ليكون حجة على وجود الإله القادر ولو كان المراد ما ذكروه لما ثبتت الحجة لأنه يقال إن السموات لما كانت مستقرة على جبل قاف فأي دلالة لثبوتها على وجود الإله".

وكذا ما مدى صحة وجود جبل قاف وما مصدر هذا الكلام؟؟

وأجد أن الجواب هو: من الإسرائييليات.

الترجح:

يترجح أن القول الأول محتمل؛ وكل هذا من قدرة الله تعالى .

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر إن المذوف هو ضمير الشمس والقمر أي : كليهما يجري إلى أجل مسمى".

الدراسة :

في المسألة قولان :

القول الأول: المراد الشمس والقمر، وهو قول جماعة من المفسرين . واختاره أبو حيان.

قال الواهidi : "﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ذلّلهم ما يُراد منهما ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقتٍ معلوم، وهو فناء الدنيا".

وقال البغوي : "﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ذلّلهم لمنافع خلقه فهما مقهوران ﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾ أي: يجريان على ما يريد الله تعالى ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا".

وقال ابن الجوزي : قوله تعالى: "﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي: ذلّلهم ما يراد منهما ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى وقت معلوم، وهو فناء الدنيا".

القول الثاني: المراد الشمس والقمر وسائر الكواكب، وهو قول جماعة من المفسرين .

١ - البحر المحيط (ح ٦/٣) (٣٥٤/٥).

٢ - الواهidi في الوجيز والبغوي آية ٢. ابن الجوزي (٤/٢٢٣)، البيضاوي (٣/٣٦)، الخازن آية ٢، البقاعي (٤/١١٧). الجنالين آية ٢، أبي السعود (٥/٢)، الشوكاني (٣/٦٣)، الألوسي (٣١/٧٠١).

٣ - الطبرى (٤/١٣)، ابن عطية (٣/٢٩٠)، الرازى (٩/١٩)، القرطبي (٩/٢٧٩)، ابن كثير (٤/٣٦٧)، ابن عادل (١١/٢٣٤).

قال الطبرى: "وقوله: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يقول جل ثناؤه: كل ذلك يجري في السماء لأجل مسمى : أي لوقت معلوم، وذلك إلى فناء الدنيا وقىام القيامة التي عندها تكور الشمس، ويُخسف القمر وتنكدر الرحوم وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه، وأنّ (كل) لا بدّ لها من إضافة إلى ما تحيط به".

وقال ابن عطية: "وقوله: ﴿وَسَخَّرَ﴾ تنبية على القدرة، و ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب - وكذلك قال: ﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾ أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر من التسخير ، و (كل) لفظة تقتضي الإضافة ظاهرة أو مقدرة، والأجل المسمى) هو انقضاء الدنيا وفساد هذه البنية ، وقيل: يريد بقوله: ﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ الحدود التي لا تتحداها هذه المخلوقات أن تجري على رسوم معلومة".

وقال القرطبي: "أي إلى وقت معلوم؛ وهو فناء الدنيا، وقيام الساعة التي عندها تكور الشمس، ويُخسف القمر، وتنكدر النجوم، وتنتشر الكواكب".

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الأول يندرج في القول الثاني .

الرجح:

يترجح أن المراد الشمس والقمر وسائر الكواكب، وذلك :

١. لأن الشمس والقمر هما أبرز الأجرام السماوية المعروفة والمشاهدة وما يجري لهما ينطبق على بقية الكواكب كما ذكر الله في آيات أخرى .

قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الْأَيَّلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِيثُا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾

يَأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْحَقُّ وَالْأَمْرُ بِسَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى ﴿إِذَا أَشَدَّتْ كُورَتْ ﴾١﴿ وَإِذَا أَلْجَوْمُ أَنْكَدَرَتْ ﴾٢﴿ [النکویر: ١ - ٢].

٢. إنّ (كل) لا بدّ لها من إضافة إلى ما تحيط به، وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه.

والله تعالى أعلم

المسألة الثالثة

ما المراد بالآيات في قوله ﴿يُفَصِّلُ الْآيَتِ﴾؟

قال أبو حيان : " ويفصل الآيات يجعلها فصولاً مبينة مميزاً بعضها من بعض. والآيات هنا دلائله وعلاماته في سمواته على وحدانيته، أو آيات الكتب المنزلة، أو آيات القرآن أقوال." (□)

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : المراد بالآيات دلائله وعلاماته في سمواته على وحدانيته، وهو قول كثير من المفسرين. (□)

قال الواهدي: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَتِ﴾ يبيّن الدلائل التي تدلّ على التّوحيد والبعث .

وقال البغوي: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَتِ﴾ يبيّن الدلالات.

وقال ابن عطية : و ﴿الْآيَتِ﴾ هنا إشارة إلى ما ذكر في الآية وبعدها.

القول الثاني: المراد آيات الكتب المنزلة. وهو قول بعض المفسرين . (□)

قال الطبرى: و قوله: ﴿يُفَصِّلُ الْآيَتِ﴾ يقول: يفصل لكم ربكم آيات كتابه،

فيبيّنها لكم احتجاجاً بها عليكم أيها الناس.

وقال الزمخشري: ﴿يُفَصِّل﴾ آياته في كتبه المنزلة.

١ - البحر المحيط (ح/٦/٥) (٣٥٤).

٢ - الواهدي في الوجيز والبغوي آية ٢، ابن عطية (٢٩٠/٣)، ابن الجوزي (٢٢٣/٤)، الرازى (١٩٥/٥)، البيضاوى (٣١٦/٣)، الخازن آية ٢، ابن كثير (٣٦٧/٤)، البقاعي (١١٧/٤)، ابن عادل (١١٤/٢٣٤)، الجلالين آية ٢، أبي السعود (٥/٢)، الشوكانى (٣/٦٣).

٣ - الطبرى (٦١/١٣)، الزمخشري (٣٤٨/٢)، النسفي (٢٤٧/٢)، ابن جزي (٢٣٧/٢)، الألوسي (٣١/٧٠١).

وقال النسفي: "﴿يُفَصِّلُ﴾ يبين آياته في كتبه المنزلة".

القول الثالث: المراد آيات القرآن، وذكره أبو حيان .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن كل الأقوال يعصب بعضها البعض فكل ما يدل على وحدانيته سبحانه يعني بالقول بما أنزل على رسنه، والفعل بما خلقه .

الترجح:

يترجح أن المراد كل ما ذكر من آيات الله في خلقه أو في كتبه المنزلة على رسنه ، وقد دل السياق على ذلك قال تعالى : ﴿الْمَرْ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَبِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾١﴾ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَفَّنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّهُ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمَّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبِّكُمْ تُوقَنُونَ ﴾٢﴾ [الرعد: ١ - ٢].

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسَىٰ وَأَنْهَرًا وَمِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ أَثْنَيْنِ يُغْشِي الْيَلَّالَ الْهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: ٣].

في الآية مسألتان :

المسألة الأولى

ما المراد بقوله ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ ﴾؟

قال أبو حيان : "... فتحصل في قوله ﴿ مَدَ الْأَرْضَ ﴾ ثلاثة تأويلات، بسطها بعد أن كانت مجتمعة، واحتراصها بمقدار معين، وجعل حجمها كبيرا لا يرى (□) منها".

الدراسة :

في المسألة خمسة أقوال :

القول الأول : المراد بسطها بعد أن كانت مجتمعة، وهو قول كثير من (□) المفسرين.

قال الفراء : "أي بسط الأرض عرضاً وطولاً".

وقال أبو عبيدة : "أي بسطها في الطول والعرض".

وقال الطبرى : "يقول تعالى ذكره: والله الذي مد الأرض، فبسطها طولاً وعرضاً".

١ - البحر الحيط (ح ٦ / ل ٤) (٣٥٥/٥).

٢ - الفراء (٥٨/٢)، أبو عبيدة معمر بن المثنى (٣٢١/١)، الطبرى (٦٣/١٣)، الماوردي والواحدى في الوجيز والبغوى آية ٣، الزخشري (٣٤٨/٢)، ابن عطية (٢٩٣/٣)، ابن الجوزى (٤/٢٤)، الرازى (٨/١٩)، القرطبي (٢٨٠/٩)، البيضاوى (٣١٦/٣)، النسفى (٣٤٨/٢)، ابن جزي (٢٣٧/٢)، الخازن آية ٣، ابن كثير (٤/٣٦٩)، ابن عادل (١١/٢٣٤)، البقاعي (٤/١٢٢)، الجلالين آية ٣، أبي السعود (٢/٥)، الشوكانى (٣/٦٣)، الألوسى (١١/٣١).

القول الثاني : المراد اختصاصها بمقدار معين، ذكره الرازي وأبو حيان .

قال الرازي : " قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ﴾ إشارة إلى أن الله سبحانه هو الذي جعل الأرض مختصة بذلك المقدار المعين الحاصل له لا أزيد ولا أنقص والدليل عليه أن كون الأرض مقداراً مما هو الآن وأنقص منه أمر جائز ممكن في نفسه فاختصاصه بذلك المقدار المعين لا بد أن يك ون بتخصيص وتقدير.".

القول الثالث : المراد جعل حجمها كبيراً لا يرى منتهاه ذكره الرازي وأبو حيان .

قال الرازي : " قال أبو بكر الأصم (□) المد هو البسط إلى ما لا يدرك منتهاه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ﴾ يشعر بأنه تعالى جعل حجم الأرض حجماً عظيماً لا يقع البصر على منتهاه، لأن الأرض لو كانت أصغر حجماً مما هي الآن عليه لما كمل الارتفاع به.".

القول الرابع : المراد مدتها ودحاتها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا، ذكره الرازي وأبو حيان .

قال الرازي : " قال قوم كانت الأرض مدوره فمدتها ودحها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا".

القول الخامس : المراد أنها كانت مجتمعة عند البيت المقدس فقال لها : اذهبى كذا وكذا، ذكره الوازى وأبو حيان .

قال الرازي : " وقال آخرون: كانت مجتمعة عند البيت المقدس فقال لها : اذهبى كذا وكذا".

١ - شيخ المعتزلة، توفي سنة ٢٠١ هـ، وله تفسير، وكتاب خلق القرآن وغيرها . سير أعلام النبلاء (٤٠٢)، الفهرست لابن النديم ٢١٤.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما الأقوال الثلاثة الأولى فهي يكمل بعضها البعض الآخر . ولا تتنافي مع القول بكروية الأرض .

قال ابن عطية : قوله: ﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾ يقتضي أنها بسيطة لا كرة - وهذا هو ظاهر الشريعة وقد تترتب لفظة المد والبسط مع التكوير والله أعلم.

وقال أبو عبدالله الداراني (□): ثبت بالدليل أن الأرض كرة ،ولا ينافي

ذلك قوله ﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾ وذلك أن الأرض جسم عظيم ،والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح ،والتفاوت بينه وبين السطح لا يحصل إلا في علم الله تعالى ألا ترى أنه قال ﴿وَالْجَبَالُ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٧]، مع أن العالم والناس يسرون عليها ،فكذلك هنا وأيضا إنما ذكر مد الأرض ليستدل به على وجود الصانع ،وكونها مجتمعة تحت البيت أمر غير مشاهد ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع ... (□)

وقال أبو حيان - في معرض رده على بعض قول أبي بكر الأصم :”وهذا الذي ذكره من أنها لو كانت أصغر إلى آخره غير مسلم ،لأن المتفق به من الأرض المعمور والمعمور أقل من غير المعمور بكثير ،فلو أراد تعالي أن يجعلها مقدار المعمور المتفق به لم يكن ذلك ممتنعاً ”.

وي يكن أن يقال أن غير المعمور يمكن الانتفاع به أيضا، و هل يكن معرفة نسبة المعمور من الأرض إلى غير المعمور ،الله أعلم .

- وأما القول الرابع والخامس يندرجان في القول الأول.

الترجيح:

١ - لم أقف على ترجمته.

٢ - نقل كلامه أبو حيان في تفسيره .(٣٥٥/٥). باختصار

يترجح القول بأن المراد بقوله ﴿مَدَ الْأَرْضَ﴾ بسطها في الطول والعرض واحتراصها بقدر معين وحجم كبير لا يرى منتهاه، وذلك لأن الأقوال مجتمعة تفيد معنى مد الأرض ، وتكمل صورته ولا تتنافى في ما بينها، وهو اختيار أبو حيان ومن وافقه.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْتَيْنِ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر إن قوله ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ متعلق بـ(جعل) ولما ذكر الأنهر ذكر ما ينشأ عنها وهو الثمرات ، والزوج هنا الصنف الواحد الذي هو نقىض الاثنين، يعني أنه حين مد الأرض جعل ذلك ثم تكثرت وتنوعت ."

الدراسة:

في الآية قوله:

القول الأول : المراد به صنفان و ضربان و نوعان فكل صنف زوجان واحد ذكر واحد أثني ، وهو قول كثير من المفسرين .

قال الفراء: الزوجان اثنان الذكر والأثني والضربان يبين ذلك قوله تعالى

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الْزَّوْجَيْنِ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [النجم: ٤٥] فتبين أنهما اثنان بتفسير الذكر والأثني لهما .

وقال الطبرى: وقد بىّنا فيما مضى ^(□) أن العرب تسمى الاثنين زوجين، والواحد من الذكور زوجاً لأنثاه، وكذلك الأنثى الواحدة زوجاً وزوجة لذكرها، بما أغني عن إعادته في هذا الموضوع. ويزيد ذلك أيضاً قول الله تعالى:

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الْزَّوْجَيْنِ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [النجم: ٤٥] فسمى الاثنين الذكر والأثني

١ - البحر الحيط (ح/٦ ل/٤) (٣٥٥/٥).

٢ - الفراء (٢)، الطبرى (٦٣/١٣)، الماوردي والبغوي آية ٣، الزمخشري (٣٤٨/٢)، ابن عطية (٣/٢٩٣)، ابن الجوزي (٤/٢٤)، الرازى (٩/٨)، القرطبي (٩/٢٨٠)، البيضاوى (٣/٣١٦)، الخازن آية ٣، ابن كثير (٤/٣٦٩)، ابن عادل (١١/٣٢٤)، الجلالين آية ٣، أبي السعود (٥/٢)، الشوكاني (٣/٦٣)، الألوسي (٣١/١١).

٣ - جامع البيان (١/١٣٢ و ١٨١)، آية ٢٥ و ٣٥ سورة البقرة، و (٨/٤٨)، آية ٤٣ سورة الأنعام.

زوجين. وإنما عنى بقوله: ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: نوعين وضربين.
وقال الماوردي: أحد الزوجين ذكر وأنثى كفحول النخل وإناثها ، كذلك
 كل النبات وإن خفي.

القول الثاني: المراد به الأسود والأبيض، والحلو والحامض، والصغير والكبير،
 وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة. وهو قول بعض المفسرين (□).
قال الواهidi: حلواً وحامضاً.

وقال النسفي: أي الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير
 وما أشبه ذلك.

وقال ابن جزي: يعني صنفين من الثمر : كالأسود والأبيض، والحلو والحامض .
وقال الخازن: يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلواً وحامضاً.

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أما القول الأول : فهو الظاهر.
- وأما القول الثاني : فيفيد نوع الاختلاف.
- ولا مانع من وجود أكثر من نوعين.

قال ابن عطية: هذه الآية تقتضي أن كل ثمرة موجود م نها نوعان ، فإن
 اتفق أن يوجد في ثمرة أكثر من نوعين فغير ضار في معنى الآية.

وقال ابن جزي: فإن قيل : تقتضي الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة
 صنفين، وقد خلق من كثير من الثمرات أصنافاً كثيرة، والجواب: أن ذلك زيادة
 في الاعتبار وأعظم في الدلالة على القدرة، فذكر ا لاثنين، لأن دلالة غيرهما
 من باب أولى .

١ - الواهidi في الوجيز آية ٣، النسفي (٣٤٨/٢)، ابن جزي (٢٣٧/٢)، الخازن آية ٣،

الترجح:

يترجح أن المراد بزوجين اثنين صنفان اثنان والاختلاف إما من حيث الطعم كالخلو والحامض أو الطبيعة كالحار والبارد أو اللون كالأبيض والأسود. وذلك :

١. لورود آيات أخرى تدل على ذات المعنى وهي:

• قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

• قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدَنَا وَالْقِنَّا فِيهَا رَوَسِيَ وَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧].

٢. أن السبب في تقييد الاثنين هو إشارة إلى أول الخلق.

قال الرازي: "ما خلق الله تعالى العالم وخلق فيه الأشجار، خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط . فلو قال: خلق زوجين، لم يعلم أنّ المراد النوع أو الشخص، فلما قال: اثنين علمنا أنه أول ما خلق من كل زوجين اثنين لا أقل ولا أزيد. فالشجر والزرع كبني آدم، حصل منهم كثرة، وابتداؤهم من زوجين اثنين بالشخص وهم آدم وحواء..."

والله تعالى أعلم

١ - مفاتيح الغيب (٨/١٩).

قال تعالى ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَنِ بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

في الآية مسألة واحدة وهي:

لمن الوصف وما المراد في قوله ﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر من تفسير أكثر المفسرين للصنوان أن يكون قوله: صنوان، صفة لقوله : ونخيل. ومن فسره منهم بالمثل جعله وصفاً لجميع ما تقدم أي: أشكال، وغيره إشكال." □

الدراسة:

في المسألة قولان:

القول الأول: أن صنوان، صفة لقوله: ونخيل. والمعنى : يجمعهن أصل واحد. وهو قول كثير من المفسرين. □ واختاره أبو حيان.

قال الفراء: الرفع فيه سهل ، لأنه تفسير حال النخل ... والصنوان النخلات يكون أصلهن واحداً . وجاء في الحديث عن النبي ﷺ : ((إِنْ عِمَ الرَّجُلِ صَنْوَانٌ أَيْهِ)) . □

وقال أبو عبيدة : ﴿ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ أي يكون أصله واحداً

١ - البحر المحيط (ح/٦ ل/٥) (٣٥٧/٥).

٢ - الفراء (٥٨/٢)، أبو عبيدة عمر بن الشنوي (١٣/٣٢٢)، الطبرى (٦٤/١٣)، النحاس (١/٥٦٢)، الماوردي والواحدى فى الوجيز والبغوى آية ٤، ابن عطية (٣/٢٩٣)، ابن الجوزى (٤/٢٢٥)، الرازى (٩/١٩)، القرطبي (٢٨١/٩)، البيضاوى (٣/٣١٧)، ابن جزي (٢٣٨/٢)، الخازن آية ٤، ابن كثير (٤/٣٦٩)، ابن عادل (١١/٢٣٤)، الجلالين آية ٣، أبي السعود (٥/٢)، الشوكانى (٣/٦٣)، الألوسي (٣١/١١).

٣ - صحيح مسلم / كتاب الزكاة/ باب في تقديم الزكاة ومنعها/ حديث رقم (٩٨٣).

وفرعه متفرق وواحده صنو والاثنان صنوان ...^١

وقال الطبرى: "وَتَحِيلُّ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ فِإِن الصنوان : جمع صنو، وهي النخلات يجمعهن أصل واحد.."

القول الثاني: إن يكون قوله : صنوان ، صفة لما تقدم والمعنى أشكال ، وغير أشكال ، وذكره الماوردي والرازي.^٢

قال الماوردي: "إن الصنوان الأشكال، وغير الصنوان المختلف، قاله بعض المؤخرين".

وقال الرازي: "الصنو المثل^٣، ومنه قوله ﷺ ((ألا إِنْ عَمَ الرَّجُلُ صَنُو
أَبِيهِ)) أي مثله ... وإذا فسرناه ... كان المعنى : أن أشجار النخيل قد تكون
متماةلة متشابهة، وقد لا تكون كذلك."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

أن كلا القولين محتمل لأن صنو يصح إطلاقه في اللغة^٤ على النخل فيما
كان أصله واحد؛ وعلى جميع الشجر .

الترجيح:

يترجح أن المراد بصنوان أي الأصل الواحد والمثل ويصح أن تكون صفة
للنخل والزرع والجنات. وذلك :

١. لجواز إطلاق اللفظ على كلا المعنين .
٢. لجواز تفسير الحديث على كلا المعنين .

١ - الماوردي آية٤، الرازي (٩/١٩).

٢ - قال الرازي: "ذكر ثعلب عن ابن الأعرابي".

٣ - انظر القاموس المحيط مادة صنو ، وبصائر ذوي التمييز (٣/٤٤٦). وعمدة الحفاظ ص ٣٠١.

قال ابن الأثير^(□): "يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد، وهو مثل أبي^(□)
أو مثلي".^(□)

والله تعالى أعلم

١ - علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني، ابن الشيخ الأثير أبي الكرم، عز الدين، أبو الحسن، الشيخ الإمام المحدث الأديب النسابة، توفي سنة ٦٣٠ هـ. سير أعلام النبلاء (٢٢/٣٥٣)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/٩٣)، البداية والنهاية (٣/٩٣).

٢ - النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٧٥).

قال تعالى ﴿وَإِنْ تَعَجَّبْ فَعَجَّبْ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا مُرَابِّاً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥].

في الآية مسألة واحدة وهي:

هل توجد الأغلال في الآخرة حقيقة؟

قال أبو حيyan : والظاهر أنّ الأغلال تكون حقيقة في أعناقهم في الآخرة^(□)، كما قال : ﴿إِذْ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلِيلُ يُسَحَّبُونَ﴾ [غافر: ٧١].

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول : إنّ الأغلال تكون حقيقة في أعناقهم ، وهو قول كثير من المفسرين.^(□) واختاره أبو حيyan .

قال الطبرى : يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين أنكروا البعث وجحدوا الثواب والعقاب، و قالوا أئذنا كُنّا مُرَابِّاً أئذنا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ هُمُ الَّذِينَ جحدوا قدرة ربهم وكذبوا رسوله، وهم الذين في أعناقهم الْأَغْلَلُ يوم القيمة في نار جهنم. فأولئك أصحاب النار : يقول: هم سكان النار يوم القيامة، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يقول: هم فيها ماكثون أبداً، لا يوتون فيها، ولا يخرجون منها".

١ - في المطبوع : والظاهر أنّ الأغلال تكون حقيقة في أعناقهم كالأغلال، ثم ذكر ما يستقررون عليه في الآخرة.

٢ - البحر المحيط (ح/٦ ل/٧) (٣٥٩/٥).

٣ - الطبرى (٦٩/١٣)، البغوي آية ٤، ابن عطية (٢٩٥/٣)، ابن الجوزي (٢٢٦/٤)، القرطبي (٢٨٣/٩)، البيضاوى (٣١٧/٣)، ابن جزي (٢٣٩/٢)، الخازن آية ٥، الشوكاني (٦٦/٣)، الألوسي (١١/٣١)، ابن عاشور (٨٩/١٣).

وقال البغوي: "قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يوم القيمة."

وقال ابن عطية: قوله: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يحتمل معنين: أحدهما: الحقيقة وأنه أخبر عن كون ﴿الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ في الآخرة فهي كقوله تعالى: ﴿إِذَا الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَسُلُ مُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١].
وقال ابن الجوزي: إنها أغلال يوم القيمة، قاله الأثثرون.
القول الثاني: إن يكون مجازاً أي : هم مغلولون عن الإيمان، فتجري إذاً مجرى الطبع والختم على القلوب وهو قول بعض من المفسرين.

قال الزمخشري: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ وصف بالإصرار، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ [يس: ٨] ونحوه:

..... لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ دَأْعُ لَالٌ وَأَقْهَيَ ادْ (□)

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مجازاً وأنه أخبر عن كونهم مغلولين عن الإيمان، فهي إذن تجري مجرى الطبع والختم على القلوب ، وهي كقوله تعالى :

..... إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فِيهِ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) [يس: ٨].

وقال الرازمي: قوله: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ وفيه قوله: الأول: قال أبو بكر الأصم : المراد بالأغلال : كفرهم وذلتهم وانقيادهم

١ - الزمخشري (٢/٣٤٨)، الرازمي (١٩/١١)، النسفي (٢/٣٤٨)، وأبي السعود (٥/٢)، والسعدي ص ١٣٤، وابن عطية وابن الجوزي والقرطبي والبيضاوي وابن جزي والشوكانى ذكروه مع القول الأول وليس اختياراً.

٢ - لا أعرف قائله والشىء الأول هو قول الشاعر : كيف الرشاد وقد خلفت في نفو ذكره الألوسي (٣١/١١).

لالأصنام، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ قال الشاعر:

لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أَعْلَمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

القول الثالث : إن الأغلال هنا عبارة عن أع مالهم الفاسدة في أعناقهم كالأغلال.

قال الزجاج : " أنها الأعمال التي هي أغلال. " □

وقال ابن الجوزي : " أنها الأعمال التي هي أغلال، قاله الزجاج. "

وقال القرطبي : وقيل : الأغلال أعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم. "

وقال أبو حيأن : " وقيل : الأغلال هنا عبارة عن أع مالهم الفاسدة في أعناقهم كالأغلال. "

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي :

- أما القول الأول : ظاهر.

- وأما القول الثاني : يندرج فيه القول الثالث فالمراد بهما المجاز وليس

الحقيقة

وهما بعيدان عن المعنى المطلوب لأنه ما الذي يمنع من وجود الأغلال
حقيقة عقوبة من الله للكفار يوم القيمة .

الترجيح :

يترجح أن الأغلال حقيقة في أعناقهم، وهو اختيار أبي حيأن ومن وافقه،
وذلك :

١. لدلالة السياق.

٢. قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ﴾ [الرعد: ٥].

١ - معاني القرآن (٣/٨٣).

٣. أنه قد ورد في آية أخرى ما يدل على المعنى بوضوح . قال تعالى : ﴿ إِذْ أَلْأَغْلَلُ فِي هَأْنَقِهِمْ وَالسَّلَسِلُ يُسْحَبُونَ ٦١﴾ [غافر: ٧١].

٤. أن قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَلًا ٨﴾ [يس: ٨] فسره أبو حيان على أنه حقيقة لا مجازاً .

٥. لأنه [يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة][□]. وهي قاعدة من قواعد الترجيح.

والله تعالى أعلم

١ - قواعد الترجيح (٣٨٧/٢).

قال تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُشَكِّتُ^٦
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].

في الآية مسألة واحدة وهي:
ما المراد بالحسنة والسيئة؟

قال أبو حيان : " قال ابن عباس : السيئة العذاب، والحسنة العافية . وقال قتادة: بالشر قبل الخير . وقيل: بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية، وهذه الأقوال متقاربة." (□)

الدراسة :

في المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: المراد السيئة العذاب، والحسنة العافية قاله ابن عباس، وهو قول كثير من المفسرين (□).

قال البغوي: والسيئة ها هنا هي: العقوبة والحسنة: العافية.

وقال الزمخشري: بالنقطة قبل العافية.

وقال ابن الجوزي: بالعذاب قبل العافية، قاله ابن عباس.

القول الثاني: المراد السيئة الشر، والحسنة الخير قاله قتادة ، وهو قول الطبرى
والماوردي (□).

قال الطبرى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ وهم مشركون العرب
استعجلوا بالشر قبل الخير.

١ - البحر المحيط (ح/٦ ل/٧) (٣٥٩/٥).

٢ - البغوي آية ٦، الزمخشري (٣٤٩/٢)، ابن الجوزي (٢٢٧/٤)، الرازى (١٢/١٩)، البيضاوى (٣١٨/٣)، النسفي (٣٤٩/٢)، ابن جزي (٢٣٩/٢)، الخازن آية ٦، أبي السعود (٢/٥)، الألوسى (١١/٣١)، ابن عاشور (٩١/١٣).

٣ - الطبرى (٧٠/١٣)، الماوردي آية ٦.

وقال الماوردي: "بالشر قبل الخير".

وقال ابن الجوزي: "بالشر قبل الخير، قاله قتادة".

القول الثالث : السيئة البلاء والعقوبة ، والحسنة الرخاء والعافية . وهو قول الطبرى والنحاس و ابن كثير والشوكانى ^(□) .

قال الطبرى: ويستعجلونك يا محمد مشركونا قومك بالباء والعقوبة قبل
الرخاء والعافية.

وقال النحاس: "روى معاً عن قتادة ، قال: بالعقوبة قبل العافية ."

وقال الماوردي : " يعني بالعقوبة قبل العافية ، قاله قتادة ."

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلى:

أن الأقوال متقاربة فالعقوبة والبلاء والنقمـة والعذاب كلها شر، والعافية والرخاء كلها خير.

الترجمة

يترجح أن المعاني المذكورة متقاربة ومدلولها واحد، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه، وقد وردت آيات تدل على مثل هذه المعانٰى :

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالُوا لَهُمْ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكُمْ فَأَمْطِرُ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّكَمَاءِ أَوْ أَئْتَنَا بَعْذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الأنفال: ٣٢].

قال تعالى ﴿ وَلَوْ يُعِجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الْشَّرَّ أَسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ

أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُفْيَنَّهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ [يونس: ١١].

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَا يَرْبَطُ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧]

١ - النحاس (٦٢/١)، ابن كثير (٤/٣٧١)، الشوكاني (٣/٦٦).

وقال تعالى ﴿ وَسْتَعِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمٌ لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ٥٣ يَسْتَعِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمُحِيطَةٍ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ٥٤ [العنكبوت: ٥٣ - ٥٤]. وغيرها.

والله تعالى أعلم

قال تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ۚ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].

في الآية مسألة واحدة وهي:

من المراد بقوله ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾؟

قال أبو حيأن : " عن ابن عباس : لما نزلت وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال : ((أنا منذر)) وأوْمأ بيده إلى منكب عليّ) وقال : ((أنت الهاادي يا عليّ، بك يهتدى من بعدي))[□].... وإن صح ما روی عن ابن عباس ما ذكرناه في صدر هذه الآية، فإنما جعل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب مثلاً من علماء الأمة وهداتها إلى الدين، فكانه قال : أنت يا علي هذا وصفك، ليدخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وسائر علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ثم كذلك علماء كل عصر، فيكون المعنى على هذا : إنما أنت يا محمد منذر، ولكل قوم في القديم والحديث دعاة هداة إلى الخير.[□]

الدراسة:

في المسألة ثمانية أقوال:

القول الأول : المراد به العموم ومعناه: وداع إلى الهدى قاله قتادة ، وذكره كثير من المفسرين.[□] واختاره أبو حيأن.

قال الفراء : وقال بعضهم: لكل قوم هاد يتبعونه ، إما بحق أو باطل.

١ - يأتي تخریجه عند القول السابع.

٢ - البحر المحيط (ح/٦، ل/٨) (٣٦٠/٥).

٣ - الفراء (٥٩/٢)، الطبرى (٧١/١٣)، الماوردي آية٧، والواحدى في الوسيط (٦/٢)، البغوى آية٧، ابن عطية (٣/٢٩٥)، ابن الجوزى (٤/٢٢٧)، ابن جزي (٢/٢٤٠)، ابن كثير (٤/٣٧٢)، البقاعي (٤/١٢٧).

وقال الطبرى : "... عن قتادة (□) : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ ﴾ هذا قول مشركي العرب، قال الله : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ لـكلّ قوم داعٍ يدعوهـم إلى الله. " قال الماوردي : " ولـكلّ قوم هـاد، أي دعـاة، قالـه الحـسن. "

القول الثاني : المراد ولكل أمة سلفت هاد أي: **نبي يدعوهم، قاله قنادة ومجاهد**
وابن زيد ، وذكره لثير من المفسرين .□

قال عبد الرزاق الصنعاني: "...عن قتادة ^(□) في قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال نبی يدعوهم إلى الله.

وقال الفراء: قال بعضهم :نبي.

وقال الطبرى : ... عن مجاهد ^(□) ، قال : المنذر محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ
قال : نَبِيٌّ .

وقال الزجاج:^{بِي} يدعوهُم بما يعطِي من الآيات ، لا بما يتحكَّمُون فيهِ من الاقتراحات .

القول الثالث: المراد بالهادي العمل . قاله أبو العالية (□) ، وذكره بعض

١ - وسنده قال الطبرى : حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة..

٢ - عبد الرزاق الصنعاني (٢٢٧/٢)، الغراء (٥٩/٢)، الطبرى (١٣/٧١)، الزجاج (٣/١٤٠)، البغوى آية٧، الزخشري (٣٥٠/٢)، ابن عطية (٣/٢٩٥)، ابن الجوزي (٤/٢٢٧)، الرازى (٩/١٤)، القرطبي (٩/٢٨٤)، البيضاوى (٣١٩/٣)، ابن جزي (٢/٢٤٠)، الخازن آية٧، أبي السعود (٥/٢)، الشوكانى (٣/٦٦)، الألوسى (٣١/٧١).

"٣ - وسندہ قال عن معامر عن قتادة.."

٤- وسنده قال : "حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد."

٥- رفيع بن مهران، الرياحي البصري، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أحد الأعلام، أدرك زمان الرسول ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودخل عليه، توفي سنة ١٠٦هـ. طبقات ابن سعد (١١٢/٧)، تاريخ البخاري (٣٢٦/٣)، سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٧).

المفسرين ^(□).

قال الطبرى: "عن أبي العالية ^(□): ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ﴾ قال: الـهـادـيـ: القـائـدـ، والـقـائـدـ: الإـمامـ، والـإـمامـ: الـعـملـ".

قال الماوردي: "معناه ولكل قوم عمل، قاله أبو العالية".

قال ابن الجوزي: "إن الـهـادـيـ: الـعـملـ، قاله أبو العالية".

القول الرابع : المراد هـادـ قـائـدـ إـلـىـ الـخـيـرـ أوـ إـلـىـ الشـرـ قال تعالى في الـخـيـرـ :

﴿وَهُدُوا إِلَى الْطَّيِّبِ مِنْ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤] وقال في

الـشـرـ: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٢٣] قاله أبو صالح. وذكره بعض من المفسرين ^(□).

قال الطبرى: "ولـكـلـ قـوـمـ هـادـ" : يقول ولـكـلـ قـوـمـ إـمـامـ يـأـتـمـونـ بـهـ وـهـادـ يـتـقـدـمـهـمـ، فـيـهـدـيـهـمـ إـمـاـ إـلـىـ خـيـرـ وـإـمـاـ إـلـىـ شـرـ".

قال النحاس: "وقـالـ أبوـ صالحـ: المعـنىـ لـكـلـ قـوـمـ دـاعـيـ هـدـيـ أوـ دـاعـيـ ضـلاـلةـ".

قال الماوردي: "ولـكـلـ قـوـمـ هـادـ معـناـهـ ولـكـلـ قـوـمـ قـادـةـ وـهـدـاـةـ، قالـهـ أبوـ صالحـ".

القول الخامس : المراد سابق بـعـلـمـ يـسـبـقـهـمـ إـلـىـ الـهـادـيـ . قالـهـ أبوـ عـيسـىـ، ذـكـرـهـ المـاوـرـدـيـ وـالـقـرـطـيـ منـ المـفـسـرـينـ ^(□).

قال الماوردي: "معـناـهـ ولـكـلـ قـوـمـ سـابـقـ بـعـلـمـ يـسـبـقـهـمـ إـلـىـ الـهـادـيـ ، حـكـاهـ ابنـ عـيسـىـ".

قال القرطبي: "أـيـ مـعـلـمـ".

١ - الطبرى (٧١/١٣)، الماوردي آية ٧، ابن الجوزي (٤/٢٢٧)، الخازن آية ٧.

٢ - وسـنـدـهـ قـالـ: حـدـثـيـ المـشـنـىـ، قـالـ: ثـنـاـ إـسـحـاقـ، قـالـ: ثـنـاـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ جـعـفـرـ، عـنـ أـبـيـهـ، عـنـ الـرـبـيعـ، عـنـ أـبـيـ العـالـيـةـ..

٣ - الطبرى (٧١/١٣)، النـحـاسـ (١٥٦/١)، المـاوـرـدـيـ آية ٧، ابنـ الجـوزـيـ (٤/٢٢٧)، الخـازـنـ آية ٧.

٤ - المـاوـرـدـيـ آية ٧، القرـطـيـ (٩/٢٨٤).

القول السادس: المراد به النبي محمد ﷺ ، وذكره بعض من المفسرين .^(□)

قال الطبرى: ...^(□): «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» قالا: محمد هو المنذر وهو الهدى.

وقال البغوى: قال عكرمة: الهدى محمد ﷺ يقول: إنما أنت منذر وأنت هاد لكل قوم أي: داع.

قال ابن الجوزى: إن الهدى: رسول الله ﷺ أيضا، قاله عكرمة، والمعنى: أنت منذر، وأنت هاد.

القول السابع: المراد بـالـهـادـيـ فيـ هـذـهـ الـآـيـةـ هوـ اللهـ تـعـالـىـ . قالـهـ سـعـيدـ اـبـنـ جـبـيرـ وـمـجـاهـدـ وـابـنـ عـبـاسـ وـالـضـحـاكـ . وـهـوـ قـوـلـ كـثـيرـ مـنـ الـمـفـسـرـينـ .^(□)

قال الطبرى: ... عن سعيد بن جبير^(□): «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» قال: محمد المنذر، والله الـهـادـيـ .

قال النحاس: ... عن الضحاك «وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» قال: الله يـعـلـمـ .

قال الماوردي: أنه الله تعالى، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

القول الثامن: المراد بـالـهـادـيـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ . ذـكـرـهـ الطـبـرـيـ وـذـكـرـهـ

١ - الطبرى (٧١/١٣)، البغوى آية ٧، ابن الجوزى (٤/٢٢٧)، الخازن آية ٧، ابن عادل (١١/٢٤٩)، ابن عاشور (١٣/٩٤).

٢ - وسنده قال: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن السعدي، عن عكرمة ومنصور، عن أبي الضحى ..

٣ - الطبرى (٧١/١٣)، النحاس (١٥٦/١)، الماوردي والبغوى آية ٧، الزمخشري (٢/٣٥٠)، ابن عطية (٣/٣١٩)، ابن الجوزى (٤/٢٢٧)، الرازى (١٩/٤)، القرطبي (٩/٢٨٤)، البيضاوى (٣/٣١٩)، ابن جزي (٢/٢٤٠)، الخازن آية ٧، ابن عادل (١١/٢٤٩)، أبي السعود (٥/٢)، الشوكاني (٣/٦٦).

٤ - وسنده قال: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير. وقد نقل قول مجاهد وابن عباس والضحاك.

بعض المفسرين^(□).

قال الطبرى: و قال آخرون: هو عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه. ذكر من قال ذلك: حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى ، قال: ثنا الحسن بن الحسين الأنصارى ، قال: ثنا معاذ بن مسلم، بياع الهروى^(□)، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت إنما أنت مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ وضع صلوات الله عليه يده على صدره، فقال : ((أَنَا الْمُنذِرُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ))، وأوْمًا بيده إلى منكب عليّ، فقال: ((أَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيٌّ، بَكَ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بَعْدِي)).

قال ابن عطية: وقالت فرقـة "الهادى": عليّ بن أبي طالب ، ورويت عن النبي صلوات الله عليه- من طريق ابن عباس - أنه قرأ هذه الآية وعلي حاضر ، فأوْمًا بيده إلى منكب عليّ وقال: "أنت الهاـدي يا علي بك يهـتـدي المـهـتـدون من بـعـدـي".

قال ابن الجوزي: وقد روـى المـفـسـرونـ من طـرقـ ليسـ فيهاـ ماـ يـثـبـتـ عنـ سـعـيدـ بنـ جـبـيرـ عنـ ابنـ عـبـاسـ قالـ: لماـ نـزـلتـ هـذـهـ الآـيـةـ، وضعـ رسولـ اللهـ صلوات الله عليه.

١ - الطبرى (١٣/٧١)، ابن عطية (٣/٢٩٥)، ابن جزي (٢/٤٠)، ابن كثير (٤/٣٣٧٢).

٢ - قال محمود شاكر: أـحمدـ بنـ يـحيـىـ الصـوفـىـ ،ـ شـيخـ الطـبـرـىـ:ـ ثـقـةـ،ـ وـالـحـسـنـ بـنـ الـحـسـنـ الـأـنـصـارـىـ...ـ كـانـ مـنـ رـؤـسـاءـ الشـيـعـةـ،ـ لـيـسـ بـصـدـوقـ وـلـاـ تـقـوـمـ بـهـ حـجـةـ .ـ وـقـالـ اـبـنـ حـبـانـ:ـ يـأـتـيـ عـنـ الـأـثـبـاتـ بـالـلـزـقـاتـ،ـ وـيـرـوـىـ الـمـقـلـوبـاتـ وـالـمـنـاكـيرـ .ـ مـتـرـجـمـ فـيـ اـبـنـ أـبـيـ حـاتـمـ (١/٦)،ـ وـمـيـزـانـ الـاعـدـالـ (٦/٢١)،ـ وـلـسـانـ الـمـيزـانـ (٦/٥٥)،ـ وـلـسـانـ الـمـيزـانـ (٣/١٧٨)،ـ وـمـيـزـانـ الـاعـدـالـ (٤/٢٤٨)،ـ وـمـيـزـانـ الـاعـدـالـ (١/٤)،ـ وـمـيـزـانـ الـاعـدـالـ (١/٦)،ـ وـمـيـزـانـ الـاعـدـالـ (١٩٨/١).

ومعاذ بن مسلم بياع الهروى ، لم يذكر بهذه الصفة (بياع الهروى) (في غير التفسير ، و (الهروى) ثياب تنسب إلى هراة . وجعلها في المطبوعة (حدثنا الهروى) فأفسد الإسناد إفسادا . و(معاذ بن مسلم) مجهول . هكذا قال ابن أبي حاتم (٤/٢٤٨)، وميزان الاعتدال (٣/١٧٨)، ولسان الميزان (٦/٥٥) وهذا خبر هالك من نواحـيـهـ،ـ وـقـدـ ذـكـرـهـ الـذـهـبـيـ وـابـنـ حـجـرـ فـيـ تـرـجـمـةـ الـحـسـنـ بـنـ الـحـسـنـ الـأـنـصـارـىـ ،ـ قـالـاـ بـعـدـ أـنـ سـاقـاـ الـخـبـرـ بـإـسـنـادـهـ وـلـفـظـهـ ،ـ وـنـسـبـتـهـ لـابـنـ جـرـيرـ أـيـضاـ:ـ "ـمـعـاذـ نـكـرـةـ ،ـ فـلـعـلـ الـآـفـةـ مـنـهـ وـأـقـولـ أـيـ مـحـمـودـ شـاـكـرـ -ـ بـلـ الـآـفـةـ مـنـ كـلـيـهـمـاـ .ـ الـحـسـنـ بـنـ الـحـسـنـ وـمـعـاذـ بـنـ مـسـلـمـ .ـ جـامـعـ الـبـيـانـ (٦/٣٥٧).

يده على صدره، فقال: ((أنا المذر)) وأوْمأ بيده إلى منكب علي، فقال: ((أنت الهدى يا علي بك يهتدى من بعدي)) قال المصنف: وهذا من موضوعات الرافضة.

نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أن القول الأول يفيد العموم ويمكن أن يدرج تحته القول الثاني والقول الثالث والقول الرابع والقول الخامس فالنبوة والقيادة والعمل والسابق بعلم كلها من الممكن أن تدرج تحت مسمى الداعي إلى الهدى.
- وأما كون الهدى هو النبي محمد ﷺ فجاز فهو بعث لهدية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُ بِّ وَلَا أَلِيمَدُنَّ وَلَكِنَ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهَدِي بِهِ مَن شَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٣ صِرَاطٌ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ٥٤ ﴾

[الشورى: ٥٢ - ٥٣].

ومع ذلك فقد قال تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى لَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ٥٥ [البقرة: ٢٧٢].

وقال ﴿ إِنَّكَ لَا تَهَدِي مَنْ أَحَبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَدِّدِينَ ٥٦ ﴾ [القصص: ٥٦].

فالمهدية قسمان :

١. هداية إرشاد . ويقوم بها الأنبياء والمصلحون .. الخ كل حسب علمه

وغايتها.

٢. هداية توفيق. وهي من الله وحده لا يستطيعها أحد كائناً من كان.
وأما كون المادي هو الله فهذا مما لا شك فيه ولكن ليس هو المفهوم من الآية.

قال ابن عطية : "وقالت فرقه: "المادي" في هذه الآية الله عز وجل ، ... ، والألفاظ تطلق بهذا المعنى ، ويعرف أن الله تعالى هو المادي من غير هذا الموضع".

وأما أن المراد به على بن أبي طالب رض فهو ضعيف وذلك:
١. لعدم صحة الرواية .

قال ابن الجوزي : "وهذا من موضوعات الرافضة."
وقال ابن كثير : "وهذا الحديث فيه نكارة شديدة."

الترجمي:

يترجح القول إن المراد به العموم ومعناه: وداع إلى المدى، وهو اختيار أبي حيأن ومن وافقه. وذلك :

- لدلالة السياق. فلفظ (كل) تدل على العموم، بل هي أعمها^(□).
- أنه لم يرد نص بالتفصيص فيجب حمل نصوص الوحي على العموم .
وهذه من قواعد الترجيح^(□) التي أخذ بها المفسرون .

قال الطبرى: "لا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جلّ

١ - انظر التمهيد لأبي الخطاب (١/٩)، والبحر المحيط للزرκشي (٣/٦٢) وغيرها من الكتب التي تحدثت عن صيغ العموم .

٢ - انظر قواعد الترجيح (٥٢٨/٥).

ثناوه: إن محمداً هو المنذر من أُرسِل إليه بالإنذار، وإن لكل قوم هادياً يهديهم
فيتبعونه ويأتُمُون به.

قال ابن عطية: "والقولان الأولان أرجح ما تأول في الآية". - وهو القول
بالعموم والنبي.

قال تعالى ﴿ أَلَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَدَّادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨].

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى

ما المراد بقوله « وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَدَّادُ »؟

قال أبو حيان : " قال الزمخشري : .. ويعلم ما تغيبه الأرحام تقصه ، وما تزداد أي تأخذ زائداً تقول : أخذت منه حقي وازدت منه كذا ، ومنه : ﴿ وَازْدَادُوا سِعَةً ﴾ [الكهف: ٢٥] ويقال : زدته فزاد بنفسه وازداد . وما تقصه الرحم وتزداد عدد الولد ، فإنها تشتمل على واحد ، وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة .. ومنه جسد الولد ، فإنه يكون تماماً مخدجاً ، ومنه مدة ولادته فإنها تكون أقل من تسعة أشهر ، فما زاد عليها إلى سن تين عند أبي حنيفة (□) ، وإلى أربع عند الشافعي (□) ، وإلى خمس عند مالك (□) ... ومنه الدم فإنه يقل ويكثر . وإن كانت مصدرية المعنى : أنه يعلم حمل كل أنثى ، ويعلم غيوض الأرحام وازيداتها ، فلا يخفى عليه شيء من ذلك من أوقاته وأحواله . ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادتها ، فأسنن الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها ، على أن الفعل غير متعدد ويعضده قول الحسن : الغيوضة أن يقع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك ، والازدياد أن يزيد على تسعة أشهر . وعنه : الغيض الذي يكون سقطاً لغير تمام ، والازدياد ولد التمام انتهى (□) . وهو جمع ما قاله المفسرون

١ - المبسوط (٤٤/٦).

٢ - المبسوط (٤٤/٦).

٣ - الشرح الكبير (٤٠٧/٤) ، منح الجليل شرح مختصر خليل (٣٥٥/٢).

٤ - الكشاف (٣٥٠/٢).

مفرقاً (□)

الدراسة:

في المسألة ستة أقوال:

القول الأول: «وَمَا تَغِيبُنَّ الْأَرْحَامُ» بالسقط الناقص «وَمَا تَزَدَّادُ» بالولد التام، قاله ابن عباس والحسن. وذكره كثير من المفسرين (□).

قال الزمخشري : " ومنه الغيض الذي يكون سقطاً لغير تمام، والازدياد ما ولد لتمام."

قال ابن الجوزي - بعد أن ذكر أن فيه أربعة أوجه -: " وما تغيب: بالسقط الناقص، وما تزداد: بالولد التام، رواه العوفي عن ابن عباس، وعن الحسن كالقولين".

وقال الخازن: وقيل: النقصان السقط والزيادة تمام الخلق.

القول الثاني: (وما تغيب الأرحام) بالوضع لأقل من تسعة أشهر ، (وما تزداد) بالوضع لأكثر من تسعة أشهر ، قاله سعيد بن جبير والضحاك . وقال الضحاك: وضعني أمي وقد حملتني في بطنها سنتين وولدتني وقد خرجت سني.

قال الفراء : ("تغيب") يقول: فما تنقص من التسعة الأشهر التي هي وقت الحمل ، (وما تزداد) أي تزيد على التسعة. أو لا ترى أن العرب تقول: غاضت

١ - البحر المحيط (ح ٦ ل ٩) (٣٦٢/٥).

٢ - وذكر المفسرون الأقوال الأخرى تزيد وتنقص وهم : الفراء (٥٩/٢)، الطبرى (١٣/٧٢)، ابن أبي حاتم (٧٧/٧)، النحاس (٥٦٤/١)، الماوردي آية ٨، الواحدى في الوسيط (٣/٧)، البغوى آية ٨، الزمخشري (٣٥٠/٢)، ابن عطية (٢٩٧/٣)، ابن العربي (٣/٥٥)، ابن الجوزي (٤/٢٢٧)، الرازى (٩/١٦)، القرطبي (٩/٢٨٥)، البيضاوى (٣/٣١٩)، النسفي (٢/٣٤٩)، ابن جزي (٢/٢٤٠)، الخازن آية ٨، ابن كثير (٤/٣٧٣)، ابن عادل (١١/٢٥٨)، البقاعي (٤/١٢٧)، الجلالين آية ٨، أبي السعود (٥/٢)، الشوكاني (٣/٦٦)، الألوسي (٣١/٨١١).

المياه أي نقصت . وفي الحديث : (إذا كان الشتاء قيضاً ، والولد غيظاً ، وغاضت الكرام غيضاً ، وفاضت اللئام فيضاً) ^(□) فقد تبين النقصان في الغيض ."

وقال الطبرى : " يقول : وما تنقص الأرحام من حملها في الأشهر التسعة بارسالها دم الحيض ، وما تزداد في حملها على الأشهر التسعة لتمام ما نقص من الحمل في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض ."

قال النحاس : " قال الحسن والضحاك : هو نقصان الولد عن تسعة أشهر ، وزياسته عليها ."

القول الثالث : (وما تغيب الأرحام) بانقطاع الحيض في الحمل (ما تزداد) بدم النفاس بعد الوضع .

قال القرطبي : " وقيل : الغيب انقطاع دم الحيض . ﴿وَمَا تَرَدَادٌ﴾ بدم النفاس بعد الوضع ."

وقال الشنقيطي : " وقيل الغيب : انقطاع دم الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع . ونقله عن القرطبي كما وضح ."

القول الرابع : (وما تغيب الأرحام) بظهور الحيض من أيام على الحمل ، وفي ذلك نقص في الولد (وما تزداد) في مقابلة أيام الحيض من أيام الحمل ، لأنها كلما حاضت على حملها يوماً ازد ادت في طهرها يوماً حتى يستكمل حملها تسعة أشهر طهراً ، قال عكرمة وقتادة ."

قال البغوي : " وقال أهل التفسير : غيب الأرحام : الحيض على الحمل ؛ فإذا حاضت الحامل كان نقصاناً في الولد لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم فإذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فينقص الولد وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم

١ - هو من قول أبي هريرة : (إذا كان الشتاء قيظاً ، والولد غيظاً ، وفاض اللئام فيضاً ، وغاض الكرام غيضاً ، فشوبيهات عفر بجبل خير من ملك بنى النضير) رواه ابن أبي الدنيا في العزلة ، انظر جامع المسانيد والمراسيل .

فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم.

قال ابن عطية: قوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ معناه: ما تنقص، وذلك أنه من معنى قوله: ﴿وَغِيضَ الماء﴾ [هود: ٤٤] وهو بمعنى النضوب فهـي - هاهـنا - بـمعنى زوال شيء عن الرحم وذهابـه ، فـلما قـابلـه قوله: ﴿وَمَا تَزَدَّادُ﴾ فـسرـ بـمعنى النقصـان: ثم اختلفـ المـتأولـون في صـورـةـ الـزيـادـةـ وـالـنـقـصـانـ : فـقالـ مـجاـهـدـ: (غيـضـ الرـحـمـ) أـنـ يـهـرـقـ دـمـاـ عـلـىـ الـحـمـلـ ، وـإـذـاـ كـانـ ذـلـكـ ضـعـفـ الـولـدـ فـيـ الـبـطـنـ وـشـحـبـ ، فـإـذـاـ أـكـمـلـ الـحـامـلـ تـسـعـةـ أـشـهـرـ لـمـ تـضـعـ وـبـقـيـ الـولـدـ فـيـ بـطـنـهـ زـيـادـةـ مـنـ الزـمـنـ يـكـمـلـ فـيـهـاـ مـنـ جـسـمـهـ وـصـحتـهـ مـاـ نـقـصـ بـمـهـراـقـةـ الدـمـ ، فـهـذـاـ هـوـ بـمعـنىـ قـولـهـ: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَدَّادُ﴾ وـجـمـهـورـ الـمـتأـولـينـ عـلـىـ أـنـ غـيـضـ الرـحـمـ الدـمـ عـلـىـ الـحـمـلـ.

قال ابن الجوزي - بعد أن ذكر أن فيه أربعة أوجه -: "وما تغـيـضـ: بـإـرـاقـةـ الدـمـ فـيـ الـحـمـلـ حـتـىـ يـتـضـاءـلـ الـولـدـ ، وـمـاـ تـزـدـادـ: إـذـاـ أـمـسـكـتـ الدـمـ فـيـعـظـمـ الـولـدـ ، قـالـهـ مـجاـهـدـ".

القول الخامس: (ومـاـ تـغـيـضـ الـأـرـحـامـ) مـنـ وـلـدـتـهـ قـبـلـ (وـمـاـ تـزـدـادـ) مـنـ تـلـدـهـ مـنـ بـعـدـ ، حـكـاهـ السـدـيـ وـقـتـادـةـ.

قال الزمخشري: "ومـاـ تـنـقـصـهـ الرـحـمـ وـتـزـدـادـهـ عـدـدـ الـولـدـ ، فـإـنـهاـ تـشـتـمـلـ عـلـىـ وـاحـدـ ، وـقـدـ تـشـتـمـلـ عـلـىـ اثـنـيـنـ وـثـلـاثـةـ وـأـرـبـعـةـ".

وقـالـ الـراـزـيـ: "ثمـ اـخـتـلـفـواـ فـيـمـاـ تـغـيـضـهـ الرـحـمـ وـتـزـدـادـهـ عـلـىـ وـجـوهـ .ـ الـأـوـلـ: عـدـدـ الـولـدـ فـإـنـ الرـحـمـ قـدـ يـشـتـمـلـ عـلـىـ وـاحـدـ وـاثـنـيـنـ وـعـلـىـ ثـلـاثـةـ وـأـرـبـعـةـ".

وقـالـ الـبـقـاعـيـ: (وـمـاـ تـغـيـضـ) أـيـ تـنـقـصـ (الـأـرـحـامـ) مـنـ المـاءـ فـتـنـشـفـهـ فـيـضـمـحلـ لـعـدـمـ صـلـاحـيـتـهـ لـأـنـ يـكـوـنـ مـنـهـ وـلـدـ ، وـأـصـلـ الـغـيـضـ - كـمـاـ قـالـ الـرـمـانـيـ: ذـهـابـ المـائـعـ فـيـ الـعـمـقـ الـغـامـضـ ، وـفـعـلـهـ مـتـعـدـ لـازـمـ (وـمـاـ تـزـدـادـ) أـيـ

الأرحام من الماء إلى الماء الذي قدر تعالى كونه حملاً فيكون تواماً فأكثراً.

القول السادس: الغيض والزيادة يرجعان إلى الولد، كنقصان إصبع أو غيرها، وزيادة إصبع أو غيرها. وهو قول القرطبي والشقيقيني.

قال القرطبي: "وقيل: الغيض والزيادة يرجعان إلى الولد، كنقصان إصبع أو غيرها، وزيادة إصبع أو غيرها."

وقال الشقيقيني: "وقيل الغيض والزيادة يرجعان إلى الولد كنقصان إصبع وغيرها وزيادة إصبع وغيرها." نقله عن القرطبي كما وضح .

نلاحظ مما سبق إيراده ما يلي:

- أن المفسرين متفقون على أن معنى (الغيض) هو النقص، وأن الزيادة في معناها المقابل للنقص .
- والخلاف في صورة الزيادة والقصان .

الترجمة:

يترجح أن المراد من الغيض هو النقص وأن مقابلها الزيادة ، وأن ما ذكره المفسرون من الأقوال كلها محتملة لدلالة العموم .

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَدَّادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ يعني من النقصان والزيادة. ويقال: (بِمِقْدَارٍ) قدر خروج الولد من بطن أمّه، وقدر مكثه في بطنه إلى خروجه . وقال قتادة: في الرزق والأجل. والمقدار القدر؛ وعموم الآية يتناول كل ذلك، والله سبحانه وأعلم.

وقال الشقيقيني: قال مقيده - عفا الله عنه : مرجع هذه الأقوال كلها إلى شيء واحد وهو أنه تعالى عالم بما تقصه الأرحام وما تزيده لأن معنى تغیض تقص و تزداد أي تأخذ زائداً فيشمل النقص المذكور نقص العدد ونقص

العضو من الجنين ونقص جسمه إذا حاضت عليه فتقلاص ونقص مدة الحمل
بأن تسقطه قبل أمد حمله المعتاد، كما أن الأذنيات يشمل زيادة العضو وزيادة
العدد وزيادة جسم الجنين إن لم تُخض وهي حامل وزيادة أمد الحمل عن
القدر المعتاد، والله جل وعلا يعلم ذلك كله والآية تشمله كله.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

ما المراد بقوله ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾؟

قال أبو حيان : "والظاهر عموم قوله: وكل شيءٍ عندَهُ بِمِقْدَارٍ" أي: بحد لا يتجاوزه ولا يقتصر عنه. □

الدراسة:

في المسألة أربعة أقوال:

القول الأول: المراد العموم. وهو قول كثير من المفسرين، واختاره أبو حيان.

قال الواحدى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ علم كل شيءٍ فقدره تقديرًا.

وقال البغوى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أي: بتقدير واحد لا يتجاوزه ولا يقصر عنه.

وقال الزمخشري: ﴿بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر واحد لا يتجاوزه ولا ينقص عنه، كقوله

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ [القرآن: ٤٩].

القول الثاني: المراد وكل شيءٍ من الثواب والعقاب عندَهُ بِمِقْدَارٍ أي :

الطاعة والمعصية. قاله ابن عباس، ذكره الماوردي وأبو حيان .

قال الماوردي: أن كل شيءٍ عندَهُ ثواب وعقاب بِمِقْدَارٍ الطاعة والمعصية.

القول الثالث: المراد من الغيض والازدياد، قاله الضحاك، ذكره الماوردي وأبو حيان.

١ - البحر المحيط (ح/٦ ل/١٠) (٣٦٢/٥).

٢ - الواحدى في الوجيز آية ٨، البغوى آية ٨، الزمخشري (٢/٣٥٠)، ابن عطية (٣/٢٩٧)، ابن الجوزي (٤/٢٢٧)، الرazi (١٩/١٦)، القرطبي (٩/٢٨٥)، البيضاوى (٣/٣١٩)، النسفي (٢/٣٤٩)، الخازن آية ٨، ابن كثير (٤/٣٧٣)، ابن عادل (١١/٢٥٨)، البقاعي (٤/١٢٧)، الجلالين آية ٨، أبي السعود (٥/٢)، الشوكاني (٣/٦٦)، الألوسي (٣١/٨١١)، ابن عاشور (١٣/٩٦).

قال الماوردي: "فيما تغيب الأرحام وما تزداد، قاله الضحاك".

القول الرابع : المراد من الرزق والأجل . قاله قتادة . وهو قول بعض المفسرين^(□).

قال الطبرى: "...عن قتادة^(□) قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ إِي وَاللَّهُ، لَقَدْ حَفِظَ عَلَيْهِمْ رِزْقَهُمْ وَآجَاهُمْ، وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا مَعْلُومًا".

قال ابن أبي حاتم : "... عن قتادة^(□) قوله ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أَيْ بِأَجْلٍ حَفِظَ أَرْزَاقَ خَلْقِهِ وَآجَاهُمْ وَجَعَلَ لِذَلِكَ أَجَلًا مَعْلُومًا".

وقال الماوردي: "في الرزق والأجل ، قاله قتادة.".

القول الخامس: المراد صحة الجنين ومرضه، وموته، وحياته، ورزقه، وأجله . ذكره أبو حيان.

قال أبو حيان: "وقيل: صحة الجنين ومرضه، وموته، وحياته، ورزقه، وأجله." نلاحظ ما سبق إيراده ما يلي:

- أن الأقوال المذكورة تندرج تحت القول بالعموم . وأنها ذكرت كمثال .

قال أبو حيان: "والأحسن حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على التخصيص، لأنه لا دليل عليه."

الترجح :

يترجح القول بالعموم ، وهو اختيار أبي حيان ومن وافقه ، وذلك :

١. لأنه جاء ذلك المعنى في آيات أخرى

قال تعالى ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَنْخُذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ﴾

١ - الطبرى (٢٢٢٨/٧)، ابن أبي حاتم (٧٢/١٣)، الماوردي آية ٨، وذكره أبو حيان (٣٦٢/٥).

٢ - وسنده قال: "حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة".

٣ - وسنده قال: "أخبرنا علي بن الحسين الهمسنجانى ، ثنا أبو الجماهر، ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة".

فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ، نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ [الفرقان: ٢].

وقال تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

٢. [يجب حمل نصوص الوحي على العموم مالم يرد نص بالتفصيص] ، وهي من قواعد الترجيح ^(□).

قال ابن عطية : " قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ لفظ عام في كل ما يدخله التقدير."

والله تعالى أعلم

تم بحمد الله آخر الترجيحات في الجزء المخصص

١ - انظر قواعد الترجيح (٥٢٧/٢). وقواعد التدبر الأمثل ص ٥٩.

الخاتمة

الحمد لله المتفضل بالإنعم والإجلال والإحسان والإكرام وحسن الختام.
والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للأنام خاتم الأنبياء والرسل عليهم
الصلوة وأزكي السلام.

وبعد:

فمسك الختام وختام المسک مع البحر المحيط. وفي خضم رحلة البحر المتلاطم
الموج، المحيط بكل فن ولون، بربعت لي جملة من النتائج أذكرها في هذه الخاتمة،

وهي:

أولاً: في المؤلمه والمنهم

١. مكانة أبي حيان بين العلماء عامة، والمفسرين خاصة، فهو ضمن مقدمة
المفسرين بالرأي المحمود.
٢. منزلة تفسيره "البحر المحيط" بين كتب التفسير، فهو كذلك ضمن مقدمة
تلك التفاسير.

٣. تميزه بمنهج علمي دلالة على غزاره علمه ودقة فهمه.

٤. حاجة تفسير البحر المحيط إلى مزيد من العناية والاهتمام من الباحثين
المتخصصين، وذلك براجعتها على النسخ الخطية على أقل تقدير
لتصويب الأخطاء المطبعية والسقط والخلل فيها، ثم الإفاده من هذا
التفسير من جميع زواياه.

ثانياً: في ترجيحاته واعتباراته أبي حيان:

١. سيره على قواعد علمية في الترجيح.
٢. بعده عن التقليد والتعصب المقيت.
٣. الجرأة في بيان الحق، والتواضع عند قبوله.

٤. بيان منهج المخالف ولاسيما بعض الفرق مع تفاوت عبارته حسب مقدار الخطأ وقوته.

٥. الحاجة إلى تكرار قراءة عبارة أبي حيان في البحر المحيط غالباً وإمعان النظر فيها إلى أن يهداً الموج ويصفو الذهن لاستخراج موطن الترجيح وفهمه جيداً حتى يتضح قصد المؤلف في المسألة.

٦. تفرده في بعض المسائل من حيث الاستدلال والترجح.

ثالثاً: في كتبه التفسير عامة:

١. اعتماد بعض المفسرين على النقل النصي من تقدمهم دونما إشارة إلى هذا النقل، ويعرف ذلك من خلال القراءة في كتب التفسير حسب الأقدمية.

٢. قد يصعب معرفة الاختيار والترجح أحياناً لعدم وضوح ذلك من خلال صيغ معينه أو منهج واضح.

رابعاً: في دراسة الترجيحاته والموازنة بين كتبه التفسير:

ما لا شك فيه أنني بحمد الله استفدت أياً استفادة من دراسة الترجيحات والقراءة في عدد كبير من كتب التفسير، وبهذا حققت جزءاً من هدفي في التحاقى بقسم الكتاب والسنة في المرحلة الجامعية وهو الدراسة المنهجية الجادة المتأنية والاطلاع على عدد كبير من كتب التفسير من خلال دراسة سور من القرآن أو سورة واحدة في أضعف الإيمان.

والجزء الآخر قد تحقق في مرحلة الماجستير وهو الدراسة المنهجية الجادة المتأنية والاطلاع على عدد كبير من كتب السنة النبوية وشرحها. ﴿ وَمَا يَكُمْ مِنْ بِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۚ﴾ [النحل: ٥٣].

وما خلصت إليه في ذلك:

١. أن القراءة المتأنية الجادة في كتب التفسير تعطي الباحث ملكرة قوية في التميز والتدقيق، تقوى كلما أمعن النظر في الأدلة وقارن بين أقوال المتقدمين والمتاخرين.
٢. أن ما يتوصل إليه الباحث في الترجيح يجب أن يكون مبنياً على أساس وقواعد وأدلة وقرائن، بعيداً عن الهوى والتعصب والتقليد والميل ، وأسائل الله أن يمن على بهذا.
٣. أن ما يقرره الباحث في الترجيح ويقويه لا يعني أن المخالف له دائماً على خطأ، بل نقول كما قال السلف: كلام غيري خطأ محتمل الصواب، وكلامي صواب يحتمل الخطأ. وكم ترك الأول للأخر، ويكفي أن المخالف قد فتح أفقاً جديداً للنظر من ناحية أخرى ما دام أنه يجتهد لبيان الحق .
٤. الحذر كل الحذر من الاغترار بما يصل إليه الباحث من النتائج المبني على طريقة في العرض والاستدلال، أن يكون مدخلاً للشيطان في العجب وحبوط العمل ، بل عليه الاعتقاد الجازم واليقين الصادق أن ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس.

الوصيات

١. الضرورة الملحّة إلى مزيد من العناية والاهتمام بكتب التفسير، من ناحية معالجة السقط والخلل والتصحيف، وتنقية الكتب من الشوائب الإسرائيلية والعقدية، والكلامية والفلسفية، والتفرعات اللغوية البعيدة عن التفسير، وكذا الفقهية، ولو بالتبنيه عليها في الحواشي في أضعف الإيمان.
٢. إفراد ردود أبي حيان على المعتزلة وبعض الفرق في الجانب العقدي.

٣. جمع ما انفرد به في بعض المسائل التفسيرية وال نحوية والبلاغية في جزء من الفوائد المتنوعة.

٤. استخراج مختصرًا لتفسير البحر المحيط.

وأخيرًا:

رحم الله العلماء الأفذاذ السابقين فقد أفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله تعالى، وبرعوا في علوم شتى لأجل بيانه وإيضاح إعجازه ومكانته، ويكتفينا أنهم قد فتحوا لنا الطريق بل ومهدوه.

وها نحن في زمن التخصص كل يدل بدلوه في كتب السلف فيخرج ماء عذبا زلا لا يرتوي به ويسقى السائرين وينفع السالكين لدرء العلم والحق المبين. نسأل الله أن يدركنا برحمته لنلحق برকبهم، فإن لم تبلغنا أعمالنا، فنسأله أن لا تخذلنا النوايا.

فيارب العفو والستر والقبول يا أكرم مسؤول.

أحمدك على فضلك ونعمك فهي ترى ولا تحسى.

﴿وَصَّيَّنَا إِلَّا نَسَنَ بِوَلْدَيْهِ إِحْسَنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَلُهُ ثَلَثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشْدَهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعِنِي أَنَّ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلِدَيَّ وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلِحًا تَرَضِيهُ وَأَصْلِحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تَبَّتْ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسَلِّمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥]

سبحانك اللهم وبحمدكأشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك



الفهرس

- فهرس الآيات القرآنية. مُحرّرٌ .
- فهرس القراءات. صَفْرٌ .
- فهرس الأحاديث. رَبِيعُ أَوَّلٍ .
- فهرس الآثار. رَبِيعُ ثَانٍ .
- فهرس الأعلام. جُمَادَى الْأَوَّلِ .
- فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة. جُمَادَى الثَّالِثَةِ .
- فهرس الفرق والقبائل. رَجَبٌ .
- فهرس الأماكن والبلدان. شَعْبَانَ .
٩. فهرس الشواهد الشعرية.
١٠. فهرس المصادر والمراجع.
١١. فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	رقم الصفحة
وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	٢٥	البقرة	٢٠١
سُورَةٌ مِّنْ مِثْلِهِ	٢٣	البقرة	٣٨٤
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا	٣٤	البقرة	٧٧٢
وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بْنَهُ وَيَعْقُوبَ يَبْنَيَ إِنَّ اللَّهَ	١٣٢	البقرة	٧٨٣
سَيَقُولُ الْشَّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ	١٤٢	البقرة	٢٦٤
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا	١٤٣	البقرة	١٤٩
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا	١٦٧-١٦٥	البقرة	١٧٧
وَزُلِّزُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ	٢١٤	البقرة	٧٨٧
وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَبَّضُنَ	٢٢٨	البقرة	٦٧٩
وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِيْنَ	٢٣٣	البقرة	٦٧٩
تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ	٢٥٣	البقرة	٧٧٦
لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى لَّهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي	٢٧٢	البقرة	٨٢٨
نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ	٤	آل عمران	١
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ	٦٣	آل عمران	٣٢٦
وَمَنْ يَتَّبِعَ عِيرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ	٨٥	آل عمران	٥٦٢
وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ	١٠٢	آل عمران	٧٨٢
وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ	١٣٤	آل عمران	١١١
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَّقَىِ الْجَمِيعَانِ	١٥٥	آل عمران	٣٣٢

٣١٨	آل عمران	١٩٨-١٩٦	لَا يَغْرِيَكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَيَّلَدِ
٥٥	آل عمران	١٧٠	فَرِحِينَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
٤٠٨	النساء	٤١	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا
٣٩٢	النساء	٤٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَادُونَ ذَلِكَ
٦٧٩	النساء	٥٩	تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
٥٣٣	النساء	٨٠	مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
٢٨٤	النساء	٩٤	يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ عَامَنُوا إِذَا ضَرَبُوكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٢٦٩	النساء	١٧٦	يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُقْتِي كُمْ فِي الْكَلَّةِ
٢٨٢	الأنعام	٣٥	وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ
٣٥١	الأنعام	٣٨	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ
٥٥	الأنعام	٤٤	حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَهُمْ بَغْتَةً
٣٥١	الأنعام	٥٩	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ
٤١	الأنعام	٨٢	الَّذِينَ عَامَنُوا وَلَمْ يَلِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
٢٢٦	الأنعام	١١٠	وَنَقْلِبُ أَفْدَاهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ
٧٩١	المائدة	٤٨	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا
٣٢٦	المائدة	٥١	وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ
٢٨٣	المائدة	١١٦	أَنَّتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَنِّي إِلَهٌ يَعْبُدُ
٤١٠-٤٠٩	الأعراف	٦	فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
٧٩١	الأعراف	٥٢	وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدَىٰ
٨٠٣	الأعراف	٥٤	إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

٣٣٢	الأعراف	١٦٣	وَسَلَّمُوا عَنِ الْقَرِبَةِ أَلَّا كَانَ حَاضِرًا
٨٢١-١٥٧	الأنفال	٣٢	اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ
٢٦٨	التوبه	٩٥	سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ
٢٩٢	التوبه	٢٩	قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
٣٠٤	يونس	١	الْكِتَابُ الْحَكِيمُ
٥٧٨-٨٦	يونس	٥	هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً
٨٢١	يونس	١١	وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ أَسْتَعْجَلُهُمْ
٣٩٠	يونس	٣٨	وَأَدْعُوا مِنْ أَسْتَطْعُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
١٣٨-١٣٢	يونس	٤٦	وَإِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نُنَوْفِنَّكَ
١٤٩-١٤٣	يونس	٤٧	وَلَكُلُّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ
١٤٦-٨٣	يونس	٤٨	وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
١٥١	يونس	٤٩	قُلْ لَاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ
١٥٦-٨٠	يونس	٥٠	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَنَاكُمْ عَذَابًا بِيَنْظَهَا وَأَوْ
١٥٩-١٥٧	يونس	٥١	أَثْمًا إِذَا مَا وَقَعَ إِمَانُهُمْ بِهِ إِذَا كُنَّ
١٦٦-١٦٣	يونس	٥٣	وَيَسْتَبِّئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِنِّي إِنَّهُ لَحَقٌ
١٨٠-١٧٤	يونس	٥٤	وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا فَتَدَّ
١٨٤-٨٤	يونس	٥٧	يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتُكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ
١٨٢-٥١	يونس	٥٧	يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتُكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ
٥٨-٥٤-٤١	يونس	٥٨	قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرِحْمَتِهِ فِي ذَلِكَ فَلَيَقْرَهُوا
١٨٦	يونس	٥٨	قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرِحْمَتِهِ فِي ذَلِكَ فَلَيَقْرَهُوا

-٨٣-٧٨				قُلْ أَرَءَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
١٩٤	يونس	٥٩		وَمَا أَظَنَ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
٧٦	يونس	٦٠		وَمَا تَكُونُ فِي شَاءٍ وَمَا تَلْوَ إِنْ مِنْ قُرْءَانٍ
٥٢	يونس	٦١		أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
٦٢-٤٥	يونس	٦٢		الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ
٥٨	يونس	٦٣		لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
١٩٧-٥٩		٦٤		وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا
٢٠٦-٢٠٤	يونس	٦٥		أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي
٢٠٨-٤٢	يونس	٦٦		الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُورِنَ اللَّهِ شُرَكَاءٌ
٢١٢-١٢٣		٦٧		وَأَنْلَأَ عَلَيْهِمْ بَأْنُوْجٍ إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ يَقُولُوْ
٢١٥	يونس			ثُمَّ بَعَثَنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَذُورُكَ
٢٢٠	يونس	٧١		ثُمَّ بَعَثَنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَذُورُكَ
٢٢٣-٤٣	يونس	٧٧-٧٤		إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ
٢٢٧	يونس	٧٥		قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ
٢٤١	يونس	٧٦		فَالْأُولَاءِ أَحْيَتَنَا لِتَفْتَنَاهُ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا
٢٣٠	يونس	٧٧		فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ أَسْحَرُكُمْ
٢٣٤-٧٥		٧٨		وَقَالَ مُوسَىٰ يَقُولُ إِنَّ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوْ
٥٠٥	يونس			فَمَآءَمَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ
٢٤٤-٢٣٨	يونس	٨٢-٨١		- 847 -
٦٢١	يونس	٨٤		
٢٤٧-١٢٧	يونس	٨٣		

٢٦١-٢٥٩	يونس	٨٧	وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا
٢٦٦	يونس	٨٨	وَقَالَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ
٢٧٢	يونس	٩١	إِنَّكَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ
٢٧٩	يونس	٩٣	وَلَقَدْ بَوَّا نَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبْوَأً صِدْقِ وَرَزْقَهُمْ
٢٨٢	يونس	٩٤	إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
٨٨	يونس	٩٧-٩٦	إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
٢٨٨	يونس	٩٨	فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةٌ مَأْمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا
٨٩	يونس	٩٩	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ
٨١	يونس	١٠٤	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي
٨٤	يونس	١٠٧	وَإِنْ يَمْسِسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ
٢٩٤-٢٩٠	يونس	١٠٩-١٠٨	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ
٢٩٨-٧٨	هود	١	الْرَّكَبُ أُحْكِمَتْ أَيْنَهُمْ فُصِّلَتْ
٣٠٧-١٢٤	هود	٢	أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ
٤٢٣-٣١٢	هود	٣	وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ
٣١٥-٤٦			
٣٢٢-٣١٩	هود	٥	أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ
٣٢٨-٣٢٣	هود	٦	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا
٣٣٤-٣٣١			
٣٣٧-١٧٤	هود	٧	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةٍ
٣٤٢			
٣٥٠-٣٤٥	هود		
٣٥٦-٣٥٣			
٣٦٤-٣٥٩	هود		

٣٦٨	هود	٨	وَلَئِنْ أَخْرَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ
٣٧٣-٣٧١	هود	٩	وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَ رَحْمَةِ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا
٣٧٥	هود	١٢	فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ
٣٨٢-٣٨٠	هود	١٣	أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ فَأَتَوْا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ
٣٨٦	هود	١٤	فَإِنَّمَا يَسْتَحِيْبُ الْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ
٣٩١-٣٢٢	هود	١٥	نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا
٣٩٨	هود	١٦	أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيَسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا التَّارُ
٣٩٦-٣٩٢	هود	١٧	أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَتِهِ مِنْ زَيْدٍ، وَيَتَلَوُ شَاهِدٌ
٤١١-٤٠٦	هود	١٨	وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ
٤١٣	هود	٢٠	أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا
٨٦-٨١	هود	٢٤	مِثْلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى
٤٢٣-٤٤	هود	٢٥	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ
٥٢٨	هود	٢٧	مَا نَرَنَا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَنَا أَتَّبَعَكَ
٤١٦-٩٠	هود	٢٨	قَالَ يَقُوْمِ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَتِهِ
٤٢٠	هود	٢٩	وَيَقُوْمُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا
١٢٤	هود	٣٢	قَالُوا يَسْنُوحُ قَدْ جَنَدَنَا فَأَكَثَرَتْ جِدَانَا
٤٢٦	هود	٣٤	وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِحِيْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ
٤٢٨	هود	٣٥	أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ
٤٣٠	هود	٣٦	وَأُوحِيَ إِلَيْنَا نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمَكَ
٢٧٠	هود	٣٧	وَاصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيَنَا وَلَا تُخْطِبْنِي
٤٣٣	هود	٣٧	

٤٣٦	هود	٤٠	حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ الْنُّورُ قُلْنَا أَحْمَلَ فِيهَا
٤٥٦-٤٥٢	هود	٤٢	وَهُنَّ يَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجَبَالِ وَنَادَى نُوحٌ
٤٤٩-٤٤٦	هود	٤١	وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا إِسْمَ اللَّهِ بَرِّهَا وَمُرْسَهَا
٤٦٧	هود	٤٣	قَالَ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنْ الْمَاءِ
٤٧١-٤٦٢	هود	٤٤	وَقِيلَ يَتَأْرُضُ أَبْلَغِي مَاءً لِكَ وَيَنْسَمِئُ أَقْلَغِي وَغِيشَ
٤٦٩-٤٥٦	هود	٤٥	وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنِي مِنْ أَهْلِي
٤٦٦-٤٥٤	هود	٤٦	قَالَ يَنْنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْ
٤٧٠	هود	٤٨	قِيلَ يَنْنُوحُ أَهْبِطْ إِسْلَمِ مِنَّا وَبَرَكَتِ عَلَيْكَ
٤٧٣-٤٧٢	هود	٥٢	وَيَنْقُومُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ
٤٧٣	هود	٥٣	قَالُوا يَهُودُ مَا حِثَنَا بَيْنَنَةٍ وَمَا نَحْنُ بَسَارٍ كَيْ
٤٧٨-٤٧٥	هود	٥٨	وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَخِيتَنَا هُودًا وَالَّذِينَ عَامَنُوا مَعَهُ
٤٨٤-٤٨١	هود	٦٠	وَأَتَيْعَوْافِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ
١٢٧-٧٧	هود	٦٦	فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَخِيتَنَا صَلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
٤٨٦	هود	٧٠	فَلَمَّا رَأَهَا أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ
٤٩٢	هود	٧١	وَأَمْرَأَهُ، قَائِمَةً فَضَحِكَتْ فَبَشَّرَنَاهَا بِإِسْحَاقَ
٤٩٧	هود	٧٨	وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ
٥٠١	هود	٧٩	قَالُوا لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ
٥٠٤	هود	٨١	قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ
٥٠٦	هود	٨٣-٨٢	فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَنْلَيْهَا سَاقِفَاهَا

١١٩	هود	٨٣	مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ ^٤
٥١٨	هود	٨٤	وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ ^٥
٥١٦-٥١٢			
٥١٩	هود	٨٧	قَالُوا يَسْعَيْبَ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَرْكَ
٥٢١	هود	٨٨	قَالَ يَقُولُمْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَتِي مِنْ رَبِّي
٥٢٩-٥٢٥	هود	٩١	قَالُوا يَسْعَيْبَ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ
٥٣٢	هود	٩٢	قَالَ يَقُولُمْ أَرَهْطِي أَعْزُ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
٥٣٥	هود	٩٧-٩٦	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِإِيمَانِنَا وَسُلْطَانِنِ مُؤْمِنِ ^٦
٢٤٨	هود	٩٧	فَأَبَعَدُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ^٧
٥٣٨-١١٩	هود	١٠٠	ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَقْصُهُ عَلَيْكَ ^٨
٧٥	هود	١٠١	وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسُهُمْ ^٩
٥٤٠	هود	١٠٩	فَلَا تَكُونَ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَتَوْلَاءُ مَا يَعْبُدُونَ ^{١٠}
٥٤٥-٥٤٣	هود	١١٠	وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ ^{١١}
٥٤٨-١١٩	هود	١١١	وَإِنَّ كُلَّا لَمَّا لَيَوْقِنُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ ^{١٢}
٥٥٣-٥٥٠	هود	١١٤	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزِلْفَامِنَ الْيَلِ ^{١٣}
٥٥٨	هود	١١٦	فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُفْلُوْأَبِيَّةٌ ^{١٤}
٥٦٠	هود	١١٨	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ^{١٥}
٥٦٤	هود	١١٩	إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذِلِكَ خَلَقُهُمْ وَتَمَّتْ ^{١٦}
٥٦٩	يوسف	١	الرَّبِّلَكَ أَيَّتُ الْكِتَابِ الْمِئِينِ ^{١٧}
٧٩٠-٥٧١	يوسف	٢	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ^{١٨}
٧٩٠-٥٧٣	يوسف	٣	إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَأْبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ

٥٧٩	يوسف	٦	وَكَذِلِكَ يَجْنِيْكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ
٥٨٦-٥٨٣	يوسف	٩	أَقْتُلُوْيُوسْفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ
٥٨٩	يوسف	١٥	فَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَيْهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبَّ
٥٩٤-٥٩٢	يوسف	١٩	وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَادْلَى دَلَوَهُ
٦٠٤-٦٠١	يوسف	٢٠	وَشَرَوْهُ شَمَّتْ بِخَنْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ
٦١٠-٦٠٦	يوسف	٢١	وَقَالَ الْذِي أَسْتَرَنَهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي
٦٢٢	يوسف	٢٢	وَلَمَّا بَلَغَ أَشَدَّهُ وَأَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذِلِكَ
٦٣١	يوسف	٢٣	وَرَزَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ
٦٠٩	يوسف	٢٤	وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَءَما
٦٢٤-٦١٢	يوسف	٢٥	وَاسْتَبَقَ الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِصَهُ مِنْ دُبُّرٍ وَأَفْنِيَا
٦٢٦	يوسف	٢٦	قَالَ هِيَ رَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِنْ
٦٤٠	يوسف	٢٩-٢٨	إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنْ إِنَّ كَيْدِكُنْ عَظِيمٌ
٦٢٤-٦٣٣	يوسف	٢٩	يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنِيْكَ
٦٣٢	يوسف	٣٠	أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَنَّهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا
٦٢٣	يوسف	٣١	فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ
٦٣٩	يوسف	٣٥	ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لِيَسْجُنَنَهُ
٦٤٤-٦٤٢	يوسف	٣٦	وَدَخَلَ مَعَهُ الْسِجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا
٦٥١-٦٤٨	يوسف	٣٧	قَالَ لَا يَأْتِيْكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا
٦٤٢-١٢٨	يوسف	٣٨	وَلَقَدْ رَوَدَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمُ
٦٥٤	يوسف		
٦٦٤-٦٥٦	يوسف		
٦٦٣-٦٥٩	يوسف		
٦٢٣	يوسف		

٦٧١	يوسف	٣٨-٣٧	ذلِكُمَا مِمَّا عَلَمْنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ ^٥
٦٧١	يوسف	٤٠-٣٩	يَصَدِّحِي السِّجْنَ أَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ
٦٦٦-٦٦٢			وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٌ مِنْهُمَا أَذْكُرْنِي
٦٧٣-٦٦٨	يوسف	٤٢	
٦٧٦	يوسف	٤٣	وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ
٦٧٥	يوسف	٤٤	قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ
٦٧١	يوسف	٤٥	وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَأَذْكَرَ بَعْدَ أَمْمَةً أَنَا أَنْتُكُمْ
٦٧٨	يوسف	٤٧	قَالَ تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِينَنَ دَابِّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي
٦٨١-٦٦٧			
٦٨٢-٦٨٢	يوسف	٥٠	وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَأْتُوْنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الْرَّسُولُ
٦٢٣	يوسف	٥١	قَالَ مَا حَطَبُكُنَّ إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ^٦
٦٨٤-٦٨٣	يوسف	٥٢	ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
٦٢٣	يوسف	٣٣	رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ^٧
٦١٣	يوسف	٥٣	وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالشَّوَءِ إِلَّا
٦٨٧-١١٩	يوسف	٥٥	قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَرَائِنِ الْأَرْضِ ^٨ إِنِّي حَفِظُ عَلِيمٌ
٧٨٠	يوسف	٥٦-٥٥	قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَرَائِنِ الْأَرْضِ ^٨ إِنِّي حَفِظُ عَلِيمٌ
٧٤٨	يوسف	٥٩-٥٨	وَجَاءَ إِخْوَةً يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَرَفَهُمْ
٦٩٠	يوسف	٦٠	فَإِنَّ لَمْ تَأْتُنِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي
٦٩٢-١٢٩	يوسف	٦٣	فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ قَالُوا يَأْبَانَا مُنْعَ مِنَّا
٦٩٦	يوسف	٦٤	قَالَ هَلْ إِمْتُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْتُكُمْ
٦٩٨-١٢٩	يوسف	٦٥	وَلَمَّا فَتَّحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ
٦٩٩			

٧٠٣-١٢٨	يوسف	٦٨	وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبُوهُمْ
٧١٠-٧٠٧	يوسف	٦٩	وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ إِذَا هُوَ أَخَاهُ
٧١٣	يوسف	٧٠	فَلَمَّا جَهَزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ
٧٢١-١٢٩	يوسف	٧٥-٧٤	قَالُوا فَمَا جَرَّهُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ
٧٢٤	يوسف	٧٧	قَالُوا إِنْ يَسِّرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخُوهُ لَهُ
٧٣١	يوسف	٨١-٨٠	فَلَمَّا أُسْتَيَشُوا مِنْهُ خَلَصُوا بِخَيَا
٧٣٠	يوسف	٨١	أَرْجِعُوكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ أَبْنَكَ
٢٥٦-١٣٠	يوسف	٨٢	وَسْأَلُ الْقَرِيَةَ أَلَّى كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ
٧٣٣	يوسف	٨٤	وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَنَى عَلَى يُوسُفَ وَأَنْيَضَتْ
٧٣٩-٧٣٧	يوسف	٨٦	قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَيْتِي وَحْرَنِي إِلَى اللَّهِ
٧٤٨-٣٧٢	يوسف	٨٧	يَبْيَقَ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا
٥٩١	يوسف	٨٩	قَالَ هَلْ عِلِّمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ
٧٤٨	يوسف	٩٧-٩٥	قَالُوا تَعَالَى اللَّهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَالْقَدِيمِ
٧٤٢-١٣٠	يوسف	٩٤	وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ
٧٤٧-٧٤٥	يوسف	٩٦	فَلَمَّا آتَنَا جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْتَدَ
٧٥٠-٧٣٨	يوسف	٩٦	بَصِيرًا
٧٥٤-٧٥٢	يوسف	٩٩	فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ إِذَا هُوَ أَبْوَيْهِ
٧٦٠-٧٥٧	يوسف	١٠٠	وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُولَهُ، سُجَّدًا
٧٦٦-١٣١	يوسف	١٠١	رَبِّ قَدْءَ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ
٧٧٠-٧٦٨	يوسف		
٧٨١-٧٧٩	يوسف		

٧٩٤-٧٨٤	يوسف	١٠٣	وَمَا أَكَثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضَتِ بِمُؤْمِنِينَ
٧٨٦	يوسف	١١٠	حَتَّىٰ إِذَا أَسْتَيْعَسَ الرَّسُولَ وَظَلَّنُوا أَنْتُمْ قَدْ
٧٨٨-٨٥	يوسف	١١١	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلَّا يَرَى
٧٩٠			الْمَرْءُ تِلْكَ مَا يَنْتَهِي إِلَيْكَ الْكِتَابُ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ
٨٠٥-٧٩٣	الرعد	١	الْمَرْءُ تِلْكَ مَا يَنْتَهِي إِلَيْكَ الْكِتَابُ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ
٨٠١-٧٩٥	الرعد	٢	اللَّهُمَّ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ
٨٠٤			وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِيَّا وَأَنْهَرًا
٨١٠-٨٠٦	الرعد	٣	وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَنِّرٌ وَجَنَّتُ مِنْ أَعْنَابٍ
٨١٣	الرعد	٤	وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبْ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرْبَأِ
٨١٦	الرعد	٥	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ
٨٢٠	الرعد	٦	وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ إِعْلَمٌ
٨٢٣-١٢١	الرعد	٧	أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
٨٣٧-٨٣١	الرعد	٨	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ
٦٢٧	الرعد	٣٣	وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ
٢	الحجر	٩	بِالْبَيِّنَاتِ وَالْبُشِّرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ
٣٧٩	الحجر	٩٨-٩٧	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ
١١٥-٥٧	النحل	٤٤	ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ
٣١٨	النحل	٩٧	وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ
٧٢٨-٧٢٥	النحل	١١٠	فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْعُوا وُجُوهَكُمْ
٣٧٩	النحل	١٢٧	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنَّ يَهْدِي لِلَّّٰهِ مَنْ أَقْوَمْ
٢٣٣-٢٣١	الإسراء	٧	
٢٠٣	الإسراء	٩	

١٤٨	الإسراء	١٥	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا
٣٩٥-٣٩١	الإسراء	١٨	مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ
٧٧٤	الإسراء	٢٣	وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
١١	الإسراء	٢٤	وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِ صَغِيرًا 
٦٢٧	الإسراء	٣٢	وَلَا تَقْرِبُوا الْزِئْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحْشَةً وَسَاءً
٤٥٠	الإسراء	٤٤	تُسَيِّحُ لَهُ الْمَسَوَّتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
٥٨٨	الإسراء	٦٤	وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا
٢٠٠	الكهف	٢	فِيمَا لِيُنذِرَ بِأَسَا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرُ
٨٣١	الكهف	٢٥	وَأَزْدَادُوا تِسْعًا
٥٣٠	مريم	٤٦	لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا
٩٨	طه	١٣	وَأَنَا أَخْرُوكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى
٤٤	طه	٦٨	فُلَنَا لَا تَخْفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى
٢٣٠	طه	٦٩	وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حِيثُ أَتَى
٣٨٧	الأنبياء	٣	وَأَسْرُوا النَّجَوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
٣١١	الأنبياء	٤	قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ
٧٩٨	الأنبياء	٣٢	وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقَفاً مَحْفُظَّاً وَهُمْ
٧٧٧-٤٩٩	الأنبياء	٧٨	وَكُنَّا لِلْحَكِيمَ شَهِيدِينَ
٨٣٨	الفرقان	٢	الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَئِذْ وَلَدًا
٥٩٧-٥٩٦	الفرقان	٢٧	وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَنِيَتَنِي
٦٢٤	الفرقان	٦٣	وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوَنًا

٣٤٦	الفرقان	٦٦	سَاءَتْ مُسْتَقِرًّا وَمُقَاماً
٧٧١-٧٧٠	الفرقان	٧٣	وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِإِيمَانِهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا
٣٤٦	الفرقان	٧٦	حُسِنَتْ مُسْتَقِرًّا وَمُقَاماً
١٤٩	الفرقان	٣٠	وَقَالَ الرَّسُولُ يَدْرِبِ إِنَّ قَوْمِي أَنْخَذُوا
٤٥٠	المؤمنون	٢٩-٢٨	فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلُكِ فَقُلْ
٣٨٧	المؤمنون	٥١	يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهُمْ مِنَ الظِّبَابِ وَأَعْمَلُوهُ صَلِحًا
١٧٥	المؤمنون	١٠٦	قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا سُقُونَنَا وَكُنَّا
٣٥٨-٣٥٧	المؤمنون	١١٥	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَّادًا
٨٢٥	الحج	٢٤	وَهُدُوا إِلَى الْطَيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى
٨٢١	الحج	٤٧	وَسَتَعِلُّونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ
٧٩٨-٧٩٥	الحج	٦٥	وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ
٨٢٥	الصفات	٢٣	فَاهْدُوهُمْ إِلَى صَرْطِ الْجَحِيمِ
٨٢٢	العنكبوت	٥٤-٥٣	وَسَتَعِلُّونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمٌّ
٥١٤	العنكبوت	٤٥	إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
٢٨٢	الزخرف	٨١	قُلْ إِنْ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ
٨٢٨	الشوري	٥٣-٥٢	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا
٥٧	النجم	٤-٣	وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمُوْئَةِ ﴿٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى
٤٥	النجم	٤٥	وَأَنَّهُ خَلَقَ النَّوْجَانَ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى
١١٠	النجم	٥٠	وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا أَلْأُولَى
٢٦٧-٢٦٦	القصص	٨	فَالْنَّقَاطَةُ هُوَ أَلْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا

٢٢٧	القصص	٢٠	إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمُونَ بِكَ
٣٨٨	القصص	٥٠	فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِبُّوا لَكَ فَاعْلَمْ
٨٢٨-٧٨٥	القصص	٥٦	إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَّتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
٥٤-٤٢	القصص	٧٦	لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ
٣٧٢	القصص	٧٧	وَابْتَغْ فِيمَا آتَيْتَكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةَ
٥٥-٤٢	القصص	٨٨	وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَّاهًا أَخْرَ
٢١٠	القصص	٧٠	وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
٢٤٨	الشعراء	٤٨-٤٥	فَأَلَقَنِي مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ
٢٨٤	الأحزاب	١	يَتَأَبَّهَا النَّبِيُّ أَنَّقَ اللَّهَ وَلَا تُطِعْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
٤٩٧	الأحزاب	٦	الَّتِيْ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْفَجَهُ
٣٦٧	سبأ	٤٣	وَإِذَا نُتَلِّ عَلَيْهِمْ إِيمَانَنَا يَنْتَذِ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا
٢٨٤	الزخرف	٤٥	وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلَنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
٨٣٩	القمر	٤٩	إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرٍ
٤٤١	القمر	١١	فَفَنَّحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا عَنْهُمْ
٧٩٨	الطور	٥	وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ
٣٠٤	لقمان	٢	تِلْكَ إِيمَانُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ
٤١	لقمان	١٣	إِنَّ الْشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ
٨١٢	ق	٧	وَالْأَرْضَ مَدَدَنَاهَا وَلَقَنَنَا فِيهَا رَوْسِيَّ وَأَنْبَنَا فِيهَا
١	ق	٢٢-٢١	بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ
٢٠٤	ق	٢٩	مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَىَ

٣٥٧	ص	٢٧	وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا بَطِلًا
٧٧٦	ص	٣٠	وَوَهَبْنَا لِدَاؤُدَ سَلِيمَنَ نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلُ فِي عِزَّتِكَ لَا غُنْوِنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ
٦٢٤	ص	٨٣-٨٢	
٣٥٨-٣٥٧	الذاريات	٥٦	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
٧٨٧-٤٢	غافر	٥١	إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا
١٧٨	غافر	٥٢	يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ إِذَا أَلْغَلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَسلُ يُسْحَبُونَ
٨١٧-٨١٦	غافر	٧١	
١٤٦	الزمر	٦٩	وَجَاهَهُمْ بِالنَّيْنِ وَالشَّهَدَاءِ
٨١٧	يس	٨	إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا
٨١٢	يس	٣٦	سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا
٧٣٨-١١٠	فاطر	١٩	وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
١٤٨	فاطر	٢٤	وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ فِيهَا نَذِيرٌ
٧٩٨	فاطر	٤١	إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ
٤١٥	فصلت	٢٦	
٢٠١	فصلت	٣٠	تَتَرَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ لَا تَخَافُوا
٤١٥	الجاثية	٨-٧	وَيَلِ لِكُلِّ أَفَالِكَ أَثِيمٌ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ إِيمَانَ اللَّهِ ثُنُنَ
٦٢	الفتح	٢٩	﴿ تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ
٣٠٩	محمد	٤	فَضَرَبَ الْرِّقَابِ
١٧٨	الروم	٥٧	فِي وَمِيزِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ
١	الواقعة	٨٠-٧٧	إِنَّهُ لَقَرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ

٥٧٨	الرحمن	٥	الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ
٧٩٨	الرحمن	٧	وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ
٢٨٩-٣٢	الرحمن	٢٧-٢٦	كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنِّي  وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ
٣٥٨	الملك	٢	الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِبَلْوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً 
٤٢	المجادلة	٢١	كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلَبَكَ أَنَا وَرَسُولِي 
٣٦٧	المدثر	٢٥-١٨	إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَرَ  فَقُنِيلَ كَيْفَ قَدَرَ
١	الجن	٢-١	قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أَسْتَمَعَ نَفْرٌ مِنَ الْجِنِّ
٤٩١	الجن	٢٨-٢٦	عَدِيلُمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا
٣٧٤	المعارج	٢٣-١٩	إِنَّ الْإِنْسَنَ خُلِقَ هَلْوَعًا  إِذَا مَسَهُ الشَّرُّ جَزُوعًا
١٠	البلد	٤	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي كَبِدٍ 
٣٤١	نوح	٧	وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ
٤٦	نوح	١١-١٠	فَقُلْتُ أَسْتَغْفِرُوْ رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا
٤٥٤	نوح	٢٦	وَقَالَ نُوحٌ رَبِّي لَا نَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا
٢٧١-٢٦٧	الجن	١٧-١٦	لَا سَقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا  لَنَقْنَثَهُمْ فِيهِ
٢٨٦	المنافقون	٤	وَإِذَا رَأَيْتُهُمْ تُعِجِّبُكَ أَجْسَامُهُمْ
٢٧٠	نوح	٢٧-٢٦	وَقَالَ نُوحٌ رَبِّي لَا نَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا
٤٣	المزمول	١٦-١٥	كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْ فِرْعَوْنَ رَسُولًا  فَعَصَى فِرْعَوْنَ
٨٠٣	التكوير	٢-١	إِذَا الشَّمْسُ كُوِرَتْ  وَإِذَا النُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ
٥٧٨	القيامة	٩	وَجْمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
٤١	القيامة	١٩	شَمْ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ

٢٧١	الإنسان	٣	إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا
٢٧٤	الإنسان	٩	إِنَّمَا تُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُنَّكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا
٣٣٥	الإنسان	٢٧	إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ
١٥٤	الإنسان	٣٠	وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ
١٧٨	القلم	٤٣-٤٢	يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنْ سَاقِ وَيُدَعَّونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا
٧٣٩	القلم	٤٨	إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ
٦٢٨	الإنفطار	١٠	وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَفِظِينَ
٣٣٥	المطففين	٥-٤	أَلَا يَعْلَمُنَّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ
٢٢٨	النازعات	١٨-١٥	هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَهُ رَبُّهُ
٧٩٨	النازعات	٢٨-٢٧	أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقَاهُمْ أَمِ الْمَمَّإِ بَنَّهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا
٧٩٨	الغاشية	١٧	أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ
٢٤٢-٢٣٨	المزمل	١٥	كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْ قَرْعَوْنَ رَسُولًا
٢٨٤-٢٥٦	الطلاق	١	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ﴾
٤٥٨	الطارق	٦	خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ
٣٧٤	العصر	٣-١	وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ



فهرس القراءات

القراءة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
أَتَهُ بِفَتْحِ التَّاءِ	يُونس	٥١	١٦١
(أَنَّ الْعَزَّةَ) بفتح الهمزة	يُونس	٦٥	٢٠٨
(مَقَامِيٌّ) بضم الميم	يُونس	٧١	٢٢٠
(السِّحْرُ) بِالْمَلِّ عَلَى وَجْهِ الْاسْتِفْهَامِ	يُونس	٨١	٢٣٨
(وَإِنْ تُولِّوَا) بضم التاءِ واللام، وفتح الواو	هُودٌ	٣	٣٢٩
(أَلَا إِنَّهُمْ تَشْتَوْنِي صُدُورُهُمْ)	هُودٌ	٥	٣٣٩
(إِلَّا سَاحِرٌ)	هُودٌ	٧	٣٦٦
- بفتح الهاءِ من غير ألف -	هُودٌ	٤٣	٤٥٥
(أَوْابِنَهَا - بِإِثْبَاتِ الْأَلْفِ)	هُودٌ		
(عَمَلٌ غَيْرُهُ)، بِالْتَّوْنِينَ وَالضَّمِّ، وَضَمِّ الرَّاءِ.	هُودٌ	٤٦	٤٦٨
(إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ) بِكَسْرِ الْمَيْمَ	هُودٌ	٤٦	٤٦٩
وَنَصْبِ الرَّاءِ			
(إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ) بِكَسْرِ الْمَيْمَ	هُودٌ	٤٦	٤٦٨
(لِيَسْ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)	هُودٌ	٤٦	
(وَهُوَ أَبٌ)	الأحزاب	٦	٤٩٨
(أَعْصَرُ عَنْبَاهُ وَ(فَوْقَ رَأْسِي شَرِيدًاً	يُوسُفٌ	٣٦	٦٥٧
تَأْكِلُ الطَّيْرَ مِنْهُ)			
(فِي قَصْصِهِمْ) بِكَسْرِ الْقَافِ	يُوسُفٌ	١١١	٧٨٨



فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	طريق الحديث
٥٧	ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه
٤٠٩	إن الله عز وجل يدني المؤمن فيضع عليه كنه
٨١٢	إن عم الرجل صنو أبيه
٢٩٥	إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني
٣٩٤	إنما الأعمال بالنيات
٥١٠	إنه سيكون في أمتي خسف ومسخ وقدف بالحجارة
٦٣٢	إنه من الصغار الذين تكلموا في المهد
١٩٧	أنها الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن، أو ترى له
٢٢٧	أولئك الملا
٣٥٩	أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله بادروا بالإعمال سبعاً
٧٤٦	تلك عاجل بشرى المؤمن
١٩٧	الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله
٢٠٠	الرؤيا الصالحة جُزءٌ من سبعين جُزءاً من النبوة منْ أربعين جُزءاً
٢٠٠	منْ سِتٍّ وأربعين جُزءاً
٥١٠	سيكون في أواخر أمتي قوم يكتفي رجالهم بالرجال
٣٥٤	فاقتربوا البشرى إذ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا
٦١٥	قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة
٢٧٣	قال لي جبريل: ما أغضت شيئاً من خلق الله ما أغضت إبليس
٣٥٦	كان الله ولا شيء غيره، وكان عرشه على الماء
٥٧٩	كُلٌّ تقى
٤٧٦	لا يدخل أحد الجنة بعمله

١٩٧	لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة
٦٣٢	لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، عيسى بن مريم
٦٦٩	لَوْ لَمْ يَقُلْ يُوسُفُ، يعني الكلمة التي قال
٥٥٠	ما اجتنبت الكبائر
٥٥٢	مَثْلُ الصَّلَوَاتِ الْحَمْسٌ مَثْلُ نَهْرٍ جَارٍ
٥٧٦	هَلْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِأَسْمَائِهَا
٣١٤	يا عشر قريش أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً



فهرس الآثار

الصفحة	طريقه الأثر
١٨٧	أن رسول الله ﷺ قرأ: قل بفضل الله وبرحمته
٨٣١	إذا كان الشتاء قيظاً والولد غيضاً
١٩٠	فضل الله: القرآن، وبرحمته أن جعلكم من أهله
١٧٩	فضله: الإسلام، ورحمته القرآن
٢٨٧	لم يشك رسول الله ولم يسأل
٨٢٦	لما نزلت وضع رسول الله ﷺ يده على صدره
٤٠١	ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيات
٣٣٨	نزلت في الأئن بن شريق
٣٧٢	نزلت في الوليد بن المغيرة
٣٩٣	نزلت في اليهود والنصارى
٣٣٩	نزلت في بعض المنافقين
١٨٤	نزلت في قريش الذين سألوا الرسول ﷺ أحق هو؟



فهرس الأعلام

العلم	رقة الصفحة
إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسي	٢٥
إبراهيم بن محمد بن السريّ الزجاج	١٦٩
إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني	٢٦١
أبو بكر الأصم	٨٠٦
أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري	٢٦٩
أبو رجاء العطاردي: عمران بن ملحان التميمي البصري	٢٢٠
أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان، الأنصاري	١٨٧
أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي	٢٤٤
أبي بن كعب بن قيس بن النجار الأنصاري الحزرجي	١٨٧
أثير الدين محمد بن يوسف بن على الغرناطي الأندلسي / أبو حيان	١٤
أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الجياني	٢٠
أحمد بن عبد القادر بن مكتوم الحنفي	٢٥
أحمد بن عبد النور بن أحمد المالقي النحوي	٢١
أحمد بن علي بن محمد / ابن الطباع الرعيني	٢٠
أحمد بن عمار المهدوي	٧٨١
أحمد بن عمار المهدوي	٧٨١
أحمد بن عمر بن حسن البقاعي	٢٤٥
أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلkan	١٨
أحمد بن محمد بن إبراهيم الشعبي	١٤٣
أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري النحاس	١٣٥
أحمد بن يحيى الصوفيّ	٨٢٦
أحمد بن يوسف بن عبد الدايم السمين الحلبي	٢٥
إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي	١٤٤

٢١	إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي
٢٢٠	أوس بن عبد الله الربعي البصري
٦٣٤	باذام ويقال: باذان
٤٥٤	ثابت بن الحجاج الكلابي الجزري الرقي
٢٩٩	جرير بن عطية الخطفي التميمي البصري
١٨٨	جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي
١٨٠	جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد
١٨٠	جلال الدين المحلي: محمد بن أحمد بن محمد
٣٨١	جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي
٢١	حازم بن محمد بن حسن الأنصاري
٤٤٠	حبة ابن جوين العرني أبو قدامة الكوفي
١٧٤	الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي
١٨٧	الحسن البصري: اسم أبيه يسار
٨٢٦	الحسن بن الحسين الأنصاري
٢٥	الحسن بن القاسم بن عبد الله المرادي
١٨٨	الحسين بن الفضل بن عمير
٢١	الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن الأحوص
١٤٧	الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي
٣٦٥	جمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل
١٨٨	خالد بن معدان بن أبي كرب
٢٥	خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي
٣٥٩	داود بن الحبر الطائي
٢٣١	ذو الرمة غيلان بن عقبة
١٨٨	ذو النون المصري
٨٢٣	رفيع بن مهران، الرياحي البصري
٤٤٠	زر بن حبيش بن حباشة بن أوس

١٨٧	زيد بن أسلم، أبو العدوبي
١٩٢	سفيان بن عيينة الهمالي
٣٣٥	سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، الجمل
٢٣٥	سليمان بن مهران الأسدية الكاهلي الأعمش
٧٢٧	سيد قطب بن إبراهيم
٢٠٨	شريح بن يزيد الحضرمي أبو حية
٦٨٨	شيبة بن نعامة الضبي ، أبو نعامة
٤٠٩	صفوان بن حرز المازني البصري
١٨٧	الضحاك بن مزاحم الهمالي
٤٤٠	عامر بن شراحيل الهمداني الشعبي
١٩٩	عبدة بن الصامت بن قيس الأنباري الخزرجي
٢٢	عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنباري
١٣٦	عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الأندلسي ابن عطية
١٩	عبد الحي بن أحمد بن محمد / ابن العماد الحنبلي
٢٩٤	عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد، القرطبي ابن الحصار
١٣٦	عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري ابن الجوزي
١٣٥	عبد الرحمن بن محمد بن أدریس الحنظلي الغطفاني الرازى
١٦٤	عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الشعابي
١٣٦	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي
٣٨٠	عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري
٢٦	عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن الجمال الأسنوي
٤٥٣	عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم الصناعي
٦٤٤	عبد الصمد بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
٣٠٣	عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي / العز بن عبد السلام
٣٣٠	عبد الفتاح القاضي
٢٢	عبد الكريم بن علي المعروف بابن بنت العراقي

٦٣٥	عبد الله بن أبي نحیج: يسار المکی
٢٢١	عبد الله بن الحسین بن عبد الله، أبو البقاء العکبری
٢٨٤	عبد الله بن سلام بن الحارت الإسرائیلی
٣٢٨	عبد الله بن شداد بن الہاد اللیثی
١٨٨	عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفیل العدوی القرشی
١٦٠	عبد الله بن عمر بن محمد الشیرازی البیضاوی
١٦٩	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدینوری
٢٢	عبد النصیر بن علی بن یحیی المروطی
٣٥٩	عبد الواحد بن زید البصری
٢٢	عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد الأموی
١٣٤	عبدالله بن أحمد بن محمود النّسفي
٢٦	عبدالله بن عبد الرحمن بن عقیل الشافعی
٦٣٤	عبدالله بن عبیدالله بن أبي مليکة
٢٦	عبدالله بن یوسف بن أحمد بن هشام الأنصاری
٥٢٠	عبدالملک بن عبد العزیز بن جریح
٢٦	عبدالوهاب بن علی عبد الكافی السبکی
٦٨٧	عبید الله بن عبید الرحمن، أبو عبد الرحمن الكوفی الأشجعی
٢٣٤	عبید الله بن قیس بن شریح بن مالک ابن الرقیات
٥٤	عثمان بن عبدالرحمن الكردي الشهزوري ابن الصلاح
١٧	عثمان بن عمر بن أبي بکر الكردي / ابن الحاجب
٢٣٤	عدي بن زید بن مالک بن عدي بن الرقاع
١٩٧	عطاء بن أبي رباح واسمہ أسلم
٢٠٠	عطاء بن یسار
١٣٨	علی بن إبراهیم بن سعید الحوی
١٣٦	علی بن أحمد بن محمد الواحدی
٣٦٥	علی بن حمزة بن فیروز الأسدی، مولاهم الكسانی

٢٣٢	علي بن سليمان بن الفضل البغدادي الأخفش
١٨١	علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي المعروف بالخازن
١٤٨	علي بن محمد بن حبيب القاضي، أبو الحسن الماوردي
٨١٣	علي بن محمد بن عبد الكريم الجزرى الشيباني، ابن الأثير
٣٣٠	عمر بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي
١٦٤	عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي
٣٥٤	عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي
١٨٨	عمرو بن عثمان بن عفان
١٨	عمرو بن عثمان بن قبر الفارسي / سيبويه
١٩٩	عويس بن عامر - أبو الدرداء
٣٢٩	عيسى بن عمر، أبو عمر الهمданى الكوفى
٣٦٢	الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي
٢٠٨	القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار
١٦٣	قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري
٤٤٤	كعب الأحبار بن ماتع الحميري
٣٦٠	كليل بن وائل التميمي البكري
٢٢٠	لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي، البصري، أبو مجلز
١٣٤	مجاحد بن جبر أبو الحجاج
١٤١	حمد الطاهر بن محمد بن عاشور الشريف الأندلسي
٢٣	محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر النحاس
٣٣٧	محمد بن أبي بكر بن أبي أيوب الزرعى الدمشقى، ابن قيم الجوزية
١٣٥	محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي
١٩٣	محمد بن أحمد الشربى
٦٤٨	محمد بن أحمد بن الأزهري بن طلحة الأزهري
١٩٣	محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبى
٢٧	محمد بن أحمد بن هادي المقدسى

٢٦١	محمد بن زيد بن المهاجر
١٦٥	محمد بن السائب بن بشر الكلبي
٦١٦	محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي الشهير بقطرب
١٣٤	محمد بن جرير بن يزيد الطبرى
١٨	محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الله الطائى / ابن مالك
٢٦١	محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ
٢٣	محمد بن سليمان بن الحسن البلخى
٣٩١	محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي الأندلسى الإشبيلي
٦٣٧	محمد بن عبد الوهاب البصري، الجبائى
١٩	محمد بن عثمان بن قايماز الذهبي
٤٠٢	محمد بن علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، القرشى الهاشمى
١٦	محمد بن علي بن أحمد الداودى
١٣٥	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني
١٣٣	محمد بن عمر بن حسين القرشى الطبرستانى فخر الدين الرازى
١٨	محمد بن محمد العمرى الدمشقى الشيرازى
١٤٥	محمد بن محمد بن مصطفى العمادىأبو السعود
٢٨٦	محمد بن يزيد بن عبد الأكابر الأزدى البصري، المبرد
٥٤	محمد بن يوسف بن علي الكرمانى
١٤١	محمود بن عبد الله أندى الحسيني الآلوسي
١٣٣	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري
١٢٥	مسلم بن يسار البصري ، أبو عبدالله المكي
٢٣٤	مصعب بن الزبير بن العوام القرشى الأسى
٨٢٦	معاذ بن مسلم بياع المروي
١٦٣	مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى الخرسانى
٤٥٢	ميمون بن مهران الجزري

١٤٤	نصر بن محمد بن إبراهيم السمر قندي
١٨٧	هلال بن يساف الأشجعي مولاهم
١٧٤	همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي البصري
٧٠٨	وهب بن منبه بن كامل ، أبو عبد الله الأبناوي
١٩٨	يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء
٢٢٤	يحيى بن سلام ابن أبي ثعلبة
٤٧٣	يحيى بن على الشيباني الخطيب التبريزى



فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة

المصطلح	رقم الصفحة
الاختيار	٩٧
الإيجاز	٤٣
الاطناب	٤٣
الطبق	٨٢
المقابلة	٨٢
التذليل	٢٤٦
الهميان	٦١٢
استثناء متصل	١٥١
الإسرائييليات	٦٦
آل	٥٨١
إي	١٦٨
التباین	٤٢١
الترادف	٤٢١
الترجیح	٩٧
شم	□□□
جؤجؤ الطائر	٤٣٣
الجماح	٢٩٩
الخاص	٥١
الرجم	٥٢٩
السکت	٦٤٨
السیاق	١٢٥
الصنو	٨١٣
العام	٥١

٤١٣	الكرسف
٢٢٣	لحوا
٤٤	المبين
٤٤	المجمل
٢٩١	محكم
٥٣	المطلق
١٢٣	المفهوم
٥٣	المقيد
٨٣	المناسبات
١١٧	النسخ



فهرس الفرق والقبائل

الفرقة/القبيلة	رقم الصفحة
الباطنية	٩٥
بني قينقاع	٢٧٩
الحرورية	١٧٤
الصوفية	٩١
غاضرة	١٧٤
الفلاسفة	٩٣
قريظة	٢٧٩
المستهزئون	٣٦٨
المعتزلة	٨٨
النضير	٢٧٩



فهرس الأماكن والبلدان

رقم الصفحة	المكان / البلد
٢٥٩	الإسكندرية
٧٤٢	بيت المقدس
٤٤٠	مسجد الكوفة
٧٤٢-٢٥٩	مصر
١٤	مطحشارش
٥٥٠	المقاعد



فهرس الشواهد الشعرية

رقم الصفحة	الشام	أبني حنيفة أحكموا سفهاء لكم
٣٠	إني أخاف عليكم أن أغضبوا	أليس أول من صلى لقـ بلتكم
٧٧٤	وأعرف الناس بالقرآن والسنن	سؤدد غير فاحش لا يدانـي
٢٣٤	ـه تجارة ولا كبرـاء	فأسررت الندامـة يوم نـادي
١٧٤	برـد جـمال غـاضـرة المـنـادي	فـلـمـا لـيـسـنـ الـلـيلـ أوـ حـينـ نـصـبتـ
٢٣١	لـهـ منـ خـدـاـ آـدـانـهاـ وـهـوـ جـانـحـ	كـيفـ الرـشـادـ وـقـدـ خـلـفـتـ فيـ نـفـرـ
٨١٦	لـهـُمـ عـنـ الرـشـدـ دـأـعـ لـلـأـلـ وـأـقـيـ أـدـ	لـعـمرـكـ ماـ يـغـنـيـ الثـرـاءـ عـنـ الـفـتـىـ
٧٢٤	إـذـاـ حـشـرـجـتـ نـفـسـ وـضـاقـ بـهـ الصـدرـ	لـنـحـنـ الـأـلـىـ قـلـتـمـ فـلـئـيـ مـلـيـقـ
٢٣٠	بـرـؤـيـتـناـ قـبـلـ اـهـتـمـامـ بـكـمـ رـعـباـ	مـاـ كـنـتـ أـعـرـفـ أـنـ الـأـمـرـ مـنـصـرـفـ
□□□	عـنـ هـاشـمـ ثـمـ مـنـهـاـ عـنـ أـبـيـ حـسـنـ	مـلـكـهـ مـلـكـ رـحـمـةـ لـيـسـ فـيهـ
٢٣٤	جـبـروـتـ مـنـهـ وـلـاـ كـبـرـاءـ	وـلـلـمـنـاـيـاـ تـرـبـيـ كلـ وـالـدـةـ
٢٦٧	وـلـلـخـرـابـ يـجـدـ النـاسـ عـمـراـنـاـ	وـلـمـ رـأـيـ الـحـجـاجـ جـوـدـ سـيـفـهـ
١٧٤	أـسـرـ الـحـرـوريـ الـذـيـ كـانـ أـضـمـراـ	كـلـيـ النـسـاءـ عـلـىـ أـطـهـارـهـنـ
٦٤٤	وـلـاـ لـتـيـ النـسـاءـ إـذـاـ أـكـبـرـ إـكـبـارـاـ	

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- المخطوطات والرسائل الجامعية:
- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، نسخة مصورة بالجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية، الجزء الخامس والسادس.
- اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعاً ودراسة، للباحث : بدر بن ناصر البدر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير / ١٤١٢هـ.
- اعتراضات السمين الحلبي في الدر المصنون على أبي حيان ، دراسة نحوية صرفية ، للباحث: عبد الله الطريقي، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية.
- البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط مع تحقق المقدمة وسورة الفاتحة، للباحث: زكريا سعيد علي، جامعة القاهرة، رسالة ماجستير/ ١٩٨٥م.
- تعقيبات أبي حيان النحوية للزمخشري في البحر المحيط، للباحث محمد القرشي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، رسالة دكتوراه، ١٤١٦هـ.
- تعقيبات أبي حيان النحوية والصرفية لأبي البقاء العكברי في البحر المحيط، للباحثه معاوضة محمد حكمي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، ١٤١٥هـ.
- دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، للباحث : جزاء بن محمد المصاورة، جامعة مؤتة، الأردن، رسالة ماجستير ٢٠٠٠م.
- القراءات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان من أول الفاتحة إلى سورة الأنفال، للباحث: أحمد شكري، الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير ١٤٠٤هـ.
- القراءات في تفسير البحر المحيط . للباحث عبد اللطيف الخطيب، كلية الآداب جامعة الكويت، رسالة دكتوراه.
- القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية من خلال تفسير أبي حيان النحوي لسورة

- البقرة، للباحث: محمد المحمودي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، رسالة دكتوراه / ١٩٩٠ م.
- المحاكمات بين أبي حيان والمخشري وابن عطية، دراسة وتحقيق إلى نهاية سورة يوسف، للباحث: ناجي عبد الجليل، الجامعة الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة دكتوراه، ١٤١٧ هـ.
- مسائل التصريف في البحر المحيط لأبي حيان جمعاً ودراسة، للباحث: عبدالله العمير، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة دكتوراه، ١٤٢٠ هـ.
- منهج أبي حيان في تفسير القرآن الكريم، للباحث: بوشعيب محمادي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، رسالة دكتوراه / ١٩٩٣ م .
- منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط، للباحث: عبد المجيد المحتسب، جامعة القاهرة، كلية الآداب، رسالة دكتوراه / ١٩٦٨ م.
- مواقف أبي حيان الأندلسي النحوية من متقدمي النحاة حتى أوائل القرن الرابع الهجري من خلال تفسيره البحر المحيط جمعاً ودراسة. للباحث: على بن محمد الزهراني، رسالة دكتوراه.
- المطبوعات:**
- الإبانة عن القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، ط: دار المؤمن للتراث، دمشق، ١٣٩٩ هـ.
- أبو حيان وتفسيره البحر المحيط، د. بدر البدر، مكتبة الرشد، الرياض.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، محمد بن أحمد الدمياطي البناء وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤٢٢ هـ.
- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة.
- آثار البلاد وأخبار العباد، لزكريا بن محمد القزويني، نشر: مطبعة بيروت، ١٩٦٠ م
- الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٣٩٧ هـ.

- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، تحقيق: عبد الرزاق المهدى، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٥ هـ.
- إحكام الفصول في أحكام الأصول، لأبي الوليد سليمان للباجي ، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٤١٥، ٢ هـ.
- الإحکام في أصول الأحكام، لعلي بن محمد الأمدي، تحقيق: سید الجميلی، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق : محمد البدری، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، ط ١٤١٢ هـ.
- أسباب النزول، لعلي بن أحمد الواحدی،تعليق: د.مصطفی دیب البغا، دار ابن کثیر، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- الاستیعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر النمری، تحقيق : علی البعاوی، دار الجیل، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزری، تحقيق: علی معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ.
- الإسرائیلیات والمواضیعات في كتب التفسیر، لمحمد بن محمد أبو شبهة، مکتبة السنّة، ط ٤، ١٤٠٨ هـ.
- الإشارة إلى الإیجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبد السلام، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- الإصابة في تمیز الصحابی لابن حجر العسقلانی، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، - أصول السرخسی، لمحمد بن أحمد السرخسی، تحقيق: أبو الوفا الأفغانی، طبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة. ١٣٧٢ هـ.
- إعراب القراءات الشواذ، لأبي البقاء العکبری، دراسة وتحقيق : محمد السيد عزوّز، عالم الكتب، ط ١، ١٤١٧ هـ.
- إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس، تحقيق : زهير زاهد، مکتبة النھضة العربية، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.

- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط ٩، ١٩٩٠ م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٩ هـ.
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر، بيروت.
- الإكمال، لابن ما كولا، صححة: عبد الرحمن المعلمي، دار الكتاب الإسلامي، الهند، ط ٢.
- الأم، للإمام الشافعي، دار إحياء التراث العربي .
- إملاء ما من به الوجه من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبدالله العكبري، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر .
- الأنساب، للسمعاني، تقديم: عبدالله البارودي، دار الجنان، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- الإيضاح لناصح القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: أحمد حسن فرات، دار المنار، جدة، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
- الباعث الحيث في اختصار علوم الحديث ، لابن كثير، تحقيق: أحمد شاكر، دار الفكر بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي،
تحقيق: عادل عبد الموجود وأخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: عبد القادر العاني وأخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط ٢، ١٤١٣ هـ.
- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، ط دار الكتاب العربي -بيروت.
- البداية والنهاية، لابن كثير، دار الريان للتراث، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة بيروت .
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي

- بيروت لبنان، ط١، ١٤٠١ هـ.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر، ١٤٠٠ هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، من إصدارات الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، ١٣٩٠ هـ.
- الغية في ترتيب أحاديث الخلية، عبد العزيز الصديق، دار القرآن، بيروت.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩ هـ.
- تاج العروس، للمرتضى الزبيدي تحقيق: مجموعة، دار الهداية للنشر والتوزيع.
- تاريخ البخاري الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- تحرير أسماء الصحابة، للذهبي، دار المعرفة، بيروت لبنان.
- التجbir في علم التفسير، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد سكر، دار إحياء العلوم، ط١، ١٤٠٢ هـ.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد هاشم، دار الكتاب العربي، ١٤٠٩ هـ.
- تذكرة الحفاظ، للذهبـي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- التعريفات، للجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط٣، ١٤٠٨ هـ.
- التعريف والإعلام فيما أبهـم من الأسماء والأعلام في القرآن، للسهـيلي، تحقيق: الأستاذ عبدـأـ مهـنـاـ، دار الكتب العلمية، بيـرـوـتـ، ط١، ١٤٠٥ هـ.
- تفسير الشعالي = الجوـاهـرـ الحـسـانـ، دار الكتب العلمية.
- تفسير الشعالي = الكشف والبيان في تفسير القرآن. بدون طـبعـةـ.
- تفسير ابن أبي حاتم= تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد الطـيـبـ، مكتبة نـزارـ الـبـازـ، مـكـةـ الـمـكـرـةـ.
- تفسير ابن جـزيـ = التـسـهـيلـ لـعـلـومـ التـنـزـيلـ، أمـ القرـىـ لـلـطـبـاعـةـ وـالـنـشـرـ، القـاهـرـةـ

- تفسير ابن الجوزي = زاد المسير، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٣٨٥ هـ.
- تفسير ابن الجوزي = زاد المسير، دار الفكر،
- تفسير ابن عادل = اللباب في علوم الكتاب. دار الكتب العلمية.
- تفسير ابن عاشور = التحرير والتنوير، مكتبة العبيكان.
- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز، بدون طبعة.
- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز، دار الأندلس الخضراء، جدة.
- تفسير ابن كثير، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير الألوسي = روح المعاني، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير الألوسي = روح المعاني، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ.
- تفسير البغوي = معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تفسير البقاعي = نظم الدرر، بدون طبعة.
- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأویل، دار الفكر.
- تفسير الحلالين = دار الكتب العلمية.
- تفسير الحلالين = دار الجليل، ط ٢، ١٤١٥ هـ.
- تفسير الجمل = الفتوحات الأهلية، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- تفسير الخازن = لباب التأویل في معالم التنزيل. بدون طبعة.
- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث الإسلامي.
- تفسير الزمخشري = الكشاف، دار الفكر.
- تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- تفسير السمرقندی = بحر العلوم، دار الفكر.
- تفسير الشربینی = السراج المنير، بدون طبعة.
- تفسير الشنقيطي = أضواء البيان ، دار علام الكتب.
- تفسير الشوكاني = فتح القدیر، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير الطبری = تحقيق: محمود محمد شاکر، دار المعارف بمصر.

- تفسير الطبرى = جامع البيان، دار المعرفة، ١٩٩٠ م.
- تفسير عبد الرزاق الصنعاني، دار الفكر.
- تفسير العز بن عبد السلام = تفسير القرآن، دار ابن حزم.
- تفسير القاسمي = محسن التأويل، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٨ هـ.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية.
- تفسير القرطبي = تحقيق: د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
- التفسير الكبير لابن تيمية = تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- تفسير المراغي ، دار إحياء التراث العربي.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- تفسير النبهاني = المنتخب في تفسير القرآن، دار الفكر.
- تفسير النسفي = كنز الدقائق، دار النفائس.
- تفسير النووي الجاوي = مراح ليid ، دار الفكر.
- تفسير الوحدى = الوجيز، تحقيق: صفوان داودي، دار القلم، دمشق.
- تفسير الوحدى = الوسيط، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- التفسير بالتأثر د. جمال مصطفى عبد الحميد النجار طبعة الحسين الإسلامية ط ١٩٩٨ هـ.
- التفسير والمفسرون، د. محمد الذهي، دار الأرقام بن أبي الأرقام، بيروت.
- التفسير ورجاله، محمد حوا ، دار نور المكتبات بجدة، ط ١، ١٤٢٤ هـ.
- التقريب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد سوريا حلب، ط ٣، ١٤١١ هـ.
- تقريب النشر في القراءات العشر، لابن الجوزي، دار الحديث القاهرة.
- التمهيد في أصول الفقه، لأبي الخطاب الكلوذاني، تحقيق: مفید أبو عمّشة، جامعة أم

- القرى، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
- تهذيب الأسماء واللغات، لمحي الدين النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
 - تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
 - تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٣ هـ.
 - تهذيب اللغة، محمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية، ١٣٨٤ هـ.
 - تهذيب معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، هذبه: عرفان حسونه، المكتبة العصرية، بيروت.
 - التوقيف على مهام التعريف، لعبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت.
 - التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، مكتبة المثنى بغداد.
 - جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، تحقيق الشيخ حسن أبي الأشبال .
 - الجدول في إعراب القرآن وصرفه، محمود صافي، دار الرشيد، دمشق.
 - الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازى، دار الفكر، ط ١، ١٣٧٢ هـ.
 - الجوادر المضيئ في طبقات الحنفية، لمحي الدين عبد القادر القرشي، طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٩ هـ.
 - الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تحقيق: أحمد المزیدي، دار الكتب بيروت لبنان.
 - حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر، للحسن بن عاكس، تحقيق: د. إسماعيل البشري، ط ١، ١٤١٣ هـ.
 - حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
 - الدر المصور في علوم الكتاب المكتون، للسمين الحلبي، تحقيق: د.أحمد الخراط، دار القلم، دمشق. ط ١، ١٤١١ هـ.
 - الدر المصور لجلال الدين السيوطي، دار الفكر.

- الدرر في اختصار المغازي، لابن عبد البر النمرى، تحقيق: د. محمد ديب البغا، مطبعة الصباح، دمشق، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
- درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي إلياس أحمد الشهير بابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدى، دار التراث بالقاهرة.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلانى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون المالكى، تحقيق: مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، ط ط ١، ١٤١٧ هـ.
- ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٢، ١٤١٤ هـ.
- ديوان جرير، شرح محمد الصاوي، مكتبة محمد النوري، دمشق .
- الرسالة، للإمام الشافعى، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- رسالة في الحقيقة ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية.
- الروض الأنف، للسهيلى، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل.
- روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسى، مع شرحها "نזהة الخاطر العاطر" لعبد القادر بدران، طبعة مكتبة المعارف، الرياض.
- سنن ابن ماجة القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سنن أبي داود السجستانى، تعليق: عزت الدعايس، نشر محمد علي السيد، ط ١، ١٣٩٦ هـ.
- سنن الترمذى، تحقيق: أحمد شاكر. دار الحديث، القاهرة.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٦، ١٤٠٩ هـ.
- سيرة ابن إسحاق، تحقيق: محمد حميد اللهلهه، ١٤٠١ هـ.
- السيرة النبوية، لابن هشام، دار الجليل، بيروت، لبنان.
- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٤٠٩ هـ.
- شرح القواعد الفقهية، لأحمد الزرقا، دار القلم بدمشق، ط ٢، ١٤٠٩ هـ.

- الشرح الكبير
- شرح الكوكب المنير المسمى بـ "مختصر التحرير" لـ محمد بن أحمد الفتوحي ابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد، جامعة أم القرى الأولى ، ط ١، ١٤٠٠ هـ.
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، المطبعة المصرية، القاهرة، ط ١، ١٣٥٠ هـ.
- شواذ القراءات، للكرماني، طبعة مؤسسة البلاغ، بيروت.
- الصاحح، لإسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠ هـ.
- صحيح ابن حبان ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب : علاء الدين على بن بلبان الفارسي، تحقيق: كمال الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
- صحيح البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٠ هـ.
- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٩ هـ.
- صحيح سنن الترمذى، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- صحيح مسلم، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر .
- صلاح الأمة في علو الهمة، د. سيد العفانى، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٧ هـ.
- طبقات ابن سعد، دار الفكر، ١٤٠٥ هـ.
- طبقات الشافعية، لجمال الدين الإسنوى، تحقيق: كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتأج الدين السبكى، تحقيق : عبد الفتاح الحلو، ومحمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- طبقات المفسرين، لأحمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان الخزى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط ١، ١٤١٧ هـ.

- طبقات المفسرين، لشمس الدين محمد الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣ هـ.
- طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- طبقات النحوين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٣٩٢ هـ.
- طبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي، تحقيق : أكرم البوشي، وإبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- طبقات فحول الشعراء، لحمد بن سلام الجمحى، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة القاهرة، ١٩٧٤ هـ.
- طيبة النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ط ٢، ١٤٢١ هـ.
- العدة في أصول الفقه، للقاضي أبي يعلى البغدادي، تحقيق: أحمد المباركي، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
- العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق وتحريج : د. وصي الله عباس المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأحمد بن يوسف الشهير بالسمين الحلبي، تحقيق: محمود الدغيم، دار السيد، ط ١٤٠٧ هـ.
- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمى ، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- عيون الأثر، لابن سيد الناس، تحقيق: د.محمد العيد، محبي الدين مستو، مكتبة دار التراث، المدينة النبوية، ط ١، ١٤١٣ هـ.
- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، عني بنشره: ج برجستاسر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٣، ١٤٠٢ هـ.
- غيث النفع في القراءات السبع، لعلي النوري السفاقي، تحقيق : أحمد محمود الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٢٥ هـ.

- الفتح الرباني، لأحمد عبد الرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د. غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، ط ٥، ١٤٢٦ هـ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، تحقيق د. محمد نصر، ود. عبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، ط ١، ١٤٠٢ هـ.
- فصول في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٣ هـ.
- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم. دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ تحقيق وهي سليمان .
- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تحقيق: عادل العزاوي، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٧ هـ.
- فهارس أحاديث الموطأ، جمع وترتيب: خالد الخراز، فيصل الشامي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٠ هـ.
- فهارس صحيح وضعيف ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- فهارس المعجم الكبير للطبراني، عدنان عرعرور، دار الراية، الرياض .
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد بن عبد الحفيظ الكنوي، نشر: مكتبة المعارف، القاهرة، ٤١٣٢ هـ.
- الفوائد المسمى بمعاني الأخبار للكلاباذي
- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ط ١٠، ١٤٠٢ هـ.
- فهارس مسند الإمام أحمد، المكتبة التجارية، مصطفى الباز، مكة .
- فهرست، لابن النديم،
- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتببي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،

- ١٩٧٤ م.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧ هـ.
 - القراءات الشاذة، لعبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط ١، ١٤٠١ هـ.
 - القطع والاعتناف (الوقف والابداء)، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: أحمد فريد المزیدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، لعبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٩ هـ.
 - قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحربي، دار القاسم، ط ١، ١٤١٧ هـ.
 - قواعد التفسير، لخالد السبت، دار ابن عفان، الخبر، ط ١، ١٤١٧ هـ.
 - قواعد الفقه، لحمد المجددي، دار الصدف، كراتشي، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
 - القواعد الحسان لتفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن السعدي، مطبع الصانع .
 - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٣ هـ.
 - الكاف الشاف تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر العسقلاني، ملحق مع الكشاف.
 - كشف الظنون، لحاجي خليفة، دار الفكر، ط ١٤١٠ هـ.
 - الكليات، لأبي البقاء الكفووي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٩ هـ.
 - لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
 - لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، ط ٢.
 - لوامع الأنوار البهية ، للعلامة محمد السفاراني، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤١١ هـ.
 - مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٧، ١٤٠٠ هـ.
 - المبسوط، لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ١٤٠٦ هـ.
 - متشابه القرآن ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمданى . تحقيق د. عدنان محمد زرزور، مكتبة دار التراث القاهرة .

- مجاز القرآن، لأبي عبيد معمر بن المثنى، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- مجمع الزوائد، للهيثمي، دار الريان للتراث، ط ١٤٠٧ هـ.
- مجموع شرح المذهب، للإمام النووي، دار الفكر.
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة المصرية.
- المحتسب في تبيين وجوه القراءات، لابن جني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ١٤١٩ هـ.
- المخلص في علم الأصول، لفخر الدين الرازي، تحقيق: جابر فياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ١.
- مختصر الصواعق المرسلة، لابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة.
- مختصر في شواد القرآن ، لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- المختصر في أخبار البشر، لعماد الدين أبو الفداء، المطبعة الحسينية، مصر .
- المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصار لابن المنير (عرض ونقد) ، إعداد أصالح بن غرم الله الغامدي دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، ط ٢٢، ٢٠١٤ هـ .
- المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد الغزالى، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ.
- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، لابن النجاشي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- مسند الإمام أحمد، دار الفكر.
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ هـ.
- المصباح المنير، لأحمد الفيومي، مكتبة لبنان.
- مصنف ابن أبي شيبة، قدم له كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩ هـ.
- مصنف عبد الرزاق بن همام، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي
- معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. يحيى مراد، دار الحديث القاهرة.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى الفراء، عالم الكتب، ط ٣، ١٤٠٣ هـ.

- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١ هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤ هـ.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٩ م.
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، تركيا.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، دار الدعوة، استانبول، ١٩٨٦ هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام، دار الجيل بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- معرفة القراء الكبار، للذهبي، تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ.
- المعرفة والتاريخ، ليعقوب الفسوسي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت، ١٩٨١ م.
- المعين في طبقات المحدثين، للذهبي، تحقيق: همام سعيد، نشر الفرقان، عمان، ط١، ١٤٠٤ هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محبي عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ.
- مفتاح كنوز السنة، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١١ هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار الفكر.
- مقالات الإسلاميين، لأبي الأشعري، تحقيق: محمد محبي الدين، كتبه النهضة المصرية بالقاهرة، ط٢، ١٣٨٩ هـ.
- مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، تحقيق: محمود نصار ، مكتبة التراث الإسلامي.
- الملل والنحل، لأبي الفتح الشهري، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ.
- منجد المقرئين، لابن الجزرى، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤١٩ هـ.
- منح الجليل شرح ختصر خليل، لمحمد الخراشى، دار صادر.
- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز للشيخ الشنقيطي، ملحق بأصوات البيان،

- علم الكتب بيروت.
- الموطأ، للإمام مالك، مؤسسة الرسالة، تحقيق: بشار عواد، محمود خليل، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- موسوعة شروح الموطأ، تحقيق: د. عبدالله التركي، ط ١٤٢٦، ١٤٢٦ هـ.
- ميزان الاعتدال، للذهبي، دار الفكر.
- الناسخ والمنسوخ للنحاس، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. سليمان اللاحم، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، نشر المؤسسة المصرية.
- النشر في القراءات العشر، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ١٤٢٣، ٢١٤٢٣ هـ.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت.
- نكت الهميان في نكت العميان، لصلاح الدين الصفدي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
- النكت على ابن الصلاح، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع المدخلي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، ١٩٨٨ هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، دار الفكر.
- النهر الماد، لأبي حيان الأندلسي، بجاشية البحر المحيط، دار الفكر.
- هدية العارفين، دار الفكر، ٢١٤٠ هـ.
- همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد السلام هارون، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٣ هـ.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، جمعية المستشرقين الألمانية، ط ٢، ١٣٨٩ هـ.
- جريدة الأهرام تاريخ ١٧/٩/٢٠٠١.
- موقع د. زغلول النجار.

فهرس الموضوعات

الصفحة	رقم	الموضوع
	1	المقدمة
	13	التمهيد
	13	ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي، وفيه أربعة مباحث
	14	المبحث الأول: اسمه ونسبه وموالده وطلبه للعلم
	17	المبحث الثاني: مكانته العلمية
	20	المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه
	28	المبحث الرابع: مؤلفاته ووفاته
		القسم الأول: وفيه فصلان
	33	الفصل الأول: منهج أبي حيان في تفسيره. وفيه :
	34	أولاً: التمهيد
	38	ثانياً: منهجه في التفسير بالتأثر، وفيه ستة مباحث
	40	المبحث الأول: تفسيره القرآن بالقرآن، وفيه سبعة مطالب
	42	المطلب الأول: شرح الموجز بالمطلب
	44	المطلب الثاني: تفسير المجمل بالمبين
	46	المطلب الثالث: عنايته بالقراءات
	49	المطلب الرابع: تفسيره بحمل العام على الخاص
	50	المطلب الخامس: تفسيره بحمل المطلق على المقيد
	51	المطلب السادس: تفسيره عن طريق الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض
	53	المطلب السابع: تفسيره ببيان الناسخ والمنسوخ
	55	المبحث الثاني: تفسيره القرآن بالسنة
	58	المبحث الثالث: عناية أبي حيان بأسباب النزول

60	المبحث الرابع: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة
62	المبحث الخامس: تفسيره القرآن بأقوال التابعين
64	المبحث السادس: موقفه من الإسرائييليات
68	ثالثاً: منهجه في التفسير بالرأي، وفيه خمسة مباحث
69	المبحث الأول: تفسيره القرآن بأقوال من جاء بعد التابعين
71	المبحث الثاني: تفسيره القرآن باللغة، وفيه أربعة مطالب
71	المطلب الأول: عناته بمعاني المفردات
73	المطلب الثاني: عناته بمعاني الحروف والأدوات
75	المطلب الثالث: عناته بالإعراب
77	المطلب الرابع: عناته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني
80	المبحث الثالث: عناته بالمناسبات
83	المبحث الرابع: عناته بأسرار النظم القرآني والبلاغة القرآنية
85	المبحث الخامس: موقفه من بعض الفرق
92	الفصل الثاني: منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير
93	و فيه تمهيد و مبحثان
□□	□ التمهيد
97	المبحث الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان، وفيه ثلاثة مطالب
100	المطلب الأول : التصريح بالقول الراجح أو بعبارة تشبه التصريح
103	المطلب الثاني : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره
105	المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح و ذكره بصيغة الجزم و ذكر الأقوال الأخرى بصيغة تدل على الضعف أو أن غيرها مقدم عليها
106	المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند أبي حيان، وفيه أحد عشر مطلبًا
106	المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية

108	المطلب الثاني : الترجيح بظاهر القرآن
109	المطلب الثالث : الترجيح بالقراءات
111	المطلب الرابع : الترجيح بالحديث النبوى
112	المطلب الخامس : الترجيح بأسباب النزول
113	المطلب السادس : الترجيح بالناسخ والمنسوخ
114	المطلب السابع : الترجيح بالعموم
116	المطلب الثامن : الترجيح بالطلاق
117	المطلب التاسع : الترجيح بالمفهوم
119	المطلب العاشر : الترجيح بالسياق
121	المطلب الحادى عشر : الترجح باللغة
القسم الثاني: ترجيحات أبي حيان من آية (بِئْرَيْتَيْنِ مُهَمَّلَيْنِ) من سورة يونس إلى آية (بِئْرَيْتَنِ اللَّهُ أَعْلَمُ) من سورة الرعد	
132	أولاً: ترجيحات سورة يونس <small>العليل</small> من آية (بِئْرَيْتَنِ اللَّهُ أَعْلَمُ) إلى آخر السورة
133	ما المراد بقوله <small>بِئْرَيْتَنِ اللَّهُ أَعْلَمُ</small> ؟ <input type="checkbox"/>
138	ما هو جواب الشرط في قوله تعالى <small>وَإِمَّا نُرِيْنَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَنْوِيْنَكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ</small> ؟ <small>٤٦</small>
143	ما معنى قوله <small>ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ</small> ؟
146	ما المراد بقوله <small>فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَّ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ</small> ؟
151	ما نوع الاستثناء في قوله <small>إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ</small> ؟
156	علام يعود الضمير في قوله <small>مِنْهُ</small> ؟
159	ما نوع (ثم) في قوله <small>أَثْمَّ</small> ؟
163	علام يعود الضمير في قوله <small>أَحَقُّ هُوَ</small> ؟
168	ما معنى (إِلَى وَرَقِّيْ) في قوله <small>قُلْ إِلَى وَرَقِّيْ إِنَّهُ لَحَقٌّ</small> ؟

- | | |
|-----|---|
| 171 | □ هل يصح وصل (إي) بواو القسم أم لا يصح؟ |
| 174 | ما معنى قوله تعالى «وَاسْرُوا النَّدَامَةَ» ؟ |
| 180 | ما معنى قوله تعالى «وَاسْرُوا النَّدَامَةَ» ؟ |
| 184 | من المخاطب في قوله «تَأْمِنَاهَا النَّاسُ» ؟ |
| 187 | ما المراد بفضل الله ورحمته في الآية ؟ |
| 194 | ما نوع أم في قوله «أَمْ عَلَى اللَّهِ تَقْرُونَ» ؟ |
| 197 | ١٦. ما المراد بالبشرى في الآية؟ |
| 204 | ما المراد بقوله «لَا بَدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» ؟ |
| 206 | ما المشار إليه في قوله «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» ؟ |
| 208 | توجيه قراءة (أن العزة لله جمعا) بفتح همزة (أن). |
| 212 | العشيرة من المعنى في قوله «أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ» ؟ |
| 215 | دلالة (ما) في قوله «وَمَا يَتَبَعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُورِ اللَّهِ شُرَكَاءً» ؟ |
| 220 | هل قرأ قوله (مقامي) بضم الميم ؟ |
| 223 | ما المراد بقوله «مِنْ قَبْلٍ» ؟ |
| 227 | من المراد بقوله «وَمَلَائِيْهِ» ؟ |
| 230 | ما هو معمول (أَتَقُولُونَ) ؟ |
| 234 | ما المراد بقوله «وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ» ؟ |
| 238 | ٢٧. ما وجہ الارتباط في تعريف الكلمة(السحر) ومدلولها وعود الضمير في قوله «مَا جَئَثْمُ بِهِ السِّحْرُ» ؟ |
| 244 | العشيرة كلام من قوله «إِنَّ اللَّهَ سَيْبِطُ لَهُ» ؟ |

247	ما مدلول الفاء في قوله ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ﴾؟
250	علم يعود الضمير في قوله ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾؟
254	علم يعود الضمير في قوله ﴿وَمَالِئِينَهُمْ﴾؟
259	في أي مكان أمرا باتخاذ البيوت؟
261	ما المراد بقوله ﴿وَاجْعَلُوا يُوْتَكُمْ قِبْلَةً﴾؟
266	ما المعنى المراد بجيء اللام وما نوعه ا بقوله ﴿رَبَّنَا لِيُضْلُّوا عَنْ سَيِّلَكَ﴾؟
□□□	قول من قوله ﴿إِنَّكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾؟
279	ما المراد ببني إسرائيل في الآية؟
282	من المخاطب في قوله ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ﴾؟
288	ما المراد بقوله ﴿إِلَى حِينِ﴾؟
290	هل قوله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ وقوله ﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ من المنسوخ أم الحكم؟
294	من المعنى بقوله ﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾؟ ثانياً: ترجيحات سورة هود
298	ما معنى قوله ﴿أَحْكَمْتَ إِيمَانَهُ﴾؟ 41
298	ما معنى قوله ﴿إِنَّمَا فُصِّلَتْ﴾؟ 42
307	ما معنى (أن) في قوله تعالى ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ﴾؟ 43
312	علم يعود الضمير في قوله ﴿إِنِّي لِكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾؟ 44
315	ما المراد بالمتاع الحسن؟ 45
319	ما المراد بالأجل في قوله ﴿إِلَى أَجَلٍ مَسْمَى﴾؟ 46
322	علم يعود الضمير في قوله ﴿وَيَوْمَ تُكَلَّ ذِي فَضْلِهِ﴾؟ 47

48. ما نوع الفعل في قوله ﴿وَإِن تَوَلُّا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾؟ 325
49. ما أصل الفعل في قوله ﴿فَإِن تَوَلُّوا﴾؟ 328
50. ما المراد باليوم في قوله ﴿فَإِن تَوَلُّوا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾؟ 331
51. ما الموصوف بقوله تعالى ﴿كَيْبِيرٌ﴾؟ 334
52. ما سبب نزول الآية ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورَهُمْ﴾؟ 337
53. علام يعود الضمير في قوله ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾؟ 342
54. ما المراد بالمستقر والمستودع في الآية؟ 345
55. ما المراد بالكتاب في قوله ﴿كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾؟ 350
56. ما الدلالة في قوله ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾؟ 353
57. بم تعلق قوله ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾؟ 356
58. ما معنى قوله ﴿أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَالًا﴾؟ 360
59. ما المشار إليه في قوله ﴿إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؟ 365
60. ما المراد بالعذاب في قوله ﴿وَلَئِن أَحْرَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾؟ 369
61. ما المراد بالإنسان في الآية؟ 372
62. علام يعود الضمير في قوله ﴿وَضَارِبُ بِهِ﴾؟ 376
63. ما نوع (أم) في قوله ﴿أُمٌّ يَقُولُونَ﴾؟ 381
64. ما المراد بالمثل في قوله ﴿فَأَتُوا بِعَشِيرِ سُورِ مِثْلِهِ﴾؟ 384
65. علام يعود الضمير في قوله ﴿فَإِلَّا يَسْتَحِبُّوا لَكُمْ﴾؟ 387
66. ما المراد بقوله ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَهَا﴾؟ 392
67. علام يعود الضمير في قوله ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾؟ 396
68. ما المراد بالشاهد في قوله ﴿وَيَتَنَوَّهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾؟ 399

69. ما المراد بالأشهاد في قوله ﴿ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ ﴾ ؟ 406
70. قول من قوله ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ؟ 411
71. علام يعود الضمير في قوله ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُونَ ﴾ ؟ 413
72. ما المراد بـالبلية في قوله ﴿ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي ﴾ ؟ 416
73. علام يعود الضمير في قوله ﴿ فَعَمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ ؟ 420
74. علام يعود الضمير في قوله تعالى ﴿ وَيَقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا ﴾ ؟ 423
75. معنى قوله ﴿ قَدْ جَادَلْنَا ﴾ 426
76. ما معنى قوله ﴿ أَنْ يُغَوِّيَكُمْ ﴾ ؟ 428
77. علام يعود الضمير في قوله ﴿ يَقُولُونَ ﴾ ؟ 430
78. ما معنى (وَوَحِّنَا) في الآية؟ 433
79. ما المراد بالتنور؟ 436
80. كم عدد الذين آمنوا مع نوح السليمان؟ 443
81. علام يعود الضمير في قوله ﴿ وَقَالَ ﴾ ؟ 446
82. لمن الخطاب في قوله ﴿ أَرْكَبُوا ﴾ ؟ 449
83. هل الابن المذكور في الآية من صلب نوح أم لا؟ 452
84. ما المراد بقوله ﴿ لَا عَاصِمٌ ﴾ ؟ 457
85. قول من قوله ﴿ وَقَيْلَ ﴾ ؟ 462
86. علام يعود الضمير في قوله ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ ﴾ ؟ 466
87. من القائل في قوله ﴿ قِيلَ يَنْتُوحُ ﴾ ؟ 470
88. علام يعود الضمير في قوله (تولوا)؟ 472

- 89. ما سبب نجاة هود ومن معه؟
90. ما المراد بالعذاب الغليظ في قوله ﴿وَنَجَّيْتَهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ﴾؟
91. من هم الذين أتبعوا اللعنة في الدنيا والآخرة؟
92. ما الفائدة من قوله ﴿قَوْمٌ هُودٌ﴾ في الآية؟
93. ما المراد بقوله ﴿وَمَنْ خَرَّبَ يَوْمِنِي﴾؟
94. هل عرف إبراهيم عليه السلام الملائكة مباشرة أم هم عرفوه بأنفسهم؟
95. ما المراد بقوله ﴿فَضَحِكْتَ﴾؟
96. ما المراد بقوله ﴿هَوْلَأَءَ بَنَاتِي﴾؟
97. ما معنى قوله ﴿مَنْ حَقٌ﴾؟
98. ما المراد بقوله ﴿وَلَا يَلْثِفُ﴾؟
99. علام يعود الضمير في قوله ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَيْعِدِ﴾؟
100. ما المراد بالظالمين في الآية؟
101. ما المراد بالصلوة في الآية؟
102. ما المراد بقوله : ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾؟
103. لماذا قالوا لشعيب عليه السلام ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾؟
104. ما المراد بالرزق الحسن في الآية؟
105. ما معنى ضعيفاً؟
106. ما المراد بقوله ﴿لِرَجْمَنَكَ﴾؟
107. علام يعود الضمير في قوله ﴿وَأَخْذَ ثُمُودَ﴾؟
108. ما المراد بقوله ﴿أَمَّرَ فِرْعَوْنَ﴾؟
- 109. ما المراد بالقرى في الآية؟
110. من المخاطب في قوله ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾؟
111. علام يعود الضمير في قوله ﴿فَأَخْتِلَّ فِيهِ﴾؟

545	112 علام يعود الضمير في قوله ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ ؟
548	113 ما الذي يشمله قوله ﴿كُلًا﴾ ؟
550	114 ما المراد بالحسنات في الآية ؟
555	115 ما المشار إليه في قوله ﴿ذلِك﴾ ؟
558	116 ما المراد بالذين ظلموا في الآية ؟
560	117 ما المراد بالاختلاف في قوله ﴿وَلَا يَرَأُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ؟
565	118 علام يعود الضمير في قوله ﴿خَلَقْهُمْ﴾ ؟
568	ثالثاً: ترجيحات سورة يوسف <small>العلية السلام</small>
569	119 ما المراد بالكتاب في الآية ؟
571	120 علام يعود الضمير في قوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ ؟
573	121 ماذا رأى يوسف <small>العلية السلام</small> في منامه ؟
576	122 هل الشمس والقمر مندرجان في الأحد عشر كوكباً ؟
579	123 من هم آل يعقوب ؟
583	124 من القائل في قوله ﴿أَقْتَلُوا يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ ؟
586	125 ما المراد بالصلاح في قوله ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَنِيلِحِينَ﴾ ؟
589	126 علام يعود الضمير في قوله ﴿وَأَوْهِينَا إِلَيْهِ﴾ ؟
592	127 هل الوارد واحد أم جماعة ؟
594	128 ما المراد بقوله ﴿يَبَشِّرَى﴾ ؟
597	129 علام يعود الضمير في قوله ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَعَةً﴾ ؟
601	130 علام يعود الضمير في قوله ﴿وَشَرَوْهُ﴾ ؟
604	131 علام يعود الضمير في قوله تعالى ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّهَدِينَ﴾ ؟
606	132 علام يعود الضمير في قوله ﴿وَاللَّهُ عَالِيٌّ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ ؟
609	133 علام يعود الضمير في قوله ﴿إِنَّهُ رَبِّ الْأَحْسَنَ﴾ ؟

- 134 ما المراد بقوله ﴿ وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا ﴾؟
612
- 135 ما المراد بقوله ﴿ لَوْلَا أَنْ رَءَا بُرْهَنَ رَبِّهِ ﴾؟
626
- 136 ما المراد بالشاهد في قوله ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾؟
632
- 137 من القائل ﴿ وَأَسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾؟
639
- 138 علام يعود الضمير في قوله ﴿ أَرْسَلْتُ إِلَيْهِنَّ ﴾؟
641
- 139 ما المراد بقوله ﴿ أَكْبَرْنَاهُ ﴾؟
644
- 140 ما نوع الهماء في قوله ﴿ أَكْبَرْنَاهُ ﴾ وعلام تعود؟
648
- 141 ما المراد بالأيدي في قوله ﴿ وَقَطَعْنَ آيَدِيهِنَّ ﴾؟
651
- 142 ما المراد بالأيات في قوله ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا أَلَا يَدِيْتِ ﴾؟
653
- 143 هل (أعصر عنباً) و (فوق رأسى ثريداً تأكل الطير منه) تفسيراً
656
أم قراءة؟
- 144 ما المراد بقوله ﴿ قَالَ لَا يُأْتِيْكُمَا طَعَامٌ ثُرْزَ قَانِهِ ﴾؟
659
- 145 ما المراد بالظن في قوله ﴿ وَقَالَ لِلَّذِيْ ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾؟
662
- 146 لم قال يوسف عليه السلام ﴿ لِلَّذِيْ ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا أَذْكُرُ فِيْ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾؟
666
- 147 علام يعود الضمير في قوله ﴿ فَأَنْسَهَ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾؟
668
- 148 ما المراد بقوله ﴿ فَلَمَّا بَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضُعَ سِنِينَ ﴾؟
673
- 149 ما المراد بقوله ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحَدِمِ بِعَلَمِنَ ﴾؟
675
- 150 ما المقصود بقوله ﴿ تَرَزَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابِّاً ﴾؟
678
- 151 من المراد بالرب في قوله ﴿ إِنَّ رَبِّيْ بِيَكِيدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾؟
681
- 152 من قائل ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْمُخَانِينَ ﴾؟
683

- 153 ما المراد بقوله «إِنِّي حَفِظْتُ عَلَيْمٌ»؟ 687
- 154 ما الداعي لفعل يوسف مع إخوته؟ 690
- 155 ما المشار في قوله «مُنِعَ مِنَ الْكِيلُ»؟ 692
- 156 هل قوله (وهو خير الحافظين) قراءة أم تفسير؟ 696
- 157 ما المراد بقوله «كَيْلَ بَعِيرٍ»؟ 698
- 158 من قائل «ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ»؟ 700
- 159 ما المراد بقوله «وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلِمَنَهُ»؟ 703
- 160 ما المراد بقوله : «أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ فَلَمَّا إِنِّي أَخْوَكَ»؟ 707
- 161 على من يعود الضمير المرفوع في قوله : «بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»؟ 710
- 162 من الذي جعل السقاية في رحل أخي يوسف الشَّكَلَةُ؟ 713
- 163 من الأمر بالتأذين؟ 715
- 164 على أي شيء يطلق لفظ العير؟ 718
- 165 علام يعود الضمير في قوله «فَمَا جَرَوْهُ»؟ 721
- 166 علام يعود الضمير في قوله «فَأَسَرَّهَا»؟ 724
- 167 قوله «قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا» هل أوضح لهم الخطاب أم أسره؟ 728
- 168 من القائل في قوله «أَرْجِعُوكُمْ إِلَيْكُمْ»؟ 730
- 169 ما المراد بقوله «وَسَأَلَ الْقَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا»؟ 733
- 170 ما المراد بقوله «وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ»؟ 737
- 171 ما المراد بقوله «فَهُوَ كَظِيمٌ»؟ 739
- 172 أين كان يعقوب الشَّكَلَةُ؟ 742
- 173 ما معنى قوله «لَوْلَا أَنْ تُقْنِدُونِ»؟ 745

- 174 من المخاطب في قوله ﴿لَوْلَا أَنْ تُفْدِيُونِ﴾؟ 747
- 175 علام يعود ضمير الفاعل في قوله ﴿الْقَنْتُ﴾؟ 750
- 176 ما المراد بقوله ﴿وَجِهِهِ﴾؟ 752
- 177 ما المراد بقوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؟ 754
- 178 ما المراد بقوله ﴿أَوَيْ إِلَيْهِ أَبُوئِهِ﴾؟ 757
- 179 ما المراد بقوله ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينِ﴾؟ 760
- 180 ما الذي تعلق على مشيئة الله؟ 764
- 181 هل الرفع والخروف قبل الدخول إلى مصر أم بعد الدخول؟ 767
- 182 ما المراد بالسجود في قوله ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجْدَةً﴾؟ 769
- 183 علام يعود الضمير في قوله ﴿وَخَرُّوا لَهُ﴾؟ 772
- 184 ما المراد بالملك في قوله ﴿رَبِّ قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾؟ 778
- 185 هل تمنى يوسف الموت أم لا عندما قال ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّيْنِ بِالصَّالِحِينَ﴾؟ 780
- 186 ما المراد بالناس في الآية؟ 783
- 187 علام يعود الضمير في قوله ﴿جَاءَهُمْ نَصَرُنَا﴾؟ 785
- 188 علام يعود الضمير في قوله ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾؟ 787
- 189 علام يعود الضمير في قوله ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا مُفْتَرَّعًا﴾؟ 789
- رابعا: ترجيحات سورة الرعد من أول السورة إلى آية (جثثاً متحركة) 791
- 190 ما المراد بقوله ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ﴾؟ 792
- 191 ما المراد بقوله ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾؟ 794
- 192 ما المراد بقوله ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مَسَمَّى﴾؟ 800
- 193 ما المراد بالآيات في قوله ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾؟ 803

805	194 ما المراد بقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ﴾ ؟
809	195 ما المراد بقوله ﴿وَمَن كُلَّ الشَّمَرَتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ أُثْنَيْنِ﴾ ؟ ^٦
812	196 لمن الوصف وما المراد في قوله ﴿صَوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ ؟
815	197 هل توجد الأغلال في الآخرة حقيقة ؟
819	198 ما المراد بالحسنة والسيئة ؟
822	199 من المراد بقوله ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ﴾ ؟
830	200 ما المراد بقوله ﴿وَمَا تَغْيِضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَرَدُّدِ﴾ ؟ ^٧
836	201 ما المراد بقوله ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ؟
839	الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات
843	الفهارس: وتتضمن الفهارس الآتية:
844	فهرس الآيات القرآنية
862	فهرس القراءات
863	فهرس الأحاديث
865	فهرس الآثار
866	فهرس الأعلام
873	فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة
875	فهرس الفرق والقبائل
876	فهرس الأماكن والبلدان
877	فهرس الشواهد الشعرية
878	فهرس المصادر والمراجع
894	فهرس الموضوعات